

ليونيين

المختارات

في ١٠ مجلدات

المجلد

٢



W. J. Wood (W. J. Wood)

ليسين

المختارات

في ١٠ مجلدات

المجلد

٢

(١٩٠٥-١٩٠٢)



دار التقدم . موسكو

ترجمة الياس شاهين

В. И. ЛЕНИН

Избранные произведения в 10-ти томах

ТОМ II

На арабском языке

© الترجمة الى اللغة العربية - دار التقدم ١٩٧٩

طبع في الاتحاد السوفييتي

Л $\frac{10102-042}{014(01)-78}$ без объявл.

من الدار

يشتمل المجلد الثاني من مؤلفات لينين المختارة (بالعربية) على اهم مؤلفاته الصادرة منذ عام ١٩٠٢ حتى ايلول (سبتمبر) ١٩٠٥

يبدأ المجلد بكتاب لينين «ما العمل؟» الذي صدر في آذار (مارس) ١٩٠٢ وفي هذا الكتاب عرض لينين خطته لتأسيس الحزب خطة توحيد الحلقات الماركسية المبعثرة في حزب ثوري واحد للطبقة العاملة في روسيا ومعلوم ان المؤتمر الاول لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا (ح ع ادر) قد انعقد في مينسك في سنة ١٨٩٨ اي قبل صدور كتاب لينين باربع سنوات ولكن سرعان ما اعتقل جميع المشتركين في المؤتمر بعد ارفضه ، فلم يتحقق عمليا توحيد الحلقات المحلية في حزب واحد وقد اثبت لينين في كتاب «ما العمل؟» البطلان التام لافكار ما يسمى «بالاقتصادية» - وهي تيار انتهازي انتشر بين قسم من الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس وبين لينين قبل كل شيء ان «الاقتصادية» هي نوع من الانتهازية العالمية كان ممثله الرئيسي في اواخر العقد العاشر من القرن التاسع عشر الاشتراكي-الديموقراطي الالمانسي برنشتين الذي طالب بان تتحول الاشتراكية-الديموقراطية من حزب للشورة الاجتماعية الى حزب

للاصلاحات وسلط لينين على البرنشتينية انتقادا ماحقا وابان
الخطر الذي يتهدد الحركة العمالية من «السجود امام العفوية» الذي
تتميز به «الاقتصادية» وأشار الى ما للنظرية الثورية الصحيحة
من اهمية عظيمة بالنسبة لنضال الطبقة العاملة وصاغ وعلل
الموضوعة القائلة «لاحركة ثورية بدون نظرية ثورية» (الصفحة
٣٧ من هذا المجلد)

في عامي ١٩٠٢ و ١٩٠٣ اضطلعت جريدة «الايسكرا» بدور
بالغ في صياغة وتطوير النظرية الماركسية وفي تأسيس حزب
ثوري للطبقة العاملة وقد نشرت عمليين واردين في هذا المجلد
هما «روح المغامرة الثورية» و «المسألة القومية في برنامجنا»
في العمل الاول منهما عارض لينين التكتيك المغامر القائم
على الارهاب الفردي ، والذي كان يلجأ اليه احد احزاب البرجوازية
الصغيرة ، حزب الاشتراكيين-الثوريين ، في النضال ضد القيصرية
وبين الدور الهام الذي ستضطلع به في الحركة الثورية علاقات
البروليتاريا مع الفلاحين وهذا الموضوع بالذات موضوع مكان
الفلاحين في الثورة المقبلة موضوع التحالف بين الطبقة العاملة
والفلاحين اسهب لينين في بحثه في كراسه «الى الفلاحين الفقراء»
في ظروف الدولة المتعددة القوميات ، كان لا بد لمسألة
مصائر الامم «الصغيرة» التي تستعبدتها وتستثمرها القيصرية ان
تصبح من اهم المسائل وفي مقال عن المسألة القومية ، دعا لينين
الى الاعتراف بحق كل امة في تقرير مصيرها

في صيف ١٩٠٣ انعقد المؤتمر الثاني ح ع ادر وفي هذا
المؤتمر تكشفت تناقضات حادة في داخل الحزب ادت في آخر
المطاف الى الانشقاق والى تأسيس حزبين مستقلين متميزين هما
حزب البلاشفة الثوري وحزب المناشفة الانتهازي في البدء لم تتجل
هذه التناقضات في الامر الرئيسي : فقد اقر المؤتمر برنامجا

ماركسيا يعتبر اقامة الاشتراكية الهدف النهائي والثورة الاشتراكية وديكتاتورية البروليتاريا شرط النجاح وقد استبانة التناقضات لدن بحث النظام الداخلى للحزب ولا سيما مسألة عضوية الحزب فقد عارض زعيم المناشفة مارتوف الفكرة اللينينية عن الحزب بوصفه الفصيلة الطليعية والمنظمة للبروليتاريا بموضوعة تقول بحزب يشرع ابوابه امام جميع الراغبين في الانتساب الى صفوفه ، اي بمنظمة عديمة الشكل ، برجوازية صغيرة وانتهازية من حيث جوهرها

على تخوم القرن العشرين دخلت روسيا في مرحلة الامبريالية وقد عجلت الازمة الحادة في سنوات ١٩٠٠-١٩٠٣ بالانتقال الى الطور الاحتكاري وادى هجوم الراسمال على الطبقة العاملة في سنوات الازمة الى تعاظم الحركة الاضرابية فانتقل العمال من الاضرابات الاقتصادية الى الاضرابات السياسية ، الى النضال ضد النظام الاوتوقراطي (نظام الحكم المطلق) وبدأت الاضطرابات بين الفلاحين المطالبين باستعادة الارض التي انتزعها منهم الملاكون العقاريون لدن الغاء القنانة وتطورت الحركة الطلابية مطالبة بالحريات السياسية ثم جاءت الحرب الروسية اليابانية التي نشبت في كانون الثانى (يناير) ١٩٠٤ تؤزم جميع تناقضات الحياة الاجتماعية في روسيا وتعجل الاحداث الثورية وتكشف عن القيصرية وانحلال جهاز الدولة من القمة الى القاعدة ورغم ان الجنود الروس حاربوا ببسالة ، منيت الحكومة القيصرية بهزيمة شنعاء وشدت الحرب الاستياء في البلاد وعجلت الثورة

في ٩ كانون الثانى ١٩٠٥ ، اطلقت العساكر القيصرية في بطرسبورغ النار على مسيرة سلمية قام بها العمال الى القيصر ليقدموا له عريضة بمطالبهم فبدأت الثورة في البلاد وفي ربيع وصيف ١٩٠٥ ، كانت الثورة في مرحلة النهوض . وفي طليعة

النضال سار البروليتاريون اي عمال بطرسبورغ الصناعية وعمال النسيج في ايفانوفو - فونزيسينسك ، وعمال التعدين في مصانع الاورال وشملت الحركة الفلاحين حتى الجيش والاسطول اهتزا ايضا وفي حزيران (يونيو) ١٩٠٥ نشبت انتفاضة على متن المدرعة «بوتيومكين» وللمرة الاولى في تاريخ روسيا رفع علم الثورة على سفينة حربية وفي سياق الاضرابات نشأت اشكال جديدة للتنظيم والنضال - فقد انبثقت سوفيات (مجالس) نواب العمال ، والنقابات .

اضطلع ح ع ادر بدور هائل في حركة البروليتاريا والفلاحين والجنود في عام ١٩٠٥ فقد قاد الاشتراكيون-الديمقراطيون اللينينيون الاضرابات ، وقاموا بالدعاية في صفوف الجيش ، واعدوا الاضراب السياسي العام وقد وصل ح ع ادر الى الثورة الروسية الاولى ، مهياً لها ، مسلحاً بعقيدة مصاغة وبرنامج موضوع في نيسان (ابريل) ١٩٠٥ انعقد في لندن المؤتمر الثالث ح ع ادر ، وحدد مهام الحزب الرئيسية وتكتيكة في الثورة البادئة . وقد رفض المناشفة ارسال مندوبيهم الى المؤتمر ، وعقدوا في جينيف كونفيرانسا (مجلساً عاماً) خاصاً بهم ، منشفياً

وقد عرض لينين في مؤلفه «خطنا الاشتراكية-الديموقراطية في الثورة الديمقراطية» الذي كتبه في حزيران وتموز (يونيو ويوليو) ١٩٠٥ والذي يرد في هذا المجلد الموضوعات الاساسية لستراتيجية الحزب البلشفي الثورية وتكتيكة الثوري وللمرة الاولى تناول البحث في هذا الكتاب مسألة خصائص الثورة البرجوازية الديمقراطية في عصر الامبريالية وقواها المحركة وآفاقها ومسألة تحول الثورة البرجوازية الديمقراطية الى ثورة اشتراكية وشروط وظروف هذا التحول ومسألة التحالف بين الطبقة العاملة والفلاحين مع احتفاظ البروليتاريا بالدور القيادي .

وقد كتب لينين يقول «ينبغي على البروليتاريا ان تقوم بالانقلاب الديموقراطى الى النهاية بان تضم اليها جماهير الفلاحين لسحق مقاومة الاتوقراطية بالقوة وشلّ تذبذب البرجوازية وينبغي على البروليتاريا ان تقوم بالانقلاب الاشتراكي بان تضم اليها جماهير العناصر نصف البروليتارية من السكان لسحق مقاومة البرجوازية بالقوة وشلّ تذبذب الفلاحين والبرجوازية الصغيرة» (الصفحة ٥٠٤ من هذا المجلد)

كذلك يضم المجلد اعمالا اخرى كتبها لينين في عام ١٩٠٥ الثوري وتتضمن تحليلا لسير الثورة ووصفا للطبقات والاحزاب العاملة في المسرح السياسى وتصوغ الدروس والعبر النابعة من احداث ذلك الزمن

في تموز ١٩٠٥ نشرت جريدة «بروليتاري» مقالة لينين «الثورة تعلم» وقد كتب لينين في ختامها «ان الثورة تعلم وقضيتنا ان نستفيد من دروسها الى آخر نقطة منها ونطابق بين شعاراتنا التكتيكية وبين مسلكنا ومهامنا المباشرة (الصفحة ٥٦٧ من هذا المجلد)

ومعلوم ان ثورة ١٩٠٥ قد منيت بالهزيمة ولكن الموضوعات النظرية والتكتيكية التي صاغها البلاشفة - اللينينيون ، وكذلك المبادئ التنظيمية للحزب الجديد الطراز ، قد اتاحت السير بنجاح الى النهاية بالثورة الاشتراكية في عام ١٩١٧ وهذه الموضوعات والمبادئ تساعد في الوقت الحاضر كل حركة ثورية وكل حركة تحررية وطنية .

ما العمل ؟

المسائل الملحة لحركتنا (١)

«... ان النضال الحزبي يعطي الحزب القوة والحيوية ؛ والدليل القاطع على ضعف الحزب هو الميوعة وطمس الحدود المرسومة بخطوط واضحة ؛ ان الحزب يقوى بتطهير نفسه ...»
(من رسالة وجهها لاسال الى ماركس في ٢٤ حزيران (يونيو) سنة ١٨٥٢)

مقدمة

هذا الكراس الموضوع بين ايدي القارى كان يراد له ، بموجب مخطط المؤلف الاول ان يتناول بالتفصيل تطور الافكار الواردة في مقال «بم نبدأ ؟» (٢) «الايסקرا» (٣) العدد ٤ ، ايار (مايو) سنة ١٩٠١) ونرى لزاماً علينا ان نبدأ بالاعتذار للقارى لتأخرنا في انجاز الوعد الذي قطعناه على انفسنا في المقال المذكور (والذي اكدناه في اجوبتنا على الكثير من الاسئلة والرسائل الخاصة) لقد كانت المحاولة التي جرت في حزيران (يونيو) السنة الماضية (سنة ١٩٠١) (٤) لتوحيد جميع المنظمات الاشتراكية-الديموقراطية في الخارج سبباً من اسباب هذا التأخر فقد كان من الطبيعي ان ننتظر نتائج هذه المحاولة لانه كان من المحتمل في حالة نجاحها ان نضطر الى عرض نظرات «الايסקرا» التنظيمية من وجهة نظر تختلف بعض الشيء ، ولان هذا النجاح كان من شأنه على كل حال ان يبعث الأمل في وضع حد بسرعة قصوى لوجود اتجاهين في الاشتراكية-الديموقراطية الروسية وقد انتهت هذه المحاولة كما يعلم القارى الى الاخفاق وكان لا بد لها ان تنتهي اليه - وسنسعى للبرهان على ذلك فيما يلي من البحث - بعد

الانعطاف الجديد نحو «الاقتصادية» (٥) من جانب «رابوتشييه ديبلو» (٦) في العدد العاشر وقد ظهر ان خوض النضال الحازم ضد هذا الاتجاه المائع وغير الواضح المعالم ولكنه بالمقابل وبالتالي اتجاه ثابت وقادر على الانبعث بشتى الاشكال ، انما هو امر لا مفر منه وتبعاً لذلك تغير المخطط الاول الموضوع للكراس واتسع جداً لقد كان من المقرر ان يكون الموضوع الرئيسي للكراس المسائل الثلاث الواردة في مقال «بم نبدأ؟» وهي طابع تحريضا السياسي ومضمونه الرئيسي ومهامنا التنظيمية ومشروع انشاء منظمة كفاحية لعامة روسيا انشاء يجري في وقت واحد ومن شتى الجوانب وهذه المسائل كانت منذ امد بعيد تستدعي اهتمام المؤلف الذي حاول اثارها في «رابوتشايبا غازيتا» (٧) اثناء محاولة من المحاولات غير الناجحة لبعثها (راجع الفصل الخامس) ولكن تبين لي ان تنفيذ الفكرة الاولى والاقتصار على بحث هذه المسائل الثلاث في الكراس وعرض وجهة نظري بشكل ايجابي على قدر الامكان دون اللجوء البتة الى الجدل او دون اللجوء اليه الا لماما هو امر غير ممكن التحقيق على الاطلاق لسببين اثنين فقد اتضح من جهة ، ان «الاقتصادية» هي اشد حيوية بكثير مما كنا نقدر (ونحن نستعمل كلمة «الاقتصادية» بالمعنى الواسع كما شرحناها في العدد ١٢ من «الايسكرا» (كانون الاول - ديسمبر سنة ١٩٠١) في مقال «حديث مع انصار الاقتصادية» المقال الذي كان بمثابة رؤوس اقلام اذا صح التعبير لهذا الكراس الموضوع بين يدي القارى ولم يبق مجال للشك في ان اختلاف وجهات النظر حول حل هذه المسائل الثلاث يفسره التضاد الجذري بين اتجاهي الاشتراكية-الديموقراطية الروسية اكثر بكثير مما يفسره اختلاف وجهات النظر حول الجزئيات . ومن جهة اخرى ، ان استغراب «الاقتصاديين» لقيامنا

عملياً في «الايسكرا» بعرض وجهات نظرنا قد اظهر بكل وضوح اننا كثيراً ما نتكلم بلغات مختلفة بالمعنى الحرفي للكلمة ، واننا لا نستطيع بالتالي الاتفاق حول اي امر اذا لم نبدأ ab ovo * ، وان من الضروري القيام بمحاولة «توضيح» منتظم مع جميع «الاقتصاديين» حول جميع النقاط الجذرية في خلافاتنا ، «توضيح» مبسط ، مشروح باكثر ما يمكن من الامثلة الحسية . ولقد عذمت على القيام بمحاولة كهذه «للتوضيح» مدركاً كل الادراك ان هذا يضخم حجم الكراس لدرجة كبيرة ويؤخر صدوره . ولكنني لم ار في الوقت نفسه سبيلاً آخر لتنفيذ ما وعدت به في مقال «بم نبدأ؟» وهكذا ينبغي لي ان اضيف الى الاعتذار على التأخر اعتذاراً آخر على النقص الكبير في دياجة الكراس الادبية . فقد اضطرت للكتابة باقصى السرعة وفضلاً عن ذلك كانت تحملني على الانقطاع عن الكتابة مختلف المشاغل الاخرى

واذن كان بحث المسائل الثلاث المذكورة اعلاه كما في السابق الموضوع الرئيسي للكراس ولكن كان علي ان ابدأ من مسألتين اعم لماذا نرى في شعار «بري» و «طبيعي» كشعار «حرية الانتقاد» اعلاناً حقيقياً للنفي؟ لماذا لا نستطيع الاتفاق حتى حول المسألة الاساسية - دور الاشتراكية-الديموقراطية في الحركة الجماهيرية العفوية؟ وبعد ان عرض نظراتنا في طابع التحريض السياسي ومضمونه قد تحول الى شرح للفرق بين السياسة التريديونيونية والسياسة الاشتراكية-الديموقراطية اما عرض نظراتنا في المهام التنظيمية ، فقد تحول الى شرح للفرق بين الطريقة الحرفية التي ترضي «الاقتصاديين» وتنظيم الثوريين الضروري في رأينا وبعد اني اتمسك «بمشروع» الجريدة السياسية لعامة

* - من البداية - . باللاتينية في النص الأصلي . الناشر .

روسيا باصرار متزايد كلما ازداد بطلان الاعتراضات المقدمة ضده والتهرب من الجواب على جوهر سؤالي المطروح في مقال «بم نبدأ؟» - وهو كيف يمكننا ان نبدأ في وقت واحد ومن جميع الجوانب ببناء المنظمة التي نحن بحاجة اليها وآمل اخيراً ان ابين في القسم الختامي من الكراس اننا بذلنا كل ما في طاقتنا لدراء الانفصال التام مع «الاقتصاديين» هذا الانفصال الذي ظهر مع ذلك ، امرأ لا مفر منه ، وان جريدة «رابوتشييه ديلو» قد اكتسبت اهمية خاصة «تاريخية» ان شئتم بكونها قد اعربت باتم شكل واوضحه لا عن «الاقتصادية» المتماسكة ، بل عن التشويش والتردد اللذين كانا الصفة المميزة لمرحلة كاملة من تاريخ الاشتراكية-الديموقراطية الروسية وان هذا الجدل مع «رابوتشييه ديلو» الذي يبدو لاول وهلة مفصلاً جداً يكتسب لذلك اهمية ايضا ما دمنا لا نستطيع متابعة السير الى الامام دون ان نصفي هذه المرحلة تصفية تامة

ن . لينين

شباط (فبراير) سنة ١٩٠٢ .

الجمود العقائدي و«حرية النقد»

(أ) ما معنى «حرية النقد» ؟

ان شعار «حرية النقد» هو ، دون شك ، الشعار الاوسع انتشاراً في الوقت الحاضر الشعار الاكثر استعمالاً في الجدل بين الاشتراكيين والديموقراطيين في جميع البلدان وانه ليصعب على المرء لاول وهلة ان يتصور شيئاً ادعى الى الدهشة من تذرع احد المتجادلين على مسمع من الملاء ، بحرية النقد هل ارتفعت ، يا ترى ، من بيئة الاحزاب المتقدمة اصوات ضد القانون الدستوري الذي يضمن في معظم البلدان الاوروبية حرية العلم وحرية البحث العلمي ؟ «ان وراء الأكمة ما وراءها» - هذا ما سيقوله لنفسه بالتاكيد كل انسان غير متحيز يسمع هذا الشعار الدارج المتجادلين «يبدو ان هذا الشعار من كلمات السر التي يكرسها الاستعمال كما هي الحال في الالقاب وتصبح أشبه باسماء الاجناس». وفي الحقيقة لا يخفى على احد ان اتجاهين قد نبعوا في الاشتراكية- الديموقراطية العالمية * الراهنة اتجاهين يحتدم بينهما النضال

* وبالمناسبة نقول ان هذه الظاهرة تكاد تكون وحيدة في تاريخ الاشتراكية المعاصرة وظاهرة معزية للغاية في بابها فلاول مرة نرى النزاع بين مختلف التيارات في داخل الاشتراكية يتعدى النطاق الوطني الى النطاق العالمي . ففيما

ويضطرم اواره حيناً ويهدأ حيناً آخر ويخمد تحت رماد «قرارات عن الهدنة» مهيبة وقد اعلن برنشتين واطهر ميليران بما يكفي من الوضوح فحوى الاتجاه «الجديد» الذي يأخذ من الماركسيّة «القديمة ، الجامدة» ، موقفاً «نقدياً»

ينبغي للاشتراكية-الديموقراطية ان تتحول من حزب للثورة الاجتماعية الى حزب ديموقراطي للاصلاحات الاجتماعية هذا المطلب السياسي احاطه برنشتين بمجموعة كبيرة من البراهين والاعتبارات «الجديدة» نسقها تنسيقاً لا بأس به فقد انكر امكانية دعم الاشتراكية علمياً وامكانية البرهان على ضرورتها وحتميتها من وجهة نظر المفهوم المادي للتاريخ انكر واقع تزايد البؤس والتحول الى البروليتاريا وتفاقم التناقضات الرأسمالية اعلن ان مفهوم «الهدف النهائي» ذاته باطل ورفض فكرة ديكتاتورية البروليتاريا رفضاً قاطعاً انكر التضاد المبدئي بين الليبرالية والاشتراكية انكر نظرية النضال الطبقي وزعم انها لا تنطبق على مجتمع ديموقراطي صرف يدار وفق مشيئة الاكثرية الخ

مضى كان الجدل بين الالاساليين والايوزيناخيين (٨) ، بين الفيديين والامكانيين (٩) ، بين الفاييين والاشتراكيين-الديموقراطيين (١٠) بين النارودوفوليين والاشتراكيين-الديموقراطيين (١١) يظل جدالاً في النطاق الوطني الصرف ، يعرب عن خصائص وطنية صرف ؛ لقد كان الجدل يجري ، ان امكن القول ، على مستويات مختلفة وفي الوقت الحاضر (ويبدو هذا الامر اليوم بكل وضوح) يؤلف الفاييون الانجلز والمستوزرون الفرنسيون (١٢) والبرنشتينيون الالمان (١٣) والنقاد الروس (١٤) عائلة واحدة ، يكيل بعضهم لبعض المديح ويتعلمون بعضهم من بعض وينقضون معاً على الماركسية «الجامدة» وفي هذه المعركة الاولى العالمية حقاً ضد الانتهازية الاشتراكية ، عسى ان تبلغ الاشتراكية-الديموقراطية الثورية العالمية من القوة ما يكفي لوضع حد للرجعية السياسية السائدة في اوروبا منذ امد بعيد .

وهكذا فإن مطلب الانعطاف الحاسم من الاشتراكية-الديموقراطية الثورية الى الاصلاحية الاجتماعية البرجوازية قد رافقه انعطاف لا يقل حسماً نحو النقد البرجوازي لجميع افكار الماركسية الاساسية ولما كان هذا النقد يساق ضد الماركسية منذ امد بعيد من المنابر السياسية ومنابر الجامعات وفي مجموعة كبيرة من الكرايس وجملة من الابحاث العلمية ولما كان الجيل الناشئ كله من الطبقات المتعلمة يتربى بانتظام وطيلة عشرات السنين على هذا النقد - فلا غرو ان ينبثق الاتجاه «النقدي الجديد» في الاشتراكية-الديموقراطية بشكله المتكامل دفعة واحدة كما اثبتت مينيرفا من رأس جوبيتر (١٥) لم يكن من الضروري ان يتطور هذا الاتجاه ويتكون من حيث مضمونه فقد نقل نقلاً من المطبوعات البرجوازية الى المطبوعات الاشتراكية

وبعد اذا كان نقد برنشتين النظري ومطامعه السياسية قد ظلت غامضة بالنسبة لبعضهم فقد عنى الفرنسيون بتبيين «الطريقة الجديدة» في التطبيق وفي هذه المرة ايضاً اثبتت فرنسا انها تستحق ما اشتهرت به منذ القدم من انها «البلاد التي كان يضل فيها صراع الطبقات ، في تاريخها اكثر مما في اية بلاد اخرى ، الى نهايته الفاصلة» (انجلس من مقدمة لمؤلف ماركس Der 18 «Brumaire»). فالاشتراكيون الفرنسيون لم ينصرفوا الى النظريات ، بل الى العمل المباشر ذلك لأن الظروف السياسية المتطورة في فرنسا تطوراً اكبر من وجهة النظر الديموقراطية قد مكنتهم من الانتقال رأساً الى «البرنشتينية العملية» مع كل ما ينجم عنها من نتائج ولقد اعطى ميليران مثلاً رائعاً عن هذه البرنشتينية العملية فليس عبثاً اذن ان اندفع برنشتين وفولمار للدفاع عن ميليران وامتداحه بمثل هذه الحماسة وبالفعل اذا كانت الاشتراكية-الديموقراطية ليست في جوهرها الا حزب الاصلاحات

وإذا كان ينبغي لها ان تجد في نفسها الجرأة على اعلان ذلك امام الملا - فعندئذ لا يحق للاشتراكي ان يشترك في الوزارة البرجوازية وحسب بل ينبغي له ان ينزع دائماً الى ذلك وإذا كانت الديمقراطية تعني في جوهرها الغاء السيادة الطبقية - فلماذا لا يعمد الوزير الاشتراكي الى اغراء العالم البرجوازي كله بخطابات عن تعاون الطبقات ؟ ولماذا لا يبقى في الوزارة ولو بعد ان جاءت مصارع العمال على يد الدرك دليلاً للمرة المئة بل الالف على حقيقة طابع التعاون الديمقراطي بين الطبقات ؟ ولماذا لا يشترك شخصياً في تحية القيصر الذي لا ينعتة الاشتراكيون الفرنسيون في الوقت الحاضر الا ببطل المشانق والسياط والمنافي (knouteur, pendeur et déportateur) ؟ وتعويضاً عن هذا الحضيض من الهوان الذي سقطت الاشتراكية فيه والاحتقار الذي جلبته لنفسها امام العالم كله ، وتعويضاً عن افساد الوعي الاشتراكي بين جماهير العمال - وهو الاساس الوحيد الذي في وسعه ان يضمن لنا الانتصار - تعويضاً عن كل ذلك نرى مشاريع طنانة لاصلاحات تافهة تافهة بحيث امكن الحصول على اكثر منها من الحكومات البرجوازية ان الذين لا يتعامون عن عمد يرون لا محالة ان الاتجاه «النقدي» الجديد في الاشتراكية ليس غير مظهر جديد من مظاهر الانتهازية وإذا حكمنا على الناس لا على اساس الرداء البراق الذي يخلعونه على انفسهم بانفسهم لا على اساس اللقب الطنان الذي ينتحلونه لانفسهم بل على اساس تصرفاتهم وعلى اساس ما يدعون اليه في الواقع اتضح ان «حرية النقد» تعني حرية الاتجاه الانتهازي في الاشتراكية الديمقراطية حرية تحويل الاشتراكية الديمقراطية الى حزب اصلاحي ديمقراطي حرية ادخال الافكار البرجوازية والعناصر البرجوازية الى الاشتراكية .

الحرية كلمة عظيمة ، ولكن تحت لواء حرية الصناعة شنت
افظع حروب السلب والنهب وتحت لواء حرية العمل جرى نهب
الشفيلة وكلمة «حرية النقد» في استخدامها الحالي تتضمن مثل
هذا الزيف ان الذين يؤمنون حقاً بأنهم دفعوا العلم الى امام لا
يطلبون حرية وجود المفاهيم الجديدة الى جانب المفاهيم القديمة
بل ابدال الجديدة بالقديمة اما الصرخة الحالية «عاشت حرية
النقد!» فتشبهه شديد الشبه حكاية الطبل الاجوف
نحن نسير جماعة متراصة في طريق وعر. صعب متكاتفين
بقوة ومن جميع الجهات يطوقنا الاعداء ، وينبغي لنا ان نسير على
الدوام تقريباً ونحن عرضة لنيرانهم لقد اتحدنا بملء ارادتنا
اتحدنا بغية مقارعة الاعداء بالذات لا للوقوع في المستنقع
المجاور الذي لامنا سكانه منذ البدء لاننا اتحدنا في جماعة على حدة
وفضلنا طريق النضال على طريق المهادنة واذا بعض منا يأخذ
بالصياح هلموا الى هذا المستنقع ! وعندما يقال لهم الا
تخجلون يعترضون قائلين ما اجهلكم يا هؤلاء الا تستحون
ان تنكروا علينا حرية دعوتكم الى الطريق الاحسن ! - صحيح
صحيح ايها السادة ! انكم احرار لا في ان تدعوا وحسب ، بل ايضاً في
الذهاب الى المكان الذي يطيب لكم الى المستنقع ان شئتم
ونحن نرى ان مكانكم انتم هو المستنقع بالذات ونحن على
استعداد للمساعدة بقدر الطاقة على انتقالكم انتم اليه ولكن
رجاءنا ان تتركوا ايدينا ان لا تتعلقوا باذيالنا ان لا تلتخطوا
كلمة الحرية العظمى ذلك لاننا نحن ايضاً «احرار» في السير الى
حيث نريد احرار في النضال لا ضد المستنقع وحسب بل ايضاً
ضد الذين يعرجون عليه !

(ب) المدافعون الجدد عن «حرية النقد»

وها هو ذا هذا الشعار («حرية النقد») الذي طرحه بصورة مهيبة في الآونة الأخيرة لسان حال «اتحاد الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس» في الخارج (١٦) «رابوتشييه ديلو» (العدد ١٠) لا كأمير مسلم به نظرياً بل كمطلب سياسي كجواب على سؤال «هل يمكن توحيد المنظمات الاشتراكية-الديموقراطية العاملة في الخارج؟» - «الاتحاد الوطيد يقتضي حرية النقد» (ص ٣٦)

من هذا القول يخلص المرء الى استنتاجين واضحين كل الوضوح ١ - «رابوتشييه ديلو» تأخذ على عاتقها الدفاع عن الاتجاه الانتهازي في الاشتراكية-الديموقراطية العالمية بوجه عام ٢ - «رابوتشييه ديلو» تطلب حرية الانتهازية في الاشتراكية-الديموقراطية الروسية فلنبحث هذين الاستنتاجين

«رابوتشييه ديلو» غير راضية «بوجه خاص» من «ميل الايسكرا» و«زاريا» (١٧) الى التنبؤ بالانفصال بين الجبل والجيروند (١٨) في الاشتراكية-الديموقراطية العالمية* .

كتب محرر «رابوتشييه ديلو» ب كريتشفسكي يقول والكلام عن الجبل والجيروند في صفوف الاشتراكية-الديموقراطية يبدو لنا

* وردت المقارنة بين التيارين في البروليتاريا الثورية (الثوري والانتهازي) والتيارين في الرجوازية الثورية في القرن الثامن عشر (اليقويبين - الجبل) والجيرونديين) في افتتاحية العدد ٢ من «الايسكرا» (شباط - فبراير - سنة ١٩٠١) وواضح هذا المقال هو بليخانوف والحديث عن «اليقوبية» في الاشتراكية-الديموقراطية الروسية هو حتى الآن الموضوع المحبب الى الكاديت (١٩) و«جماعة بلا اسم» (٢٠) والمناشفة (٢١) ولكنهم اليوم يفضلون ان يلزموا الصمت او ان يتناسوا ان بليخانوف هو اول من ابرز هذا المفهوم ضد الجناح اليميني في الاشتراكية-الديموقراطية . (ملاحظة المؤلف لطبعة سنة ١٩٠٧ . الناشر .)

بوجه عام عبارة عن مقارنة تاريخية سطحية نستغرب صدورها عن قلم ماركسي ؛ فالجبل والجيروند لم يمثلنا مزاجين او تيارين فكريين مختلفين كما قد يخيل للمؤرخين الايديولوجيين ، بل كانا يمثلان طبقات او فئات مختلفة - البرجوازية المتوسطة من جهة ، والبرجوازية الصغيرة - البروليتاريا من الجهة الاخرى هذا بينما لا يوجد في الحركة الاشتراكية المعاصرة تصادم بين المصالح الطبقية ، فهي بمجموعها وبتجميع (حرف التأكيد لكريتشيفسكي) مظاهرها ، بما في ذلك البرنشتينيون المتطرفون ، تقف على صعيد مصالح البروليتاريا الطبقية ، على صعيد نضالها الطبقي في سبيل تحريرها السياسي والاقتصادي (ص ٢٢-٢٣)

تأكيد جريء ! أولم يسمع ب كريتشيفسكي بواقع لوحظ منذ امد بعيد ونعني به ان اشتراك فئة «الاكاديميين» في الحركة الاشتراكية خلال السنوات الاخيرة على نطاق واسع هو الذي ضمن انتشار البرنشتينية بمثل هذه السرعة ؟ والامر الرئيسي بسم يدعم كاتبنا رايه اذ يزعم ان «البرنشتينيين المتطرفين» يقفون هم ايضاً على صعيد النضال الطبقي في سبيل تحرير البروليتاريا السياسي والاقتصادي ؟ لا ندري انه يدافع بحزم عن البرنشتينيين المتطرفين دون ان يأتي باية حجة او اي دليل لدعم ذلك ان واضع المقال يظن على ما يظهر ان اقواله لا تحتاج الى برهان اذا كرر ما يقوله البرنشتينيون المتطرفون عن انفسهم ولكن هل يمكن للمرء ان يتصور «سطحية» تضارع سطحية هذا الحكم على اتجاه باكملة استناداً الى ما يقوله ممثلو هذا الاتجاه عن انفسهم ؟ هل يمكن تصور سطحية تضارع سطحية «المواعظ» التي اتت بعد ذلك بصدد نموذجين او طريقين للتطور الحزبي مختلفين او حتى متناقضين كل التناقض (ص ص ٣٤-٣٥ من «رابوتشييه ديبلو») ؟ الاشتراكيون-الديموقراطيون الالمان يعترفون - كذا ! - بحرية النقد كاملة اما الفرنسيون فلا يعترفون بها ، ومثلهم بالذات هو الذي يبين كل «ضرر عدم التسامح» .

ونجيب نحن على ذلك ان مثل ب كريتشيفسكي بالذات هو الذي يبين ان هناك من يسمون انفسهم احياناً بالماركسيين وينظرون مع ذلك الى التاريخ «على نمط ايلوفايسكي» (٢٢) بالضبط لتفسير وحدة الحزب الاشتراكي الالمانى وانقسام الحزب الاشتراكي الفرنسى على نفسه ليس من داع الى البحث في خصائص تاريخ البلدين ولا الى المقارنة بين ظروف الحكم العسكري شبه المطلق وظروف البرلمانية الجمهورية ولا الى تقصي نتائج الكومونة (٢٣) والقانون الاستثنائى بخصوص الاشتراكيين (٢٤) ولا الى مقارنة الحياة الاقتصادية والتطور الاقتصادى ، ولا الى تذكر ان «نمو الاشتراكية-الديموقراطية الالمانية المنقطع النظر» قد رافقته همة في النضال منقطعة النظر في تاريخ الاشتراكية ليس فقط النضال ضد الاخطاء النظرية (ميولبيرغر ودوهرينغ *)

* عندما انقض انجلس على دوهرينغ ، مال الى آراء هذا الاخير عدد لا بأس به من ممثلى الاشتراكية-الديموقراطية الالمانية ، وانهالت على انجلس ، حتى علناً ، في مؤتمر الحزب ، اتهامات تتهمه بالشدّة وعدم التسامح والعدام الروح الرفاقية في الجدل وهلم جرا فقد اقترح موست مع رفاقه (في مؤتمر سنة ١٨٧٧ (٢٥)) عدم نشر مقالات انجلس في "Vorwärts" (٢٦) باعتبارها وغير ذات اهمية بالنسبة للاكثوية الكبرى من القراء ؛ واعلن فالتيج (Vahlteich) ان نشر هذه المقالات قد اضر بالحزب ضرراً كبيراً وان دوهرينغ قد خدم الاشتراكية-الديموقراطية كذلك وينبغي لنا ان نستفيد من الجميع لمصلحة الحزب واذا ما دار جدال بين الاساذة فان "Vorwärts" ليست ابداً بالمنبر المناسب لهذا الجدل ("Vorwärts" ، العدد ٦٥ ، ٦ حزيران - يونيو - سنة ١٨٧٧) وترون ان هذا ايضاً مثل من امثلة الدفاع عن «حرية النقد» ويحسن منتقدونا العليوني والانتهازيون المستترون المولعون ولعا شديداً بالاستشهاد بالالمان صنعنا ان فكروا فيه !

واشتراكيو المنابر الجامعية (٢٧)) بل كذلك ضد الاخطاء التكتيكية (لاسال) الخ الخ كل هذا امر لا داعي له ! الفرنسيون يتشاجرون لانهم غير متسامحين والالمان متحدون لانهم اولاد عاقلون

لاحظوا جيداً انهم بهذا العمق المنقطع النظير في التفكير «يردون» واقعاً يدحض بصورة تامة دفاع البرنشتينيين هل يقف هؤلاء على صعيد نضال البروليتاريا الطبقي ؟ انه سؤال لا يمكن لغير التجربة التاريخية ان تجيب عليه الجواب النهائي الفاصل وعلى ذلك فالامر الالم اهم هنا هو بالضبط مثل فرنسا باعتبارها البلاد الوحيدة التي جرب فيها البرنشتينيون العهل بصورة مستقلة بتحبذ حار من زملائهم الالمان (وجزئياً من الانتهازين الروس انظر «رابوتشييه ديلو» العدد ٢-٣ صص ٨٣-٨٤) ان الاستشهاد «بعدم تسامح» الفرنسيين-بالاضافة الى قيمته «التاريخية» (بمعنى نوزديريف (٢٨))-هو مجرد محاولة لطمس وقائع مزعجة جداً بكلمات غاضبة

وعلى كل حال ليس في نيتنا البتة ان نقدم الالمان هدية لكريتشفيسكي ولامثاله الكثيرين من المدافعين عن «حرية النقد» فاذا كان «البرنشتينيون المتطرفون» ما يزالون يصبرون عليهم في صفوف الحزب الالمانى فما ذلك الا بمقدار ما يخضعون لقرار هانوفر (٢٩) الذي يرد بحزم «تعديلات» برنشتين وقرار لوبيك (٣٠) الذي يتضمن (رغم كل ما فيه من ديبلوماسية) انذاراً صريحاً لبرنشتين يمكن النقاش من وجهة نظر مصلحة الحزب الالمانى حول مبلغ فائدة هذه الدبلوماسية يمكن التساؤل عما اذا كان السلام الظاهري في هذه الحالة خيراً من شجار مكشوف وبكلمة يمكن ان تختلف وجهات النظر حول فائدة هذه او تلك من طرق رفض البرنشتينية ولكن لا يمكن للمرء ان لا يرى ان الحزب الالمانى

قد رفض البرنشتينية مرتين ولذا فالتفكير بان مثل الالمان يثبت دعوى ان «البرنشتينيين المتطرفين يقفون على صعيد نضال البروليتاريا الطبقي في سبيل تحررها الاقتصادي والسياسي» - يعني عدم فهم اي شيء على الاطلاق مما يجري امام عيون الجميع *
فوق ذلك تنبري «رابوتشييه ديلو» امام الاشتراكية الديمقراطية الروسية ، كما سبق لنا ان ذكرنا وتطالب ب«حرية النقد» وتدافع عن البرنشتينية ويظهر انه تبين لها ان «النقاد والبرنشتينيين عندنا قد اهينوا ظلماً ولكن ايهم بالذات ؟ ومن الذي اهانهم ؟ اين ؟ ومتى ؟ وبم تجلي ذلك ؟ ان «رابوتشييه ديلو» تلتزم الصمت في كل ذلك ولا تذكر ولو مرة واحدة اي منتقد او اي برنشتيني روسي ليس امامنا من سبيل غير اختيار افتراض من

* لا بد من ان نلاحظ ان «رابوتشييه ديلو» قد اقتصرت على الدوام فيما يخص مسألة البرنشتينية في الحزب الالمانى على مجرد سرد الوقائع «مستكفة» بصورة تامة من ابداء رأيا فيها راجع مثلا العدد ٢ - ٣ ، ص ٦٦ بصدد مؤتمر شتوتغارت (٣١) ، فجميع الخلافات لا تتمدى «التكتيك» ، واقتصر الامر على تسجيل ان الاكثية الكبرى قد ظلت امينة للتكتيك الثوري السابق او راجع العدد ٤ - ٥ ، ص ٢٥ وما يليها مجرد سرد للخطابات الملقاة في مؤتمر هانوفر مع ايراد قرار بيبل ؛ اما عرض وانتقاد برنشتين فقد ارجنا مرة اخرى (كما في العدد ٢ - ٣) الى «مقال خاص» ومن الطريف اننا نقرأ في الصفحة ٣٣ من العدد ٤ - ٥ «... الاكثية الكبرى في المؤتمر تؤيد النظريات التي عرضها بيبل». ثم نقرأ بعد اسطر «... لقد دافع دافيد عن نظرات برنشتين وقد حاول ان يظهر قبل كل شيء ان برنشتين واصدقاءه يقفون على كل حال (كلذا!) على صعيد النضال الطبقي...» لقد كتب ذلك في كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٨٩٩ ، ويظهر ان «رابوتشييه ديلو» في ايلول (سبتمبر) سنة ١٩٠١ قد فقدت ايمانها بان الحق الى جانب بيبل وكررت نظرات دافيد كأنها نظراتها الخاصة !

افتراضين محتملين اما ان يكون الطرف المهان ظملاً هو «رابوتشييه ديلو» بعينها (يؤكد ذلك ان المقالين المنشورين في العدد ١٠ لا يتناولان غير الاهانات التي وجهتها «زاريا» و«اليسكرا» الى «رابوتشييه ديلو») وفي هذه الحالة كيف نفسر هذا الواقع الغريب وهو ان «رابوتشييه ديلو» التي كانت تتبرأ على الدوام بعناد من كل تضامن مع البرنشتينية لم تكن تستطيع الدفاع عن نفسها دون ان تنبس ولا بكلمة دفاعاً عن «البرنشتينيين المتطرفين» وعن حرية النقد؟ واما ان تكون الاهانات قد وجهت الى طرف ثالث وفي هذه الحالة ما هي الاسباب التي تدعو الى عدم ذكره؟

وهكذا نرى ان «رابوتشييه ديلو» تستمر في لعبة الغمضة التي بدأتها (كما سنبين فيما يأتي) منذ ظهورها ومن ثم نلفت انظاركم الى هذا التطبيق العملي الاول لـ«حرية النقد» التي يكثرون حولها التظليل والتزمير فلم يقتصر الامر في الواقع على كون هذه الحرية قد آلت رأساً الى انعدام كل نقد بل تعداه الى انعدام اي رأي مستقل بوجه عام فهذه «رابوتشييه ديلو» نفسها التي تكتم وجود البرنشتينية الروسية كما تكتم الامراض السرية (حسب تعبير موفق لستاروفر) تقترح لمداواة هذا المرض مجرد نقل الوصفة الالمانية الاخيرة الموصوفة لمداواة هذا المرض في مظهره الالمانى! فبدلاً من حرية النقد - تقليد على نمط العبيد. او، وهو الاسوأ، تقليد على نمط القروء ان المضمون الاجتماعي السياسي الواحد للانتهازية العالمية المعاصرة يتجلى في هذا المظهر او ذاك تبعاً للخصائص الوطنية في هذه البلاد تجمع الانتهازيون منذ امد طويل تحت لواء خاص وفي تلك استخف الانتهازيون بالنظرية وانتهجوا عملياً سياسة الاشتراكيين-الراديكاليين وفي بلاد ثالثة فر عدد من اعضاء الحزب الثوري الى معسكر الانتهازية واخذوا يسعون الى بلوغ

اهدافهم لا عن طريق نضال صريح في سبيل المبادئ وفي سبيل تكتيك جديد بل عن طريق افساد حزبهم بصورة تدريجية غير ملحوظة لا يعاقبون عليها ان جاز القول وفي بلاد رابعة يعمد فارون كهؤلاء الى نفس الاحابيل في دياجير العبودية السياسية وفي ظروف تشابك فريد بين النشاط «العلمي» و«غير العلمي» ، الخ اما ان ينبري المرء ويعلن ان حرية النقد وحرية البرنشتينية هما شرط لاتحاد الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس دون ان يبين مظاهر البرنشتينية الروسية والثمار الخاصة التي حملتها فذلك اشبه بمن يتكلم لكي لا يقول شيئاً فلنجرب نحن انفسنا اذن ولنقل ولو في بضع كلمات ما لم ترغب في قوله (او ربما لم تستطع حتى فهمه) «رابوتشييه ديلو» .

ج) النقد في روسيا

ان خاصة روسيا الاساسية من الناحية التي نعنيها تتلخص في كون حركة العمال العفوية من جهة وانعطاف الرأي العام التقدمي نحو الماركسية ، من جهة اخرى قد تميزا منذ بدءتهما بالذات باتحاد عناصر غير متجانسة بتاتا تحت لواء مشترك ومن اجل النضال ضد عدو مشترك (ضد عقيدة اجتماعية سياسية انقضى زمنها) ونحن نعني هنا «الماركسية العلمية» (٣٢) في شهر العسل وقد كانت هذه بوجه عام ظاهرة على درجة من الاصاله بحيث لم يكن هنالك في العقد التاسع او اوائل العقد العاشر من يمكنه حتى ان يصدق ولو بامكانها ففي بلاد يسودها الحكم المطلق ، في بلاد ترزح صحافتها تحت اشد القيود وفي عهد رجعية سياسية حالكة تنقض على اقل نبتة من نباتات السخط والاحتجاج

السياسيين - تشق نظرية الماركسية الثورية فجأة لنفسها الطريق في المطبوعات الخاضعة للرقابة ، معروضة بلغة رمزية ، ولكنها مفهومة لجميع الذين «يهمهم الامر» فقد اعتادت الحكومة ألا ترى الخطر إلا في نظرية «نارودنايا فوليا» (الثورية) ، غير ان تلمح كما يحدث في المعتاد ، مجرى تطورها الداخلي ، ومبتهجة لكل انتقاد يوجه اليها وقد مر وقت طويل (طويل بالنسبة اليها نحن الروس) قبل ان تنتبه الحكومة للامر وقبل ان يتمكن جيش الرقباء والدرك الثقيل من اكتشاف العدو الجديد ومن الانقراض عليه وفي هذه الاثناء كانت الكتب الماركسية تصدر واحداً بعد آخر ، والمجلات والجرائد الماركسية تؤسس وغدا الجميع بالمعنى الحرفي للكلمة ماركسيين وغدا الماركسيون موضع الاطراء والرعاية ، وكان الناشرون في ذروة الحماسة من شدة الاقبال على اقتناء الكتب الماركسية ومفهوم تماماً ان يكون قد وجد اكثر من «كاتب مغرور» (٣٣) بين الماركسيين المبتدئين المأخوذون بنشوة النجاح

ويمكن اليوم التحدث عن ذلك العهد بهدوء كما يتحدث الانسان عن امور مضت ولا يخفى على احد ان ازدهار الماركسية الموقت على هامش مطبوعاتنا قد نشأ عن تحالف المتطرفين مع المعتدلين جداً وقد كان هؤلاء الاخيريون في جوهر الامر ديموقراطيين برجوازيين وهذا الاستنتاج (الذي اثبته بجلاء فيما بعد تطورههم «النقدي») يفرض نفسه فرضاً على بعضهم حين كان «التحالف» لا يزال سليماً *

* المقصود هنا مقال ك تولين ضد ستروفه المنشور آنفاً ، وهو مقال وضع على اساس بحث بعنوان «انعكاس الماركسية في المطبوعات البرجوازية» راجع المقدمة (ملاحظة من المؤلف لطبعة سنة ١٩٠٧ . الناشر .)

ولكن اذا كان الامر كذلك أفلا يحمل الاشتراكيون- الديمقراطيون الثوريون الذين عقدوا هذا التحالف مع «نقاد» الغد ، القسط الاكبر من مسؤولية «الفتنة» التي وقعت بعد ذلك ؟ هذا السؤال مع الجواب عليه بالايجاب ، نسمعه في بعض الاحيان من اناس ينظرون الى الاشياء نظرة مغالية في الاستقامة ولكن هؤلاء الناس مخطئون تماماً اذ لا يمكن ان يخشى من الاحلاف الموقته ، ولو مع اناس لا يركن اليهم الا الذين لا يثقون بانفسهم ليس يمكن لاي حزب سياسي ان يعيش بدون احلاف كهذه وقد كان التحالف مع الماركسيين العلنيين بمثابة اول تحالف سياسي حقاً تحققه الاشتراكية-الديموقراطية الروسية فبفضل هذا التحالف تم الانتصار على الشعبية بسرعة خارقة وانتشرت الافكار الماركسية انتشاراً واسعاً (ولو بشكل مبسط) هذا ، والتحالف لم يعقد بدون اي «شرط» والبرهان المجموعة الماركسية «وثائق في مسألة التطور الاقتصادي في روسيا» (٣٤) التي احرقتها الرقابة في سنة ١٨٩٥ واذا امكن مقارنة الاتفاق مع الماركسيين العلنيين في حقل المطبوعات بالتحالف السياسي فانه تمكن مقارنة هذا الكتاب بالمعاهدة السياسية

وواضح ان الانفصال لم يحدث بسبب ان «الحلفاء» قد ظهوروا ديموقراطيين برجوازيين بل بالعكس فممثلو هذا الاتجاه الاخير هم حلفاء طبيعيون للاشتراكية-الديموقراطية مرغوب فيهم ما دامت القضية تتعلق بهامها الديموقراطية التي يدفعها الى المقام الاول الوضع الراهن في روسيا ولكن الشرط الذي لا بد منه لهذا التحالف هو ان يجد الاشتراكيون الامكانية التامة ليينوا للطبقة العاملة التضاد العدائي بين مصالحها ومصالح البرجوازية هذا في حين ان البرنشتينية والاتجاه «النقدي» اللذين اتجه اليهما افواجاً معظم الماركسيين العلنيين كان من شأنهما ان يسقطا هذه الامكانية

ويفسد الوعي الاشتراكي بتحقيرها الماركسية وتبشيرها بنظرية طمس التناقضات الاجتماعية واعلانهما بطلان نظرية الثورة الاجتماعية وديكتاتورية البروليتاريا وجعلهما حركة العمال والنضال الطبقي تريديونيونية ضيقة ونضالاً «واقعيًا» في سبيل اصلاحات طفيفة وتدرجية وقد كان يعني هذا تماماً انكار الديمقراطية البرجوازية على الاشتراكية الحق في الاستقلال وبالتالي الحق في الوجود وكان يعني هذا في الواقع النزوع الى تحويل حركة العمال وهي في بدنها الى ذيل لليبيراليين

وطبيعي ان الانفصال كان في مثل هذه الظروف امراً لا بد منه ولكن الخاصة التي «تفردت» بها روسيا تجلت في كون هذا الانفصال قد آل الى مجرد ابعاد الاشتراكيين-الديموقراطيين عن المطبوعات «العننية» الاوسع انتشاراً والاقرب الى متناول الجمهور فقد اعتصم فيها «الماركسيون السابقون» الذين تجمعوا «تحت شعار النقد» وحصلوا على ما يشبه الاحتكار في «سحق» الماركسية وسرعان ما اصبحت هتافات «ضد الارثوذكسية» * و«فلتحي حرية النقد» (الهتافات التي تكررها الآن «رابوتشيه ديلو») عبارات تطابق الموضة ولم يصمد امام هذه الموضة لا الرقباء ولا الدرك يدلنا على ذلك صدور ثلاث طبعات روسية لكتاب برنشتين (٣٥) الذائع الصيت (الذائع الصيت على طراز هيروسترات) او امتداح زوباتوف لكتب برنشتين والسيد بروكوبوفيتش واضرابهما («الايسكر» العدد ١٠) وتواجه الاشتراكيين-الديموقراطيين الآن مهمة صعبة بحد ذاتها ، زادت صعوبة الى حد لا يتصور عقبات خارجية صرف ، هي مهمة النضال ضد التيار الجديد وهذا التيار لم يقتصر على ميدان المطبوعات فقد رافق الانعطاف نحو

* بمعنى استقامة الرأي . - الناشر .

«النقد» ميل مقابل من جانب الاشتراكيين-الديموقراطيين العاملين في ميدان التطبيق نحو «الاقتصادية»

ان كيفية نشوء وتطور الصلة والتبعية المتبادلة بين النقد العلني و«الاقتصادية» غير العلنية هي مسألة هامة يمكن ان تكون موضوع مقال مستقل حسبنا ان نشير هنا الى ان هذه الصلة موجودة دون شك فال «Credo» * المشهور ما كان ليكتسب هذه الشهرة المستحقة لولا انه قد صاغ بصراحة هذه الصلة وكشف عن غير عمد الاتجاه السياسي الاساسي في «الاقتصادية» ليقم العمال بالنضال الاقتصادي (وكان من الادق ان يقال النضال التريديونيوني لأن التريديونيونية تشمل كذلك سياسة عمالية صرفاً) وليندمج المثقفون الماركسيون مع الليبراليين من اجل «النضال» السياسي ان النشاط التريديونيوني «في الشعب» قد ظهر تنفيذاً للنصف الاول من المهمة ، والنقد العلني تنفيذاً للنصف الثاني وقد كان هذا التصريح سلاحاً ضد «الاقتصادية» ممتازاً لدرجة تحتم معها اختراع «Credo» لو لم يكن «Credo» موجوداً

لم يخترع «Credo» اختراعاً ولكنه نشر بدون موافقة واضعيه ، وربما رغم ارادة واضعيه وعلى كل حال فان كاتب هذه الاسطر الذي ساهم في اخراج «البرنامج» * الجديد الى وضوح

* - رمز الايمان ، برنامج ، عرض للعقيدة . - الناشر .

* * المقصود هو احتجاج السبعة عشر ضد «Credo» . وقد ساهم كاتب هذه الاسطر في وضع هذا الاحتجاج (اواخر سنة ١٨٩٩) (٣٦) وقد نشر الاحتجاج مع ال «Credo» في الخارج ، ربيع سنة ١٩٠٠ واتضح في الوقت الحاضر من مقال للسيدة كوسكوفا (اطن في «بيلوليه») انها واضعة ال «Credo» . وقد لعب السيد بروكوبوفيتش دورا بارزا جدا في ذلك الحين بين «الاقتصاديين» في الخارج (ملاحظة من المؤلف لطبعة سنة ١٩٠٧ .

(الناشر .)

النهار قد تأتي له ان يسمع الشكاوى واللوم بسبب ان نظرات الخطباء التي لخصوها على الورق قد وزعت في نسخ ولقبت بالـ "Credo"، ونشرت فوق ذلك ، في الصحف في وقت واحد مع الاحتجاج نذكر هذا الحادث لانه يكشف عن سمة من سمات «الاقتصادية» عندنا تسترعي انتباهاً كبيراً هي الخوف من العلنية انها على وجه الدقة سمة «الاقتصادية» بوجه عام لا سمة واضعي الـ "Credo"، وحدهم فقد اظهرتها «رابوتشاياميسل» (٣٧) اشرف انصار «الاقتصادية» واكثرهم صراحة كما اظهرتها «رابوتشيه ديولو» (التي اغضبها نشر الوثائق «الاقتصادية») في "Vademecum"، (٣٨) واظهرتها لجنة كييف التي لم ترغب منذ نحو سنتين بالسماح بنشر عقيدتها "Profession de foi"، (٣٩) في وقت واحد مع الرد المكتوب ضدها * واظهرها كثيرون وكثيرون من ممثلي «الاقتصادية»

ان هذا الخوف من النقد الذي يظهره انصار حرية النقد لا يمكن تفسيره بمجرد المكر (وان كان المكر يلعب دوره احيانا فمن غير المعقول ان تعرض لهجمات الخصوم نباتات اتجاه جديد لم يشتد عودها بعد!) لا ان اكثرية «الاقتصاديين» ينظرون مخلصين كل الاخلاص (وجوهر «الاقتصادية» نفسه يحملهم على النظر) بعدم رضى الى كل مظهر من مظاهر المناقشات النظرية والخلافات بين الفرق والمسائل السياسية الواسعة ومشاريع تنظيم الثوريين وما شابه ذلك «يحسنون صنعا لو احوالوا كل هذا الى الخارج!» - هذا ما قاله لي ذات يوم احد «الاقتصاديين» المنسجمين الى حد كاف معرباً بذلك عن نظرة واسعة الانتشار (ولنقل مرة اخرى انها تريديونيوية صرف) مالها تهمننا حركة

* لقد تغير قوام لجنة كييف من ذلك الحين كما بلغنا .

العمال تهمنا منظمات العمال هنا في منطقتنا وما عدا ذلك هو من اختلاقات «المذهبيين» ، هو «مغلاة في تقدير اهمية الايدولوجيا» حسب تعبير واضعي الرسالة المنشورة في العدد ١٢ من «اليسكرا» ترديداً لما جاء في العدد ١٠ من «رابوتشييه ديلو»

نتساءل الآن نظراً لهذه الخصائص التي يتصف بها «النقد» الروسي والبرنشتينية الروسية ، بم كان ينبغي ان تتلخص مهمة الذين ارادوا ان يكونوا خصوماً للانتهازية فعلاً لا قولاً فقط ؟ كان ينبغي اولاً الاهتمام باستئناف ذلك العمل النظري الذي لم يكد يبتدىء في عهد الماركسية العلية والذي القي الآن مرة اخرى على عاتق المناضلين السريين فبدون هذا العمل لم يكن بالامكان نمو الحركة بنجاح وكان من الضروري ثانياً القيام بنضال نشيط ضد «النقد» العلي الذي كان يفسد العقول افساداً شديداً وكان من الضروري ثالثاً النضال النشط ضد التبعض والتردد في الحركة العملية بكشف ودحض كل محاولة تبذل بوعي او بغير وعي للحط من مكانة برنامجنا وتكتيكنا

اما ان «رابوتشييه ديلو» لم تقم بالواجب الاول ولا الثاني ولا الثالث فهو امر معروف وسنبين فيما يأتي من البحث بالتفصيل ومن جميع الوجوه هذه الحقيقة المعروفة وكل ما نريد ان نبينه الآن هو مبلغ التناقض الصارخ بين مطلب «حرية النقد» وخصائص نقدنا الوطني و«الاقتصادية» الروسية فلنلق اذن نظرة على نص القرار الذي اتخذه «اتحاد الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس في الخارج» واكد به وجهة نظر «رابوتشييه ديلو»

وبغية استمرار تطور الاشتراكية-الديموقراطية الفكري نعترف بان حرية نقد النظرية الاشتراكية-الديموقراطية في المطبوعات الحزبية امر ضروري تماما ، ما دام هذا النقد لا يناهز طابع هذه النظرية الطبقي والثوري» (ومؤتمران ، ص ١٠) .

والحيثيات ان القرار «في قسمه الاول يطابق قرار مؤتمر الحزب في لوبك بصدد برنشتين» ان «جماعة الاتحاد» لطيبة قلوبهم لا يلاحظون اي *testimonium paupertatis* (شهادة فقر حال) يسجلون على انفسهم بهذا النسخ «ولكنه في قسمه الثاني يقيد حرية النقد الى حد اكبر مما فعل مؤتمر الحزب في لوبك» وهكذا فان قرار «الاتحاد» موجه ضد البرنشتينيين الروس ؟ والا فان الاستشهاد بلوبك ليس له معنى على الاطلاق ! ولكن ليس صحيحاً انه «يقيد الى حد كبير حرية النقد» فالالمان قد رفضوا بنداً بنداً بقرارهم في مؤتمر هانوفر تلك التعديلات التي قدمها برنشتين **بالذات** بينما بقرارهم في مؤتمر لوبك وجهوا اندازاً **شخصياً** لبرنشتين ذاكرين اسمه في القرار هذا في حين ان المقلدين «الاحرار» عندنا لم يشيروا ولو تلميحاً الى اي مظهر من مظاهر «النقد» الروسي الخاص و«الاقتصادية» الروسية الخاصة ونظراً لهذا التكتم يفسح التلميح المجرد الى طابع النظرية الطبقي والثوري مجالاً اكبر بكثير للتأويلات الكاذبة لا سيما اذا كان «الاتحاد» يرفض ادراج «ما يدعى بالاقتصادية» ضمن الانتهازية («مؤتمران» ص ٨ البند ١) ولكننا نقول هذا في سياق الحديث اما الامر الرئيسي فهو ان موقف الانتهازيين حيال الاشتراكيين-الديموقراطيين الثوريين يختلف في المانيا عنه في روسيا كل الاختلاف فمن المعروف ان الاشتراكيين-الديموقراطيين الثوريين في المانيا يريدون المحافظة على ما هو كائن يريدون المحافظة على البرنامج القديم والتكتيك القديم المعروفين للجميع والذين شرحهما بجميع تفاصيلهما اختبار عشرات السنين اما «النقاد» فيريدون احداث تغيرات ولما كان هؤلاء النقاد اقلية ضئيلة وكانت مساعيهم التحريفية حية جداً عرفنا السبب الذي يجعل الاكثرية تكتفي برد «البدعة» ببرود . ولكن النقاد و«الاقتصاديين»

عندنا في روسيا يريدون المحافظة على ما هو كائن يريد «النقاد» ان يستمر الناس في اعتبارهم ماركسيين وان تضمن لهم «حرية النقد» التي استغلوها من جميع الوجوه (لانهم لم يعترفوا في الجوهر باي ارتباط حزبي * فضلاً عن انه لم تكن عندنا اية هيئة حزبية يعترف بها الجميع وتستطيع ان «تحد» من حرية النقد ولو بالنصح) ويريد «الاقتصاديون» من الثوريين ان يعترفوا «بالحقوق الكاملة للحركة في وضعها الراهن» («رابوتشيه ديبلو» ، العدد ١٠ ص ٢٥) اي «بشرعية» وجود ما هو موجود يريدون ان لا يحاول «الايديولوجيون» «صرف» الحركة عن الطريق الذي «يحدده تفاعل العناصر المادية والبيئة المادية» («الرسالة» في العدد ١٢ من «اليسكرا») ان يُعترف بان من المرغوب فيه القيام بالنضال «الذي يمكن للعمال القيام به في الظروف الراهنة» وان يُعترف بان النضال الممكن هو ذلك النضال «الذي يقومون به في الواقع في الظرف الراهن» («الملحق الخاص ل»رابوتشايما

* ان انعدام الارتباط الحزبي الواضح والتقاليد الحزبية هو بحد ذاته فارق اساسي بين روسيا والمانيا من شأنه ان يحذر كل اشتراكي عاقل من التقليد الاعمى . واليكم نموذجا يبين الحد الذي بلغته «حرية النقد» في روسيا والناقد الروسي السيد بولغاكوف يؤنب الناقد النمساوي هرتس بقوله «ان هرتس ، بالرغم من كل استقلاله في استنتاجاته ، ظل في هذه النقطة (الجمعيات التعاونية) مرتبطاً على ما يبدو اشد الارتباط برأي حزبه . فهو وان خرج عن هذا الرأي من حيث التفاصيل ، لم يجرؤ على الخروج عن المبدأ العام» («الراسمالية والزراعة» ، المجلد ٢ ، ص ٢٨٧) ان احد رعايا دولة مستعبدة سياسياً ، تسعمئة وتسعة وتسعون من كل الف من سكانها مصابون حتى من العظم بمرض الخنوع السياسي الدليل وعدم الفهم التام للشرف الحزبي والارتباط الحزبي يقرع بعجرفة مواطن دولة دستورية لانه «مرتبط برأي الحزب» اشد الارتباط ! لم يبق لمنظمتنا السرية من مشاغل غير الانهماك في تحبير قرارات عن حرية النقد ...

ميسل» (٤٠) (ص ١٤) اما نحن الاشتراكيين-الديموقراطيين الثوريين فنحن على العكس غير راضين عن هذا السجود امام العفوية اي امام ما هو كائن «في الظرف الراهن» نحن نطلب تغيير التكتيك الذي ساد في السنوات الاخيرة ونحن نعلن «قبل ان نتحد ولكيما نتحد ينبغي في البدء ان نعين بيننا التخوم بحزم ووضوح» (من اعلان عن اصدار «الايسكرا») * وبكلمة ، يتمسك الالمان بوضع الامور الراهن ويرفضون التغييرات ونحن نطلب تغيير وضع الامور الراهن رافضين السجود امام الوضع الراهن والتسليم به

ان هذا الفرق «الصغير» هو الامر الذي لم يلاحظه نساخو القرارات الالمانية «الاحرار» عندنا !

د) انجس واهمية النضال النظري

«الجمود العقائدي الجمود المذهبي» «تجسر الحزب - العقاب المحتوم لتقييد الفكر بالعنف» - هؤلاء هم الاعداء الذين ينقض عليهم كالفرسان انصار «حرية النقد» في «رابوتشيه ديلو» ويسرنا نحن ان تطرح هذه المسألة على بساط البحث وكل ما نقترحه هو ان نتممها بسؤال آخر من هم الحكام ؟

امامنا اعلانان عن صدور مطبوعات احدهما «برنامج صحيفة «رابوتشيه ديلو» لسان حال اتحاد الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس» (نسخة من العدد الاول من «رابوتشيه ديلو») والثاني هو «اعلان عن استئناف اصدار مطبوعات فرقة «تحرير

* راجع مقال لينين «بيان هيئة تحرير «الايسكرا» . الناشر .

العمل» (٤١) وكلاهما يحمل تاريخ سنة ١٨٩٩ اي حين كانت «ازمة الماركسية» قد طرحت على بساط البحث منذ زمان بعيد وماذا نرى ؟ في النشرة الاولى ، نجهد انفسنا عبثاً في البحث عن اشارة الى هذه الظاهرة وعن عرض واضح للموقف الذي تنوي ان تتخذه الصحيفة الجديدة من هذه المسألة ولا نجد كلمة عن العمل النظري ومهامه الملحة في الظرف الراهن لا في هذا البرنامج ولا في ملاحظه التي اقرها المؤتمر الثالث لـ«لاتحاد» في سنة ١٩٠١ (٤٢) («مؤتمران» صص ١٥-١٨) لقد تجنبنا ههنا تحريراً «رابوتشييه ديلو» المسائل النظرية طيلة هذا الوقت ، مع ان هذه المسائل قد استرعت اهتمام جميع الاشتراكيين-الديموقراطيين في العالم بأسره

اما الاعلان الثاني فعلى العكس من ذلك انه يشير في البدء الى ضعف الاهتمام بالناحية النظرية خلال السنوات الاخيرة ويطلب بالحاح «انتباهاً يقطعاً حيال الناحية النظرية في الحركة البروليتارية الثورية» ويدعو الى «توجيه نقد لا هوادة فيه الى الميول البرنشتينية وغيرها من الميول المعادية للثورة» في حركتنا والاعداد التي صدرت من «زاريا» توضح كيف نُفذ هذا البرنامج

وهكذا نرى ان العبارات الطنانة عن تحجر الفكر وما الى ذلك تخفي وراءها عدم الاهتمام بتطوير الفكر النظري والعجز عن تطويره وما مثال الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس الا بدليل جلي على ظاهرة اوروبية عامة (اشار اليها الماركسيون الالمان ايضاً منذ امد بعيد) وهي ان حرية النقد الذائعة الصيت لا تعني استبدال نظرية باخرى بل تعني التحرر من كل نظرية متكاملة ووليدة التفكير تعني المذهب الاختياري وانعدام المبادئ ولا بد لكل مطلع على وضع حركتنا الواقعي وان جزئياً ، من ان يلاحظ ان انتشار الماركسية الواسع قد رافقه

بعض الانحطاط في المستوى النظري فبسبب النجاحات العملية التي احرزتها الحركة وبسبب اهميتها العملية انضم اليها كثيرون ضعيفون جداً او صفر من حيث الاعداد النظري ولذلك يمكننا ان نتبين مبلغ ما تظهر «رابوتشيه ديلا» من قلة ذوق عندما تستشهد على غرار المنتصرين بعبارة ماركس «ان كل خطوة تخطوها الحركة العملية اهم من دسطة من البرامج» (٤٣) ان تكرار هذه الكلمات في مرحلة الاضطراب النظري يشبه صراخ من يصرخ : «ان شاء الله دايمة !» عند رؤية جنازة أضف الى ذلك ان كلمات ماركس هذه مأخوذة من رسالته بصدد برنامج غوتا (٤٤) حيث ينادى بشدة بالمذهب الاختياري في صياغة المبادئ فقد كتب ماركس الى زعماء الحزب اذا كانت هنالك من حاجة الى الاتحاد فاعقدوا معاهدات بغية بلوغ اهداف عملية تقتضيها الحركة ولكن اياكم والمساومة بالمبادئ اياكم و«التنازل» النظري هذه هي فكرة ماركس وها نحن نجد بيننا اناساً يستغلون اسمه للتقليل من اهمية النظرية !

لا حركة ثورية بدون نظرية ثورية اننا لا نبالغ مهما شددنا على هذه الفكرة في مرحلة يسير فيها التبشير الشائع بالانتهازية جنباً الى جنب مع الميل الى اشكال النشاط العملي الضيقة جداً وتزداد اهمية النظرية بالنسبة للاشتراكية-الديموقراطية الروسية لثلاثة اسباب كثيراً ما ينسونها هي اولاً ان حزبنا ما يزال في دور التكوين ما يزال في دور تشكيل سيماء وجهه وهو ما يزال بعيداً عن ان يصفي الحساب مع اتجاهات الفكر الثوري الاخرى التي تهدد باخراج الحركة عن الطريق القويم ففي الآونة الاخيرة على وجه الضبط نشاهد بالعكس انتعاش الاتجاهات الثورية غير الاشتراكية-الديموقراطية (كما تنبأ اكسلرود بذلك «للاقتصاديين»

منذ امد بعيد) وفي هذه الظروف يمكن لخطا يبدو لأول وهلة «غير ذي شأن» ان يسفر عن أوخم العواقب ، وينبغي للمرء ان يكون قصير النظر حتى يعتبر الجدل بين الفرق والتحديد الدقيق للفروق الصغيرة أمراً في غير أوانه او لا داعي له فعلى توطد هذا «الفرق الصغير» او ذلك قد يتوقف مستقبل الاشتراكية-الديموقراطية الروسية لسنوات طويلة ، طويلة جداً

ثانياً ان الحركة الاشتراكية-الديموقراطية هي حركة أممية في جوهرها وذلك لا يعني فقط انه يتعين علينا ان نناضل ضد الشوفينية في بلادنا بل ذلك يعني ايضاً ان الحركة المبتدئة في بلاد فتية لا يمكن ان تكون ناجحة الا اذا استوعبت تجربة البلدان الاخرى ولبلوغ ذلك لا يكفي مجرد الاطلاع على هذه التجربة او مجرد نسخ القرارات الاخيرة انما يتطلب هذا من المرء ان يحص هذه التجربة وان يتحقق منها بنفسه وكل من يستطيع ان يتصور مبلغ اتساع وتشعب حركة العمال المعاصرة يفهم مبلغ ما يتطلبه القيام بهذه المهمة من احتياطي من القوى النظرية والتجربة السياسية (والثورية ايضاً)

ثالثاً لم يسبق ان طرحت امام اي حزب اشتراكي في العالم مهام كالمهام الوطنية المطروحة امام الاشتراكية-الديموقراطية الروسية وستتناول فيما يأتي من البحث الواجبات السياسية والتنظيمية التي تلقىها على عاتقنا مهمة تحرير الشعب كله من نير الحكم المطلق وبودنا فقط ان نشير هنا الى انه لا يستطيع القيام بدور مناضل الطبيعة الا حزب يسترشد بنظرية الطبيعة واذا شاء القارى ان يكون لنفسه فكرة واضحة لحد ما عن معنى ذلك فليذكر اسلاف الاشتراكية-الديموقراطية الروسية من امثال هرتسين وبيلينسكي وتشيرنيشيفسكي والكوكبة الرائعة من ثوريي العقد الثامن ، فليفكر بالاهمية العالمية التي يكتسبها الادب الروسي في الوقت الراهن ، فليفكر . . . ولكن ذلك يكفي

ولنورد هنا ملاحظات كتبها انجلس في سنة ١٨٧٤ عن اهمية النظرية في الحركة الاشتراكية-الديموقراطية ان انجلس لا يعترف بشكلين اثنين في نضال الاشتراكية-الديموقراطية العظيم (سياسي واقتصادي) - كما جرت العادة عندنا - بل يعترف بثلاثة اشكال واضعاً في مصاف الشكلين المذكورين النضال النظري وما توصيته لحركة العمال الالمانية التي كانت قد توطدت عملياً وسياسياً الا بليغة العبرة من وجهة نظر المشاكل والمناقشات الراهنة بحيث نحسب ان القارى لن يلومنا اذا ذكرنا مقطعاً طويلاً من مقدمة لكراس *„Der deutsche Bauernkrieg“ الذي غدا منذ وقت طويل من الكتب النادرة جداً

«يمتاز العمال الالمان عن عمال بقية اوروبا ، بميزتين هامتين .
الاولى انماؤهم الى اعرق شعب اوروبي في النظرية واحتفاظهم بالملكة النظرية التي فقدتها تماماً او كادت الطبقات المدعوة «بالمثقفه» في المانيا فالاشتراكية العلمية الالمانية وهي الاشتراكية العلمية الوحيدة التي وجدت حتى الآن ، ما كانت لتوجد قط لولا الفلسفة الالمانية التي سبقتها وبوجه خاص فلسفة هيغل ولولا الملكة النظرية لدى العمال لما تغلغلت الاشتراكية العلمية في دمائهم الى هذا الحد الذي نراه الآن ويبين لنا مبلغ عظمة هذه المزية ، من جهة ، عدم الاكتراث باي نظرية ، الذي هو سبب من الاسباب الرئيسية التي تجعل حركة العمال الانكليزية تتقدم بهذا البطء بالرغم من التنظيم الرائع في بعض الحرف ويبين لنا ذلك من جهة اخرى ما نراه من اضطراب وتردد بذرتهما البرودونية (٤٥) في شكلها البدائي بين الفرنسيين والبلجيكين

Dritter Abdruck, Leipzig, 1875. Verlag der Genossenschafts- * buchdruckerei. (وحرب الفلاحين في المانيا) ، الطبعة الثالثة ، ليزرغ ، ١٨٧٥ ، دار الطبع والنشر التعاونية . (الناشر) .

وبشكلها الكاريكاتوري الذي اعطاها اياه باكونين بين الاسبانيين
والايطاليين

والمزية الثانية هي كون الالمان قد اشتركوا في حركة العمال
بعد الجميع تقريباً وكما ان الاشتراكية الالمانية النظرية لن تنسى
ابداً انها تستند الى سان-سيمون وفوريه واوين-المفكرين الثلاثة
الذين يقفون بالرغم من كل الطابع الخيالي الطوبوي في تعاليمهم
في مصاف اعظم الادمغة التي عرفتها جميع الازمنة والذين كانوا
السابقين بصورة عبقرية الى كثرة كبيرة من الحقائق التي نبرهن
نحن اليوم على صحتها عملياً كذلك ينبغي لحركة العمال الالمانية
العملية ان لا تنسى ابدأ انها تطورت استناداً الى الحركتين
الانكليزية والفرنسية وانه اتيح لها بكل بساطة ان تستفيد مما
اكتسبته من تجربة كلفتها غالياً وان تتلافى الآن الاخطاء التي
كانت آنذ امراً لا مفر منه في معظم الحالات فاي وضع كنا فيه
الآن لولا نموذج التريديونيونات الانكليزية ونضال العمال الفرنسيين
السياسي ، ولولا الاندفاع العظيم الذي سببته كومونة باريس بوجه
خاص ؟

لا بد لنا من ان نعترف للعمال الالمان بانهم استفادوا بمهارة
فائقة من مزايا وضعهم فلاول مرة منذ وجدت حركة العمال يجري
النضال بصورة منتظمة في جميع اتجاهاته الثلاثة المنسجمة
والمترابطة الاتجاه النظري والاتجاه السياسي والاتجاه الاقتصادي
العملي (مقاومة الرأسماليين) وفي هذا الهجوم المركز ان امكن
القول ، تكمن قوة الحركة الالمانية ومنعتها

بفضل هذا الوضع المفيد ، من جهة ، وبفضل خصائص الحركة
الانكليزية ، التي تنجم من كونها تتطور في ظروف الجزيرة وقمع
الحركة الفرنسية بالقوة ، من جهة اخرى يقف العمال الالمان الآن
في طليعة النضال البروليتاري . حتام تسمح لهم الاحداث بملء هذا

المركز المشرف ؟ هذا ما لا يمكن التنبؤ به ولكن ينبغي لنا ان نأمل بانهم ما داموا يشغلون هذا المركز سيقومون كما يجب بالمهام التي يفرضها عليهم وهذا يقتضي مضاعفة الجهود المبذولة في جميع ميادين النضال والتحرير وسيكون واجب القادة على وجه الخصوص ان يتقنوا انفسهم اكثر فاكثر في جميع المسائل النظرية وان يتخلصوا اكثر فاكثر من تأثير العبارات التقليدية المستعارة من العقيدة القديمة وان يأخذوا دائماً بعين الاعتبار ان الاشتراكية مذ غدت علماً تتطلب ان تعامل كما يعامل العلم اي تتطلب ان تدرس والوعي الذي يكتسب بهذا الشكل ويزداد وضوحاً ينبغي ان ينشر بين جماهير العمال بهمة مضاعفة ابداً كما ينبغي ان يزداد على الدوام تماسك صفوف منظمة الحزب ومنظمة النقابات

وإذا استمر العمال الالمان في التقدم بهذا الشكل فانهم - لا اريد ان اقول انهم سيسيروا في طليعة الحركة فليس من مصلحة الحركة على الاطلاق ان يسير عمال امة ما دون سائر الامم في طليعتها - بل اريد ان اقول انهم سيشغلون مركزاً مشرفاً في صفوف المناضلين وسيجدون انفسهم على اتم الالهبة اذا ما ظهرت على حين غرة محن قاسية او حوادث عظيمة تتطلب منهم مزيداً من الرجولة والحزم والهمة»

لقد ظهرت كلمات انجلس وكأنها نبوءة فبعد مضي بضعة سنوات واجهت العمال الالمان على حين غرة محن قاسية هي القانون الاستثنائي ضد الاشتراكيين وقد استقبلها العمال الالمان فعلاً وهم على اتم الالهبة وخرجوا منها ظافرين وستواجه البروليتاريا الروسية محناً افظع بما لا يقاس ففي انتظارها صراع مع وحش ليس القانون الاستثنائي في بلاد دستورية بالنسبة اليه اكثر من قزم . ان التاريخ يلقي على عاتقنا

الآن مهمة مباشرة هي اكثر ثورية من جميع المهمات المباشرة الموضوعة امام البروليتاريا في اي قطر آخر وان انجاز هذه المهمة اي تحطيم اقوى حصن للرجعية الاوروبية بل (وهو شيء نستطيع قوله الآن) للرجعية الآسيوية ايضاً سيجعل من البروليتاريا الروسية طليعة البروليتاريا الثورية العالمية ويحق لنا ان نأمل بالحصول على هذا اللقب المشرف الذي اكتسبه عن جدارة اسلافنا ثوريو العقد الثامن وذلك اذا استطعنا ان نبث في حركتنا ، وهي اوسع واعمق بألف مرة ، مثلما بثوا من تصميم ومن همة لا يعرفان حدوداً

٢

عقوبة الجماهير ووعي الاشتراكية الديمقراطية

لقد قلنا ان حركتنا اوسع واعمق بكثير من حركة العقد الثامن وان من الضروري ان نبث فيها ما اتصفت به الحركة في ذلك الحين من تصميم ومن همة لا يعرفان حدوداً والواقع انه لم يشك أحد حتى الآن كما يبدو ، في ان قوة الحركة المعاصرة تكمن في استيقاظ الجماهير (وبصورة رئيسية البروليتاريا الصناعية) وفي ان ضعفها يكمن في عدم كفاية وعي ومبادرة القادة الثوريين بيد انه قد ظهر في الآونة الاخيرة اكتشاف خارق يهدد بان يقلب رأساً على عقب جميع النظرات السائدة حتى الآن بصدد هذه المسألة وهذا الاكتشاف يعود فضله الى «رابوتشييه دي لو» ، التي لم تقتصر في جدالها مع «الايסקرا» و«زاريا» على اعتراضات حول الجزئيات بل حاولت ان تحصر «الخلاف العام» في جذر اعتمق في «الاختلاف في تقدير الاهمية النسبية للعنصر العفوي وللعنصر

«المنهاجي» الواعي» وتصوغ «رابوتشييه ديبلو» الاتهام كما يلي
«التقليل من اهمية العنصر الموضوعي او العفوي في التطور» *
 ونحن نجيب على ذلك اذا كان جدال «الايسكرا» و«زاريا» لم يعط
 البتة اية نتيجة غير ان حفز «رابوتشييه ديبلو» الى ان تذهب
 بتفكيرها الى هذا «الخلاف العام» ، فان هذه النتيجة وجدها ترضينا
 كل الرضى ما دامت هذه الموضوعة عميقة في دلالتها ما دامت
 تظهر بهذا الوضوح كل جوهر الخلافات النظرية والسياسية الحالية
 بين الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس
 ولذا تسترعي مسألة العلاقة بين الوعي والعفوية هذا الاهتمام
 الكبير العام ، وينبغي تناول هذه المسألة بكل تفصيل

(أ) بدء النهوض العفوي

اشرنا في الفصل السابق الى ولوع الشبيبة الروسية المتعلمة
العام في منتصف العقد العاشر بالنظرية الماركسية وفي ذلك العين
 نفسه تقريباً اتخذت اضرابات العمال مثل هذا الطابع العام بعد
 الحرب الصناعية المشهورة سنة ١٨٩٦ ببطرسبورغ (٤٦) وكان
 انتشار هذه الاضرابات في روسيا من اقصاها الى اقصاها دليلاً
 جلياً على مبلغ عمق الحركة الشعبية الناهضة من جديد واذا ما
 اردنا الحديث عن «العنصر العفوي» فلا بد طبعاً من الاعتراف بان
 هذه الحركة الاضرابية كانت عفوية بالدرجة الاولى ولكن
 هناك عفوية وعفوية فقد حدثت اضرابات في روسيا كذلك في العقد
 الثامن وفي العقد السابع (وحتى في النصف الاول من القرن التاسع
 عشر) ورافقها تحطيم «عفوي» للماكينات وغير ذلك واذا قورنت

* «رابوتشييه ديبلو» ، العدد ١ ، ايلول (سبتمبر) سنة ١٩٠١ ،
 ص ١٧ و ١٨ . خط التشديد لـ «رابوتشييه ديبلو» .

اضرابات العقد العاشر بهذه «المشاغبات» امكن وصفها بـ«الوعي» لعظم الخطورة التي خطتها حركة العمال الى الامام في هذه الفترة وهذا ما يوضح لنا ان «العنصر العفوي» ليس في الجوهر غير الشكل الجيني للوعي فالمشاغبات البدائية كانت تفصح منذ ذلك الحين عن نوع من استيقاظ الوعي كان العمال يفقدون ايمانهم القديم بثبات الاوضاع التي ترهقهم واخذوا يحسون - ولا اقول يفهمون - ضرورة المقاومة الجماعية ويكفون بحزم عن الخنوع الذليل لاصحاب الامر والنهي ولكن ذلك كان على كل حال مظهراً اشبه باليأس والانتقام منه بالنضال اما اضرابات العقد العاشر فترينا من ومضات الوعي اكثر بكثير فقد وضعت مطالب معينة وحسبت مسبقاً اللحظة المناسبة وبحثت حوادث وامثلة معروفة من المناطق الاخرى الخ ولئن كانت المشاغبات مجرد انتفاضات اناس مظلومين فان الاضرابات المتوالية كانت مظهراً من مظاهر النضال الطبقي بشكله الجيني ولكن بشكله الجيني لا اكثر ولا اقل واذا اخذنا هذه الاضرابات بعد ذاتها، وجدنا انها كانت نضالاً تريديونيونياً ولم تصبح بعد نضالاً اشتراكياً-ديموقراطياً لقد افصحنا عن بروز التنافر بين العمال واصحاب الاعمال ولكن العمال لم يعوا ولم يكن من الممكن ان يعوا التضاد المستعصي بين مصالحهم وبين كل النظام السياسي والاجتماعي القائم اي انهم لم يحصلوا على الوعي الاشتراكي - الديموقراطي وبهذا المعنى ظلت اضرابات العقد العاشر حركة عفوية محضاً بالرغم من التقدم الكبير الذي تم بالقياس الى «المشاغبات»

قلنا ان الوعي الاشتراكي-الديموقراطي لم يكن في الامكان ان يوجد آنئذ لدى العمال اذ انه لا يمكن للعمال ان يحصلوا على هذا الوعي الا من خارج نطاقهم ولنا في تاريخ جميع البلدان شاهد على ان الطبقة العاملة لا تستطيع ان تكتسب بقواها الخاصة فقط

غير الوعي التريديونيوني اي الاقتناع بضرورة الانتظام في نقابات والنضال ضد اصحاب الاعمال ومطالبة الحكومة باصدار هذه او تلك من القوانين الضرورية للعمال الخ اما التعاليم الاشتراكية فقد انبثقت عن النظريات الفلسفية والتاريخية والاقتصادية التي وضعها المتعلمون من ممثلي الطبقات المالكة وضعها المثقفون ان مؤسسي الاشتراكية العلمية المعاصرة ، ماركس وانجلس ينتسبان ايضاً من حيث وضعهما الاجتماعي الى المثقفين البرجوازيين . وكذلك الأمر في روسيا فقد انبثق مذهب الاشتراكية-الديموقراطية النظري بصورة مستقلة تماماً عن النهوض العفوي لحركة العمال انبثق بوصفه نتيجة طبيعية محتومة لتطور الفكر لدى المثقفين الاشتراكيين الثوريين وفي الحقبة التي نتحدث عنها اي بحلول منتصف العقد العاشر كان هذا المذهب قد جذب اليه اكثرية الشبيبة الثورية في روسيا فضلاً عن انه قد غدا برنامجاً كاملاً التكوين لفرقة «تحرير العمل»

وهكذا كانت توجد في وقت واحد يقظة عفوية لجماهير العمال يقظة الى الحياة الواعية والى النضال الواعي وشبيبة ثورية مسلحة بالنظرية الاشتراكية-الديموقراطية كانت تتحرق رغبة في التقرب من العمال هذا ومن الهام جداً ان نثبت هنا واقعاً كثيراً ما ينسى (ولا يعرفه الا القليل نسبياً) وهو ان الرعيل الاول من الاشتراكيين-الديموقراطيين الذين انصرفوا بحمية في تلك المرحلة الى التعريض الاقتصادي (آخذين بعين الاعتبار الملاحظات المفيدة

* التريديونيونية لا تنفي اطلاقاً كل «سياسة» كما يفكر بعضهم احياناً . فالتريديونيونات قد قامت دائماً بتحريض سياسي معين ونضال سياسي معين (ولكنهما ليسا باشتراكيين-ديموقراطيين) . وسنتحدث في الفصل التالي عن الفرق بين السياسة التريديونيونية والسياسة الاشتراكية-الديموقراطية .

حقاً والواردة في كراس «في التحريض» الذي كان لا يزال مخطوطة آنذ لم يعتبروه مهمتهم الوحيدة ، بل لقبوا وضعوا امام الاشتراكية-الديموقراطية الروسية منذ البدء اوسع المهام التاريخية بوجه عام ومهمة اسقاط الحكم المطلق بوجه خاص ونقول على سبيل المثال ان جماعة الاشتراكيين-الديموقراطيين التي أسست في بطرسبورغ «اتحاد النضال من اجل تحرير الطبقة العاملة» (٤٧) قد اعدت منذ اواخر عام ١٨٩٥ العدد الاول من جريدة اسمها «رابوتشييه ديلو» وكان هذا العدد جاهزاً تماماً للطبع عندما صادره الدرك اثناء غارة شنّها في ليلة ٨ الى ٩ كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٨٩٥ من عند احد اعضاء الجماعة وهو انا تولي الكسيفيتش فانيف * ولم تستطع «رابوتشييه ديلو» في شكلها الاول ان ترى النور وقد رسمت افتتاحية هذه الجريدة (التي يحتمل ان تنتشلها من محفوظات مديرية الشرطة بعد حوالي ثلاثين سنة مجلة كمجلة «روسكيا ستارينا» (٤٨)) المهام التاريخية التي تواجه الطبقة العاملة في روسيا ووضعت على رأس هذه المهام اكتساب الحرية السياسية ويأتي بعد هذه الافتتاحية مقال «بم يفكر زراؤنا؟» ، وقد تناول تحطيم الشرطة للجان مكافحة الامية ، ومجموعة من الرسائل لا من بطرسبورغ وحدها ، بل ايضاً من مناطق اخرى في روسيا (مثلاً عن مذبحه العمال في محافظة ياروسلاف (٤٩)). وهكذا فان هذه «التجربة الاولى» - اذا لم اخطئ - للاشتراكيين-الديموقراطيين الروس في العقد العاشر كانت عبارة عن جريدة ليس

* توفي فانيف سنة ١٨٩٩ في سيبيريا الشرقية بمرض السلي ، وقد اصاب به اثناء وجوده في زنزانه منفردة في سجن التوقيف . ولذلك لم نر مانعا من نشر المعلومات الواردة في هذا النص ونحن على يقينة من صحتها ، لأنها بلغتنا من اناس عرفوا فانيف شخصياً وكانوا على اتصال وثيق به .

طابعها محلياً ضيقاً ، وبالاحرى ليس «باقتصادي» وقد سعت وراء ربط النضال الاضرابي بالحركة الثورية ضد الحكم المطلق والى استنهاض كل من يعاني نير سياسة الظلمية الرجعية الى تأييد الاشتراكية-الديموقراطية وليس من مجال للشك لدى كل مطلع على حالة الحركة في ذلك العهد ولو بعض الاطلاع ، في انه كان ينتظر هذه الجريدة انتشار واسع جداً وتأييد تام لدى عمال العاصمة والمثقفين الثوريين اما اخفاق القضية فان برهن على شيء فقد برهن على ان الاشتراكيين-الديموقراطيين في ذلك العهد كانوا عاجزين عن الاستجابة لمطلب الساعة بسبب قلة تجربتهم الثورية ونقص استعدادهم العملي والشيء نفسه ينبغي ان يقال عن «سانت بطرسبورغسكي رابوتشي ليستوك» (٥٠) وبوجه خاص عن «رابوتشايَا غازيتا» وعن «بيان» حزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا (٥١) الذي تأسس في ربيع سنة ١٨٩٨ وغني عن القول انه حتى لا يخطر ببالنا ان نلوم مناظلي ذلك العهد على عدم الاستعداد هذا ولكن لكيما نستفيد من تجربة الحركة ولكيما نستخلص من هذه التجربة الدروس العملية ينبغي لنا ان نفهم كل الفهم اسباب هذه النقيصة او تلك ومغزاها ولذا من الاهمية بمكان ان نثبت ان قسماً (وربما الاكثرية) من الاشتراكيين-الديموقراطيين المناضلين في سنوات ١٨٩٥ - ١٨٩٨ كانوا يعتبرون وهم في ذلك على حق ان من الممكن آتئذ في مستهل الحركة «العفوية» بالذات التقدم بأوسع برنامج واحد تكتيك للنضال * ولما كان عدم استعداد اكثرية الثوريين ظاهرة طبيعية

* «ان «الانسكرا» ، اذ تقف موقفاً سلبياً من نشاط الاشتراكيين-الديموقراطيين في اواخر العقد العاشر ، لا تأخذ بعين الاعتبار انه لم توجد في ذلك الحين ظروف للعمل غير النضال في سبيل مطالب صغيرة» - هذا ما يقوله

تماماً لم يمكن لهذا الامر ان يستدعي اي خشية جدية وبما ان تعيين المهام كان صحيحاً وبما انه قد وجدت الهممة لتكرار المحاولات بهدف تحقيق هذه المهام فان الاخفاقات الموقته لم تكن اكثر من نصف مصيبة فالتجربة الثورية والمهارة التنظيمية أمران يكتسبان اكتساباً والمهم ان يرغب المرء في تربية نفسه على الصفات المطلوبة ! والمهم ان يعي المرء النواقص وهو ما يعادل في العمل الثوري اكثر من نصف اصلاح الخطأ !

ولكن نصف المصيبة غدا مصيبة كاملة عندما اخذ هذا الوعي يخبو (وقد كان هذا الوعي قوياً جداً لدى العاملين في صفوف الجماعات المذكورة اعلاه) ، عندما ظهر اناس- وحتى صحف اشتراكية -ديموقراطية- مستعدون لأن يجعلوا من النقيصة فضيلة وحاولوا حتى ان يبرروا نظرياً خضوعهم الدليل امام العقوية وتقديسهم لها وقد آن لنا ان نلخص نتائج هذا الاتجاه الذي يحدد بابتعاد كبير عن الدقة بتعبير «الاقتصادية» الذي هو اضيق من ان يعبر عن محتوى هذا الاتجاه

«الاقتصاديون» في «رسالة الى الصحف الاشتراكية-الديموقراطية الروسية» (الايسكرا) ، العدد (١٢) . وتظهر الوقائع المثبتة في النص ان هذا الزعم القائل «انه لم توجد ظروف» يناقض الحقيقة تناقضاً تاماً ففي منتصف العقد العاشر فضلاً عن اواخره ، كانت توجد جميع الظروف لعمل آخر غير النضال في سبيل المطالب الصغيرة ، جميع الظروف باستثناء استعداد القادة استعداداً كافياً وبدلاً من الاعتراف علناً بعدم كفاية الاستعداد من قبلنا نحن الايديولوجيين والقادة ، يريد «الاقتصاديون» ان يلقوا تبعه كل شيء على «انه لم توجد ظروف» ، على تأثير البيئة المادية التي تحدد للحركة الطريق الذي لا يمكن لاي ايديولوجي ان يخرجها عنه وكيف نصف ذلك بغير الخضوع الدليل للعقوية ؟ بغير هيام «الايديولوجيين» بنواقصهم ؟

(ب) تقديس العفوية «رابوتشايا ميسل»

قبل ان ننتقل الى مظاهر هذا التقديس في المطبوعات نذكر الواقع التالي البليغ في دلالاته (وقد بلغنا من المصدر المذكور اعلاه) والذي يلقي بعض الضوء مبيناً كيف ولد ونما بين الرفاق العاملين في بطرسبورغ الخلاف بين الاتجاهين اللذين ظهرا فيما بعد في الاشتراكية-الديموقراطية الروسية في اوائل سنة ١٨٩٧ اتيح لفانييف ولبعض رفاقه ان يشتركوا قبل ارسالهم الى المنفى في اجتماع خاص (٥٢) التقى فيه «الشيوخ» و«الشباب» من اعضاء «اتحاد النضال من اجل تحرير الطبقة العاملة» وقد دار الحديث بصورة رئيسية حول التنظيم وبوجه خاص حول «النظام الداخلي لصندوق العمال» ، النظام الذي نشر بصيغته النهائية في العدد ٩-١٠ من «ليستوك» رابوتنيكا» (٥٣) (ص ٤٦) وقد ظهر على الفور خلاف كبير واحتدم الجدل بين «الشيوخ» («الديسمبريين» كما كان يلقبهم آنذاك الاشتراكيون-الديموقراطيون في بطرسبورغ مازحين) وبين بعض «الشباب» (الذين تعاونوا فيما بعد بنشاط مع «رابوتشايا ميسل») وقد دافع «الشباب» عن الأسس الرئيسية للنظام الداخلي بصيغته المنشورة . وقال «الشيوخ» ليس هذا ما نحتاج اليه قبل كل شيء انما نحتاج الى توطيد «اتحاد النضال» لكيما يصبح منظمة ثورين تخضع لها مختلف صناديق العمال وحلقات الدعاية بين الشباب-الطلبة الخ وغني عن القول انه لم يخطر ببال المتجادلين ان يروا في هذا الخلاف فاتحة الافتراق بل اعتبروه على العكس شيئا منعزلاً وطارئاً ولكن هذا الواقع يبين ان نشوء «الاقتصادية» وانتشارها لم يحدثا في روسيا كذلك بدون نضال ضد الاشتراكيين-الديموقراطيين «الشيوخ» (الامر الذي كثيراً ما ينسأه «الاقتصاديون» الحاليون) .

وإذا كان هذا النضال لم يترك في اكثر الحالات آثاراً «وثائقية» فالسبب **الوحيد** في ذلك ان تركيب الحلقات العاملة كان يتغير بسرعة كبيرة جداً وانه لم تتكون اية استمرارية فلم تسجل بالتالي اختلافات وجهات النظر في اية وثيقة

ان ظهور «رابوتشايا ميسل» قد اخرج «الاقتصادية» الى وضوح النهار ولكن ليس دفعة واحدة ايضاً ينبغي للمرء ان يكون فكرة واضحة عن ظروف عمل العديد من الحلقات الروسية وقصر آجالها (ولا يستطيع ذلك الا الذي جرب الامر بنفسه) لكيما يفهم مدى الصدفة في نجاح او اخفاق الاتجاه الجديد في مختلف المدن وكيف ان انصار هذا «الجديد» وخصومه على السواء كانوا عاجزين مدة طويلة عاجزين تماماً عن تحديد ما اذا كان هذا اتجاهاً اصيلاً حقاً او انه مجرد تعبير عن النقص في استعداد بعض الاشخاص ونقول على سبيل المثال ان الاشتراكيين-الديموقراطيين بأكثريةهم الكبرى حتى لم يعرفوا شيئاً على الاطلاق عن الاعداد الأولى من «رابوتشايا ميسل» المطبوعة على الرونيو واذا كنا نستطيع الآن ان نستشهد بافتتاحية عددها الأولى فما ذلك الا بفضل اعادة نشرها في مقالة ف (٥٤) «ليستوك» «رابوتشيك» العدد ٩-١٠ ص ٤٧ وما يليها) الذي لم يلبث طبعاً ان كال المديح بافراط - بافراط تجاوز المعقول - للجريدة الجديدة التي تختلف اختلافاً بيناً عن الجرائد ومشاريع الجرائد التي ذكرناها اعلاه * وخليق بنا ان نقف وقفة عند هذه

* ونقول بالمناسبة ان هذا المديح ل «رابوتشايا ميسل» في تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٨٩٨ ، عندما تبلورت «الاقتصادية» تماماً ولا سيما في الخارج ، قد صدر عن ف نفسه الذي سرعان ما غدا احد محرري «رابوتشيه ديلو» وقد كانت «رابوتشيه ديلو» تنكر كشانها اليوم وجود اتجاهين في الاشتراكية - الديموقراطية الروسية !

الافتتاحية ما دامت قد افصحت يمثل هذا الوضوح عن **كامل روح** «رابوتشاياميسل» و«الاقتصادية» بوجه عام بعد ان قالت الافتتاحية ان ساعد صاحب الكم الازرق (٥٥) اعجز من ان يوقف تطور حركة العمال تستطرد قائلة ان حركة العمال مدينة بمثل هذه الحيوية لكون العامل نفسه قد اخذ في النهاية مصيره على عاتقه بعد ان انتزعه من ايدي القادة؛ ومن ثم تعالج هذه الفكرة الأساسية من جميع الوجوه والواقع ان القادة (أي الاشتراكيين-الديموقراطيين منظمي «اتحاد النضال») قد انتزعتهم الشرطة كما يمكن القول من ايدي العمال * هذا بينما توضع القضية بشكل يبدو منه ان العمال قد ناضلوا ضد هؤلاء القادة وتحرروا من نيرهم وبدلاً من النداء للسير الى امام الى توطيد التنظيم الثوري وتوسيع النشاط السياسي ارتفعت الدعوة **للارتداد الى الوراء** الى النضال التريديونيوني وحده وأعلن ان «الاساس الاقتصادي للحركة يحجبه النزوع الى عدم نسيان المثل الاعلى السياسي على الاطلاق» وان شعار حركة العمال هو «النضال من اجل الحالة الاقتصادية» (!) او وهو الاحسن «العمال للعمال» وأعلن ان صناديق الاضرابات هي «اهم بالنسبة للحركة من مئة منظمة اخرى» (قارنوا هذا القول العائد لتشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٨٩٧ بجداول «الديسمبريين» و«الشباب» في اوائل سنة ١٨٩٧) الخ ثم ان صيغاً من نوع ينبغي ان نضع في المقام الاول لا «نخبة» العمال بل العامل

* ان الواقع التالي البليغ الدلالة يظهر صحة هذه المقارنة عندما شاع بعد اعتقال «الديسمبريين» بين عمال طريق شليسيلبورغ نبأ مفاده ان المخبر ميخايلوف (طبيب اسنان) الذي كان على اتصال بجماعة من الجماعات المرتبطة «بالديسمبريين» قد ساعد على الايقاع بهم غضب العمال اشد الغضب وقرروا قتل ميخايلوف .

«المتوسط» العامل العادي او من نوع «السياسة تسير دائماً بطوعية خلف الاقتصاد» * الخ الخ قد غدت على الموضة واصبح لها تأثير لا يقهر في الشبيبة التي انجرت الى الحركة والتي لا تعرف من الماركسية في اكثر الحالات غير فقرات في صياغتها العلنية

وقد كان هذا تحطيماً تاماً للوعي من قبل العفوية ، من قبل عفوية اولئك «الاشتراكيين-الديموقراطيين» الذين كرروا «افكار» السيد ف. ف. ، من قبل عفوية اولئك العمال الذين اغرتهم الحجة القائلة بان زيادة كوبيك على روبل اعلى واعز من كل اشتراكية وكل سياسة وانه ينبغي لهم ان يقوموا «بالنضال مدركين انهم انما يناضلون لا من اجل اجيال مقبلة ما بل من اجل انفسهم ومن اجل اولادهم» (افتتاحية العدد ١ من «رابوتشايا ميسل») ان امثال هذه العبارات قد كانت على الدوام السلاح المحبوب للبرجوازيين في اوروبا الغربية الذين - من كرههم للاشتراكية - انصرفوا بانفسهم (على غرار «الاشتراكي-السياسي» الالمانى غيرش) الى غرس التريديونيونية الانكليزية في تربتهم الوطنية قائلين للعمال ان النضال النقابي فقط * * هو نضال لانفسهم ولاولادهم

* من نفس افتتاحية العدد الاول من «رابوتشايا ميسل» وتظهر لنا هذه العبارات مبلغ الاستعداد النظري لدى هؤلاء السادة اضراب «ف. ف. ، رجل الاشتراكية - الديمقراطية الروسية» (٥٦) الذين يكررون هذا الابتذال اللفظي وللمادية الاقتصادية بالضبط في الوقت الذي يشن فيه الماركسيون في مطبوعاتهم الحرب ضد السيد ف. ف. الحقيقي الملقب منذ امد بعيد «الاستاذ في الرجعية» لفهمه على النمط نفسه العلاقة بين السياسة والاقتصاد !

* * توجد لدى الالمان كلمة خاصة هي «Nur-Gewerkschaftler» للإشارة الى انصار النضال والنقابي - فقط .

لا لاجيال مقبلة ما مع اشتراكية مقبلة ما وها نحن نرى السادة اضراب «ف ف رجل الاشتراكية-الديموقراطية الروسية» يكررون الآن هذه العبارات البرجوازية ومن الهام ان نشير هنا الى ثلاثة امور ستفيدنا جداً في تحليلنا اللاحق للخلافات الراهنة *

اولاً ان ما تحدثنا عنه بصدد تحطيم الوعي من قبل العفوية قد حدث كذلك بشكل عفوي ويبدو ذلك من قبيل التلاعب بالألفاظ ولكنه - ويا للأسف ! - الحقيقة المرة انه لم يجر عن طريق نضال سافر بين مفهومين متعارضين كل التعارض وانتصار احدهما على الآخر بل عن طريق «انتزاع» الدرك للثورين «الشيوخ» بعدد يتزايد باستمرار وعن طريق بروز عدد يتزايد باستمرار من «الشباب» اضراب «ف ف رجل الاشتراكية-الديموقراطية الروسية» ان كل من اشتم هواء الحركة الروسية المعاصرة ، ولا اقول اشترك فيها يعلم خير العلم ان الامر كان كذلك على وجه الضبط واذا كنا نلح مع ذلك إلحاحاً خاصاً على ان يدرك القارى ادراكاً تاماً هذا الواقع المعروف من الجميع واذا كنا قصد الايضاح ، ان جاز القول نورد معطيات عن «رابوتشييه ديبلو» في طورها الاول وعن الجدال الذي قام بين «الشيوخ» و«الشباب» في اوائل سنة ١٨٩٧ - فما ذلك الا لوجود اناس يتبجحون ب«ديموقراطيتهم» مستغلين جهل الجمهور الواسع (او الشباب الحديث السن) لهذه الحقيقة ولنا عودة الى ذلك

* نشدد على كلمة الراهنة للذين سيهزون اكتافهم نفاقاً ويقولون من السهل الآن ذم «رابوتشايا ميسل» ، ولكن هذا من الماضي البعيد ! نورد نحن على هؤلاء المنافقين المعاصرين الذين سنظهر فيما ياتي من البحث خضوعهم التام لافكار «رابوتشايا ميسل» ، فنقول Mutato nomine de „te fabula narratur“ (الحكاية عنك وان لم يذكر اسمك . الناشر .)

ثانياً يمكننا منذ ظهرت «الاقتصادية» لأول مرة في المطبوعات ان نلاحظ ظاهرة فريدة وبليغة في دلالتها من حيث فهم جميع الخلافات القائمة بين الاشتراكيين-الديموقراطيين في الوقت الحاضر وهي ان انصار «الحركة العمالية الصرف» انصار اوثق الارتباط «العضوي» (تعبير «رابوتشييه ديلو») بالنضال البروليتاري خصوم جميع المثقفين غير العمال (حتى ولو كانوا مثقفين اشتراكيين) يضطرون في الدفاع عن مواقفهم الى الالتجاء الى حجج «التريدونيونيين-فقط» البرجوازيين وهذا ما يبين لنا ان «رابوتشاياميسل» قد اخذت منذ ظهورها تطبيق - عن غير وعي - برنامج "Credo" «الكريديو» كما يبين هذا (وهو ما لا تستطيع «رابوتشييه ديلو» ان تفهمه) ان كل تقديس لعفوية حركة العمال كل انتقاص من دور «عنصر الوعي» دور الاشتراكية-الديموقراطية يعني - سواء اراد المنتقص ام لم يرد ، فليس لذلك اقل اهمية - تقوية نفوذ الايديولوجية البرجوازية في العمال . ان كل من يتحدث عن «تقدير اهمية الايديولوجية باكثر مما تستحق» * ، عن المغالاة في دور عنصر الوعي * * الخ يتصور ان الحركة العمالية الصرف تستطيع بحد ذاتها ان تصنع لنفسها وانها ستصنع لنفسها بالتاكيد ايديولوجية مستقلة وان ذلك لا يتطلب غير قيام العمال «بانتزاع مصيرهم من ايدي القادة» ولكن هذا خطأ فاحش وبلاضافة الى ما قلناه آنفاً نثبت هنا كلمات ككاوتسكي التالية الهامة والعميقة في صدقها هذه الكلمات التي قالها بصدد مشروع البرنامج الجديد للحزب الاشتراكي-الديموقراطي النمساوي * * *

* رسالة «الاقتصاديين» في العدد ١٢ من «الايسكرام»

** «رابوتشييه ديلو» ، العدد ١٠

*** "Neue Zeit" (٥٧) ، ١٩٠١-١٩٠٢ ، ٢ ، ١ ، العدد ٣ ،

ص ٧٩ ان مشروع اللجنة الذي يتحدث ككاوتسكي عنه قد اقره مؤتمر

فيينا (٥٨) (في اواخر السنة الماضية) مع بعض التعديلات .

ويحسب كثيرون من نقادنا المحرفين ان ماركس قد اكد ان التطور الاقتصادي والنضال الطبقي لا يخلق ظروف الانتاج الاشتراكي وحسب ، بل يخلق مباشرة ايضا وعي (اشارة التاكيد لكاوتسكي) ضرورته وها هم هؤلاء النقاد يعترضون بان انكلترا ، البلاد الاكثر تطوراً من الناحية الرأسمالية ، هي ابعد الجميع عن هذا الوعي ان مشروع البرنامج يفسح مجالاً للظن بان اللجنة التي وضعت البرنامج النمساوي تشارك وجهة النظر هذه ، التي يزعم انها ماركسية ارتوذوكسية ، والتي يدحضها المثال المشار اليه فقد جاء في المشروع وبمقدار ما تتزايد البروليتاريا نتيجة للتطور الرأسمالي ، تزداد اضطراراً الى النضال ضد الرأسمالية وتحصل على إمكانية هذا النضال وتصل البروليتاريا الى ادراك إمكانية الاشتراكية وضرورتها وعلى هذا الاساس يبدو الوعي الاشتراكي نتيجة مباشرة محتومة للنضال الطبقي البروليتاري وهذا غير صحيح على الاطلاق صحيح ان الاشتراكية ، بوصفها مذهباً ، تستمد جذورها من العلاقات الاقتصادية الراهنة كشأن النضال الطبقي البروليتاري سواء بسواء ، وانها كالنضال الطبقي البروليتاري تنبثق من النضال ضد ما تسببه الرأسمالية للجماهير من فقر وبؤس غير ان الاشتراكية والنضال الطبقي ينبثقان احدهما الى جانب الآخر ، لا احدهما من الآخر انهما ينبثقان من مقدمات مختلفة فالوعي الاشتراكي الراهن لا يمكنه ان ينبثق الا على اساس معارف علمية عميقة وبالفعل ان العلم الاقتصادي الحديث هو شرط من شروط الانتاج الاشتراكي ، شأنه ، مثلاً ، شأن التكنيك الحديث سواء بسواء والحال ان البروليتاريا ، بالرغم من كل رغبتها ، لا تستطيع ان تخلق لا هذا ولا ذاك ، فكلاهما ينشأ عن التطور الاجتماعي الحديث هذا وان العلم ليس يبيد البروليتاريا ، بل بيد المثقفين البرجوازيين (حرف التاكيد لكاوتسكي) فالاشراكية الحديثة نفسها قد انبثقت هي ايضا في رؤوس بعض اعضاء هذه الفئة ، وقد نقلها هؤلاء الى اكثر البروليتاريين تطوراً من الناحية الفكرية ، الذين اخذوا بعد ذلك يدخلونها في نضال البروليتاريا الطبقي حيث تسمح الظروف وعلى ذلك كان الوعي الاشتراكي عنصراً يؤخذ من الخارج (von außen Hincingetragen) وينقل الى نضال البروليتاريا الطبقي ، لا شيئاً ينبثق منه بصورة عفوية (urwüchsig) . ولهذا قيل في برنامج

هينفيلد القديم ، بحق تماما ، ان مهمة الاشتراكية-الديموقراطية هي ان تحمل الى البروليتاريا (حرفياً تملأ البروليتاريا) وعي وضعها ووعي رسالتها ولم تكن هناك من حاجة الى ذلك ، لو كان هذا الوعي ينبثق من النضال الطبقي من تلقاء نفسه اما المشروع الجديد فقد اخذ هذه الفكرة من البرنامج القديم وربطها بالصيغة المثبتة اعلاه ، الامر الذي قطع بصورة تامة مجرى التفكير ...»

ولما كان من غير الممكن حتى ان تكون ثمة ايدولوجية مستقلة تصنعها جماهير العمال نفسها في مجرى حركتها موضع بحث * فلا يمكن ان تطرح المسألة الا بالشكل التالي اما ايدولوجية برجوازية واما ايدولوجية اشتراكية وليس ثمة وسط بينهما (لان البشرية لم تصنع ايدولوجية «ثالثة» ، اضع الى ذلك انه في مجتمع تمزقه التناقضات الطبقيه لا يمكن ان توجد على الاطلاق اية ايدولوجية خارج الطبقات او فوق الطبقات) ولذلك فان كل انتقاص من الايدولوجية الاشتراكية وكل ابتعاد عنها هو في حد ذاته بمثابة تمكين للايدولوجية البرجوازية وتوطيد لها ويتحدثون

* ولا يعني ذلك طبعاً ان العمال لا يشتركون في وضعها ولكنهم لا يشتركون في ذلك بوصفهم عمالاً ، بل بوصفهم من علماء الاشتراكية النظرية ، بوصفهم برودون وفيتلينغ وامثالهما ، اي انهم بعبارة اخرى لا يسهمون في ذلك الا بمقدار ما يتمكنون من استيعاب معارف عصرهم ومن دفعها الى الامام ولكيما يتيسر للعمال ذلك على نطاق اوسع ، ينبغي بدل اقصى الجهود لرفع مستوى وعي العمال بوجه عام ، ينبغي الا يحصر العمال انفسهم في «مطبوعات للعمال» يضيق اطارها بصورة مصطنعة ، بل ان يتعلموا استيعاب المزيد والمزيد من المطبوعات للعموم ومن الاصح ان نقول ، بدلا من «الا يحصر العمال انفسهم» - الا يحصروا ، لان العمال انفسهم يقرؤون ويريدون ان يقرؤوا كل ما يكتب حتى للمثقفين ، ولا يعتبر احد غير بعض المثقفين (الاردياء) انه يكفي «من اجل العمال» الحديث عن الانظمة السائدة في المصانع واجترار ما هو معروف منذ امد بعيد .

عن العفوية ولكن التطور العفوي لحركة العمال يسير على وجه الدقة في اتجاه اخضاعها للايديولوجية البرجوازية يسير على وجه الدقة وفق برنامج "Credo" ، («الكريبدو») لان الحركة العمالية العفوية هي التريديونيونية هي Nur—Gewerkschaftlerei وما التريديونيونية غير اخضاع العمال فكرياً للبرجوازية ولذا فان واجبنا ، واجب الاشتراكية الديمقراطية ، هو النضال ضد العفوية ، هو النضال من اجل صرف حركة العمال عن نزوع التريديونيونية العفوي الى كنف البرجوازية وجذبها الى كنف الاشتراكية الديمقراطية الثورية ولذلك فان عبارة واضعي الرسالة «الاقتصادية» في العدد ١٢ من «الايسكرا» هذه العبارة القائلة بأن جميع جهود الايديولوجيين الاكثر الهاماً لا يمكنها ان تخرج حركة العمال عن الطريق الذي حدده لها تفاعل العناصر المادية والبيئة المادية ، تعادل تماماً التخلي عن الاشتراكية ولو كان هؤلاء الكتاب قادرين على امعان الفكر فيما قالوه حتى النهاية بصورة منطقية وبدون خوف كما ينبغي ان يفعل كل من يبرز الى مسرح النشاط الادبي والاجتماعي لما بقي عليهم ان يفعلوا غير «وضع ايديهم التي لا ضرورة لها على صدورهم الفارغة» و. ترك المسرح للسلادة امثال ستروفه وبروكوبوفيتش الذين يجرون حركة العمال في اتجاه «اهون السبل» اي في اتجاه التريديونيونية البرجوازية او للسلادة امثال زوباتوف الذين يجرونها في اتجاه «ايديولوجية» الاكليروس والدرك (٥٩)

تذكروا مثل المانيا ما هي الخدمة التاريخية التي اداها لاسال لحركة العمال الالمانية ؟ هي انه صرف هذه الحركة عن طريق التريديونيونية التقدمية وطريق التعاونية الذي كانت تتجه اليه بصورة عفوية (بمساعدة - قدمها امثال شولتز - ديليتش واضرابهم لطيفة . وقد تطلب القيام بهذه المهمة شيئاً لا يشبه اطلاقاً

الانتقاص من اهمية العنصر العفوي والتكتيك-الحركة وتفاعل العناصر والبيئة وهلم جرا لقد تطلب الامر **فضالا لا يعرف الهوادة ضد العفوية** . ولم يمكن مثلا تحويل سكان برلين من العمال من دعامة للحزب التقدمي الى حصن من خير حصون الاشتراكية-الديموقراطية الا نتيجة نضال كهذا استمر سنين طويلة وطويلة جداً وهذا النضال لم ينته ابدأ حتى الآن (كما قد يحسب الناس الذين يأخذون تاريخ الحركة الالمانية عن بروكوبفيتش وفلسفتها عن ستروفه)

فالطبقة العاملة الالمانية ما تزال حتى الآن منقسمة ان صبح التعبير ، بين بضع ايدولوجيات فثمة قسم من العمال متحد في نقابات العمال الكاثوليكية والملكية وثمة قسم آخر متحد في نقابات هيرش-دونكر (٦٠) التي أسسها البرجوازيون من انصار التريديونيونية الانكليزية وقسم ثالث متحد في النقابات الاشتراكية-الديموقراطية وهذا القسم الثالث هو اكبر بما لا يقاس من سائر الاقسام ولكن الايدولوجية الاشتراكية-الديموقراطية لم تستطع ان تحصل على هذا التفوق ولا تستطيع ان تحتفظ به الا بالنضال المستمر ضد جميع الايدولوجيات الاخرى

وقد يتساءل القارى لماذا اذن كانت الحركة العفوية ، حركة الاتجاه. نحو اهون السبل تؤدي على وجه الدقة الى سيطرة الايدولوجية البرجوازية ؟ ذلك لمجرد كون الايدولوجية البرجوازية من حيث منشؤها اقدم من الايدولوجية الاشتراكية بكثير ولأنها وضعت بصورة اكمل من جميع الوجوه ولأنها تتصرف بوسائل للنشر اكثر بما لا يقاس * وكلما كانت الحركة

* كثيراً ما يقال ان الطبقة العاملة تنجذب الى الاشتراكية بصورة عفوية . وهذا صحيح كل الصحة بمعنى ان النظرية الاشتراكية تبين بعمق ما بعده عمق وصدق ما بعده صدق اسباب نكبات الطبقة العاملة ، ولذلك

الاشتراكية حديثة في بلد من البلدان كلما كان ينبغي ان يشتد تبعاً لذلك ، النضال ضد جميع المحاولات لتوطيد الايديولوجية غير الاشتراكية كلما كان ينبغي ان يشتد الحزم في تحذير العمال من نصحاء السوء الذين يصرخون ضد «المغلاة في تقدير اهمية عنصر الوعي» الخ ان واضعي الرسالة «الاقتصادية» يرددون ويبرقون في جوقه واحدة مع «رابوتشيه ديلا» ضد عدم التسامح الذي يميز الحركة في عهد طفولتها ونحن نجيب على ذلك اجل ان حركتنا تجتاز حقاً عهد طفولتها ولكيما يشتد ساعدها بسرعة ، ينبغي لها ان تُعدى حتماً بعدوى عدم التسامح حيال الناس الذين يعيقون نموها بتقديسهم العفوية ليس من شيء اسخف واكثر ضرراً من ان نجعل من انفسنا شيوخاً اجتازوا منذ عهد بعيد جميع مراحل النضال الفاصلة !

ثالثاً يبين لنا العدد الاول من «رابوتشايا ميسل» ان اسم «الاقتصادية» (الذي لا نفكر طبعاً بالعدول عنه ، لأن هذا اللقب قد رسخ بشكل من الاشكال) لا يفصح بالدقة الكافية عن جوهر الاتجاه الجديد ذلك ان «رابوتشايا ميسل» لا تنكر النضال السياسي انكاراً تاماً فالنظام الداخلي للصندوق ، النظام المنشور في العدد ١ من «رابوتشايا ميسل» يتحدث عن النضال ضد

يستوعب العمال بيسر كبير هذه النظرية ان لم تستسلم هي نفسها امام العفوية وان اخضعت العفوية لنفسها وهذا امر يفهم في المعتاد بصورة بديهية الا ان «رابوتشيه ديلا» تنسى وتشوه هذا الامر البديهي بالذات ان الطبقة العاملة تنجذب الى الاشتراكية بصورة عفوية ولكن الايديولوجية البرجوازية الأوسع انتشاراً (والتي تبعث باستمرار بشتى الاشكال) تفرض على العامل ، بصورة عفوية ، اكثر من غيرها .

الحكومة كل ما في الأمر ان «رابوتشاييا ميسل» تحسب ان «السياسة تسير على الدوام بخنوع في اثر الاقتصاد» (اما «رابوتشاييه ديبلو» فتغير هذه الصيغة مؤكدة في برنامجها ان «النضال الاقتصادي وثيق الصلة في روسيا اكثر مما في اية بلاد اخرى بالنضال السياسي») وصيغتا «رابوتشاييا ميسل» و«رابوتشاييه ديبلو» هاتان غير صحيحتين بتاتا اذا فهمنا من كلمة السياسة - السياسة الاشتراكية-الديموقراطية فكثيرا ما يحدث لنضال العمال الاقتصادي ان يكون على صلة (وان لم تكن وثيقة) بالسياسة البرجوازية بالسياسة الدينية الخ كما سبق ان رأينا وتكون صيغة «رابوتشاييه ديبلو» صحيحة اذا فهمنا من كلمة السياسة - السياسة التريديونيونية ، اي الطموح المشترك بين جميع العمال الى الحصول من الدولة على تدابير ما للتخفيف من المصائب التي تلازم وضعهم ولكنها لا تزيل هذا الوضع اي انها لا تقضي على خضوع العمل لرأس المال . وهذا الطموح هو في الحقيقة مشترك بين التريديونيونيين الانكليز الذين يقفون من الاشتراكية موقف العداة . وبين العمال الكاثوليك والعمال «الزوباتوفيين» الخ ثمة سياسة وسياسة وهكذا نرى ان موقف «رابوتشاييا ميسل» من النضال السياسي ايضا ليس موقف انكار له بمقدار ما هو موقف تقديس لعفويته تقديس لعدم وعيه فهي اذ تعترف تماما بالنضال السياسي الذي ينبثق بصورة عفوية من حركة العمال نفسها (او الاصح بتمنيات العمال ومطالبهم السياسية) ترفض كل الرفض ان ترفع بصورة مستقلة سياسة اشتراكية-ديموقراطية خاصة تتفق والمهام العامة للاشتراكية والظروف الروسية الراهنة وسنبين فيما يلي ان «رابوتشاييه ديبلو» تقترف كذلك هذا الخطا .

ج) «جماعة التحرير الذاتي» (٦١) و«رابوتشاييه ديبلو»

إذا كنا حللنا بهذا التفصيل افتتاحية العدد الاول من «رابوتشاييا ميسل» التي لا يعرفها غير القلائل والتي كادت تنسى في الوقت الحاضر فذلك لانها افصحت قبل الجميع وبشكل اوضح من الجميع عن ذلك السيل العام الذي خرج فيما بعد الى وضوح النهار جداول صغيرة لا تحصى لقد كان ف على تمام الحق عندما قال ممتدحا العدد الاول من «رابوتشاييا ميسل» وافتتاحيتها انها كتبت «بحمية وشدة» («ليستوك «رابوتنيكا» العدد ٩-١٠ ص ٤٩) ان كل انسان واثق من رأيه ويعتقد انه آت بجديد يكتب «بحمية» يكتب بشكل يعرب عن نظراته بجلاء ولا يخلو من «الحمية» غير الناس الذين اعتادوا الجلوس بين كرسيين وليس غير هؤلاء من يستطيع ان يمتدح في الامس حمية «رابوتشاييا ميسل» وان يهاجم اليوم خصومها «لحميتهم في الجدل»

ودون ان نتوقف عند «الملحق الخاص لـ «رابوتشاييا ميسل»» (وسيتأتى علينا ان نستشهد فيما يأتي في شتى المناسبات بهذا المؤلف الذي يفصح عن افكار «الاقتصاديين» باكثر ما يمكن من الانسجام) نتناول فقط باختصار «نداء جماعة تحرير العمال الذاتي» (آذار- مارس- سنة ١٨٩٩ وقد اعيد نشره في «ناكانونيه» (٦٢) بلندن العدد ٧ تموز- يوليو- سنة ١٨٩٩) يقول واضعو هذا النداء وهم على تمام الحق ان «روسيا العمال لا تفعل الآن غير ان تستيقظ وتلتفت حولها وتتناول بصووة غريزية اول وسيلة من وسائل النضال تقع عليها يدها» ولكنهم يخلصون من ذلك الى نفس الاستنتاج غير الصحيح الذي خلصت اليه «رابوتشاييا ميسل» ناسين ان الغريزة هي عدم الوعي (العفوية) بالذات الذي ينبغي للاشتراكيين ان يخفوا لمساعدته ،

وان «اول وسيلة تقع عليها يدها» من وسائل النضال هي على الدوام في المجتمع الراهن وسيلة النضال التريديونيوية وان اول ايديولوجية «تقع عليها يدها» هي الايديولوجية البرجوازية (التريديونيوية) ثم ان واضعي هذا النداء لا «ينكرون» كذلك السياسة انما هم يقولون فقط (فقط!) في اثر السيد ف ف ان السياسة هي بناء فوقى ولذلك «ينبغي للتحريض السياسي ان يكون بناء فوقياً للتحريض على النضال الاقتصادي ينبغي ان ينمو على صعيد هذا النضال وان يسير في اثره»

اما «رابوتشييه ديلو» فقد بدأت نشاطها مباشرة بـ«الدفاع» عن «الاقتصاديين» فبعد ان نطقت «رابوتشييه ديلو» بكذب جلي في عددها الاول بالذات (العدد ١ ص ص ١٤١-١٤٢) زاعمة انها «لا تعلم عن اي الرفاق الشباب تكلم آكسيلرود» الذي حذر «الاقتصاديين» في كراسه المعروف* اضطرت في مجرى احتدام الجدل مع آكسيلرود وبلخانوف بصدد هذا الكذب الى الاعتراف بانها «ارادت عن طريق التظاهر بالدهشة ان تدفع هذه التهمة الباطلة عن جميع الاشتراكيين-الديموقراطيين الاحدث سنناً في الخارج» (اتهام آكسيلرود «للاقتصاديين» بضيق الافق) والواقع ان هذا الاتهام كان صحيحاً كل الصحة وان «رابوتشييه ديلو» كانت تعلم حق العلم ان الاتهام ينال فيمن ينال عضو هيئة تحريرها ف ا واقول في هذا الصدد ان اكسيلرود كان على تمام الحق في هذا الجدل وان «رابوتشييه ديلو» كانت على تمام الخطأ في تفسير كراسي «مهام الاشتراكيين - الديموقراطيين

* وحول مهام الاشتراكيين - الديموقراطيين الروس الحالية وتكتيكهم» جنيف ، سنة ١٨٩٨ . رسالتان الى «رابوتشاييا غازيتا» كتبتا في سنة ١٨٩٧ .

الروس» فقد كتبت هذا الكراس سنة ١٨٩٧ اي قبل ظهور «رابوتشاييا ميسل» وعندما كنت اعتقد وكان يحق لي آنذاك ان اعتقد ان التفوق للاتجاه الاولي الذي اتجهه «اتحاد النضال» في سانت بطرسبورغ ، والذي حددت خصائصه آنفأ وقد كان هذا الاتجاه متفوقاً في الحقيقة حتى منتصف سنة ١٨٩٨ على الاقل ولذلك كان لا يحق لـ«رابوتشيبه ديبلو» على الاطلاق ان تستشهد في دحضها لوجود «الاقتصادية» وخطرها بكراس يعرض نظرات **حلت محلها في سانت بطرسبورغ خلال سنتي ١٨٩٧-١٨٩٨ النظرات «الاقتصادية»** *

بيد ان «رابوتشيبه ديبلو» لم تقتصر على «الدفاع» عن «الاقتصاديين» ولكنها كانت هي نفسها تنزلق على الدوام الى اخطائهم الاساسية ومصدر هذا الانزلاق هو الفهم الملتبس

* ان «رابوتشيبه ديبلو» قد اضافت اثناء الدفاع عن نفسها الى كذبتها الاول (ونحن لا نعلم عن اي الرفاق الشباب تكلم ب ب ب آكسيلرود) كذبتها الثاني عندما كتبت في «الجواب» ومد كتب انتقاد «المهام» ظهرت بين بعض الاشتراكيين - الديموقراطيين الروس او تبلورت لحد ما ميول الى الضيق الاقتصادي هي خطوة الى الوراء بالقياس الى الحال الذي كانت عليه حركتنا والمعرض في «المهام» (ص ٩) هذا ما جاء في «الجواب» الصادر سنة ١٩٠٠ وقد صدر العدد الاول من «رابوتشيبه ديبلو» (وفيه النقد) في نيسان (ابريل) سنة ١٨٩٩ احقا لم تظهر الاقتصادية الا في سنة ١٨٩٩ ؟ كلا ففي سنة ١٨٩٩ ارتفع لاول مرة احتجاج الاشتراكيين - الديموقراطيين الروس ضد «الاقتصادية» (الاحتجاج ضد «Credo» ١٠٠٠ اما «الاقتصادية» فقد ظهرت سنة ١٨٩٧ ، الامر الذي تعلمه «رابوتشيبه ديبلو» حثق العلم ، ما دام ف ! قد كالمديح لورابوتشاييا ميسل في تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٨٩٨ («ليستوك» رابوتنيكا» ، العدد ٩-١٠) .

للموضوعة التالية من برنامج «رابوتشييه ديلو» «ان اهم ظاهرة في الحياة الروسية الظاهرة التي من شأنها ان تكون العامل الرئيسي في تحديد مهام (حرف التأكيد لنا) الاتحاد وطابع نشاطه في مضمار المطبوعات هي في رأينا حركة العمال الجماهيرية (حرف التأكيد ل«رابوتشييه ديلو») التي ظهرت في السنوات الاخيرة»

لا مرأء في ان الحركة الجماهيرية ظاهرة في منتهى الاهمية ولكن كل القضية هي في كيفية فهم «تحديد المهام» من قبل هذه الحركة الجماهيرية اذ يمكن ان يفهم ذلك على وجهين يمكن ان يفهم اما بمعنى تقديس عفوية هذه الحركة اي جعل دور الاشتراكية-الديموقراطية مجرد دور خادم لحركة العمال كما هي (هكذا تفهم ذلك «رابوتشاياميسل» و«جماعة التحرير الذاتي» و«الاقتصاديون» الآخرون) واما بمعنى ان الحركة الجماهيرية تفرض علينا مهام جديدة، نظرية وسياسية وتنظيمية، اعقد بكثير من المهام التي كان يمكننا ان نكتفي بها في المرحلة التي سبقت ظهور الحركة الجماهيرية. وقد كانت «رابوتشييه ديلو» ولا تزال تميل الى المفهوم الاول بالضبط لانها لم تقل قط شيئا معينا عن اية مهام جديدة بل كانت تحاكم على الدوام كما لو كانت هذه «الحركة الجماهيرية» تغلصنا من ضرورة الادراك الواضح لما تطرحه من مهام ومن ضرورة القيام بهذه المهام وحسبنا ان نذكر بان «رابوتشييه ديلو» كانت تعتبر من غير الممكن ان توضع مهمة اسقاط الحكم المطلق كمهمة اولى لحركة العمال الجماهيرية وانها هبطت بهذه المهمة (باسم الحركة الجماهيرية) الى مستوى النضال من اجل اقرب المطالب السياسية («الجواب»، ص ٢٥)

لنترك جانباً مقال محرر «رابوتشييه ديلو» ب كريتشييفسكي في العدد ٧ - «النضال الاقتصادي والسياسي في

الحركة الروسية» ، هذا المقال الذي كرر نفس الاخطاء * ، ولننتقل مباشرة الى العدد ١٠ من «رابوتشييه ديلو» لن نحلل طبعاً اعتراضات ب كريتشفيسكي ومارتينوف على «زاريا» و«الايسكرا» واحداً واحداً اذ لا يهمننا هنا الا الموقف المبدئي الذي وقفته

* اليكم مثلا كيف يعكس هذا المقال «نظرية المراحل» او نظرية «التعاريح الوجلة» في النضال السياسي وان المطالب السياسية ، وهي من حيث طابعها تخص روسيا كلها ، ينبغي لها مع ذلك ان تلائم في بادئ الامر» (كتب هذا في آب - اغسطس - سنة ١٩٠١) «التجربة التي اكتسبتها من النضال الاقتصادي فئة معينة (كذا!) من العمال فعلى صعيد هذه التجربة وحده (!) يمكن ويجب الشروع بالتحريض السياسي» الخ (ص ١١) وفي الصفحة ٤ ينبري الكاتب لدفع اتهامات بالهرطقة الاقتصادية لا تقوم على اساس رايه ويصرخ منفلا «اي اشتراكي-ديموقراطي لا يعلم ان المصالح الاقتصادية لمختلف الطبقات تلعب ، طبقا لتعاليم ماركس وانجلس ، دوراً حاسماً في التاريخ وانه ، تبعاً لذلك ، ينبغي لنضال البروليتاريا في سبيل مصالحها الاقتصادية ان يكون ، بوجه خاص ، ذا اهمية اولية من حيث تطورها الطبقي ونضالها التحريري ؟» (حرف التأكيد لنا) ان «تبعاً لذلك» هذه ليست في مكانها على الاطلاق فمن كون المصالح الاقتصادية تلعب الدور الفاصل لا يستطيع الهراء ان يستنتج بعال ان للنضال الاقتصادي (= المهني) اهمية اولية ، لان مصالح الطبقات الجوهرية «الحاسمة» ولا يمكن ان تلبى الا على اساس تغييرات سياسية جذرية بوجه عام ؛ وهكذا فان مصلحة البروليتاريا الاقتصادية الاساسية بوجه خاص لا يمكن ان تلبى الا عن طريق ثورة سياسية تحل ديكتاتورية البروليتاريا محل ديكتاتورية البرجوازية ان ب كريتشفيسكي يكرر رأي «اصحاب ف ف رجل الاشتراكية-الديموقراطية الروسية» (= السياسة تسير في امر الاقتصاد الخ .) وبرنشتيني الاشتراكية-الديموقراطية الالمانية (كفولتمان مثلا الذي حاول ان يبرهن بالاستناد الى هذا الراي على وجه الضبط انه ينبغي على العمال ان يكتسبوا «القوة الاقتصادية» قبل ان يفكروا بالثورة السياسية) .

«رابوتشييه ديلو» في العدد ١٠. لن نحلل مثلا الامر الغريب التالي وهو ان «رابوتشييه ديلو» ترى «تناقضا اساسيا» بين هذه الموضوعة

«ان الاشتراكية-الديموقراطية لا تقيد يديها لا تقيد نشاطها باي مشروع او اسلوب يوضع سلفاً من مشاريع او اساليب النضال السياسي فهي تعترف بجميع وسائل النضال على ان تتلاءم وقوى الحزب الواقعية» الفح («الايسكرا» ، العدد ١) *

وبين الموضوعة التالية

«اذا لم توجد منظمة قوية متمرسة بالنضال السياسي وتحسن القيام به في جميع الظروف والمراحل فلا يمكن ان يكون موضع بحث اي مشروع للعمل متماسك الاجزاء، موضع بمبادئ ثابتة، وينفذ باستقامة ، مشروع يستحق وحده من دون سائر المشاريع تسميته بالتكتيك» («الايسكرا» ، العدد ٤) **

ان الخلط بين الاعتراف المبدئي بجميع وسائل النضال بجميع المشاريع والاساليب على ان تكون ملائمة ، وبين المطالبة في ظرف سياسي معين بالاسترشاد بمشروع ينفذ باستقامة - ان هذا الخلط اذا كنا نريد الحديث عن التكتيك هو اشبه بالخلط بين اعتراف الطب بجميع طرق العلاج مع مطالبته باتباع طريقة معينة لمعالجة مرض معين ولكن القضية كلها في كون «رابوتشييه ديلو» المصابة هي نفسها بالمرض الذي سميناه نحن بتقديس العفوية لا تريد ان تعترف باي «طرق علاج» لهذا المرض ولذلك توصلت الى اكتشاف فذ وهو ان «التكتيك-المشروع ينافي روح الماركسية من اساسها» (العدد ١٠

* راجع مقال لينين «المهمات الملحة لحركتنا» . الناشر .

** راجع مقال لينين : «بم نبدأ ؟» . الناشر .

ص ١٨) وان التكتيك هو «سير نمو مهام العزب التي تنمو مع نمو العزب» (ص ١١ حرف التأكيد لـ «رابوتشييه ديلسو») هنالك كل الامكانيات لان تصبح هذه الحكمة الاخيرة من الحكم المشهورة لان تصبح ذكرى «لاتجاه» «رابوتشييه ديلسو» يعجز الدهر عن محوها فعلى سؤال «الى اين نسير؟» تجيب الجريدة القائدة الحركة هي مجرى تغير المسافة بين نقطة الانطلاق والنقطة التالية للحركة ان هذا التفكير العميق منتهى العمق ليس من الطرائف وحسب (ولو كان الامر كذلك لما كان خليقاً بالوقوف عنده) انما هو ايضاً برنامج اتجاه باكملة هو البرنامج الذي اعربر م (في «الملحق الخاص لـ «رابوتشاياميسل»») بكلمات المرغوب فيه هو النضال الممكن والممكن هو الذي يجري في هذه البرهة انه بالضبط اتجاه الانتهازية التي لا تعرف الحدود والتي تتكيف بصورة سلبية تبعاً للعفوية

«التكتيك-المشروع ينافي روح الماركسية من اساسها!» ولكن هذا افتراء على الماركسية انه تحويل لها الى صورة شوهاء تشبه تلك التي عارضنا بها الشعبيون (٦٣) في حربهم علينا ان هذا بالضبط تثبيط لمبادرة المناضلين الواعين وهمتهم في حين ان الماركسية ، على العكس من ذلك ، حافز هائل لمبادرة الاشتراكي-الديموقراطي وهمته ، فهي تكشف امامه اوسع الآفاق ، واضعة تحت تصرفه (ان امكن التعبير) القوى الهائلة قوى الملايين العديدة من ابناء الطبقة العاملة الناهضين «بصورة عفوية» الى النضال ان تاريخ الاشتراكية-الديموقراطية العالمية باكملة زاخر بالمشاريع التي وضعها هذا او ذلك من القادة السياسيين مشاريع تبرز بصيرة البعض وصحة نظراته السياسية والتنظيمية وتكشف عن قصر نظر البعض الآخر واخطائه السياسية فعندما اجتازت المانيا انعطافاً من اكبر الانعطافات في تاريخها - تشكيل

الامبراطورية وفتح الريخستاغ ومنح الحق الانتخابي العام - كان لدى ليبنكخت مشروع للسياسة الاشتراكية- الديمقراطية والعمل الاشتراكي-الديموقراطي بوجه عام وكان لدى شفيتزر مشروع آخر وعندما انقضى على الاشتراكيين الالمان القانون الاستثنائي، كان ثمة مشروع لدى موسست وهاسيلمان المستعديين للدعوة صراحة الى العنف والارهاب، وكان ثمة مشروع آخر لدى هوخبيرغ وشرام ولدى برنشتين (جزئياً) الذين حاولوا وعظ الاشتراكيين-الديموقراطيين بان القانون جاء نتيجة لشدتهم غير المعقولة وثوريتهم وبانه ينبغي عليهم ان ينالوا المغفرة بحسن السلوك وكان ثمة مشروع ثالث لدى الذين اعدوا العدة لنشر جريدة سرية وحققوا ذلك (٦٤) وعندما يلقي المرء نظرة الى الوراثة بعد انقضاء سنوات عديدة على انتهاء النضال حول مسألة اختيار الطريق الواجب اتباعه وبعد ان قال التاريخ كلمته الاخيرة بصدد صحة الطريق الذي وقع عليه الاختيار لا يصعب عليه طبعاً ان يبرهن على عمق تفكير بقوله ان مهام الحزب تنمو مع نمو الحزب نفسه ولكن الاكتفاء بعمق التفكير هذا في وقت البلبلة * في الوقت الذي يهبط فيه «النقاد» و«الاقتصاديون» الروس بالاشتراكية-الديموقراطية الى مستوى التريديونيونية ويدعو فيه الارهابيون بقوة الى قبول «تكتيك-مشروع يكرر الاخطاء السابقة، - اقول ان الاكتفاء بمثل هذا العمق في تفكير في مثل هذا الوقت يعني تسجيل المرء على نفسه «شهادة فقر حال» وفي الوقت الذي اصيب فيه كثيرون من الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس بنقص المبادرة والهمة على وجه

* Ein Jahr der Verwirrung (سنة البلبلة) - هكذا عنون مهرينغ فصلا في كتابه «تاريخ الاشتراكية-الديموقراطية الالمانية» يصف فيه ما اظهره الاشتراكيون في البدء من تردد وعدم حزم عند اختيار وتكتيك-مشروع» يتفق والظروف الجديدة .

الدقة بنقص «المدى في الدعاية السياسية والتحريض السياسي والتنظيم السياسي» * بالنقص في «مشاريع» تنظيم العمل الثوري على نطاق اوسع - ان القول في مثل هذا الوقت ان «التكنيك -المشروع ينافي روح الماركسية من اساسها» لا يعني ابتذال الماركسية نظرياً وحسب بل يعني ايضاً جر الحزب عملياً الى الورا .

تعلمنا وراپوتشييه ديلو» بعد ذلك ان وواجب الاشتراكي-الديموقراطي الثوري ليس الا تعجيل التطور الموضوعي بعمله الواعي ، لا الغاء او الاستعاضة عنه بالمشاريع الذاتية و«اليسكرا» تعرف كل ذلك من الناحية النظرية ولكن الاهمية الكبرى التي تعبرها الماركسية ، بحق ، للعمل الثوري الواعي تحملها عملياً ، نتيجة لنظرتها الجامدة الى التكتيك ، على التقليل من اهمية العنصر الموضوعي او العفوي في التطور» (ص ١٨) وها نحن مرة اخرى امام تشويش نظري خارق خليق بالسيد ف ف وشركائه بودنا ان نسأل فيلسوفنا بم يمكن ان يتجلى «التقليل من اهمية» التطور الموضوعي لدى واضع المشاريع الذاتية ؟ واضح ان ذلك يتجلى في كونه يغفل ان هذا التطور الموضوعي ينشئ* او يقوي يهلك او يضعف هذه او تلك من الطبقات او الفئات او الجماعات من الامم او مجموعات الامم الخ مشروطاً بذلك هذه او تلك من تكتلات القوى السياسية العالمية ومواقف الاحزاب الثورية الخ ولكن خطأ مثل هذا الواضع لا يكون والحالة هذه التقليل من اهمية العنصر العفوي ، بل بالعكس التقليل من اهمية العنصر الواعي اذ ينقصه «الوعي» لفهم التطور الموضوعي فهماً صحيحاً ولذلك فان مجرد الكلام عن «تقدير الأهمية النسبية» (حرف التأكيد ل«راپوتشييه

* من افتتاحية العدد ١ ل«لايسكرا» . راجع مقال ليئين :
«المهمات الملحة لحركتنا» . الناشر .

ديلو») للعفوية والوعي يكشف عن انعدام «الوعي» انعداماً تاماً فلتن كان الوعي الانساني يستطيع بوجه عام فهم بعض «عناصر التطور العفوية» فان عدم تقديرها على الوجه الصحيح يعادل «التقليل من اهمية عنصر الوعي» اما اذا كان الوعي عاجزاً عن فهمها فنحن اذن لا نعرفها وليس بوسعنا ان نتكلم عنها فعم يتكلم اذن ، ب كريتشيفسكي ؟ اذا كان يعتبر «المشاريع الذاتية» التي وضعتها «الايسكرا» مغلوبة (وهو يعلنها على وجه الدقة ، مغلوبة) فقد كان عليه ان يبرز ما تغفله هذه المشاريع بالضبط من الوقائع الموضوعية وان يتهم «الايسكرا» لهذا الاغفال بعدم كفاية الوعي ب«التقليل من اهمية عنصر الوعي» اذا استعملنا تعابيره اما اذا كان غير راض عن المشاريع الذاتية ولا توجد لديه براهين غير الكلام من «التقليل من اهمية العنصر العفوي» (!!) فهو لا يفعل اكثر من ان يبرهن بذلك انه (١) من الناحية النظرية يفهم الماركسية *à la* * كارييف وميخايلوفسكي واضرابهما الذين سخر منهم بلتوف (٦٥) بما فيه الكفاية وانه (٢) من الناحية العملية راض كل الرضى عن «عناصر التطور العفوية» التي ساقطت ماركسينا العلنيين الى البرنشتينيين واشتراكيينا-الديموقراطيين الى «الاقتصادية» وانه «مغيظ حائق» على الناس المصممين على صرف الاشتراكية-الديموقراطية الروسية عن طريق التطور «العفوي» مهما كلفهم الامر

وتأتي بعد ذلك اشياء مسلية جداً «كما ان الناس سيستمرون في التكاثر على طريقة الاجداد بالرغم من كل النجاحات التي توصلت اليها العلوم الطبيعية كذلك فان ولادة نظام اجتماعي جديد - بالرغم من كل نجاحات العلوم الاجتماعية ونمو

* - على نمط . - بالفرنسية في النص الاصيل . الناشر .

المناضلين الواعين - ستظل في المستقبل ايضاً وبالدرجة الاولى نتيجة للانفجارات العفوية» (ص ١٩) وكما جاء في حكمة الاجداد من ذا الذي نقصه العقل من اجل ان ينجب اطفالا كذلك يقول «الاشتراكيون المحدثون» (à la نرسييس توبوريلوف (٦٦)) في حكمتهم لن ينقص احد العقل من اجل الاشتراك في ولادة عفوية لنظام اجتماعي جديد ونحن نعتقد ايضاً ان احداً لن ينقصه العقل فلمثل هذا الاشتراك حسب المرء ان يستسلم «للاقتصادية» عندما تسود «الاقتصادية» وان يستسلم للارهابية عندما تنشأ الارهابية وهكذا في ربيع هذه السنة عندما كان من الهام جداً التحذير من الولع بالارهاب وقفت «رابوتشيه ديلاو» وقفة الحائر امام مسألة «جديدة» بالنسبة اليها والآن ، بعد مضي نصف سنة ، عندما فقدت المسألة حدتها تقدم لنا في وقت معاً تصريحاً : «نحن نعتقد ان مهمة الاشتراكية-الديموقراطية لا يمكن ولا ينبغي ان تكون الوقوف في وجه تعاطف الميول الارهابية» («رابوتشيه ديلاو» ، العدد ١٠ ، ص ٢٣) وقرار المؤتمر «يعتقد المؤتمر ان الارهاب الهجومي المنتظم ليس في حينه» («مؤتمران» ص ١٨) يا له من وضوح ومن ترابط لا نقف في وجهه ولكننا نعلن انه ليس في حينه - ونعلن بشكل يجعل «القرار» لا يشمل الارهاب الدفاعي وغير المنتظم ولا بد من الاعتراف بان هذا القرار لا ينطوي على اي خطر وهو معصوم من كل خطأ كما يعصم من الخطأ من يتكلم لكي لا يقول شيئاً ولوضع مثل هذا القرار لا يحتاج المرء الا الامر واحد ان يحسن التمسك بليل الحركة وعندما سخرت «الايسكرا» من اعلان «رابوتشيه ديلاو» مسألة الارهاب مسألة جديدة * غضبت آنئذ «رابوتشيه ديلاو» وهاجمت «الايسكرا»

* راجع مقال لينين : «بم نبدأ ؟» . الناشر .

متهمة اياها قائلة «ان «الايسكرا» تطمح بصورة لا يتصورها العقل في ان تفرض على المنظمة الحزبية حلاً لمسائل تكتيكية وضعه فريق من الكتاب المهاجرين منذ خمس عشرة سنة ونيف» (ص ٢٤) ويا له ، في الحقيقة ، من ادعاء ، يا له من غلو في عنصر الوعي حل المسائل سلفاً من الناحية النظرية لكيما يصار فيما بعد اقناع المنظمة والحزب والجماهير بصحة هذا الحل * وكم يختلف الحال اذا اقتصر المرء على اجترار اشياء سبق قولها وعلى الخضوع لكل «انعطاف» سواء في اتجاه «الاقتصادية» او في اتجاه الارهابية دون فرض اي شيء على احد ولا تحجم «رابوتشييه ديلو» حتى عن تعميم هذه الوصية العظمية لحكمة الحياة وتتهم «الايسكرا» و«زاريا» بانهما «تعارضان الحركة ببرنامجهما بوصفه روحاً تحوم فوق هيوولي لا صورة لها» (ص ٢٩) فبم يتلخص اذن دور الاشتراكية-الديموقراطية ان لم يتلخص في ان تكون «روحاً» لا تحوم فوق الحركة العفوية وحسب بل ترفع هذه الحركة الى مستوى «برنامجهما» ؟ لا يمكنه على كل حال ان يتلخص في الانجرار في ذيل الحركة فهو امر في احسن الحالات لا يفيد الحركة بشيء وفي ارداد الحالات يسبب لها اكبر الضرر اما «رابوتشييه ديلو» فانها لا تكتفي بالسير على هذا «التكتيك-الحركة» بل تجعل منه مبدأ بحيث يصبح الوصف الاصح لاتجاهاتها لا الانتهازية بل الديلية (من كلمة الذيل) ولا بد من الاعتراف بان الناس المصممين كل التصميم على السير دائماً وأبداً خلف الحركة بصفة ذيل لها يأمنون على انفسهم بصورة اكيدة والى الابد من «التقليل من اهمية عنصر التطور العفوي»

* ولا ينبغي ان ننسى كذلك ان فرقة «تحرير العمل» بحلها «نظرياً» مسألة الارهاب قد لخصت تجربة الحركة الثورية السابقة .

* * *

وهكذا يتضح لنا ان الخطأ الاساسي الذي يقترفه «الاتجاه الجديد» في الاشتراكية-الديموقراطية الروسية هو تقديس العفوية هو عدم فهمه ان عفوية الجماهير تتطلب منا نحن الاشتراكيين-الديموقراطيين قدراً كبيراً من الوعي وكلما ارتفع نهوض الجماهير العفوي واتسعت الحركة كلما ازدادت باسرع بما لا يقاس الحاجة الى قدر كبير من الوعي في عمل الاشتراكية-الديموقراطية النظري والسياسي والتنظيمي

وقد جرى نهوض الجماهير العفوي في روسيا (وما يزال يجري) بسرعة ظهرت معها الشببية الاشتراكية-الديموقراطية غير مستعدة للقيام بهذه المهام العظمى وعدم الاستعداد هذا هو مصيبتنا العامة ، مصيبة جميع الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس لقد تعاضم نهوض الجماهير واتسع باستمرار واطراد ، وهو فضلاً عن انه لم يتوقف في الاماكن التي بدأ فيها اخذ يشمل مناطق جديدة وفئات جديدة من السكان (فتحت تأثير حركة العمال ، اشدت الغليان بين الطلاب والمثقفين بوجه عام وحتى بين الفلاحين) اما الثوريون فقد تاخروا عن هذا النهوض «نظريات»هم وبنشاطهم ولم يفلحوا في تشكيل منظمة دائمة تعمل دون انقطاع وقادرة على قيادة الحركة بكاملها

لقد اشرنا في الفصل الاول الى ان «رابوتشييه ديلو» قد حطت من مهامنا النظرية ورددت «عفويا» الشعار الشائع - «حرية النقد» ان الذين رددوا هذا الشعار لم يتحلوا بما يكفي من «الوعي» لأن يفهموا التضاد التام بين موقف «النقاد» الانتهازيين وموقف الثوريين في المانيا وفي روسيا

وفي الفصول التالية سنبين كيف تجل تقديس العفوية هذا في نشاط الاشتراكية-الديموقراطية التنظيمي وفي مهامها السياسية .

٣

السياسة التريديونونية والسياسة الاشتراكية-الديموقراطية

لنبدأ مرة أخرى بامتداح «رابوتشيه ديلو» لقد نشر مارتينوف في العدد ١٠ من «رابوتشيه ديلو» مقالا عن الخلافات مع «الايسكرا» بعنوان «ادب التشهير والنضال البروليتاري» وقد صاغ جوهر هذه الخلافات بقوله «لا يمكننا ان نقتصر على مجرد التشهير بالاوضاع التي تعترض طريق تطوره (تطور حزب العمال) بل ينبغي علينا ان نستجيب كذلك لمصالح البروليتاريا العاجلة والراهنة» (ص ٦٣) «الايسكرا» هي في الواقع جريدة للمعارضة الثورية تشهر باوضاعنا والسياسية منها بصورة رئيسية اما نحن فنعمل وسنعمل لقضية العمال على صلة عضوية وثيقة با لنضال البروليتاري» (نفس المصدر) لا يسعنا الا ان نعرب لمارتينوف عن الامتنان لصيغته هذه فهي تكتسب اهمية عامة كبرى لانها في الجوهر لا تشمل خلافاتنا مع «رابوتشيه ديلو» وحسب بل تشمل بوجه عام جميع الخلافات القائمة بيننا وبين «الاقتصاديين» بصدد مسألة النضال السياسي لقد بينا فيما سبق ان «الاقتصاديين» لا ينكرون «السياسة» انكاراً مطلقاً ولكنهم ينزلقون على الدوام من المفهوم الاشتراكي-الديموقراطي عن السياسة الى المفهوم التريديونوني وبالصورة نفسها ينزلق مارتينوف ولذلك نريد نحن ان نأخذ هو بالذات نموذجاً لاخطاء «الاقتصادية» في هذه المسألة وسنسعى لكي نبين انه لن يحق لا لواضعي «الملحق الخاص ل«رابوتشاياميسل»» ولا لواضعي بيان «جماعة التحرير الذاتي» ولا لواضعي الرسالة «الاقتصادية» المنشورة في العدد ١٢ من «الايسكرا» ان يلومونا لهذا الاختيار .

١) التحريف السياسي وتضييق الاقتصاديين له

يعلم الجميع ان اتساع نضال العمال الروس الاقتصادي * واشتداده قد سارا جنباً الى جنب مع نشوء «ادب» التشهير الاقتصادي (الذي يتناول حياة المعامل والحياة المهنية) فالموضوع الرئيسي في «المناشير» كان التشهير بالاوضاع السائدة في المعامل وسرعان ما ظهر بين العمال شغف حقيقي بالتشهير وما ان رأى العمال حلقات الاشتراكيين-الديموقراطيين تريد وتستطيع ان تقدم لهم نوعاً جديداً من مناشير تقول الحقيقة كاملة عن حياتهم البائسة وعن عملهم المرهق الى حد لا يطاق وعن حرمانهم من كل حق حتى اخذوا يمطرون الرسائل ان جاز التعبير من المعامل والمصانع وقد كان هذا «الادب التشهيري» يحدث صدى عظيماً لا يقتصر على المصنع الذي يشهر هذا المنشور او ذاك باوضاعه بل يتعداه الى جميع المعامل التي تبلغها اصداء الوقائع المشهر بها ونظراً لوجود سمات كثيرة مشتركة بين احتياجات العمال ونكباتهم في مختلف المعامل والمهن كانت «الحقيقة عن الحياة العمالية» تفتن لب الجميع وقد نما بين اكثر العمال تأخراً شغف حقيقي ب«طبع بنات افكارهم»، وهو شغف نبيل بشكل جنيني من اشكال الحرب ضد النظام الاجتماعي الراهن كله القائم على النهب والظلم وفي معظم الحالات كانت هذه «المناشير» في الواقع اعلاناً للحرب لأن التشهير كان يثير العمال بشدة

* نلاحظ دفعاً للالتباس اتنا فيما يأتي من البحث نفهم على الدوام من النضال الاقتصادي (حسب التعبير الشائع عندنا) «النضال الاقتصادي العملي» الذي دعاه انجلس في الفقرة التي اثبتناها اعلاه بمقاومة الرأسماليين» والذي يسمى في البلدان الحرة بالنضال المهني او النقابي او التريديونيوني .

ويدفعهم الى المطالبة المشتركة بازالة المظالم الفظيعة ويجعلهم على استعداد لدعم مطالبهم هذه بالاضرابات وقد اضطر اصحاب المصانع انفسهم في نهاية الامر الى ان يروا في هذه المناشير اعلاناً للحرب بحيث افقدتهم في الكثير من الحلقات الرغبة في انتظار الحرب نفسها وكان التشهير كما هو الحال دائماً يكتسب قوته لمجرد ظهوره ويحز اهمية ضغط معنوي كبير فقد حدث غير مرة ان كان مجرد ظهور المنشور كافياً لتلبية جميع المطالب او بعضها وبكلمة ، لقد كان التشهير الاقتصادي (المعملي) وما يزال وسيلة هامة للنضال الاقتصادي وسيحتفظ بأهميته هذه ما بقيت الرأسمالية التي تدفع العمال بالضرورة الى الدفاع عن انفسهم ففي ارقى البلدان الاوروبية يحدث حتى الآن ان يكون التشهير بظروف عمل فظيعة في «مهنة» متلاشية او في اي فرع من فروع العمل المنزلي لا يسترعي انتباه احد حافزاً ليقظة الوعي الطبقي ولبدء النضال المهني وانتشار الاشتراكية *

* نحن نتكلم في هذا الفصل عن النضال السياسي وحده وعن فهمه بهذه الدرجة او تلك من الاتساع ولذلك لن نتناول الا في معرض الحديث وكأمر طريف ، اتهام ورايوتشيه ديلو و«لايسكرا» وبالافراط في التحفظ» حيال النضال الاقتصادي («مؤتمران» ، ص ٢٧ ، وقد اجتره مارتينوف في كراسه «الاشتراكية-الديموقراطية والطبقة العاملة») ولو قاس السادة اصحاب الاتهام ، بالارطال او بالملازم (كما يجب ان يفعلوا) ، باب النضال الاقتصادي في «اليسكرا» خلال سنة وقانونه بهذا الباب في ورايوتشيه ديلو و«رايوتشاياميسل» مجتمعين ، لاتضح لهم بسهولة ان كفتهم هي الخاسرة حتى في هذا الحقل ايضاً والظاهر ان فهمهم لهذه الحقيقة البسيطة يحملهم على اللجوء الى حجج تكشف بوضوح عن حيرتهم فهم يكتبون وان «اليسكرا» مضطرة (!) طوعاً او كرها (!) ان تأخذ بعين الاعتبار متطلبات الحياة التي تفرض نفسها وان تنشر على الاقل (!!) رسائل عن حركة العمال («مؤتمران» ، ص ٢٧) . انها وايم الحق حجة قصمت ظهورنا !

ان الاكثرية الكبرى من الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس كانت في الآونة الاخيرة منصرفه بكليتها تقريبا الى تنظيم عمل التشهير هذا في المعامل وحسبنا ان نتذكر «رابوتشايا ميسل» لكيما نرى الى اي حد بلغ انصرافهم هذا فقد نسوا ان هذا النشاط بعد ذاته ليس بعد من حيث الاساس نشاطا اشتراكيا-ديموقراطيا بل نشاط تريديونيوني فقط فالتشهير لم يشمل في الجوهر غير العلاقات بين العمال واصحاب العمل في مهنة معينة ، ولم يسفر الا عن نتيجة واحدة ، وهي ان الذين يبيعون قوة عملهم قد تعلموا كيف يبيعون هذه «البضاعة» بفائدة اكبر وكيف يناضلون ضد المشتري على صعيد المساومة التجارية-الصرف وكان بالامكان ان يصبح هذا التشهير (شريطة ان تستفيد منه منظمة الثورين بصورة ملائمة) نقطة انطلاق للنشاط الاشتراكي-الديموقراطي وجزءا منه لا يتجزأ ولكنه كان بالامكان ايضا ان يؤدي (وفي ظروف تقديس العفوية يؤدي لا محالة) الى النضال «المهني فقط» والى حركة عمالية غير اشتراكية-ديموقراطية فالاشتراكية-الديموقراطية لا تقود نضال الطبقة العاملة في سبيل شروط افضل لبيع قوة العمل وحسب بل كذلك في سبيل القضاء على النظام الاجتماعي الذي يرغم المعدمين على بيع انفسهم الى الاغنياء ان الاشتراكية-الديموقراطية تمثل الطبقة العاملة لا في علاقاتها مع فئة معينة من اصحاب الاعمال وحسب ، بل ايضا في علاقاتها مع جميع الطبقات في المجتمع الراهن ومع الدولة بوصفها قوة سياسية منظمة يتضح من ذلك ان الاشتراكيين-الديموقراطيين فضلا عن انهم لا يستطيعون الاقتصار على النضال الاقتصادي لا يمكنهم ايضا ان يسمحوا بان يستغرق تنظيم التشهير الاقتصادي القسم الاكبر من نشاطهم يجب علينا ان نعمل بنشاط على تربية الطبقة العاملة سياسيا على تنمية وعيها السياسي والآن ، بعد اول هجوم تشنه زاريا» و«الايسكرا» على «الاقتصادية» «يوافق الجميع» على ذلك (وان كانت موافقة البعض لا تتعدى القول كما سنرى الآن) .

قد يسأل سائل بم ينبغي ان تتلخص التربية السياسية ؟ هل يمكن الاقتصار على الدعاية الى فكرة عداة الطبقة العاملة للحكم المطلق ؟ كلا ، طبعاً فليس يكفي ان نعين للعمال ما يحق بهم من ظلم سياسي (كما لم يكن كافياً ان نعين لهم التضاد بين مصالحهم ومصالح اصحاب العمل) ان من الضروري ان نقوم بالتحريض بصدد كل مظهر ملموس من مظاهر هذا الظلم (كما كنا نتناول بتحريضنا مظاهر الظلم الاقتصادي الملموسة) ولما كان هذا الظلم يمس شتى طبقات المجتمع على اختلافها ، ولما كان يتجلى في مختلف ميادين الحياة والنشاط - المهنية والعامة والخاصة والعائلية والدينية والعلمية الخ الخ فليس من الواضح اننا لن نقوم بمهمتنا ، مهمة انماء وعي العمال السياسي ان لم نأخذ على عاتقنا امر تنظيم التشهير بالحكم المطلق تشهيراً سياسياً شاملاً ؟ ذلك لاننا اذا كنا نريد ان يتناول تحريضنا هذا الظلم في مظاهره الملموسة فينبغي فضح هذه المظاهر (كما ان التحريض الاقتصادي كان يقتضي فضح الفئات في المعامل) ؟

الامر واضح كما يبدو ولكن يبدو هنا بالذات ان ضرورة تطوير الوعي السياسي من كل النواحي لا يقرها «الجميع» الا بالقول وهنا بالذات يظهر ان «رابوتشييه ديلو» مثلاً عدا انها لم تأخذ على عاتقها مهمة تنظيم (او المبادرة الى تنظيم) التشهير السياسي الشامل ، اخذت تجر الى الوراء «الايسكر» التي بادرت الى القيام بهذه المهمة اسمعوا هذا «ان نضال الطبقة العاملة السياسي لا يعدو ان يكون» (وفي الحقيقة يعدو ان يكون) «الشكل الاكثر تطوراً وسعة وفاعلية للنضال الاقتصادي» (برنامج «رابوتشييه ديلو» «رابوتشييه ديلو» العدد ١ ص ٣) «تواجه الاشتراكيين-الديموقراطيين الآن المهمة التالية : كيف

نضفي على النضال الاقتصادي نفسه بقدر الامكان طابعاً سياسياً» (مارتينوف في العدد ١٠ ص ٤٢) «النضال الاقتصادي هو الوسيلة التي يمكن استعمالها باوسع شكل لجذب الجماهير الى النضال السياسي النشيط» (قرار مؤتمر «الاتحاد» (٦٧) و«التعديلات» «مؤتمران» ص ١١ و١٧) ان «رابوتشييه ديلو» كما يرى القارى زاخرة بكل هذه الافكار منذ نشوئها حتى «التعليمات» الاخيرة «الى هيئة التحرير» وجميعها تعرب كما هو ظاهر عن نظرة واحدة الى التحريض والنضال السياسيين انظروا الى وجهة النظر هذه من زاوية الرأي السائد لدى جميع «الاقتصاديين» والقائل انه ينبغي للتحريض السياسي ان يتبع التحريض الاقتصادي فهل صحيح ان النضال الاقتصادي هو بوجه عام * «الوسيلة التي يمكن استعمالها باوسع شكل» لجذب الجماهير الى النضال السياسي ؟ كلا ليس هذا بصحيح على الاطلاق ان جميع مظاهر الاضطهاد البوليسي والظلم الاستبدادي بشتى اشكالها لا المظاهر المرتبطة بالنضال الاقتصادي وحده هي وسيلة لمثل هذا «الجذب يمكن استعمالها» بشكل ليس اقل سعة على الاطلاق ان «الزيمسكييه

* نقول «بوجه عام» لأن «رابوتشييه ديلو» يتحدث بالضبط عن المبادئ العامة والمهام العامة للحزب باكملة ولا شك في ان هناك حالات في الواقع يفرض فيها للسياسة ان تتبع فعلا الاقتصاد ولكن ليس من احد غير «الاقتصاديين» يمكنه ان يتحدث عن ذلك في قرار. معد لروسيا كلها فهناك كذلك حالات يمكن فيها «منذ البدء» القيام بتحريض سياسي وعلى الصعيد الاقتصادي وحده ، ومع ذلك وصل تفكير «رابوتشييه ديلو» بها في نهاية الامر الى حد الفهم بانه «لا ضرورة لاطلاق» لذلك («مؤتمران» ، ص ١١) وسنظهر في الفصل التالي ان تكتيك «السياسيين» والثوريين لا يفغل المهام التريديونيوية القائمة امام الاشتراكية-الديموقراطية ، وليس هذا وحسب ، بل انه ، بالعكس ، التكتيك الوحيد الذي يفهم تحقيق هذه المهام باستمرار .

ناتشالنيكي» (٦٨) والقصاص الجسدي بالفلاحين وارتشاء الموظفين ، ومعاملة الشرطة «للعامّة» في المدن ومكافحة الجوع وقمع مساعي الشعب الى النور والمعرفة والتفنن في جباية الضرائب ، وملاحقة الشيع الدينية وترويض الجنود ومعاملة الطلاب والمثقفين الليبيراليين معاملة الجنود - ان جميع هذه المظاهر والألوف الأخرى من مظاهر الاضطهاد المشابهة غير المرتبطة ارتباطاً مباشراً بالنضال «الاقتصادي» لماذا ينبغي ان تعتبر بوجه عام وسائل ومناسبات للتحريض السياسي ولجذب الجماهير الى النضال السياسي «ذات امكانيات للاستعمال» اقل سعة ؟ الصحيح هو العكس تماما فحالات الاضطهاد البوليسي الناشئة عن النضال المهني بالضبط ليست دون شك غير قلة قليلة من مجموع حالات الحياة التي يتألم فيها العامل (لنفسه او لقريبه) من الاستبداد والطغيان والعنف . فلماذا اذن تضيق سلفاً اطار التحريض السياسي ونصف بـ«امكان الاستعمال على اوسع شكل» وسيلة واحدة من وسائله ينبغي ان توجد الى جانبها - بالنسبة للاشتراكسي-الديموقراطي - وسائل اخرى «ذات امكانيات للاستعمال» ليست عموماً بأقل سعة ؟

لقد كتبت «رابوتشييه ديبلو» منذ عهد بعيد (منذ سنة خلت ! .) «ان المطالب السياسية المباشرة تصبح في متناول فهم الجماهير بعد اضراب واحد او بعد بضعة اضرابات على الاكثر» ، «ان تستخدم الحكومة الشرطة والدرك» (العدد ٧ ص ١٥ آب - اغسطس - سنة ١٩٠٠) ان نظرية المراحل الانتهازية هذه قد رفضت الآن من قبل «الاتحاد» الذي يتنازل امامنا معلناً انه «لا ضرورة اطلاقاً للقيام منذ البدء بالتحريض السياسي على الصعيد الاقتصادي وحده» («مؤتمران» ، ص ١١) ان هذا الانكار وحده من قبل «الاتحاد» لقسم من اخطائه السابقة سيبين لمؤرخ

الاشتراكية-الديموقراطية الروسية المقبل بصورة اوضح من كل الشروح المطولة الى اي درك من الانحطاط دفع «اقتصاديوننا» الاشتراكية ولكن اية سذاجة يبديها «الاتحاد» اذ يتصور انه بتنازله عن شكل من اشكال تضيق السياسة يحملنا على القبول بشكل آخر من اشكال تضيقها ألا نكون اقرب الى المنطق اذا قلنا هنا ايضاً انه ينبغي القيام بالنضال الاقتصادي على اوسع وجه ممكن وانه ينبغي الاستفادة منه على الدوام للتحريض السياسي ولكن «لا ضرورة اطلاقاً» لاعتبار النضال الاقتصادي الوسيلة التي يمكن استعمالها بأوسع شكل لجذب الجماهير الى النضال السياسي النشيط ؟

ان «الاتحاد» يرى اهمية في ما اقدم عليه من الاستعاضة عن تعبير «افضل وسيلة» الوارد في القرار المعني من قرارات المؤتمر الرابع لاتحاد العمال اليهود (البوند) (٦٩) بتعبير «الوسيلة التي يمكن استعمالها بأوسع شكل» ونحن في الحقيقة نجد انفسنا في موقف حرج لو طلب الينا ان نقول اي القرارين افضل فان القرارين في رأينا هما كلاهما من اردأما يكون «الاتحاد» والبوند ينزلقان هنا (وربما كان ذلك جزئياً عن غير وعي ، تحت تأثير العادة) الى التأويل الاقتصادي التريديونيوني للسياسة ولا يتغير شيء في فحوى الامر اذا تم ذلك بواسطة كلمة «افضل» او تعبير «يمكن استعمالها بأوسع شكل» ولو قال «الاتحاد» ان «التحريض السياسي على الصعيد الاقتصادي» هو الوسيلة التي تستخدم (لا التي يمكن استعمالها) بأوسع شكل لكان على حق بالنسبة لمرحلة معينة في تطور حركتنا الاشتراكية-الديموقراطية ولكن على حق بالضبط حيال «الاقتصاديين» حيال الكثيرين (ان لم نقل الاكثريه) من المشتغلين في الميدان العملي في سنوات ١٨٩٨-١٩٠١ ، لأن هؤلاء «الاقتصاديين» المشتغلين في الميدان العملي

قد استخدموا في الواقع التحريض السياسي (هذا اذا كانوا يستخدمونه بوجه عام!) على الصعيد الاقتصادي وحده تقريبا وقد رأينا ان «رابوتشايا ميسل» و«جماعة التحرير الذاتي» قد اعترفتا بل اوصتا بتحريض سياسي من هذا النوع وقد كان على «رابوتشيه ديلا» ان تشجب بعزم كون التحريض الاقتصادي المفيد يرافقه تضيق مضر للنضال السياسي ولكنها اعلنت بدلا من ذلك ان الوسيلة المستخدمة باوسع شكل (من قبل «الاقتصاديين») هي الوسيلة التي يمكن استخدامها باوسع شكل ولا مجال للاستغراب اذا لم يجد هؤلاء الناس من سبيل عندما ندعوهم «بالاقتصاديين» الا ان يصمونا باقبح النعوت من نوع «المشعوذين» و«المخربين» و«سفراء البابا» و«المفترين» * وان يشكوا امام الجميع وامام كل بمفرده مدعين اننا وجعنا لهم اهانة دامية وان يصرخوا على نمط من يقسم بالايمان المغلظة «لا توجد اليوم اية منظمة اشتراكية-ديموقراطية مذنبة «بالاقتصادية»» * * يا لهؤلاء المفترين الاشرار-الساسة ألا يحتمل ان يكونوا قد اخترعوا «الاقتصادية» كلها اختراعاً لكي يوجهوا الى الناس الاهانات الدامية لا لشيء الا لحقدهم على البشر؟

ما هو بلسان مارتينوف المعنى الواقعي الملموس للمهمة التي يضعها امام الاشتراكية-الديموقراطية «اضفاء الطابع السياسي على النضال الاقتصادي نفسه»؟ ان النضال الاقتصادي هو نضال العمال الجماعي ضد

* نفس التعابير الواردة في كراس «مؤتمران» ، صص ٣١، ٣٢،

اصحاب العمل بغية بيع قوة العمل بشروط مفيدة بغية تحسين ظروف عمل العمال وظروف حياتهم وهذا النضال هو بالضرورة نضال مهني لأن ظروف العمل تختلف اختلافاً كبيراً باختلاف المهن ولذا لا يمكن للنضال بغية تحسين هذه الظروف ان يجري الا تبعاً للمهن (النقابات في الغرب والاتحادات المهنية الموقته والمناشير في روسيا الخ .) اذن ان اعضاء «الطابع السياسي على النضال الاقتصادي نفسه» يعني السعي الى تحقيق المطالب المهنية نفسها والى التحسين نفسه في ظروف العمل المهنية بواسطة «اجراءات تشريعية وادارية» (كما يقول مارتينوف في الصفحة التالية من مقاله الصفحة ٤٣) وهذا بالذات ما تقوم به وما قامت به على الدوام جميع نقابات العمال تصفحوا مؤلف العالمين الرصينين (والانتهازين «الرصينين») الزوجين ويب تروا ان نقابات العمال الانكليزية قد وعت وراحت تنفذ منذ عهد جد بعيد مهمة «اضفاء الطابع السياسي على النضال الاقتصادي نفسه» وانها تناضل منذ عهد جد بعيد في سبيل حرية الاضراب ، في سبيل ازالة شتى اشكال العقبات الحقوقية القائمة في وجه الحركة التعاونية والنقابية في سبيل اصدار قوانين لحماية النساء والاطفال في سبيل تحسين ظروف العمل بواسطة التشريع الصحي والصناعي الخ

وهكذا ان هذه العبارة الطنانة «الرهيبة» بدويها العميق والثوري «اضفاء الطابع السياسي على النضال الاقتصادي نفسه» ، تخفي وراءها في الواقع النزوع التقليدي الى الهبوط بالسياسة الاشتراكية- الديمقراطية حتى مستوى السياسة التريديونيونية ! فبذريعة اصلاح ضيق افق «الايسكر» التي تعتبر - ويا للهول - «بث الروح الثورية في العقائد اعلى شأناً من

بنها في الحياة» يعرضون علينا النضال من أجل الإصلاحات الاقتصادية على انه شيء جديد والواقع ان عبارة «اضفاء الطابع السياسي على النضال الاقتصادي نفسه» خالية من كل شيء عدا النضال في سبيل الإصلاحات الاقتصادية وكان بوسع مارتينوف ان يصل بنفسه الى هذا الاستنتاج البسيط لو اعمل الفكر قليلاً في معنى كلماته فقد قال موجهاً مدفعيته الثقيلة الى «الايسكرا» «ان حزبنا يمكنه ويجب عليه ان يطالب الحكومة باجراءات تشريعية وادارية ملموسة ضد الاستثمار الاقتصادي ضد البطالة وضد الجوع الخ (صص ٤٢-٤٣ من «رابوتشييه ديلو» العدد ١٠) المطالبة باجراءات ملموسة - ألا يعني ذلك المطالبة بالإصلاحات الاجتماعية؟ وها نحن نسأل مرة أخرى القراء المنصفين أنفتري على «الرابوتشييه ديلووين» (وارجو المعذرة على هذا التعبير الفظ الشائع!) اذا وصفناهم ببرنشتينيين مستترين عندما يعلنون ان خلافاتهم مع «الايسكرا» تدور حول ضرورة النضال في سبيل الإصلاحات الاقتصادية؟

ان الاشتراكية-الديموقراطية الثورية قد ضمنت نشاطها وتضمنه على الدوام النضال من أجل الإصلاحات ولكنها تستخدم التحريض «الاقتصادي» لا لمطالبته الحكومة بمختلف الاجراءات وحسب بل لمطالبتها كذلك (وقبل كل شيء) بان تكف عن ان

* «رابوتشييه ديلو» ، العدد ١٠ ، ص ٦٠ انها طريقة مارتينوف لتطبيق صيغة «كل خطوة تخطوها الحركة الفعلية هي اهم من دستة من البرامج» على وضع حركتنا الحالي الهيوولي ، الامر الذي وصفناه من قبل والواقع ان هذه العبارة ليست في الجوهر غير الترجمة الروسية لعبارة برنشتين السيئة الصيت : «الحركة هي كل شيء» ، الهدف النهائي هو لا شيء» .

تكون حكومة استبدادية وهي عدا ذلك ترى من واجبها ان تقدم للحكومة هذا الطلب لا على صعيد النضال الاقتصادي وحسب بل كذلك على صعيد جميع مظاهر الحياة السياسية الاجتماعية بوجه عام انها بكلمة تخضع النضال من اجل الاصلاحات بوصفه جزءا من كل للنضال الثوري من اجل الحرية ومن اجل الاشتراكية اما مارتينوف فيبعث نظرية المراحل بشكل آخر محاولاً ان يحصر تطور النضال السياسي في طريق ان جاز القول اقتصادي بكل تأكيد انه اذ ينادى في مرحلة النهوض الثوري بالنضال من اجل الاصلاحات على انه «مهمة» خاصة كما يزعم يجر بذلك الحزب الى الورا ويسانع الانتهازية «الاقتصادية» والانتهازية الليبرالية على حد سواء

ثم ان مارتينوف بعد ان ستر بحيان النضال من اجل الاصلاحات بالصيغة الطنانة «اضفاء الطابع السياسي على النضال الاقتصادي نفسه» وضع في المقام الاول وكشى خاص الاصلاحات الاقتصادية وحدها (وحتى الاصلاحات في داخل المعامل وحدها) ونحن لا ندري لماذا فعل ذلك ترى أعن سهو ؟ ولكنه ان كان لم يقصد الاصلاحات «المعملية» وحدها فان كل صيفته التي ذكرناها للتو تفقد عندئذ كل معنى او لعله فعل ذلك لانه يعتقد ان الحكومة لا يمكن ولا يحتمل ان «تتنازل» الا في الميدان الاقتصادي وحده ؟ * ولئن كان الامر كذلك فهذا ضلال غريب فالتنازلات محتملة وتحدث ايضا في ميادين التشريع الذي يتناول السياط والجوازات والتعويضات عن شراء الاراضى (٧٠) والشيع

* ص ٤٣ «اذا اوصينا العمال بان يتقدموا الى الحكومة ببعض المطالب الاقتصادية ، فانما نفعل ذلك طبعاً لأن الحكومة الاستبدادية مضطرة بالضرورة الى القبول ببعض التنازلات في الميدان الاقتصادي» .

الدينية والرقابة الخ وهلم جرا وواضح ان التنازلات «الاقتصادية» (او التنازلات الكاذبة) هي الاهون على الحكومة والاكثر فائدة لها لأن الحكومة تأمل ان تكسب بذلك ثقة جماهير العمال ولهذا بالذات لا ينبغي لنا نحن الاشتراكيين-الديموقراطيين ان نفسح باي شكل من الاشكال اي مجال للاعتقاد (او للتوهم) بان الاصلاحات الاقتصادية هي الاغلى على قلوبنا او اننا نعتبرها الاهم الخ يقول مارتينوف متحدثاً عن الاجراءات التشريعية والادارية الملموسة التي تقدم بها اعلاه «ان مثل هذه المطالب لا تبقى كلاماً فارغاً لانها اذ تبعث الامل بنتائج حسية معينة يمكن ان تجد التأييد النشط لدى جماهير العمال»

نحن لسنا «باقتصاديين» نستغفر الله كل ما في الامر اننا نزحف امام «حسية» النتائج الملموسة بمثل خنوع السادة برنشتين وبروكوبوفيتش وستروفه ورم و *tutti quanti* * كل ما في الامر اننا نلمح (مع نارسيس توبوريلوف) الى ان كل ما لا «يبعث الامل بنتائج حسية» هو «كلام فارغ» ! كل ما في الامر اننا نفسح بشكل يبدو منه وكان جماهير العمال ليست اهلاً (وانها بالرغم من جميع الذين يلقون عليها تفاهاتهم لم تبرهن على انها اهل) لأن تؤيد بنشاط كل احتجاج على الحكم المطلق حتى الاحتجاج الذي لا يبعث فيها اي امل بنتائج حسية !

حسبنا ان نضرب الامثلة التي ذكرها مارتينوف نفسه عن «الاجراءات» ضد البطالة والمجاعة فبينما انهمكت «رابوتشييه ديبلو» كما يؤخذ من وعداها في وضع وتحضير «مطالب لاجراءات تشريعية وادارية ملموسة» (بشكل مشاريع قوانين؟) «تبعث الامل بنتائج حسية» ، عملت «الايسكرا» التي «تفضل على الدوام بث

الروح الثورية في العقائد بدلاً من بثها في الحياة» على تبيان الصلة الوثقى التي تربط البطالة بالنظام الرأسمالي بأكمله ونبهت الى ان «المجاعة زاحفة» وشهرت بالاعمال التي تقوم بها الشرطة «لمكافحة الجياع» (٧١) وبفضاعة «الاحكام الموقته للاشغال الشاقة» (٧٢) واصدرت «زاريا» في هذا الوقت في طبعة على حدة بصفة كراس من كراسات التحريض قسما من «استعراض الوضع الداخلى» يتناول المجاعة ولكن ، رباه كم كان هؤلاء الارثوذكس المصابون بضيق الافق حتى مع العظم كم كانوا في هذه الحالات «محدودي التفكير» كم كانوا متحجرين صمًا حيال مقتضيات «الحياة نفسها» فهم لم يدرجوا في اي مقال من مقالاتهم - ويا للهول - اي مطلب - أتصورون ؟ اي «مطلب ملموس» «يبعث الاممل بنتائج حسية» يا لهم من جامدي العقيدة تعساء الا فليذهبوا وليتلمنوا على امثال كريتشيفسكى ومارتينوف كي يتعلموا ان التكتيك هو سير النمو هو سير ما ينمو الخ وانه ينبغي اضاء الطابع السياسي على النضال الاقتصادي نفسه !

«ان لنضال العمال الاقتصادي ضد اصحاب الاعمال والحكومة»

«النضال الاقتصادي ضد الحكومة» (!) عدا اهميته الثورية المباشرة اهمية اخرى تتلخص في كونه يضع العمال على الدوام امام مسألة حرمانهم من الحقوق السياسية» (مارتينوف ص ٤٤)

نحن لا نثبت هذه العبارة لكيما نكرر للمرة المئة او للمرة الالف ما سبق لنا ان قلناه بل لكيما نقم لمارتينوف بوجه خاص الشكر على هذه الصيغة الجديدة الرائعة «نضال العمال الاقتصادي ضد اصحاب الاعمال والحكومة» يا للروعة باي نبوغ لا يضارع وباية مهارة تلغى جميع الخلافات الثانوية وجميع الاختلافات في التلاوين بين «الاقتصاديين» ويفصح هنا في عبارة مقتضبة واضحة عن جوهر «الاقتصادية» كله ابتداء من

دعوة العمال الى «النضال السياسي الذي يقومون به لمصلحتهم المشتركة بغية تحسين وضع جميع العمال» * ومروراً بنظرية المراحل ثم انتهاء بقرار المؤتمر عن «الوسيلة التي يمكن استعمالها باوسع شكل» الخ ان «النضال الاقتصادي ضد الحكومة» هو بالضبط السياسة التريديونيوية البعيدة جداً ، البعيدة منتهى البعد عن السياسة الاشتراكية-الديموقراطية

ب) حكاية عن كيف مارتينوف بليخانوف

«كم ظهر عندنا في الآونة الاخيرة من امثال اللومونوسوف اشتراكيين-ديموقراطيين - هذا ما قاله ذات مرة رفيق من الرفاق مشيراً الى الميل الغريب لدى الكثيرين من الميالين الى «الاقتصادية» الى ان يكتشفوا «بعقولهم هم» الحقائق العظمى (من نوع ان النضال الاقتصادي يضع العمال امام مسألة حرمانهم من الحقوق) مغفلين في الوقت نفسه بعنجهية العباقرة الافذاذ كل ما اعطاه التطور السابق للفكرة الثورية وللحركة الثورية ومن هؤلاء الافذاذ لومونوسوف-مارتينوف القوا نظرة على مقاله «القضايا المباشرة» تروا كيف يتوصل «بعقله هو» الى ما سبق لأكسيلرود ان قاله منذ امد بعيد (والذي يصمت عنه كل الصمت طبعاً هذا اللومونوسوف) وكيف يأخذ مثلاً يفهم انه لا يمكننا ان نتجاهل روح المعارضة لدى هذه او تلك من فئات البرجوازية («رابوتشييه ديبلو» العدد ٩ ص ص ٦١ ٦٢ ٧١ قارن ذلك بـ«جواب» هيئة تحرير «رابوتشييه ديبلو» على أكسيلرود، ص ص ٢٢ ، ٢٣-٢٤) الخ . ولكنه - واحسرتاه -

* «رابوتشاييا ميسل» ، «الملحق الخاص» ، ص ١٤ .

لم يزد على ان «يتوصل» ، على ان «يأخذ» لانه ما يزال جد بعيد عن فهم افكار أكسيلرود الى حد انه يتكلم عن «النضال الاقتصادي ضد اصحاب الاعمال والحكومة» طيلة ثلاث سنوات (١٨٩٨-١٩٠١) حشدت «رابوتشييه ديبلو» قواها لفهم أكسيلرود ومع ذلك مع ذلك لم تفهمه بعد ! ولعل منشأ ذلك كون الاشتراكية-الديموقراطية «كشأن البشرية» لا تضع نصب عينيها على الدوام الا المهام الممكنة التحقيق ؟

ولكن ميزة امثال هذا اللومونوسوف لا تتلخص فقط في كونهم يجهلون اشياء كثيرة (ولو اقتصر الامر على ذلك لكانت نصف مصيبة !) بل انهم لا يعلمون انهم جاهلون ، وهذه مصيبة حقاً وهذه المصيبة تحفزهم على ان يأخذوا على الفور بـ«تعميق» بليخانوف .

يقول لومونوسوف-مارتينوف «لقد تغيرت امور كثيرة مذ كتب بليخانوف الكتاب المذكور (مهام الاشتراكيين في مكافحة المجاعة في روسيا) فالاشتراكيون-الديموقراطيون الذين قادوا نضال الطبقة العاملة الاقتصادي طيلة عشر سنوات لم يتسن لهم بعد ان يقيموا تكتيك الحزب على اساس نظري واسع اما الآن فقد نضجت هذه المسألة . واذا ما اردنا اقامة مثل هذا الاساس النظري وجب علينا ، حتماً ، ان نعمق لدرجة كبيرة تلك المبادئ التكتيكية التي طرحها بليخانوف فيما مضى يجب علينا اليوم ان نحدد الفرق بين الدعاية والتحريض بشكل يختلف عن تحديد بليخانوف» (وقد ذكر مارتينوف لتوه كلمات بليخانوف «الدعاية يعطي كثرة من الافكار لشخص او لعدد من الاشخاص ، والمعرض يعطي فكرة واحدة او بضع افكار ولكنه يعطيها بالمقابل لجمهور كبير من الاشخاص») «وبودنا ان نفهم من الدعاية الشرح الثوري للنظام الحالي باكملة او لبعض مظاهره ، سواء جرى ذلك بشكل يفهمه افراد او جمهور كبير من الناس ، فلا فرق ونفهم من التحريض بمعنى الكلمة الدقيق (كذا !) نداء الجماهير الى بعض اعمال ملموسة ، مساعدة البروليتاريا على التدخل الثوري المباشر في الحياة الاجتماعية» .

اننا نهنيء الاشتراكية-الديموقراطية الروسية - والعالمية -
 باصطلاحات جديدة مارتينوفية ، اكثر دقة وعمقاً فقد كنا نعتقد
 حتى الآن (مع بليخانوف وجميع قادة حركة العمال العالمية) ان
 الداعية ، اذا ما اخذ مثلاً مسألة البطالة نفسها ينبغي له ان
 يشرح الازمات وطبيعتها الرأسمالية وان يبين اسباب حتميتها
 في المجتمع الراهن وان يبين ضرورة تحويله الى مجتمع اشتراكي
 الخ وبكلمة ينبغي له ان يعطي «كثرة من الافكار» كثيرة لدرجة
 لا يمكن ان يستوعبها بمجموعها دفعة واحدة غير عدد من
 الاشخاص قليل (نسبياً) اما المحرض فانه اذ يتكلم عن المسألة
 نفسها يأخذ ابرز مثل يعرفه مستمعوه اكثر من غيره من الامثال ،
 لنقل مثلاً موت عائلة عامل عاطل عن العمل بسبب المجاعة او
 انتشار التسول الخ ويوجه جميع جهوده استناداً الى هذا
 الواقع الذي يعرفه الجميع لاعطاء «الجمهور» فكرة واحدة فكرة
 التناقض غير المعقول بين تزايد الغنى وتزايد الفقر باذلاً جهده
 لكي يثير في الجمهور الاستياء والسخط من هذا الظلم الفاضح
 تاركاً للداعية مهمة الشرح الكامل لهذا التناقض ولذلك يعتمد
 الداعية بالدرجة الاولى الى الكلمة المطبوعة ويعمد المحرض الى
 الكلمة الحية ولا تتطلب من الداعية الصفات نفسها التي تتطلب
 من المحرض فنحن نصف مثلاً كاوتسكي ولافارغ بانهما من الدعاة ،
 ونصف ببيل وغيد بانهما من المحرضين وما تعين ميدان ثالث
 وظيفة ثالثة للنشاط العملي وظيفة تتلخص في «نداء الجماهير
 الى بعض اعمال ملموسة» الا الحماسة الكبرى لأن «النداء» بوصفه
 عملاً على حدة إما ان يكون لا محالة التتمة الطبيعية للبحث النظري
 ولكراس الدعاية ولخطاب التحريض وإما ان يكون عملاً تنفيذياً
 صرفاً وفي الحقيقة لناخذ مثلاً نضال الاشتراكيين-الديموقراطيين
 الالمان الحالي ضد الرسوم الجمركية المفروضة على الحبوب .

النظريون يكتبون الابحاث عن السياسة الجمركية «منادين» ، مثلا الى النضال من اجل المعاهدات التجارية ومن اجل حرية التجارة والداعية يقوم بالعمل نفسه في مجلة والمحرض في خطابات امام الجمهور و«الاعمال الملموسة» التي تقوم بها الجماهير في هذه الحالة هي عبارة عن توقيع عرائض الى الريخستاغ تطالب بعدم زيادة الرسوم المفروضة على الحبوب والنداء الى هذا العمل يصدر بصورة غير مباشرة عن النظريين والدعاة والمحرضين وبصورة مباشرة عن العمال الذين يطوفون بهذه العرائض على المعامل والبيوت ويستنتج من «اصطلاحات مارتينوف» ان كلا من كاوتسكي وبيبل كليهما من الدعاة وان حاملتي العرائض من المحرضين اليس كذلك ؟

ان مثل الالمان هذا قد ذكرني بالكلمة الالمانية
 "Verballhornung" اي حرفياً «البلهرة» من كلمة بالهورن ويوحنا بالهورن ناشر عاش في القرن السادس عشر في ليبزيغ وقد قام بنشر كتاب الالفباء وفيه كالمعتاد رسوم بينها صورة ديك ولكن الديك ظهر في هذا الرسم بدون شوكتين على رجليه ومع بيضتين الى جانبه وقد اضاف الناشر على الغلاف كلمات «طبعة منقحة ليوحنا بالهورن» ومنذ ذلك الحين والالمان يصفون بالبلهرة كل «تنقيح» هو في الواقع نقيض التحسين ويتذكر المرء عفو خاطر بالهورن هذا عندما يرى كيف «يعمق» اضراب مارتينوف بليخانوف

لِمَ «اخترع» صاحبنا اللومونوسوف هذه البلبله ؟ ذلك لكيما يبين ان «الايسكر» ، «كشان بليخانوف منذ عقد ونصف من السنن لا ترى من الاشياء غير وجه واحد» (ص ٣٩) «في «الايسكر» نرى مهام المعايه تدفع الى المقام الثاني في الاونة الحاضرة على الاقل ، مهام التحريض» (ص ٥٢) . واذا ما

ترجمنا هذه العبارة الاخيرة من لغة مارتينوف الى لغة البشر (لانه لم يتسن للبشرية بعد ان تتبنى الاصطلاحات التي اكتشفها مارتينوف حديثاً) تكون النتيجة ما يلي في «الايسكرا» نرى مهام الدعاية السياسية والتحريض السياسي تدفع الى المقام الثاني مهمة «مطالبة الحكومة باجراءات تشريعية وادارية ملموسة» «تبعث الامل بنتائج حسية معينة» (او المطالبة باصلاحات اجتماعية اذا سمح لنا بان نستخدم ولو مرة اخرى الاصطلاحات القديمة للبشرية القديمة التي لم ترتفع بعد الى مستوى مارتينوف) ليقارن القارى هذه الفكرة بالقطعة البليغة التالية

«ان ما يثير استغرابنا في هذه البرامج» (برامج الاشتراكيين-الديموقراطيين الثوريين) وكونها تضع في المقام الاول على الدوام مزايا عمل العمال في البرلمان (غير الموجود عندنا) وتهمل بصورة تامة (من جراء نيهيليتها الثورية) اهمية اشتراك العمال في المجالس التشريعية لارباب المعامل ، المختصة بشؤون المعامل ، وهي موجودة عندنا او على الاقل اشتراك العمال في المجالس البلدية

ان وازع هذه القطعة البليغة يعرب بصورة اقرب الى الصراحة والوضوح والجلء عن نفس الفكرة التي توصل اليها لومونوسوف-مارتينوف بعقله هو وواضع هذه القطعة البليغة هو ر م في «الملحق الخاص لـ«رابوتشايا ميسل»» (ص ١٥)

ج) التشهير السياسي و«تربية النشاط الثوري»

عندما عارض مارتينوف «الايسكرا» بـ«نظريته»ه عن «رفع مستوى نشاط جماهير العمال» كشف في الواقع عن نزوعه الى العط من مستوى هذا النشاط باعلانه ان الوسيلة الافضل الوسيلة الاهم الوسيلة «التي يمكن استعمالها باوسع شكل» لاثارة هذا النشاط ، ان ميدان هذا النشاط هو ذلك النضال

الاقتصادي نفسه الذي يركع امامه جميع «الاقتصاديين» انه خطأ نموذجي لأنه ابعد من ان يختص به مارتينوف وحده والواقع اننا لا «نرفع مستوى نشاط جماهير العمال» الا اذا لم نكتف بـ«التحريض السياسي على الصعيد الاقتصادي» ولما كان احد الشروط الاساسية لضرورة توسيع التحريض السياسي هو تنظيم التشهير السياسي في جميع الميادين لأن تربية وعي الجماهير السياسي ونشاطها الثوري لا تمكن الا عن طريق هذا التشهير ، - كان هذا النوع من النشاط وظيفه من اهم وظائف الاشتراكية-الديموقراطية العالمية باكملها لأن الحرية السياسية هي الاخرى لا تزيل هذا التشهير البتة بل تغير اتجاهه بعض الشيء فالحزب الالمانى مثلا يعزز مواقعه ويوسع نفوذه لدرجة كبيرة بفضل حملة التشهير السياسي بالذات التي يشنها بنشاط لا يفتقر ولا يمكن ان يكون وعي الطبقة العاملة وعياً سياسياً حقاً اذا لم يتعود العمال الرد على كل حالة من حالات الطغيان والظلم والعنف وسوء الاستعمال على اختلافها وبصرف النظر عن الطبقة التي توجه اليها على ان يكون الرد من وجهة النظر الاشتراكية-الديموقراطية لا من اية وجهة نظر اخرى ولا يمكن ان يكون وعي جماهير العمال وعياً طبقياً حقاً اذا لم يتعلم العمال الاستفادة من الوقائع والحوادث السياسية الملموسة والعاجلة (الملحة) حتماً في الوقت نفسه لمراقبة كل طبقة من الطبقات الاجتماعية الاخرى في جميع مظاهر حياتها العقلية والاخلاقية والسياسية اذا لم يتعلموا ان يطبقوا في العمل التحليل المادي والتقدير المادي لجميع اوجه نشاط وحياتة جميع طبقات السكان وفتاتهم وجماعاتهم ان كل من يوجه انتباه الطبقة العاملة وقوة ملاحظتها ووعيتها الى نفسها فقط او الى نفسها بالدرجة الاولى ليس باشتراكي-ديموقراطي ، لأن معرفة الطبقة العاملة لنفسها

مرتبطة ارتباطاً لا ينفصم بمعرفتها معرفة واضحة تامة للعلاقات المتبادلة بين جميع طبقات المجتمع الراهن معرفة ليست نظرية وحسب والاصح ان نقول ليست نظرية بمقدار ما هي مبنية على تجربة الحياة السياسية ولذلك فان ما ينادي به «اقتصاديونا» من ان النضال الاقتصادي هو الوسيلة التي يمكن استعمالها باوسع شكل لجذب الجماهير الى الحركة السياسية هو امر ضار منتهى الضرر ورجعي منتهى الرجعية من حيث نتائجه العملية فلكيما يصبح العامل اشتراكياً-ديموقراطياً ينبغي له ان يكون لنفسه صورة واضحة عن الطبيعة الاقتصادية والسياسية الاجتماعية والسياسية للملاك العقاري والكاهن وصاحب الرفعة والفلاح والطالب والصلعوك وان يعرف نواحي قوتهم ونواحي ضعفهم ، وان يحسن فهم معاني مختلف العبارات الشائعة والسفسطات التي تغفي بها كل طبقة وكل فئة مطامعها الانانية وحقيقتها «دخيلتها» وان يعرف ما هي المؤسسات والقوانين التي تعكس هذه المصالح او تلك وكيف تعكسها وهذه «الصورة الواضحة» لا يستطيع العامل ان يجدها في اي كتاب لا يستطيع ان يستمددها الا من الصور الحية الا من التشهير الذي يذاع مباشرة اثر ما يجري حولنا في برهة ما ويصبح موضوعاً يتحدث به الناس ، جماعات او افراداً او يهمسون به على الاقل وما يتجلى في هذه او تلك من الاحداث والارقام والاحكام القضائية ، الخ الخ . ان هذا التشهير السياسي الذي يشمل جميع الميادين هو شرط اساسي لا بد منه لتربية نشاط الجماهير الثوري

لماذا لا يظهر العامل الروسي حتى الآن غير القليل من النشاط الثوري حيال ما يلقاه الشعب من وحشية الشرطة حيال اضطهاد الشيع الدينية حيال ضرب الفلاحين حيال فضائح الرقابة حيال تعذيب الجنود ، حيال ملاحقة المبادرات الثقافية حتى اضعفها ،

وهلم جرا ؟ أليس مرد ذلك الى ان «النضال الاقتصادي» لا «يدفعه» الى مثل هذا النشاط وان هذه الامور «تبعث فيه الامل» بقلّة من «النتائج الحسية» وتعطيه قلة من النتائج «الايجابية» ؟ لا ان ادعاء المرء بمثل هذا يعني ونكرر ذلك محاولة لعزو اخطائه هو الى الآخرين ، عزو تفاهته (اي البرنشتينية) الى جماهير العمال اننا اذا كنا لم نستطع حتى الآن تنظيم التشهير بجميع هذه السفالات بما ينبغي من السعة والسرعة والوضوح فسبب ذلك نحن ، سبب ذلك تأخرنا عن حركة الجماهير اذا فعلنا ذلك (وهذا يجب علينا ونستطيع ان نفعله) ، لرأينا حتى اكثر العمال تأخرا يدرك او يعس ان الطالب وتابع البدعة الدينية والفلاح والكاتب يتلقى الاهانات والطغيان من تلك القوة السوداء نفسها التي تضغط عليه وتسحقه في كل خطوة من حياته وما ان يحس حتى يرغب حتى يرغب اشد الرغبة في ان يرد بنفسه ، ويستطيع عندئذ ان ينظم اليوم عرضا صاخبا في وجه المراقبين وغدا مظاهرة امام دار حاكم قمع انتفاضة فلاحين وبعد غد القاء درس على الدوك لابسسي مسوح الكهان الذين يقومون باعمال محاكم التفتيش المقدسة ، الخ . اننا لم نعمل غير النزر القليل ، لم نعمل تقريبا اي شيء لالقاء تشهيرات بين جماهير العمال ، تتناول مواضيع الساعة وتشمل جميع ميادين الحياة . حتى ان الكثيرين منا لم يدركوا بعد واجبههم هذا ، ويستمرون على زحفهم العفوي خلف «النضال الجاري المعتاد» ضمن اطار الحياة العملية الضيق ان القول في مثل هذه الظروف بان «الايسكر» تميل الى التقليل من اهمية تقدم النضال الجاري المعتاد بالقياس الى الدعوة للافكار البراقة والمتبلورة» (مارتينوف ص ٦١) - يعني جر الحزب الى الوراء والدفاع عن عدم استعدادنا وعن تأخرنا ، والاشادة بهما .

اما نداء الجماهير الى العمل فهو امر يأتي من تلقاء نفسه متى وجد التحريض السياسى النشيط والتشهير الواضح الحي . ان القاء القبض على مجرم متلبساً بالجريمة والتشهير به على الفور امام الجميع وفي كل مكان هو عمل يؤثر بحد ذاته تأثيراً اقوى من كل «نداء» يؤثر في الغالب تأثيراً يتعذر معه فيما بعد معرفة الذي «نادى» الجموع والذي وضع مشروع هذه المظاهرة او تلك الخ . والنداء - بمعنى الكلمة الملموس لا بمعناها العام - لا يمكن ان يحدث الا في ساحة العمل نفسه ، ولا يمكن ان ينادي الا السائر مباشرة بنفسه في الساحة وواجبنا نحن الكتاب الاشتراكيين- الديمقراطيين هو ان نعمق التشهير والتحريض السياسيين وان نوسعهما ونقويهما

وللمناسبة لنقل الآن كلمة في «النداءات» لقد كانت «الايسكرا» الجريدة الوحيدة التي نادى العمال قبل حوادث الربيع (٧٣) الى التدخل النشيط في مسألة لا تهم فيهم على الاطلاق اي اهل بنتائج حسية - هي مسألة تجنيد الطلاب الاجباري ففور اصدار قرار ١١ كانون الثاني (يناير) بصدد «تجنيد ١٨٣ طالباً» وقبل الشروع باية مظاهرة نشرت «الايسكرا» مقالا حول هذا الامر (العدد ٢ شباط - فبراير) * ونادت جهاراً «العامل الى مساعدة الطالب» ، نادى «الشعب» الى الرد الصريح على هذا التحدي اللفظ من قبل الحكومة ونحن نسأل الجميع وكلاً بمفرده كيف نفسر هذا الواقع البليغ في دلالته - وهو ان مارتينوف الذي يتكلم عن «النداءات» بهذه الكثرة بل انه يرفع «النداءات» الى شكل خاص من اشكال النشاط لم ينسب ببنت شفة عن هذا النداء ؟ أفليس من النفاق بعد ذلك ان يعلن مارتينوف ان «الايسكرا» لا ترى الا

ناحية واحدة لانها لا «تنادي» بصورة كافية الى النضال من اجل مطالب «تبعث الامل بنتائج حسية» ؟

لقد احرز «اقتصاديو» نا بما فيهم «رابوتشييه ديلو» نجاحاً لأنهم تكيفوا تبعاً للعمال المتأخرين ولكن العامل الاشتراكي-الديموقراطي العامل الثوري (وعدد هؤلاء العمال في تزايد مستمر) سيرد بسخط على جميع هذه الحجج عن النضال من اجل مطالب «تبعث الامل بنتائج حسية» الخ . لأنه سيفهم ان ذلك ليس غير شكل جديد للأغنية القديمة اغنية الكوبيك المضاف الى الروبل ان هذا العامل سيقول لمن يسدون له النصائح في «رابوتشاياميسل» و«رابوتشييه ديلو» انكم تخطئون ايها السادة في ازعاج انفسكم هذا الازعاج يتدخلكم هكذا في امور نعالجها بانفسنا وبتهربكم من واجباتكم الحقيقية فليس من الفطنة اطلاقاً ان تقولوا ان واجب الاشتراكيين-الديموقراطيين هو اصفاء الطابع السياسي على النضال الاقتصادي نفسه فذلك ليس الا بداية وما هو بمهمة الاشتراكيين-الديموقراطيين الرئيسية لأنه في العالم كله بما في ذلك روسيا ليس من النادر ان تكون الشرطة هي البادئة في اصفاء الطابع السياسي على النضال الاقتصادي فيأخذ العمال انفسهم في تبين الجانب الذي تسانده الحكومة * والواقع ان «نضال العمال الاقتصادي ضد اصحاب

* ان المطالبة بـ «اصفاء الطابع السياسي على النضال الاقتصادي نفسه» تفصح باقصى الوضوح عن **تقديس العفوية** في ميدان النشاط السياسي فالنضال الاقتصادي يكتسب الطابع السياسي في معظم الاحيان بصورة **عفوية** اي بدون تدخل «الجريمة الثورية-المثقفين» بدون تدخل الاشتراكيين-الديموقراطيين الواعين فنضال العمال الاقتصادي في انكلترا ، مثلاً ، قد اكتسب كذلك الطابع السياسي دون اي اشتراك من قبل الاشتراكيين ولكن واجب الاشتراكيين-الديموقراطيين لا ينحصر بالتحريض

الاعمال والحكومة» هذا النضال الذي تمتدحونه كما لو كنتم قد اكتشفتم اميركا ثانية يقوم به في المناطق الروسية المنسية العمال انفسهم ممن سمعوا عن الاضرابات ولكنهم على ما يبدو يجهلون كل شيء عن الاشتراكية والواقع ان «نشاط»نا نحن العمال الذي تريدون انتم جميعاً ان تؤيدوه بوضع المطالب الملموسة التي تبعث الامل بنتائج حسية هو نشاط موجود فينا ونحن انفسنا في عملنا المهني اليومي الطفيف كثيراً ما نضع هذه المطالب الملموسة دون اية مساعدة من قبل المثقفين ولكن مثل هذا النشاط لا يكفينا فنحن لسنا باطفال يمكن اطعامهم من حساء السياسة «الاقتصادية» وحدها نحن نريد ان نعرف كل ما يعرفه الآخرون ، نريد الاطلاع على تفاصيل اوجه الحياة السياسية جميعها وان نشترك بنشاط في كل حادث سياسي مهما كان وهذا يتطلب من المثقفين ان يقللوا من تكرار ما نعرفه نحن انفسنا * وان يكثروا من اعطائنا ما لم نتوصل الى معرفته ما

السياسي على الصعيد الاقتصادي ، بل ان واجبه ان يحولوا هذه السياسة التريديونية الى نضال سياسي اشتراكي-ديموقراطي ان يستفيدوا من ومضات الوعي السياسي التي يبعثها في العمال النضال الاقتصادي ، لكي يرفعوا العمال الى مستوى الوعي السياسي الاشتراكي-الديموقراطي اما مارتينوف ومن على شاكلته ، فبدلاً من ان يرفعوا ويدفعوا الى الامام الوعي السياسي المستيقظ بصورة عفوية ، يخرون سجداً امام العفوية ويكررون ، يكررون تكراراً تمجده النفس ، ان النضال الاقتصادي «يضع» العمال امام مسالة حرمانهم من الحقوق السياسية والمؤسف ان هذه اليقظة العفوية للوعي السياسي التريديوني لا «تضعكم» انتم ايها السادة امام مسالة واجباتكم الاشتراكية-الديموقراطية !

* ولكيما نبين اننا لم نخترع عبثاً خطاب العمال هذا الموجه الى الاقتصاديين نرجع الى شاهدين لا شك انهما يعرفان حركة العمال عن كسب ولا يمكنهما ان يتحيزا لجانبنا نحن «ذوى العقيدة الجامدة» ما دام

لا نستطيع ابدأ ان نتوصل الى معرفته من تجربتنا العملية
 و«الاقتصادية» - ونعني المعرفة السياسية تستطيعون انتم
 معشر المثقفين ان تحصلوا على هذه المعرفة وانكم لملزمون
 بان تقدموها لنا باكثر مما فعلتم الى اليوم بمئة بل بألف مرة
 على ان لا تقدموها فقط بشكل محاكمات وكراريس ومقالات (هي في
 حالات كثيرة - واعدرونا على صراحتنا ! - مملة بعض الشيء) بل
 حتماً بشكل تشهيري بما تفعله بالذات حكومتنا وطبقاتنا السائدة

احدهما من «الاقتصاديين» (يعتبر حتى «رابوتشييه ديلو» جريدة سياسية !)
 والثاني ارهابي اول الشاهدين هو كاتب مقال رائع من حيث صدقه
 وحيويته عنوانه «حركة العمال في بطرسبورغ ومهام الاشتراكيين-
 الديمقراطيين العملية» العدد ٦ من «رابوتشييه ديلو» وهو يقسم
 العمال الى (١ ثوريين واعين ، ٢ فئة وسط ، ٣ الجمهور الباقي ونرى
 الفئة الوسط «في حالات كثيرة تهتم بقضايا الحياة السياسية اهتماماً اكبر
 من اهتمامها بمصالحها الاقتصادية المباشرة التي ادركت منذ امد بعيد
 صلتها بالظروف الاجتماعية العامة» «ينتقدون «رابوتشايا ميسل»
 اشد الانتقاد» «دانما الشيء نفسه ما نعرفه منذ امد بعيد ، ما
 قرأناه منذ امد بعيد» «وفي الاستعراض السياسي مرة اخرى لا شيء»
 (صص ٢٠-٢١) ولكن حتى الفئة الثالثة نفسها «اي جمهور العمال الذين
 هم اقوى حساً واحدث سناً والذين هم اقل فساداً من جانب الحانة والكنيسة
 والذين لا يجدون على الاطلاق تقريبا امكانية الحصول على كتاب سياسي ،
 يسهبون في الحديث بالطالع والنازل عن مظاهر الحياة السياسية ويعملون
 الفكر في النتف التي تصل اليهم من اخبار تمرد الطلاب» الخ ويكتب
 الارهابي «... انهم يقرؤون مرة او مرتين توافه اخبار المعامل في المدن
 الاخرى ، لا في مدنهم ، ثم يكفون امر ممل فعدم الحديث
 عن الدولة في جريدة عمال يعني النظر الى العامل كما ينظر الى طفل
 صغير والعامل ليس بطفل» («سفوبودا» (٧٤) ، جريدة الجماعة
 الاشتراكية-الثورية ، ص ٦٩ و ٧٠) .

في هذا الظرف بالذات في جميع ميادين الحياة هلموا اذن للقيام بواجبكم هذا بهمة اكبر **واقبلوا من الكلام عن «رفع مستوى نشاط جماهير العمال»** فنشاطنا اكثر مما تظنون بكثير فنحن نعرف كيف ندعم بالنضال السافر في الشارع حتى المطالب التي لا تبعث الامل باية «نتائج حسية» لستم انتم المدعوين لـ«رفع مستوى» نشاطنا لأن **النشاط بالذات هو ما ينقصكم انتم** اقلوا من السجود امام العفوية واكثروا من التفكير برفع مستوى نشاطكم انتم ايها السادة

(د) ما هو مشترك بين الاقتصادية والارهابية ؟

جمعنا آنفا في زاوية الملاحظات بين «اقتصادي» من جهة ، وارهابي غير اشتراكي-ديموقراطي من جهة اخرى فظهرنا متضامين مصادفة ولكن ثمة صلة تربط بينهما بوجه عام صلة داخلية ليست عرضية بل ضرورية وسنعود الى الحديث عنها فيما يأتي من البحث كما انه من الضروري التطرق اليها فيما يخص مسألة تربية النشاط الثوري بالذات لدى «الاقتصاديين» وارهابيين اليوم جذر مشترك هو بالضبط **تقديس العفوية** الذي تكلمنا عنه في الفصل السابق كظاهرة عامة والذي سنتناوله الآن من حيث تأثيره في ميدان النشاط السياسي والنضال السياسي وقد يبدو زعمنا هذا لاول وهلة متناقضا اذ ان الفرق الظاهري كبير جداً بين اناس يضعون في المقام الاول «النضال الجاري المعتاد» واناس يدعون الافراد الى نضال يتطلب الحد الاقصى من انكار الذات ولكن ليس ثمة هنا من تناقض «فالاقتصاديون» والارهابيون يقدمون قطبين مختلفين من التيار العفوي «الاقتصاديون» يقدمون عفوية «الحركة العمالية الصرف» والارهابيون يقدمون عفوية

شديد سخط المثقفين الذين لا يعرفون او لا يستطيعون ان يربطوا العمل الثوري بحركة العمال في كل واحد وفي الحقيقة يصعب على من فقد ايمانه بهذه الامكانية او الذي لم يؤمن بها قط ان يجد مخرجا لسخطه وهمته الثورية غير الارهاب وهكذا ان تقديس العفوية في الاتجاهين المذكورين ليس الا البلاء بتحقيق برنامج "Credo" المشهور العمال ينصرفون الى «نضالهم الاقتصادي ضد اصحاب الاعمال والحكومة» (وليعدرنا واضح "Credo" اذ نعرب عن افكاره بكلمات مارتينوف ونعتقد ان ذلك من حقنا ما دام "Credo" هو الآخر يقول ان العمال «يصطدمون» في نضالهم الاقتصادي «بالنظام السياسي» اما المثقفون فيخوضون النضال السياسي بقواهم الخاصة ، عن طريق الارهاب طبعاً ! وهو استنتاج منطقي ومحتوم تماماً لا بد من اللاحاح عليه ، ولو كان الذين يشروع بتحقيق هذا البرنامج لا يدركون هم انفسهم حتميته ان للنشاط السياسي منطقه المستقل عن ادراك الذين يدعون ، عن حسن نية الى الارهاب او الى اصفاء الطابع السياسي على النضال الاقتصادي نفسه ان جهنم مبلطة بالنوايا الطيبة وفي هذه الحالة ايضا لا تمنع النوايا الطيبة من الانجرار العفوي في اتجاه «اهون السبل» في اتجاه برنامج "Credo" البرجوازي الصرف كذلك ليس من قبيل المصادفات ان نرى الكثيرين من الليبيراليين الروس - الليبيراليين البينين او المقنعين بالماركسية - يجذبون الارهاب بكل جوارحهم ويسعون لدعم نهوض الميول الارهابية في الظرف الحاضر

ونرى ان ظهور «جماعة سفوبودا الاشتراكية-الثورية» التي وضعت نصب عينها بالضبط مهمة مساعدة حركة العمال بكل الوسائل ولكنها سجلت في برنامجها الارهاب وتحرير نفسها ان امكن القول ، من الاشتراكية-الديموقراطية - ان هذا الواقع قد بين

مرة اخرى واخرى روعة نفاذ بصر ب. ب. آكسيلرود الذي تنبأ بالمعنى الحرفي للكلمة منذ اواخر سنة ١٨٩٧ نتيجة التردد الاشتراكي-الديموقراطي هذه («حول مسألة المهام الحالية والتكتيك») ورسم «احتماليه» المشهورين ان جميع المجادلات والخلافات التي حدثت بعد ذلك بين الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس يحتويها هذان الاحتمالان كما تحتوى البذرة النبتة *

ويتضح ايضا من وجهة النظر المذكورة ان «رابوتشيه ديبلو» التي لم تصمد امام عفوية «الاقتصادية» لم تستطع ان تصمد كذلك امام عفوية الارهابية ومن المهم جداً ان نشير هنا الى الحجج الفريدة في بابها والتي قدمتها «سفوبودا» دفاعاً عن الارهاب فهي «تنكر بصورة تامة» دور الارهاب التخويفي («بعث الثورة» ص ٦٤) ولكنها تشير في المقابل الى «دوره التهييجي» وهذا بليغ الدلالة اولا بوصفه مرحلة من مراحل تفسخ وانحطاط

* ان مارتينوف «يتصور احتمالين آخرين اقرب الى الواقع (٤)» («الاشتراكية-الديموقراطية والطبقة العاملة» ، ص ١٩) «اما ان تاخذ الاشتراكية-الديموقراطية على نفسها ان تقود مباشرة نضال البروليتاريا الاقتصادي ، وتحوله بذلك (١) الى نضال طبقي ثوري» «بذلك» ، اي كما يظهر بالقيادة المباشرة للنضال الاقتصادي الا فليفضل مارتينوف وليدلنا على المكان الذي جرى فيه تحويل الحركة التريديونيوية الى حركة طبقية ثورية بمجرد قيادة النضال المهني ؟ الا يدرك ان هذا «التحويل» يقتضينا ان نهض بنشاط ب«القيادة المباشرة» للتحريض السياسي في جميع اشكاله ؟ وإما الاحتمال الآخر فهو ان تتخلل الاشتراكية-الديموقراطية عن قيادة نضال العمال الاقتصادي وتقص بذلك اجنحتها» انها «الايسكرا» التي «تتخلل» عن ذلك حسب رأي «رابوتشيه ديبلو» الذي ذكرناه ولكننا رأينا انها تفعل لقيادة النضال الاقتصادي اكثر جداً مما تفعل «(رابوتشيه ديبلو)» ، على انها لا تقتصر على ذلك ولا تضييق في سبيله مهامها السياسية .

دائرة الافكار التقليدية (السابقة للاشتراكية-الديموقراطية) التي كانت ترغم على التمسك بالارهاب فالاعتراف بانه يستحيل الآن «تخويف» الحكومة بالارهاب وبالتالي بعث الانحلال فيها يعني في الجوهر شجب الارهاب بصورة تامة بوصفه طريقة نضال بوصفه ميداناً للنشاط يقده برنامج وهو ثانياً ابعد في الدلالة بوصفه نموذجاً يبين عدم فهم مهامنا الملحة في قضية «تربية نشاط الجماهير الثوري» بيد ان «سفوبودا» تبشر بالارهاب بوصفه وسيلة «تهييج» لحركة العمال بوصفه «حافزا قويا» لها ان من الصعب تصور حجة تدحض نفسها بنفسها بوضوح اكبر اننا نسأل هل خلت الحياة الروسية من المساوى لدرجة تحمل على اختراع وسائل خاصة «للتهييج» ؟ وليس من الواضح من الناحية الاخرى ان الذي لا يحتاج ولا يمكن ان يحتاج حتى من جراء الطغيان الروسي سينظر كذلك الى المباراة الدائرة بين الحكومة وقبضة الارهابيين وهو «ينكش انفه» ؟ والواقع ان شناعات الحياة الروسية تهيج جماهير العمال لدرجة كبيرة ولكننا لا نحسن ان امكن التعبير جمع وتركيز كل قطرات وجداول التهييج الشعبى التي تنضح من الحياة الروسية بكميات اكبر جداً مما نتصور ونحسب جميعاً والتي ينبغي مع ذلك جمعها بالضبط في سيل واحد جارف وهي مهمة ممكنة التحقيق تماماً يبرهن على ذلك بما لا يقبل الدحض نهوض حركة العمال هذا النهوض الكبير وما اشرنا اليه فيما تقدم من شدة تعطش العمال الى المطبوعات السياسية اما النداءات الى الارهاب فانها مثل النداءات الى اضعاف الطابع السياسي على النضال الاقتصادي نفسه ليست الا اشكالاً مختلفة للتهرب من الح واجبات الثوريين الروس تنظيم التحريض السياسي بجميع اشكاله . ان «سفوبودا» تريد ان تجعل الارهاب محل التحريض ،

معترفة صراحة بان «دوره التهييجي ينتهي منذ ان يبدأ التحريض النشيط القوي بين الجماهير» (ص ٦٨ من «بعث الثورية») وهذا ما يدل بالضبط على ان الارهابيين «والاقتصاديين» على حد سواء يستصغرون نشاط الجماهير الثوري بالرغم من الشهادة الواضحة التي قدمتها حوادث الربيع * فهؤلاء يندفعون الى البحث عن «مهيجات» مصنعة واولئك يتحدثون عن «المطالب الملموسة» وهؤلاء واولئك لا يلتفتون التفاتا كافيا الى رفع نشاطهم هم في ميدان التحريض السياسي وتنظيم التشهير السياسي مع ان شيئا لا يمكن ان يجعل محل هذا الامر لا في الوقت الحاضر ولا في اي وقت آخر

٥) الطبقة العاملة مناضل طبيعي من اجل الديمقراطية

لقد رأينا ان القيام بالتحريض السياسي باوسع شكل وبالتالي تنظيم التشهير السياسي الشامل هو مهمة ضرورية دون قيد او شرط هو مهمة النشاط ذات الضرورة الاكثر الحاحاً، اذا كان هذا النشاط اشتراكياً-ديموقراطياً حقاً ولكننا خلصنا الى هذا الاستنتاج منطلقين فقط من حاجة الطبقة العاملة الملحة الى المعرفة السياسية والتربية السياسية الا ان طرح المسألة على هذا الشكل وحده يكون ضيقاً جداً ويغفل المهام الديمقراطية العامة التي تواجه كل اشتراكية-ديموقراطية بوجه عام والاشتراكية-الديموقراطية الروسية المعاصرة بوجه خاص

* المقصود ربيع سنة ١٩٠١ عندما بدأت المظاهرات الكبرى في الشوارع . (ملاحظة من لينين لطبعة سنة ١٩٠٧ . الناشر .)

ولكيما نشرح هذا الامر بأوضح شكل سنحاول تناول المسألة من الناحية «الاقرب» الى «الاقتصاديين» ، من الناحية العملية بالضبط ان «كل الناس متفقون» على ضرورة انماء وعي الطبقة العاملة السياسي والسؤال هو كيف نقوم بذلك وماذا ينبغي للقيام بذلك ؟ ان النضال الاقتصادي لا «يصدم» العمال الا بمسائل موقف الحكومة من الطبقة العاملة ولذلك مهما بذلنا من جهد في «اضفاء الطابع السياسي على النضال الاقتصادي نفسه» لا نستطيع ابدا ان نصل الى انماء وعي العمال السياسي (الى درجة الوعي السياسي الاشتراكي-الديموقراطي) ضمن اطار هذه المهمة ، لأن هذا الاطار نفسه ضيق ان صيغة مارتينوف ذات قيمة في نظرنا لا لأنها تدل على موهبة مارتينوف في التشويش بل لأنها تدل بجلاء على الخطأ الرئيسي الذي يقترفه جميع «الاقتصاديين» ونعني الاعتقاد بانه يمكن انماء وعي العمال السياسي الطبقي من داخل نضالهم الاقتصادي ، ان امكن القول ، اي انطلاقاً من هذا النضال وحده (او منه بصورة رئيسية على الاقل) واستناداً الى هذا النضال وحده (او اليه بصورة رئيسية على الاقل) وهذا الرأي مغلوط من اساسه ، وبما ان «الاقتصاديين» ، من غضبهم علينا لجدالنا اياهم لا يريدون ان يعملوا الفكر في مصدر خلافاتنا يكون الحاصل اننا لا نفهم بعضنا بعضاً بالمعنى الحرفي للكلمة ونتكلم بلغات مختلفة. ان الوعي السياسي الطبقي لا يمكن حمله الى العامل الا من الخارج ، اي من خارج النضال الاقتصادي من خارج دائرة العلاقات بين العمال واصحاب الاعمال فالميدان الوحيد الذي يمكن ان نستمد منه هذه المعرفة هو ميدان علاقات جميع الطبقات والفئات تجاه الدولة والحكومة ميدان علاقات جميع الطبقات بعضها تجاه بعض ولذلك على سؤال ماذا ينبغي لحمل المعرفة السياسية الى العمال ؟ لا يمكن تقديم ذلك الجواب الوحيد

الذي يكتفي به في معظم الحالات المشتغلون في الميدان العملي فضلاً عن أولئك الذين يميلون منهم الى «الاقتصادية» ونعني جواب «التوجه الى العمال» فلكيما يحمل الاشتراكيون-الديمقراطيون الى العمال المعرفة السياسية ينبغي لهم التوجه الى جميع طبقات السكان ينبغي لهم ان يرسلوا فصائل جيشهم الى جميع الجهات

اذا كنا قد تعمدنا هذه الصيغة الخشنة اذا كنا قد تعمدنا هذا التبسيط الجارح في التعبير فليس منشأ ذلك الرغبة في الاغراب بل الرغبة في «صدم» «الاقتصاديين» صدماً بتلك المهام التي يغفلونها بشكل لا يغتفر بذلك الفرق الذي لا يريدون فهمه، والموجود بين السياسة التريديونيوية والسياسة الاشتراكية-الديمقراطية ولذلك نطلب الى القارى ان يتدرع بالصبر وان يصغي الينا بانتباه حتى النهاية

خذوا نموذج الحلقة الاشتراكية-الديمقراطية الاوسع انتشاراً في السنوات الاخيرة وامعنوا النظر في عملها ان لها «صلات بالعمال» وانها لقانعة بذلك وهي تنشر المنشورات التي تندد فيها بما يجري في المعامل من التجاوزات وبسلوك الحكومة الممالى للرأسماليين وبالظفيان البوليسي والحديث في اجتماعات العمال لا يخرج في المعتاد عن اطار المواضيع نفسها او يكاد لا يخرج عنها اما المحاضرات والاحاديث عن تاريخ الحركة الثورية وعن قضايا سياسة حكومتنا في الحقلين الداخلي والخارجي وعن مسائل التطور الاقتصادي في روسيا وفي اوروبا وعن وضع هذه او تلك من الطبقات في المجتمع الراهن الخ فهي نادرة جداً ولا يخطر ببال احد ان يعقد وينمي الصلات بصورة دائبة في طبقات المجتمع الاخرى والحق ان المثل الاعلى للمناضل في نظر اعضاء مثل هذه الحلقة ، هو ، في معظم الاحيان ، اشبه كثيراً

بسكرتير التريديونيون منه بالاشتراكي الزعيم السياسي وبالفعل ان سكرتير اي تريديونيون سكرتير تريديونيون انكليزي مثلا يساعد العمال دائما على القيام بالنضال الاقتصادي وينظم التشهير بالحياة في المعامل ويشرح الظلم الكامن في القوانين والتدابير التي تقيد حرية الاضراب وحرية اقامة مراكز الحراسة (لتنبيه الجميع وكل فرد الى ان عمال هذا المعمل او ذاك مضربون) ويبين تحيز الحكم الذي ينتمي الى طبقات الشعب البرجوازية الخ الخ وباقتضاب ان كل سكرتير تريديونيون يقوم ويساعد على القيام بـ«النضال الاقتصادي ضد اصحاب الاعمال والحكومة» ولسنا نغالي مهما الحنا في القول ان ذلك ليس بعد بالاشتراكية-الديموقراطية وان المثل الاعلى للاشتركي-الديموقراطي لا ينبغي ان يكون سكرتير التريديونيون، بل الخطيب الشعبي الذي يحسن الرد على كل مظهر من مظاهر الطغيان والظلم بصرف النظر عن مكان حدوثه وعن الفئة او الطبقة التي يصيبها هذا الطغيان والظلم يحسن تلخيص جميع هذه المظاهر ويخلق منها لوحة تامة للطغيان البوليسي وللاستثمار الرأسمالي يحسن الاستفادة من كل امر تافه لكي يعرض امام الجميع عقائده الاشتراكية ومطالبه الديمقراطية ولكي يشرح للجميع ولكل فرد الاهمية التاريخية العالمية لنضال البروليتاريا التحريري قارنوا مثلا بين روبرت نايت (السكرتير والقائد المعروف لجمعية عمال المراحل وهي من اقوى التريديونيونات في انكلترا) وولهم ليكنخت وطبقوا عليهما المتضادات التي لخص بها مارتينوف خلافاته مع «الايسكرا» تروا - واني لأبدأ بتصفح مقال مارتينوف - ان ر نايت قد تفوق جداً في «مناداة الجماهير الى اعمال معينة ملموسة» (ص ٣٩) وان و ليكنخت قد تفوق «في الانصراف الى شرح ثوري للنظام الراهن باكماله او لمظاهره

الجزئية» (صص ٣٨-٣٩) وان ر نايث قد «صاغ مطالب البروليتاريا المباشرة وبين طرق تحقيقها» (ص ٤١) وان . ليكنخت قد قام بذلك دون ان يستنكف من ان «يقود في الوقت نفسه العمل النشط لمختلف الفئات المعارضة» ومن ان «يملي عليها برنامجاً ايجابياً للعمل» * (ص ٤١)؛ وان ر . نايث قد بذل جهده على وجه الدقة «ليضيف الطابع السياسي بقدر الامكان على النضال الاقتصادي نفسه» (ص ٤٢) وانه كان بارعاً في «مطالبة الحكومة باجراءات ملموسة تبعث الامل ببعض النتائج الحسنة» (ص ٤٣) ، في حين ان و ليكنخت قد بذل جهداً اكبر بكثير في «التشهير» «الوحيد الجانب» (ص ٤٠) وان ر نايث قد اذفى اهمية اكبر على «تقدم النضال الجاري المعتاد» (ص ٦١) وان و ليكنخت قد اعار اهمية اكبر «للدعوة الى الافكار البراقة المتبلورة» (ص ٦١) وان و ليكنخت قد جعل من الجريدة التي يشرف عليها «جريدة للمعارضة الثورية تشهر باوضاعنا ولا سيما بالاوضاع السياسية ما دامت تصطدم بمصالح مختلف فئات السكان» (ص ٦٣) ، في حين ان ر نايث قد «عمل لقضية العمال على صلة عضوية وثيقة بالنضال البروليتاري» (ص ٦٣) - اذا فهمنا «الصلة العضوية الوثيقة» بمعنى تقديس العفوية الذي درسناه اعلاه استناداً الى مثل كريتشيفسكي ومارتينوف ، - و«ضيق ميدان تأثيره» متاكداً على غرار مارتينوف طبعاً من انه «يزيد بذلك تركيز التأثير نفسه» (ص ٦٣) وبكلمة ترون ان مارتينوف يهوى *de facto* * بالاشتراكية-الديموقراطية الى

* اثناء الحرب الفرنسية البروسية ، مثلاً ، امل ليكنخت برنامجاً لنشاط الديموقراطية كلها ، كما فعل ماركس وانجلس ذلك في سنة ١٨٤٨ على نطاق اوسع

** فعلاً ، في الواقع . - باللاتينية في النص الاصل . الناشر .

مستوى التريديونيونية لا بالطبع لأنه لا يريد الخير للاشتراكية-الديموقراطية بل لأنه يتسرع بعض الشيء في تعميق بليخانوف ، بدلاً من ان يبذل جهده لفهمه

ولكن لنعد الى بحثنا لقد قلنا انه يجب على الاشتراكي-الديموقراطي اذا كان اعترافه بضرورة انماء وعي البروليتاريا السياسي الشامل لا يقف عند حد القول ان «يتوجه الى جميع طبقات السكان» وهنا تطرح الاسئلة التالية كيف نقوم بذلك ؟ ألدنا من القوى ما يكفي لذلك ؟ هل من صعيد لمثل هذا العمل في جميع الطبقات الاخرى ؟ ألا يعني هذا تراجعاً ، او يؤدي الى التراجع عن وجهة النظر الطبقيّة ؟ لنتناول هذه المسائل .

ينبغي لنا ان «نتوجه الى جميع طبقات السكان» بوصفنا نظريين وبوصفنا دعاة وبوصفنا محرضين وبوصفنا منظمين . لا يشك احد في انه ينبغي لعمل الاشتراكيين-الديموقراطيين النظري ان يتجه لدراسة جميع خصائص الوضع الاجتماعي والسياسي لمختلف الطبقات ولكن العمل في هذا الاتجاه قليل - قليل جداً - اقل بكثير من العمل الذي يجري لدراسة خصائص حياة المعامل انكم تصادفون في اللجان والحلقات اناسا يتعمقون في تخصص في دراسة هذا الميدان او ذاك من ميادين انتاج الحديد ولكنكم لا تصادفون تقريباً مثلاً يستدل منه على ان اعضاء المنظمات (المضطرين كما يحدث في كثير من الحالات الى ترك النشاط العملي لسبب من الاسباب) ينصرفون بصورة خاصة الى جمع مواد حول قضية من قضايا الساعة في حياتنا الاجتماعية والسياسية يمكن ان تتيح للاشتراكية-الديموقراطية فرصة العمل بين فئات السكان الاخرى ونحن عندما نتكلم عن ضعف الاستعداد لدى معظم قادة حركة العمال الحاليين لا يسعنا الا ان نذكر التحضير في هذا الحقل ايضاً اذ انه مرتبط كذلك بالمفهوم «الاقتصادي» «للصلة العضوية الوثيقة

بالنضال البروليتاري» ولكن الامر الاهم طبعاً هو **الدعاية والتخريف** بين جميع فئات الشعب ان ما ييسر هذا الواجب على الاشتراكي-الديموقراطي في اوروبا الغربية انما هي الاجتماعات والتجمهرات العامة التي يحضرها كل راغب وييسره البرلمان الذي يتكلم فيه امام نواب من جميع الطبقات اما نحن فليس لدينا برلمان ولا حرية اجتماع ولكننا نحسن مع ذلك تنظيم اجتماعات للعمال الذين يريدون ان يصغوا الى **اشتراكي-ديموقراطي** وينبغي لنا ان نحسن كذلك تنظيم اجتماعات يحضرها ممثلو جميع طبقات السكان الذين يريدون ان يصغوا الى **ديموقراطي** لأنه ليس باشتراكي-ديموقراطي من ينسى عملياً ان «الشيوعيين يؤيدون كل حركة ثورية» (٧٥) واننا تبعاً لذلك ملزمون بان نعرض امام الشعب كله ونشدد على المهام **الديموقراطية العامة** دون ان نخفي لحظة واحدة عقائدنا الاشتراكية ليس باشتراكي-ديموقراطي من ينسى عملياً انه ملزم بان يكون اول من يطرح ويشحذ ويحل كل مسألة من المسائل الديمقراطية العامة

قد يقاطعنا القارئ غير الصبور قائلاً «ان الجميع دون استثناء متفقون على ذلك وان التعليمات الجديدة الى هيئة تحرير «رابوتشييه ديلو» ، هذه التعليمات التي اتخذت في آخر مؤتمر «للاتحاد» تقول بصراحة «ينبغي ان يستفاد من اجل الدعاية والتخريف السياسيين ، من جميع ظواهر واحداث الحياة الاجتماعية والسياسية التي تمس البروليتاريا إما مباشرة بوصفها طبقة على حدة واما بوصفها **طليلة جميع القوى الثورية في النضال من اجل الحرية**» («مؤتمران» ، ص ١٧ حرف التأكيد لنا) اجل انها لكلمات طيبة وصحيحة كل الصحة ونكون راضين كل الرضى لو فهمتها «رابوتشييه ديلو» ، ولو لم تقل الى جانب هذه الكلمات

ما يناقضا اذ لا يكفي اتخاذ اسم «الطليعة» او الفصيلة الامامية بل ينبغي ان نعمل بشكل يحمل جميع الفصائل الاخرى على ان ترى وعلى ان تعترف باننا نسير في المقدمة ونحن نسائل القارى هل مثلو «الفصائل» الاخرى من البلاهة بحيث يصدقوننا لمجرد ادعائنا باننا «الطليعة» ؟ بحسبكم ان تصوروا هذا المشهد يذهب اشتراكي-ديموقراطي الى «فصيلة» الراديكاليين الروس المثقفين او الدستوريين الليبراليين ويقول نحن الطليعة «وتواجهنا الآن المهمة التالية كيف نضفي الطابع السياسي بقدر الامكان ، على النضال الاقتصادي نفسه» وما ان يسمع هذا الخطاب راديكالي او دستوري ذكي لدرجة ما (والاذكاء على كل حال كثيرون بين الراديكاليين والدستوريين الروس) حتى يبتسم ويقول (في نفسه طبعاً لأنه في معظم الحالات ديبلوماسي خبير) «كم هي ساذجة هذه «الطليعة» انها عاجزة حتى عن ان تفهم ان اعضاء الطابع السياسي على نضال العمال الاقتصادي نفسه هو مهمتنا ، مهمة ممثلي الديمقراطية البرجوازية المتقدمين فنحن ايضا كشأن جميع البرجوازيين. في اوروبا الغربية نريد ان نجذب العمال الى السياسة ولكن السياسة التريديونيوية على وجه الضبط ، لا السياسة الاشتراكية-الديموقراطية فالسياسة التريديونيوية لطبقة العمال هي على وجه الدقة السياسة البرجوازية لطبقة العمال وعندما تضع هذه «الطليعة» صيغة لمهمتها فهي بالضبط تضع صيغة السياسة التريديونيوية ! فليقولوا عن انفسهم انهم اشتراكيون-ديموقراطيون ما طاب لهم ذلك فانا لست في الحقيقة طفلاً اغضب لمجرد الالقب المهم ان لا ينجروا مع هؤلاء الاشرار اصحاب العقيدة الجامدة الارثوذكس المهم ان يتركوا «حرية النقد» الى الذين يجرون الاشتراكية-الديموقراطية عن غير وعي الى المعرى التريديونيوني !»

وتنقلب بسمة هذا الدستوري الناعمة الى قهقهة عاصفة عندما يعلم ان الاشتراكيين-الديموقراطيين الذين يتكلمون عن دور الاشتراكية-الديموقراطية الطبيعي في هذا الوقت الذي تكاد فيه العفوية تسيطر سيطرة تامة في حركتنا لا يخشون شيئاً كخشيتهم «الانتقاص من شأن العنصر العفوي» كخشيتهم «التقليل من اهمية تقدم النضال الجاري المعتاد بالقياس الى الدعوة للافكار البراقة والمتبلورة»، الخ الخ هي فصيلة «الطليعة» التي تخشى ان يسبق الوعي العفوية التي تخشى وضع «مشروع» جرىء ينتزع اعتراف الجميع حتى من الذين يفكرون على نمط آخر أتراهم يخلطون بين كلمة الطليعة وكلمة المؤخرة ؟

اعملوا الفكر حقاً في حجة مارتينوف التالية انه يقول في الصفحة ٤٠ ان تكتيك «الايسكرا» التشهيري ذو وجه واحد واننا «مهما بذرنا من بذور الحذر والحقد حيال الحكومة لا نبلغ الهدف ما لم يتيسر لنا تنمية همة اجتماعية نشيطة لدرجة تكفي لاسقاطها» ونقول بين قوسين ان هذا هو ما قد عرفناه من الاهتمام بانماء نشاط الجماهير مع النزوع الى التقليل من نشاطهم انفسهم ولكن القضية لا تكمن في هذا الآن ان مارتينوف يتحدث هنا اذن عن الهمة الثورية («من اجل الاسقاط») والى اي استنتاج يخلص ؟ بما ان الفئات الاجتماعية المختلفة تتجه حتماً في الوقت العادي اتجاهات مختلفة «يتضح نظراً لذلك اننا نحن الاشتراكيين-الديموقراطيين لا نستطيع ان نقود في وقت واحد العمل النشط لمختلف الفئات المعارضة لا نستطيع ان نملي عليها برنامجاً ايجابياً للعمل لا نستطيع ان نبين لها الطرق التي ينبغي لها ان تتبعها في نضالها اليومي من اجل مصالحها اما الفئات الليبيرالية فتهتم هي نفسها بالنضال النشط من اجل مصالحها المباشرة ، ذلك النضال الذي يصدها وجهاً لوجه بنظامنا

السياسي» (ص ٤١) وهكذا فان مارتينوف ما ان بدأ بالكلام عن الهمة الثورية عن النضال النشيط من اجل اسقاط الحكم المطلق حتى انزلق الى الهمة المهنية الى النضال النشيط من اجل المصالح المباشرة غنى عن القول اننا لا نستطيع ان نقود نضال الطلاب والليبيراليين وغيرهم من اجل «مصالحهم المباشرة» ولكن الحديث لم يدر في هذا الموضوع يا ايها «الاقتصادي» المحترم لقد تحدثنا عن اشتراك مختلف الفئات الاجتماعية الممكن والضروري في اسقاط الحكم المطلق وهذا «العمل النشيط لمختلف الفئات المعارضة» لا نستطيع قيادته وحسب بل يجب علينا ان نقوده حتماً اذا كنا نريد ان نكون «الطليعة» اما «صدم» طلابنا وليبيراليينا وغيرهم «وجهاً لوجه بنظامنا السياسي» فهو امر لا يهتمون هم به وحسب بل انه الامر الذي تهتم به قبل الجميع واكثر من الجميع الشرطة نفسها وموظفو الحكومة الاستبدادية انفسهم ولكن ينبغي لنا «نحن» اذا كنا نريد ان نكون ديمقراطيين طليعيين ان نهتم بصدم المستائين على وجه الخصوص من الحالة السائدة في الجامعات وحدها او في الزيمستفوات وحدها الخ بفكرة ان النظام السياسي كله غير صالح ينبغي لنا ان نأخذ على عاتقنا مهمة تنظيم نضال سياسي شامل تحت قيادة حزبنا نحن بشكل يمكن سائر الفئات المعارضة على اختلافها من ان تقدم لهذا النضال ولهذا الحزب ويجعلها تقدم بالفعل ما في وسعها من مساعدة ينبغي لنا ان نخلق من الاشتراكيين-الديموقراطيين المشتغلين في الميدان العملي قادة سياسيين يحسنون قيادة جميع مظاهر هذا النضال الشامل يحسنون في اللحظة المناسبة «املاء برنامج ايجابي للعمل» على الطلبة الذين هم في غليان وعلى الزيمستفويين الساخطين ، وعلى اتباع البدع الغاضبين وعلى المعلمين الشعبيين

المظلومين الخ. الخ ، ولذا ليس بصحيح على الاطلاق ما يزعمه مارتينوف من اننا «لا نستطيع ان نبرز حيال هذه الفئات الا في دور سلبي الا في دور المشهر بالاوضاع لا نستطيع سوى تبديد آمالها في مختلف اللجان الحكومية» (حرف التأكيد لنا) ان مارتينوف يبرهن بقوله هذا انه لا يفهم اي شيء على الاطلاق في مسألة دور «الطلبة» الثورية الحقيقي واذا ما اخذ القارئ ذلك بعين الاعتبار اتضح له المعنى الحقيقي لكلمات مارتينوف هذه ««اليسكرا» هي جريدة المعارضة الثورية وهي تشهر باوضاعنا والسياسية منها بصورة رئيسية ما دامت تصطم بمصالح مختلف فئات السكان اما نحن فنعمل وسنعمل لقضية العمال على صلة عضوية وثيقة بالنضال البروليتاري ونحن بتضييقنا ميدان تأثيرنا نزيد بذلك تركيز التأثير نفسه» (ص ٦٣) ان المعنى الحقيقي لهذا الاستنتاج هو ان «اليسكرا» تريد رفع مستوى السياسة التريديونيونية لطبقة العمال (التي يكتبها المشتغلون في الميدان العملي عندنا في حالات كثيرة إما لسوء الفهم او لعدم الاستعداد او بسبب الاعتقاد) الى مستوى السياسة الاشتراكية-الديموقراطية اما «رابوتشيه ديلو» فتريد ان تهوي بالسياسة الاشتراكية-الديموقراطية الى مستوى السياسة التريديونيونية وهي في اثناء ذلك تؤكد للجميع ولكل بمفرده ان هذين «موقفان قابلان للاتفاق كلياً في القضية العامة» (ص ٦٣)

* O, sancta simplicitas!

وبعد ، هل نملك من القوى ما يكفي لتوجيه دعايتنا وتحريضنا الى جميع طبقات السكان ؟ نعم بكل تأكيد «فاقتصاديو»نا الذين يميلون في كثير من الاحيان الى انكار ذلك يغفلون الخطوة الكبرى

التي خطتها حركتنا الى الامام منذ سنة ١٨٩٤ (تقريباً) حتى سنة ١٩٠١ فهم لكونهم «ذيلين» حقاً يعيشون في الغالب بتصورات عهد بداية الحركة الذي انصرم منذ وقت بعيد في ذلك الحين كانت قوانا في الحقيقة قليلة جداً في ذلك الحين كان من الطبيعي والمشروع ان نلح على الانصراف بكل قوانا الى العمل بين العمال وان نشجب بشدة كل انحراف عنه فقد كانت المهمة كلها تنحصر آنذ في توطيد مواقعنا في صفوف الطبقة العاملة اما اليوم فقد انجذبت الى الحركة قوى كبرى والينا تتجه نخبة ممثلي الجيل الناشئ من الطبقات المثقفة ويضطر دائماً وابدأً للاقامة في جميع الاقاليم اناس ساهموا في الحركة او لديهم رغبة بالمساهمة فيها اناس يميلون الى الاشتراكية-الديموقراطية (بينما كان الاشتراكيون-الديموقراطيون الروس يعدون على اصابع اليد في سنة ١٨٩٤) ان احد النواقص الاساسية السياسية والتنظيمية في حركتنا هو كوننا لا نعسن استخدام جميع هذه القوى وتكليف الجميع بالعمل الملائم لهم (وسنتكلم عن ذلك بمزيد من التفصيل في الفصل التالي) والاكثريه الكبرى من هذه القوى محرومة تماماً من كل امكانيات «التوجه الى العمال» بشكل لا مجال معه الى الحديث عن خطر تحويل القوى عن قضيتنا الاساسية ولكيما نقدم للعمال المعرفة السياسية الحية الشاملة الحقيقية يجب ان يكون لدينا «رجالنا» يجب ان يكون لدينا اشتراكيون-ديموقراطيون في كل مكان في جميع الفئات الاجتماعية وفي جميع المواقع التي توفر امكانية معرفة النوابض الداخلية لآلة دولتنا. ونحن بحاجة الى هؤلاء الناس لا للدعاية والتحريض وحسب بل ايضاً وعلى وجه الخصوص ، للتنظيم

وهل من صعيد للعمل بين جميع طبقات السكان ؟ ان من لا يرى ذلك يثبت مرة اخرى ان وعيه متخلف عن نهوض الجماهير

العفوى لقد اثارت الحركة العمالية ولا تزال تثير لدى بعضهم الاستياء ولدى آخرين الامل بتأييد المعارضة ولدى قسم ثالث ادراك تعذر الحكم المطلق وحتمية انهياره اننا لا نكون «ساسة» واشتراكيين-ديموقراطيين الا بالقول (كثيراً جداً ما يحدث ذلك في الحياة) اذا لم ندرك ان من واجبنا ان نستفيد من جميع مظاهر الاستياء على اختلافها ان نجمع وندرس جميع بذور الاحتجاج ولو كان في حالة جنينية ناهيك عن ان الملايين والملايين من الفلاحين الكادحين والحرفيين وصغار المنتجين وغيرهم ستصغي على الدوام بتعطش الى دعاية اشتراكي-ديموقراطي ماهر الى حد ما ولكن هل من الممكن ان نشير ولو الى طبقة من طبقات السكان تخلو من اشخاص وجماعات وحلقات من الساخطين على الاستبداد والطغيان والقابدين بالتالي لدعاية الاشتراكي-الديموقراطي المفصح عن اشد الاماني الديمقراطية العامة الحاحاً ؟ واذا اراد احد ان يكون لنفسه صورة ملموسة عن هذا التحريض السياسي للاشتراكي-الديموقراطي بين جميع طبقات السكان وفئاتهم فنحن ندله على التشهير السياسي بمعنى الكلمة الواسع بوصفه الوسيلة الرئيسية (ولكن لا الوحيدة طبعاً) لهذا التحريض

لقد كتبت في مقالى «بم نبدأ؟» («الايسكرا» العدد ٤ ايار - مايو - سنة ١٩٠١) هذا المقال الذي سنتحدث عنه بتفصيل فيما يأتي من البحث «ينبغي لنا ان نوقظ الشغف الى التشهير السياسي في جميع فئات السكان الواعين بعض الشيء ولا ينبغي ان نتهيب حيال ما نراه اليوم من ضعف وندرة ووجل من الناحية السياسية في اصوات التشهير فسبب ذلك ليس البتة تسليم الجميع بالطغيان البوليسي سبب ذلك هو كون الناس القادرين على التشهير والمستعدين له لا يجدون منبراً يرفعون منه اصواتهم ، لا يجدون بيئة تصغي الى الخطباء بانتباه وتشجعهم ،

لا يرون هنا وهناك في الشعب قوة تستحق جهد التوجه إليها بالشكاية من الحكومة الروسية «ذات الحول والطول» وفي وسعنا اليوم ومن واجبا انشاء منبر للتشهير بالحكومة القيصرية امام الشعب كله وهذا المنبر ينبغي ان يكون الجريدة الاشتراكية-الديموقراطية»

والبيئة المثلى لهذا التشهير السياسي هي بالذات الطبقة العاملة التي تحتاج قبل كل شيء واكثر ما تحتاج الى المعرفة السياسية الحية والشاملة الطبقة العاملة التي تفوق الجميع في قدرتها على تحويل هذه المعرفة الى نضال نشيط وان كان لا يبعث الامل باية «نتائج حسية» اما منبر التشهير امام الشعب كله فلا يمكن ان يكون غير جريدة لعامة روسيا «فبدون جريدة سياسية لا يمكن في اوروبا الراهنة تصور حركة جديدة بان توصف بانها سياسية» وروسيا من وجهة النظر هذه هي ايضا دونما شك من اوروبا الراهنة فمنذ امد بعيد غدت الصحافة عندنا قوة والا لما انفقت الحكومة عشرات الالوف من الروبلات لرشوتها ولتمويل اناس من امثال كاتكوف وميشيرسكي وليس بالحادث الجديد في روسيا ذات الحكم المطلق ان تحطم الصحف السرية حواجز الرقابة وتجبر الجرائد العلنية والمحافظة على التحدث عنها جهاراً فقد حدث ذلك في سنوات العقد الثامن وحتى في سنوات العقد السادس ولكم ازدادت اليوم سعة وعمقا الفئات الشعبية المستعدة لقراءة الصحف السرية وللتعلم منها «كيف تحيا وكيف تموت» ، على حد تعبير عامل وجه رسالة الى «الايسكرا» (العدد ٧) ان التشهير السياسي هو اعلان الحرب على الحكومة مثلما ان التشهير الاقتصادي هو اعلان الحرب على صاحب المعمل ويكتسب اعلان الحرب هذا اهمية معنوية تزداد بمقدار ما تتسع وتقوى حملة التشهير هذه ، وبمقدار ما تزداد عدداً وعزماً الطبقة الاجتماعية التي

تعلن الحرب لتبدأ الحرب ولذلك فالتشهير السياسي هو بحد ذاته وسيلة قوية من وسائل تفسيح النظام المعادي وسائل فصل العدو عن حلفائه الطائنين او الموقتين وسائل بذور بدور العداة والحذر بين المشتركين الدائمين في السلطة الاستبدادية لا يمكن ان يصبح طليعة للقوى الثورية في زمننا غير الحزب الذي ينظم تشهيراً يسترعي انتباه الشعب كله حقاً ولكلمة «الشعب كله» مضمون كبير جداً والاكثرية الكبرى من المشهرين الذين لا ينتسبون الى الطبقة العاملة (والحال وان من يريد ان يكون الطليعة ينبغي له ان يجذب الطبقات الاخرى) هم سياسة حُصفاة واناس عمليون رابطو الجأش يعرفون حق المعرفة مبلغ خطر «الشكوى» حتى من موظف صغير ناهيك عن الحكومة الروسية «ذات الحول والطول» وهم لن يتوجهوا الينا بالشكوى ، الا عندما يرون انها ستكون فعلاً ذات تأثير واننا قوة سياسية ولكيما نصبح مثل هذه القوة في نظر الآخرين لا يكفي ان نعلق لافتة «الطليعة» على نظرية المؤخرة وممارستها بل ينبغي لنا ان نعمل بدأب واصرار على وقع مستوى وعينا ومبادرتنا وهمتنا سيسألنا ولقد سألنا بالفعل المتحمس حماساً يفوق المعقول «للصلة العضوية الوثيقة بالنضال البروليتاري» - ولكن اذا كان ينبغي لنا ان نأخذ على عاتقنا تنظيم تشهير بالحكومة يستدعي انتباه الشعب كله حقاً فبم يتجلى طابع حركتنا الطبقية ؟ - انه يتجلى في كون تنظيم هذا التشهير الذي يسترعي انتباه الشعب كله يجري بالذات من قبلنا نحن الاشتراكيين- الديمقراطيين - يتجلى في كون شرح جميع القضايا التي يثيرها التحريض سيجري على الدوام بالروح الاشتراكية-الديموقراطية دون اي تسامح بتشويه الماركسية عن قصد او غير قصد - يتجلى في كون هذا التحريض السياسي الشامل سيجري من قبل حزب يوحد في كل لا يتجزأ ، الهجوم على الحكومة بأسم الشعب كله

وتربية البروليتاريا تربية ثورية مع الاحتفاظ باستقلالها السياسي وقيادة نضال الطبقة العاملة الاقتصادي والاستفادة من اصطداماتها العفوية مع مستثمريها هذه الاصطدامات التي تستنهض وتجذب الى معسكرنا فئات جديدة وجديدة من البروليتاريا !

ولكن احدى السمات المميزة جداً «للاقتصادية» هي بالضبط عدم فهم هذه الصلة ، بل قل عدم فهم هذا التوافق بين ما تحتاج اليه البروليتاريا اشد الحاجة (التربية السياسية الشاملة عن طريق التحريض والتشهير السياسيين) وما تحتاج اليه الحركة الديمقراطية العامة وعدم الفهم هذا لا يتجلى في العبارات «المارتينوفية» وحسب بل يتجلى ايضاً في استشهادات بوجهة نظر طبقية مزعومة استشهادات يطابق معناها هذه العبارات كل المطابقة اليكم مثلاً كيف يفصح عن ذلك واضعو الرسالة «الاقتصادية» في العدد ١٢ من «الايسكرا» * «ان نقص «الايسكرا» الاساسي نفسه (المقالة في اهمية الايديولوجيا) هو سبب عدم تماسكها في المسائل المتعلقة بموقف الاشتراكية-الديموقراطية من مختلف الطبقات والاتجاهات الاجتماعية ان «الايسكرا» بعد ان حلت عن طريق الحسابات النظرية (لا عن طريق «نمو المهام الحزبية النامية مع نمو الحزب .») «مهمة الانتقال الفوري الى

* ضيق المكان في «الايسكرا» لم يسمح لنا باعطاء رد مفصل جداً على هذه الرسالة الفائقة الدلالة بالنسبة للاقتصاديين وقد سررنا جداً لظهورها ، لأن ما يقال عن عدم تمسك «الايسكرا» بوجهة النظر الطبقيّة كان قد بلغنا منذ امد بعيد من جهات مختلفة تماما ، وكنا نبحث عن الفرصة الملائمة او الصيغة المكتملة لهذا الاتهام الشائع لكي نرد عليه . فنحن لم نعتد الرد على الهجمات بالدفاع ، بل بالهجمات المضادة .

النضال ضد الاستبداد وبما انها تشعر في اكبر الظن بكل صعوبتها بالنسبة للعمال في الاوضاع الراهنة» (انها لا تشعر وحسب بل تعلم حق العلم ان هذه المهمة تبدو للعمال اسهل مما هي بالنسبة للمثقفين «الاقتصاديين» المعتنين بالاطفال الصغار لأن العمال مستعدون للنضال حتى من اجل مطالب لا تبعث اذا استعملنا تعابير مارتينوف الخالد الذكر اي امل «بنتائج حسية») «وبما انها لا تستطيع مع ذلك ان تصبر حتى يستجمعوا القوى اللازمة لهذا النضال ، فنراها تأخذ في البحث عن حلفاء في صفوف الليبيراليين والمثقفين .

اجل اجل لم يعد في وسعنا حقاً ان «نصبر» و«ننتظر» حلول ذلك الزمن السعيد الذي وعدنا به منذ عهد بعيد «التوفيقيون» على اختلاف ملهم ونحلهم ، ذلك الزمن الذي يكف فيه «اقتصاديون» نا عن القاء تبعه تأخرهم هم على العمال وعن تبرير ضعف همتهم بما يزعمونه من عدم كفاية قوى العمال اننا نسال «اقتصاديي» نا بم ينبغي ان يتلخص «قيام العمال بتجميع القوى اللازمة لهذا النضال» ؟ اليس واضحاً ان ذلك يتلخص في تربية العمال السياسية في التشهير امامهم بجميع مظاهر الحكم المطلق البغيض القائم عندنا ؟ اليس من الواضح اننا ، من اجل القيام بهذا العمل بالذات بحاجة الى «حلفاء في صفوف الليبيراليين والمثقفين» على استعداد لمشاطرتنا ما عندهم من التشهير بالحملة السياسية التي تشن على الزيمستفويين (٧٦) وعلى المعلمين والاحصائيين والطلاب الخ ؟ هل من الصعب في الحقيقة فهم هذا «الامر العويص» المدهش ؟ اولم يؤكد لكم ب ب آكسيلرود منذ سنة ١٨٩٧ ان «مهمة اكتساب الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس للانصار والحلفاء من مبشرين وغير مبشرين بين الطبقات غير البروليتارية يحددها بالدرجة الاولى وبصورة رئيسية طابع الدعاية في البيئة

البروليتارية نفسها» ؟ ومع ذلك ما يزال مارتينوف واضرابه وغيرهم من «الاقتصاديين» يتصورون انه ينبغي للعمال في البدء ان يجمعوا القوى (من اجل السياسة التريديونيوية) «عن طريق النضال الاقتصادي ضد اصحاب الاعمال والحكومة» لكي «ينتقلوا» بعد ذلك فقط ، على ما يبدو ، من «تربية النشاط» التريديونيوية الى النشاط الاشتراكي-الديموقراطي

ويضيف «الاقتصاديون» قائلين ان «الايسكرا» في بحثها كثيراً ما تحيد عن وجهة النظر الطبقيّة طامسة التناقضات الطبقيّة وواضعة في المقام الاول شيوع الاستياء من الحكومة ، وان كانت دواعي هذا الاستياء ودرجاته متفاوتة جداً لدى «الحلفاء» وهذا هو ، مثلاً ، موقف «الايسكرا» من الزيمستفو*
 ف«الايسكرا» ، على حد زعمهم ، «تعد النبلاء ، المستائين من صدقات الحكومة بان الطبقة العاملة ستساعدهم وهي تفعل ذلك دون ان تنبس بكلمة عن التنافر الطبقي بين هاتين الفئتين من السكان» . واذ ما رجع القارىء الى مقالتي «الحكم المطلق والزيمستفو» («الايسكرا» ، العددان ٢ و ٤) المقالين اللذين يشير اليهما في اكبر الظن واضعو الرسالة ، يرى ان هذين المقالين * يتناولان موقف الحكومة من «التحريض الرخو الذي تقوم به الزيمستفو البيروقراطية المراتبية» ومن «مبادرة الطبقات المالكة نفسها» وقد جاء في المقال ان العامل لا يجوز له ان يقف موقف عدم الاكترات من نضال الحكومة ضد الزيمستفو وان الزيمستفويين مدعوون الى ترك الخطابات الرخوة والى قول كلمتهم بقوة وحزم عندما تقف الاشتراكية-الديموقراطية

* وبين هذين المقالين نشرت «الايسكرا» (العدد ٣) مقالاً خاصاً عن التناحرات الطبقيّة في اريافنا . (راجع مقال لينين «حزب العمال والفلاحون» . الناشر .)

الثورية في وجه الحكومة بكل قامتها ما هو الامر الذي لا يوافق عليه هنا واضعو الرسالة؟ لا ندري ترى هل يحسبون ان العامل «لن يفهم» كلمات «الطبقات المالكة» و«الزيمستفو البيروقراطية المراتبية»؟ هل يحسبون ان دفع الزيمستفويين الى الانتقال من الكلمات الرخوة الى الكلمات العازمة «مغلاة في اهمية الايديولوجيا»؟ هل يظنون ان العمال «سيجمعون القوى» للنضال ضد الحكم المطلق اذا كانوا لا يعرفون موقف الحكم المطلق من الزيمستفو ايضا؟ كل هذه الامور لا نعرفها انما هنالك امر جلي وهو ان واضعي الرسالة يتصورون المهام السياسية التي تواجه الاشتراكية-الديموقراطية تصوراً غامضاً جداً ويظهر ذلك بجلاء اكبر من عبارتهم «وهذا هو ايضا» (اي انه «يطمس» ايضا «التناحرات الطبقيّة») «موقف «الايسكرا» من حركة الطلاب». فبدلاً من نداء العمال الى ان يعلنوا بمظاهرة علنية ان المصدر الحقيقي للعنف والظغيان والاستهتار المنفلت ليس الطلاب بل الحكومة الروسية («الايسكرا» العدد ٢ *) كان علينا على ما يبدو ان ننشر حججاً مستوحاة من «رابوتشايا ميسل» وهذه الافكار تصدر عن اشتراكيين-ديموقراطيين في خريف سنة ١٩٠١ بعد احداث شباط (فبراير) وآذار (مارس) وعلى ابواب نهضة طلابية جديدة تظهر ان «عفوية» الاحتجاج على الحكم المطلق تسبق في هذا الميدان ايضاً القيادة الواعية للحركة من قبل الاشتراكية-الديموقراطية ان نزوع العمال العفوي الى الدفاع عن الطلاب الذين انهالت عليهم عصي الشرطة والقوزاق يسبق نشاط المنظمة الاشتراكية-الديموقراطية الواعي

ويستطرد واضعو الرسالة «ومع ذلك فـ«اليسكرا» تشجب بشدة في مقالات اخرى كل مساومة وتأخذ جانب الدفاع مثلاً عن عدم تساهل الغيديين» اننا ننصح الذين يدعون عادة بغرور وخفة بالغين ان الخلافات الموجودة في بيئة الاشتراكيين-الديموقراطيين الحاليين غير جوهرية وانها لا تبرر الانشقاق ، - بان يمعنوا الفكر في هذه الكلمات . فهل يمكن ان يتعاون في منظمة واحدة تعاوناً مثمراً اناس يؤكدون اننا لم نفعل غير النزر اليسير في تبيان عداء الحكم المطلق لمختلف الطبقات وفي اطلاع العمال على معارضة مختلف الفئات للحكم المطلق مع اناس يرون في هذا الامر «مساومة» مساومة على ما يبدو مع نظرية «النضال الاقتصادي ضد اصحاب الاعمال والحكومة» ؟

لقد تحدثنا بمناسبة مرور اربعين سنة على تحرير الفلاحين ، عن ضرورة ادخال النضال الطبقي في القريّة (العدد ٣) (٧٧) وتحدثنا بمناسبة مذكرة فيته (٧٨) السرية عن التضاد بين الاستقلال الاداري الذاتي والحكم المطلق (العدد ٤) وهاجمنا بمناسبة القانون الجديد ما يظهره ملاكو الاراضي والحكومة التي تخدمهم من ميل الى نظام القنانة (العدد ٨) (٧٩) ورحبنا بمؤتمر الزيمستفوات السرى وشجعنا الزيمستفويين على ترك الاسترحامات المهينة والانتقال الى النضال (العدد ٨) * لقد شجعنا الطلاب الذين اخذوا يدركون ضرورة النضال السياسي والذين شرعوا بهذا النضال (العدد ٣) وقرعنا في الوقت نفسه «بلادة الذهن الوحشية» التي اظهرها انصار الحركة «الطلابية الصرف» الذين دعوا الطلاب الى عدم الاشتراك في مظاهرات الشوارع (العدد ٣) لمناسبة النداء الصادر عن لجنة الطلاب التنفيذية بموسكو في ٢٥ شباط - فبراير) ؛

* راجع مقال لينين : «مؤتمر الزيمستفوات» . الناشر .

وقد فضحنا «الاحلام الجوفاء» و«النفاق والكذب» من جانب المحتالين الليبراليين في جريدة «روسيا» (٨٠) (العدد ٥) واشرنا في الوقت نفسه الى جنون السجن الحكومي الذي «ينكل بكتاب مسالمين وباساتذة وعلماء وشيوخ وبزيمستفويين ليبراليين مرموقين» (العدد ٥ «غارة بوليسية على الادب») لقد فضحنا جوهر برنامج «عناية الدولة بتحسين ظروف حياة العمال» ورحبنا ب«الاعتراف القيم» التالي «درء المطالب التابعة من اسفل باصلاحات من اعلى خير من انتظار حدوث الاحتمال الاول» (العدد ٦) * لقد شجعنا الاحصائيين المحتجين (العدد ٧) ونددنا بالاحصائيين كاسري الاضراب (العدد ٩) ان من يرى في هذا التكتيك تسمية لوعسي البروليتاريا الطبقي ومساومة مع الليبرالية يثبت بالتالي انه لا يفهم على الاطلاق المعنى الحقيقي لبرنامج «Credo» ويطبق de facto * * هذا البرنامج بالذات مهما تبرأ منه لأنه يجر بذلك الاشتراكية-الديموقراطية الى «النضال الاقتصادي ضد اصحاب الاعمال والحكومة» ويتقهقر امام الليبرالية بتخليه عن مهمة التدخل النشط في كل مسألة «ليبرالية» وعن تحديد موقفه هو موقفه الاشتراكي-الديموقراطي ، من هذه المسألة

(و مرة اخرى «مفترون» ،

مرة اخرى «مشعوذون»

هذه الكلمات اللطيفة صدرت كما يذكر القارى عن «رابوتشييه ديلو» التي اجابت بهذه الصورة على اتهامنا لها «بتمهيد التربة بصورة غير مباشرة لتحويل حركة العمال الى اداة للديموقراطية

* راجع مقال لينين «اعتراف قيم» الناشر

* * - في الواقع . - باللاتينية في النص الاصلى . الناشر .

البرجوازية» وقد قررت «رابوتشيه ديلو» ، لسذاجة نفسها ، ان هذا الاتهام ليس غير نزوة من نزوات الجدل فقد خطر لها ان جامدي العقيدة الاشرار هؤلاء قد صمموا على ان ينسبوا لنا مختلف الاشياء غير المستحبة ، وهل يمكن ان يكون هناك للمرء شيء اشد ازعاجاً من ان يكون اداة للديموقراطية البرجوازية ؟ وهكذا نشرت بالخط العريض «تكذيباً» «افتراء سافر» («مؤتمران» ص ٣٠) «شعوذة» (ص ٣١) ، «مسخرة» (ص ٣٣) . ان «رابوتشيه ديلو» ، على غرار جوبيتر (وان كانت قليلة الشبه به) تغضب بالضبط لانها على غير الحق ، مبرهنة باسراعها الى الشتائم انها عاجزة عن فهم مجرى تفكير خصومها ومع ذلك لا يحتاج المرء الى تفكير طويل لكي يدرك السبب الذي يجعل بالضبط من كل تقديس لعفوية الحركة الجماهيرية ، من كل هبوط بالسياسة الاشتراكية-الديموقراطية الى مستوى السياسة التريديونيونية بمثابة تمهيد التربة لتحويل حركة العمال الى اداة للديموقراطية البرجوازية فالحركة العمالية العفوية بحد ذاتها تستطيع ان تنشئ (وهي تنشئ حتماً) التريديونيونية فقط وما السياسة التريديونيونية للطبقة العاملة غير السياسة البرجوازية للطبقة العاملة . واشتراك الطبقة العاملة في النضال السياسي وحتى في الثورة السياسية لا يجعل اطلاقاً بعد من سياستها سياسة اشتراكية-ديموقراطية ترى الا يخطر على بال «رابوتشيه ديلو» ان تنكر ذلك ؟ الا يخطر على بالها في النهاية ان تعرض امام الجميع بصراحة ودون لبس او ابهام مفهومها عن القضايا الملحة في الاشتراكية-الديموقراطية العالمية والروسية ؟ - كلا لن يخطر لها ابداً ببال اي شيء من هذا القبيل اذ انها تتمشى بدقة مع الطريقة التي يمكن ان تسمى بطريقة «لا عين رأت ولا اذن سمعت» دعوني وشأني لا علاقة لي بالامر نحن لسنا «باقتصاديين» ، ان «رابوتشايا ميسل» ليست «بالاقتصادية» ،

و«الاقتصادية» بوجه عام لا وجود لها في روسيا وهي طريقة لبقة جداً و«سياسية» ليس فيها غير عيب واحد صغير فقد جرت العادة ان يطلق على الجرائد التي تطبقها لقب «امر؟ خدمة؟» (٨١) يخيل الى «رابوتشييه ديلو» ان الديمقراطية البرجوازية بوجه عام ليست في روسيا غير «شبح» («مؤتمران» ص ٣٢) * ما اسعد هؤلاء الناس فهم كالنعامة يخبئون رؤوسهم تحت اجنحتهم ويتصورون ان كل ما يحيط بهم يزول بذلك كتاب ليبراليون يعلنون على الملأ كل شهر عن فرحهم المظفر بانحلال الماركسية وحتى تلاشيها؛ جرائد ليبرالية («سانت بيتربورغسكيه فيدوموستي» (٨٢) و«روسكيه فيدوموستي» (٨٣) وجرائد اخرى كثيرة) تشجع اولئك الليبراليين الذين يحملون الى العمال المفهوم البرينتاني عن النضال الطبقي (٨٤) والمفهوم التريديونيوني عن السياسة؛ - كوكبة من نقاد الماركسية كشف «Credo» بوضوح عن حقيقة اتجاهاتهم وانتشار بضاعتهم الادبية وحدها في ارجاء روسيا بدون عائق بدون ضرائب ولا رسوم؛ - انتعاش الاتجاهات الثورية غير الاشتراكية-الديموقراطية ولا سيما بعد حوادث شباط (فبراير) وآذار (مارس)؛ - كل ذلك على ما يبدو ليس غير شبح

* يستشهدون هنا ايضاً ب«الظروف الروسية الملموسة التي تدفع حركة العمال بصورة جريئة الى الطريق الثوري» ان هؤلاء الناس لا يريدون ان يفهموا ان الطريق الثوري لحركة العمال يمكنه ان يكون ايضاً طريقاً غير اشتراكي-ديموقراطي! فالواقع ان البرجوازية في اوربا الغربية كلها كانت في عهد الحكم المطلق «تدفع» العمال، تدفعهم عن وعي، الى الطريق الثوري اما نحن الاشتراكيين-الديموقراطيين فلا يمكن ان نكتفي بذلك واذا ما هبطنا نحن بالسياسة الاشتراكية-الديموقراطية بشكل من الاشكال الى مستوى السياسة العفوية، التريديونيونية، فاننا بذلك نسهل امور الديمقراطية البرجوازية .

كل هذه امور لا علاقة لها على الاطلاق بالديموقراطية البرجوازية ! ينبغي لـ«رابوتشييه ديلو» كما ينبغي لواضعي الرسائلـ «الاقتصادية» في العدد ١٢ من «الايسكرا» ان «يعملوا الفكر فيما يلي لماذا افضت حوادث الربيع الى انتعاش الاتجاهات الثورية غير الاشتراكية-الديموقراطية هذا الانتعاش الكبير بدلاً من ان تفضي الى رفع نفوذ ومكانة الاشتراكية-الديموقراطية» ؟ - ذلك لأننا لم نكن اكفاء للمهمة ، لأن نشاط جماهير العمال قد فاق نشاطنا لأنه لم يكن لدينا قادة ومنظمون ثوريون معدون اعداداً كافياً ويعرفون حق المعرفة مزاج جميع الفئات المعارضة ويحسنون الوقوف في رأس الحركة وتحويل المظاهرة العفوية الى مظاهرة سياسية وتوسيع طابعها السياسي الخ . واذا ما استمرت هذه الحال فسيستغل تأخرنا حتماً الثوريون غير الاشتراكيين-الديموقراطيين ، الاشد حركة والابعد همة اما العمال ، فمهما اظهروا من تفان وهمة في المعارك ضد الشرطة والجيش ومهما اظهروا من الروح الثورية سيبقون مجرد قوة تساند هؤلاء الثوريين سيبقون مؤخررة الديمقراطية البرجوازية لا الطليعنة الاشتراكية-الديموقراطية خذوا الاشتراكية-الديموقراطية الالمانية التي لا يريد «اقتصادي» نا ان يقتبسوا منها غير جوانبها الضعيفة لماذا لا يقع حادث سياسي واحد في المانيا دون ان يقوي اكثر فاكتر من نفوذ الاشتراكية-الديموقراطية ويرفع من مكانتها ؟ ذلك لأن الاشتراكية-الديموقراطية هي دائما اول من يعطي التقدير الاكثر ثورية لهذا الحادث وأول من يسند كل احتجاج على الاستبداد فهي لا تعلق النفس بآراء مالها ان النضال الاقتصادي يصدم العمال بمسألة حرمانهم من الحقوق وان الظروف الملموسة تدفع حركة العمال بصورة جبرية الى الطريق الثوري انها تتدخل في جميع ميادين وجميع قضايا الحياة الاجتماعية والسياسية : تتدخل

عندما لا يصادق غليوم على انتخاب رئيس بلدية من البرجوازيين التقدميين (لم يجد «اقتصاديو»نا بعد الوقت الكافي لأن يعلموا الالمان ان هذا في الجوهر مساومة مع الليبيرالية!) وعندما يصدر قانون ضد الكتب والصور «الخليعة» وعندما تمارس الحكومة ضغطها اثناء انتخاب الاساتذة الخ. وهلم جراً في كل مكان يتقدم الاشتراكيون-الديموقراطيون الصفوف مستثيرين الاستياء السياسي في جميع الطبقات ، هازين النيام ، مستحثين المتأخرين مقدمين مواد تتناول جميع الميادين بغية تنمية وعي البروليتاريا السياسي ونشاطها السياسي والنتيجة ان هذا المناضل السياسي السائر في الطليعة يكتسب الاحترام حتى من اعداء الاشتراكية الواعين وليس بنادر ان نرى وثيقة هامة لا من المحيط البرجوازي وحده بل وحتى من محيط الدواوين والبلاط تقع لا ندري بأية معجزة ، في مكتب تحرير «Vorwärts» *

هنا سر «التناقض» الظاهري الذي يفوق درجة فهم «رابوتشييه ديلو» بحيث يجعلها ترفع يديها الى السماء وتصرخ «مسخرة» تصوروا من فضلكم نحن «رابوتشييه ديلو» نضع في المقام الاول حركة العمال الجماهيرية (ونطبع ذلك بالحرف العريض!) ونحذر الجميع وكلاً بمفرده من التقليل من اهمية العنصر العفوي نحن نريد ان نضفي الطابع السياسي على النضال الاقتصادي نفسه ، نفسه ، نحن نريد ان نبقي على صلة عضوية وثقى بالنضال البروليتاري! فيقولون لنا اننا نمهد التربة لتحويل حركة العمال الى اداة للديموقراطية البرجوازية ومن يقول لنا ذلك؟ اناس «يسامون» مع الليبيرالية بتدخلهم في كل مسألة «ليبيرالية» (ويا

* — «Vorwärts» (والى الامام) - بالالمانية في النص الاصلى .

له من عدم فهم «للصلة العضوية بالنضال البروليتاري» !
 وباهتمامهم اهتماماً كبيراً بالطلاب وحتى (ويا للهول !)
 بالزيمستفويين اناس يريدون بوجه عام ان يكرسوا نسبة اكبر
 (بالقياس الى «الاقتصاديين») من قواهم الى العمل بين طبقات السكان
 غير البروليتارية ! ألا ترون ان هذه «مسخرة» ؟ ؟
 مسكينة «رابوتشييه ديلو» هل يسعها الحظ في يوم
 فتكتشف سر هذا الامر العويص ؟

٤

عمل الاقتصاديين الحرفي وتنظيم الثوريين

ان ما قمنا بتحليله من مزاعم «رابوتشييه ديلو» ان النضال
 الاقتصادي هو الوسيلة التي يمكن استعمالها باوسع شكل
 للتحريض السياسي وان واجبنا الآن هو اضعاف الطابع السياسي
 على النضال الاقتصادي نفسه الخ . يعرب عن فهم ضيق لا
 لمهامنا السياسية وحسب بل لمهامنا التنظيمية ايضاً ف«النضال
 الاقتصادي ضد اصحاب الاعمال والحكومة» لا يتطلب على الاطلاق -
 ولذلك لا يمكن ان تنشأ على اساس هذا النضال - منظمة متركزة
 لعامة روسيا توحد في ضغط واحد عام جميع مظاهر المعارضة
 السياسية والاحتجاج والاستياء على اختلافها منظمة تتألف من
 ثوريين محترفين يقودها زعماء سياسيون حقيقيون للشعب كله
 وهذا امر بديهي فطابع تنظيم كل مؤسسة يحدده بصورة طبيعية
 محتومة مضمون نشاط هذه المؤسسة ولذلك تكرر «رابوتشييه
 ديلو» مزاعمها التي حللناها اعلاه وتصبغ بالصبغة الشرعية لاضيق
 النشاط السياسي وحسب ، بل ضيق العمل التنظيمي ايضاً . فهي

في هذه الحالة ايضاً كشأنها في جميع الحالات ، جريدة يقف وعيها عاجزاً امام العفوية والحال ان تقديس الاشكال التنظيمية التي تتكون عفوية وعدم ادراكنا لمدى ضيق عملنا التنظيمي وطابعه البدائي وجهلنا الى اي حد ما نزال «حرفيين» في هذا الميدان الهام اقول ان هذا الجهل هو مرض حقيقى في حركتنا بديهي انه مرض نمو لا مرض انحطاط ولكن ، في هذا الوقت الذي تدفقت فيه موجة السخط العفوي ، ويمكن ان نقول ذلك علينا نحن قادة الحركة ومنظميها ، في هذا الوقت بالذات لا بد لنا بصفة خاصة ان نخوض نضالاً لا يعرف الهوادة ضد كل دفاع عن التأخر ضد كل تسويغ لهذا الضيق لا بد لنا بصفة خاصة ان نوقظ في كل من يساهم او يهتم فقط بالمساهمة في النشاط العملي ، روح الاستياء من العمل الحرفي السائد عندنا والتصميم والحزم على الخلاص منه

(١) ما هو العمل الحرفي ؟

فلنحاول الجواب على هذا السؤال باعطاء صورة صغيرة عن نشاط حلقة اشتراكية-ديموقراطية نموذجية في سنوات ١٨٩٤-١٩٠١ لقد اشرنا الى شغف الطلبة العام في ذلك العهد بالماركسية وواضح ان هذا الشغف لم يستهدف الماركسية بوصفها نظرية وحسب وبالاحرى لم يستهدفها بوصفها نظرية بمقدار ما استهدفها بوصفها جواباً على سؤال «ما العمل ؟» ، بوصفها نداء الى شن حملة على العدو وقد نزل المقاتلون الجدد الى الحملة بتدريب وعتاد بدائيين لدرجة مدهشة وفي معظم الحالات كان العتاد معدوماً تقريباً والاستعداد معدوماً تماماً لقد توجهوا الى الحرب كفلاحين تركوا المحراث لتوهم دون ان يأخذوا معهم غير هراوة . حلقة طلاب لا تربطها اي صلة بمناضلي الحركة

القدماء لا تربطها اي صلة بالحلقات القائمة في المناطق الاخرى وحتى في الاحياء الاخرى من المدينة (او في المعاهد الاخرى) دون اي تنظيم لمختلف اجزاء العمل الثوري دون اي منهاج عمل منتظم لفترة طويلة لحد ما حلقة تقييم صلات مع العمال وتبدأ العمل وتوسع الحلقة الدعاية والتحريض شيئا فشيئا وتكتسب بمجرد عملها تحبيذ فئات من العمال واسعة لحد لا بأس به ، وتحبيذ قسم من المجتمع المثقف يقدم لها النقود ويضع تحت تصرف «اللجنة» جماعة من الشبيبة بعد اخرى وتزداد جاذبية اللجنة (او اتحاد النضال) ويتسع ميدان نشاطها وهي توسع هذا النشاط بصورة عفوية تماماً فنفس الاشخاص الذين اشتركوا منذ سنة او عدة اشهر في حلقات الطلاب وانكبوا على حل مسألة «الى اين نتجه؟» والذين اقاموا الصلات بالعمال وحافظوا عليها وحضروا المناشير واصدروها يقيمون الصلات مع فرق من الثوريين ويحصلون على المطبوعات ويشرعون باصدار جريدة محلية ويأخذون بالحديث عن تنظيم مظاهرة وينتقلون في النهاية الى الاعمال الحربية المكشوفة (علما بان هذه الاعمال الحربية المكشوفة قد تكون حسب الظروف اول نشرة من نشرات التحريض او اول عدد من اعداد الجريدة او اول مظاهرة) وفي المعتاد تفضي بداية هذه الاعمال بالذات الى الانهيار التام على الفور تفضي على الفور الى الانهيار التام لأن هذه الاعمال الحربية لم تأت على وجه الدقة نتيجة لمنهاج منتظم وضع سلفاً بعد تبصر واعمال فكر لنضال مديد عنيد بل مجرد تطور عفوي لعمل الحلقات الجاري حسب المعتاد لأن الشرطة كانت بطبيعة الحال تعرف دائماً تقريباً جميع مناضلي الحركة المحلية الرئيسيين الذين «اشتهر امرهم» مذ كانوا طلاباً على مقاعد الدراسة ولم تكن تنتظر غير الظرف المناسب للقبض عليهم تاركة للحلقة عن عمد امكانية النمو وتوسيع نشاطها الى

حد يكفى لكي تحصل على *corpus delicti* • تاركة دائماً عن عمد بعض الاشخاص الذين تعرفهم لاستخدامهم «طعماً» (حسب التعبير الفني الذي يستعمله كما اعلم رفاقنا والدرك على السواء) ومثل هذه الحرب لا يمكن ان يقارن الا بحملة زمر من الفلاحين مسلحين بالهراوى ضد جيش حديث ولا يسع المرء الا ان يدهش لحيوية هذه الحركة التي كانت تتسع وتنمو وتحرز الانتصارات بالرغم من انعدام التدريب انعداماً تاماً لدى المقاتلين صحيح ان بدائية العتاد لم تكن في البدء امراً محتوماً وحسب بل كانت ايضاً امراً مشروعا من وجهة النظر التاريخية باعتبارها شرطا من شروط جذب المقاتلين على نطاق واسع ولكن منذ بدأت المعارك الحربية الخطيرة (وقد بدأت في الاساس باضرابات صيف سنة ١٨٩٦) اخذت نواقص تنظيمنا الحربي تزداد وضوحاً اكثر فاكثر فبعد صدمة المفاجأة في البداية واقتراف عدد من الاخطاء (من نوع التوجه الى الرأي العام بوصف آثام الاشتراكيين ونفي العمال من العاصمة الى المراكز الصناعية في الاقاليم) تكيفت الحكومة سرعة حسب ظروف النضال الجديدة واستطاعت ان تحشد في الاماكن المناسبة ما لديها من فصائل المخبرين والجواسيس والدرك المجهزين بجميع العتاد الحديث واخذت الضربات تنهال بتواتر وتشمل جمهوراً كبيراً جداً من الاشخاص وتكنس الحلقات المحلية الى درجة ان كانت جماهير العمال تفقد بالمعنى الحرفي للكلمة جميع قادتها وتغدو الحركة في بلبلة شديدة ولا يعود بإمكانها ان تبقي على اية استمرارية او اي تناسق في العمل وقد كانت النتيجة المحتموة لهذه الظروف التي وصفناها ان انقسم المناضلون المحليون انقساماً مذهلاً واصبح تركيب الحلقات

عرضياً وانعدم الاستعداد وضاق افق النظر في ميادين المسائل النظرية والسياسية والتنظيمية وقد بلغ الامر ان اصبح العمال في بعض المناطق بسبب النقص في رباطة جأشنا وفي سرية عملنا يفقدون ثقتهم بالمشقفين ويتهربون منهم ويقولون ان المشقفين يسببون الاخفاقات من جراء طيشهم المفرط !

ان كل مطلع على الحركة ولو اقل اطلاع يعلم ان جميع الاشتراكيين-الديموقراطيين المفكرين اخذوا في النهاية يرون في طريقة العمل الحرفي هذه مرضاً حقيقياً ولكيلا يحسب القارىء غير المطلع على الحركة اننا «ننشى» بصورة مصطنعة مرحلة خاصة او مرضاً خاصاً في الحركة نستشهد بشاهد سبق لنا ان استشهدنا به ونرجوا ان لا نلام لاقتباسنا هذه الفقرة الكبيرة

كتب بـف في العدد ٦ من «رابوتشييه ديلو» واذا كان الانتقال التدريجي الى نشاط عملي اوسع- هذا الانتقال المتعلق تعلقاً مباشراً بمرحلة الانتقال العامة التي تجتازها حركة العمال الروسية- سمة مميزة فهناك سمة اخرى لا تقل اثاراً للاهتمام في مجموع آلية الثورة العمالية الروسية. **نعني النقص العام في القوى الثورية القادرة على العمل *** ، النقص الذي يشعر بوجوده في جميع انحاء روسيا ، لا في بطرسبورغ وحدها وبمقدار ما تشتد حركة العمال بوجه عام ، وتنمو جماهير العمال بوجه عام ، وتزايد الاضرابات ، ويصبح نضال العمال الجماهيري اكثر صراحة ، هذا النضال الذي يقوي الملاحظات الحكومية وحوادث الاعتقال والابعاد والنفي ، - **يصبح هذا النقص في القوى الثورية ذات الكفاءات العالية اشد بروزاً** ، ويترك دونما شك اثره في عمق الحركة وطابعها العام ان الكثير من الاضرابات يجري دون ان تؤثر فيه المنظمات الثورية تأثيراً قوياً ومباشراً... اننا نشعر بالنقص في منشورات التحريض والمطبوعات السرية... ان حلقات العمال تبقى دون محرضين والى جانب ذلك نشعر بالحاجة الدائمة الى النقود وباختصار نقول ان نمو حركة العمال يسبق نمو المنظمات الثورية وتطورها.

* حرف التاكيد في كل هذه الفقرة لنا .

ان الثوريين العاملين هم من القلة بحيث لا يستطيعون ان يجمعوا في ايديهم التأثير في جميع جماهير العمال المضطربة وان يصفوا على جميع الاضطرابات ولو ظلوا من الانسجام والتنظيم فالحلقات المنفردة ، والثوريون المنفردون غير مجموعين ، غير موحدين ، لا يؤلفون منظمة موحدة قوية تخضع لنظام معين وتتطور اجزاؤها حسب منهاج» وبعد ان يتحفظ الكاتب قائلاً ان ظهور الحلقات الجديدة فوراً في مكان المنهارة «يرهن على حيوية الحركة فقط ولكنه لا يدل على وجود عدد كاف من القادة الثوريين الصالحين تماماً ، يخلص الى هذا الاستنتاج وان عدم الاستعداد العملي لدى ثوريي بطرسبورغ يؤثر ايضاً في نتائج عملهم فالمحاكمات الاخيرة ولا سيما محاكمتا جماعتي «التحرير الذاتي» و«نضال العمل ضد رأس المال» (٨٥) ، قد اظهرت بوضوح ان المحرض الشاب غير المطلع على تفاصيل ظروف العمل وبالتالي على ظروف التحريض في هذا العمل أو ذاك والذي يجهل مبادئ العمل السري والذي تعلم (وهل تعلم ؟) والآراء الاشتراكية-الديموقراطية العامة فقط ، قد يعمل اربعة اشهر او خمسة او ستة وبعد ذلك تحل ساعة الاعتقال الذي يستتبع في الكثير من الحالات انهيار المنظمة كلها او قسم منها على الاقل اذن ، هل تستطيع جماعة ان تعمل بصورة مشمرة وبنجاح اذا كانت حياتها لا تزيد على اشهر ؟ واضح ان من غير الجائز ان تنسب جميع نواقص المنظمات الموجودة الى مرحلة الانتقال واضح ان عدد اعضاء المنظمات العاملة ، وخصوصاً صفاتهم ، يلعبان في ذلك دوراً هاماً ، وان مهمة اشتراكيينا-الديموقراطيين الاولين ينبغي ان تكون توحيد المنظمات توحيداً فعلياً مع اختيار اعضائها اختياراً دقيقاً ،

(ب) العمل الحرّي والاقتصادية

ينبغي لنا ان نتناول الآن سؤالاً يدور في خلد كل قارئ بالتأكيد هذا العمل الحرّي بوصفه مرض نمو يلازم الحركة بمجموعها هل يمكن ان يقرن «بالاقتصادية» باعتبارها احد تيارات الاشتراكية-الديموقراطية الروسية ؟ نعتقد ان ذلك ممكن . ان

نقص الاستعداد العملي ان عدم المهارة في العمل التنظيمي هو في الحقيقة شيء عام بالنسبة الينا جميعاً حتى الذين تمسكوا منذ البدء بوجهة نظر الماركسية الثورية ولا يمكن لاحد بطبيعة الحال ان يلوم المشتغلين في الميدان العملي لنقص الاستعداد بعد ذاته ولكن مفهوم «العمل الحرفي» يتضمن فضلاً عن نقص الاستعداد شيئاً آخر هو ضيق نطاق العمل الثوري كله بوجه عام وعدم فهم ان منظمة ثورين جيدة لا يمكن ان تتكون على اساس هذا العمل الضيق واخيراً وهو الامر الاهم محاولات تبرير هذا النطاق الضيق ورفعته الى مقام «نظرية» خاصة ، اي تقديس العفوية في هذا الميدان ايضاً ومذ ظهرت هذه المحاولات لم يبق شك في ان العمل الحرفي مرتبط «بالاقتصادية» واننا لن نتخلص من ضيق نشاطنا التنظيمي اذا لم نتخلص من «الاقتصادية» عموماً (اي من المفهوم الضيق للنظرية الماركسية ولدور الاشتراكية الديمقراطية ولمهامها السياسية) والواقع ان هذه المحاولات برزت في اتجاهين فقد اخذ بعضهم يقول ان جمهور العمال لم يطرح هو نفسه بعد مهام كفاح سياسية واسعة كالتى «يفرضها» عليه الثوريون ولا يزال عليه ان يناضل من اجل المطالب السياسية المباشرة وان يقوم ب«النضال الاقتصادي ضد اصحاب الاعمال والحكومة» * (وهذا النضال الذي هو في «متناول» الحركة الجماهيرية ثلاثه بصورة طبيعية منظمة هي في «متناول» حتى الشببية الاقل إعداداً) واخذ آخرون من الذين هم بعيدون عن كل «تدرجية» يقولون يمكن ويجب «القيام بالثورة السياسية» ولكن ذلك لا يتطلب البتة انشاء منظمة ثورين قوية تربى

* «رابوتشاياميسل» و«رابوتشيه ديلو» وبوجه خاص «الجواب» الموجه الى بليخانوف .

البروليتاريا على النضال الحازم العنيد ، بل يكفيننا لذلك ان نتشبت جميعنا بالهراوة المألوفة التي في «متناولنا» واذا لم نلجأ الى التشبايه نقول ان علينا ان ننظم الاضراب العام * او ان نهيج بواسطة «ارهاب تهيجي» حركة العمال «الخاملة» * * هذان التياران الانتهازيون و«الثوريون» يستسلمان امام العمل الحرفي السائد ولا يؤمنان بامكان الخلاص منه ولا يدركان مهمتنا العملية الاولى التي لا تقبل التأجيل انشاء منظمة ثورين قادرة على ان تؤمن للنضال السياسي القوة والثبات والاستمرارية

لقد اثبتنا آنفاً كلمات ب- ف «نمو حركة العمال يسبق نمو المنظمات الثورية وتطورها» ان لهذا «النبا القيم من مراقب عن كتب» (من تقرير هيئة تحرير «رابوتشييه ديلو» لمقالة ب- ف) اهمية مزدوجة في نظرنا فهو يبين اننا كنا على حق عندما رأينا السبب الاساسي لأزمة الاشتراكية-الديموقراطية الروسية الحالية في **تأخر القادة** (من «ايدولوجيين» ، وثورين واشتراكيين-ديموقراطيين عن نهوض الجماهير العفوي وهو يبرهن ان جميع هذه الاقوال لواضعي الرسالة «الاقتصادية» («اليسكرا» العدد ١٢) ب كريتشفسكي ومارتينوف بصدد خطر التقليل من اهمية العنصر العفوي والنضال الجاري المعتاد والتكتيك-الحركة الخ ، ليست غير تمجيد للعمل الحرفي ودفاع عنه . فهؤلاء الناس الذين لا يستطيعون النطق بكلمة «نظري» دون ان يكشروا عن انيابهم باحتقار والذين يطلقون على سجدوهم امام نقص الاستعداد لامور الحياة ونقص التطور اسم «حس الحياة» يكشفون في الواقع عن عدم

* كراس «من يقوم بالثورة السياسية ؟» وقد صدر في روسيا في مجموعة «النضال البروليتاري» واعادت طبعه لجنة كيف .

* * «بعث الثورية» و«سفوبودا» .

فهم لمهامنا العملية الاكثر الحاحا انهم يصرخون بالناس المتأخرين وحدوا الخطى ! لا تسبقوا ! اما بالناس المصابين بنقص الهمة والمبادرة في العمل التنظيمي المصابين بنقص «المشاريع» للعمل الجريء الواسع فيصرخون عليكم بـ«التكتيك-الحركة» ان ذنبنا الاساسي هو الهبوط بمهامنا السياسية والتنظيمية الى مستوى مصالح النضال الاقتصادي الجاري المباشرة «الملموسة» «الحسية» ومع ذلك لا يفتأون يتحفوننا باغنية ينبغي ان نضفي الطابع السياسي على النضال الاقتصادي نفسه نكرر انه حقاً «حس حياة» اشبه بحس بطل الاسطورة الشعبية الذي اخذ يصرخ وقد رأى موكب جنازة «ان شاء الله دايمة !»

تذكروا كيف اخذ هؤلاء الحكماء يعظون بليخانوف بعنجهية لا تضارعها غير عنجهية «نرسييس» (٨٦) قائلين «ان المهام السياسية بمعنى الكلمة الحقيقي العملي اي بمعنى النضال العملي المعقول والناجح من اجل المطالب السياسية ليست بوجه عام (كذا !) في متناول حلقات العمال» («جواب هيئة تحرير «رابوتشييه ديلو»» ص ٢٤) ثمة حلقات وحلقات يا سادة فالمهام السياسية ليست طبعاً في متناول حلقة من «الحرفيين» ما لم يدرك هؤلاء الحرفيون انهم يعملون على الطريقة الحرفية ، وما لم يتخلصوا منها واذا ما اظهر هؤلاء الحرفيون فضلاً عن ذلك هياماً بطريقتهم الحرفية واذا ما اخذوا يكتبون كلمة «عملي» بالحرف العريض على الدوام ويتصورون ان الروح العملية تتطلب منهم الهبوط بمهامهم الى مستوى فهم اكثر فئات الجماهير تأخراً عندئذ يتضح ان مرض هؤلاء الحرفيين مستعص وان المهام السياسية بوجه عام ليست ، فعلاً ، في متناولهم ولكن المهام السياسية بكل معنى هذه الكلمة الحقيقي بكل معناها العملي هي في متناول حلقة اقطاب من امثال الكسييف وميشكين وخالتورين

وجيليايوف وذلك بالضبط لأن دعايتهم الحارة تجد صدى في الجماهير المستيقظة بصورة عفوية وبقدر ما تجد هذا الصدى ولأن همتهم المتأججة تؤيدها وتدعمها همة الطبقة الثورية، وبمقدار ما تؤيدها وتدعمها لقد كان بليخانوف الف مرة على حق عندما لم يكتف بالاشارة الى وجود هذه الطبقة الثورية ولم يكتف بالبرهان على ان يقظتها العفوية امر محتوم لا مفر منه بل وضع امام «حلقات العمال» مهمة سياسية سامية كبرى اما انتم فتستشهدون بالحركة الجماهيرية التي انبثقت منذ ذلك الحين لكيما تهبطوا بهذه المهمة لكيما تضيقوا نطاق نشاط «حلقات العمال» وتضعفوا همتها وكيف نسمي ذلك ان لم نسمه بهيام الحرفي بطريقته الحرفية ؟ تتبجحون بروحكم العملية ولكنكم لا ترون الواقع الذي يعرفه كل من ساهم في الحركة الروسية لا ترون المعجزات التي تستطيع الاتيان بها في العمل الثوري همة اشخاص منفردين فضلاً عن همة الحلقة بمجموعها هل تحسبون ان حركتنا لا تستطيع ان تنجب اقطاباً كاقطاب سنوات العقد الثامن ؟ ولماذا ؟ الآن استعدادنا قليل ؟ ولكننا نستعد ونستعد ونصبح مستعدين ! حقاً لقد نبت عندنا ، لسوء الحظ ، الطحلب على مستنقع «النضال الاقتصادي ضد اصحاب الاعمال والحكومة» لقد ظهر اناس يجثون على ركبهم ويتعبدون العفوية ويتأملون بخشوع (حسب تعبير بليخانوف) «دبر» البروليتاريا الروسية ولكننا سنستطيع الخلاص من هذا الطحلب فالثوري الروسي الذي يسترشد بنظرية ثورية حقاً ويستند الى طبقة ثورية حقاً تستيقظ بصورة عفوية يستطيع في هذا الوقت بالذات يستطيع في النهاية - في النهاية ! - ان ينتصب بكل قامته ويطلق كل قواه العملاقة وهذا لا يتطلب غير شيء واحد هو ان تستقبل كل محاولة من محاولات الهبوط بمهامنا السياسية وتضييق نطاق عملنا

التنظيمي ببسمة سخرية واحتقار من قبل جمهور المشتغلين في الميدان العملي ومن قبل الجمهور الاوسع منه جمهور الذين يحلمون بالنشاط العملي منذ ان كانوا على مقاعد الدراسة سنتوصل الى ذلك ، فاطمنوا ايها السادة !

لقد كتبت ضد «رابوتشيه ديلو» في مقال «بم نبدا؟» قائلاً «خلال ٢٤ ساعة يمكن تغيير تكتيك التحريض في مسألة معينة من المسائل التكتيك الذي يرمي الى تحقيق عنصر معين من عناصر التنظيم الحزبي اما ان يغير المرء نظراته لا في ٢٤ ساعة ، بل حتى في ٢٤ شهراً بصدده ما اذا كانت هنالك حاجة بوجه عام ، حاجة دائمة وأكيدة لمنظمة كفاحية وللتحريض السياسي بين الجماهير ، فهو امر لا يستطيعه غير اناس لا مبادئ لهم» وقد اجابت «رابوتشيه ديلو» قائلة «ان اتهام «الايسكرا» هذا الوحيد من بين الاتهامات التي تدعي لنفسها بالطابع العملي لايقوم على اي اساس فقراء «رابوتشيه ديلو» يعرفون حق المعرفة اننا منذ البدء لم نقتصر على اللعنة الى التحريض السياسي دون ان ننتظر ظهور «الايسكرا»» (قائلين آنذاك ان «اسقاط الحكم المطلق لا يمكن ان يوضع كهمة سياسية اولى امام حركة العمال الجماهيرية» فضلاً عن حلقات العمال ، وانه لا يمكن ان يوضع كهمة سياسية اولى غير النضال من اجل المطالب السياسية المباشرة ، وان «المطالب السياسية المباشرة تصبح في متناول الجماهير بعد اضراب او عدة اضرابات على اكثر تقدير» . «بل اننا اوصلنا كذلك من الخارج بواسطة مطبوعاتنا مادة التحريض السياسي الاشتراكية-الديموقراطية الوحيدة الى الرفاق العاملين في روسيا» (علما بانكم ، في مادتكم الوحيدة هذه لم تقتصروا على ممارسة اوسع تحريض سياسي على صعيد النضال الاقتصادي وحده بل لقد بلغ بكم تفكيركم في النهاية حداً اعلنتم معه ان هذا التحريض الضيق

هو الذي «يمكن استعماله باوسع شكل» الا تلاحظون ايها السادة ان حججكم لا تبرهن الا على ضرورة ظهور «الايسكرا» - ما دام هذا هو نوع المادة **الوحيدة** - وإلا على ضرورة نضال «الايسكرا» ضد «رابوتشييه ديلو» ؟ «ومن الجهة الاخرى ان نشاطنا بوصفنا ناشرين قد مهد في الواقع لوحدة الحزب التكتيكية» (وحدة الاعتقاد بان التكتيك هو سعي نمو المهام الحزبية التي تنمو مع نمو الحزب ؟ ما ائمنها من وحدة !) «ومهد بذلك لامكانية انشاء «منظمة كفاحية» عمل «الاتحاد» كل ما في طاقة منظمة في الخارج ان تبذله عموماً لانشائها» («رابوتشييه ديلو» العدد ١٠ ص ١٥) عبثاً تحاولون التملص ! اما انكم بذلتم كل ما في طاقتكم، فهو امر لم افكر بانكاره قط فقد اكدت وأؤكد ان حدود «متناول»كم يضيقتها قصر نظركم بل انه من المضحك الحديث عن «منظمة كفاحية» للنضال من اجل «المطالب السياسية المباشرة» او من اجل «النضال الاقتصادي ضد اصحاب الاعمال والحكومة»

ولكن اذا كان القارى يريد ان يرى درر الهيام «الاقتصادي» بالعمل الحرفي فينبغي له ان يتوجه طبعاً من «رابوتشييه ديلو» الاختيارية وغير الثابتة الى «رابوتشاياميسل» المستقيمة والحازمة فقد كتب ر م في «الملحق الخاص» ص ١٣ «سنتناول الآن بكلمتين من يسمون بالمتقفين الثوريين بالذات لقد برهنوا حقاً غير مرة من خلال العمل انهم مستعدون كل الاستعداد «لخوض المعركة الفاصلة ضد القيصرية» ولكن المصيبة كل المصيبة هي في كون مثقفينا الثوريين الذين تلاحقهم الشرطة السياسية دون رحمة قد حسبوا النضال ضد الشرطة السياسية نضالاً سياسياً ضد الحكم المطلق ولذلك لم يجدوا حتى الآن الجواب الواضح على سؤال «من اين نستمد القوى للنضال ضد الحكم المطلق؟» .

هذا الاستخفاف الرائع بالنضال ضد الشرطة من قبل هائم (بأردأ معاني الكلمة) بالحركة العفوية أليس بديعاً حقاً ؟ انه مستعد لتجريب عدم مهارتنا في العمل السري بحجة ان النضال ضد الشرطة السياسية لا اهمية له في جوهر الامر بالنسبة لنا في حالة الحركة الجماهيرية العفوية لن يوقع على هذا الاستنتاج الفظيع غير قلة قليلة فقد حز الالم صميم افئدة الجميع من جراء نواقص منظماتنا الثورية ولكن اذا كان مارتينوف ، مثلاً يرفض التوقيع عليه فما ذلك الا لانه لا يحسن التفكير بموضوعاته حتى نهايته المنطقية او لا يجروء على ذلك وفي الحقيقة اذا ما وضعت الجماهير مطالب معينة تبعت الامل بنتائج حسية ، فهل تتطلب هذه «المهمة» اهتماماً خاصاً بانشاء منظمة ثوريين وطيدة متمركزة قادرة على الكفاح ؟ الا يقوم بهذه المهمة جمهور لا «يناضل ضد الشرطة السياسية» على الاطلاق ؟ وفوق ذلك هل يمكن تنفيذ هذه المهمة اذا لم ينهض بها ايضاً عدا القادة القلائل عمال هم (في اكثريتهم الكبرى) غير اهل على الاطلاق «للنضال ضد الشرطة السياسية» ؟ فهؤلاء العمال هؤلاء الناس المتوسطون من الجماهير يستطيعون اظهار فيض من الهمة والتفاني في الاضراب وفي نضال الشوارع ضد البوليس والجيش يستطيعون (وهم وحدهم الذين يستطيعون) تقرير نتيجة حركتنا باكملها - ولكن النضال ضد البوليس السياسي هو الذي يتطلب صفات خاصة يتطلب ثوريين محترفين وينبغي لنا ان نحرض لا على ان «يقدم» الجمهور مطالب ملموسة وحسب ، بل على ان «يقدم» جمهور العمال كذلك امثال هؤلاء الثوريين المحترفين بعدد متزايد على الدوام . وهكذا نصل الى مسألة التناسب بين منظمة الثوريين المحترفين وحركة العمال الصرف ان هذه المسألة التي قلما وجدت لها مكاناً في المنشورات قد شغلتنا كثيراً نحن «السياسيين» في الاحاديث والجدال مع الرفاق الذين

يميلون الى «الاقتصادية» الى هذا الحد او ذاك وهي مسألة تستحق الوقوف عندها بوجه خاص ولكن لنختتم اولاً باستشهاد آخر عرض رأينا في الصلة بين العمل الحرفي و«الاقتصادية»

لقد كتب السيد N.N. في مقاله «الجواب» (٨٧) «ان فرقة «تحرير العمل» تنادي بالنضال المباشر ضد الحكومة دون ان تقدر اين تكمن القوة المادية الضرورية لهذا النضال ودون ان تشير الى طرق هذا النضال» وقد وضع الكاتب بالخط العريض الكلمات الاخيرة ووضع تحت كلمة «طرق» الملاحظة التالية «هذا الواقع لا يمكن تفسيره باهداف العمل السري لأن البرنامج لا يتحدث عن مؤامرة بل عن حركة جماهيرية ولا يمكن للجمهور ان يسير في الطرق السرية اذ هل يمكن وجود اضراب سري ؟ هل يمكن وجود مظاهرة او عريضة سرية ؟» («Vademecum» ,, «فاديبيكوم» ص ٥٩) لقد وقف الكاتب وجهاً لوجه امام هذه «القوة المادية» (منظمو الاضرابات والمظاهرات) وامام «طرق النضال» ولكنه يجد نفسه مع ذلك في حيرة وبلبله ، لأنه «يقدم» الحركة الجماهيرية ، اي انه ينظر اليها نظرتة الى امر يعقينا من نشاطنا الثوري لا الى امر من شأنه ان يشجع ويعفز نشاطنا الثوري . الاضراب السري مستحيل بالنسبة للمضربين وللشخص الذين لهم علاقة مباشرة به ولكن هذا الاضراب قد يبقى (وانه ليبقى في معظم الحالات) «سراً» بالنسبة لجمهور العمال الروس لأن الحكومة تعمل على ان تقطع كل صلة بالمضربين تعمل على ان تجعل من المستحيل نشر اي نبا عن الاضراب وهنا تظهر الحاجة الى «النضال ضد الشرطة السياسية» وهو نضال خاص لا يمكن ان يقوم به بنشاط في اي حال من الاحوال جمهور كبير كالجهور الذي يشترك في الاضرابات . وينبغي ان ينظم هذا النضال «وفق جميع اصول الفن»

من قبل اناس يجعلون من النشاط الثوري مهنة لهم ولا تقل الحاجة الى تنظيم هذا النضال من جراء انجذاب الجمهور الى الحركة بصورة عفوية بل بالعكس ، فان هذا الواقع يزيد الحاجة الى هذا التنظيم لاننا نحن الاشتراكيين لا نقوم بواجباتنا المباشرة امام الجمهور اذا كنا لا نستطيع اعاقة الشرطة عن ان تبقي طي الكتمان (واذا كنا لا نحضر نحن احياناً في طي الكتمان) اي اضراب او اية مظاهرة في طاقتنا ان نفعل هذا وذلك على وجه الضبط لأن الجمهور المستيقظ بصورة عفوية سيقدم ايضا من صفوفه «ثوريين محترفين» بعدد متزايد (هذا اذا لم يخطر لنا ان ندعو العمال بمختلف النغمات الى المراوحة في مكان واحد)

ج) منظمة العمال ومنظمة الثوريين

اذا كان مفهوم «النضال الاقتصادي ضد اصحاب الاعمال والحكومة» في نظر الاشتراكي-الديموقراطي مفهوم النضال السياسي فطبيعي ان نتوقع لمفهوم «منظمة العمال» ان يغطي في نظره الى حد ما مفهوم «منظمة الثوريين» وهذا ما يحدث في الواقع حتى اننا نجد انفسنا حيا ل لغات تختلف كل الاختلاف عندما يدور الحديث عن التنظيم اذكر مثلاً حديثاً جرى بيني وبين احد «الاقتصاديين» المستقيمين الى حد لا بأس به لم تسبق لي به معرفة (٨٨) وقد تناول الحديث كراس «من يقوم بالثورة السياسية؟» وقد اتفقنا بسرعة على ان النقص الاساسي فيه هو اغفال مسألة التنظيم وتصورنا ان وجهات نظرنا متفقة ولكن عندما تابعنا الحديث ظهر لنا اننا نتكلم عن امور مختلفة فمحدثي يتهم مؤلف الكراس باغفال صناديق الاضرابات وجمعيات تبادل المساعدة الخ. ، في حين كنت اقصد منظمة

الثورين الضرورية «للقيام» بالثورة السياسية ولا اذكر اني اتفقت مع هذا «الاقتصادي» حول اية مسألة من المسائل المبدئية بعد ظهور هذا الخلاف !

فما هو مصدر خلافنا ؟ انه يكمن في كون «الاقتصاديين» ينزلقون على الدوام من الاشتراكية-الديموقراطية الى التريديونيونية إن في المهام التنظيمية ام في المهام السياسية فنضال الاشتراكية-الديموقراطية السياسي اوسع جداً واكثر تعقيداً من نضال العمال الاقتصادي ضد اصحاب الاعمال والحكومة وكذلك (وتبعاً لذلك) لا بد لتنظيم الحزب الاشتراكي-الديموقراطي الثوري من ان يكون من نوع آخر يختلف عن تنظيم العمال للنضال الاقتصادي اذ ينبغي لمنظمة العمال ان تكون اولاً مهنية ثانياً واسعة ما امكن ثالثاً علنية ما امكن (هنا وفيما يأتي من البحث لا اعني بالطبع غير روسيا الحكم المطلق) وبالعكس ينبغي لمنظمة الثورين ان تضم بالدرجة الاولى وبصورة رئيسية اناساً يكون النشاط الثوري مهنتهم (ولذلك اتحدث عن منظمة الثورين وانا اعني الثورين-الاشتراكيين-الديموقراطيين) وحيال هذه الصفة المشتركة بين اعضاء مثل هذه المنظمة ينبغي ان يمعي بصورة تامة كل فرق بين العمال والمثقفين فضلاً عن الفروق بين مهن هؤلاء واولئك على اختلافها ينبغي لهذه المنظمة بالضرورة ان لا تكون واسعة جداً وان تكون على اكثر ما يمكن من السرية فلنتناول هذه الفروق الثلاثة

ان الفرق بين التنظيم المهني والتنظيم السياسي واضح تماماً في البلدان التي تتمتع بحرية سياسية وضوح الفرق بين التريديونيونات والاشتراكية-الديموقراطية وطبيعي ان علاقة الاشتراكية-الديموقراطية بالتريديونيونات تختلف حتماً من بلد الى آخر ، تبعاً للظروف التاريخية والحقوقية وغيرها ، ويمكن ان

تكون على جانب معين من القوة ، والتعقيد ، الخ . (وينبغي ان تكون حسب رأينا قوية الى اقصى حد وخالية من التعقيد ما امكن) ولكن لا يمكن باي حال ان تعتبر المنظمة النقابية ومنظمة الحزب الاشتراكي-الديموقراطي في البلدان الحرة شيئاً واحداً اما في روسيا فان طغيان الحكم المطلق يحو لأول وهلة كل فرق بين المنظمة الاشتراكية-الديموقراطية ونقابة العمال لأن جميع نقابات العمال وجميع الحلقات ممنوعة لأن المظهر الاساسي والاداة الاساسية لنضال العمال الاقتصادي - اي الاضراب - يعتبر بوجه عام جريمة يعاقب عليها قانون الجزاء (ويعتبر احياناً جريمة سياسية !) وهكذا «تصدم» الظروف عندنا بشدة العمال الذين يخوضون النضال الاقتصادي بالقضايا السياسية هذا من جهة ومن جهة اخرى «تصدم» الاشتراكيين-الديموقراطيين بالخلط بين التريديونيونية والاشتراكية-الديموقراطية (وان اصحابنا كريتشيفسكي ومارتينوف وشركاهما من الذين لا يفتأون يتحدثون عن «الصدم» من النوع الأول لا يلاحظون «الصدم» من النوع الثاني) وبالفعل تصوروا اناساً انهمكوا بنسبة ٩٩ بالمئة في «النضال الاقتصادي ضد اصحاب الاعمال والحكومة» فثمة قسم منهم لن يصطدم مرة واحدة طيلة فترة نشاطه كلها (٤-٦ اشهر) بمسألة منظمة للثوريين اكثر تعقيداً وثمة آخرون «يصطدمون» في اكبر الظن بمطالعة المنشورات البرنشستينية المنتشرة نسبياً ويستمدون منها الاعتقاد بالاهمية البالغة التي يتسم بها «تقدم النضال الجاري المعتاد» وهناك اخيراً قسم ثالث يحتمل ان يهيم بفكرة مغرية هي اعطاء العالم نموذجاً جديداً عن «الصلة العضوية الوثيقة بالنضال البروليتاري» عن الصلة بين الحركة المهنية والاشتراكية-الديموقراطية وكانى بهؤلاء الناس يفكرون على النحو التالي بمقدار ما يتأخر بلد من البلدان

عن الدخول في مسرح الرأسمالية وبالتالي ، في مسرح الحركة العمالية يزداد امكان مساهمة الاشتراكيين في الحركة المهنية ودعمهم اياها ويقل امكان ووجوب وجود نقابات غير اشتراكية-ديموقراطية هذا التفكير الى هنا صحيح كل الصحة ولكن المصيبة انهم يسيرون الى حد ابعد ويحلّمون بمزج الاشتراكية-الديموقراطية والتريديونيونية مزجاً تاماً وسنستشهد الآن بـ«النظام الداخلي لاتحاد النضال في سانت بطرسبورغ» لكي نرى مبلغ ضرر تأثير هذه الاحلام في مشاريعنا التنظيمية

يجب ان تكون منظمات العمال الخاصة بالنضال الاقتصادي منظمات مهنية ويجب على كل عامل اشتراكي-ديموقراطي ان يساعد هذه المنظمات على قدر الطاقة وان يعمل فيها بنشاط هذا صحيح ولكن ليس من مصلحتنا على الاطلاق ان نطالب بان يكون اعضاء الجمعيات «المهنية» من الاشتراكيين-الديموقراطيين وحدهم ، لأن ذلك يسفر عن تقلص نفوذنا في الجماهير فليشترك في الجمعية المهنية كل عامل يدرك ضرورة الاتحاد للنضال ضد اصحاب الاعمال والحكومة فهذه الجمعيات المهنية ذاته لا يمكن بلوغه ان لم تضم هذه الجمعيات جميع الذين يبلغون على الاقل هذه الدرجة البدائية من درجات الفهم ان لم تكن هذه الجمعيات المهنية منظمات واسعة جداً وبمقدار ما تتسع هذه المنظمات يتسع نفوذنا فيها وهو نفوذ لا ينشأ فقط عن التطور «العفوي» للنضال الاقتصادي انما ينشأ ايضاً عن تأثير اعضاء الجمعية الاشتراكيين في رفاقهم تأثيراً مباشراً واعياً ولكن عندما يكون عدد المنتمين الى منظمة من المنظمات كبيراً تتعذر السرية الدقيقة (التي تتطلب استعداداً اكبر جداً من الاستعداد اللازم للنضال الاقتصادي) فكيف نحل هذا التناقض بين ضرورة سعة المنظمة وضرورة السرية الدقيقة ؟ كيف نعمل لتكون المنظمات المهنية

سرية لاقبل حد ممكن ؟ لبلوغ ذلك لا يوجد بوجه عام غير سبيلين
 اما جعل الجمعيات المهنية علنية (وقد حدث هذا في بعض البلدان
 قبل ان تصبح الجمعيات الاشتراكية والسياسية علنية) واما
 ابقاء المنظمة سرية ، ولكن «حرة» وغير واضحة الحدود ، اي lose
 كما يقول الالمان لدرجة تصبح معها الصفة السرية بالنسبة
 لجمهور الاعضاء في حكم العدم تقريباً

لقد بدأ في روسيا انتقال جمعيات العمال غير الاشتراكية
 وغير السياسية الى العلنية ، ولا مجال لأي شك في ان كل خطوة
 تخطوها حركتنا العمالية الاشتراكية-الديموقراطية النامية بسرعة
 ستضاعف وتشجع محاولات الانتقال الى هذه العلنية - وهي محاولات
 صادرة بصورة رئيسية عن انصار النظام القائم ولكنها صادرة
 ايضاً بصورة جزئية عن العمال انفسهم والمثقفين الليبراليين
 لقد رفع علم العلنية اناس من اضراب فاسيليف وزوباتوف ، وقد
 وعد السادة من اضراب اوزيروف وفورمس بالعمل على ذلك وبروا
 بوعدهم ولقد ظهر بين العمال اتباع لهذا الاتجاه الجديد فلا
 يمكننا من الآن فصاعداً الا نحسب الحساب لهذا التيار اما كيف
 نحسب له الحساب فهذا كما نعتقد ، ما لا يمكن ان يختلف عليه
 الاشتراكيون-الديموقراطيون نحن ملزمون بان نفصح على الدوام
 اشتراك امثال زوباتوف وفاسيليف والدرك والكهنة في هذا التيار ،
 ملزمون بان نبين للعمال حقيقة اهداف هؤلاء المشتركين ونحن
 ملزمون كذلك بان نفصح جميع النغمات التوفيقية و«المنسجمة»
 التي ستكشف عنها خطابات الليبراليين في اجتماعات العمال
 العلنية - سواء اصدرت هذه النغمات عن ليبراليين يعتقدون
 مخلصين بان التعاون السلمى بين الطبقات امر مرغوب فيه
 او عن ليبراليين تحدهم الرغبة في تملق الرؤساء او في النهاية
 عن ليبراليين هم بكل بساطة غير حاذقين ونحن ملزمون ،

اخيراً بان نحذر العمال من الشرك الذي تنصبه لهم الشرطة في حالات كثيرة لتبحث في هذه الاجتماعات العلنية وفي الجمعيات المرخص لها عن «الناس الذين تتأجج النار في صدورهم» ولتدس في المنظمات السرية ايضاً المخبرين عن طريق المنظمات العلنية ولكن قيامنا بكل ذلك لا يعنى البتة اننا ننسى ان جعل حركة العمال علنية سيعود بالنفع في نهاية الامر علينا نحن ، لا على امثال زوباتوف البتة ان الامر على العكس ، فبحملتنا التشهيرية نفصل نحن الزوان عن الحنطة وقد بينا الزوان اما الحنطة فهي لفت انظار اوسع فئات العمال واكثرها تأخراً الى المسائل الاجتماعية والسياسية ، هي تحريرنا نحن الثوريين ، من وظائف هي في الجوهر علنية (نشر الكتب العلنية المساعدة المتبادلة ، الخ) وظائف يؤدي تطورها حتماً الى اعطائنا عدداً متزايداً على الدوام من المواد للتحريض وبهذا المعنى يمكننا وينبغي لنا ان نقول لزوباتوف واوزيروف واضرابهما اجتهدوا ايها السادة ، اجتهدوا ! فنحن لكم بالمرصاد وسنفضحكم عندما تنصبون للعمال الشرك (عن طريق الاستفزات المباشرة او عن طريق افساد العمال «الشريف» «بالستروفية») (٨٩) واذا ما خطوتم حقاً خطوة الى امام ، ولو بشكل «انعطاف ضعيف جداً» ، ولكنها خطوة الى امام نقول لكم اعملوا معروفًا ان فسخ المجال حقاً امام العمال مهما كان طفيفاً هو وحده الذي يمكنه ان يشكّل خطوة الى امام حقاً وكل فسخ لهذا المجال يخدمنا نحن ويجعل ظهور جمعيات علنية لا يصطاد فيها المخبرون الاشتراكيين بل يصطاد فيها الاشتراكيون الاتباع لهم ان مهمتنا الآن هي باقتضاب مكافحة الزوان فليس من اختصاصنا استنبات الحنطة في آنية بالغرف فنحن اذ نفتلح الزوان ننظف التربة مهديين لنمو بذور الحنطة المحتمل . واثناء انهماك اضراب افاناسي

ايفانوفيتش وبولخيريا ايفانوفنا (٩٠) بالزراعة في الغرف ينبغي لنا ان نعد حاصدين يحسنون اجثاث زوان اليوم وجني حصاد حنطة الغد *

واذن لا نستطيع فعن عن طريق العلنية ان نحل مسألة انشاء منظمة مهنية تكون سرية لاقبل حد ممكن وواسعة لاقصى حد ممكن (ولكن نكون سعداء جداً اذا اعطانا امثال زوباتوف واوزيروف ولو جزئياً امكانية هذا الحل وللحصول على هذه الامكانية ينبغي لنا ان نكافحهم باكبر ما يمكن من الهمة !) يبقى طريق المنظمات المهنية السرية وهنا يجب علينا ان نقدم كل مساعدة للعمال الذين اخذوا (كما نعرف بدقة) يسلكون هذا الطريق فالمنظمات المهنية لا يمكنها ان تقدم فائدة كبرى في تطوير وتعزيز النضال الاقتصادي وحسب بل يمكنها فضلاً عن ذلك ان تصبح عاملاً مساعداً كبير الاهمية للتحريض السياسي والتنظيم الثوري . ولبلوغ هذه النتيجة ، لتوجيه الحركة المهنية المبتدئة الى المجرى الذي تريده الاشتراكية-الديموقراطية ينبغي قبل كل شيء ان نتبين بوضوح سخافة المشروع التنظيمي الذي يطبل ويزمر له «الاقتصاديون»

* ان نضال «الايسكرا» ضد الزوان قد دفع «رابوتشييه ديلو» الى هذه الكلمات الغاضبة «ان «الايسكرا» لا ترى رمز الزمن في هذه الاحداث الكبرى (احداث الربيع) بمقدار ما تراه في المحاولات الحقيرة التي يبذلها عملاء زوباتوف لجعل حركة العمال «علنية» وهي لا ترى ان هذه الوقائع تتكلم ضدها بالذات ، فهي تدل على ان حركة العمال اكتسبت مقاييس خطيرة جداً في نظر الحكومة» («مؤتمران»، ص ٢٧). كل الذنب هو ذنب «الجمود العقائدي» لهؤلاء الارثوذكس «الصم حيال مقتضيات الحياة» فهم يتعاملون باصرار عن رؤية الحنطة التي بلغت الذراع طولاً ويكافحون نباتات الزوان التي لا تزيد عن الشبر ! ليس ذلك «بتحسس مقلوب لمستقبل حركة العمال الروسية» (نفس المصدر ، ص ٢٧) ؟

في بطرسبورغ منذ ما يقرب من خمس سنوات وقد ورد هذا المشروع في «النظام الداخلي لصندوق العمال» المؤرخ في تموز (يوليو) سنة ١٨٩٧ «ليستوك» «رابوتنيكا» العدد ٩-١٠ ص ٤٦ ، من العدد ١ من «رابوتشايا ميسل» وفي «النظام الداخلي لمنظمة العمال النقابية» المؤرخ في تشرين الاول (أكتوبر) سنة ١٩٠٠ (صفحة على حدة طبعت في سانت بطرسبورغ وورد ذكرها في العدد ١ من «الايسكرا») والخطا الاساسي في كلا النظامين هو طرح جميع التفاصيل المتعلقة بمنظمة عمالية واسعة وخلق منظمة الثوريين بها فلناخذ النظام الداخلي الثاني باعتباره اكثر دقة انه يتألف من اثنتين وخمسين فقرة منها ٢٣ فقرة تتناول تنظيم «حلقات العمال» التي يجرى تشكيلها في كل معمل («على ان لا تزيد كل حلقة على عشرة اشخاص») والتي تنتخب «الجماعات المركزية (في المعمل)» كما تتناول طريقة تصريف امورها ومدى صلاحيتها وقد جاء في الفقرة ٢ «تراقب الجماعة المركزية كل ما يجري في مصنعها او معملها وتسجل الاحداث التي تجري فيه» «تقدم الجماعة المركزية كل شهر تقريراً عن حالة الصندوق لجميع المشتركين» (الفقرة ١٧) الخ وهناك ١٠ فقرات تتناول «منظمة الحي» و١٩ فقرة تتناول التشابك المعقد منتهى التعقيد بين «لجنة المنظمة العمالية» و«لجنة اتحاد النضال في سانت بطرسبورغ» (منتدبون عن كل حي وعن «الجماعات التنفيذية» - «جماعة من الدعاة جماعة للاتصال بالاقاليم جماعة للاتصال بالخارج جماعة لادارة المستودعات جماعة للمنشورات ، جماعة للصندوق»)

الاشتراكية-الديموقراطية = «الجماعات التنفيذية» بالنسبة الى نضال العمال الاقتصادي لعل من الصعب ان نبين بأبرز من ذلك كيف تنزلق فكرة «الاقتصادي» من الاشتراكية-الديموقراطية

الى التريديونيونية ، وكيف لا يستطيع اطلاقاً ان يتصور ان الاشتراكي-الديموقراطي ملزم بان يفكر قبل كل شيء بمنظمة ثوريين اكفاء لقيادة نضال البروليتاريا التحريري كله فالحديث عن «تحرير الطبقة العاملة السياسي» ، وعن النضال ضد «الطغيان القيصري» وتعبير مثل هذه الانظمة الداخلية للمنظمة يعني عدم ادراك اي شيء على الاطلاق من المهام السياسية الحقيقية التي تواجه الاشتراكية-الديموقراطية ليست ثمة اية فقرة بين الفقرات الخمسين تنم عن بارقة ادراك لضرورة القيام بأوسع تحريض سياسي بين الجماهير يكشف عن جميع نواحي الاستبداد الروسي عن كل سيماء مختلف الطبقات الاجتماعية في روسيا وهذا النظام الداخلي فضلاً عن انه لا يمكن من بلوغ الاهداف السياسية لا يمكن كذلك من بلوغ الاهداف التريديونيونية نفسها اذ انها تتطلب تنظيمًا حسب المهمن ، وهو ما لا يؤتى على ذكره اطلاقاً

ولعل السمة الابعد في الدلالة هي مبلغ ثقل كل هذا «النظام» الذي يحاول ان يربط كل مصنع الى «اللجنة» برباط دائم من قواعد متشابهة وتافهة لدرجة مضحكة وعلى اساس نظام انتخابي ذي ثلاث درجات ان التفكير الذي يخنقه ضيق افق «الاقتصادية» ينطلق هنا الى تفاصيل تنز منها روائح المماثلة والدواوينية والواقع ان ثلاثة ارباع هذه الفقرات لا تطبق ابداً ولكن هذا التنظيم «السري» الذي توجد جماعة مركزية له في كل مصنع يسهل بالمقابل على الدرك تنظيم الاعتقالات على نطاق واسع الى حد لا يصدق لقد اجتاز الرفاق البولونيون هذه المرحلة من مراحل الحركة حين شغف الجميع بتشكيل صناديق عمال على نطاق واسع ولكنهم لم يلبثوا ان تخلوا عن هذه الفكرة اذ اتضح لهم انهم بذلك لا يفعلون اكثر من تقديم غلة كبيرة للدرك واذا كنا نريد منظمات عمال واسعة ، واذا كنا لا نريد اعتقالات واسعة

ولا نريد ادخال المسرة الى قلوب الدرك فيجب علينا ان نعمل لكي لا تتخذ هذه المنظمات اي شكل تنظيمي . - ولكن هل يمكن لمنظمات كهذه ان تقوم بوظائفها ؟ - لنلق نظرة على هذه الوظائف مراقبة كل ما يجري في المصنوع وتسجيل الاحداث التي تجري فيه» (الفقرة ٢ من النظام الداخلي) وهل تحتاج هذه الوظيفة حقاً الى شكل تنظيمي ؟ ألا يمكن تنفيذها بصورة افضل عن طريق رسائل الى الجرائد السرية دون ان تنظم لهذا الغرض اية جماعات خاصة ؟ .» قيادة نضال العمال من اجل تحسين حالتهم في العمل» (الفقرة ٣ من النظام الداخلي) وهذا ايضاً لا يحتاج الى اي شكل تنظيمي فمحاذثة بسيطة تكفي لأن يعرف المحرض بكل دقة مهما كانت درجة ذكائه ما هي المطالب التي يريدونها العمال وعندما يعرفها يستطيع ان يرفعها الى منظمة غير واسعة الى منظمة ضيقة من الثوريين لا يصلح النشرة المناسبة تنظيم صندوق يكون رسم الاشتراك فيه كوبيكين عن كل روبل» (الفقرة ٩) ومن ثم اعطاء تقرير شهري للجميع عن حالة الصندوق (الفقرة ١٧) وطرد الاعضاء الذين لا يدفعون اشتراكاتهم (الفقرة ١٠) الخ وهذا هو بالنسبة للشرطة اللجنة عينها لأنه ليس ثمة ما هو اسهل من التسلل الى اعماق هذا السر ، سر «الصندوق المركزي» في المعمل ومن مصادرة النقود واعتقال نخبة الاعضاء اليس من الافضل اصدار طوابع بكوبيك او كوبيكين تحمل خاتم منظمة معينة (ضيقة جداً وسرية جداً) او حتى جمع تبرعات دون طوابع تنشر جريدة سرية تقارير عنها بلغة تتفق عليها ؟ ان الهدف نفسه يمكن بلوغه بذلك ولكن اكتشاف المنظمة يصبح اصعب على الدرك بمئة مرة .

بوسعي ان استمر في تحليل فقرات النظام الداخلي ولكنني احسب ان في ما ذكرته الكفاية ان نواة صغيرة متراسة تتألف من اشد العمال ثقة وحكمة وتمرساً بالنضال لها معتمدون في المناطق الرئيسية وتتصل بمنظمة الثوريين على اساس مراعاة قواعد العمل السري بكل دقة تستطيع تماماً استناداً الى اوسع تأييد من قبل الجمهور وبدون اي شكل تنظيمي ان تقوم بجميع الوظائف الملقة على المنظمة المهنية وتستطيع فضلاً عن ذلك القيام بها على وجه الضبط بالشكل الذي تريده الاشتراكية-الديموقراطية هذا هو الطريق الوحيد الذي يمكن من تعزيز وتطوير الحركة المهنية الاشتراكية-الديموقراطية بالرغم من الدرك كله

وسيعترضون علي بقولهم ان منظمة lose * الى حد انها لا تتخذ لنفسها اي شكل معين واعضاءها غير معروفين وغير مسجلين لا يمكن ان تسمى بمنظمة - ربما لست ممن يهتمون بالاسماء ولكن هذه «المنظمة بلا اعضاء» ستقوم بكل ما يلزم وستؤمن منذ البدء الصلة الوثقى بين تريديونيوناتنا المقبلة وبين الاشتراكية وكل من يريد في ظل الاستبداد منظمة عمال واسعة تنتخب هيئاتها على اساس الاقتراع العام وتقدم التقارير والنخ ، فهو بكل بساطة طوبوي لا يرجى له شفاء

والعبرة التي تستخلص من ذلك بسيطة اذا بدأنا بتكوين منظمة ثوريين وطيدة قوية استطعنا ان نضمن الاستقرار للحركة بمجموعها استطعنا ان نبلغ الاهداف الاشتراكية-الديموقراطية والاهداف التريديونيونية الصرف ايضاً اما اذا بدأنا بتكوين منظمة عمال واسعة ، منظمة يُزعم انها «اسهل منالا» للجماهير

* - حرة ، واسعة . - بالالمانية في النص الاصلي . الناشر .

(والواقع انها اسهل منالاً للدرك وانها تجعل الثوريين اسهل منالاً للشرطة) فانتا لن نبلغ لا هذه الاهداف ولا تلك ولن نتخلص من العمل الحرفي بل اننا بانقساماتنا وانهياراتنا الدائمة ، نجعل طراز تريديونيون زوباتوف او اوزيروف اسهل منالاً للجماهير بم ينبغي ان تتلخص وظائف منظمة الثوريين هذه ؟ - سنتناول الآن ذلك بالتفصيل ولكننا سنبدأ بتحليل آراء نموذجية اخرى لصاحبنا الارهابي الذي يظهر مرة اخرى (ويا لسوء الطالع !) متأخماً «للاقتصادي» نجد في العدد ١ من «سفوبودا» ، وهي مجلة للعمال مقالاً تحت عنوان «التنظيم» يحاول كاتبه ان يدافع فيه عن معارفه من العمال «الاقتصاديين» في ايفانوفو- فوزنيسينسك يقول

«لا خير في جموع صامته ، غير واعية ، لا خير في حركة لا تأتي من اسفل انظروا عندما يعود الطلاب من مدينة جامعية الى بيوتهم في ايام الاعياد او في الصيف ، تتوقف حركة العمال وهل يمكن لحركة عمال يدفعونها من خارجها ان تكون قوة حقاً ؟ مطلقاً انها لم تتعلم بعد المشي على قدميها ويسندونها كالاطفال وهكذا في كل شيء يسافر الطلاب فتقف الحركة يلتقطون الاكثر كفاءة من الزبدة فيفسد الحليب يعقلون «اللجنة» فيسود السكون الى ان تتألف لجنة جديدة ؛ ومن يدري كيف تكون الجديدة ، فقد تختلف عن السابقة كل الاختلاف لجنة كانت تقول شيئاً والاخرى ستقول العكس ، وتنقطع الصلة بين الامس والغد ، ولا تعود خبرة الماضي مفيدة للمستقبل . وكل هذا من جراء عدم وجود جذور في الاعماق ، في الجموع ؛ كل هذا لأن العمل لا يجري من قبل منة من الحمقى ، بل من قبل دستة من الاذكياء سهل دائماً على الحوت ان يتلع عشرة اشخاص ، ولكن اذا ما شملت المنظمة الجموع ، اذا ما صدر كل شيء عن الجموع ، فليس في وسع اي جهد ان يقضي على القضية» (ص ٦٣) .

لقد وصفت الوقائع وصفاً صادقاً فقد اعطى الكاتب صورة لا بأس بها عن عملنا الحرفي ولكن الاستنتاجات خليقة بـ «رابوتشاييا ميسل» سواء من حيث الغباء ام من حيث انعدام الذوق السياسي انها الذروة في الغباء ، اذ ان الكاتب يخلط بين مسألة «جذور» الحركة «في الاعماق» - وهي مسألة فلسفية واجتماعية تاريخية ، ومسألة تحسين النضال ضد الدرك - وهي مسألة تكنيكية تنظيمية انها الذروة في انعدام الذوق السياسي لأن الكاتب ، بدلا من ان يدعو الى ان يحل القادة الصالحون محل القادة الرديين يدعو الى ان تحل «الجموع» محل القادة عموماً ان هذه محاولة تجرنا الى الورا في الميدان التنظيمي ، مثلما ان فكرة حلول الازعاج التهييجي محل التحريض السياسي تجرنا الى الورا في الميدان السياسي واني والحق يقال في *embarras de richesses* * لا ادري بما ابدأ تحليل التشويش الذي اتحفتنا به «سفوبودا» سأحاول البدء بضرب مثل للوضوح ولناخذ الالمان وآمل انكم لن تنكروا ان المنظمة عندهم تشمل الجموع وان كل شيء يصدر عن الجموع وان حركة العمال قد تعلمت المشي على قدميها ولكن كم تحسن هذه الجموع الغفيرة تقدير «الدستة» من قادتها السياسيين المجربين ، وبأية قوة تتمسك بهم فكم من مرة وقف نواب الاحزاب المعادية في البرلمان لازعاج الاشتراكيين وقالوا: «ما اجملكم من ديموقراطيين! حركتكم هي حركة الطبقة العاملة في مجال القول وحسب ولكن في مجال العمل تبرز على الدوام نفس الزمرة من القادة طيلة السنين وعشرات السنين نرى ببيل لا يحول ولا يزول نرى لبيكنخت لا يحول ولا يزول ان نوابكم الذين تدعون انهم منتخبو العمال هم اثبت في مناصبهم

* - حيرة حيال الفنى . - بالفرنسية في النص الاصلي . الناشر .

من الموظفين الذين يعينهم الامبراطور !» غير ان الالمان قد استقبلوا ببسمة ازدراء هذه المحاولات الديماغوجية التي تستهدف معارضة «الزعماء» بـ«الجموع» واثارة غرائز الغرور الرديئة في الجموع وحرمان الحركة متانتها وثباتها عن طريق تقويض ثقة الجماهير بـ«دستة الاذكياء» لقد بلغ الالمان من تطور الفكر السياسي واكتسبوا من الخبرة السياسية ما جعلهم يفهمون انه يتعذر في المجتمع الراهن على كل طبقة من الطبقات ان تناضل بشبات بدون «دستة» من الزعماء النوابغ (والنوابغ لا يولدون بالمثل) المجربين والمتفقيين في الرأي اروع الاتفاق والمحضرين مهنيًا والذين حنكتهم تجارب الايام لقد عرف الالمان في بيئتهم كذلك ديماغوجيين تملقوا «المثات من الحمقى» ورفعوهم فوق «دستات الاذكياء» تملقوا «قبضة» الجمهور «المفتولة العضل» مستثيرينه (على غرار موسست وهاسيلمان) الى اعمال «ثورية» طائشة وباذرين الشك بالزعماء الرصينين الحازمين. وما كانت الاشتراكية الالمانية لتتوطد وتنمو هذا النمو لولا نضالها في الداخل نضالاً عنيداً لا هوادة فيه ضد جميع العناصر الديماغوجية على اختلافها اما حكماؤنا فانهم في هذا الظرف الذي تفسر فيه كل ازمة الاشتراكية الديمقراطية الروسية بكون الجماهير المستيقظة بصورة عفوية لا تجد قادة على قدر كاف من الاستعداد والتطور والتجربة ، يعلنون بعمق تفكير الغبي «لا خير في حركة لا تأتي من اسفل» ! «لجنة الطلبة لا تصلح انها غير ثابتة» . - هذا صحيح كل الصحة ولكن يستنتج منه ان الامر يتطلب لجنة من ثورين محترفين من اناس ينمون في انفسهم صفات الثوري المحترف ولا يهم بعد ذلك ان يكونوا عمالاً او طلاباً بينما تستنتجون انتم انه لا ينبغي دفع حركة العمال من خارجها انكم لا تلاحظون بسبب سذاجتكم السياسية ، انكم تخدمون بذلك «اقتصاديين»نا

وطريقتنا في العمل الحرفي واسمحوا لنا بان نسألکم بسم تجلی «دفع» طلابنا لعمالنا ؟ الامر الوحيد الذي تجلی فيه هذا الدفع هو كون الطالب قد حمل للعامل شذرات المعارف السياسية الموجودة لديه وفتات الافكار الاشتراكية التي جمعها (لأن طالب اليوم يجد غذاءه العقلي الرئيسي في الماركسية العلنية التي لم تكن تستطيع ان تعطيه غير الابدجية وغير الفتات) ان مثل هذا «الدفع من الخارج» بالذات لم يكن في حركتنا بالكثير ، بل بالعكس لقد كان قليلاً جداً قليلاً لحد مخجل ومشين لأننا افرطنا في الانطواء على انفسنا افرطنا في السجود كالعبيد امام «نضال العمال» البدائي «الاقتصادي ضد اصحاب الاعمال والحكومة» ومثل هذا «الدفع» بالذات ينبغي لنا نحن الثورين المحترفين ان ننصرف اليه و ننصرف اليه بجهود مضاعفة مئة مرة بيد انه نظراً لوقوع اختياركم بالضبط على هذا التعبير الشنيع ، «الدفع من الخارج» هذا التعبير الذي يوحي للعامل حتماً (على الاقل للعامل المتأخر بمقدار تأخركم انتم) عدم الثقة بجميع من يحملون اليه من الخارج المعرفة السياسية والخبرة الثورية ويثير فيه غريزة الرغبة في صد جميع امثال هؤلاء الناس نظراً لهذا الواقع بالضبط تكونون من **الديماغوجيين** والديماغوجيون هم شر اعداء الطبقة العاملة

نعم نعم لا تتسرعوا في رفع عقيرتكم بالعويل حول «اسالبيبي غير الرفاقية» في الجدال ! فليس في نيتي ان اشك في صفاء طويتكم لقد سبق لي ان قلت انه يمكن ان يصبح المرء من الديماغوجيين لمجرد سذاجته السياسية ولكني برهنت انكم هويتم الى درك الديماغوجية وسأكرر دون كلل ان الديماغوجيين هم شر اعداء الطبقة العاملة هم بالضبط. شر اعداء الطبقة العاملة لأنهم يثرون في الجموع الغرائز السيئة ولأن العمال المتأخرين لا يستطيعون تبين هؤلاء الاعداء الذين يدعون انهم اصدقاء لهم ،

ويدعون ذلك احياناً مخلصين هم شر الاعداء اذ انه في مرحلة التبعض والتردد في المرحلة التي لا تزال فيها سيماء حركتنا في دور التكوين ليس ايسر من جذب الجموع عن طريق الديماغوجية فلا يقنعها فيما بعد بخطئها غير المعن المريرة ولذلك يجب على الاشتراكي-الديموقراطي الروسي اليوم ان يجعل شعار الساعة النضال الحازم سواء ضد «سفوبودا» التي تهوي الى درك الديماغوجية او ضد «رابوتشييه ديلو» التي تهوي هي ايضاً الى درك الديماغوجية (الامر الذي سنبينه بتفصيل * فيما يأتي من البحث) .

«اصطياد دستة اذكيا اسهل من اصطياد مئة احمق» ان هذه الحقيقة الرائعة (التي تضمن لكم على الدوام التصفيق من مئة احمق) لا تبدو جلية الا لأنكم قد قفزتم في مجرى تفكيركم من مسألة الى اخرى لقد بدأت الحديث وما زلت تتحدثون عن اصطياد «اللجنة»، عن اصطياد «المنظمة»، وقد قفزتم الآن الى مسألة اصطياد «جذور» الحركة «في الاعماق» واضح ان حركتنا لا يمكن القبض عليها ولو بسبب ان لها مئات ومئات الالوف من الجذور في الاعماق ولكن المسألة ليست هنا فحتى في الوقت الحاضر ، وبالرغم من كل طريقتنا الحرفية في العمل يتعذر «اصطياد»نا بمعنى اصطياد «جذورنا في الاعماق» ولكننا جميعا نشكو مع ذلك ، ولا بد لنا ان نشكو من هذا القبض على «المنظمات» الذي يقوض

* اما هنا فنلاحظ فقط ان كل ما قلناه بصدد والدفع من الخارج» وجميع اقوال «سفوبودا» اللاحقة حول التنظيم يتعلق كلياً بجميع «الاقتصاديين» بمن فيهم جماعة «رابوتشييه ديلو» لأنهم جزئياً نادوا بنشاط بنفس الآراء في مسائل التنظيم ودافعوا عنها ، وجزئياً انزلقوا نحو هذه الآراء .

كل استمرارية في الحركة اما اذا طرحتم مسألة القبض على المنظمات دون ان تحيدوا عنها فاني اقول لكم ان القبض على دستة من الاذكياء اصعب جداً من القبض على مئة احمق وسادافع عن هذا الرأي مهما ألّبتم علي الجموع بسبب موقفي «المعادى للديموقراطية» الخ . ينبغي لنا ان نفهم من تعبير «الاذكياء» في الميدان التنظيمي - كما اشرت غير مرة - **الثوريين المعترفين فقط** ، سواء ظهروا من بين الطلاب او العمال فلا فرق وها انا اذا اجزم بانه (١) لا يمكن ان توجد اية حركة ثورية وطيدة بدون منظمة من القادة ثابتة تحافظ على الاستمرارية (٢) بمقدار ما يتسع الجمهور الذي ينهض بصورة عفوية الى النضال والذي يؤلف قاعدة الحركة ويساهم فيها تشتد الحاجة الى مثل هذه المنظمة وينبغي لها ان تكون اوطد (والا سهل بنفس المقدار على كل ديماغوجي التغرير بفئات الجمهور المتأخرة (٣) ينبغي لهـذه المنظمة ان تتألف بصورة رئيسية من اناس يجعلون من النشاط الثوري مهنة لهم (٤) بمقدار ما **نضيق** في بلاد يسودها الاستبداد قوام اعضاء هذه المنظمة بحيث لا يشترك فيها غير الاشخاص الذين جعلوا من النشاط الثوري مهنة لهم والذين تدربوا تدريباً مهنياً على فن النضال ضد الشرطة السياسية ، تزداد صعوبة «اصطياد» هذه المنظمة (٥) **يزداد** عدد ابناء الطبقة العاملة والطبقات الاجتماعية الاخرى الذين تتاح لهم امكانية الاشتراك في الحركة والعمل النشيط فيها

انسي اطلب الى اصحابنا «الاقتصاديين» والارهابيين و«الاقتصاديين-الارهابيين» * ان يدحضوا هذه الصيغ التي لن

* ربما كان هذا التعبير اضبط من التعبير السابق بالنسبة ولسفوبودا ، اذ انها تدافع عن الارهابية في مقال «بعث الثورية» وعن

اتناول منها الآن غير الصيغتين الاخيرتين ان مسألة ما اذا كان القبض على «دسته من الاذكياء» اسهل من القبض على «مئة من الحمقى» تؤول الى المسألة التي حللناها هل المنظمة الجماهيرية ممكنة مع ضرورة المراعاة الدقيقة لقواعد العمل السري ؟ لن نستطيع بحال من الاحوال ان نرفع منظمة واسعة الى ذلك المستوى من السرية الذي لا يمكن بدونه حتى الحديث عن نضال ضد الحكومة له صفة الثبات والاستمرارية ان تركيز جميع الوظائف السرية في ايدي اقل عدد ممكن من الثوريين المحترفين لا يعني قط ان هؤلاء «سيفكرون عوضاً عن الجميع» وان الجموع لن تساهم في الحركة بنشاط بل بالعكس فان الجموع ستبرز هؤلاء الثوريين المحترفين بعدد يتزايد باستمرار لأن الجموع ستعرف عندئذ انه لا يكفي ان يجتمع عدد من الطلاب والعمال القائمين بالنضال الاقتصادي ويشكلوا «اللجنة» انما ينبغي للجموع ان تنفق السنين على تنشئة ثوريين محترفين من صلبها وسيصرف «تفكير»ها الى هذه التنشئة بالذات لا الى العمل الحرفي وحده

والاقتصادية» في المقال الذي نبحثه يمكننا ان نقول عن «سفوبودا» بصورة عامة الرغبة شديدة والنتيجة مرة ان لدى «سفوبودا» قابليات ممتازة ومقاصد حسنة ولكنها لا تعطي في النتيجة غير التشويش تشويش ينشأ بصورة رئيسية عن ان «سفوبودا» اذ تدافع عن استمرارية المنظمة لا تريد ان تعترف باستمرارية الفكرة الثورية والنظرية الاشتراكية. الديموقراطية فمن يسع ليعت مرة اخرى الثوري المحترف (وبعث الثورية) ويقترح لبلوغ ذلك ، اولاً ، الارهاب التهييجي ، وثانياً ، منظمة عمال متوسطين («سفوبودا» ، العدد ١ ، ص ٦٦ وما يليها) ويدفعون من الخارج لاقبل حد ممكن - يشبه من يريد ان يدقء مسكنه فيهدمه ليجعل منه حظاً .

ان تركيز الوظائف السرية للمنظمة لا يعني اطلاقاً تركيز جميع وظائف الحركة فاشترك اوسع الجماهير اشتراكاً نشيطاً في المنشورات السرية لا يقل من جراء تركيز «دسته» من الثوريين المحترفين للوظائف السرية في هذا العمل بل بالعكس يزداد اضعافاً مضاعفة ليس من طريق غير هذا الطريق يوصلنا الى جعل امر قراءة المنشورات السرية والمساهمة في تحريرها وحتى امر توزيعها الى حد معين تكف تقريباً عن ان تكون امراً سرياً لأن الشرطة لا تلبث ان تفهم ان من الحماقة والمستحيل اللجوء الى الاجراءات القضائية والادارية بصدد كل نسخة من الوف النسخ الموزعة ولا ينطبق ذلك على الصحافة وحسب ، انما ينطبق ايضاً على جميع وظائف الحركة بما في ذلك المظاهرات فاشترك الجمهور في المظاهرة انشط اشترك واوسع عدا انه لا يصاب بأي ضرر ، يستفيد جداً اذا ما قامت «دسته» من الثوريين المجربين والمدربين تدريباً مهنياً لا يقل عن تدريب الشرطة عندنا بتركيز جميع النواحي السرية في العمل - تحضير المناشير وضع مشروع تقريبي تعيين هيئة قيادة لكل حي من احياء المدينة ولكل منطقة من مناطق المعامل ولكل مدرسة الخ . (اعلم انهم سيعترضون علي بأن نظراتي «غير ديموقراطية» ولكني سأجيب بالتفصيل على هذا الاعتراض الاخرق تماماً فيما يأتي من البحث) ان تركيز منظمة الثوريين لاكثر الوظائف سرية لا يضعف انما يزيد سعة ومضمون نشاط مجموعة كبرى من المنظمات الاخرى المعدة للجمهور الواسع والتي تخلو بسبب ذلك لاقصى حد ممكن من الشكل التنظيمي والسرية: كمنقبات العمال وحلقات العمال للدراسة ولقراءة المنشورات السرية والحلقات الاشتراكية وكذلك الحلقات الديموقراطية بين جميع فئات السكان الاخرى الخ . الخ . ان هذه الحلقات والمنقبات والمنظمات ضرورية في كل مكان ، وبأكبر عدد ممكن

وبوظائف متنوعة ما امكن ولكن من خطل الرأي ومن الضرر ان نعلط بينها وبين منظمة الثوريين وان نطمس الحد الفاصل بين هذه المنظمات ومنظمة الثوريين وان نطفي في الجمهور نور الادراك الذي سبق له وخبأ الى حد لا يصدق ، الادراك بان الحركة الجماهيرية تحتاج «لخدمتها» الى اناس يكرسون انفسهم خصيصا وكليا للنشاط الاشتراكي-الديموقراطي وانه ينبغي لهؤلاء الناس ان يربوا من انفسهم بصبر ومثابرة ثوريين محترفين

اجل ، لقد خبا هذا الادراك لدرجة يصعب تصورها والخطيئة الرئيسية التي اقرفناها في ميدان التنظيم هي كوننا بعملنا الحرفي ، قد اسانا الى سمعة الثوري في روسيا ثوري ضيق الافق ضعيف ومتردد في القضايا النظرية يجعل من عفوية الجماهير مبرراً لرخاوته اشبه بسكرتير تريديونيون منه الى خطيب شعبي ، غير كفاء لعرض برنامج واسع جري ينتزع احترام الخصوم انفسهم قليل الخبرة واخرق في الفن الذي اتخذه لنفسه مهنة - النضال ضد الشرطة السياسية ، - هل هذا هو الثوري من فضلكم ! لا ، ان هذا حرفي يستحق الشفقة

ارجو الا يعتب علي احد من المشتغلين في الميدان العملي لهذه الكلمة الخشنة اذ اني انسبها لنفسي قبل كل شيء ما دمنا نتحدث عن قلة الاستعداد لقد عملت في حلقة (٩١) وضعت نصب عينها اهدافاً واسعة شاملة وقد شعرنا جميعنا نحن اعضاء هذه الحلقة بالالم يحز في قلوبنا اذ ادركنا اننا حرفيون في ظرف تاريخي يمكننا ان نقول فيه مع بعض التغيير لعبارة من العبارات الشائعة اعطونا منظمة من الثوريين ، نقلب روسيا رأساً على عقب وبمقدار ما وجب علي منذ ذلك الحين ان اتذكر شعور الخجل الممض الذي كان يحز في نفسي آنذاك كانت تمتلئ نفسي بالمرارة ضد اولئك الاشتراكيين-الديموقراطيين المزيفين الذين

«يهينون لقب الثوري» بدعايتهم والذين لا يفهمون ان واجبنا ليس الدفاع عن الهبوط بالثوري الى مستوى الحرفي بل رفع الحرفيين الى مستوى الثوريين .

(د) سعة العمل التنظيمي

سمعنا فيما تقدم من ب- ف عن «نقص القوى الثورية القادرة على العمل النقص الذي يشعر بوجوده في جميع انحاء روسيا لا في بطرسبورغ وحدها» ولا احسب ان هنالك اهدأ يعارض هذا الواقع ولكن القضية هي في كيفية تفسيره يقول ب- ف
ولن ناخذ في تبيان الاسباب التاريخية لهذه الظاهرة ؛ حسبنا ان نقول ان المجتمع ، وقد اضعفت معنوياته رجعية سياسية استمرت طويلاً وجزاته التغيرات الاقتصادية التي جرت ولا تزال تجري فيه ، لا يقدم من صفوفه غير عدد محدود جداً من الاشخاص الصالحين للعمل الثوري ، وان نقول ان الطبقة العاملة بتقدمها عمالاً ثوريين ، تكمل جزئياً صفوف المنظمات السريية ؛ ولكن عدد هؤلاء الثوريين لا يفي بمتطلبات الزمن وهذا صحيح لا سيما وان العامل المشغول في المعمل ١١/٢ ساعة كل يوم لا يمكنه بحكم وضعه ان يقوم بصورة رئيسية بغير وظيفة التحريض اما وظائف الدعاية والتنظيم ونتاج المنشورات السريية وايصالها ، واصدار المنشور ، الخ . ، فيقع ثقلها الاكبر بالضرورة على كواهل عدد قليل جداً من المثقفين (رابوتشييه ديлов) ، العدد ٦ ، ص (٣٩-٣٨)

نحن لا نوافق ب- ف على رأيه هذا في نقاط كثيرة ولا نوافقه بوجه خاص على الكلمات التي طبعناها بالحرف العريض والتي تظهر بجلاء خاص ان ب- ف ، وقد عانى الكثير من الآلام (شان كل من مارس النشاط العملي وكان مفكراً الى حد ما) بسبب عملنا الحرفي لا يستطيع لوجوده تحت ضغط «الاقتصادية» تحسس مخرج من الوضع الذي لا يطاق . لا ، ان المجتمع يقدم من صفوفه

عدداً كبيراً جداً من الاشخاص الكفاء «للعمل» ، ولكننا لا نحسن الاستفادة منهم جميعاً ان وضع حركتنا الحرج وضعها الانتقالي يمكن اجماله من هذه الناحية كما يلي لا يوجد ناس - وتوجد كثرة من الناس كثرة من الناس لأن الطبقة العاملة وفئات من المجتمع متزايدة التنوع تقدم من سنة لآخرى عدداً متعظماً من الساخطين الراغبين في الاحتجاج والمستعدين للمساهمة على قدر الطاقة في النضال ضد الاستبداد الذي لم يدرك الجميع بعد انه غدا لا يطاق ولكن يحس به مع ذلك جمهور كبير يتعاضم باستمرار احساساً يشدد باطراد وفي الوقت نفسه لا يوجد ناس وذلك لعدم وجود قادة ، لعدم وجود زعماء سياسيين ، لعدم وجود منظمين موهوبين اكفاء لتنظيم عمل واسع وفي الوقت نفسه موحّد ومنسجم يسمح بالاستفادة من كل القوى ، حتى اضعفها ان «نمو وتطور المنظمات الثورية» لا يتأخران عن نمو حركة العمال وحسب ، وهو الامر الذي يعترف به ب- ف ايضاً بل يتأخران كذلك عن نمو الحركة الديمقراطية العامة في جميع فئات الشعب (الا انه من المحتمل ان يعتقد ب- ف اليوم ان هذا ايضاً تنمة لاستنتاجه) ان نطاق العمل الثوري ضيق جداً بالقياس الى سعة اساس الحركة العفوي ، مضغوط جداً بالنظرية الفقيرة القائلة بـ«النضال الاقتصادي ضد اصحاب الاعمال والحكومة» هذا في حين ان «التوجه الى جميع طبقات السكان» * ليس اليوم واجب المحرضين السياسيين وحدهم ،

* يلاحظ ، مثلاً ، في الآونة الاخيرة ان الروح الديمقراطية آخذة في الانتعاش الاكيد في اوساط الجيش ، ويفسر ذلك بصورة جزئية بتواتر المعارك التي تدور في الشوارع ضد «اعداء» كالعمال والطلاب ومد تتوفر لدينا القوى اللازمة لذلك يتوجب علينا حتماً ان نوجه انتباهنا الجدي الى الدعاية والتحريض بين الجنود والضباط والى تكوين ومنظمات عسكرية تنتسب الى حزبنا .

انما هو كذلك واجب المنظمين الاشتراكيين-الديموقراطيين ولا احسب ان احداً من المشتغلين في الميدان العملي يشك بانه يمكن للاشتراكيين-الديموقراطيين ان يوزعوا الالوف من الوظائف الجزئية في عملهم التنظيمي بين بعض ممثلي مختلف الطبقات فانعدام التخصص ، - الامر الذى يشكو منه ب- ف بمرارة وبملء الحق - هو نقص من اكبر النواقص في تكتيكنا وبمقدار ما تصغر مختلف «عمليات» العمل المشترك ، تزداد امكانية ايجاد الاشخاص القادرين على القيام بهذه العمليات (وغير القادرين بتاتا في معظم الحالات على ان يصبحوا ثوريين محترفين) ، وتزداد بالنسبة الى الشرطة صعوبة «اصطياد» جميع هؤلاء «القائمين بالجزئيات» وصعوبة تليفق «قضية» تبرر نفقات الدولة على «الامن العام» من اجل القبض على شخص وهو يقوم بعمل تافه اما فيما يخص عدد المستعدين لمساعدتنا ، فقد سبق لنا ان اشرنا في الفصل السابق الى التغيرات الكبرى التي وقعت في هذا الحقل منذ نحو خمس سنوات على الاكثر . ولكن من جهة اخرى لكي نوحّد جميع هذه الاجزاء الصغيرة في كل واحد ولكيلا تؤدي تجزئة وظائف الحركة الى تجزئة الحركة نفسها ولكي نوحى الى القائمين بالوظائف الجزئية الايمان بضرورة واهمية عمله الايمان الذى لن يعمل ابدا بدونه * - لكل هذا

* اذكر ان احد الرفاق حدثني ذات يوم عن مناظر في معمل كان على استعداد لأن يساعد الاشتراكية-الديموقراطية وهو يساعدها ؛ ولكنه كان يشكو بمرارة من كونه لا يعلم ما اذا كانت واخباره . تصل الى المركز الثوري الحقيقي وما اذا كانت مساعده مفيدة ، وما اذا كانت هناك امكانية للاستفادة من خدماته الجزئية الصغيرة وكل مشتغل في الحقل العملي يعرف طبعاً حالات مماثلة كثيرة افقدنا فيها عملنا الحرفي الحلقاء بيد ان هناك مستخدمين وموظفين في دوائر البريد والسكك الحديدية والجمارك ولدى الاعيان والكهنة وفي جميع الدوائر الاخرى بما في ذلك الشرطة والبلاط نفسها ، فضلاً عن المستخدمين والموظفين في المعامل ، كانوا يستطيعون

يتطلب الامر على وجه الدقة منظمة قوية من الثوريين المجريين وفي حالة وجود هذه المنظمة يشتد الايمان بقوة الحزب ويتسع بمقدار مراعاة هذه المنظمة لقواعد العمل السري فمن المعروف ان احد الامور الهامة منتهى الاهمية في الحرب هو ان تشيع الايمان بقواك لا في جيشك وحسب بل في العدو وفي جميع العناصر المعاينة ايضا فالحياد مع التحبيذ يقرر في بعض الاحيان نتيجة المعركة وفي حالة وجود منظمة كهذه تقف على قاعدة نظرية وطيدة وتحت تصرفها جريدة اشتراكية-ديموقراطية لا يخشى على الحركة من ان تخرجها عن طريقها العناصر «الخارجية» الكثيرة المنجذبة اليها (بالعكس ، نلاحظ الآن بالضبط ، في ظل العمل الحرفي كيف يُجر كثير من الاشتراكيين-الديموقراطيين في خط "Credo" ، حاسبين انهم وحدهم الاشتراكيون-الديموقراطيون) وباختصار ان التخصص يفترض بالضرورة التمرکز ويتطلبه كأمر لا بد منه ولكن ب-ف نفسه ، الذي بين بصورة رائعة ضرورة التخصص لا يقدره حسب رأينا التقدير الكافي في القسم الثاني من المقطع الذي اثبتناه انه يقول ان عدد الثوريين المنبثقين من

ان يقدموا لنا وهم سوف يقدمون لنا خدمات «صغيرة» اذا نظر اليها منفردة وعظيمة الاهمية اذا نظر اليها بمجموعها ! ولو كان لدينا منذ الآن حزب حقيقي ، لو كانت لدينا منظمة ثوريين كفاحية حقا لما تهافتنا على جميع هؤلاء «المساعدين» ، ولما سارعنا الى جرحهم ، دائما وبالضرورة ، الى لجة «السرية» ، بل كنا بالعكس ، حرصنا عليهم اشد الحرص ، وحتى عملنا خصيصا على تحضير اناس لهذه الوظائف متذكرين ان كثيرين من الطلاب يمكنهم ان يقدموا للحزب بصفة موظفين «مساعدين» ، فوائد اكبر من الفوائد التي يقدمونها بصفة ثوريين «لاجال قصيرة» غير ان تطبيق هذه الخطة-واكرر ذلك مرة اخرى-لا يحق الا لمنظمة وطيدة تماما لا تعاني نقصا في القوى النشيطة .

العمال غير كاف وهذا صحيح كل الصحة ونحن نؤكد مرة اخرى ان «هذا النبا القيم من مراقب عن كذب» يثبت بصورة تامة صحة نظرتنا عن اسباب الازمة الراهنة في الاشتراكية-الديموقراطية ، وبالتالي عن وسائل الخروج منها فالقضية لا تقتصر على تأخر الثوريين بوجه عام عن مجاراة نهوض الجماهير العفوي فالعمال الثوريون متأخرون هم ايضاً عن مجاراة نهوض جماهير العمال العفوي وهذا الواقع يثبت بكل جلاء وحتى من وجهة النظر «العملية» . خطل «التربية» التي يكثرون من تقديمها لنا عند بحث مسألة واجباتنا حيال العمال كما يثبت فضلاً عن ذلك **طابعها السياسي الرجعي** فهذا الواقع يدل على ان واجباتنا الاولى الواجب الذي يفرض نفسه فرضاً هو المساعدة على تنشئة ثوريين عمال يقفون على صعيد واحد مع الثوريين المثقفين من وجهة نظر النشاط **الحزبي** (ونحن نكتب بحرف عريض كلمات من وجهة نظر النشاط الحزبي لأن بلوغ العمال هذا المستوى من وجهات النظر الاخرى امر اقل سهولة بكثير واقل الحاحاً بكثير وان كان ضرورياً) ولذلك يجب علينا ان نضع نصب عيوننا بصورة رئيسية رفع العمال الى مستوى الثوريين لا **الهبوط** حتماً بانفسنا نحن الى مستوى «جماهير العمال» كما يريد «الاقتصاديون» او حتماً الى مستوى «العامل المتوسط» كما تريد «سفوبودا» (التي ترتفع في هذا الصدد الى الدرجة الثانية من «التربية» الاقتصادية) لم يخطر لي قط ان انكر ضرورة اصدار منشورات للعمال بلغة مبسطة وضرورة اصدار منشورات اخرى بلغة مبسطة جداً (على ان لا تكون مبتذلة طبعاً) للعمال المتأخرين جداً ولكن ما يشيرني هو هذا الميل الدائم الى لصق التربية بقضايا السياسة وقضايا التنظيم فانتم ايها السادة الاوصياء على «العامل المتوسط» تهينون العامل في جوهر الامر برغبتكم الدائمة في الانحناء ازاءه قبل ان

تحدثوا اليه عن السياسة العمالية والمنظمة العمالية ارفعوا رؤوسكم اذن لتحدثوا عن الامور الجديدة ودعوا التربية للمزبين لا للسياسيين والمنظمين الا يوجد بين المثقفين ايضاً مبرزون و«متوسطون» و«جمهور» ؟ ألا يعترف الجميع بضرورة اصدار منشورات بلغة مبسطة للمثقفين ايضاً اولا تكتب مثل هذه المنشورات ؟ تصوروا ان كاتباً كتب مقالاً عن منظمة الطلبة الجامعيين او الثانويين واخذ يجتر بلهجة من اكتشف اكتشافاً عظيماً ويقول ان اول ما يجب هو ايجاد منظمة «للطلبة المتوسطين» اكبر الظن ان الناس سيسخرون من هذا الكاتب بحق كامل وسيقولون له ان كانت لديك افكار تنظيمية فهاتها واتركنا نقرر حينذاك بأنفسنا من منا «المتوسط» ومن منا الاعلى ومن منا الادنى اما اذا كان وفاضك خالياً من الافكار التنظيمية الخاصة بك ، فاعلم ان جميع محاولتك العقيمة عما يخص «الجمهور» و«المتوسطين» تبدو مجرد لغو ممل اعرف ، اذن ، ان قضايا «السياسة» و«التنظيم» هي بحد ذاتها قضايا خطيرة بحيث لا يجوز الكلام عنها الا بجدية كاملة يمكن ويجب اعداد العمال (والطلبة الجامعيين والثانويين) لكي يصبح بالامكان الحديث معهم عن هذه المسائل ؛ ولكن ما دمت قد شرعت بالحديث فاعط الاجوبة الحقيقية ولا تتقهقر شطر «المتوسطين» او شطر «الجمهور» ، ولا تحاول التملص بعبارات او نكات *

* وسفوبودا ، العدد ١ ، مقال والمنظمة ، ص ٦٦ وان جماهير العمال ستدم بكل قوتها جميع المطالب التي ستصاغ باسم العمل الروسى ، لا بد لكلمة العمل من ان تكتب بالحرف الكبير ! ويهتف الكاتب نفسه «لست بعدو للمثقفين على الاطلاق ، ولكن» (ولكن هذه هي التي ترجمها شدرين بكلمات : ليس يمكن للاذنين ان تعلوا على الجبهة !)
 «ولكني اغتاط جداً على الدوام عندما ياتيني شخص ويتحفني بما عنده من اشياء جميلة رائعة طالبا قبولها لما لها (او له ؟) من الجمال والمزايا الاخرى» (ص ٦٢) . وانا ايضاً واغتاط جداً على الدوام من هذا ...

ان العامل الثوري ، لكي يكون على استعداد تام للقيام بمهمته ينبغي له هو ايضاً ان يصبح ثورياً محترفاً ولذا كان بـ ف على غير صواب اذ يقول انه لما كان العامل مشغولاً في المعمل ١١١/٢ ساعة فان سائر الوظائف الثورية الاخرى (عدا التحريض) «يقع ثقلها الاكبر بالضرورة على كواهل عدد قليل جداً من المثقفين» كلا ليس ذلك اطلاقاً «بالضرورة» ، بل بحكم تأخرنا ان ذلك يحدث لاننا لا ندرك اننا ملزمون بمساعدة كل عامل موهوب على التحول الى محترف في الدعاية والتحريض وفي التنظيم والتوزيع الخ . الخ . فنحن ، من هذه الناحية ، نبدد قوانا بصورة مشينة تماماً ولا نحسن صيانة ما ينبغي لنا ان نميه وننشئه بكل عناية انظروا الى الالمان قواهم اكثر من قوانا بمئة مرة ، ولكنهم يعرفون خير المعرفة ان صفوف «المتوسطين» لا تقدم اطلاقاً في كثير جداً من الحالات محرضين اكفاء حقاً ولذلك يسعون لكي يضعوا على الفور كل عامل موهوب في ظروف تضمن تفتح مواهبه على احسن وجه والاستفادة منه على احسن وجه يجعلون منه محرضاً محترفاً ويشجعونه على توسيع ميدان نشاطه وجعله يتجاوز حدود المعمل ليشمل المهنة كلها ويتجاوز حدود المنطقة ليشمل البلاد كلها فيحصل هذا العامل على الخبرة وعلى المهارة في مهنته ويوسع افقه ومعارفه ويتتبع عن كشب البارزين من الزعماء السياسيين في المناطق الاخرى والاحزاب الاخرى ويسعى للارتفاع الى هذا المستوى ويعمل ليجمع في نفسه معرفة البيئة العمالية وطراوة العقائد الاشتراكية مع التدريب المهني الذي لا يمكن للبروليتاريا بدونه ان تقوم بنضال عنيد ضد اعدائها المدربين على خير وجه بهذا الشكل وبهذا الشكل وحده ينبثق من جمهور العمال امثال بيبيل وآوير ولكن ما يجري الى حد كبير من تلقاء نفسه في بلاد تتمتع بالحرية السياسية ، ينبغي ان يحقق عندنا بصورة منتظمة

من قبل منظماتنا ان المحرض العامل لا ينبغي ان يعمل في المعمل احدى عشرة ساعة اذا كان موهوباً و«باعثاً للأمال» ولو الى حد ضئيل ينبغي لنا ان نبذل جهدنا لكي يعيش على نفقة الحزب لكي ينتقل الى السرية في الوقت الملائم لكي يغير مكان نشاطه اذ انه ان لم يفعل ذلك لا يمكنه ان يكتسب خبرة كبيرة وان يوسع افقه وان يصمد عدة سنوات على الاقل في النضال ضد الدرك وكلما اتسع نهوض جماهير العمال العفوي وازداد عمقاً يبرز من صفوفها عدد اكبر لا من الموهوبين في التحريض وحسب بل من الموهوبين كذلك في التنظيم وفي الدعاية ومن «المشتغلين في الميدان العملي» بمعنى الكلمة الحسن (القلائل جداً عندنا بين مثقفينا الذين هم في معظمهم على شيء من الرخاوة والجمود الروسيين) وعندما تصبح لدينا فصائل من الثوريين العمال المعدين اعداداً خاصاً والذين اجتازوا مدرسة نضال طويل — (والاختصاصيين طبعاً في «جميع الاسلحة») عندئذ لا يمكن لأية شرطة سياسية في العالم ان تغلب على هذه الفصائل لأن هذه الفصائل المؤلفة من اناس مخلصين للثورة منتهى الاخلاص ستمتع ايضاً بثقة لا حد لها بين اوسع جماهير العمال وخطانا الأکید هو كوننا قلماً «ندفع» العمال الى هذه الطريق المشتركة بينهم وبين «المثقفين» طريق التدريب الثوري المهني ونكثر من جرهم الى الورا بخطاباتنا البلدية عما هو «في متناول» جماهير العمال و«العمال المتوسطين»، الخ ان ضيق نطاق العمل التنظيمي هو من هذه الناحية كما في النواحي الاخرى ، على صلة لا تنفصم عراها ولا شك فيها بتضييق نظريتنا ومهامنا السياسية (وان كانت الاغلبية الساحقة من «الاقتصاديين» والمشتغلين في الميدان العملي المبتدئين لا يعون هذه الصلة) فتقديس العفوية يبعث فينا الخوف من ان نحيد ولو خطوة عما هو «في متناول» الجمهور ، الخوف من ان نرتفع جداً عن

مجرد ارضاء حاجاته الحالية المباشرة لا تخافوا ايها السادة تذكروا ان مستوانا التنظيمي على درجة من الانحطاط بحيث ان من السخف مجرد التفكير باننا نستطيع الارتفاع اكثر من اللازم

٥) المنظمة «التأمرية» و«الروح الديمقراطية»

وهذا بالذات ما يخافه منتهى الخوف اناس كثيرون جداً بيننا، مرهفو السمع «لصوت الحياة» الى حد هذا الخوف، وهم يهتمون الذين يتمسكون بالنظرات المعروضة هنا بالسير على خطى «نارودنايا فوليا» وبعدم فهم «الروح الديمقراطية» الخ. وينبغي لنا ان نقف عند هذه الاتهامات التي كانت «رابوتشيه ديبلو» طبعاً من مردديها

ان كاتب هذه الاسطر يعلم حق العلم ان «الاقتصاديين» في بطرسبورغ قد اتهموا «رابوتشايا غازيتا» كذلك بالسير على خطى «نارودنايا فوليا» (وهو امر لا يستغرب اذا ما قورنت ب«رابوتشايا ميسل») ولذلك لم نستغرب ابدأ عندما بلغنا احد الرفاق فور صدور «الايسكرا» ان الاشتراكيين-الديموقراطيين في مدينة معينة يصفون «الايسكرا» بانها جريدة جماعة «نارودنايا فوليا» وغنى عن القول اننا لم نر في هذا الاتهام غير نوع من المديح فهل وجد اشتراكي-ديموقراطي جدير بهذا الاسم لم يهتمه «الاقتصاديون» بالسير على خطى «نارودنايا فوليا» ؟

ان هذه الاتهامات ناشئة عن سوء تفاهم مزدوج الأول ان تاريخ الحركة الثورية مجهول عندنا لدرجة تنسب معها الى جماعة «نارودنايا فوليا» كل فكرة عن منظمة كفاح متمرزة تعلن الحرب بحزم على القيصرية ولكن تلك المنظمة الرائعة التي كانت لدى الثوريين في العقد الثامن والتي ينبغي لها ان تكون نموذجاً نحتديه

جميعاً لم تؤسسها جماعة «نارودنايا فوليا» بل اسستها جماعة «زيمليا إي فوليا» (٩٢) التي انشقت فيما بعد الى جماعة «تشيورني بيريديل» وجماعة «نارودنايا فوليا» فمن حماقة اذن من وجهتي النظر التاريخية والمنطقية ان نرى في منظمة الكفاح الثورية سمة من السمات التي اختصت بها جماعة «نارودنايا فوليا» لان كل اتجاه ثوري شرط ان يستهدف فعلاً القيام بنضال جدي لا يمكنه ان يستغني عن مثل هذه المنظمة فجماعة «نارودنايا فوليا» لم تخطئ اذ دأبت على ان تجذب الى منظماتها جميع الساخطين وعلى ان توجه هذه المنظمة الى النضال الحازم ضد الحكم المطلق بل انما كان ذلك ، بالعكس ، مآثرتها التاريخية العظمى لقد كان خطأ هذه الجماعة انها استندت الى نظرية ليست في الجوهر بثورية اصلاً ، وانها لم تعرف او لم تستطع ربط حركتها ربطاً وثيقاً بالنضال الطبقي داخل المجتمع الرأسمالي المتطور ان الرأي القائل بان نشوء حركة العمال الجماهيرية العفوية يخلصنا من واجب تأسيس منظمة ثورين جيدة كالمنظمة التي اسستها جماعة «زيمليا إي فوليا» بل تفضلها جداً ، لا يمكن ان ينبثق الا على اساس عدم فهم للماركسية فظ الى ابعاد حدود الفظاظة (او على اساس «فهمها على نمط «الستروفية») بالعكس ، ان هذه الحركة تفرض علينا بالذات هذا الواجب لأن نضال البروليتاريا العفوي لا يصبح «نضالاً طبقياً» حقاً للبروليتاريا الا عندما توجهه منظمة ثورين قوية

الثاني ان هناك كثيرين ومنهم ب. كريتشيفسكي على ما يبدو («رابوتشييه ديلو» العدد ١٠ ، ص ١٨) لا يفهمون على الوجه الصحيح ذلك الجدل الذي خاضه الاشتراكيون-الديموقراطيون على الدوام ضد المفهوم «التأمري» للنضال السياسي لقد وقفنا وسنقف على الدوام طبعاً في وجه حصر النضال السياسي في نطاق

التآمر * ولكن ذلك لم يعن على الاطلاق اننا ننكر ضرورة وجود منظمة ثورية قوية ففي الكراس المشار اليه في الملاحظة مثلاً قد اعطينا الى جانب الجدل ضد الهبوط بالنضال السياسي الى مستوى التآمر ، خطوطاً عامة لمنظمة (معروضة كأنها المثل الاعلى الاشتراكي-الديموقراطي) بالغة من القوة حدّاً تستطيع معه ان «تلجأ» من اجل توجيه الضربة القاضية للحكم المطلق» الى «الانتفاض» والى كل «طريقة اخرى من طرق الهجوم» * * ومن حيث الشكل يمكن وصف مثل هذه المنظمة الثورية القوية في بلاد يسودها الحكم المطلق بانها منظمة «تأمرية» ، لان كلمة «conspiracy» الفرنسية تعادل الكلمة الروسية «زاغوفور» («التآمر») والتأمرية ضرورية لمثل هذه المنظمة الى اقصى حد ان التأمرية شرط ضروري جداً لهذه المنظمة بحيث ينبغي لجميع الشروط الاخرى (كعدد الاعضاء وطريقة اختيارهم ووظائفهم

* قارن واجبات الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس ، ص ٢١ ، جدال ضد لافروف

* * واجبات الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس ، ص ٢٣ وهذا ، بالمناسبة ، مثل آخر يظهر ان «رابوتشييه ديلاو» اما انها لا تفقه ما تقول او انها تتقلب مع «كل ريح» فقد نشرت «رابوتشييه ديلاو» في العدد ١ وبالخرف العريض «ان فحوى الكراس المعروف يتفق تماماً مع برنامج هيئة تحرير «رابوتشييه ديلاو»» (ص ١٤٢) أحقاً تقولون ؟ وهل تتفق مع «الواجبات» النظرية القائلة بان مهمة اسقاط الحكم المطلق لا يمكن ان توضع امام الحركة الجماهيرية كواجب اول ؟ وهل تتفق مع «الواجبات» نظرية والنضال الاقتصادي ضد اصحاب الاعمال والحكومة ؟ وهل تتفق مع «الواجبات» نظرية المراحل ؟ نترك للقارىء ان يحكم في هل يمكن ان توصف بالاستقرار المبدئي جريدة تفهم «التوافق» هذا الفهم الغريب ؟

الخ .) ان تتلاءم معه ولذا ، من السذاجة كل السذاجة ان نخاف نحن الاشتراكيين-الديموقراطيين من ان نتهم بأننا نريد انشاء منظمة تأمرية فمثل هذا الاتهام هو اطراء لكل عدو «للاقتصادية» كالاتهام بالسير على خطى جماعة «نارودنايا فوليا»

يعترض علينا : ان منظمة قوية وسرية جداً تجمع في يديها جميع خيوط النشاط السري وتقوم بالضرورة على المركزية يمكن لها ان تندفع بسهولة فائقة الى الهجوم قبل الاوان يمكن لها ان توتر الحركة بطيش قبل ان يبلغ السخط السياسي والفوران والنقمة في الطبقة العاملة الخ . ، حدأ يجعل ذلك امراً ممكناً وضرورياً ونحن نجيب على ذلك قائلين اذا تكلمنا بصورة مجردة فلا يصح طبعاً ان ننكر انه من المحتمل ان تشن المنظمة الكفاحية دونما تبصر معركة يحتمل ان تنتهي الى هزيمة ليست محتمة ابدأ في ظروف اخرى ولكن الاقتصار على الاعتبارات المجردة في مثل هذه المسألة امر مستحيل اذ ان كل معركة تنطوي من الناحية المجردة على احتمال الهزيمة وليس هناك وسيلة لتقليل هذا الاحتمال غير الاستعداد للمعركة بصورة منظمة اما اذا طرحنا المسألة على الصعيد الملموس على صعيد الظروف الروسية الراهنة فلا بد من ان نخلص الى استنتاج ايجابي ، وهو ان المنظمة الثورية القوية امر ضروري تماماً وذلك بالضبط لاعطاء الحركة طابع الثبات ولوقايتها من احتمال الهجمات الطائشة فالיום على وجه الدقة اذ تنفصنا هذه المنظمة واذ تنمو الحركة الثورية بصورة عفوية وسريعة نلاحظ منذ الآن قطبين متضادين «يلتقيان» كما ينبغي لهما) فمن ناحية ، «اقتصادية» واهية تماماً ، وتبشير بالاعتدال ؛ ومن ناحية اخرى «ارهاب تهيجي» يضاهي الاولى في الوهي ويسعى الى ان «يشير بصورة مصطنعة اعراض الانتهاء في حركة آخذة في النمو والتعزز ولكنها ما تزال اقرب الى نقطة البداية

منها الى نقطة النهاية» (ف. زاسوليتش «زاريا» العدد ٢-٣ ص ٣٥٣) ويتبين من مثال «رابوتشييه ديلو» ان هنالك في الواقع اشتراكيين-ديموقراطيين يلقون السلاح امام كلا القطبين وهذه الظاهرة لا تستدعي اي استغراب لاسباب عديدة منها ان «النضال الاقتصادي ضد اصحاب الاعمال والحكومة» لا يمكن ابدأ ان يرضي الثوري ولأن الاقطاب المتضادة ستنبثق على الدوام تارة هنا وتارة هناك ان منظمة كفاحية متمركزة تنتهج السياسة الاشتراكية-الديموقراطية دون عوج وترضي ان امكن القول جميع الغرائز والمطامح الثورية هي وحدها القادرة على حفظ الحركة من الهجمات الطائشة وعلى تحضير هجوم يبعث على الامل بالنجاح ويعترض علينا ايضاً ان وجهة النظر المعروضة بصدد المنظمة تتناقض و«المبدأ الديموقراطي» ان هذا الاتهام ذو طابع اجنبي بعت بمقدار ما يستمد الاتهام السابق جذوره من الخصائص الروسية الصرفة وما كان يمكن الا لمنظمة تقيم في الخارج («اتحاد الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس») ان توجه ، من جملة ما وجهت الى هيئة تحريرها ، التعليمات التالية

«المبدأ التنظيمي» لاجل تطوير وتوحيد الاشتراكية-الديموقراطية بنجاح ينبغي التشديد على المبدأ الديموقراطي الواسع في تنظيمها الحزبي وتطوير هذا المبدأ والنضال في سبيله ، وهو امر ضروري جداً نظراً لظهور ميول معادية للديموقراطية في صفوف حزبنا ، («موتمران» ، ص ١٨) . كيف تناضل على وجه الدقة «رابوتشييه ديلو» ضد «الميول المعادية للديموقراطية» التي تظهرها «الايسكرا» ؟ سنبين ذلك في الفصل التالي اما الآن فلندرس عن كتب هذا «المبدأ» الذي يعرضه «الاقتصاديون» نحسب ان الجميع يوافقون على ان مفهوم «المبدأ الديموقراطي الواسع» ينطوي على الشرطين الضروريين التاليين : اولاً ، العلنية التامة ، ثانياً ، الانتخاب الى جميع الوظائف .

فمن المضحك الحديث عن الديمقراطية بدون علنية تكون غير منحصرة في اعضاء المنظمة نحن نصف الحزب الاشتراكي الالمانسي بانه منظمة ديموقراطية ، لأن جميع اعماله تجري علناً بما في ذلك جلسات مؤتمر الحزب ولكن ليس في وسع احد ان يصف بالديموقراطية منظمة يسترها غطاء السرية عن جميع الذين ليسوا من اعضائها اننا نسال واي معنى لوضع «المبدأ الديمقراطي الواسع» اذا كان شرطه الاساسي غير ممكن التحقيق بالنسبة لمنظمة سرية ؟ هذا «المبدأ الواسع» ليس اكثر من عبارة رنانة ولكنها فارغة وفوق ذلك ان هذه العبارة تدل على جهل تام بمهام الساعة في ميدان التنظيم فالجميع يعلمون مبلغ عدم مراعاة جمهور الثوريين «الواسع» عندنا لقواعد العمل السري وقد رأينا بأي مرارة يشكو من ذلك بـ ف الذي يطالب بملء الحق بـ«اختيار الاعضاء اختياراً دقيقاً» («رابوتشييه ديلا» ، العدد ٦ ، ص ٤٢) وها نحن نرى اناساً يتبجحون بـ«تحسسهم بالحياة» يؤكدون في مثل هذه الارضاع لا ضرورة المراعاة الدقيقة لقواعد العمل السري والاختيار الدقيق (وبالتالي الاضيق) للاعضاء بل «المبدأ الديمقراطي الواسع» وهذا ما يسمى بالسخافة المطبقة !

وليست الحالة افضل فيما يتعلق بالسمة الثانية من سمتي الديمقراطية ، بمبدأ الانتخاب ان هذا الشرط يعتبر امراً بديهياً في بلدان الحرية السياسية فالفقرة الاولى من النظام الداخلي للحزب الاشتراكي-الديموقراطي الالمانى تنص على ما يلي «يعتبر عضواً في الحزب كل من يعترف بمبادئ برنامج الحزب ويؤيد الحزب قدر الطاقة» ولما كان الميدان السياسي كله مكشوفاً امام الجميع كالمسرح امام النظارة فان الجميع يعرفون من الصحف والاجتماعات العامة ما اذا كان هذا الشخص او

ذاك يعترف او لا يعترف يؤيد او يعارض ويعلم الجميع ان هذا السياسي او ذاك قد بدأ على هذا النحو او ذاك وانه سلك هذا الاتجاه او ذاك وانه وقف في الساعات الحرجة هذا الموقف او ذاك وانه يمتاز على وجه العموم بهذه الصفات او تلك ، ولذلك يستطيع جميع اعضاء الحزب لعلمهم بحقائق الامور ان ينتخبوا هذا الرجل او ان لا ينتخبوه لهذه الوظيفة الحزبية او تلك ان المراقبة العامة (بمعنى الكلمة الحرفي) على كل خطوة يخطوها رجل الحزب في حياته السياسية تخلق آلية تعمل بصورة اتوماتيكية وتضمن ما يسمونه في علم الحياة «بقاء الاصلح» وبفضل هذا «الانتخاب الطبيعي» الناشئ عن العلنية التامة وبفضل المبدأ الانتخابي والمراقبة العامة ، يصبح كل عضو من الاعضاء في نهاية الامر «في المكان الذي خلق له» ويقوم بالعمل الذي يتناسب احسن التناسب مع قواه وكفاءاته ويتحمل بنفسه جميع تبعات اخطائه ويظهر امام الجميع قدرته على فهم اخطائه وتجنبها

جربوا اذن ادخال هذه اللوحة في اطار الحكم المطلق السائد في بلادنا ! هل من المعقول في ظروفنا ان يقوم جميع «الذين يعترفون بمبادئ برنامج الحزب ويؤيدون الحزب قدر الطاقة» بمراقبة كل خطوة يخطوها الثوري السري ؟ هل من المعقول ان يختار جميع هؤلاء احداً من بين الثوريين السريين اذا كانت مصلحة العمل تلزم الثوري بان يخفي هويته عن تسعة اعشار هؤلاء «الجميع» ؟ اعملوا الفكر ولو بعض الشيء في حقيقة معنى الكلمات الطنانة التي القتها «رابوتشييه ديلا» يتضح لكم ان «الديموقراطية الواسعة» في منظمة حزبية تعيش في دياجير الحكم المطلق وفي ظل سيطرة نظام الاختيار الذي يمارسه الدرك ليست غير لغو فارغ وضار انها لغو فارغ لأن الديموقراطية الواسعة لم تمارس قط ولا يمكن

ان تمارس من قبل اية منظمة ثورية مهما بلغت رغبة هذه المنظمة في ذلك وهي لغو ضار لأن محاولة تطبيق «المبدأ الديمقراطي الواسع» لن تكون نتيجتها غير مساعدة الشرطة في تنظيم الاعتقالات الواسعة وغير تخليد الطريقة الحرفية المسيطرة وتحويل انظار القائمين بالنشاط العملي عن المهمة الخطيرة التي تواجههم بالحاح ، مهمة تنمية صفات الثوري المحترف في انفسهم الى تدبيح انظمة مفصلة «على الورق» عن الطرق الانتخابية ان هذا «اللعب بالديموقراطية» لم يكن من الممكن ان يتطور هنا وهناك وخصوصاً لدى الفرق الصغيرة ، الا في الخارج حيث لايندر ان يجتمع اناس ممن لا يجدون امكانية القيام بعمل حقيقي وحي ولكيما يتبين للقارى مبلغ البشاعة في الوسيلة المفضلة التي تعمد اليها «رابوتشييه ديلاو» اذ تنادي بـ«مبدأ» جميل المظهر كمبدأ الديمقراطية في العمل الثوري ، نلجأ مرة اخرى الى شهادة شاهد . وهذا الشاهد هو ي . سيربيرياكوف المحرر في المجلة اللندنية «ناكانونيه» ، وهو من المغرمين بـ«رابوتشييه ديلاو» والعاقدين على بليخانوف و«البليخانوفيين» فمجلة «ناكانونيه» ، في المقالات التي تناولت فيها انقسام «اتحاد الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس» في الخارج قد وقفت بحزم الى جانب «رابوتشييه ديلاو» وصبت على بليخانوف وابلاً من الكلمات الحقيرة وهذا يجعل لهذه الشهادة في هذه المسألة قيمة اكبر في نظرنا ففي مقال نشرته «ناكانونيه» في العدد ٧ (تموز- يوليو- سنة ١٨٩٩) عنوانه «بصدد نداء جماعة تحرير العمال الذاتى» قال ي . سيربيرياكوف ان من «غير اللائق» اثاره مسائل «الغرور والرئاسة وما يسمى بمجمع الحكماء الاعلى في حركة ثورية جديدة» وكتب فيما كتب

وان ميشكين وروغانشوف وجيليايوف وميخايلوف وبيروفسكايا وفيغنر وغيرهم لم يعتبروا انفسهم من الرعاء قط ، ولم ينتخبهم او

يعينهم احد ، ومع ذلك كانوا زعماء في الحقيقة ، لأنهم في مرحلة الدعاية كما في مرحلة النضال ضد الحكومة قد حملوا على عاتقهم العبء الاكبر من اعباء العمل وتوجهوا الى اشد الاماكن خطراً ، ولأن نشاطهم قد اعطى احسن الثمرات فوعامتهم لم تكن نتيجة رغبتهم ، بل كانت نتيجة الثقة بمقولهم وهمتهم واخلاصهم ، الثقة التي اولاهم اياها الرفاق المحيطون بهم . وعلى ذلك فالخوف اذن من مجمع حكماء (لو لم يكن الخوف موجوداً فما الداعي للكتابة عنه) ينفرد في ادارة الحركة هو السداجة عينها فمن ذا الذي يطبعه ؟

ونحن نسأل القارىء ما الفرق بين «مجمع الحكماء» و«الميول المعادية للديموقراطية» ؟ أفليس من الواضح ان مبدأ «رابوتشيه ديبلو» التنظيمي «الجميل المظهر» هو ايضاً ساذج وغير لائق ، ساذج لأنه لن يوجد احد يطبع «مجمع الحكماء» او الناس ذوي «الميول المعادية للديموقراطية» اذا لم توجد «الثقة بمقولهم وهمتهم واخلاصهم من جانب الرفاق المحيطين بهم» . وهو غير لائق ، لأنه نزوة ديماغوجية تستغل غرور البعض وجهل البعض الثاني لحقيقة وضع حركتنا وعدم استعداد البعض الثالث ايضاً وجهله لتاريخ الحركة الثورية ان المبدأ التنظيمي الجدي الوحيد ينبغي ان يكون بالنسبة للعاملين في حركتنا المراعاة الدقيقة لقواعد العمل السري والاختيار الدقيق للاعضاء واعداد الثوريين المحترفين فاذا ما وجدت هذه الصفات حصلنا على شيء اكثر من «الديموقراطية» ، حصلنا بالضبط على الثقة الرفاقية التامة بين الثوريين وهذا الشيء الاكثر هو امر لا نستطيع ابدأ الاستغناء عنه ، لأن الاستعاضة عنه بالرقابة الديموقراطية العامة امر لا يمكن ان يطرح على بساط البحث عندنا في روسيا بأي وجه من الوجوه ونخطئ اكبر الخطأ اذا تصورنا ان استحالة تطبيق رقابة «ديموقراطية» حقاً تجعل اعضاء المنظمة الثورية غير خاضعين للرقابة ؛ فليس لديهم من الوقت ما يسمح

لهم بالتفكير في الاشكال الديموقراطية الصببانية (ديموقراطية داخل نواة متراصة من رفاق يثق احدهم بالآخر كل الثقة) ولكنهم يشعرون بمسؤوليتهم اعمق الشعور ويعلمون في الوقت نفسه من تجربتهم ان منظمة الثوريين الحقيقيين لا تحجم عن وسيلة للخلاص من عضو فاسد ولدنا فوق ذلك في الوسط الثوري الروسي (والعالمي) رأي عام متطور بشكل كاف ومتاصل الجذور في اعماق الماضي يعاقب اشد العقاب على كل خروج عن واجبات الرفاقية («الديموقراطية» الديموقراطية الحقيقية لا الصببانية تدخل كجزء من كل في مفهوم الرفاقية!) خذوا كل ذلك بعين الاعتبار تدركوا مبلغ ما يفوح من هذه الخطابات والقرارات بصد «المبول المعادية للديموقراطية» من نتن اللعاب في الخارج بلعبنة لجنرالات!

وخليق بنا ان نشير الى ان السذاجة-وهي ينبوع الآخر لهذه الخطابات - تتغذى من عدم وجود فكرة واضحة من الديموقراطية ايضاً فكتاب الزوجين ويب عن التريديونيونات الانكليزية يتضمن فصلاً طريفاً يسترعي الانتباه «الديموقراطية البدائية» يقول المؤلفان في هذا الفصل ان العمال الانكليز في المرحلة الاولى لوجود نقاباتهم كانوا يعتبرون ان اشتراك جميع الاعضاء في جميع اعمال ادارة النقابات سمة ضرورية من سمات الديموقراطية فقد كانت جميع القضايا تقرر بتصويت عام يشترك فيه جميع الاعضاء وفضلاً عن ذلك كانت الوظائف نفسها تمارس من قبل جميع الاعضاء بالتناوب وقد تطلب الامر تجربة تاريخية طويلة لكيما يدرك العمال خرافة هذا المفهوم عن الديموقراطية وضرورة المؤسسات التمثيلية من جهة ووجود موظفين محترفين من الجهة الاخرى وقد تطلب الامر افلاس صناديق النقابات عدة مرات لكيما يفهم العمال ان مسألة النسبة بين ما يدفعونه من اشتراكات

وبين ما يتلقونه من مساعدات لا يمكن ان تحل بالتصويت الديمقراطي وحده وانها تتطلب كذلك رأي اختصاصي في شؤون الضمان خذوا بعد ذلك كتاب كاوتسكي عن البرلمانية والتشريع الشعبي تروا ان استنتاجات النظري الماركسي تطابق الدرس الذي تعلمه من التجربة الطويلة العمال الذين اتحدوا بصورة «عفوية» فكاوتسكي يقف بحزم ضد فهم ريتينغهاوزن البدائي للديموقراطية ويسخر من اناس يطلبون باسم هذه الديموقراطية ان «يحرر الشعب مباشرة الجرائد الشعبية» ويبرهن ضرورة الصحفيين والبرلمانيين **المحترفين الخ** لقيادة نضال البروليتاريا الطبقي قيادة اشتراكية-ديموقراطية ويهاجم «اشتراكية الفوضويين والادباء» الذين ينادون «سعيًا وراء لفت النظر» بالتشريع الشعبي المباشر ولا يفهمون ان امكانية تطبيقه في المجتمع الراهن نسبية جداً

ان الذين ساهموا في النضال العملي في حركتنا يعرفون مبلغ انتشار مفهوم الديموقراطية «البدائي» بين جماهير الطلاب والعمال فلا غرو ان يتسرب هذا المفهوم الى الانظمة الداخلية والى المطبوعات «فالاقتصاديون» ذوو الميول البرنشتينية قد كتبوا في نظامهم الداخلي «الفقرة ١٠ جميع القضايا التي تخص المنظمة بمجموعها تقرر باكثرية اصوات جميع اعضائها» ويردد بعدهم «الاقتصاديون» ذوو المفاهيم الارهابية «من الضروري ان تمر قرارات اللجان بجميع الحلقات وحين ذاك فقط تصبح شرعية» («سفوبودا» العدد ١ ص ٦٧) لاحظوا ان طلب التطبيق الواسع للاستفتاء يقدم **اضافة** الى المطالبة ببناء المنظمة **كلها** على المبدأ الانتخابي لا يخطر لنا ببال طبعاً ان نلوم على ذلك المشتغلين في الحقل العملي الذين لم تتح لهم فرص كثيرة للاطلاع على نظرية وعمل المنظمات الديموقراطية الحقيقية . ولكن عندما

نرى «رابوتشييه ديلا» التي تدعي بدور القيادة تكتفي في مثل هذه الظروف بقرار عن المبدأ الديمقراطي الواسع هل نملك انفسنا عن وصف ذلك بأنه مجرد «سعي وراء لفت النظر» ؟

(و) العمل في النطاق المحلي والروسي العام

إذا كانت الاعتراضات-الموجهة الى المشروع التنظيمي المعروض هنا والتي تدعي بأنه غير ديمقراطي وذو طابع تأمري ، لا تقوم على اساس ، فهناك مسألة اخرى كثيراً ما تثار ويجدر بنا ان نتناولها بالتفصيل وهي مسألة التناسب بين العمل في النطاق المحلي والعمل في النطاق الروسي العام يتساءلون بقلق ألا يؤدي تشكيل منظمة متمركزة الى انتقال مركز الثقل من الاول الى الثاني ؟ الا يضر ذلك بالحركة اذ يضعف متانة صلاتنا بجمهور العمال ويضعف استقرار التحريض المحلي بوجه عام ؟ ونحن نجيب على ذلك بقولنا ان حركتنا في السنوات الاخيرة تشكو على وجه الدقة من كون العاملين في النطاق المحلي يفرطون في الانهماك بالعمل المحلي وان من الضروري نظراً لذلك نقل مركز الثقل بعض الشيء الى العمل في النطاق الروسي العام وان هذا النقل لا يضعف بل يعزز متانة صلاتنا واستقرار تحريضنا المحلي فلنأخذ مسألة الجريدة المركزية والجرائد المحلية ونطلب الى القارى ان لا ينسى ان مسألة الجرائد ليست في نظرنا اكثر من مثل يعطي صورة عن العمل الثوري الواسع جداً والمتنوع جداً بوجه عام

عندما كانت الحركة الجماهيرية في عهدها الاول (سنوات ١٨٩٦-١٨٩٨) قام العاملون في النطاق المحلي بمحاولة لاصدار جريدة لعامة روسيا- «رابوتشايها غازيتا» وفي المرحلة التالية (سنوات ١٨٩٨-١٩٠٠) خطت الحركة خطوة كبرى الى الامام ،

ولكن الجرائد المحلية استنفدت انتباه القادة الكامل وإذا احصينا جميع هذه الجرائد المحلية يكون الحاصل * بالاجمال اصدار عدد واحد في كل شهر اليس هذا صورة واضحة عن طريقتنا الحرفية ؟ الا يظهر ذلك بكل وضوح تأخر منظمنا الثورية عن نهوض الحركة العفوي ؟ وإذا ما صدر العدد نفسه من الجرائد لا عن جماعات محلية مبعثرة بل عن منظمة واحدة فاننا لا نوفر الكثير من الجهود وحسب بل نضمن ايضاً لعملنا وضعاً من الثبات والاستمرارية افضل جداً وهذا الامر البسيط كثيراً جداً ما يغيب سواء عن نظر العاملين الذين يبذلون جهودهم بنشاط على الجرائد المحلية وحدها تقريباً (وبكل اسف لا يزال الوضع كما هو حتى اليوم في معظم الحالات) ام عن نظر الكتاب الصحفيين الذين يظهرون في هذا الامر «دونكيشوتية» مدهشة ان المساهم في الميدان العملي يكتفي عادة بالفكرة القائلة بان اصدار جريدة لعامة روسيا «امر صعب» * * على العاملين المحليين وبان اصدار الجرائد المحلية خير من عدم اصدار اية جريدة والملاحظة الاخيرة صحيحة طبعاً ولا يوجد اي مساهم في الميدان العملي يمكن ان يسبقنا الى الاعتراف بان الجرائد المحلية هي بوجه عام ، ذات اهمية قصوى وفائدة قصوى ولكن الحديث لا يتناول هذه الناحية بل ناحية اخرى هي : الا نستطيع الخلاص من هذا التعثر وهذا العمل الحرفي للذين

* راجع «تقرير لمؤتمر باريس» (١٩٢) ، ص ١٤ وومنذ ذلك التاريخ (سنة ١٨٩٧) حتى ربيع سنة ١٩٠٠ صدر في مختلف المناطق ثلثون عدداً من مختلف الجرائد فقد صدر في المتوسط اكثر من عدد في الشهر»

* * هذه الصعوبة ظاهرية فقط اذ لا توجد في الواقع اية حلقة محلية ليس في استطاعتها ان تأخذ بنشاط هذه او تلك من وظائف العمل الروسي العام . ولا تقل : لا استطيع ، بل قل : لا اريد .

تجليا اوضح ما تجليا في ثلاثين عدداً من الجرائد المحلية صدرت في جميع انحاء روسيا في غضون سنتين ونصف لا ينبغي لكم ان تكتفوا بالاعتراف بفائدة الجرائد المحلية بوجه عام وهو امر لا جدال فيه ولكنه عام جداً بل ينبغي لكم ان تجدوا كذلك في انفسكم الرجولة على الاعتراف صراحة بما اظهرته تجربة السنتين والنصف من نواحيها السلبية فقد اظهرت هذه التجربة ان الجرائد المحلية في ظروفنا الراهنة تكشف في اكثر الحالات عن عدم استقرار مبدئي وانها غير ذات اهمية من وجهة النظر السياسية وان تكاليفها كبيرة جداً من وجهة نظر انفاق القوى الثورية وانها غير مرضية قطعاً من وجهة النظر التكنيكية (لا اقصد طبعاً تكنيك الطباعة بل اقصد تواتر وانتظام صدورها) وجميع هذه النواقص المذكورة ليست عرضية بل هي نتيجة محتومة لذلك التبعثر الذي يفسر من جهة تفوق الجرائد المحلية في المرحلة التي نبحثها ويثبت اقدامه من جهة اخرى من جراء هذا التفوق وفي الحقيقة ليس بمستطاع اية منظمة محلية ان تضمن لجريدها الثبات المبدئي وان ترفعها الى مستوى الجريدة السياسية ليس بمستطاع اية منظمة محلية ان تجمع المواد الكافية وان تستفيد منها لالقاء الضوء على حياتنا السياسية كلها اما تلك الحجة التي يدعمون بها في المعتاد ضرورة الاكثار من الجرائد المحلية في البلدان الحرة - حجة قلة التكاليف بسبب ان عمال المنطقة هم الذين يطبعونها وتقديماً للسكان المحليين انباء اوفى وبسرعة اكبر هذه الحجة تنقلب عندنا كما تدل التجربة ، ضد الجرائد المحلية . وهي غالية جداً من حيث انفاق القوى الثورية وهي تصدر بين فترات متباعدة جداً ، ومنشأ ذلك انه لا بد للجريدة السرية ، مهما كانت صغيرة ، من جهاز سري كبير يتطلب صناعة المعامل الضخمة ، لأنه لا يمكن انشاء هذا الجهاز في ورشة حرفية . فالطابع البدائي

في الجهاز السري يؤدي الى ان الشرطة (وكل من مارس النشاط العملي يعرف العديد من مثل هذه الامثلة) كثيراً جداً ما تستغل صدور وتوزيع عدد او عديد للقيام باعتقالات واسعة لا تبقي ولا تذر فينتأى البدء من جديد ان الجهاز السري الجيد يتطلب من الثوريين اعداداً مهنياً طيباً ويتطلب تقسيماً للعمل ينفذ بمنتهى الدقة وليس في طاقة اية منظمة محلية مهما كانت قوية في هذا الظرف ان تضمن تحقيق هذين الشرطين وحتى اذا ضربنا صفحاً عن مصالح حركتنا بمجموعها (تربية العمال تربية اشتراكية وسياسية ومبدئية) نرى الجرائد غير المحلية تخدم المصالح المحلية الصرف ايضاً بصورة افضل ولا يبدو ذلك مستغرباً الا لاول وهلة ، فتجربة السنيتين والنصف التي تحدثنا عنها تعطي في الحقيقة على ذلك البرهان القاطع واضح للجميع ان جميع هذه القوى المحلية التي اصدرت ثلاثين عدداً من الجرائد كان يمكنها فيما لو عملت في جريدة واحدة ان تصدر ستين عدداً اذا لم نقل مئة ، وكان يمكنها تبعاً لذلك ان تفصح بصورة اوفى عن جميع خصائص الحركة ذات الطابع المحلي الصرف وما من شك في ان بلوغ هذه الدرجة من التنظيم امر ليس بالسهل ولكن ينبغي لنا ان ندرك ضرورتها وينبغي لكل حلقة محلية ان تفكر فيها وتعمل على تحقيقها بنشاط دون ان تنتظر دافعاً من الخارج ، دون ان تستسلم لاغراء سهولة الجريدة المحلية وكونها قريبة المنال هذا القرب الذي يظهر كما تبرهن تجربتنا الثورية وهماً لحد كبير ويقدم للنشاط العملي خدمة رديئة اولئك الصحفيون الذين يعتبرون انفسهم قريين جداً من المشتغلين في الحقل العملي والذين لا يرون ما في هذا الامر من الوهم والذين يتنصلون باعتبارات رخيصة جداً وفارغة جداً نحن بحاجة الى جرائد محلية نحن بحاجة الى جرائد منطقية ، نحن بحاجة الى جرائد لعامة روسيا .

واضح ان كل هذا ضروري بوجه عام ولكن من الضروري ايضا التفكير في ظروف الزمان والمكان ما دمنا نواجه مسألة تنظيمية ملموسة أفليس من الدونكيشوتية حقاً ان يقول المرء كما فعلت «سقبوبودا» (العدد ١ ص ٦٨) عندما «تناولت مسألة الجريدة» بوجه خاص «باعتقادنا انه ينبغي لكل محلة تضم عدداً كبيراً من العمال لحد ما ان تنشئ جريدتها العمالية الخاصة جريدة لا تستوردها من مكان ما بل خاصة بها بالضبط» واذا كان هذا الكاتب لا يريد ان يفكر بمعنى كلماته ، ففكر عنه على الاقل انت ، ايها القارىء كم في روسيا من عشرات ان لم نقل من مئات «المحلات التي تضم عدداً كبيراً من العمال لحد ما» ، وكم يخلد عملنا الحرفي اذا ما اخذت كل منظمة محلية تصدر في الواقع جريدتها الخاصة ! وكما يسهل ذلك على الدرك عندنا صيد العاملين المحليين ودون جهد «كبير لحد ما» - في بدء عملهم وقيل ان يتسنى لهم ان يربوا في انفسهم صفات الثوريين الحقيقيين ! يستطرد الكاتب ويقول في جريدة لعامة روسيا لا يتشوق القراء الى قراءة وصف الاعيب اصحاب المعامل و«توافه حياة المعامل في مدن اخرى ليست بمدنهم» في حين ان «ساكن اوربول لا يمل قراءة انباء ما يجري في اوربول ففي كل مرة يعلم من «قرعوه» ومن «انبوه» فيشتغل ذهنه» (ص ٦٩) . اجل اجل ان ذهن ساكن اوربول يشتغل ولكن افكار كاتبنا «تشتغل» جداً هي الاخرى أمن اللائق الدفاع عن هذه التفاهة ؟ يحسن كاتبنا صنفاً لو فكر في ذلك نحن نعتز بضرورة واهمية التشهير بما يجري في داخل المعامل من مساوىء خيراً مما يعترف بذلك اي شخص آخر ولكن ينبغي لنا ان نتذكر اننا بلغنا حداً سنم معه ساكن بطرسبورغ قراءة رسائل بطرسبورغ في جريدة «رابوتشايا ميسل» الصادرة في بطرسبورغ اننا للتشهير بالمساوىء في حياة المعامل ، كنا نلجأ على الدوام وينبغي ان نلجأ

على الدوام الى المناشير اما نوع الجريدة فينبغي لنا ان نرفع مستواه لا ان نهبط به الى مستوى منشور عن حياة معمل اننا لسنا بحاجة ، من اجل «الجريدة» ، الى التشهير ب«التوافه» بقدر ما نحن بحاجة الى التشهير بالنواقص الكبيرة النموذجية في حياة المعامل الى تشهير يستند الى امثلة بارزة جداً ويستطيع لهذا السبب ان يسترعي اهتمام جميع العمال وجميع قادة الحركة ويستطيع ان يزيد معلوماتهم فعلاً ، وان يوسع افقهم ، وان يوقظ منطقة جديدة ، وفئة مهنية جديدة من العمال .

«وبعد ، ففي الجريدة المحلية يمكن تلقف جميع الاعيب ادارة المعمل او السلطات الاخرى على الفور ، قبل ان يبرد اثرها اما الجريدة العامة فهي بعيدة ، يمر دهر قبل ان يبلغها الخبر ، وقبل ان تصل يكون الحادث قد نسي وتساءل القراء «متى حدث ذلك ، يا ترى ؟ ليذكرنا الله !» (نفس المصدر) اجل ، ليذكرنا الله ! فالاعداد الثلاثون التي صدرت خلال سنتين ونصف قد صدرت في ست مدن كما ينبئنا بذلك المصدر ذاته ومعنى ذلك ان كل مدينة قد اصدرت في المتوسط عدداً واحداً في كل ستة اشهر ! واذا افترضنا ان كاتبنا الطائش يضاعف مردود العمل المحلي الى ثلاثة اضعاف (وهو ما يكون خطأ اكيداً بالنسبة لمدينة متوسطة ، لأن زيادة المردود زيادة محسوسة في اطار العمل الحر في امر مستحيل) ، فالحاصل لن يكون اكثر من عدد واحد في كل شهرين ، اي شيئاً لا يشبه بوجه من الوجوه «التلقف قبل ان يبرد الاثر» هذا بينما يكفي ان تتحد عشر منظمات محلية وان توفد مندوبيها للعمل النشط على تنظيم جريدة عامة حتى يصبح بإمكاننا ان «نتلقف» في روسيا من اقصاها الى اقصاها لا التوافه بل المساوى الفاضحة حقاً والنموذجية في كل اسبوعين مرة وكل من يعلم حقيقة الوضع في منظماتنا لا يشك في ذلك . اما القبض

على العدو متلبساً بالجريمة ، اذا فهمنا هذا التعبير فهماً جدياً ولم ننظر اليه من حيث انه صيغة جميلة وحسب ، فهو امر لا يسع الجريدة السرية حتى ان تفكر به ، اذ لا يمكن القيام بذلك الا بوسيلة المنشور المدسوس خلسة ، لأننا في معظم الحالات لا نجد تحت تصرفنا لمثل هذا القبض غير يوم او يومين على الاكثر (مثلاً في حالات اضراب معتاد قصير او تنكيل في معمل او مظاهرة الخ.)

ويستطرد كاتبنا منتقلاً من الخاص الى العام بمنطق صارم يشرف بوريس كريتشيفسكي نفسه «لا يعيش العامل في المعمل وحسب ، ولكنه يعيش في المدينة ايضاً» ثم يشير الى قضايا مجالس الدوما والمستشفيات والمدارس في المدن مطالباً بان لا تغفل الجريدة العمالية قضايا المدن بوجه عام وهذا مطلب طيب بحد ذاته ولكنه يظهر بكل جلاء مبلغ التجريد الفارغ الذي كثيراً جداً ما يكتفون به عندما يتناولون الجرائد المحلية بالبحث فاولاً اذا ما ظهرت الجرائد فعلاً «في كل محلة تضم عدداً كبيراً من العمال لحد ما» ، واذا ما حوت هذه الجرائد باباً عن حياة المدينة مفصلاً كما تريد «سفوبودا» ، فان ذلك سيفضي حتماً في ظروفنا الروسية الى تفاهات حقيقية الى اضعاف ادراكنا لاهمية الهجوم الثوري الروسي العام على الحكم المطلق القيصري الى تقوية نبات الاتجاه الشديدة الحيوية - تلك التي لم تجتث جذورها وانما هي في اكبر الظن مستترة او مكبوتة - هذا الاتجاه الذي اشتهر بالعبارة المشهورة عن الثوريين الذين يتكلمون كثيراً جداً عن البرلمان غير الموجود وقليلاً جداً عن مجالس الدوما الموجودة في المدن (٩٤) قلنا حتماً لأننا اردنا ان نشدد بذلك على ان «سفوبودا» لا تريد هذا الامر بالتاكيد بل تريد العكس ولكن النوايا الطيبة وحدها لا تكفي . فلكيما نشرح شؤون المدن من

زاوية تتناسب مع عملنا باكماله ينبغي في البدء ان توضع هذه الزاوية بصورة تامة ، وان تحدد بصورة ثابتة لا بمجرد المحاكمات العقلية بل بمجموعة من الامثلة ايضاً ينبغي ان تكتسب متانة **التقاليد** وما زلنا بعيدين جداً عن ذلك ، في حين ينبغي البدء به ، قبل ان يصبح في الامكان الشروع بالتفكير او بالكلام عن الصحافة المحلية الواسعة

وثانياً لكيما يحسن المرء حقاً الكتابة عن شؤون المدن بصورة تسترعي الاهتمام ينبغي له ان يعرف هذه الشؤون معرفة جيدة ، لا عن طريق الكتب وحدها وليس في روسيا كلها تقريباً اشتراكيون-ديموقراطيون يعرفون هذه الامور فللكتاباة عن شؤون المدن والدولة في الجريدة (لا في كراس شعبي) يتطلب الامر معلومات جديدة متنوعة يجمعها ويدرسها شخص خبير ولجمع ودراسة هذه المعلومات لا تكفي «الديموقراطية البدائية» في حلقة بدائية يقوم فيها الجميع بكل شيء ويتسلون فيها بلعبة الاستفتاءات ان هذا يتطلب هيئة اركان من كتاب اختصاصيين ، مراسلين اختصاصيين ، جيشاً من مراسلين اشتراكيين-ديموقراطيين يعقدون الصلات في كل ناحية ويحسنون التسلسل الى جميع «اسرار الدولة» على اختلافها (التي طالما يتباهى بها الموظف الروسي والتي يفشيها بفائق السهولة) والتغلغل في جميع «الكواليس» ، جيشاً من اناس تلزمهم «وظائفهم» بان يكونوا في كل مكان ويعرفوا كل شيء ونحن ، حزب النضال ضد كل ظلم اقتصادي وسياسي واجتماعي وقومي يمكننا ويجب علينا ان نجد ونجمع ونعلم ونعبي ونُدفع للقتال مثل هذا الجيش من الناس الذين يعلمون كل شيء ولكن ينبغي لنا ان نقوم بذلك هذا ولا يقتصر الامر على اننا لم نخط اي خطوة في هذا الاتجاه في الاكثرية الساحقة من المناطق ، ولكننا ايضاً لا نلوك في معظم الاحيان ضرورة ذلك . فتشوا

في صحافتنا الاشتراكية-الديموقراطية عن مقالات ورسائل حية شيقة رسائل تشهر بالخطر والتافه من امورنا الدبلوماسية والعسكرية والدينية والبلدية والمالية الخ. الخ. لن تجدوا من ذلك غير النزر اليسير او لن تجدوا تقريبا اي شيء على الاطلاق* ولذلك «اغتياظ جدا على الدوام عندما يأتيني شخص ويتحفني بما عنده من اشياء جميلة رائعة» عن ضرورة وجود جريدة «في كل محلة تضم عدداً كبيراً من العمال لحد ما» تشهر بالمساوى في حياة المعامل وحياة المدن وحياة الدولة !

ان تفوق الجرائد المحلية على الجرائد المركزية اما ان يكون دليل الفقر او دليل البذخ فهو دليل الفقر ، اذا كانت الحركة لم تعد بعد القوى اللازمة للانتاج الضخم ، واذا كانت ما تزال تتسكع في الحرفية ، واذا كانت غارقة تقريبا في «توافه حياة المعامل» . وهو دليل البذخ ، اذا كانت الحركة قد حققت بصووة تامة مهمة التشهير الشامل والتحرير الشامل بشكل تنشأ معه ضرورة وجود عدد كبير من الجرائد المحلية الى جانب الجريدة المركزية فليقرر اذن

* لهذا السبب نرى ان حتى مثال الجرائد المحلية الجيدة جداً يشبه هو ايضا وجهة نظرنا فجريدة «يوجني رابوتشي» (٩٥) ، مثلاً ، جريدة ممتازة خالية تماما من التذبذب المبدئي ، ولكن ما ارادت ان تقدمه للحركة المحلية لم يتحقق بسبب ندرة صدورها وكثرة الاعتقالات والامر الذي يحتاج اليه الحزب اشد الحاجة في هذا الظرف-اعني المبدئية في طرح المسائل الاساسية التي تواجه الحركة ، والتحرير السياسي الشامل-قد كان فوق طاقة الجريدة المحلية وما اعطته من مواد ممتازة كالمقالات عن مؤتمر اصحاب المناجم وعن البطالة الخ لم يكن عبارة عن مواد محلية صرف ، بل كان مادة تحتاج اليها روسيا كلها ، لا الجنوب وحده . ونحن لا نجد في جميع صحافتنا الاشتراكية-الديموقراطية مقالات كهذه .

كل بنفسه على اي شيء يدل تفوق الجرائد المحلية عندنا الآن اما انا فساقتصر على تحري الدقة في صياغة استنتاجي دفعاً لسوء الفهم حتى الآن تقصر معظم المنظمات المحلية عندنا تفكيرها كله تقريباً على الجرائد المحلية وحدها وتقصر نشاطها كله تقريباً على هذه الجرائد هذا امر غير طبيعي ويجب ان يكون العكس ينبغي ان يتجه تفكير معظم المنظمات المحلية اول ما يتجه الى الجريدة الروسية العامة وان توجه نشاطها اليها قبل غيرها وما لم يحدث ذلك ، سنظل عاجزين عن تنظيم اية جريدة تستطيع ، ولو لحد ما ، ان تخدم الحركة حقاً بتحريض شاهر في الصحف وعندما يحدث ذلك نرى العلاقة الطبيعية بين الجريدة المركزية الضرورية والجرائد المحلية الضرورية تقوم من تلقاء نفسها

* * *

قد يبدو لاول وهلة ان الاستنتاج بصدد ضرورة نقل مركز الثقل من العمل المحلي الى العمل في النطاق الروسي العام غير قابل للتطبيق فيما يتعلق بميدان النضال الاقتصادي المحض لأن اعداء العمال المباشرين في هذه الحالة هم اصحاب الاعمال منفردين او جماعات منهم غير مرتبطين بمنظمة تشبه ولو اقل الشبه بمنظمة عسكرية صرفاً ، متمركزة جداً ، توجهها حتى في اصغر الامور ارادة موحدة ، كمنظمة الحكومة الروسية ، عدونا المباشر في النضال السياسي

ولكن الامر ليس كذلك فالنضال الاقتصادي - وقد اشرنا الى ذلك مراراً - هو نضال مهني ، وهو لذلك يتطلب اتحاد العمال حسب المهن ، لا تبعاً لاماكن عملهم وحسب وهذا الاتحاد حسب المهن يصبح امراً لا مناص منه بمقدار ما يسرع اصحاب الاعمال عندنا الى الاتحاد في مختلف انواع الجمعيات والنقابات . وما تبعثرنا

وطريقة عملنا الحرفي الا عائق مباشر في طريق هذا الاتحاد الذي يتطلب منظمة ثورين واحدة لعامة روسيا ، قادرة على قيادة نقابات العمال في النطاق الروسي العام لقد تكلمنا عن طراز التنظيم المرغوب فيه لهذا الغرض ، ونكتفي الآن باضافة بضع كلمات فيما يتعلق بمسألة صحافتنا

لا يشك احد على ما نحسب بوجود وجود باب للنضال المهني (الاقتصادي) في كل جريدة اشتراكية-ديموقراطية ولكن نمو الحركة المهنية يحمل على التفكير بالصحافة المهنية ايضاً ويخيل لنا مع ذلك ان مسألة الصحافة المهنية لا يمكن حتى ان تطرح الآن في روسيا الا في حالات نادرة جداً فهي دليل البذخ ، في حين لا نجد في معظم الحالات خبزنا كفاية يومنا فشكل الصحافة المهنية المناسب لظروف العمل السري والضروري اليوم ينبغي ان يكون عنانا الكرايس المهنية . ينبغي ان تجمع فيها وتصنف بصورة منتظمة المواد العلنية * وغير العلنية عن ظروف العمل في مهنة بعينها

* للمواد العلنية اهمية خاصة في هذا المجال ، ونحن تأخرنا جداً في معرفة جمعها والاستفادة منها بصورة منتظمة ولا نغالي اذا قلنا ان كتابة كراس مهني على اساس المواد العلنية وحدها امر ممكن بشكل او باخر ، بينما يستحيل ذلك على اساس المواد غير العلنية وحدها ونحن ، اذ نجتمع المواد غير العلنية من العمال حول مسائل من نوع المسائل التي نشرتها «رابوتشايا ميسل» (٩٦) ، نبذر دون طائل قدراً كبيراً جداً من قوى الثورين (الذين يمكن ان يقوم مقامهم في هذا العمل بسهولة مناخلون علنيون) دون ان نحصل مع ذلك على مواد طيبة ؛ لأن العمال الذين لا يعرفون في معظم الحالات غير قسم من اقسام معمل كبير ، ويعرفون دائماً تقريباً النتائج الاقتصادية وحدها ويجهلون ظروف واحوال عملهم العامة ، لا يمكنهم عموماً ان يكتسبوا المعارف الموجودة لدى موظفي المعمل والمفتشين والاطباء ، الخ . ، والمعلومات المبعثرة بكثرة في الرسائل

وعن اختلاف هذه الظروف في شتى مناطق روسيا وعن المطالب الرئيسية لعمال مهنة من المهن وعن نواقص القوانين التي تتعلق بهذه المهنة ، وعن حالات نضال العمال الاقتصادي الهامة التي تحدث في هذه المهنة او تلك وعن الامور الجينية ووضع منظماتهم المهنية الراهن وحاجات هذه المنظمة الخ . أولاً ان هذه الكراريس تحرر صحافتنا الاشتراكية-الديموقراطية من كثرة من التفاصيل المهنية التي لا تهم غير عمال مهنة بعينها وثانياً تسجل هذه الكراريس نتائج خبرتنا في النضال المهني وتحفظ المواد المجموعة التي تضيع اليوم بالمعنى الحرفي للكلمة في العدد الكبير من المناشير ومن الرسائل غير المنتظمة وتلخص هذه المواد وثالثاً يمكن ان تكون نوعاً من موجه للمحرضين ، لأن ظروف العمل تتغير بصورة بطيئة نسبياً ولأن المطالب الاساسية لعمال مهنة معينة ، ثابتة جداً (قارن مطالب عمال النسيج في منطقة موسكو في سنة ١٨٨٥ (٩٧) وفي منطقة بطرسبورغ في سنة

الصحفية الصغيرة وفي المطبوعات الخاصة التي تصدرها الدوائر الصناعية والصحية ودوائر الزيمستفو ، الخ

ما زلت اذكر حتى الآن «تجربتي الاولى» التي لن اكرها ما عشت لقد قضيت اسابيع عديدة وانا استجوب «بتحيز» عاملاً كان يزورني عن جميع الاوضاع على اختلافها في المعمل الكبير الذي يعمل فيه وصحيح اني تمكنت بعد الجهد الجهد من كتابة وصف عن هذا المعمل (معمل واحد فقط !) ولكن العامل كان يبتسم في بعض الاحيان عند نهاية الحديث ويقول وهو يمسح العرق المتصبب على جبينه «العمل ساعات اضافية اسهل عندي من الاجابة على اسئلتك !»

وبمقدار ما يزداد نشاطنا في العمل الثوري ، بمقدار ما تضطر الحكومة الى اعطاء الصفة العلنية لقسم من عملنا «المهني» فيخف بالتالي قسم من عبء العمل الملقى على كاهلنا .

(١٨٩٦) ومجموعة هذه المطالب والحاجات يمكن ان تكون ، طيلة سنوات دليلاً رائعاً للتحريض الاقتصادي في المناطق المتأخرة او بين الفئات المتأخرة من العمال ان امثلة الاضرابات الناجحة في منطقة من المناطق والمعلومات عن وجود مستوى معيشة اعلى وظروف عمل احسن في منطقة من المناطق تشجع العمال في المناطق الاخرى على مواصلة النضال رابعاً ان الاشتراكية-الديموقراطية، اذ تبادر الى تلخيص النضال المهني وتوثق بهذا الشكل الصلة بين الحركة المهنية الروسية وبين الاشتراكية ، تعمل في الوقت نفسه على ان يشغل عملنا التريديونيوني حيزاً غير صغير جداً وغير كبير جداً من مجمل عملنا الاشتراكي - الديموقراطي والمحافظة على النسبة الصحيحة في ذلك امر صعب يكاد يكون مستحيلأ في بعض الاحيان اذا كانت المنظمة المحلية منقطعة عن المنظمات في المدن الاخرى (ومثال «رابوتشايا ميسل» يُظهر الى اي درك فظيح من الافراط في المسير في اتجاه التريديونيونية يمكن ان يؤدي ذلك) ولكن منظمة من الثوريين لعامة روسيا لا تحيد ابدأ عن وجهة نظر الماركسية الثابتة وتقود النضال السياسي باكملة ولها هيئة اركان من المحرضين المحترفين ، لن تجد اية صعوبة في تحديد هذه النسبة الصحيحة

٥

«مشروع» جريدة سياسية لعامة روسيا

كتب ب كريتشيفسكي («رابوتشيه ديلو» ، العدد ١٠ ص ٣٠) متهماً ايانا بالميل الى «تحويل النظرية عن طريق عزلها عن التطبيق ، الى عقيدة ميتة» فقال : «ان الخطأ الاكبر الذي تقترفه

«الايسكرا» في هذا الحقل هو «مشروع»ها عن المنظمة الحزبية العامة» (اي مقال «بم نبدا ؟») وينضم مارتينوف الى جوقته ويقول ان «ميل «الايسكرا» الى التقليل من اهمية تقدم النضال الجاري المعتاد بالنسبة للدعاية الى الافكار البراقة المتبلورة قد تكفل بمشروع تنظيم الحزب الذي تعرضه في مقال «بم نبدا ؟» المنشور في العدد ٤» (نفس المصدر ص ٦٦) واخيراً انضم أيضاً ل ناديجدين في آخر وقت الى الذين اغاظهم هذا «المشروع» (ومن شأن الأهلية هنا ان تشير الى التهمك منه) فقد كتب في كراس «عشية الثورة» الذي تلقيناه لتونا (والذي اصدرته جماعة سفوبودا «الاشتراكية-الثورية» التي سبق لنا ان تعرفنا عليها) ان «الكلام في هذا الوقت عن منظمة متصلة الاسباب بجريدة لعامة روسيا يعني توليد الافكار المكتبية والعمل المكتبي» (ص ١٢٦) يعني مظهراً من مظاهر «التنميق الادبي»، الخ .

ان تضامن هذا الارهابي مع انصار «السير الصاعد للنضال الجاري المعتاد» لا يمكن ان يدهشنا الآن بعد ان تبينا جذور هذه القرابة في الفصلين عن السياسة وعن التنظيم ولكن يجدر بنا ان نلاحظ هنا ان ل ناديجدين هو الوحيد الذي حاول صادقاً ان يدرك اتجاه افكار المقال الذي لم يحز رضاه وهو الوحيد الذي حاول ان يرد عليه من حيث الجوهر بينا لم تقل «رابوتشييه ديلاو» من حيث الجوهر اي شيء على الاطلاق وقصرت جهودها على تشويش المسألة متوسلة الى ذلك بكومة من الاساليب الديماغوجية غير اللائقة وسيترتب علينا ، مهما يكن ذلك غير سار ، ان نضيق الوقت اولاً في تنظيف اسطبلات اوجياس هذه (٩٨) .

(أ) من اغاظتهم مقالة «بم نبدأ؟» ؟ *

فلنسردها باقة التعابير والصرخات التي انهالت بها علينا «رابوتشيه ديبلو» «ليست الجريدة هي التي تستطيع ان تنشئ منظمة الحزب ، بل العكس هو الصحيح» «جريدة فوق الحزب ، لا تخضع لرقابته ومستقلة عنه بفضل شبكة عملائها الخاصة» «باية معجزة نسيت «الايسكرا» المنظمات الاشتراكية-الديموقراطية القائمة في الواقع والعائدة للحزب الذي تنتسب اليه «الايسكرا» نفسها؟» «حملة المبادئ الثابتة والمشروع المناسب هم ايضاً الضابطون الاعلون للنضال الفعلي للحزب وهم الذين يملون عليه تنفيذ مشروعهم» «المشروع يسوق منظماتنا الحية والحيوية الى عالم الاشباح ويريد ان يبعث الحياة في شبكة عملاء من صنع الخيال» «اذا وضع مشروع «الايسكرا» موضع التنفيذ ، ادى الى محو كل اثر لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا الذي يجري تكوينه عندنا» «جريدة الدعاية تصبح مشروعاً للنضال الثوري العملي بأكمله مستبدأ غير خاضع للرقابة» «اي موقف يجب على حزبنا ان يقفه من خضوعه التام لهيئة تحرير مستقلة» الخ . الخ .

* في مجموعة (في ١٢ سنة) ، اسقط لينين الفقرة (أ) من الفصل الخامس واعطى الملاحظة التالية واننا نسقط في الطبعة الحالية الفقرة (أ) من اغاظتهم مقالة «بم نبدأ؟؟» ، لأنها لا تحتوي الا جدالاً ضد رابوتشيه ديبلو ، والبوند حول مساعي «الايسكرا» الى «القيادة» الخ وقد جاء في هذه الفقرة فيما جاء ان البوند نفسه دعا (في ١٨٩٨ - ١٨٩٩) اعضاء «الايسكرا» الى اعادة اصدار جريدة الحزب المركزية والى تنظيم ومختبر ادبي» . الناشر .

يتضح للقارىء من مضمون ولهجة العبارات المذكورة ان «رابوتشييه ديلىو» **مفتاظة** ولكنها ليست مفتاظة لنفسها بل لمنظمات ولجان حزبنا التي يُزعم ان «الايسكر» تريد ان تسوقها الى عالم الاشباح وحتى ان تمحو اثرها اترى اي فظائع ؟ ولكن هنالك امر غريب فقد صدرت مقالة «بم نبدا؟» في ايار (مايو) سنة ١٩٠١ وصدرت مقالات «رابوتشييه ديلىو» في ايلول (سبتمبر) سنة ١٩٠١ ونحن الآن في منتصف كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٠٢ وخلال هذه الاشهر الخمسة كلها لم ترفع (لا قبل ايلول ولا بعد ايلول) لجنة واحدة او منظمة واحدة من منظمات الحزب احتجاجاً رسمياً على هذا الهول الذي يريد ان يسوق اللجان والمنظمات الى عالم الاشباح وفي غضون هذه الفترة نشرت «الايسكر» وغيرها من المطبوعات الكثيرة ذات الطابع المحلي وغير المحلي عشرات بل مئات من الاخبار تلتقتها من جميع زوايا روسيا فكيف نفسر ان الذين يراد سوقهم الى عالم الاشباح لم يلاحظوا ذلك ولم يغلظهم ذلك ، بل اغاظ طرفاً ثالثاً ؟

تفسير ذلك ان اللجان وغيرها من المنظمات منصرفة الى العمل الحقيقي لا الى اللعب بـ«الديموقراطية» لقد قرأت اللجان مقالة «بم نبدا؟» ورأت انها محاولة «لوضع مشروع معين للمنظمة ، لكيما يمكن الشروع ببنائها من جميع الجهات» ولما كانت تعلم وترى بوضوح ان اية جهة من «جميع الجهات» هذه لن تفكر «بالشروع بالبناء» ما لم تقتنع بضرورته وبصححة المخطط الهندسي لم يخطر لها ببال طبعاً ان تفتاظ من جراءة الناس الذين اعلنوا في «الايسكر» قائلين «اننا نظراً لكون المسألة هامة لا تقبل التاجيل عزمنا من جهتنا على ان نعرض على انظار الرفاق الخطوط الكبرى لمشروع نفضله في الكراس الذي نعدّه

للطبع» هل في وسع المرء حقاً ، اذا وقف من الامر موقفاً وجدانياً ان لا يفهم ان الرفاق اذا ما قبلوا المشروع المعروض عليهم سينفذونه لا عن «خضوع» بل عن قناعة بضرورته لقضيتنا المشتركة وان «الخطوط الكبرى» (كلمة تدل على الادعاء اليس كذلك؟) تبقى في حالة عدم قبولهم له مجرد خطوط كبرى؟ أفليس من الديماغوجية حقاً ان يحاربوا الخطوط الكبرى لمشروع لا «بنسفها» وحسب ولا بنصح الرفاق بردها وحسب بل ايضاً بانارة القليلي الخبرة في العمل الثوري على واضعي الخطوط الكبرى لسبب واحد هو انهم تجرؤوا على الوقوف موقف «المشروع» و«الضابط الاعلى» اي انهم تجرؤوا على اقتراح خطوط كبرى لمشروع؟؟ وهل يمكن لحزبنا ان يتطور ويتقدم اذا كانت محاولة رفع المناضلين المحليين الى نظرات ومهام ومشاريع اوسع الخ تستدعي الاعتراض لا بسبب عدم صحة هذه النظرات وحسب بل ايضاً بسبب «الغيظ» من كون البعض «يريد» «وقفنا»؟ هذا ل ناديجدين مثلاً لقد «نسف» هو ايضاً مشروعنا نسفاً ولكنه لم ينحط الى درك الديماغوجية التي لم يعد بالامكان تفسيرها بمجرد السذاجة او ببدائية النظرات السياسية ، لقد رفض بحزم منذ البدء تهمة الوقوف موقف «المفتش حيال الحزب» ولذلك يمكن ويجب ان نجيب على انتقاده للمشروع من حيث الجوهر ، في حين لا يمكن ان نرد على «رابوتشيه ديلو» بغير الازدراء .

ولكن الازدراء بكاتب يهوي حتى درك الصراخ عن «الاستبداد» و«الخضوع» لا يخلصنا بعد من واجب ايضاح التشويش الذي يقدمه امثال هؤلاء الناس للقارىء وهنا نستطيع ان نبين للجميع بجلاء نوع هذه العبارات الشائعة عن «الديموقراطية الواسعة» يتهموننا بنسيان اللجان ، وباننا نريد او نحاول سوقها الى عالم

الاشباح الخ وكيف نجيب على هذه الاتهامات ما دمنا لا نستطيع ان نقص على القارىء اى شيء واقعي تقريباً عن مواقفنا الحقيقية حيال اللجان ، ما دمنا لا نستطيع ذلك بحكم ظروف العمل السري ؟ هؤلاء الناس الذين يلقون الاتهامات اللاذعة والمثيرة للجموع يتقدمونا بفضل استهتارهم وبفضل استخفافهم بواجبات الثوري الذي يخفي بعناية عن عيون الناس العلاقات والصلات التي يمارسها والتي ينظمها او يعمل لتنظيمها ومن الواضح اننا نرفض رفضاً مباراة هؤلاء الناس على صعيد «الديموقراطية» والوسيلة الوحيدة التي تمكننا من القيام بواجبنا حيال القارىء غير المطلع على جميع الشؤون الحزبية ، هي ان نجعل موضوع حديثنا معه ، لا ما هو كائن او ما هو im Werden * بل جزءاً مما كان ومما يمكن الحديث عنه لأنه شيء من الماضي

يلمح البوند الى «تدجيل»نا * * ويتهمنا «الاتحاد» المقيم في الخارج بمحاولة محو كل اثر للحزب مهلاً ايها السادة ستنالون ما يرضيكم كل الرضى عندما نقص على الجمهور اربح وقائع من الماضي .

الواقعة الاولى * * * ان اعضاء احد «اتحادات النضال» الذين اشتركوا اشتراكاً مباشراً في تشكيل حزبنا وفي ارسال مندوب الى المؤتمر الذي اسس الحزب قد اتفقوا مع احد اعضاء جماعة «الايسكرام» على تأسيس مكتبة عمالية خاصة لخدمة الحركة بمجموعها ولكن لم يتيسر تأسيس المكتبة العمالية اما

* - في الصيرورة . - بالالمانية في النص الاصلي الناشر .

** والايسكرام ، العدد ٨ ، جواب اللجنة المركزية لاتحاد اليهود

العام في روسيا وبولونيا على مقالنا في مسألة القوميات

*** نحن نورد هذه الوقائع مخلين عن عمد بتتابع حدودها (٩٩) .

الكراسان اللذان كتبنا لهذه المكتبة وهما «واجبات الاشتراكيين- الديموقراطيين الروس» و«قانون المعمل الجديد» فقد وصلا بصورة غير مباشرة وعن طريق طرف ثالث الى الخارج حيث جرى طبعهما الواقعة الثانية ان اعضاء لجنة البوند المركزية توجهوا الى احد اعضاء جماعة «اليسكرا» باقتراح تنظيم «مختبر ادبي» حسب التعبير الذي استعمله البوند آنذاك هذا وقد اشاروا الى ان حركتنا قد تتقهقر كثيراً في حالة عدم النجاح في ذلك وقد كان كراس «قضية العمال في روسيا» * نتيجة للمفاوضات التي جرت الواقعة الثالثة ان لجنة البوند المركزية توجهت عن طريق مدينة صغيرة من مدن الملحقات الى احد اعضاء جماعة «اليسكرا» طالبة منه ان يأخذ على عاتقه تحرير «رابوتشايا غازيتا» التي يستأنف صدورها وكان الجواب بالموافقة طبعاً وبعد ذلك تغير الاقتراح: فقد اقترحوا التعاون لأن تغيرات جديدة قد طرأت على هيئة التحرير وبديهي ان الجواب كان بالموافقة مرة اخرى وارسلت مقالات (امكن حفظها) منها «برنامجنا» وهي تتضمن احتجاجاً صريحاً على النزعة البرنشتينية وعلى الانعطاف الذي حدث في المطبوعات العلنية وفي «رابوتشايا ميسل» و«واجبنا المباشر» («تنظيم جريدة حزبية تصدر بصورة منظمة وتربطها صلات وثيقة بجميع الفرق المحلية»، نواقص «العمل الحرفي» السائد) ؛ و«مسألة

* واقول بالمناسبة ان مؤلف الكراس قد طلب مني ان اعلن انه ارسله كمؤلفاته السابقة الى «الاتحاد» حاسباً ان الهيئة التي تشرف على تحرير مطبوعاته هي فرقة «تحرير العمل» (فهو في ذلك الوقت ، اي في شباط - فبراير - سنة ١٨٩٩ لم يستطع بحكم بعض الظروف ان يعلم لنا تغير هيئة التحرير) . وستعيد «العصبة» (١٠٠) طبع هذا الكراس في وقت قريب .

ملحة» (تحليل لاعتراض مآله انه ينبغي في البدء تطوير نشاط الفرق المحلية قبل الشروع بتنظيم جريدة عامة الاصرار على ان الاهمية الاولية تعود «للمنظمة الثورية» وعلى ضرورة «رفع التنظيم والنظام وفن العمل السري الى اعلى درجات الكمال» ولكن لم يتحقق اقتراح استئناف اصدار «رابوتشايا غازيتا» ولم تنشر المقالات

الواقعة الرابعة ان عضو اللجنة الذي نظم المؤتمر الثاني الدوري لحزبنا بلغ احد اعضاء جماعة «الايסקرا» برنامج المؤتمر ورشح هذه الجماعة لوظيفة تحرير «رابوتشايا غازيتا» التي يراد استئناف صدورها وقد حظيت خطوته التمهيدية ، ان صح القول، بالمصادقة فيما بعد من قبل اللجنة التي ينتمي اليها ومن قبل لجنة البوند المركزية وتلقت جماعة «الايסקرا» اعلاماً بزمان ومكان المؤتمر ولكنها (لعدم يقينها بامكان ارسال مندوب عنها الى هذا المؤتمر نظراً لبعض الاسباب) وضعت كذلك تقريراً خطياً للمؤتمر وقد تضمن هذا التقرير فكرة مفادها ان مجرد انتخابنا للجنة المركزية لا يحل مسألة التوحيد في ظرف التبعضر الكامل الذي نجتازه ولكننا ايضاً اذا حدث اعتقال جديد سريع كامل هو اكثر من محتمل في ظروف سيطرة الاستخفاف بقواعد العمل السري قد نسيء للفكرة العظمى فكرة تأسيس الحزب وانه نظراً لذلك ينبغي البدء بدعوة جميع اللجان وجميع المنظمات الاخرى الى تأييد الجريدة العامة التي يعاد اصدارها والتي من شأنها ان تربط فعلاً جميع اللجان برباط عملي وتحضر فعلاً فريقاً من القادة للحركة بمجموعها وان اللجان والحزب يستطيعان بسهولة ان يحولا هذا الفريق الذي انشأته اللجان الى لجنة مركزية مذ ينشأ هذا الفريق ويتوطد ولكن المؤتمر لم ينعقد بسبب جملة من الاعتقالات ، ولاعتبارات املتها ظروف العمل السري اتلف

التقرير بعد ان قراه بعض الرفاق فقط ومنهم مندوبو احـد اللجان .

نترك للقارى' الآن ان يحكم بنفسه على طابع هذه الاساليب التي من نوع تلميح البوند الى التدجيل وحجة «رابوتشييه ديـلو» الزاعمة اننا نريد سوق اللجان الى عالم الاشباح و«الاستعاضة» عن منظمة الحزب بمنظمة تنشر افكار جريدة واحدة اجل لقد ابلغنا اللجان بالذات ، بناء على دعوات كثيرة تلقيناها منها ، عن ضرورة اقرار مشروع معين للعمل المشترك . ومن اجل المنظمة الحزبية بالذات ، عرضنا نحن هذا المشروع في مقالات لـ «رابوتشايـا غازيتا» وفي تقرير لمؤتمر الحزب وقد قمنا بذلك في هذه المرة ايضاً بناء على دعوة من هؤلاء الذين كانوا يتمتعون بنفوذ كبير في الحزب الى حد انهم اخذوا على عاتقهم المبادرة الى بعثه (العملي) . وبعد ان انتهت الى الاخفاق المحاولة التي قامت بها منظمة الحزب مرتين لتستأنف بالتعاون معنا اصدار جريدة الحزب المركزية بصورة رسمية بعد هذا الاخفاق فقط اعتبرنا ان الواجب المباشر يفرض علينا ان نصدر جريدة غير رسمية لكي يجد الرفاق امامهم ، في المحاولة الثالثة نتائج تجربة معينة وليس فقط افتراضات قائمة على الحدس والتخمين والآن يرى الجميع بوضوح بعض نتائج هذه التجربة وفي وسع جميع الرفاق ان يحكموا فيما اذا كنا قد فهمنا واجبنا على الوجه الصحيح وماذا يجب ان نزن بامثال هؤلاء الناس الذين يبذلون جهودهم لتضليل الاشخاص غير المطلعين على الماضي القريب ، ويحدوهم غيظهم من كوننا قد برهنا للـ بعض عدم استقامتهم في مسألة «القوميات» وللآخرين عدم جواز الترددات غير المبدئية .

(ب) هل يمكن للجريدة ان تكون منظما جماعيا ؟

الامر الرئيسي في مقالة «بم نبدا؟» هو كونها قد طرحت هذا السؤال بالذات واجابت عليه بالايجاب ول ناديجدين هو على حد علمنا الشخص الوحيد الذي حاول تحليل هذه المسألة من حيث الجوهر والبرهان على ضرورة حلها حلاً سلبياً ونحن نثبت فيما يلي حججه كاملة

(... لقد اعجبنا جداً طرح «الايسكرا» (العدد ٤) لمسألة ضرورة اصدار جريدة لعامة روسيا ؛ ولكن لا نستطيع بوجه ان نسلم بان طرح المسألة على هذا الشكل يتلاءم وعنوان المقالة «بم نبدا؟» فهي امر في منتهى الاهمية دون شك ، ولكن ليس في وسعها او في وسع مجموعة كاملة من النشرات الشعبية او جبل من المنشورات ان تضع اساس المنظمة الكفاحية التي يقتضيها الطرف الثوري من الضروري الشروع بتشكيل منظمات سياسية محلية قوية وهذه المنظمات غير موجودة عندنا فقد جرى العمل عندنا بصورة رئيسية بين العمال المثقفين ، في حين كانت الجماهير تقوم بالنضال الاقتصادي وحده تقريبا واذا لم تتركب منظمات سياسية محلية قوية ، فما جدوى جريدة لعامة روسيا وان كانت منظمة غير تنظيم ؟ العليقة تتوقد بالنار وهي لا تحترق ولا تحرق احداً ! حول هذه الجريدة وفي العمل من اجلها يجتمع الناس وينتظمون - هكذا تحسب «الايسكرا» ولكن من الايسر لهم بكثير ان يجتمعوا وينتظموا حول عمل ملهوس اكثر ! هذا العمل يمكن ويجب ان يكون تنظيم الجرائد المحلية على نطاق واسع والشروع منذ الآن بتحضير قوى العمال للمظاهرات ، وقيام المنظمات المحلية بعمل دائم بين العاطلين عن العمل (توزيع النشرات والمنشورات بينهم دون انقطاع ودعوتهم الى الاجتماعات والى مقاومة الحكومة ، الخ .) ينبغي الشروع بعمل سياسي حي على النطاق المحلي ، وعندما تظهر ضرورة الاتحاد على هذا الصعيد الواقعي ، لن يكون الاتحاد مصطنعاً ، ولا حبراً على ورق ان توحيد العمل المحلي وتحويله الى عمل روسي عام امر لا يمكن بلوغه عن طريق الجرائد ! (وعشية الثورة) ، ص ٥٤ .

لقد طبعنا بالحرف العريض في هذه القطعة النثرية الرائعة
الجميل التي تظهر باكبر الوضوح عدم صحة تقدير الكاتب لمشروعنا
وبوجه عام عدم صحة وجهة نظره التي يعارض بها هنا «الايسكرا» .
اذا لم تربى منظمات سياسية محلية قوية فلا جدوى من جريدة
لعامة روسيا حتى وان كانت في ذروة الكمال هذا صحيح كل
الصحة ولكن المصيبة كل المصيبة تكمن في عدم وجود طريق
لتربية منظمات سياسية قوية غير طريق جريدة لعامة روسيا
لقد غابت عن الكاتب اهم فقرة فيما كتبته «الايسكرا» ، وهي الفقرة
الواردة قبل الشروع بعرض «مشروع»ها تنبغي «الدعوة لخلق
منظمة ثورية اهل لتوحيد جميع القوى ولقيادة الحركة لا بالاسم
وحسب ، بل بالفعل اي ان تكون مستعدة على الدوام لتأييد كل
احتجاج وكل غليان وللاستفادة من هذه الاحتجاجات والغليانات
في زيادة وتعزيز القوات الحربية الصالحة للمعركة الفاصلة»
واستطردت «الايسكرا» قائلة ولكن الآن بعد حوادث شباط
وآذار (فبراير ومارس) لا يعترض احد على ذلك من الناحية
المبدئية غير ان ما نحتاج اليه ليس الحل المبدئي للمسألة
بل الحل العملي ينبغي ان يوضع على الفور مشروع معين للبناء
لكيما يستطيع الجميع الشروع بالبناء فوراً ومن جميع الجهات وها
هم يجروننا مرة اخرى الى الوراء من الحل العملي الى حقيقة كبرى
لا تقبل جدالاً وهي صحيحة من الناحية المبدئية كل الصحة ، ولكنها
غير كافية بتاتا وغير مفهومة بتاتا لجمهور العاملين الواسع الى
حقيقة «تربية منظمات سياسية قوية» ! ليس هذا محور الحديث يا
حضرة الكاتب المحترم انما يدور الحديث عن كيفية تربيتها
وانجاز تربيتها !

وليس بصحيح ان «العمل جرى عندنا بصورة رئيسية بين
العمال المثقفين ، في حين كانت الجماهير تقوم بالنضال الاقتصادي

وحده تقريباً» فالصيغة بشكلها هذا تنزلق الى معارضة العمال المثقفين بـ«الجمهور» وهي معارضة اعتادت عليها «سفوبودا» ومغلوبة من اساسها فخلال السنوات الاخيرة قام عندنا العمال المثقفون هم ايضاً «بالنضال الاقتصادي وحده تقريباً» هذا من جهة ومن جهة اخرى لن نتعلم الجماهير ايضاً القيام بالنضال السياسي ما لم نساعد على ان يتربى القادة لهذا النضال من العمال المثقفين ومن المثقفين سواء بسواء وهؤلاء القادة لا يمكن ان يتربوا الا على اساس تقديرهم بصورة يومية منتظمة لجميع وجوه حياتنا السياسية لجميع محاولات الاحتجاج والنضال التي تقوم بها مختلف الطبقات في مختلف المناسبات ولذلك فان الكلام عن «تربية منظمات سياسية» والقيام في الوقت نفسه بمعارضة عمل الجريدة السياسية «الورقي» بـ«العمل السياسي الحي على النطاق المحلي» هما بكل بساطة امر مضحك! و«الايسكرا» توفق «المشروع» الذي وضعته للجريدة مع «مشروع» لبلوغ «درجة من الاستعداد الكفاحي» تجعل من الممكن في وقت معاً مساندة حركة العاطلين عن العمل وانتفاضات الفلاحين واستياء الزيمستفويين و«سخط السكان من طغيان الباشبوزوق القيصريين»، الخ ان كل مطلع على الحركة يعلم حق العلم ان كل ذلك حتى لم يخطر للاكثرية الكبرى من المنظمات المحلية على بال وان الكثير من مشاريع «العمل السياسي الحي» المشار اليها هنا لم تنفذ ولو هرة من قبل اية منظمة وان محاولة لفت النظر مثلاً الى تعاطف الاستياء والاحتجاج بين المثقفين الزيمستفويين تقلق وتجير سواء ناديجدين («رباه لعلها لجماعة الزيمستفو هذه الجريدة ؟»)

«عشية الثورة» ، ص ١٢٩) و«الاقتصاديين» (الرسالة في العدد ١٢ من «الايسكرا») ام كثيرين من المشتغلين في الميدان العملي في هذه الاحوال لا يمكن «البدء» الا من دفع الناس الى التفكير بكل

ذلك ، الا من دفعهم الى جمع وتلخيص جميع مظاهر التذمر والنضال النشيط على اختلافها وفي ايامنا هذه التي يُحط فيها من شأن مهام الاشتراكية-الديموقراطية لا يمكن البدء بـ«العمل السياسي الحي» الا من التحريض السياسي الحي الذي لا يمكن القيام به بدون جريدة لعامة روسيا تصدر بتواتر وتوزع توزيعاً صحيحاً ان الناس الذين رأوا في «مشروع» «الايسكرا» مظهراً من مظاهر «التنميق الادبي» لم يفهموا البتة جوهر المشروع بالذات ورأوا الغاية فيما يعرض على انه انجع الوسائل في الوقت الحاضر ان هؤلاء الناس لم يكلفوا انفسهم عناء التفكير في مقارنتين شرحتا هذا المشروع بكل وضوح فقد جاء في «الايسكرا» ان تأسيس جريدة سياسية لعامة روسيا ينبغي ان يكون الخيط الاساسي الذي يمكننا، متى امسكنا به ، من ان تطور ونعمق ونوسع باستمرار هذه المنظمة (اي المنظمة الثورية المستعدة على الدوام لتأييد كل احتجاج وكل غليان) قولوا لنا من فضلكم عندما يضع البناؤون في مختلف الاماكن حجارة عمارة كبيرة لا سابق لها ابداً الا يقومون بعمل «ورقي» اذ يمدون خيطاً يساعدهم على ايجاد المكان الصحيح للصف ويبين لهم الهدف النهائي لعملهم المشترك ، ويمكنهم من الاستفادة لا من كل حجر وحسب بل ايضا من كل قطعة من الحجر الذي بتلاصقه مع سابقه ولاحقه يعطي المدماك النهائي الكامل؟ ألا نجتاز نحن في حياتنا الحزبية هذا الظرف الذي توجد فيه الحجارة ويوجد البناؤون ولا نجد بالضبط ذلك الخيط الذي يستطيع الجميع ان يروه وان يتمسكوا به ؟ فليصرخ من يريد ان يصرخ اننا بمدنا للخيط نريد ان يكون في يدنا الامر والنهي لو اردنا ذلك لكتبنا ايها السادة ، «رابوتشايا غازيتا العدد ٣» بدلاً من «الايسكرا العدد ١» الامر الذي اقترحه علينا بعض الرفاق والذي كان يحق لنا تماماً ان نفعله بعد تلك الحوادث التي تحدثنا

عنها ولكننا لم نفعل ذلك فلقد اردنا ان نترك ايدينا طليقة للنضال دون هواده ضد جميع الاشتراكيين-الديموقراطيين الدجالين لقد اردنا لخيطنا ان يكتسب الاحترام لصحته اذا كان مده صحيحاً لا لكون مده قد جرى من قبل جريدة رسمية ان ل ناديجين يعظنا قائلاً «ان مسألة توحيد النشاط المحلي تدور في الهيئات المركزية في حلقة مفرغة فالتوحيد يقتضي تجانس العناصر وهذا التجانس نفسه لا يمكن تكوينه الا عن طريق شيء يوحد ولكن هذا الشيء الموحد لا يمكن ان يكون غير نتاج منظمات محلية قوية لا تتصف البتة في الوقت الحاضر بالتجانس» حقيقة محترمة لا تقبل جدالاً كتلك التي تقول انه ينبغي تربية منظمات سياسية قوية حقيقة عقيمة كعقم الحقيقة السابقة ان كل مسألة «تدور في حلقة مفرغة» ، لان الحياة السياسية باكملها عبارة عن سلسلة لا نهاية لها تتألف من عدد لا يحصى من الحلقات وتتلخص براعة السياسي كلها في ايجاد الحلقة اللازمة وفي التمسك بها بقوة، الحلقة التي هي اشد الحلقات استعصاء على انتزاعها من بين يديه والتي هي اهم الحلقات في ظرف معين ، الحلقة التي تعطي الحائز عليها اكبر الضمانات بحيازة السلسلة كلها * ربما كان بإمكاننا ان نتمسك بحلقة اخرى لو وجدت عندنا فصيلة بنائين ماهرين ومتضافرين لحد يمكنهم من وضع الحجارة حيث يجب حتى بدون الخيط (وهذا ليس اطلاقاً من المستحيلات اذا تكلمنا بصورة مجردة) ولكن المصيبة ،

* ايها الرفيق كريتشفسكي ، ايها الرفيق مارتينوف ! الفت انظاركم الى هذا المظهر المثير للغضب من مظاهر «الاستبداد» ، من مظاهر «السلطان المطلق» ، من مظاهر «الضبط الاعلى» ، الخ الفوت ، الفوت ! انه يريد هيازة السلسلة كلها !! عجلا في كتابة شكاية انها موضوع جاهز لكتابة افتتاحيتين في العدد ١٢ من «رابوتشيه ديلو» !

كل المصيبة هي كون البنائين الماهرين المتضافرين غير موجودين عندنا بعد هي كون الحجارة توضع في غالب الاحيان كيفما اتفق دونما اكرثا بالخيط العام هي كونها توضع مبعثرة فيكفسي العدو ان ينفخ عليها لتتناثر وكأنها ذرات رمل لا حجارة

المقارنة الاخرى «الجريدة ليست فقط داعية جماعياً ومحرضاً جماعياً بل هي في الوقت نفسه منظم جماعي ومن هذه الناحية الاخيرة يمكن ان تقارن بالسقالات التي تنصب حول بناية يجرى تشييدها فتشير الى معالم البناية وتسهل الاتصال بين البناية وتساعدهم على توزيع العمل بينهم وعلى رؤية مجمل النتائج التي احرزها العمل المنظم» * أليس من الصحيح ان هذا القول من كاتب ، من انسان اعتاد العمل في المكتب ، اشبه كل الشبه بمغالاته بدوره ؟ السقالات ليست ضرورية بتاتا لبناية نفسها ، والسقالات تصنع من الخشب الرديء وتنصب لفترة قصيرة وتلقى في النار عندما تكتسب البناية شكلها النهائي ولو بصورة عامة اما في بناء المنظمات الثورية فان التجربة (تجربة سنوات العقد الثامن مثلاً) تدل على انه يتيسر بناؤها احياناً بدون سقالات ولكن في ظروفنا الراهنة لا نستطيع حتى ان نتصور تصوراً امكانية الاستغناء عن السقالات في تشييد البناية التي نحتاجها

ان ناديجدين لا يوافق على ذلك ويقول «حول الجريدة وفي العمل من اجلها يجتمع الناس وينتظمون - هكذا تحسب «الايسكرا» ولكن من الايسر لهم بكثير ان يجتمعوا وينتظموا

* ان مارتينوف ، اذ اورد في «رابوتشيه ديلا» الجملة الاولى من هذا الاستشهاد (العدد ١٠ ، ص ٦٢) اسقط الجملة الثانية بالضبط فكانه اشار بذلك الى انه لا يريد ان يتناول المسألة من حيث الجوهر او الى انه لا يستطيع ادراك هذا الجوهر .

حول عمل ملموس اكثر!» نعم نعم «من الايسر بكثير حول عمل ملموس اكثر» يقول المثل الروسي لا تبصق في البئر فقد تعطش وتحتاج الى مياهها ولكن هنالك من لا يأنف من ري ظمئه من مياه بئر بصق فيها وهل ترك عندنا «نقاد الماركسية» العلنيون الرائعون والمعجبون السريون بـ«رابوتشايا ميسل» شيئاً من الكلام الشنيع لم يقولوه باسم هذا الملموس اكثر! وكم يضغط على حركتنا كلها ضيق افقنا ونقص مبادرتنا وجبننا الذي نبرره بحجج تقليدية من نوع «من الايسر حول عمل ملموس اكثر» وهذا ناديجدين الذي يعتقد ان حس «الحياة» فيه عميق جداً والذي يندد اشد التنديد بالناس «القابعين في المكاتب» ويتهم «الايسكر» (مدعيًا الذكاء) بانها مصابة بوسواس يريها «الاقتصادية» حيث تولي وجهها والذي يتصور انه اعلى جداً من هذا التقسيم الى ارثوذكس ونقاد - ناديجدين هذا لا يلاحظ انه بحججه هذه يخدم ضيق الافق الذي يغضبه وانه يشرب من بئر امتلات بصاقاً! اجل ان اصدق غضبة من ضيق الافق واجر رغبة في انهاض الساجدين امام ضيق الافق لا تكفيان اذا كان الغاضب يندفع بدون شراع ولا دفعة ويتشبث بصورة «عفوية» كشأن ثوري العقد الثامن بـ«الارهاب التهييجي» و«الارهاب الزراعي» و«الناقوس» الخ تمنعوا في هذا «الملموس اكثر» الذي حسب اعتقاده ، «من الايسر بكثير» الاجتماع والانتظام حوله ١ الجرائد المحلية ٢ الاستعداد للمظاهرات ٣ العمل بين العاطلين عن العمل يتضح حتى لأول وهلة ان جميع هذه الاشياء قد التقطت صدفة تماماً ، على بركة الله ، من اجل ان يقال شيء ما اذ اننا كيفما تعنا فيها لا نرى فيها شيئاً من خصائصه ان «يجمع وينظم» الا اذا خرجنا على كل منطلق فناديجدين نفسه يقول بعد صفحتين : «لقد آن لنا ان نسجل هذا الواقع العمل المحلي

تافه جداً فاللجان لا تفعل حتى عشر ما يمكنها ان تفعل والمراكز الموحدة الموجودة لدينا الآن سراب دواوينية ثورية منح البعض للبعض القاب الجنرالات وسيظل الامر على هذا النحو الى ان تنشأ منظمات محلية قوية» وهذه الكلمات تتضمن دون شك الى جانب ما فيها شطط كثيراً من الحقائق المرة ولكن هل حقاً لا يرى ناديجين الصلة بين تفاهة العمل المحلي وضيق افق العاملين وضيق مدى نشاطهم وهما امران لا مفر منهما عندما يكون العاملون المنحصرين في اطار المنظمات المحلية غير مستعدين؟ هل حقاً نسي على غرار كاتب المقالة عن التنظيم في «سفوبودا» ان «الاقتصادية» و«الحرفية» قد قويتا كثيراً مع الانتقال الى الصحافة المحلية الواسعة (ابتداء من سنة ١٨٩٨)؟ وحتى لو كان بالامكان تنظيم «صحافة محلية واسعة» تنظيمياً مرضياً لحد ما (وقد برهنا فيما تقدم ان ذلك مستحيل باستثناء حالات خاصة جداً) لما استطاعت الجرائد المحلية ان «تجمع وتنظم» جميع قوى الثوريين للهجوم العام على الحكم المطلق ولقيادة النضال الموحد لا تنسوا ان الحديث لا يدور هنا الا حول اهمية الجريدة من حيث «التجميع» من حيث التنظيم ونحن نستطيع ان نضع امام نصير التجزئة ناديجين نفس السؤال التهكمي الذي طرحه هو نفسه «لعلنا ورثنا عن احد ٢٠٠٠٠٠ قوة منظمة ثورية؟» وبعد لا يمكن ان نعارض بـ«الاستعداد للمظاهرات» مشروع «الايسكرا» لمجرد ان هذا المشروع ينص بالذات على اوسع المظاهرات باعتبارها احد الاهداف ولكن القضية قضية اختيار الوسيلة العملية وهنا اختلط الامر مرة اخرى على ناديجين فقد غاب عنه ان «اعداد» المظاهرات (التي جرت حتى الآن بصورة عفوية تماماً في معظم الحالات) لا يستطيعه الا جيش «عبيء ونظم» والحال ان التعبئة والتنظيم هما بالذات ما لا نحسن القيام به .

«العمل بين العاطلين عن العمل» نفس التشويش اذ ان هذا الامر هو ايضاً عمل من الاعمال الحربية التي يقوم بها جيش معبأ وليس بمشروع لتعبئة جيش والواقع التالي يبين لنا مبلغ عدم ادراك ناديجدين هنا ايضاً لضرر تبعثرنا وعدم وجود «٢٠٠٠٠٠ قوة» عندنا هناك كثيرون (ومنهم ناديجدين) ينحون باللائمة على «الايسكر» لقلّة ما تنشر من انباء عن العاطلين ولنشرها رسائل عرضية عن الامور العادية جداً في حياة القرية ان اللوم في محله ولكن «الايسكر» في هذا الامر «مذنب بري» فنحن نحاول ان «نمد خيطنا» عبر القرية ايضاً، ولكننا لا نعثر هناك على البنائين في اية ناحية تقريباً فيتأتى علينا ان نشجع كل من يرسل اي خبر ولو كان من الاخبار العادية جداً املاً بان يؤدي ذلك الى مضاعفة عدد المعاونين في هذه الناحية وان يعلمنا جميعاً في نهاية الامر اختيار الوقائع البارزة حقاً ولكن مادة التعليم من القلة بحيث انه ان لم نجعلها من روسيا كلها لا نجد بين ايدينا اي شيء على الاطلاق نتعلم به ان الانسان الذي يملك او يكاد من المواهب في التحريض ومن عمق الاطلاع على حياة الصعاليك ما يظهره ناديجدين يستطيع دون شك ان يقدم للحركة خدمات لا تقدر بثمن في تحريضه بين العاطلين عن العمل ولكن هذا الانسان يدفن مواهبه اذا لم يعن باطلاع جميع الرفاق الروس على كل خطوة يخطوها في عمله لتكون عظة وقدوة لاناس لا يعرفون بعد في معظمهم كيف يقومون بهذا العمل الجديد يتحدث الجميع الآن دون استثناء عن اهمية التوحيد وعن ضرورة «التجميع والتنظيم» ولكن ليست هناك في معظم الحالات اي فكرة واضحة عن كيفية الشروع بقضية التوحيد وكيفية تحقيقها ويوافق الجميع دون شك على اننا اذا ما «وحدنا» مثلاً حلقات الاحياء المختلفة في مدينة فان ذلك يتطلب مؤسسات عامة ، اي انه لا يتطلب عنواناً مشتركاً وحسب ، هو اسم

«الاتحاد» بل يتطلب أيضاً العمل المشترك حقاً وتبادل المواد والخبرة والقوى وتوزيع الوظائف لا على أساس الاحياء وحسب بل أيضاً على أساس جميع نواحي النشاط في المدينة ولا يشك احد في ان الجهاز السري الكبير لا يفي بتكاليفه (اذا جاز استعمال هذا التعبير التجاري) اذا اقتضت «موارده» (المادية والبشرية طبعاً) على حي واحد ، وان مواهب الاختصاصي لا يمكنها ان تزدهر في مثل هذا الصعيد الضيق ولكن الامر لا يختلف فيما يتصل بتوحيد مختلف المدن لان تاريخ حركتنا الاشتراكية-الديموقراطية قد اظهر ويظهر ان صعيد المنطقة المحدودة ضيق جداً : وقد برهنا ذلك بالتفصيل فيما تقدم بمثال التحريض السياسي والعمل التنظيمي يجب ، يجب بالضرورة ويجب قبل كل شيء آخر ، توسيع هذا الصعيد يجب ايجاد الصلة الفعلية بين المدن على أساس العمل المشترك المنتظم لأن التبعض يضغط على الناس الذين «يجلسون كأنهم في قبو» (كما جاء في رسالة الى «الايسكر») ولا يعرفون ماذا يجري في العالم ، لا يعرفون على من ينبغي لهم ان يتعلموا ولا يدرون كيف يحصلون على التجربة وكيف يروون ظمأهم الى النشاط الواسع واني اؤكد باصرار ان الشروع بايجاد هذه الصلة الفعلية لا يمكن الا على أساس الجريدة العامة بوصفها العمل الوحيد المنتظم على نطاق روسيا كلها العمل الذي يلخص نتائج النشاط في شتى ميادينه ويدفع الناس بذلك الى مواصلة السير الى امام دون كلل في جميع الطرق العديدة المفضية الى الثورة كما تفضي جميع الطرق الى الطاحون اذا كانت رغبتنا في التوحيد لا تقف عند حد القول فينبغي لكل حلقة محلية ان تفرز على الفور جزءاً من قواها ولنقل الربع للعمل النشط في القضية العامة وعندئذ تدلها الجريدة * فوراً على المظهر العام

* تحفظ . اذا حيدت الحلقة اتجاه هذه الجريدة ورات من المفيد للقضية ان تكون معاونة فيها ، قاصدة بذلك لا التعاون الادبي وحسب ، بل كل

وعلى مدى العمل وطابعه وتبين لها النواقص التي تبرز اكثر من غيرها في النشاط الروسي العام وتبين لها الاماكن التي ينعدم فيها التحريض وتضعف فيها الصلات وتدلها على براغمي الجهاز العام الهائل التي تستطيع هذه الحلقة ان تصلحها او تستعيض عنها باصلح منها ويصبح في وسع الحلقة التي تبحث عن عمل دون ان يكون قد سبق لها ان اشتركت في عمل البدء لا بصفة حرفي في ورشة صغيرة منعزلة لا يعرف التاريخ الذي اجتازته «الصناعة» قبله ولا الحالة العامة لاساليب الانتاج الصناعية المعنية بل بصفة مشترك في مشروع كبير يتجلى فيه الاندفاع الثوري العام ضد الحكم المطلق وبمقدار ما يكون كل برغمي متقناً وبمقدار ما يزداد العاملون في كل جزء من اجزاء العمل العام تزداد شبكتنا كثافة ويقل الاضطراب الذي تحدثه في صفوفنا العامة الاعتقالات المحتمومة

ان توزيع الجريدة بحد ذاته يبدأ بانشاء الصلة الفعلية (اذا كانت الجريدة تستحق اسم الجريدة اي اذا كانت تصدر بصورة منتظمة لا مرة في الشهر كما تصدر المجلات الكبيرة بل اربع مرات في الشهر تقريباً) ان الاتصالات بين المدن اليوم لحاجات العمل الثوري هي امر نادر جداً وهي على كل حال شذوذ على القاعدة وعندئذ تصبح هذه الصلات هي القاعدة وتضمن طبعاً لا توزيع الجريدة فقط بل (وهو امر اهم بكثير) تبادل الخبرة والمواد والقوى والموارد عندئذ يتسع نطاق العمل التنظيمي

تعاون ثوري بوجه عام ملاحظة من اجل «رابوتشييه ديلا» ان هذا التحفظ بديهي بين الثوريين الذين يقدرون القضية ، لا اللعب بالديموقراطية ، والذين لا يفصلون «التحبيد» عن اكثر المشاركات نشاطاً وحيوية .

اتساعاً كبيراً على الفور ويصبح النجاح في منطقة ما مشجعاً دائماً على تحسين العمل باستمرار وعلى الرغبة في الاستفادة من الخبرة التي اكتسبها الرفاق في زاوية من زوايا البلاد عندئذ يصبح العمل المحلي أكثر غنى وتشعباً بكثير مما هو عليه الآن والتشهير السياسي والاقتصادي الذي يُجمع في كل انحاء روسيا يقدم الغذاء العقلي للعمال في جميع المهن وعلى اختلاف درجات التطور ويقدم المادة والمناسبة لمحادثات وقراءات في مختلف المسائل تساهم في اثارها تلميحات الجرائد العلنية والاحاديث في المجتمع والبلاغات الحكومية «الحية» عندئذ تقدر كل فورة وكل مظاهرة وتبحث من جميع الوجوه في جميع انحاء روسيا مثيرة الرغبة في عدم التأخر عن الآخرين وفي العمل بشكل يفضل عمل الآخرين - (ونحن الاشتراكيين لا نرفض البتة كل مباراة وكل «منافسة» بوجه عام!) وفي التحضير بوعي لما جرى في المرة الاولى بشكل عفوي وفي الاستفادة من الظروف الملائمة في هذا المكان او في هذه اللحظة لتغيير مشروع الهجوم الخ وفي الوقت نفسه لا يفضي هذا الانتعاش الذي يدب في العمل المحلي الى اعتصار جميع الجهود على غرار ما يفعل يائس «محتضر» ، والى حشد جميع القوى كما يحدث عادة الآن لدى كل مظاهرة او كل عدد من اعداد الجريدة المحلية فمن جهة تجابه الشرطة عقبات اكبر جداً في الوصول الى «الجذور» ما دامت لا تدري في اية ناحية ينبغي لها ان تبحث عنها ومن جهة اخرى يعلم العمل العام المنتظم المناضلين كيف يلائمون بين قوة هجوم معين والحالة المعينة لقوى هذه الفصيلة او تلك من فصائل الجيش العام (الامر الذي لا يفكر فيه الآن احد تقريباً ، لأن تسعة اعشار الهجمات تشن بصورة عفوية) ويسهل «نقل» المطبوعات ، بل القوى الثورية ايضاً ، من مكان الى آخر .

هذه القوى تستنزف اليوم ، في معظم الحال ، دماءها على صعيد العمل المحلي الضيق ولكن عندئذ تظهر الامكانيات والمناسبات الدائمة لنقل محرض او منظم يظهر شيئاً من الكفاءة من طرف البلاد الى طرفها الآخر فالمناضل اذ يبدأ برحلة صغيرة في شؤون الحزب وعلى حساب الحزب يعتاد العيش بصورة تامة على نفقة الحزب ويصبح من الثوريين المحترفين ويخلق من نفسه قائداً سياسياً حقاً

واذا ما استطعنا فعلاً ان نجعل اللجان والجماعات والحلقات المحلية جميعها او معظمها تشارك اشتراكاً نشيطاً في العمل العام يصبح بإمكاننا ان نصدر في المستقبل القريب جريدة اسبوعية توزع بصورة منتظمة في جميع انحاء روسيا بعشرات الالوف من النسخ وتصبح هذه الجريدة جزءاً من منفاخ حدادة هائل ينفخ في كل شرارة من شرارات النضال الطبقي والسخط الشعبي ويجعل منها حريقاً عاماً وحول هذا العمل الذي هو بريء جداً وصغير جداً بحد ذاته ولكنه منتظم وعام بكل معاني الكلمة يتعبأ بصورة منتظمة ويتعلم جيش دائم من مناضلين مجريين ولن يمضي طويل وقت حتى ينهض على سقالات ودعائم هذا التنظيم العام الجاري بناؤه من بين ثوريينا اشتراكيون-ديموقراطيون من طراز جيليايوف ومن بين عمالنا الروس رجال من طراز بيبيل يقفون على رأس الجيش المعبا ويستنهضون الشعب كله للاقتصاص من وصمة العار واللجنة الجائمتين على صدر روسيا هذا ما ينبغي لنا ان نحلم به !

* * *

«ينبغي ان نحلم !» ما ان كتبت هذه الكلمات حتى فرغت فقد خيل الي اني جالس في «مؤتمر التوحيد» وامامى محررو

«رابوتشييه ديلا» ومعاونوها وإذا بالرفيق مارتينوف ينهض ويوجه الي هذا الخطاب الرهيب «اجب من فضلك هل يحق لهيئة تحرير مستقلة ان تحلم دون ان تستاذن في ذلك لجان الحزب بصورة مسبقة؟». ثم ينهض الرفيق كريتشييفسكي ويستطرد (بمعنى على نمط الفلاسفة الرفيق مارتينوف الذي عمق منذ زمن طويل الرفيق بليخانوف) قائلاً وفي صوته نبرة رهيبة اشد «لن اقف عند هذا الحد اني اسأل هل يحق لماركسي ان يحلم بوجه عام اذا كان لم ينس ان البشرية في رأي ماركس تضع نصب عينها على الدوام اهدافاً قابلة للتحقيق وان التكتيك هو سير نمو المهام التي تنمو مع نمو الحزب؟»

سرت القشعريرة في بدني لمجرد التفكير بهذه الاسئلة الرهيبه واخذت ابحت عن ملجأ اختبيء فيه اذن فلنلجأ الى بيساريف ونحاول الاحتماء به .

فقد كتب بيساريف بصدد مسألة الخلاف بين الحلم والحقيقة «ليست جميع الخلافات واحدة اذ يمكن ان يسبق حلمي مجرى الاحداث الطبيعي او يمكن ان يسير في اتجاه لا يمكن ان يفضي اليه سير الاحداث الطبيعي بحال من الاحوال في الحالة الاولى لا يسبب الحلم اي ضرر بل قد يشجع ويشدد عزيمة الانسان الكادح ليس في مثل هذه الاحلام ما يمكن ان يفسد او ان يشل القوة العاملة بل بالعكس تماماً فلئن كان الانسان محروماً تماماً من ملكة الحلم على هذا الشكل ، ولا يستطيع ان يستبق مجرى الاحداث احياناً وان يتصور العمل الذي بدأ به لتوه جاهزاً في صورته الكاملة النهائية عندئذ لا استطيع ان اتصور بوجه من الوجوه الدافع الذي يدفع الانسان الى الشروع بعمل جسيم متعب في ميادين الفن والعلم والحياة العملية والى الدأب حتى انجازه . . . ان الخلاف بين الحلم والحقيقة لا يسبب

اي ضرر على ان يكون الشخص العالم صادق الايمان بحلمه وعلى أن يتأمل الحياة بانتباه ويقارن بين ملاحظاته والقصور التي يبنيها في الهواء وعلى ان يعمل بوجه عام وبصورة وجدانية على تحقيق حلمه فعند وجود تماس بين الحلم والحياة تسير الامور على ما يرام» (١٠١)

هذا النوع بالضبط من الاحلام قليل جداً لسوء الحظ في حركتنا ويقع القسط الاكبر من تبعة ذلك على ممثلي الانتقادية العلنية و«الذيلية» غير العلنية الذين يتبجحون باعتدالهم و«حسبهم لللموس»

ج) ما هو طراز المنظمة التي نحتاجها ؟

يرى القارىء مما تقدم ان «تكتيكننا-المشروع» يتلخص في انكار النداء المباشر الى الهجوم وفي المطالبة بضرب «حصار محكم حول حصن العدو» ، او بعبارة اخرى في المطالبة بتوجيه كل الجهود لحشد جيش دائم ولتنظيم هذا الجيش وتعبئته وعندما سخرنا من «رابوتشييه ديلا» لقفزها من «الاقتصادية» الى الصراخ بالهجوم (وقد ارتفع هذا الصراخ في نيسان - ابريل - سنة ١٩٠١ في العدد ٦ من «ليستوك» «رابوتشييه ديلا» (١٠٢)) انهالت على رأسنا طبعاً متهمه ايانا ب«الجمود العقائدي» ، وعدم فهم الواجب الثوري وبالذعوة الى الاحتراس ، الخ ومن الواضح ان هذه الاتهامات لم تدهشنا بتاتا على السنة اناس لا مبادئ لهم يتحصنون ب«التكتيك-الحركة» العميقة الغور كما انه لم يدهشنا ان يكرر ناديجدين هذه الاتهامات اذ انه يكن بوجه عام اروع الاحتقار للمبادئ البرنامجية والتكتيكية الثابتة .

يقال ان التاريخ لا يعيد نفسه ولكن ناديجدين يسعى بكل قواه الى تكراره ويدأب على نسخ ما قاله تكتاشيف شاجباً «التثقيف الثوري» وصارخاً بـ«دق ناقوس الدعوة» وبـ«وجهة النظر» الخاصة «بعشية الثورة» ، الخ . وهو ينسى على ما يبدو العبارة الشائعة والقائلة ان الحادث التاريخي اذا كان في الاصل مأساة فان نسخه تكون مجرد مسخرة (١٠٣) ان محاولة الاستيلاء على السلطة ، التي حضرت لها دعاية تكتاشيف والتي تحققت عن طريق الارهاب «المخيف» والذي كان يخيف فعلاً قد كانت محاولة جلييلة في حين ان الارهاب «التهيجي» الذي يدعو اليه تكتاشيف الصغير هو مضحك لا اكثر ولا اقل وهو مضحك بوجه خاص عندما يتمه بفكرة تنظيم المتوسطين

لقد كتب ناديجدين يقول «لو خرجت «الايسكر» من محيطها الاديبي لرات انها امام اعراض (منها مثلاً رسالة العامل في «الايسكر» ، العدد ٧ ، الخ .) تدل على ان ساعة «الهجوم» قريبة ، قريبة جداً ؛ وان الحديث الآن (كذا) عن منظمة متصلة الاسباب بجريدة لعامة روسيا هو توليد الافكار المكتبية والعمل المكتبي» انظروا الى هذا التشويش الذي فاق حد التصور فمن جهة ، ارهاب تهيجي و«منظمة متوسطين» الى جانب رأي مفاده ان «من الايسكر بكثير» التجمع حول عمل «لموس اكثر» كالجرائد المحلية ، مثلاً ، ومن جهة اخرى ، الحديث «الآن» عن منظمة لعامة روسيا هو توليد الافكار المكتبية اي ان الاوان «الآن» اذا توخينا الوضوح والبساطة في التعبير قد فات ! اولم يفت اوان «تنظيم الجرائد المحلية على نطاق واسع» ايها المحترم ل ناديجدين ؟ قارنوا بذلك وجهة نظر «الايسكر» وتكتيكها الارهاب التهيجي صبيانيات والحديث عن منظمة للمتوسطين بالذات وعن تنظيم الجرائد المحلية على نطاق واسع يعني فتح الابواب على مصاريعها امام «الاقتصادية» . ينبغي ان نتكلم عن

منظمة موحدة للثوريين في عامة روسيا ولن يفوت اوان الكلام عنها حتى اليوم الذي يبدأ فيه «الهجوم» لا على الورق ، بل في الحياة

يستطرد ناديجدين «اجل ، ان امورنا على اردا حال فيما يخص المنظمة ؛ اجل ان «الايسكرا» على كامل الحق اذ تقول ان القسم الاكبر من قوانا الحربية يتألف من المتطوعين والثائرين وكونكم تتصورون تصوراً سليماً حالة قوانا هو امر تحمدون عليه ولكن لماذا تنسون مع ذلك ان **الجموع ليست الى جانبنا بتاتا** وانها لذلك **لن تسألنا** عن الوقت الذي ينبغي لها فيه ان تشرع بالعمليات الحربية وتقذف بنفسها الى معمان «الشغب» وعندما تنطلق الجموع نفسها بقواها التدميرية العفوية ، **تستطيع** ان تسحق وتدحر «الجيش النظامي» الذي تمهون بان تدخلوا عليه تنظيماً دقيقاً غاية الدقة ، ولكن لم يكن لكم متسع من الوقت لذلك (حرف التأكيد لنا)

منطق عجيب ! فالصراخ بـ«الهجوم» على الفور هو امر غير معقول وغير لائق **والسبب هو بالضبط** ان «الجموع ليست الى جانبنا» ، اذ ان الهجوم هو حملة يشنها جيش نظامي لا فورة عفوية من جموع ولما كانت الجموع **تستطيع** ان تسحق وتدحر الجيش النظامي لذلك بالضبط يتحتم علينا ان «لا نتأخر» عن النهوض العفوي بعملنا على «ادخال التنظيم الدقيق غاية الدقة» في الجيش النظامي لأنه بمقدار ما «يتسنى» لنا ان «لا نتأخر» في ادخال هذا التنظيم يصبح من المحتمل ان الجيش النظامي لن يسحق من قبل الجموع بل سيسير في مقدمتها وفي رأسها ان ناديجدين يخطئ لأنه يظن ان هذا الجيش الذي يجري تنظيمه بصورة دائمة مشغول بأمور تفصله عن الجموع في حين ان شغله الشاغل هو في الواقع التحريض السياسي الشامل والمتعدد الوجوه اي انه مشغول بالضبط بعمل يقرب قوة الجموع التدميرية العفوية ويوحدها في كل واحد مع قوة منظمة الثوريين التدميرية الواعية انكم ايها السادة ، تأخذون البريء بجريرة المذنب ، لأن جماعة «سفوبودا»

بالذات بادخالها الارهاب في البرنامج تدعو بذلك الى منظمة اربابيين ومن شأن مثل هذه المنظمة ان تحول انظار جيشنا حقاً عن الاقتراب من الجموع التي ليست بعد لسوء الحظ الى جانبنا من الجموع التي لا تسألنا لسوء الحظ او لا تسألنا الا فيما ندر عن موعد وكيفية البدء بالعمليات الحربية .

يستطرد ناديجين في تخويف «الايسكرا» قائلاً «ستباغتنا الثورة نفسها كما باغتتنا الاحداث الراهنة التي انقضت على رؤوسنا كالسيف» ان هذه الجملة ، بالاضافة الى العبارات التي اثبتناها اعلاه تظهر لنا بكل جلاء سخف «وجهة النظر» الخاصة بـ«عشية الثورة» * ، التي اتحفتنا بها «سفوبودا» و«وجهة النظر» الخاصة هذه تتلخص، اذا عمدنا الى الوضوح في القول ، في انه قد فات «الآن» اوان البحث والاستعداد واذا كان الامر كذلك فلماذا دبجتم يا عدو «الادب» الفائق الاحترام ١٣٢ صفحة مطبوعة «عن مسائل النظرية» * والتكتيك» ؟ الا ترون انه انسب «لوجهة نظر عشية

* ص ٦٢ «عشية الثورة»

* * ومع ذلك فان بحث ل ناديجين «عرض المسائل النظرية» خال تقريباً من كل شيء فيما يخص المسائل النظرية باستثناء الفقرة التالية الطريفة منتهي الطرفة من «وجهة نظر عشية الثورة» : «البرنشيتينية بمجموعها تفقد في طرفنا حدتها؛ وسواء ان يبرهن السيد اداموفيتش ان السيد ستروفه قد استحق المكافاة ، ام ان يحدث العكس ويدحض السيد ستروفه ما يقوله السيد اداموفيتش رافضاً الاستقالة ، لأن الساعة الحاسمة ، ساعة الثورة تقترب» (ص ١١٠) من العسير ان تصور ب بروز اوضح استهتار ل ناديجين بالنظرية ، هذا الاستهتار الذي تجاوز كل حد . فقد اعلنا اننا «في عشية الثورة» ولذلك فوسواء لدينا ان يفلح الارموزكس او لا يفلحون في ازاحة النقاد نهائياً عن موقفهم ! ولا يلاحظ حكيمنا اننا نحتاج الى نتائج النضال النظري ضد النقاد في زمن الثورة بالضبط بغية النضال الحازم ضد مواقعهم العلمية !

الثورة» اصدار ١٣٢ الف منشور تحمل النداء المقتضب «عليهم ، يا رجال !» ؟

قلما تباغت الثورة اناساً يجعلون من التحريض السياسي بين الشعب كله حجر الزاوية في كامل برنامجهم وتكتيكهم وعملهم التنظيمي كما تفعل «الايسكرا» فالناس المنصرفون في جميع انحاء روسيا الى قتل خيوط منظمة متصلة الاسباب بجريدة لعامة روسيا عدا انهم لم يتركوا حوادث الربيع تباغتهم قد اعطونا بالعكس امكانية التنبؤ بها ولم تباغتهم ايضاً المظاهرات التي وصفت في العديدين ١٣ و١٤ من «الايسكرا» (١٠٤) ، بل ، بالعكس، اشتركوا فيها مدركين كل الادراك ان الواجب يتطلب منهم ان يخفوا الى مساعدة نهوض الجموع العفوي مساعدين في الوقت نفسه جميع الرفاق الروس عن طريق الجريدة على معرفة هذه المظاهرات والاستفادة من خبرتها واذا بقوا احياء ، فلن تباغتهم كذلك الثورة التي تتطلب منا اول ما تتطلب واكثر ما تتطلب ان نكون خبراء في التحريض وان نحسن مساندة (على الطريقة الاشتراكية-الديموقراطية) كل احتجاج ان نحسن توجيه الحركة العفوية وصيانتها سواء من اخطاء الاصدقاء او من احابل الاعداء !

وهكذا وصلنا الى الاعتبار الاخير الذي يجعلنا نلح بقوة على مشروع التنظيم حول جريدة لعامة روسيا عن طريق تعاون الجميع على اصدار هذه الجريدة العامة فمثل هذا التنظيم هو وحده الذي يضمن للمنظمة الكفاحية الاشتراكية-الديموقراطية الهرونة الضرورية ، اي قدرة التكيف على الفور تبعاً لمختلف ظروف النضال المتغيرة بسرعة ، قدرة تجعلها تستطيع «من جهة ، تجنب المعركة في ميدان مكشوف مع خصم متفوق العدد جمع في نقطة واحدة جميع قواه ، وتستطيع معها ، من الجهة الاخرى ، الاستفادة من عدم

مرونة هذا الخصم لمهاجمته حيث وحين قلما ينتظر الهجوم» * من الخطأ الفاحش ان نبني المنظمة الحزبية دون ان نحسب الحساب لغير الانفجارات ونضال الشوارع او لغير «سير النضال الجاري المعتاد» ينبغي لنا ان نقوم على الدوام بعملنا الاعتيادي وان نكون مستعدين لكل شيء على الدوام لأن التنبؤ مسبقاً بحلول مراحل الهدوء محل مراحل الانفجارات كثيراً ما يكون من المستحيلات تقريباً وعندما يكون التنبؤ ممكناً لا تمكن الاستفادة منه لاعادة تنظيم المنظمة ، لأن تبدل الاوضاع هذا في بلاد يسودها الاستبداد يجري بسرعة خارقة وقد تكفي لذلك احياناً حملة في ليل يشنها انكشارية القيصر (١٠٥) والثورة نفسها لا ينبغي لنا ان نتصورها بشكل عمل واحد (كما يتصور ناديجدين وامثاله على ما يظهر) بل بشكل بضعة تبدلات سريعة من انفجارات شديدة لحد ما الى سكون عميق لحد ما ولذلك فان المضمون الاساسي لنشاط منظمنا الحزبية ومحور نشاطها ينبغي ان يكون ذلك العمل

* «الايسكرا» ، العدد ٤ «بم نبدأ؟» لقد كتب ناديجدين (ص ٦٢) وان طول العمل لا يقلق مطلقاً المرين الثوريين الذين لم يتبنوا وجهة نظر عشية الثورة . ونحن نجيب على ذلك بالملاحظة التالية : اذا كنا لا نحسن وضع تكتيك سياسي ومشروع تنظيمي يعدان على التأكيد لفترة عمل طويل جداً ويضمنان في الوقت نفسه لحزبنا ، يمجري هذا العمل نفسه ، ان يكون على اسم الابهة لشغل منصبه وللقيام بواجبه في جميع الاحوال المفاجئة ومهما بلغت سرعة سير الاحداث ،- تكون عبارة عن مغامرين سياسيين يرئى لهم . وما من احد غير ناديجدين الذي اتحل اسم الاشتراكي-الديموقراطي من عصر الامس يستطيع ان ينسى ان هدف الاشتراكية-الديموقراطية هو تفسير ظروف حياة البشرية كلها من الاساس وانه لذلك لا يجوز للاشتراكي-الديموقراطي ان يترك «القلق» يستحوذ عليه من جراء طول العمل .

الممكن والضروري سواء في مراحل اقوى الانفجارات او في مراحل السكون التام ونعني التحريض السياسي الموحد في جميع انحاء روسيا والذي يلقي النور على جميع نواحي الحياة ويتوجه الى اوسع الجماهير ، وهذا العمل لا يمكن تصوره في روسيا الراهنة بدون جريدة لعامة روسيا تصدر في فترات متقاربة جداً والمنظمة التي تتألف من تلقاء نفسها حول هذه الجريدة منظمة المتعاونين على اصدارها (بمعنى الكلمة الواسع اي كل من يعمل من اجلها) ستكون بالضبط على استعداد لكل شيء ابتداء من انقاذ شرف الحزب وسمعته واستمرارية عمله في فترات اشد «الضغوط» على الثوريين وانتهاء باعداد الانتفاض الشعبي المسلح وتحديد زمنه وتحقيقه .

وبالفعل تصوروا حالة من الحالات المعتادة جداً عندنا اعتقال الجميع في منطقة او عدد من المناطق لقد جرت العادة على ان يرافق هذه الاعتقالات انقطاع في النشاط يستمر اشهرأ عديدة من جراء عدم وجود عمل واحد دائم مشترك بين جميع المنظمات المحلية ولكن في حالة وجود عمل مشترك بين الجميع يكفي حتى في حالة افطع الاعتقالات ان يعمل اثنان او ثلاثة من الرفاق البعيدي الهمة بضعة اسابيع ليربطوا بالمركز العام حلقات الشباب الجديدة التي تنشأ كما يعلم الجميع بسرعة حتى في الطرف الحاضر والتي يمكن ان تنشأ وترتبط بالمركز العام بسرعة اكبر اذا كان هذا العمل المشترك الذي تضرر من الاعتقالات معروفاً من الجميع وتصوروا من ناحية اخرى الانتفاض الشعبي يتراءى لنا

ان الجميع يوافقون اليوم على ضرورة التفكير به والاستعداد له ولكن كيف نستعد ؟ اترى يجب ان تعين اللجنة المركزية عملاء في جميع النواحي لتحضير الانتفاض ؟ ولكن اللجنة المركزية وان كانت موجودة عندنا ، لا تستطيع ان تبلغ شيئاً في الظروف

الروسية الراهنة عن طريق مثل هذا التعيين وعلى عكس ذلك شبكة العملاء * التي تتألف من تلقاء نفسها في العمل على تنظيم وتوزيع الجريدة العامة ، فهي لن «تنتظر مكتوفة الايدي» شعار الانتفاض بل ستقوم على وجه التحقيق بعمل منتظم يضمن لها اكبر امكانيات النجاح في حالة الانتفاض وهذا العمل بالذات يوثق الصلات باوسع جماهير العمال وبجميع الفئات الساخطة على الاستبداد ، وهو امر كبير الاهمية بالنسبة للانتفاض وعلى اساس هذا العمل بالذات تنمو ملكة التقدير الصحيح للوضع السياسي العام ، وبالتالي ، ملكة اختيار الساعة المناسبة للانتفاض وهذا العمل بالذات يعلم جميع المنظمات المحلية على النهوض في وقت واحد للجواب على المسائل والطوارئ والاحداث السياسية الواحدة التي تثير روسيا من اقصاها الى اقصاها والجواب على هذه «الاحداث» باكثر ما يمكن من النشاط والتجانس والعقلانية ، وما الانتفاض في الجوهر غير «جواب» الشعب كله على الحكومة باكثر ما يكون من النشاط والتجانس والعقلانية وهذا العمل بالذات

* اواه ، اواه ! لقد زل لساني مرة اخرى وانطلقت هذه الكلمة الفظيعة «عميل» التي تجرح بشدة الاذان المارتينوفية الديموقراطية ! لا افهم لماذا تجرح هذه الكلمة حرفيي سنوات العقد العاشر في حين انها لم تجرح اقطاب سنوات العقد الثامن ؟ ان هذه الكلمة تعجبنى ، لأنها تثير بوضوح ودقة الى القضية العامة التي يقصر عليها جميع العملاء تكبيرهم ونشاطهم . واذا كانت هناك حاجة الى الاستعاضة عن هذه الكلمة باخرى لوقع اختياري على كلمة «معاون» لولا ما ينز منها من رائحة التنميق الادبي والميوعة . فنحن بحاجة الى منظمة عملاء عسكرية . وعلى كل حال يستطيع اضراب مارتينوف الكثيرون (في الخارج بوجه خاص) والمضرمون بان «يمنح بعضهم بعضاً القاب الجنرالات» ان يقولوا بدل «عميل في قسم الجوازات» ، والقائد الاعلى للشعبة الخاصة بتجهيز لثوريين بالجوازات» ، الخ ..

يعلّم أخيراً جميع المنظمات الثورية في جميع أنحاء روسيا ان تقييم بينها الروابط المنتظمة جداً والسرية جداً في آن واحد هذه الروابط التي تنشئ وحدة الحزب الفعلية والحال لا يمكن بدون هذه الروابط ان يبحث بصورة مشتركة مشروع الانتفاض وان تتخذ في عشيته التدابير التحضيرية الضرورية التي ينبغي ان تبقى في طي الكتمان التام

وبكلمة ، ان «مشروع الجريدة السياسية لعامة روسيا» ليس ثمرة تفكير اناس قابعين في مكتب ومصابين بالجمود العقائدي والتنميق الادبي (كما خيل لانس لم يفكروا في الامر ملياً) ، وليس هذا وحسب ، بل انه ، بالعكس ، مشروع عملي جداً يعطينا امكانية الشروع من جميع الجهات وعلى الفور بالاستعداد للانتفاض دون ان ننسى في الوقت نفسه ولو للحظة عملنا اليومي المعتاد .

خاتمة

ينقسم تاريخ الاشتراكية-الديموقراطية الروسية بوضوح الى ثلاث مراحل .

تمتد المرحلة الاولى نحو عشر سنوات اي تقريباً من سنة ١٨٨٤ حتى سنة ١٨٩٤ وكانت مرحلة نشوء وتوطد نظرية الاشتراكية-الديموقراطية وبرنامجها وكان انصار الاتجاه الجديد في روسيا يعدون بالأحاد وكانت الاشتراكية-الديموقراطية موجودة بدون حركة عمال وكانت بوصفها حزباً سياسياً تجتاز مرحلة التطور الجنيني

وتشمل المرحلة الثانية ثلاث او اربع سنوات ١٨٩٤-١٨٩٨ وفيها خرجت الاشتراكية-الديموقراطية الى دنيانا بوصفها حركة اجتماعية ، بوصفها نهضة للجماهير الشعبية ، بوصفها حزباً سياسياً انها مرحلة الطفولة واليفاع وقد انتشر بين المثقفين ، بسرعة الوباء الشغف العام بالنضال ضد الشعبين وبالتوجه الى العمال كما انتشر بين العمال الشغف العام بالاضرابات واحرزت الحركة نجاحات كبيرة وكان معظم القادة شباباً احداثاً عيدين جداً عن «سن الخامسة والثلاثين» التي بدت للسيّد ن. ميخايلوفسكي بمثابة حد طبيعي وقد ظهر هؤلاء بسبب حداثة سنهم ، غير مستعدين للنشاط العملي وتخلوا عن المسرح

بسرعة مذهشة ولكن نطاق عملهم كان في اغلب الحالات واسعاً جداً واخذ كثيرون منهم يفكرون تفكيراً ثورياً بوصفهم من جماعة «نارودنايا فوليا» وكان الجميع تقريباً في عهد الشباب الاول ينحنون باكبار امام ابطال الارهاب وللخلاص من اغراء هذا التقليد البطولي تطلب الامر نضالاً رافقه قطع الصلة باناس ارادوا ان يظلوا مهما كلف الامر امناء لجماعة «نارودنايا فوليا» وكان الاشتراكيون-الديموقراطيون الشباب يكون لهم اسمى الاحترام وقد فرض النضال ضرورة التعلم وقراءة المطبوعات السرية على اختلاف اتجاهاتها والدأب على دراسة مسائل الشعبية العلنية وكان الاشتراكيون-الديموقراطيون الذين تربوا في غمرة هذا النضال يتوجهون الى حركة العمال دون ان ينسوا «لحظة» لا النظرية الماركسية التي انارتهم بنورها الساطع ولا مهمة اسقاط الحكم المطلق وقد كان تشكيل الحزب في ربيع سنة ١٨٩٨ (١٠٦) ابرز عمل للاشتراكيين-الديموقراطيين في هذه المرحلة وكان في الوقت نفسه آخر عمل لهم

وقد ظهرت بوادر المرحلة الثالثة كما رأينا في سنة ١٨٩٧ وحلت نهائياً محل المرحلة الثانية سنة ١٨٩٨ (من ١٨٩٨ الى ؟ .) وهي مرحلة تبعثر وتفسخ وتراجع وبما انه يحدث للمرء في عهد اليفاع ان يتغير صوته فقد اخذ صوت الاشتراكية-الديموقراطية الروسية في هذا العهد يتغير ويصبح نشازاً من جهة في مؤلفات السادة ستروفه وبروكوبوفيتش وبولغاكوف وبرديايف ومن جهة اخرى عند ف. ا. و. م. وب. كريتشيفسكي ومارتينوف ولكن القادة هم وحدهم الذين كانوا يتيهون متفرقين ويتقهقرون على غير هدى اما الحركة نفسها فكانت لا تفتأ تتسع وتخطو خطوات كبرى الى الامام وكان النضال البروليتاري يشمل فئات جديدة من العمال ويمتد الى جميع

انحاء روسيا ، عاملاً في الوقت نفسه بصورة غير مباشرة على انعاش الروح الديمقراطية بين الطلاب وفئات السكان الاخرى اما وعي القادة فقد خار حيا ل سعة النهوض العفوي وقوته لقد سادت بين الاشتراكيين-الديموقراطيين مرحلة اخرى ، - مرحلة مناظرين تربوا على الادب الماركسي «العلمي» وحده تقريباً وكان هذا الادب غير كاف خصوصاً وان عفوية الجماهير كانت تتطلب منهم المزيد من الوعي ولم يقتصر القادة على التخلف من الناحية النظرية («حرية النقد») ومن الناحية العملية («العمل الحرفي») على حد سواء بل حاولوا تبرير تخلفهم بمختلف الحجج المتفاضحة لقد انحطت الاشتراكية-الديموقراطية الى مستوى التريديونيونية سواء من قبل برينتايني المطبوعات العلمانية او من قبل دعاة الذيلية في المطبوعات السرية وبدأ برنامج "Credo" يتحقق بوجه خاص عندما افضت «حرفية» الاشتراكيين-الديموقراطيين الى انتعاش الاتجاهات الثورية غير الاشتراكية-الديموقراطية

وإذا ما لامني القارى لاهتمامي هذا الاهتمام البالغ بجريدة ك«رابوتشييه ديلو» فاني اجيبه لقد اكتسبت «رابوتشييه ديلو» اهمية «تاريخية» لأنها افصحت بمنتهى الجلاء عن «روح» هذه المرحلة الثالثة * فالذي يستطيع ان يعرب على احسن وجه عن التبعض والتأرجع ، عن الاستعداد للتنازل حيا ل «النقد» وحيا ل «الاقتصادية» وحيا ل الارهابية ، ليس ر . م . ذو العقلية المستقيمة ، بل المتلونون

* وبوسعي ان اجيب كذلك بالمثل الالمانى : Den Sack schlägt man , den Esel meint man او ما معناه بالروسية اضرب القطة تعط كُنْتُكَ العر فالجمهور الواسع من المشتغلين في الحقل العملي ، والنظرين ، لا «رابوتشييه ديلو» وحدها ، قد هام بموضة «النقد» واختلط عليه الامر في مسألة العفوية وانزلق في فهم مهامنا السياسية والتنظيمية من المفهوم الاشتراكي-الديموقراطي الى المفهوم التريديونيوني .

الكريتشيفسكيون والمارتينوفيون وما يميز هذه المرحلة ليس الاستخفاف المتعالي بالنشاط العملي من قبل هائم بـ «المطلق» بل على وجه الدقة المزج بين النشاط العملي التافه والاستهتار التام بالنظرية ، وابطال هذه المرحلة لم ينصرفوا الى انكار «الكلمات العظمى» انكاراً مباشراً بمقدار ما انصرفوا الى ابتذالها فلم تبق الاشتراكية العلمية نظرية ثورية متماسكة ، بل اصبحت تحوّل الى خليط يضيفون اليه ، «بحرية» ، سوائل من اي كتاب مدرسي الماني حديث ولم يعد شعار «النضال الطبقي» يدفع الى الامام الى عمل يتسع نطاقه باستمرار ويزداد نشاطه باستمرار بل غدا وسيلة تسكين ما دام «النضال الاقتصادي وثيق الصلة بالنضال السياسي» ولم تكن فكرة الحزب نداء الى انشاء منظمة ثورين كفاحية ، بل كانت مبرراً لنوع من «الدواينية الثورية» واللعب الصياني بالاشكال «الديموقراطية»

لا ندرى متى تنتهي المرحلة الثالثة وتبدأ المرحلة الرابعة (التي نرى ، على كل حال الكثير من تباشيرها) . اننا ، هنا ، ننتقل من صعيد التاريخ الى صعيد الحاضر والمستقبل جزئياً ولكننا على يقين تام من ان المرحلة الرابعة ستفضي الى توطيد الماركسية الكفاحية وان الاشتراكية-الديموقراطية الروسية ستخرج من الازمة زاخرة بالصحة والرجولة ، وان مؤخرة الانتهازين «سيستعاض عنها» بالطليعة الحقيقية من الطبقة التي لا تضارعها في ثورتها طبقة اخرى

وفي وسعنا ، بصفة نداء الى هذه «الاستعاضة» وبصفة تلخيص لكل ما قلناه فيما تقدم ان نجيب على سؤال «ما العمل ؟» جواباً مقتضباً وهو

فلننه المرحلة الثالثة

معاولة توحيد «اليسكرا» و«رابوتشييه ديلو»

بقي علينا ان نصف التكتيك الذي اتخذته «اليسكرا» وطبقته باستقامة في علاقاتها مع «رابوتشييه ديلو» لقد عرضت «اليسكرا» هذا التكتيك بصورة تامة في عددها الاول في مقال عن «انقسام اتحاد الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس في الخارج» لقد اتخذنا للحال وجهة نظر مفادها ان «اتحاد الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس في الخارج» ذلك الاتحاد الحقيقي الذي اعترف به المؤتمر الاول لحزبنا ممثلاً له في الخارج قد انقسم الى منطمتين وان مسالة تمثيل الحزب ما تزال معلقة ما دامت لم تحل غير حل موقت مشروط بكون مؤتمر باريس العالمي قد انتخب عن روسيا في المكتب الاشتراكي العالمي (١٠٧) الدائم عضوين ، على اساس عضو عن كل شطر من شطري «الاتحاد» المنقسم وقد صرحنا بان «رابوتشييه ديلو» على غير حق من حيث الجوهر ووقفنا بحزم من الناحية المبدئية الى جانب فرقة «تحرير العمل» رافضين في الوقت نفسه الدخول في تفاصيل الانقسام ونوهنا بخدمات «الاتحاد» في ميدان النشاط العملي الصرف *

* هذا الرأي عن الانقسام مبني لا على الاطلاع على المطبوعات وحسب ، بل ايضاً على معلومات جمعها عدد من اعضاء منطمتنا اثناء وجودهم في الخارج .

وعلى ذلك كان موقفنا الى حد معين موقف انتظار
تنازلنا حيال الرأي السائد بين اكثرية الاشتراكيين-الديموقراطيين
الروس ، والقائل بأنه يمكن حتى لالد اعداء «الاقتصادية» ان يعملوا
يداً بيد مع «الاتحاد» لأن «الاتحاد» قد اعلن غير مرة انه على
اتفاق مبدئي مع فرقة «تحرير العمل» ، دون ان يدعي على ما يبدو
بالاستقلال في المسائل النظرية والتكتيكية الاساسية والواقع
التالي يبرهن بصورة غير مباشرة صحة الموقف الذي وقفناه
في وقت واحد تقريباً مع صدور العدد الاول من «الايسكرا»
(كانون الاول - ديسمبر - سنة ١٩٠٠) انفصل عن «الاتحاد»
ثلاثة من اعضائه وشكلوا ما سمي بـ«فريق المبادرين» وتوجهوا
١ - الى فرع منظمة «الايسكرا» في الخارج ٢ - الى منظمة
«الاشتراكي-الديموقراطي» الثورية (١٠٨) ٣ - الى «الاتحاد»
مقترحين الوساطة في اجراء مفاوضات للتصالح وقد اعلنت
المنظمتان الاولى والثانية على الفور موافقتهما ورفضت الثالثة
والحقيقة انه عندما عرض احد الخطباء هذه الوقائع في المؤتمر
«التوحيدي» في السنة الماضية (١٠٩) صرح عضو من اعضاء ادارة
«الاتحاد» بان السبب الوحيد للرفض هو عدم رضى «الاتحاد» عن
تركيب فريق المبادرين واني اذ اعتقد ان الواجب يفرض علي
ذكر هذا الشرح لا يسعني في الوقت نفسه الا الاصح اني
اعتبره من جهتي غير مرض فعندما بلغ «الاتحاد» قبول المنظمتين
الاخريين للمفاوضات كان بوسعه ان يتوجه اليهما عن طريق وسيط
آخر او بصورة مباشرة

وفي ربيع سنة ١٩٠١ انبرت «زاريا» (العدد ١ نيسان
- ابريل) و«الايسكرا» (العدد ٤ ايار - مايو) واشتبكتا في
جدال مباشر مع «رابوتشييه ديبلو» * وقد هاجمت «الايسكرا»

بوجه خاص «الانعطاف التاريخي» لـ «رابوتشييه ديلا» التي اظهرت في عدد نيسان (ابريل) اي بعد حوادث الربيع التردد حيال الميل الى الارهاب والنداءات «الدامية» وبالرغم من هذا الجدل قبل «الاتحاد» استئناف مفاوضات التفاهم بوساطة فريق آخر من «المصلحين» (١١٠) وقد عقدت بين مندوبي المنظمات الثلاث المذكورة مداولة تمهيدية في شهر حزيران (يونيو) ووضع مشروع معاهدة على اساس «اتفاق مبدئي» مفصل جداً طبعه «الاتحاد» في كراس «مؤتمران» وطبعته «العصبة» في كراس «وثائق المؤتمر «التوحيدي»» .

ان محتوى هذا الاتفاق المبدئي (او قرارات مداولة-كونفرانس حزيران كما يسمونها في اكثر الاحيان) يظهر بمنتهى الوضوح اننا وضعنا كشرط لا بد منه للتوحيد الرفض الاحزم لجميع مظاهر الانتهازية بوجه عام والانتهازية الروسية بوجه خاص فقد جاء في النقطة الاولى «نحن نرفض جميع المحاولات لادخال الانتهازية في نضال البروليتاريا الطبقي المحاولات التي تجلت فيما يدعى بـ«الاقتصادية» والبرنشتينية والميليرانية الخ.» «تشمل دائرة نشاط الاشتراكية-الديموقراطية النضال الفكري ضد جميع خصوم الماركسية الثورية» (٤ ج) «في جميع ميادين النشاط التنظيمي والتحريضي ينبغي ان لا يغيب عن بال الاشتراكية-الديموقراطية ولو للحظة واجب البروليتاريا الروسية المباشر- اسقاط الحكم المطلق» (٥ ا) ؛ «التحريض ليس فقط على صعيد النضال اليومي بين العمل المجاور ورأس المال» (٥ ب) ؛ «مع عدم الاعتراف بمرحلة النضال الاقتصادي الصرف والنضال من اجل المطالب السياسية الخاصة» (٥ ج) «نعتبر من المهم للحركة نقد التيارات التي ترفع البدائية وضيق الاشكال السفلى للحركة الى درجة المبدأ» (٥ د) ان كل من يقرأ هذه القرارات بشيء من الانتباه يرى بكل وضوح ، من مجرد صيغها ، حتى وان لم تكن

له اية علاقة بالأمر انها موجهة ضد الناس الذين كانوا انتهازيين و«اقتصاديين» والذين غاب عن بالهم ولو للحظة واجب اسقاط الحكم المطلق والذين اعترفوا بنظرية المراحل وجعلوا من الضيق مبدأ الخ . وكل من الم ولو اقل المام بجدال فرقة «تحرير العمل» و«زاريا» و«اليسكرا» ضد «رابوتشييه ديلو» لا يشك لحظة في ان هذه القرارات ترفض نقطة نقطة تلك الاخطاء بعينها التي وقعت فيها «رابوتشييه ديلو» ولهذا ، عندما اعلن احد اعضاء «الاتحاد» في المؤتمر «التوحيدي» ان المقالات المنشورة في العدد ١٠ من «رابوتشييه ديلو» لا تعود الى «الانعطاف التاريخي» الجديد من قبل «الاتحاد» ، بل الى طابع القرارات «المجرد» جداً * .

كان احد الخطباء على كامل الحق اذ ضحك من ذلك . وقد اجاب قائلاً ان القرارات ليست غير مجردة وحسب بل هي ملموسة جداً بحيث يكفي المرء ان يلقي عليها نظرة ليدرك انه قد «اصطيد احد ما»

وهذا التعبير الاخير كان مناسبة لوقوع حادث في المؤتمر له مغزاه فمن جهة تشبث ب كريتشييفسكي بكلمة «اصطيد» ظناً منه انها زلة لسان تنم عن سوء قصد من جهتنا («نصب شرك») وصرخ بصوت مؤثر «من ؟ من بالذات الذي اصطيد هنا» ؟ فسأل بليخانوف متهمكاً «حقاً من هذا الذي اصطيد ؟» فاجاب ب . كريتشييفسكي «سأساعد الرفيق بليخانوف على ما يظهر من قلة ذكاء سأوضح له انه اصطيد هنا قلم تحرير «رابوتشييه ديلو» (ضحك عام) ولكننا لم نقع في الفخ !» (صوت من اليسار وهذا لسوء طالعكم !) ومن جهة اخرى ، عندما تكلم عضو جماعة «النضال» (فريق المصلحين) ضد تعديلات «الاتحاد»

* تكرر هذا التاكيد في «مؤتمران» ، ص ٢٥ .

للقرارات قال ، رغبة منه في الدفاع عن خطبنا ان كلمة «اصطيد» قد انطلقت على التأكيد عن غير عمد في حماسة الجدل اما انا فاعتقد ان مثل هذا «الدفاع» ليس في مصلحة الخطيب الذي استعمل التعبير المذكور فانا اعتقد ان كلمات «اصطيد احد ما» «تقدم الجدل في ثوب المزاح» فقد كنا نتهم «رابوتشييه ديلو» على الدوام بالتردد والتأرجح فطبيعي انه كان علينا ان نسعى الى اصطيادها لكيما نجعل ترددها في المستقبل مستحيلاً . ولا مجال هنا للحديث عن سوء القصد لأن القضية قضية تردد مبدئي وقد تمكنا من «اصطياد» «الاتحاد» بصورة رفاقية * جداً جعلت ب . كريتشفيسكي نفسه يوقع قرارات حزيران (يونيو) مع عضو آخر من اعضاء ادارة «الاتحاد» .

ان مقالات العدد ١٠ من «رابوتشييه ديلو» (ولم ير رفاقنا هذا العدد الا عندما وصلوا لحضور المؤتمر وقبل افتتاح الجلسات ببضعة ايام) بينت بوضوح ان انعطافاً جديداً قد حدث في «الاتحاد» من الصيف الى الخريف فقد انتصر «الاقتصاديون» مرة

* وبالضبط قلنا في التمهيد لقرارات حزيران (يونيو) ان الاشتراكية-الديموقراطية الروسية بمجموعها قد وقفت على الدوام على صعيد مبادئ فرقة «تحرير العمل» وان ماثرة «الاتحاد» هي بوجه خاص نشاطه في ميدان المطبوعات والتنظيم وبعبارة اخرى ، اعربنا عن استعدادنا التام لتناسي الماضي كله وللاعتراف بما لعمل رفاقنا في «الاتحاد» من فائدة (للقضية) بشرط ان يوقف بصورة تامة التردد الذي قصدناه «بالاصطياد» وكل منصف يقرأ قرارات حزيران (يونيو) لا يفهمها الا على هذا الوجه . واذا كان «الاتحاد» ، بعد ان سبب الانفصال بانعطافه الجديد نحو «الاقتصادية» (في مقالات العدد ١٠ وفي التعديلات) ، يتهمننا الآن على مسمح من الملاءم بالافتئات على الحقيقة (مؤتمران) ، ص ٣٠) بسبب هذه الكلمات عن ماثره ، فان هذه التهم لا يمكن طبعاً ان تستدعي غير الابتسام .

اخرى واخذت هيئة التحرير التي تساير كل «ريح» تدافع عن «البرنشتينيين المنفلتين من عقالهم» وعن «حرية النقد» واخذت تدافع عن «العفوية» وتبشر على لسان مارتينوف بـ«نظرية تضيق» ميدان تأثيرنا السياسي (بقصد تشديد التأثير نفسه على ما يقال) وقد ثبتت مرة اخرى صحة ملاحظة بارفوس الصائبة اذ قال انه ليصعب اصطياد الانتهازي بأية صيغة فهو يوقع كل صيغة بسهولة ويرتد عنها بسهولة ايضاً ، لأن الانتهازية تتلخص بالضبط في انعدام المبادئ المحددة والثابتة ولو لحد ما ان الانتهازيين يرفضون اليوم كل محاولة لادخال الانتهازية ، يرفضون كل ضيق ، ويعدون على مسمع من الملا بان «لا يغيب عن بالهم ولو للحظة واجب اسقاط الحكم المطلق» وبان يقوموا «بالتحريض ليس فقط على صعيد النضال اليومي بين العمال المهاجر ورأس المال» الخ . الخ . وفي الغد يغيرون اسلوب التعبير ويعودون الى القديم بحجة الدفاع عن العفوية ، وتقدم النضال الجاري المعتاد ، وامتداد المطالب التي تبعث الامل بنتائج حسية الخ . واذ يستمر «الاتحاد» على التأكيد بانه «لم ير ولا يرى» في مقالات العدد ١٠ «اي هرطقة وارتداد عن المبادئ العامة التي يقوم عليها مشروع المداولة» («مؤتمران» ص ٢٦) يكشف بذلك عن عجزه التام عن فهم فحوى الخلافات او عن عدم رغبته في فهمها لم يبق امامنا بعد العدد ١٠ من «رابوتشييه ديلو» غير القيام بمحاولة واحدة البدء بمناقشة عامة لكيما نتبين ما اذا كان «الاتحاد» كله يؤيد هذه المقالات ويؤيد هيئة تحريره وهذا ما يجعل «الاتحاد» مستاء جداً منا متهماً ايانا بمحاولة بذر بذور الانقسام في «الاتحاد» وفي التدخل فيما لا يعنينا الخ . ومن الواضح ان هذه التهم باطلة ، لانه في حالة وجود هيئة تحرير منتخبة «تميل» مع النسيم كيفما هب ، يتوقف كل شيء على اتجاه

الريح بالذات وقد حددنا هذا الاتجاه في جلسات مغلقة لم يحضرها احد غير اعضاء المنظمات التي تعتزم الاتحاد والتعديلات التي اقترح «الاتحاد» ادخالها على قرارات حزيران (يونيو) قد افقدتنا آخر امل بامكانية الاتفاق فقد اثبتت التعديلات بالوثائق الانعاطف الجديد نحو «الاقتصادية» وتأييد اكثرية «الاتحاد» للعدد ١٠ من «رابوتشييه ديلو» وقد حذف من مجمل مظاهر الانتهازية «ما يدعى «الاقتصادية»» (نظراً لما يزعم من «عدم وضوح معنى» هذه الكلمات الثلاث مع انه لا يمكن ان ينبثق من هذه الحجة غير ضرورة اعطاء تحديد اكثر دقة لجوهر هذا الخطأ المنتشر جداً) وحذفت «الميليرانية» (مع ان ب كريتشفيسكي قد دافع عنها في «رابوتشييه ديلو» ، العدد ٢-٣ ، صص ٨٣-٨٤ وبصورة اوضح في «Vorwärts» ، وبالرغم من ان قرارات حزيران (يونيو) قد اشارت بوضوح الى مهمة الاشتراكية-الديموقراطية وهي «قيادة جميع مظاهر نضال البروليتاريا ضد جميع اشكال الظلم السياسي والاقتصادي والاجتماعي» - مطالبة بذلك بادخال روح المنهجية والوحدة في جميع مظاهر النضال هذه - اضاف «الاتحاد» كلمات لا لزوم لها قط وهي ان «النضال الاقتصادي حافز قوى للحركة الجماهيرية» (وهي كلمات لا جدال فيها بحد ذاتها ولكنها في حالة وجود «الاقتصادية» الضيقة ، تفسح المجال دونما شك للتأويلات المغلوطة) وفوق ذلك ادخل على قرارات حزيران (يونيو) تضييق مباشر «للسياسة» سواء عن طريق شطب كلمات «ولو للحظة» (في عبارة - لا ينبغي ان يغيب عن البال

* بدأ في «Vorwärts» (فورفارتس) جدال بهذا الصدد بين هيئة تحريرها الحالية وكاوتسكي ووزاريا . وسنطلع القراء الروس حتماً على هذا الجدل (١١١) .

ولو للحظة هدف اسقاط الحكم المطلق) او عن طريق اضافة ان «النضال الاقتصادي هو الوسيلة التي يمكن استعمالها باوسع شكل لجذب الجماهير الى النضال السياسي النشيط» وغنى عن القول ان جميع خطباء طرفنا قد اخذوا بعد اقتراح هذه التعديلات يرفضون الواحد بعد الآخر الكلام ، معتبرين ان متابعة المفاوضات مع اناس ينعطفون مرة اخرى نحو «الاقتصادية» ويضمنون لانفسهم حرية التراجع امر لا طائل منه

«ان ما اعتبره «الاتحاد» شرطاً sine qua non * لضمان متانة الاتفاق المقبل ، اي الاحتفاظ ل«رابوتشييه ديلا» بسيماها الخاصة واستقلالها هو بالذات ما اعتبرته «الايسكرا» حجر عثرة لتحقيق هذا الاتفاق» («مؤتمران» ، ص ٢٥) ان هذا بعيد جداً عن الدقة نحن لم نتناول قط على استقلال «رابوتشييه ديلا» * * وقد رفضنا في الحقيقة رفضاً قاطعاً سيماها الخاصة اذا فهمت من ذلك «السيما الخاصة» في المسائل المبدئية النظرية والتكتيكية وقرارات حزيران (يونيو) تتضمن على وجه التحقيق الرفض القاطع لمثل هذه السيما الخاصة ، لان هذه «السيما الخاصة» كانت تعني على الدوام في الواقع ونكرر ذلك التردد بمختلف مظاهره ودعم هذا التردد للتبعثر الذي يسود عندنا والذي لا يطاق من وجهة نظر الحزب ان «رابوتشييه ديلا» بمقالاتها في العدد ١٠ وب«التعديلات» قد اظهرت بصورة واضحة رغبتها في ان تحتفظ لنفسها بهذه السيما الخاصة بالذات وهذه الرغبة قد افضت

* - لا بد منه . - باللاتينية في النص الاصلي الفاضل .

* * هذا اذا لم تعتبر تضييقاً للاستقلال تلك المداولات التي اجرتها هيئات التحرير لمناسبة تاسيس مجلس اعلى عام للمنظمات المتحدة والتي قبلتها «رابوتشييه ديلا» ايضا في حزيران (يونيو) .

صورة طبيعية محتومة الى الانفصال وعلان الحرب ولكننا كنا جميعاً مستعدين للاعتراف لـ«رابوتشييه ديـلو» «بسيما خاصة» بمعنى تركيز انتباهها على نواح معينة من نواحي النشاط الادبي والتقسيم الصحيح لهذا النشاط يفرض نفسه بنفسه ١ - المجلة العلمية ٢ - الجريدة السياسية ٣ - المنتخبات المبسطة والكراريس المبسطة وبغير الموافقة على هذا التقسيم لا تبرهن «رابوتشييه ديـلو» على صدق رغبتها في تصفية تلك الاخطاء التي تتجه ضدها قرارات حزيران (يونيو) وليس من تقسيم غير هذا التقسيم من شأنه ان يزيل كل امكانية للاحتكاكات ويضمن في الواقع متانة الاتفاق ويضع في الوقت نفسه الاساس لنهوض حركتنا نهوضاً جديداً ولاحرازها نجاحات جديدة

ليس ثمة الآن اشتراكي-ديموقراطي روسي يستطيع ان يشك في ان انفصال الاتجاه الثوري انفصلاً نهائياً عن الاتجاه الانتهازي لم ينشأ عن اية اعتبارات «تنظيمية»، بل انما نشأ عن رغبة الانتهازيين في توطيد سيماء الانتهازية الخاصة وفي الاستمرار في تشويش الاذهان بمحاكمات كريتشيفسكي ومارتينوف واضرابهما

المجلد ٦ ،
ص ٣ - ١٩٠

كتب في خريف ١٩٠١ - شباط

(فبراير) ١٩٠٢

طبع بشكل كتاب في شتوتغارت

في آذار (مارس) ١٩٠٢

تعديل على «ما العمل؟»

طلب مني «فريق المبادرين» الذي تحدثت عنه في كتاب «ما العمل؟»، ص ١٤١ * ان ادخل التعديل التالي على عرض اشتراكه في محاولة احلال التفاهم بين المنظمات الاشتراكية-الديموقراطية في الخارج «ان عضواً واحداً فقط من اعضاء هذا الفريق الثلاثة قد انسحب من «الاتحاد» في اواخر سنة ١٩٠٠ ، اما العضوان الآخران فقد انسحبا سنة ١٩٠١ بعد ان تبينت لهما استحالة التوصل الى موافقة «الاتحاد» على الاشتراك في مداولة مع منظمة «اليسكرا» في الخارج و«منظمة الاشتراكي-الديموقراطي الثورية» وهي المداولة التي اقترحها «فريق المبادرين» وقد رفضت ادارة «الاتحاد» هذا الاقتراح في بادىء الامر قائلة ان رفضها الاشتراك في المداولة ناشىء عن «عدم اهلية» الاشخاص الذين يؤلفون «فريق المبادرين» للوساطة ، ومعربة عن رغبتها في الاتصال المباشر بمنظمة «اليسكرا» في الخارج غير ان ادارة «الاتحاد» قد ابلغت «فريق المبادرين» بعد مدة قصيرة انها بعد صدور العدد الاول من «اليسكرا» الذي تضمن مقالاً عن الانشقاق في «الاتحاد» قد غيرت رأيا وانها لا ترغب في الاتصال مع «اليسكرا» فكيف نفسر بعد ذلك تصريح

* راجع هذا الكتاب ، ص ٢٣١ . الناشر .

احد اعضاء ادارة «الاتحاد» بان السبب الوحيد لرفض «الاتحاد» الاشتراك في المداولة هو عدم رضاه عن قوام «فريق المبادرين» ؟ ونحن في الحقيقة لا نفهم كذلك موافقة ادارة «الاتحاد» على الاشتراك في مداولة حزيران (يونيو) السنة الماضية ما دام مقال العدد الاول من «الايסקرا» ظل محتفظاً بمفعوله وما دام الموقف «السلبى» الذي تقفه «الايסקرا» من «الاتحاد» قد ظهر بصورة اوضح في الكتيب الاول من «زاريا» وفي العدد ٤ من «الايסקرا» اللذين صدرا قبل مداولة حزيران»

ن . لينين

المجلد ٦

ص ص ١٩١-١٩٢

«الايסקرا» ، العدد ١٩ ،

١ نيسان (ابريل) ١٩٠٢

روح المغامرة الثورية

١

اننا نعيش ازماناً عاصفة يخطو فيها تاريخ روسيا بخطوات العمالقة وتعني فيها كل سنة احياناً اكثر مما تعنيه عشرات السنين في المراحل السلمية وتستخلص نتائج خمسين سنة من عهد الاصلاح (١١٢) وتوضع الحجارة لاجل البنيانات الاجتماعية والسياسية التي ستقرر لزمان طويل طويل مصير البلد كله ولا تزال الحركة الثورية تنمو بسرعة مذهلة ، - و«اتجاهاتنا» تنضج اكثر فاكثر (وتذبل) بسرعة خارقة والاتجاهات التي لها اسس متينة في البنيان الطبقي لبلد رأسمالي متطور بسرعة مثل روسيا تجد على الفور تقريباً «طابورها» وتتحنس الطبقات القريبة منها مثلاً تطور السيد ستروفه الذي اقترح العمال الثوريون منذ سنة ونصف السنة فقط «نزع قناع» الماركسي عنه والذي برز الآن هو نفسه بلا قناع كزعيم (او كخادم ؟) للملاكين العقارين الليبيراليين الفخورين بثبات علاقتهم مع الشعب وثاقب بصيرتهم اما الاتجاهات التي لا تعبر الا عن التقلل التقليدي لآراء فئات المثقفين الوسطية وغير المحددة فانها ، على العكس تحاول ان تستعيض عن التقارب مع طبقات معينة باقوال تزداد ضجة بقدر ما يشتد دوي الاحداث «لنضج يا اخوان لنضج» هذا هو شعار عدد كبير من الافراد ذوي المزاج الثوري الذين اجتذبتهم دوامة الاحداث والذين لا دعائم لهم لا نظرية ولا اجتماعية .

والى هذه الاتجاهات «الضاجحة» ينتسب «الاشتراكيون-الثوريون» (١١٣) الذين ترسم ملامحهم بوضوح متعاطف ابدأ ولقد آن الاوان للبروليتاريا ان تمعن النظر في هذه الملامح وان تدرك بدقة ما يمثله بالفعل هؤلاء القوم الذين يسعون وراء صداقتها بالحاح يتزايد بقدر ما يزدادون ادراكاً لاستحالة وجودهم كتيار خاص دون التقارب الوثيق مع الطبقة الاجتماعية الثورية فعلاً

هناك عوامل ثلاثة أسهمت اكثر من غيرها في توضيح ملامح الاشتراكيين-الثوريين الحقيقية العامل الاول هو الانشقاق بين الاشتراكية-الديموقراطية الثورية وبين الانتهازية التي ترفع رأسها تحت راية «انتقاد الماركسية» والعامل الثاني هو اغتيال سيبياغين على يد بالماشيف والانعطاف الجديد نحو الارهاب في اذهان بعض الثوريين والعامل الثالث والرئيسي هو الحركة الحديثة في صفوف الفلاحين هذه الحركة التي اجبرت اولئك الذين اعتادوا الجلوس بين كرسيين والذين ليس عندهم اي برنامج على التقدم *post factum* وان بشيء ما شبيهه ببرنامج لننظر الى هذه العوامل الثلاثة مع التنبيه الى انه لا يمكن في مقالة بجريدة غير الاشارة بايجاز الى النقاط الاساسية من التعليل والى انه سيتعين علينا العودة ، اغلب الظن الى عرض هذا التعليل بمزيد من التفصيل في مقالة بمجلة او في كراس

لم يعتزم الاشتراكيون-الثوريون نشر بيان نظري مبدئياً الا في العدد الثاني من «فستنيك روسكوي ريفولوتسيي» («بشير الثورة الروسية») (١١٤) وذلك في مقال لهيئة التحرير خال من التوقيع عنوانه «نمو وازمة الاشتراكية على النطاق العالمي» ونحن نوصي قطعاً بهذا المقال جميع من يريدون ان يكونوا فكرة واضحة عن اللامبدئية النظرية الكلية والتذبذب (وكذلك عن فن ستر

هذا بسيول الكلام) ومن الممكن تبين كل مضمون هذا المقال الفائق الروعة في كلمتين الاشتراكية نمت وصارت قوة عالمية الاشتراكية (=الماركسية) تنقسم الآن من جراء الحرب بين الثوريين («الارثوذكس») والانتهازيين («النقاد») نحن الاشتراكيين-الثوريين لم نتعاطف يوماً «بالطبع» مع الانتهازية ولكننا نقفز فرحاً لمناسبة «النقد» الذي حررنا من العقيدة ونحن كذلك نناضل من اجل احادة النظر في هذه العقيدة ، - ورغم اننا لم نعرض بعد اي نقد (عدا النقد البرجوازي الانتهازي) ورغم اننا لم نعد بعد النظر في اي شيء ، الا ان حريتنا هذه من النظرية هي التي يجب اعتبارها ماثرة قمنا بها يجب اعتبارها ماثرة خصوصاً واننا بوصفنا اناساً احراراً من النظرية نؤيد بكل ضراوة الاتحاد العام ونحن نشجب بحرارة جميع المناقشات النظرية المبدئية ايا كانت «ان المنظمة الثورية الجدية ، - كما تؤكد لنا مجلة «بشير الثورة الروسية» (العدد ٢ ص ١٢٧) بفائق الجدية ، - تمتنع عن حل القضايا المختلف عليها والمفرقة دائماً في النظرية الاجتماعية الامر الذي ينبغي له بالطبع ألا يحول دون النظرين والبحث عن حل لها» ، - او بشكل اصرح ليكتب الكاتب ، وليقرأ القارى* اما نحن فاننا ما دامت الامور تسير على هذا المنوال ، سنفرح فيما اذا فرغ وتحرر مكان ما وبديهي انه لا حاجة الى تحليل جدي لهذه النظرية نظرية الانحراف (بسبب المناقشات الصرف) عن الاشتراكية نحن نرى ان ازمة الاشتراكية تلزم الاشتراكيين الجديين نوعاً بالامر التالي على وجه الدقة وهو الاهتمام الشديد بالنظرية ، - المزيد من الحزم في اتخاذ موقف محدد بصرامة ، - والتنصل بمزيد من الحزم من العناصر المتذبذبة وغير المسؤولة اما الاشتراكيون-الثوريون فانهم يرون انه ما دام الانشقاق بله التفارق قائماً «حتى عند

الالمان» فاننا نحن الروس انما الرب نفسه امرنا بان نفتخر لكوننا لا نعرف الى اين نسير نحن نرى ان عدم وجود النظرية ينتزع من الاتجاه الثوري الحق في الوجود ، ويحكم عليه ، عاجلاً ام آجلاً بالافلاس السياسي اما الاشتراكيون-الثوريون فانهم يرون ان عدم وجود النظرية هو امر حسن جداً ومناسب بخاصة «من اجل الاتحاد» وهكذا ترون اننا لن نتفاهم لاننا نتكلم نحن واياهم لغتين مختلفتين يبقى امل واحد ألن يعيدهم السيد ستروفه الى الصواب وهو الذي يتحدث ايضاً (ولكن بمزيد من الجد) عن الغاء العقيدة وعن ان قضيتنا «نحن» (مثل قضية كل برجوازية تخاطب البروليتاريا) ليست التفرقة بل التوحيد ألن يرى الاشتراكيون-الثوريون ذات يوم بمساعدة السيد ستروفه اي اهمية عملية يتسم بها موقفهم ، موقف التحرر من الاشتراكية من اجل التوحيد والتوحيد بمناسبة التحرر من الاشتراكية ؟

لنتقل الى النقطة الثانية ، الى مسألة الارهاب

ان الاشتراكيين-الثوريين يبذلون قصارى جهدهم في الدفاع عن الارهاب الذي قدمت تجربة الحركة الثورية البرهان الواضح على بطلانه ، ويعلنون انهم لا يعترفون الا بالارهاب المقترن بالعمل بين الجماهير وانها لا تمت بالتالي بصلة اليهم تلك الحجج التي دحض بها الاشتراكيون-الديمقراطيون الروس (ودحضوا بها لزمنا طويل) عقلانية هذا الاسلوب النضالي وهنا يتكرر حادث يشبه كثيراً موقفهم من «النقد» نحن لسنا انتهازيين - هكذا يصيغ الاشتراكيون-الثوريون ويحيلون في الوقت نفسه الى الارشيف عقيدة الاشتراكية البروليتارية وذلك على اساس انتقاد انتهازي صرف لا غير نحن لا نكرر اخطاء الارهابيين ، نحن لا نصرف احداً عن العمل بين الجماهير ، - هكذا يؤكد الاشتراكيون-الثوريون ويوصون الحزب بالحاح في الوقت نفسه باعمال كاغتيال سيبياغين

على يد بالماشيف ، مع ان كل امرئ يعرف ويرى جيداً جداً ان هذا العمل لم يمت وانه لم يكن بوسعه ان يمت ، من حيث اسلوب تنفيذه . باي صلة الى الجماهير ، - وان اولئك الذين اقترفوا هذا العمل لم يعولوا ولم يأملوا باي عمل او مساندة من قبل الجماهير وبكل سذاجة لا يلحظ الاشتراكيون-الثوريون ان ميلهم الى الارهاب متصل اوثق صلة سببية بواقع انهم وقفوا منذ البدء ولا يزالون يقفون في معزل عن الحركة العمالية ، دون ان يسعوا الى ان يصبحوا حزبا للطبقة الثورية التي تخوض نضالها الطبقي وغالباً جداً ما تدفع الايمان المغلظة الى الاحتراس والارتياب في صحة ما يحتاج الى توابل قوية واحياناً كثيرة ا تذكر القول المأثور كيف لا تكلم من حلف اليمين بالله ؟ - عندما اقرأ تأكيدات الاشتراكيين-الثوريين نحن لا ننحى العمل بين الجماهير بالارهاب والحال يؤكد هذا اولئك الذين تنحوا عن الحركة العمالية الاشتراكية-الديموقراطية والذين لا يزالون يتنحون عنها متمسكين بنبذات من النظريات اياً كانت

ان منشور الثالث من نيسان (ابريل) ١٩٠٢ الذي اصدره «حزب الاشتراكيين-الثوريين» (١١٥) يمكن ان يكون برهاناً رائعاً على ما قيل اعلاه فهو المصدر الاوفر حيوية وصحة والاقرب الى العاملين المباشرين وان «طرح مسألة النضال الارهابي» في هذا المنشور «يتفق كلياً» ، حسب شهادة «ريفولوسيونايا روسيا» «(روسيا الثورية)» (العدد ٧ ص ٢٤) القيمة «مع مفهوم الحزب» *

* صحيح ان «ريفولوسيونايا روسيا» («روسيا الثورية») تقوم في هذه النقطة ايضاً بلعبة بهلوانية ما فمن جهة «يتفق كلياً» ، ومن جهة اخرى ، تلميح الى «المبالغة» . من جهة ، تعلن «ريفولوسيونايا روسيا»

ان منشور الثالث من نيسان (ابريل) يستنسخ بدقة رائعة «أحدث» حجج الارهابيين فقبل كل شيء تستلفت نظركم كلمات «نحن ندعو الى الارهاب لا عوضاً عن العمل بين الجماهير بل بالضبط من اجل هذا العمل ومعه في الوقت نفسه» وهي تستلفت النظر لانها مصفوفة باحرف اضخم الى ثلاث مرات من احرف النص الباقي (وهو اسلوب تكرره بالطبع «ريفولوسيونايا روسيا» ايضاً) ذلك ان هذا بسيط للغاية في الواقع ! طبع «لا عوضاً عن بل مع» باحرف ضخمة فتسقط على الفور جميع حجج الاشتراكيين-الديموقراطيين وكل دروس التاريخ ولكن جربوا ان تقرأوا المنشور كله ، تروا ان حلف اليمين باحرف ضخمة يستخدم عبثاً اسم الجماهير . - ان ذلك الوقت «الذي سيخرج فيه الشعب العامل من الظلمات» و«يحطم فيه البوابات الحديدية اربا اربا بموجة شعبية جبارة» «لن يحل عما قريب مع الأسف» (حرفياً هكذا مع الأسف !) «ومن الرهيب التفكير بما سيكون عليه عدد الضحايا !» ترى ألا تفصح هذه الكلمات «مع الأسف ، لن يحل عما قريب» بحد نفسها عن انعدام الفهم كلياً للحركة الجماهيرية وعن عدم الثقة فيها ؟ ترى ألم تختلق هذه

ان هذا المنشور هو من صنع «فريق واحد» فقط من الاشتراكيين-الثوريين ومن جهة اخرى لدينا الواقع التالي وهو ان المنشور يحمل توقيعاً «منشورات حزب الاشتراكيين-الثوريين» ، فضلا عن تكريره لشعار «ريفولوسيونايا روسيا» ذاتها («في النضال تكسب حقا») نحن نفهم انه ليس من المستطاب «لريفولوسيونايا روسيا» ان تلمس هذه النقطة الحساسة ، ولكننا نعتقد انه من غير اللائق حقاً وفعلاً اللعب بالغميضة في مثل هذه الاحوال كذلك كان من غير المستطاب للاشتراكية-الديموقراطية الثورية وجود «الاقتصادية» ، ولكنها فضحتها على المكشوف دون ان تحاول خداع احد في يوم من الايام .

الحجة قصداً وعمداً ازدراء بواقع ان الشعب العامل ينهض منذ حين ؟ واخيراً حتى وان كانت هذه الحجة المطروقة مدعّمة مثلما هي في الواقع سخيفة ، فانه ينجم منها بشكل بارز جداً عدم جدوى الارهاب لان القنابل ايا كانت عاجزة بصورة بيّنة بدون الشعب العامل

واسمعوا ايضاً «ان كل ضربة ارهابية كأنما تنتزع من الحكم المطلق بعضاً من القوة وتنقل (!) كل هذه القوة (!) الى صف المناضلين من اجل الحرية» «وما دام الارهاب سيتحقق بداب وانتظام (!) فمن الواضح ان كفتنا هي التي سترجح في الميزان» اجل ، اجل ، من الواضح لكل امرئ اننا نواجه اعظم وهم من اوهام الارهابية مجلبياً باكثر الاشكال فظاظة الاغتيال السياسي «ينقل القوة» بحد ذاته ! اليكم اذن ، من جهة ، نظرية نقل القوة ومن جهة اخرى ، -«لا عوضاً عن بل مع فكيف لا تكلم من حلف اليمين بالله ؟

ولكن هذا لا يزال بعد الزهور فالثمار ستكون الى قدام «الى من يجب توجيه الضربات ؟» - يتساءل حزب الاشتراكيين- الثوريين ويوجب الى الوزراء لا الى القيصر لان «القيصر لن يدفع الامور الى حد التطرف» (!! من اين عرفوا هذا ؟؟) ناهيك عن ان «هذا اسهل» (حرفياً هكذا !) «ان اي وزير لا يستطيع ان يتحصن في القصر كما في قلعة» وهذا التعليل ينتهي بالمحاكمة التالية التي تستحق تخليدها كنموذج «لنظرية» الاشتراكيين- الثوريين «ضد الجمهور يوجد لدى الحكم المطلق جنود وضد المنظمات الثورية ، البوليس السري والعلني ولكن ما ينقذه (من ذا الذي ينقذ الآخر ؟ الحكم المطلق ؟ ان المؤلف قد خلط دون ان يلحظ ذلك بين الحكم المطلق وبين الوزير الذي من الاسهل توجيه الضربات اليه !) «... من مختلف الافراد او الحلقات

الصغيرة التي تستعد للهجوم وتهاجم بلا انقطاع حتى خفية بعضها عن بعض (!!) ؟ وما من قوة بقادرة على قهر ما يستحيل اعتقاله وهذا يعني ان مهمتنا واضحة تكنيس كل عساف مستبد من الحكم المطلق بالموت» ومهما دبح الاشتراكيون-الثوريون من جبال الورق للتأكيد بانهم لا ينحون ولا يشوشون العمل بين الجماهير بوعظهم بالارهاب ، فلن يدحضوا بسيول الكلام الواقع التالي وهو ان نفسية الارهابي المعاصر الفعلية انما يعكسها على وجه الضبط بكل امانة المنشور المذكور آنفاً ان نظرية نقل القوة تكتمل بصورة طبيعية بنظرية استحالة الاعتقال هذه النظرية التي تقلب نهائياً رأساً على عقب لا كل تجربة الماضي وحسب ، بل كل فكر سليم ايضاً اما ان «أمل» الثورة الوحيد هو «الجمهور» وان النضال ضد البوليس لا يستطيعه غير منظمة ثورية صرف تقود (بالفعل لا بالقول) هذا الجمهور ، فان هذا هو الالفباء ومن المخجل تقديم البرهان عليه ان اولئك الذين نسوا كل شيء ولم يتعلموا شيئاً هم وحدهم الذين يمكنهم ان يقرروا «على العكس» متمادين في الكلام الى حد اطلاق خراقة فاحشة وفظيعة تزعم ان «انقاذ» الحكم المطلق من الجمهور في مستطاع الجنود ، ومن المنظمات الثورية في مستطاع البوليس بينما لا شيء ينقلد من بعض الافراد الذين يتصيدون الوزراء !!

ان هذه المحاكمة الخرافية المكتوب لها حسب اعتقادنا ان تحظى بالشهرة ليست ابدأ مجرد شيء مضحك كلا فهي واسعة الدلالة لانها تكشف القناع بسيرها الجريء الى حد الخراقة عن خطأ الارهابيين الاساسي الذي يشاركون فيه «الاقتصاديون» (لربما ينبغي القول الآن : الذي يشاركون فيه

ممثلو «الاقتصاديّة» الراحلة السابقون ؟ ان هذا الخطأ يقوم كما اشرنا مراراً عديدة في عدم فهم النقص الاساسي في حركتنا فبفضل نمو الحركة بسرعة خارقة تأخر القادة عن الجماهير وتبين ان المنظمات الثورية لم ترتفع الى مستوى نشاط البروليتاريا الثوري ، وانها عجزت عن السير في الطليعة وعن قيادة الجماهير اما ان هذا الضرب من عدم التطابق موجود فهذا ما لا يرتاب به اي انسان حسن النية ومطلع نوعاً على حركتنا وما دام الحال هكذا فمن الواضح ان الارهابيين الحاليين هم «اقتصاديون» حقيقيون بالمقلوب اذ يبلغون حد التطرف السخيف نفسه ، ولكن من الجهة المقابلة وان الدعوة في مثل هذا الوقت الذي تنقص فيه الثوريين القوى والوسائل لاجل قيادة الجماهير بسبيل النهوض منذ حين ، - ان الدعوة الى هذا الارهاب كما هو عليه اغتيال الوزراء بيد افراد وحلقات لا تعرف بعضها بعضاً - انما تعني بالتالي لا القضاء على العمل بين الجماهير وحسب بل ايضاً تشويشه مباشرة - نحن الثوريين «اعتدنا الالتفاف بوجل في كومة ، - وهذا ما نقرأه في اعلان الثالث من نيسان ، - وحتى (NB) ذلك النسيم الجديد الجريء الذي هبّ في السنتين او السنوات الثلاث الاخيرة قد رفع حتى الآن مزاج الجمهور اكثر مما رفع مزاج الافراد» هذه الكلمات تنطوي على قدر من الحقيقة المقولة عن غير قصد وهذه الحقيقة بالذات هي التي تحطم كلياً وعاظ الارهاب ومن هذه الحقيقة يستخلص كل اشتراكي مفكر الاستنتاج التالي وهو انه يجب العمل اكواماً اكواماً بمزيد من العزم والجرأة والانسجام اما الاشتراكيون-الثوريون فانهم يستنتجون قائلين «اطلق النار ايها الفرد الذي يستحيل اعتقاله لان الكومة مع الأسف لن تتشكل عما قريب ناهيك عن انه يوجد جنود ضد الكومة» . ان هذا غير معقول ابداً ، ايها السادة !

كذلك لا يستغني المنشور عن نظرية الارهاب التهييجي يقولون لنا «ان كل مبارزة يقوم بها البطل توقظ فينا جميعاً روح الكفاح والبسالة» ولكننا نعرف من الماضي ونرى في الحاضر ان الاشكال الجديدة للحركة الجماهيرية او ايقاظ فئات جديدة من الجماهير على النضال المستقل هي وحدها التي توقظ في الجميع روح النضال والبسالة اما المبارزات فانها ما دامت مبارزات اضراب بالماشيف لن تستتبع مباشرة غير تأثير عابر سريع الزوال وتؤدي بصورة غير مباشرة حتى الى الخمول ، الى الانتظار السلبي للمبارزة اللاحقة ثم يؤكدون لنا ان «كل برق ارهاب ينير العقل» ، ولكن هذا لم نلاحظ تأثيره ، مع الأسف ، على حزب الاشتراكيين-الثوريين الذي يعظ بالارهاب ويتحفوننا بنظرية العمل الكبير والصغير «الا لا يكتفين بالعمل الصغير (!) ذاك الذي يملك قدراً اكبر من القوى قدراً اكبر من الامكانيات والعزم فليفتش عن العمل الكبير ويكرس نفسه له ، - للدعاية للارهاب بين الجماهير (!) لاعداد مؤسسات ارهابية معقدة (ان نظرية استحالة الاعتقال قد لفها النسيان الآن) فما اذكر وادهش هذا اليس كذلك ان التضحية بحياة الثوري لاجل الانتقام من النذل سيبياغين والاستعاضة عنه بالنذل بليفه انما هو عمل كبير اما اعداد الجمهور ، مثلاً للتظاهر المسلح ، فهو عمل صغير وها هي ذي «ريفولوسيونايا روسيا» توضح هذا في العدد ٨ ، قائلة انه «من السهل الكتابة والتحدث» عن المظاهرات المسلحة «كما عن قضية من قضايا المستقبل البعيد غير المحدد» «ولكن جميع هذه الاقاويل لم تتسم حتى الآن الا بطابع نظري» (١١٦)

ما احسن ما نعرف هذه اللغة لغة اناس متحررين من ضيق المذاهب والآراء الاشتراكية الثابتة الصحيحة من عبء تجربة جميع الحركات الشعبية على اختلافها ! وفيما يخص النتائج ، يخلطون

بين محسوسيتها وتأثيريتها المباشرة وبين عمليتها والمطالبة بتبني وجهة النظر الطبقيّة ابدأً ودائماً وبالسهر على طابع الحركة الجماهيري هي بالنسبة لهم «قولة نظريّة» «غير محددة» والتتبع الدليل لكل انعطاف في المزاج و والعجز المحتم من جراء ذلك لدن كل انعطاف هما الوضوح في نظرهم تبدأ المظاهرات - فاذا الجمل الدموية والثرثرات حول بداية النهاية تتدفق من افواه هؤلاء الناس تتوقف المظاهرات فاذا الهمة تتلاشى وقبل ان تهترى جزماتنا نصيح «ان الشعب مع الأسف ليس عما قريب يقترف العسافون القيصريون قبيحة جديدة ، - فاذا بنا نطالب بان يدلونا على وسيلة «محددة» من شأنها ان تكون جواباً شافياً عن هذا العسف بالذات وسيلة من شأنها ان تؤدي فوراً الى «نقل القوة» واذا بنا نعد باعتزاز بهذا النقل ان هؤلاء الناس لا يفهمون ان هذا الوعد «بنقل» القوة هو بحد نفسه مغامرة سياسية وان مغامرتهم رهن بلامبدئيتهم ان الاشتراكية-الديموقراطية ستحذر دائماً من المغامرة وستفضح بلا رحمة الاوهام التي تنتهي حتماً بالخيبة التامة ينبغي لنا ان نتذكر ان الحزب الثوري لن يستحق اسمه الا حين يقود بالفعل حركة الطبقة الثورية ينبغي لنا ان نتذكر ان كل حركة شعبية تتخذ اشكالا متنوعة الى ما لا حد له صناعة على الدوام اشكالاً جديدة نابذة الاشكال القديمة محدثة تعديلات او تركيبات جديدة من الاشكال القديمة والجديدة وواجبنا ان نشترك بنشاط في هذه الصياغة لاساليب النضال ووسائله فعندما تأزمت الحركة الطلابية أخذنا نسعو العامل الى مساعدة الطالب («الايسكرا» العدد ٢) * دون ان نأخذ على عاتقنا امر التنبؤ

* راجع مقال لينين : «تجنيد ١٨٢ طالباً» . الناشر .

باشكال المظاهرات ، دون ان نعد بانها ستؤدي الى نقل القوة فوراً والى تنوير العقل والى استحالة الاعتقال بخاصة وعندما توطدت المظاهرات أخذنا ندعو الى تنظيمها الى تسليح الجماهير و طرحنا مهمة تحضير الانتفاضة الشعبية ودون ان ننكر اطلاقاً ، من حيث المبدأ ، العنف والارهاب ، طالبنا بالعمل على تحضير اشكال للعنف ترمي الى اشتراك الجماهير مباشرة وتؤمن هذا الاشتراك ونحن لا نغض عيوننا على صعوبة هذه المهمة ولكننا سنعمل بثبات وعناد على تنفيذها دون ان تتركنا الاعتراضات بان هذا من «المستقبل البعيد غير المحدد» اجل ايها السادة اننا ندود ايضاً عن الاشكال المقبلة للحركة ولا نكتفي بالذود عن اشكالها الماضية ونحن نفضل العمل الطويل والصعب لتحقيق ما ينتظره المستقبل على التكرار «السهل» لما شجبه الماضي ونحن سنكشف القناع على الدوام عن وجوه اولئك الذين يحاربون بالسنتهم فقط العقائد الجامدة وكليشياتها بينا ليس لديهم بالفعل غير كليشيات اشد النظريات تداعياً وضرراً مثل نظرية نقل القوى ونظرية الفرق بين العمل الكبير والصغير وايضاً بالطبع نظرية الصراع والبراز الفردي «وكما كان الزعماء يقررون فيما مضى مصير القتال في معارك الشعوب بالمبارزة فيما بينهم كذلك الارهابيون سيظفرون لروسيا بالحريسة في المبارزة مع الحكم المطلق» ، - هكذا ينتهي منشور الثالث من نيسان (ابريل) حسبنا ان نعيد طبع مثل هذه الجمل لكي ندحضها

ان من يقوم فعلاً بعمله الثوري على صلة بنضال البروليتاريا الطبقي يعرف ويرى ويشعر جيداً جداً اي كثرة من مطالب البروليتاريا (وفئات الشعب القادرة على تأييد البروليتاريا) المباشرة والفورية تبقى بدون تنفيذ ، ويعرف ان الشعب العامل في كثرة من

الاماكن في مناطق شاسعة برمتها يندفع اندفاعاً الى النضال وان انطلاقاته تتبدد هباء بسبب قلة المطبوعات والقادة بسبب انعدام القوى والوسائل عند المنظمات الثورية واذا بنا نجد انفسنا - ونحن نرى هذا نرى اننا نجد انفسنا ، - في نفس الحلقة المفرغة اللعينة التي خيمت زمناً طويلاً جداً فوق الثورة الروسية كقدر مشؤوم من جهة يتبدد هباء الاندفاع الثوري للجمهور غير المنور كفاية وغير المنظم ومن جهة اخرى تتبدد هباء طلقات «الافراد الذين يستحيل اعتقالهم» والذين يفقدون الايمان بامكانية السير في صف واحد مع الجمهور والعمل يداً بيد مع الجمهور

ولكن القضية لا تزال قابلة كلياً للاصلاح ايها الرفاق ! ان فقدان الايمان في القضية الحقيقية ليس اكثر من استثناء نادر والانسياق وراء الازهاق ليس اكثر من مزاج عابر سريع الزوال فلتتراص صفوف الاشتراكيين-الديموقراطيين بمزيد من الوثوق فنجمع في كل واحد بين منظمة الثوريين الكفاحية والبطولة الجماهيرية للبروليتاريا الروسية !

في المقال التالي سندرس برنامج الاشتراكيين-الثوريين الزراعي

٢

ان موقف الاشتراكيين-الثوريين من الحركة الفلاحية يتسم باهمية خاصة ففي المسألة الزراعية على وجه الضبط اعتبر ممثلو الاشتراكية الروسية القديمة وورثتهم الشعبيون-الليبراليون وانصار النقد الانتهازي العديدين في روسيا الذين يؤكدون ، رافعين عقيرتهم بالصياح ، ان «النقد» قد ازاح الماركسية

نهائياً من مواقعها في هذه النقطة - اعتبر هؤلاء جميعهم على الدوام انهم اقوياء بخاصة واصحابنا الاشتراكيون-الثوريون يمزقون الماركسية كما يقال ارباً ارباً «اوهم عقائدية جامدة عقائد شائخة نبذتها الحياة من زمان المثقفون الثوريون اغمضوا عيونهم عن الريف العمل الثوري بين الفلاحين منعتهم الارثوذكسية» وهكذا دواليك وهلمجراً فعلى الموضحة الآن رفس الارثوذكسية ولكن في اي فرع من نوع يجب تصنيف اولئك من الرافسين الذين لم يفلحوا قبل بداية الحركة بين الفلاحين حتى في رسم برنامجهم الزراعي بالذات ؟ وعندما رسمت «اليسكرا» حتى في عددها الثالث * برنامجها الزراعي لم تجد «فستنيك روسكوي ريفولوتسيي» ما تفعله غير الجمجمة «نظراً لطرح المسألة على هذا النحو ينمحي كثيراً خلاف آخر من خلافتنا» علماً بانها وقعت لهيئة تحرير «فستنيك روسكوي ريفولوتسيي» مصيبة صغيرة مفادها انها لم تفهم البتة على وجه الضبط طرح المسألة من قبل «اليسكرا» («حمل النضال الطبقي الى الريف») والآن تستشهد «ريفولوتسيوناييا روسيا» بعد مرور الزمن بكراس «المسألة الدورية» رغم انه لا وجود لاي برنامج فيه ورغم انه لا ينطوي الا على اطراء «مشاهير» الانتهازيين من امثال هرتس

وهؤلاء الناس بالذات الذين كانوا قبل بداية الحركة موافقين مع «اليسكرا» ومع هرتس على السواء نشروا ، في اليوم الثاني من الانتفاضة الفلاحية ، بياناً «من الاتحاد الفلاحي (!) لحزب الاشتراكيين-الثوريين» ، علماً بانكم لن تجدوا في هذا البيان اي كلمة تنطلق فعلاً من الفلاح وبانكم لن تجدوا غير تكرار حرفي لما

* راجع مقال لينين : «حزب العمال ، والفلاحون» . الناشر .

قرأتموه مئات المرات عند الشعبين والليبراليين و«النقاد» (١١٧) يقال ان الجراءة تساعد في احتلال المدن وهذا هو الحال بالفعل ايها السادة الاشتراكيون-الثوريون ولكن الاعلان المرسوم والملون بفظاظة لا يدل على هذه الجراءة

لقد رأينا ان «مزية» الاشتراكيين-الثوريين الرئيسية تقوم في التحرر من النظرية ، وان فهم الرئيسي يقوم في مهارة الكلام لكي لا يقولوا شيئاً ولكن لاجل اعطاء برنامج يجب بنحو او آخر ابداء الرأي يجب ، مثلاً ان تُطرح جانباً «عقيدة الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس من اواخر الثمانينيات واول التسعينيات القائلة انه لا توجد اي قوة ثورية غير بروليتاريا المدن» ما انسب هذه الكلمة «عقيدة» ! يكفي تشويه نظرية الخصم بعض الشيء ، وستر هذا التشويه ببعب «العقيدة» حتى تصبح الامور على خير ما يرام

ان الاشتراكية المعاصرة كلها تركز ابتداء من «البيان الشيوعي» على هذه الحقيقة الثابتة القائلة ان البروليتاريا هي الطبقة الوحيدة الثورية فعلاً في المجتمع الرأسمالي اما الطبقات الاخرى ، فلا يمكن ان تكون ولا تكون ثورية الا جزئياً والا في ظروف معينة وهنا نتساءل ماذا يجب ان نفكر في اناس «حولوا» هذه الحقيقة الى عقيدة للاشتراكيين-الديموقراطيين الروس في مرحلة معينة ويحاولون ايهام القارىء الساذج بان هذه العقيدة كانت «ترتكز كلياً على الايمان في بعد النضال السياسي السافر» ؟

و ضد مذهب ماركس بشأن الطبقة الوحيدة الثورية فعلاً في المجتمع المعاصر ، يتقدم الاشتراكيون-الثوريون بثلاثية «المثقفون والبروليتاريا والفلاحون» كاشفين بذلك تشوشاً في المفاهيم لا رجاء في اصلاحه فاذا عارضتم البروليتاريا والفلاحين بالمشقفين فان هذا يعني انكم تفهمون بالمشقفين فئة اجتماعية معينة ، جماعة

من افراد يشغلون وضعا اجتماعياً معيناً كما هو معين وضح العمال الاجراء والفلاحين الاجتماعى ولكن المثقفين الروس هم على وجه الضبط بوصفهم فئة من هذا النوع مثقفون برجوازيون وبرجوازيون صغار وان السيد ستروفه محق تماماً في موقفه من هذه الفئة بتسميته جريدته بلسان حال المثقفين الروس اما اذا تكلمتم عن اولئك المثقفين الذين لهم يشغلوا اي وضع اجتماعى معين او طردتهم الحياة من وضعهم العادى واخذوا ينتقلون الى جانب البروليتاريا ، - فليس من المحال آنذاك ان تعارضوا البروليتاريا بهؤلاء المثقفين فان البروليتاريا مثلها مثل كل طبقة اخرى في المجتمع المعاصر لا تصنع مثقفين خاصين بها وحسب بل تأخذ لنفسها كذلك انصاراً من عداد جميع الناس المتعلمين على اختلافهم وان زحف الاشتراكيين-الثوريين على «العقيدة» الاساسية في الماركسية لا يبرهن مرة اخرى الا ان كل قوة هذا الحزب تمثلها تلك الحفنة من المثقفين الروس الذين تخلفوا عن القديم ولم يلتحقوا بالجديد

اما فيما يتعلق بالفلاحين فان محاكمات الاشتراكيين-الثوريين بشأنهم اشد تشوشاً فاي قيمة لمجرد طرح السؤال «اي طبقات اجتماعية على العموم (!) تترك دائماً (!) بالنظام القائم (الاولوقراطي فقط ؟ ام البرجوازي على العموم ؟) وتصونه وتستعصي على التاثر بالروح الثورية ؟» حقاً اقول انه لا يمكن الجواب عن هذا السؤال الا بسؤال آخر اي من عناصر المثقفين تترك دائماً وعلى العموم بفضى الافكار القائمة وتصونها وتستعصي على التاثر بنظرة اشتراكية معينة الى العالم ؟ ولكن الاشتراكيين-الثوريين يريدون ان يعطوا جواباً جدياً عن سؤال غير جدي فهم يصنفون في عداد «هذه» الطبقات اولاً البرجوازية ، لان «مصالحها ملبتة» . ان هذا الوهم القديم الزاعم

ان مصالح البرجوازية الروسية ملبّاة الى حد انه لا توجد ولا يمكن ان توجد عندنا ديموقراطية برجوازية (قارنوا «فستنيك روسكوي ريفولوتسيي»، العدد ٢ ، ص ١٣٢-١٣٣) ، هو الآن ملك مشترك «للاقتصاديين» والاشتراكيين-الثوريين ومرة اخرى ألا يعلمهم السيد ستروفه التعقل والحكمة ؟

ثانياً يصنّف الاشتراكيون-الثوريون في عداد «هذه» الطبقات «الفئات البرجوازية الصغيرة» «التي مصالحها فردية غير محددة كمصالح طبقية ولا تصاغ في برنامج اجتماعي سياسي سواء أكان اصلياً ام ثورياً» من اين هذا ؟ الله اعلم اما ان البرجوازية الصغيرة لا تصون دائماً وعلى العموم النظام القائم وليس هذا وحسب بل لا يندر لها ايضاً على العكس ان تعمل بصورة ثورية حتى ضد البرجوازية (واعني بالذات حين تلتحق بالبروليتاريا) واحياناً كثيرة جداً ضد الحكم المطلق وتصوغ دائماً تقريباً برامج اجتماعية اصلاحية فان هذا امر يعرفه الجميع وكل فرد الا ان صاحبنا المؤلف ثرثر «بمزيد من الضجة» ضد البرجوازية الصغيرة عاملاً بموجب تلك «القاعدة الحياتية» التي عرضها تورغينيف في احدى «قصائده الثرية» من كلمات «مكّار عتيق» والقائلة يجب على المرء ان يزعم بمزيد من الشدة ضد تلك العيوب التي يشعر بانها يعاني منها هو بالذات (١١٨) واليكم الحاصل بها ان الاشتراكيين-الثوريين يشعرون بانهم لا يمكن لغير بعض الفئات البرجوازية الصغيرة من المثقفين ان تكون القاعدة الاجتماعية الوحيدة لوضعهم بين كرسيين - ، فانهم لهذا السبب يكتبون عن البرجوازية الصغيرة كأنّ هذا التعبير لا يعني فئة اجتماعية بل يعني مجرد عبارة جدالية وهم يريدون كذلك ان يتهربوا من هذه النقطة غير المستطابة وهي انهم لا يفهمون ان الفلاحين المعاصرين بوصفهم كلاً واحداً ، ينتسبون الى «الفئات

البرجوازية الصغيرة» أفلا تجربون ايها السادة الاشتراكيون- الثوريون ان تعطونا جواباً عن هذه النقطة ؟ أفلا تقولون لنا لماذا تعملون وانتم تردون مقتطفات من نظريات الماركسية الروسية (مثلاً عن الاهمية التقدمية للارتزاق الفلاحي والتشرد الفلاحي) الى اغماض عيونكم عن واقع ان هذه الماركسية ذاتها قد اثبتت ان نموذج الاقتصاد الفلاحي الروسي هو برجوازي صغير ؟ أفلا توضحون لنا كيف يمكن في المجتمع المعاصر عدم تصنيف «المالكين او انصاف المالكين» في عداد الفئات البرجوازية الصغيرة ؟ كلا لا تأملوا فان الاشتراكيين-الثوريين لن يجيبوا ولن يقولوا ولن يوضحوا اي شيء من حيث جوهر الامر لانهم (مثل «الاقتصاديين» ايضاً) استوعبوا بثبات في ميدان النظرية تكتيك التهرب التام ان «ريفولوتسيونايا روسيا» تومي الى «فستنيك روسكوي ريفولوتسيي» كأنما تقول :- هذا شأنهم (قارنوا العدد ٤ جواب الى «زاريا») بينما تحكي «فستنيك روسكوي ريفولوتسيي» للقارى عن مآثر النقد الانتهازي وتوعد وتوعد ، وتوعد بتسليط النقد بمزيد من الشدة هذا لا يكفي ايها السادة !

لقد حافظ الاشتراكيون-الثوريون على نقاوتهم من تأثير المذاهب الاشتراكية المعاصرة المفسد وقد صانوا كليا الاساليب القديمة الطيبة للاشتراكية المبتدلة امامنا واقع تاريخي جديد حركة جديدة في فئة معينة من الشعب وهم لا يبحثون وضع هذه الفئة ، ولا يبحثون توضيح حركة هذه الفئة بطابع هذه الفئة وموقفها من النظام الاقتصادي المتنامي للمجتمع بكامله وكل هذا بالنسبة لهم عقيدة فارغة ارثوذكسية بالية وهذا يتحقق عندهم بمزيد من البساطة - عم يتحدث ممثلو الفئة الناهضة انفسهم ؟ عن الارض ، والضم ، والتقسيم . - وهذا كل شيء . اليكم اي

«برنامج نصف اشتراكي» ، اي «مبدأ صحيح تماماً» اي «فكرة مشرقة» اي «مثال اعلى يعيش منذ حين بشكل جنيني في رأس الفلاح» ، والخ كل ما ينبغي انما هو «تطهير وصياغة هذا المثل الاعلى» استخلاص «فكرة صافية عن الاشتراكية» ألا تصدق ايها القارىء؟ هل يبدو لك من غير المعقول ان ينتشل هذه الاسمال البالية الشعبية ويعرضها على الملا اناس يكررون بمثل هذه الخفة ما يقوله لهم آخر كتاب؟ ولكن هذا واقع وجميع الكليمان التي استشهدنا بها انما اخذناها من البيان «من الاتحاد الفلاحي» في العدد ٨ من «ريفولوتسيونايا روسيا»

ويتمم الاشتراكيون-الثوريون «الايسكرا» بانها وقد نعتت الحركة الفلاحية بفتنة الفلاحين الاخيرة صلت على راحة نفس هذه الحركة قبل الاوان ويعظوننا يمكن للفلاحين ان يشتركوا ايضاً في الحركة الاشتراكية للبروليتاريا ان هذه التهمة تبين بجلاء كل تشوش فكر الاشتراكيين-الثوريين فهم لم يفهموا حتى الامر التالي وهو ان الحركة الديمقراطية ضد بقايا القنانة شيء وان الحركة الاشتراكية ضد البرجوازية شيء آخر وبما انهم لم يفهموا الحركة الفلاحية بالذات فانهم لم يستطيعوا ان يفهموا كذلك ان كلمات «الايسكرا» التي اخافتهم لا تتعلق الا بالحركة الاولى اما ان المنتجين الصغار السائرين بسبيل الهلاك (بمن فيهم الفلاحون) يمكنهم ويجب عليهم ان يشتركوا في الحركة الاشتراكية للبروليتاريا فان «الايسكرا» لم تقل ذلك في برنامجها وحسب بل حددت كذلك بدقة شروط هذا الاشتراك ولكن الحركة الفلاحية المعاصرة ليست البتة حركة اشتراكية موجهة ضد البرجوازية والرأسمالية بل بالعكس فهي توحد العناصر البرجوازية والبروليتارية من الفلاحين الموحدة فعلاً في النضال ضد بقايا القنانة . ان الحركة الفلاحية المعاصرة تؤدي -

وسوف تؤدي - لا الى قيام النموذج الاشتراكي ولا الى قيام النموذج نصف الاشتراكي - بل الى قيام النموذج الريفي البرجوازي مطهرة من قيود القناة دعائم ريفنا البرجوازية التي نضجت

ولكن كل هذا هو بالنسبة للاشتراكيين-الثوريين بمثابة شيء مستحيل المنال وقد بلغ بهم الامر الى حد انهم يؤكدون بجدّ «للايسكرا» ان تمهيد السبيل لتطور الرأسمالية عقيدة فارغة لان «اصلاحات» (الستينيات) (١١٩) «قد مهدت (!) المجال كلياً (!!)

لتطور الرأسمالية» اليكم الى اي حد يمكن ان يتمادى في الكتابة رجل جريء يمتلكه قلم جريء ويتخيل انه يمكن ان يصدر كل شيء «عن الاتحاد الفلاحي» فان الفلاح لن يفهم - ولكن فكر ، من فضلك ايها المؤلف العزيز ألم تسمح يوماً ان بقايا القناة تعرقل تطور الرأسمالية ؟ ألا يبدو لك ان هذا هو حتى تكرار للكلام تقريباً ؟ اولم تقرأ في مكان ما عن بقايا القناة في الريف الروسي المعاصر ؟

تقول «اللايسكرا» ان الثورة العتيدة ستكون ثورة برجوازية ويعترض الاشتراكيون-الثوريون قائلين انها ستكون «قبل كل شيء ثورة سياسية والى حد ما ثورة ديمقراطية» أفلا تجربون يااصحاب هذا الاعتراض اللطيف ان توضحوا لنا ما يلي هل قامت يوماً في التاريخ ، هل هي معقولة على العموم ثورة برجوازية ليست «الى حد ما ديمقراطية» ؟ ثم ان برنامج الاشتراكيين-الثوريين انفسهم (الانتفاع المتساوي بالارض التي انتقلت الى ملكية المجتمع) لا يتخطى بعد اطار برنامج برجوازي لان الحفاظ على الانتاج البضاعي واجازة الاقتصاد الخاص وان في الارض المشتركة لا يقضي البتة على العلاقات الرأسمالية في الزراعة وبقدر ما ينظر الاشتراكيون-الثوريون بمزيد من الخفة الى

ابسط حقائق الاشتراكية المعاصرة بقدر ما يخلقون بمزيد من السهولة «ابسط الاستدلالات» معترزين حتى يكون «برنامجهم يقتصر» على مثل هذه الاستدلالات لندرس الآن جميع استدلالاتهم الثلاثة التي ستبقى زمناً طويلاً على الأرجح نصباً تذكاريّاً لحدة ذكاء الاشتراكيين- الثوريين ولعمق عقائدهم الاشتراكية

الاستدلال رقم ١ «الآن بالذات يخص قسم كبير من اراضي روسيا الدولة - فيجب ان تخص الارض كلها الشعب» «الآن بالذات» سئمنا من الاستشهادات الرقيقة بملكية الدولة للارض في مؤلفات الشعبين البوليسيين (à la سازونوف وغيره) ومختلف اصلاحيي المنابر الجامعية (١٢٠) «يجب» ان يسير في اذيال هؤلاء السادة من يقولون عن انفسهم بانهم اشتراكيون وحتى ثوريون «يجب» ان يشير الاشتراكيون الى جيروت «الدولة» الكلي الموهوم (ناسين حتى ان النصيب الاكبر من اراضي الدولة يقع في اطراف البلد غير المأهولة) لا الى التضاد الطبقي بين الفلاح نصف القن والحفنة المميزة من كبار ملاكي الاراضي الذين يملكون معظم خيرة الاراضي المزروعة والذين عاشت «الدولة» معهم على الدوام من الروح للروح ان اصحابنا الاشتراكيين-الثوريين يتصورون انهم يستخلصون فكرة صافية عن الاشتراكية ولكنهم بالفعل يوسخون هذه الفكرة بموقفهم غير الانتقادي من الشعبية القديمة

الاستدلال رقم ٢ «والآن بالذات تنتقل الارض من الراسمال الى العمل- فيجب ان تنجز الدولة هذه العملية» كلما اوغلنا في الغاب كلما ازداد الحطب لنقم بخطوة اخرى نحو الشعبية البوليسية لنعد' «الدولة» (الطبقية!) الى توسيع الملكية الفلاحية للارض على العموم هذا رائع باشتراكيته ومدهش بثوريته . ولكن ما عسانا نتوقع من اناس يقولون عن شراء

واستنجاار الاراضي من قبل الفلاحين بانهما لا يعنيان انتقال الارض من الملاكين العقاريين الاقطاعيين الى البرجوازية الريفية بل يعنيان انتقالها «من الرأسمال الى العمل» لنذكر هؤلاء القوم على الاقل بالمعطيات عن التوزيع الفعلي للاراضي «المنتقلة الى العمل» «يتركز في خمس البيوت الفلاحية اي في يد اقلية صغيرة من الميسورين ما يتراوح بين ٦ و ٩ اعشار جميع مشتريات الفلاحين من الاراضي وما يتراوح بين ٥ و ٨ اعشار الاراضي المستأجرة فاحكموا بالاستناد الى هذا هل تنطوي اقوال الاشتراكيين-الثوريين على قدر كبير من الحقيقة ، حين يزعمون «اننا لا نأمل» في الفلاحين الميسورين ، بل فقط في «الفئات الكادحة الصرفة» ؟

الاستدلال رقم ٣ «منذ حين يحوز الفلاح الارض وينتفع بها في اغلبية الاحوال بموجب التوزيع المتساوي - فيجب السير بهذا الانتفاع بالعمل الى النهاية وانجازه عن طريق تطوير كل ضرب من التعاونيات في الانتاج الزراعي الجماعي» - حك الاشتراكي-الثوري ، تجد السيد ف ف ! فما ان بلغت الامور حد الفعل ، حتى برزت في الحال جميع الاوهام القديمة من عهد الشعبية ، التي بقيت بأمن وسلامة تحت ستار من الجمل والتعابير الماكرة امتلاك الدولة للارض - انجاز الدولة لنقل الارض الى الفلاح - المشاعة - التعاون - الجماعية - هذا المخطط الرائع للسادة سازونوف ويوزوف ون - ون والاشتراكيين-الثوريين وغوفشتيتير وتوتوميانتس واضرابهم ومن لف لفهم - هذا المخطط ينقصه شيء تافه صغير جداً فلا وجود فيه لا للرأسمالية النامية ولا للنضال الطبقي ثم من اين كان يمكن ان يؤخذ هذا الشيء التافه في رؤوس اناس تتألف كل جمعيتهم الفكرية من اسماال الشعبية ومن رقااع. النقد الدارج الظريفة ؟ اولم يقل السيد بولغاكوف نفسه ، يا ترى ، انه لا مكان في الريف للنضال

الطبقي ؟ والاستعاضة عن النضال الطبقي «بشتى التعاونيات»
 ألا ترضي يا ترى الليبيراليين و«النقاد» وعلى العموم
 جميع الذين ليست الاشتراكية بالنسبة لهم اكثر من لافتة تقليدية ؟
 ألا يمكن السعي الى طمأنة السذج بالتأكيد «نحن بالطبع براء
 من كل اضرار صفة مثالية على المشاعية» ، رغم انكم تقرأون الى
 جانب هذا التأكيد شقشقة هائلة عن «التنظيم الهائل لفلاحي
 المير» * ، وعن انه «ما من طبقة في روسيا لا تندفع بدرجة معينة الى
 النضال السياسي الصرف (!) مثلما يندفع الفلاحون على وجه
 الضبط» وان حق الفلاحين في تقرير مصيرهم بانفسهم (!) اوسع
 بكثير من حيث حدوده وصلاحياته من حق الزيمستفوات في تقرير
 مصيرها وان هذا الجمع بين «الاستقلال» «الواسع» (حتى
 طرف القرية ؟) وبين انعدام «ابسط الحقوق المدنية» «قد
 اخترع فعلاً قصداً وعمداً لاجل ايقاظ وتدريب (!) الغرائز
 السياسية وعادات النضال الاجتماعي» اذا كان هذا لا يعجبك
 فلا تسمع ، ولكن

«لا بد ان يكون المرء اعمى لكي لا يرى الى اي حد من
 الاسهل الانتقال الى فكرة جتمعة الارض من تقاليد الادارة المشاعية
 للارض» اوليس العكس ايها السادة ؟ اوليسوا عمياناً صماً
 لا امل في شفائهم اولئك الذين لا يعرفون حتى الآن ان الانفلاق
 القروسطي للمشاعية نصف القننية التي تقسم الفلاحين الى
 اتحادات متناهية الصغر والتي تقيد البروليتاريا الريفية بيديها
 وقدميها هو الذي يدعم تقاليد الجمود والخنوع والتوحش ؟ اولاً
 تضربون انفسكم بانفسكم حين تعترفون بفائدة الارتزاق الفلاحي
 الذي قضى على ثلاثة ارباع تساوي التقاليد المشاعية السيئة
 الشهرة ، وحصر هذه التقاليد في مجرد مشاحنة بوليسية ؟

* المير - المشاعة في روسيا سابقاً - الناشر .

وبما ان برنامج الحد الأدنى للاشتراكيين-الثوريين يرتكز على النظرية المدروسة اعلاه فانه شيء طريف حقاً بندان في هذا «البرنامج» ١ - «جمعة الارض اي نقلها الى ملكية المجتمع بأسره والى انتفاع الشغيلة» ٢ - «تطوير شتى انواع الاتحادات الاجتماعية والتعاونيات الاقتصادية في صفوف الفلاحين (لاجل النضال السياسي «الصرف»؟) لاجل تحرر الفلاحين تدريجياً من سلطان الرأسمال النقدي (تحت سلطان الرأسمال الصناعي؟) ولاجل اعداد الانتاج الزراعي الجماعي المقبل» في هذين البندين ، ينعكس ، مثل الشمس في قطرة صغيرة من الماء ، كل روح «الاشتراكية-الثورية» المعاصرة في النظرية - الجملة الثورية عوضاً عن نظام بصير ومتكامل من المفاهيم في التطبيق - التلقف العاجز لهذه الوسيلة الصغيرة الدارجة او تلك عوضاً عن الاشتراك في النضال الطبقي - هذا كل ما عندهم ولاجل وضع جمعة الارض والتعاونيات جنباً الى جنب في برنامج الحد الأدنى ، لاجل هذا الغرض كان لا بدّ - ونعترف بذلك - من شجاعة مدنية نادرة ان برنامج الحد الأدنى هذا هو ، من جهة بابوف ومن جهة اخرى السيد ليفيتسكي وهذا امر يستحيل تقليده

ولو كان من الممكن النظر الى هذا البرنامج نظرة جديّة لتأتى لنا ان نقول ان الاشتراكيين-الثوريين اذ يخدعون انفسهم برنين الكلمات يخدعون الفلاحين ايضاً فمن الخداع الزعم ان «شتى التعاونيات» تضطلع بدور ثوري في المجتمع المعاصر وتهدى لاشاعة الجماعية وليس لتوطيد البرجوازية الريفية ومن الخداع الزعم انه يمكن وضع جمعة الارض امام انظار «الفلاحين» ، بوصفها «حداً أدنى» ، بوصفها شيئاً قريباً جداً ، مثل التعاونيات . وبوسع كل اشتراكي ان يوضح لاصحابنا الاشتراكيين-الثوريين ان القضاء على

الملكية الخاصة للارض لا يمكن ان يكون الآن غير العتبة المباشرة للبقاء على الملكية الخاصة بوجه عام وان مجرد نقل الارض الى «انتفاع الشغيلة» ليس من شأنه بعد ان يرضي البروليتاريا لان الملايين وعشرات الملايين من الفلاحين الذين حل بهم الخراب عاجزون عن تسيير استثماره في الارض حتى ولو كانت الارض في حوزتهم وان تزويد هؤلاء الملايين من الفلاحين الذين حل بهم الخراب بالادوات والمواشي وخلافها سيعني جتمعة جميع وسائل الانتاج ويتطلب ثورة اشتراكية تقوم بها البروليتاريا لا حركة فلاحية ضد بقايا القنانة ان الاشتراكيين-الثوريين يخلطون جتمعة الارض مع تأميمها البرجوازي وهذا الاخر معقول اذا تكلمنا بطريقة مجردة على قاعدة الرأسمالية ايضاً بدون القضاء على العمل المأجور ولكن مثال هؤلاء الاشتراكيين-الثوريين انفسهم هو الذي يؤكد بجلاء تلك الحقيقة القائلة ان رفع مطلب تأميم الارض في دولة بوليسية يعني طمس المبدأ الثوري الوحيد مبدأ النضال الطبقي وسكب الماء في طاحونة البيروقراطية ، كل بيروقراطية

وفضلاً عن ذلك ينزلق الاشتراكيون-الثوريون الى حد الرجعية السافرة حين يعترضون على مطلب مشروع برنامجنا «الغاء جميع القوانين التي تقيد الفلاح في التصرف بارضه» فبدافع وهم الشعبين بصدد «المبدأ المشاعي» و«مبدأ التساوي» يرفضون للفلاح «حقاً مدنياً بسيطاً» كحق التصرف بارضه ويغضون عيونهم بصدر منشرحة عن انغلاق المشاعة الفعلية الفئوي ويدافعون عن الموانع البوليسية التي تقرها وتدعمها «دولة» زيمسكيه ناتشالنيكي (١٢١) نحن نعتقد ان ليس السيد ليفيتسكي وحده بل والسيد بوييدونوستسييف ، لا يخافان كثيراً من مطلب جتمعة الارض لاجل الانتفاع المتساوي بها ، طالما

يرفَع هذا المطلب كحد ادنى تظهر الى جانبه في آن واحد التعاونيات والدفاع عن تقييد الفلاح بطريقة بوليسية بحصة الارض الاميرية التي تؤمنه

فليكن برنامج الاشتراكيين-الثوريين الزراعي درساً وتحذيراً لجميع الاشتراكيين ومثالاً جلياً على ما تؤدي اليه اللافكرية واللامبدئية التي يسميها بعض الطائشين بالتححرر من العقيدة فما ان بلغت الامور حد الفعل ، حتى تبين انه لم يكن عند الاشتراكيين-الثوريين اي من الشروط الثلاثة الضرورية لاجل وضع برنامج اشتراكي منسجم : فلا فكرة واضحة عن الهدف النهائي ، ولا فهم صحيح للسبيل الذي يؤدي الى هذا الهدف ولا تصور دقيق عن وضع الامور الفعلية في الظرف الراهن وعن اقرب مهام هذا الظرف فان هدف الاشتراكية النهائي قد طمسوه بخلطهم جمعة الارض مع تأميمها البرجوازي ، وخلطهم الفكرة الفلاحية البدائية عن الانتفاع المتساوي الصغير بالارض مع مذهب الاشتراكية المعاصرة بصدد تحويل جميع وسائل الانتاج الى ملكية اجتماعية وبصدد تنظيم الانتاج الاشتراكي ان تصورهم للسبيل الذي يؤدي الى الاشتراكية يتصف بصورة لا نظير لها بالاستعاضة عن النضال الطبقي بتطوير التعاونيات وفي تقييم الظرف الراهن من التطور الزراعي في روسيا نسوا امراً تافهاً عنيانا به بقايا القنانة التي تضغط على ريفنا ثم ان ثلاثيتهم الشهيرة التي تفصح عن آرائهم النظرية - المثقفون والبروليتاريا والفلاحون - قد اکتملت بثلاثية «برنامجية» ليست اقل شهرة - جمعة الارض التعاونيات ، التقييد بحصة الارض (١٢٢)

قارنوا بهذا «البرنامج» برنامج «اليسكرا» الذي يدل البروليتاريا المناضلة على الهدف النهائي الوحيد دون ان يحصره في «الحد الادنى» ، دون ان يحط من شأنه لاجل التكيف لافكار بعض

الفئات غير المتطورة من البروليتاريا او لافكار المنتجين الصغار ان السبيل الى بلوغ هذا الهدف واحد في المدينة والريف على السواء - وهو نضال البروليتاريا الطبقي ضد البرجوازية ولكن علاوة على هذا النضال الطبقي لا تزال تدور في ريفنا رحي نضال آخر هو نضال الفلاحين جميعاً ضد بقايا القنانة وفي هذا النضال يعد حزب البروليتاريا بدعم جميع الفلاحين مع سعيه الى تبيان الهدف الحقيقي لنهوضهم الثوري والى توجيه انتفاضتهم ضد العدو الحقيقي مع اعتباره انه من غير الشريف وغير اللائق ان يعامل المرء الفلاح كطفل تحت الوصاية ويخفي عنه ما يمكنه ان يتوصل اليه في الوقت الحاضر وعلى الفور بمجرد الغاء جميع آثار وبقايا القنانة بمجرد تمهيد السبيل لاجل نضال اوسع واصعب تخوضه البروليتاريا بأسرها ضد المجتمع البرجوازي بأسره

المجلد ٦ ،
صص ٣٧٧-٣٩٨

والايسكرا ، العددان ٢٣
و ٢٤ ، اول آب (اغسطس) واول
ايلول (سبتمبر) ١٩٠٢

الى الفلاحين الفقراء

تعليق من اجل الفلاحين :

ما يريده الاشتراكيون-الديموقراطيون (١٢٢)

١ - نضال عمال المدن

كثيرون هم الفلاحون الذين سمعوا بلا ريب بالاضطرابات العمالية في المدن فان فريقاً من هؤلاء الفلاحين كان في العاصمة (١٢٤) والمصانع ورأى بنفسه اعمال الشغب ، كما يسميها البوليس وفريق آخر منهم يعرف العمال الذين نفتهم السلطات الى القرى لاشتراكهم في الاضطرابات وفريق ثالث اتاحت له الفرصة ان يرى المناشير والكراريس حول نضال العمال، وفريق رابع سمع فقط اخبار الناس المطلعين على ما يحدث في المدن

فيما مضى كان الطلاب وحدهم يثورون اما الآن فان الآلاف وعشرات الآلاف من العمال قد ثاروا في جميع المدن الكبيرة وهم يناضلون في معظم الاحيان ضد ارباب عملهم ضد اصحاب المصانع الرأسماليين ويلجأ العمال الى الاضراب ويتركون جميعهم في آن واحد العمل في المصنع ويطالبون بزيادات في الاجور ويطالبون بعدم تشغيلهم في اليوم احدى عشرة ساعة او عشر ساعات بل بتشغيلهم ثماني ساعات فقط ويطالبون ايضاً بجميع التحسينات الاخرى في حياة العامل وهم يريدون ان يصار الى تحسين الاوضاع في مشاغلهم وان يصار الى احاطة الآلات باجهزة خاصة للوقاية ، والا تشوّه الآلات العمال الذين يشتغلون

عليها وان يتمكن اولادهم من الذهاب الى المدرسة وان يلقي المرضى العناية اللائقة في المستشفيات وان تكون مساكن العمال بيوتاً لائقة ، لا اكواخاً للكلاب

ويتدخل البوليس في نضال العمال فيلقي القبض على العمال، ويزجّ بهم في السجن ويبعدهم دون محاكمة الى مسقط رأسهم بل انه ينفيهم دون محاكمة الى سيبيريا وثمة قانون اصدرته الحكومة يمنع الاضرابات والاجتماعات العمالية ولكن العمال يخوضون النضال ضد البوليس والحكومة ، ويقولون كفانا خنوعاً وركوعاً نحن شعب العمال الذين نعد الملايين من البشر كفانا شغلاً في صالح الاغنياء بينا نظل نحن في بؤس مدقع لقد استسلمنا كفاية للنهب والسلب نريد تأليف اتحادات نريد حشد جميع العمال في اتحاد عمالي كبير موحد (هو حزب العمال) نريد النضال معاً في سبيل حياة افضل نريد النضال في سبيل تنظيم جديد افضل للمجتمع وفي هذا المجتمع الجديد الافضل ينبغي الا يكون ثمة اغنياء وفقراء انما ينبغي ان يشترك الجميع في العمل ينبغي ان يتمتع جميع الشغيلة بشمار العمل المشترك لا حفنة من الاثرياء فقط ينبغي ان تسهل الآلات وسائر الاتقانات كدح الجميع لا ان تغني البعض على حساب الملايين وعشرات الملايين من الناس هذا المجتمع الجديد هذا المجتمع الافضل يُسمى **المجتمع الاشتراكي** والمذهب الذي ينادي به يسمى **الاشتراكية** واتحادات العمال التي تناضل في سبيل هذا التنظيم الافضل للمجتمع تسمى **الاحزاب الاشتراكية-الديموقراطية** وهذه الاحزاب موجودة علناً في جميع البلدان تقريباً (عدا روسيا وتركيا) كما ان عمالنا بالاتفاق مع الاشتراكيين من الناس المتعلمين قد شكلوا ايضاً حزباً كهذا هو **حزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا** .

اما الحكومة فهي تضطهد هذا الحزب ولكنه موجود سرآ ، رغم جميع قرارات المنع وهو يصدر الصحف والكراريس ويشكل الاتحادات السرية ولا يكتفي العمال بالاحتشاد في اجتماعات سرية ، بل ينزلون الى الشارع ، جماهير جماهير ويرفعون الرايات المكتوب عليها «عاش يوم العمل من ثماني ساعات عاشت الحرية عاشت الاشتراكية ولهذا تلاحق الحكومة العمال بوحشية بل انها ترسل الجيش ليطلق النار عليهم لقد قتل الجنود الروس عمالاً روساً في ياروسلاف وبطرسبورغ وريفا ، وروستوف على الدون ، وزلاتووست *

ولكن العمال لا يستسلمون بل يواصلون النضال ويقولون ليس ثمة اضطهادات ولا سجون ، ولا نفي ولا اعتقال مع الاشغال الشاقة ، ولا موت بوسعها ان ترهبنا ان قضيتنا عادلة فنحن نكافح في سبيل حرية وسعادة جميع الذين يكذبون نحن نكافح في سبيل التخلص من مظاهر العنف والاضطهاد والبؤس النازلة بعشرات ومئات الملايين من الكادحين والعمال يزدادون وعياً يوماً بعد يوم وعدد الاشتراكيين-الديموقراطيين يتعاظم بسرعة في جميع البلدان ولسوف ننصر بالرغم من كل قمع وملاحقة

* في طبعة عام ١٩٠٥ استعيض عن النص البادى بكلمتي «وهو يصدر» والمنتهي بكلمة «زلاتووست» بما يلي «والآن وعدت الحكومة بحرية الكلام وحرية الاجتماع ، وحرمة الفرد ، ولكن هذا الوعد كان كاذباً فان البوليس اخذ من جديد يفرق الاجتماعات ومن جديد اخذوا يغلقون جرائد العمال ومن جديد شرعوا يقبضون على الاشتراكيين-الديموقراطيين ويزجون بهم في السجن وقد اطلقوا النار على المناضلين من اجل الحرية في كرونشتادت وسيباستوبول وموسكو والقفقاس ، في الجنوب وفي عموم روسيا» . الناشر .

ينبغي ان يدرك الفلاحون الفقراء جيد الادراك من هم هؤلاء
الاشتراكيون-الديموقراطيون وماذا يريدون وما ينبغي القيام
به في القرى من اجل مساعدتهم في الظفر بالسعادة للشعب

٢- ماذا يريد الاشتراكيون-الديموقراطيون ؟

يناضل الاشتراكيون-الديموقراطيون الروس بادی^{*} بدء في
سبيل الحرية السياسية فهذه الحرية ضرورية لهم لحشد جميع
العمال الروس على نطاق واسع وبصورة علنية في النضال من
اجل تنظيم المجتمع تنظيماً جديداً تنظيمياً افضل تنظيمياً
اشتراكياً

ما هي الحرية السياسية ؟

لكي يدرك الفلاح هذا الامر ينبغي له ان يقارن اولاً حرته
اليوم بنظام القنانة (الاقطاعية) في ذلك العهد لم يكن يحق
للفلاح ان يتزوج دون اذن الملاك العقاري اما الآن فالفلاح حر
بان يتزوج دون اي اذن في ذلك العهد كان الفلاح ملزماً بالعمل
بصورة مطلقة لحساب سيده في الايام التي يعينها وكيل السيد
اما الآن فالفلاح حر بان يقرر لحساب اي سيّد يشتغل وفي اية
ايام ولقاء اي أجر في ذلك العهد لم يكن يحق للفلاح ان يترك
القرية دون اذن السيد اما الآن فالفلاح حر بالذهاب حيث
يشاء اذا سمحت له المشاعة («المير») بالذهاب اذا لم يكن
يترتب عليه دفع ضرائب متأخرة اذا اعطي تذكرة هوية اذا لم
يمنعه المحافظ او مدير البوليس في القضاء* من التنقل ولذا لا
يتمتع الفلاح اليوم ايضاً بكامل حرية الذهاب حيث يشاء بكامل

* بمعنى التقسيم الاداري . المعرب .

حرية التنقل فما يزال الآن نصف قن وسنقول فيما بعد بالتفصيل لماذا لا يزال الفلاح الروسي نصف قن وكيف يستطيع التخلص من هذا الوضع

في عهد القنانة لم يكن يحق للفلاح ان يحصل على اية ممتلكات دون اذن السيد ولم يكن يحق له اطلاقاً ان يشتري الارض اما الآن فالفلاح حر بالحصول على شتى انواع الممتلكات (غير انه ليس حراً اليوم تمام الحرية بان يترك المشاعة وبان يتصرف بارضه كما يشاء) في عهد القنانة كان بوسع الملاك العقاري انزال العقوبات الجسدية بالفلاح اما الآن فلم يعد بوسع الملاك العقاري انزال العقاب الجسدي بالفلاح رغم ان الفلاح لم يتحرر حتى الآن من العقوبات الجسدية .

هذه الحرية هي التي تسمى الحرية المدنية الحرية في حقل الشؤون العائلية في حقل الشؤون الشخصية في حقل الشؤون المتعلقة بالممتلكات فالفلاح والعامل حران (صحيح ان حريتهما غير تامة) بان ينظما حياتهما العائلية وشؤونهما الشخصية وبان يتصرفا بعملهما (بان يختارا سيداً لهما) وبممتلكاتهما

ولكن لا العمال الروس ولا الشعب الروسي كله ، يتمتعون حتى الآن بحرية التصرف بالشؤون المشتركة التي تخص الشعب بأسره فالشعب بأسره بمجمله لا يزال قنّاً للموظفين كما كان الفلاحون اثناً للملاكين العقاريين فلا يحق للشعب الروسي ان يختار موظفيه ولا ان ينتخب الناس الذين يثق بهم من اجل تحضير القوانين لعموم الدولة بل انه لا يحق للشعب الروسي التجمع لمناقشة الشؤون العامة ، شؤون الدولة وبدون اذن الموظفين الموضوعين فوقنا دون رضانا ، - كما كان السيد في الزمن الغابر يعين الوكيل دون موافقة الفلاحين ، - لا يحق لنا حتى

طبع صحفنا وكتبنا والتكلم امام الجميع وللجميع عن الشؤون التي تتعلق بالدولة كلها !
 وكما ان الفلاحين كانوا عبيد الملاكين العقارين كذلك ما يزال الشعب الروسي حتى الآن عبد الموظفين وكما ان الفلاحين كانوا في عهد القنانة (الاقطاعية) محرومين من الحرية المدنية كذلك ما يزال الشعب الروسي محروماً من الحرية السياسية حتى الآن ان الحرية السياسية انما هي حرية الشعب بتصريف شؤونه المشتركة الشؤون العامة ان الحرية السياسية انما هي حق الشعب بانتخاب نوابه الى دوما الدولة (١٢٥) (البرلمان) إن دوما الدولة* هذا (البرلمان) الذي ينتخبه الشعب بنفسه هو الذي ينبغي له وحده ان يناقش ويسنّ جميع القوانين وان يقر جميع الضرائب والرسوم ان الحرية السياسية انما هي حق الشعب في أن يختار بنفسه جميع الموظفين وأن ينظم شتى انواع الاجتماعات لمناقشة جميع الشؤون العامة وأن يطبع دون اي اذن ، ما يشاءه من الكتب والصحف .

ان جميع الشعوب الاوروبية الاخرى قد ظفرت منذ زمن طويل بالحرية السياسية في تركيا فقط وفي روسيا ، ما يزال الشعب سياسياً قنناً لحكومة السلطان ولحكومة القيصر الاوتوقراطية ان الاوتوقراطية القيصرية انما هي سلطة القيصر التي لا حد لها فلا يأخذ الشعب اي قسط في تنظيم الدولة وادارتها فالقيصر وحده بحكم سلطته الشخصية غير المحدودة الاوتوقراطية هو الذي يسنّ جميع القوانين ويعيّن جميع الموظفين ولكنه

* هنا وفيما بعد ، وكذلك في صرص ٢٧٥ ، ٢٧٨ من هذا المجلد ، استعيض في طبعة عام ١٩٠٥ عن كلمتي «دوما الدولة» بكلمات «جمعية نواب الشعب» . - الناشر .

واضح ان القيصر نفسه لا يمكن له حتى ان يعرف جميع القوانين الروسية وجميع الموظفين الروس بل انه لا يستطيع ان يعرف ما يجري في الدولة انه يكتفي بالمصادقة على مشيئة عدة عشرات من كبار الموظفين واعلاهم مقاماً ان شخصاً واحداً مهما كانت رغبته شديدة ليعجز عن حكم دولة شاسعة كروسيا فليس القيصر هو الذي يحكم روسيا - ، ومع ذلك لا يسع المرء الا التحدث عن اوتوقراطية رجل واحد ! - بل تحكم روسيا حفنة من اكبر الموظفين ثراء وجاهاً ولا يعرف القيصر الا ما تشاء هذه الحفنة من الموظفين ان تبلغه اياه ولا يستطيع القيصر ابدأ معارضة هذه الحفنة من كبار ممثلي النبلاء فالقيصر نفسه ملاك عقاري ونبيل وهو منذ طفولته لم يعش الا في وسط هؤلاء النبلاء فهم الذين ربوه وعلّموه اما الشعب الروسي بأسره فان القيصر لا يعرف عنه اكثر مما يعرف هؤلاء النبلاء الكبار والملاكون العقاريون الاغنياء والقلّة من التجار الاغنياء الذين يحق لهم دخول القصر

بوسعكم ان تجدوا في كل دائرة في النواحي (١٢٦) اللوحة التالية اللوحة تمثل القيصر (الكسندر الثالث والد القيصر الحالي) القيصر يلقي خطاباً امام رؤساء بلديات النواحي ، القادمين لحضور تتويجه القيصر يأمرهم «اطيعوا مارشالات النبلاء ! (١٢٧)» وقد كرر قيصر اليوم نيقولاي الثاني الكلام نفسه فالقيصرة يعترفون اذن بانهم لا يستطيعون حكم الدولة الا بمساعدة النبلاء بوساطة النبلاء ينبغي لنا ان نحفظ جيداً كلمات القيصر هذه حول طاعة الفلاحين للنبلاء ينبغي لنا ان ندرك تمام الادراك كذب ما يقوله للشعب هؤلاء القوم الذين يسعون جهدهم لتصوير الادارة القيصرية على انها خير ادارة يقول هؤلاء القوم : في البلدان الأخرى ، تنتخب الادارة انتخاباً ، فيختار لها

الاغنياء والحال ان الاغنياء يديرون دون انصاف فهم يضطهدون الفقراء اما في روسيا فلا يصار الى انتخاب الادارة فان القيصر الاوتوقراطي هو الذي يحكم كل شيء فالقيصر فوق جميع الناس الفقراء منهم والاغنياء والقيصر كما يزعم هؤلاء القوم ، منصف ازاء الجميع ، ازاء الفقراء والاغنياء ، دون اي تمييز . ان مثل هذه الاقاويل رياء برياء فكل روسي يعرف ما هو عليه انصاف الادارة في بلادنا وكل امرئ يعرف اذا كان العامل البسيط أو الاجير الزراعي في بلادنا يستطيع ان يكون عضواً في مجلس الدولة بينما رأينا في جميع البلدان الاوروبية الاخرى عدداً من عمال المصانع ومن الاجراء الزراعيين اعضاء في دومات الدولة (البرلمانات) كانوا يتكلمون بحرية امام الشعب كله عن بؤس العمال وكانوا يدعون العمال الى الاتحاد والنضال من اجل حياة افضل وما كان احد ليجرؤ على مقاطعة نواب الشعب عند القاء خطاباتهم هذه وما كان اي فرد من أفراد البوليس ليتجاسر على مسنهم باصبعه

ليس في روسيا ادارة منتخبة ، فالذين يديرون ليسوا الاغنياء والنبلاء وحسب بل شرهم ، اي امهرهم نمماً في القصر وابرع من يحوكون المقالب ويكذبون ويفترون لدى القيصر ويتزلفون ويدهنون انهم يديرون سراً ، ولا يعرف الشعب ولا يستطيع ان يعرف اية قوانين يهيئونها له ، واية حروب يستعدون لشنها ، واية ضرائب جديدة سيقرون واي موظفين سيكافئون ولماذا واي موظفين سيقيلون ولماذا* وما من بلد كروسيا يعرف مثل هذا

* في طبعة عام ١٩٠٥ ، ورد النص التالي بعد كلمات «واي موظفين سيقيلون ولماذا» «من الذي اعلن الحرب على اليابان ؟ (١٢٨) الحكومة . هل سألوا الشعب ما اذا كان يريد ان يحارب من اجل ارض

العدد اللجب من الموظفين وهؤلاء الموظفون ينتصبون فوق الشعب الصامت كغابة قاتمة ، - فان العامل البسيط لن يتوصل ابدأ الى شق طريق له في هذه الغابة ولن يحصل على العدالة وما من شكوى ضد الموظفين المرتشين ، والناهين والظالمين ترى النور فكل شكوى تذهب عبثاً ، بسبب من المماطلات البيروقراطية (الدواينية) وصوت رجل بمفرده لا يبلغ ابدأ مسامع الشعب كله بل يضيع في هذا الدغل الكثيف القاتم ويختنق في اقبية البوليس ان جيش الموظفين الذين لم ينتخبهم الشعب والذين ليسوا مسؤولين امامه قد حاك شبكة كثيفة يتخبط فيها الناس كالذباب *

ان الاوتوقراطية القيصرية انما هي اوتوقراطية الموظفين انما هي تبعية الشعب القنية ازاء الموظفين ولا سيما ازاء البوليس . ان الاوتوقراطية القيصرية انما هي اوتوقراطية البوليس ولهذا ينزل العمال الى الشارع ويخطون على راياتهم «لتسقط الاوتوقراطية عاشت الحرية السياسية ولهذا

منشوريا ؟ كلا ، لم يسالوه ، لان رئيس الدولة يدير الدولة بواسطة موظفيه ، واذا الشعب ، بذنب من الحكومة ، يحل به الخراب من جراء الحرب الشاقة مئات الآلاف من الجنود الشباب لقوا مصرعهم ، وحل الخراب بعائلاتهم ، والاسطول الروسي هلك كله ، والقوات الروسية طردت من منشوريا ؛ وانفق على الحرب كلها اكثر من ملياري روبل (مليارا روبل - هذا يعني مائة روبل بكل عائلة من اصل عشرين مليون عائلة في روسيا) ان الشعب ليس بحاجة الى ارض منشوريا ان الشعب لم يرد الحرب ولكن حكومة الموظفين كانت تحكم الشعب حسب مشيئتها واجبرته على خوض غمار هذه الحرب المخزية والفتاكة والمدمرة» **الناشر**

* في طبعة عام ١٩٠٥ ، وردت بعد كلمة «كالذباب» الملاحظة التالية في هامش الصفحة وان سلطة الموظفين الكلية هذه تسمى بالادارة البيروقراطية ، وكل سلك الموظفين بالبيروقراطية . **الناشر** .

ينبغي على عشرات الملايين من الفلاحين الفقراء ايضاً ان يرددوا هتاف عمال المدن النضالي هذا وعلى غرار عمال المدن ينبغي على عمال الارياف والفلاحين الفقراء ، دون خشية من اعمال القمع دون خوف من اعمال التهديد والعنف من جانب العدو دون الاضطراب لدى اول هزيمة ، ينبغي عليهم القيام بنضال حاسم في سبيل حرية الشعب الروسي بأسره والمطالبة قبل كل شيء بدعوة ممثلي الشعب الى الاجتماع فليختر الشعب بنفسه نوابه في عموم روسيا ليؤلف هؤلاء النواب جمعية عليا تؤسس ادارة منتخبة في روسيا ، وتحرر الشعب من التبعية القنسية ازاء الموظفين والبوليس وتؤمن للشعب حرية الاجتماعات وحرية الكلام والصحافة !

هذا ما يريده الاشتراكيون-الديموقراطيون قبل كل شيء
وهذا ما يعنيه مطلبهم الاول **مطلب الحرية السياسية***

* في طبعة عام ١٩٠٥ ، ورد بعد كلمات «مطلب الحرية السياسية» النص التالي «وعدت الحكومة بدعوة ممثلي الشعب الى الاجتماع في دوما الدولة ولكن الحكومة خدعت الشعب مرة اخرى بهذا الوعد فتحت اسم دوما الدولة ، تريد ان تجمع ، لا نواب الشعب الحقيقيين ، بل مجموعة مختارة من الموظفين والنبلاء والملاكين العقاريين والتجار يجب اختيار نواب الشعب بحرية ، ولكن الحكومة لا تسمح بالانتخابات الحرة ، وتفلق جرائد العمال ، وتمنع الاجتماعات والتجمعات ، وتلاحق اتحاد الفلاحين (١٢٩) وتعقل منتخبي الفلاحين وتزج بهم في السجن وهل يمكن ان تكون ثمة ، يا ترى ، انتخابات حرة اذا كان البوليس والريمسكييه ناتشالنيكي يسخرون من العمال ومن الفلاحين كما من قبل ؟

ينبغي انتخاب نواب الشعب من جانب الشعب كله مناصفة لكي لا يكون للنبلاء والملاكين العقاريين والتجار التفوق على العمال والفلاحين ان النبلاء والتجار آلاف ؛ اما الفلاحون فملايين وتحت اسم دوما الدولة ، تدعو الحكومة الى الانعقاد جمعية لا تقوم على اساس

اننا نعلم ان الحرية السياسية حرية الانتخاب لدوما الدولة (البرلمان) حرية الاجتماعات حرية الصحافة لن تنفذ الشعب الشغيل دفعة واحدة من البؤس والظلم وليس ثمة وسيلة بوسعها ان تنقذ دفعة واحدة فقراء المدن والارياف من عملهم في صالح الاغنياء وليس امام الشعب العامل اي امرى يعلّق عليه أمله او يعتمد عليه الا نفسه بالذات وما من احد سيجرّر العامل من بؤسه اذا لم يفعل ذلك بنفسه ولكي يتحرر العمال عليهم ان ينضموا في اتحاد واحد في حزب واحد من طرف البلاد الى الطرف الآخر في عموم روسيا ولكن ملايين العمال لا يستطيعون الاتحاد اذا كانت الحكومة البوليسية الاوتوقراطية تمنع كل الاجتماعات وجميع صحف العمال وجميع انتخابات نواب العمال لكي يتحد الناس ينبغي لهم حق تنظيم شتى انواع الاتحادات ينبغي حرية الاتحاد ينبغي الحرية السياسية ان الحرية السياسية لن تنفذ الشعب العامل من البؤس دفعة واحدة ، ولكنها ستعطي العمال سلاحاً للنضال ضد البؤس وليس

الانتخابات المتساوية وقد نظمت الحكومة انتخابات على درجة من المكر بحيث ان النبلاء والتجار ينالون جميع المقاعد تقريباً في الدوما ، بينما لا يكون للعمال والفلاحين حتى نائب واحد من كل عشرة هذا دوما مزور هذا دوما بوليسي هذا دوما الموظفين والاسياد فلاجل جمعية حقيقية لنواب الشعب ، ينبغي حرية الانتخاب التامة ، ينبغي انتخابات متساوية من جانب الشعب كله ولهذا يعلن الاشتراكيون-الديموقراطيون العمال ليسقط الدوما ! لتسقط الجمعية المزورة ! نحن بحاجة الى جمعية حقيقية حرة من النواب عن الشعب كله ، وليس عن النبلاء والتجار ! نحن بحاجة الى جمعية تاسيسية لعامة الشعب لكي يملك الشعب السلطة الكاملة على الموظفين وليس لكي يملك الموظفون السلطة على الشعب ! « الناشر .

ثمة ولا يمكن ان يكون ثمة وسيلة اخرى للنضال ضد البؤس غير اتحاد العمال انفسهم ولن يستطيع الملايين من ابناء الشعب ان يتحدوا اذا لم تتوافر لهم الحرية السياسية في جميع بلدان اوروبا التي ظفر فيها الشعب بالحرية السياسية اخذ العمال يتحدون منذ زمن طويل والعمال الذين لا ارض عندهم ولا مشاغل والذين يشتغلون طوال حياتهم اجراء عند الآخرين ، - ان هؤلاء العمال يسمونهم في كل اوروبا بروليتاريين فمنذ اكثر من خمسين سنة دوى نداء يدعو الى اتحاد الطبقة العاملة «يا عمال العالم ، اتحدوا!» (١٣٠) ان هذه الكلمات قد طافت العالم كله خلال الخمسين سنة الاخيرة وهي تعاد في عشرات ومئات الآلاف من اجتماعات العمال وانكم لتقرؤونها في ملايين الكتب والصحف الاشتراكية-الديموقراطية بجميع اللغات

ان حشد ملايين العمال في اتحاد واحد ، في حزب واحد ، هو بالطبع ، عمل صعب جداً ، جداً ويطلب فترة من الزمن وقدراً من المثابرة والعناد والشجاعة واننا لنرى العمال تسحقهم الحرمانات ويحطمهم البؤس ويغلظ عقولهم العمل' الدائب القاسي كالاشغال الشاقة في صالح الراسماليين والملاكين العقاريين وفي كثير من الاحيان لا يتوفر لهم الوقت ليتساءلوا لماذا هم ابدأ غارقون في لجة البؤس ، وكيف الخروج منها وبجميع الوسائل يمنعون العمال من الاتحاد اما انهم يمارسون مباشرة اعمالاً عنيفة وحشية في بلدان كروسيا حيث الحرية السياسية معدومة واما انهم يرفضون تشغيل العمال الذين يروجون بمذهب الاشتراكية واما انهم يلجؤون اخيراً الى الكذب والرشوة ولكن ما من عنف ولا قمع بوسعهما ان يحملا العمال البروليتاريين على الكف عن النضال من اجل القضية الكبرى ، قضية تحرير الشعب

العامل بأسره من البؤس والظلم ان عدد العمال الاشتراكيين-
الديموقراطيين يتعاظم بلا انقطاع ففي الدولة المجاورة ، مثلاً
في المانيا توجد ادارة منتخبة فيما مضى كانت في المانيا
ايضاً حكومة مَلَكية اوتوقراطية مطلقة ولكن الشعب الالمانى
هبّ منذ اكثر من خمسين سنة وحطم الاوتوقراطية وظفر بالحرية
السياسية بالقوة فالقوانين في المانيا لا تسنّها حفنة من الموظفين
كما في روسيا بل تسنّها جمعية نواب الشعب البرلمان او
الريخستاغ كما يسميها الالمان وجميع الرجال الراشدين
ينتخبون نواب الريخستاغ ولذا يمكن معرفة عدد الاصوات التي
نالها الاشتراكيون-الديموقراطيون ففي ١٨٨٧ نالوا عشر
الاصوات كلها وفي ١٨٩٨ (لدى الانتخابات الاخيرة للريخستاغ)
ازداد عدد اصوات الاشتراكيين-الديموقراطيين الى ما يقرب من ثلاثة
اضعاف وهكذا نال الاشتراكيون-الديموقراطيون اكثر من ربع
الاصوات كلها فقد صوت اكثر من مليوني رجل راشد لنوابهم
الاشتراكيين-الديموقراطيين في البرلمان* غير ان الاشتراكية ما
تزال قليلة الانتشار بين عمال الارياف في المانيا ولكنها تخطو
في الوقت الحاضر خطوات سريعة جداً وعندما ينضم سواد الأجراء
الزراعيين ، والمياومين والفلاحين الفقراء المعدمين الى اخوانهم
في المدن فان العمال الالمان سينتصرون ويقيمون نظاماً لا يعرف
فيه الشغيلة لا البؤس ولا الظلم
ولكن كيف يريد العمال الاشتراكيون-الديموقراطيون انقاذ
الشعب من البؤس ؟

* في طبعة عام ١٩٠٥ ، ورد بعد كلمة «البرلمان» النص التالي
«في عام ١٩٠٣ انتخب ثلاثة ملايين رجل راشد الاشتراكيين-الديموقراطيين» .
الناشر .

لكي نعرف ذلك ينبغي ان ندرك جيد الادراك مصدر بؤس الجماهير الغفيرة في ظل النظام الاجتماعي الحالي فالمدن الغنية تتكاثر وتتعاظم ويصار الى تشييد المخازن والمباني الفخمة والى مد الخطوط الحديدية والى استعمال شتى انواع الآلات والتحسينات في الصناعة كما في الزراعة بينا لا يزال ملايين الناس يتخبطون في لجة البؤس ويكدحون طوال حياتهم لمجرد اعالة اسرهم بل ثمة اكثر من ذلك فان عدد العاطلين عن العمل يتزايد بلا انقطاع وفي الارياف والمدن يزداد على الدوام عدد الذين لا يستطيعون ايجاد اي عمل ففي الارياف يتضورون جوعاً وفي المدن يضحمون فرق الصعاليك وطواير الحفاة وهم يندسّون كالحيوانات في اقبية الضواحي أو في اكواخ وحجيرات زرية كما هي عليه مثلاً الاكواخ والحجيرات في حيّ خيتروف رينوك بموسكو

كيف يمكن ذلك؟ الثروات ومظاهر البذخ تتكاثر على الدوام بينا الملايين والملايين من الناس الذين يخلقون كل هذه الثروات بكدهم يظلون مع ذلك فقراء وتعساء؟ الفلاحون يحصدهم الجوع والعمال يهيمنون بلا عمل بينما يشحن التجار من روسيا الى الخارج ملايين البودات (البود يساوي ١٦,٢٨٠ كيلوغراماً **المعرب**) من الحبوب وبينما المصانع والمعامل متوقفة عن العمل لأنه لا يُعرف الى اين تُرسل البضائع بالنظر لانعدام اسواق التصريف؟

سبب ذلك اولاً ان قسماً كبيراً جداً من الارض وكذلك المصانع والمعامل والمشاعل والآلات والابنية والسفن هي ملك عدد صغير من الاغنياء وهذه الاراضي وهذه المصانع والمشاعل حيث يشتغل عشرات الملايين من الناس تخص عدة آلاف او عدة عشرات الآلاف من الاغنياء ، من ملاكين عقارين

وتجار وصناعيين ولهؤلاء الاغنياء يبيع الشعب قوة عمله لقاء اجر لقاء كسرة من الخبز وكل ما يصنع علاوة على بدل اعالة العمال البائس ، انما يذهب لاملاء جيوب الاغنياء ذلك هو ربحهم تلك هي «ايراداتهم» وكل الفوائد الناجمة عن الآلات والتحسينات في العمل هي في مصلحة ملاكي الاراضي والراسماليين فهم يكدسون ثروات باهظة بينا الذين يشتغلون لا يتلقون سوى فتات بائسة ان العمال يجتمعون من اجل العمل فان الاستثمارات الزراعية الكبيرة والمصانع الكبيرة تضم المئات من العمال واحياناً الالوف وبفضل هذا العمل المشترك وبفضل استخدام شتى انواع الآلات تغدو النتيجة أوفر فان عاملاً واحداً ينتج أكثر بكثير مما كان ينتجه عشرات العمال كانوا يشتغلون فيما مضى بصورة منفردة ودون اية آلة ولكن هذه النتيجة ولكن انتاجية العمل هذه لا تفيد جميع الشغيلة انما تفيد فقط عدداً ضئيلاً من كبار ملاكي الاراضي وممن التجار والصناعيين

غالباً ما نسمع ان الملاكين العقاريين والتجار «يعطون» الشعب «عملاً» «يعطون» الفقراء مورداً للرزق يقال مثلاً ان فلاحى تلك المحلة «يعتاشون» من المصنع المجاور او من الاستثمار الزراعية المجاورة غير ان العمال هم الذين في الواقع يعتاشون من عملهم ويعيشون جميع الذين لا يشتغلون ولكن لقاء الاذن بالعمل في ارض الملاك العقاري او في المصنع او في السكة الحديدية يعطى العامل مجاناً المالك كل ما يصنع بينا لا يتلقى هو سوى اجر زهيد وهكذا نرى في الواقع ان ليس الملاكون العقاريون ولا التجار هم الذين يعطون العمال عملاً انما هم العمال الذين يعملون بعملهم الجميع مقدمين مجاناً قسماً كبيراً من كدحهم

لنتابع ان بؤس الشعب ناجم في جميع الدول المعاصرة عن كون الشغيلة يصنعون جميع انواع السلع من اجل البيع في السوق فان الصناعي والحرفي والملاك العقاري والفلاح الميسور يصنعون هذه السلعة او تلك ويربّون المواشي ويزرعون الحبوب ويحصدونها من اجل البيع من اجل كسب المال وغدا المال في كل مكان القوة الرئيسية فجميع منتجات الكدح البشري عرضة للمبادلة لقاء المال وبالمال يمكن شراء كل ما يراد بل يمكن شراء كائن بشري بالمال اي الزام رجل فقير على العمل لمن يملك المال فيما مضى كانت الارض القوة الرئيسية كان ذلك في عهد الاقطاعية كان مالك الارض يملك ايضاً القوة والسلطة اما الآن فان المال الرأسمال هو الذي غدا القوة الرئيسية بالمال يمكن شراء قدر ما يراد من الارض وبدون مال لا يمكن للمرء ان يفعل شيئاً ما حتى ولو كان يملك ارضاً اذ لن يكون معه ما يشتري به محراثاً او غير ذلك من ادوات الزراعة او ما يشتري به ماشية والبسة وغير ذلك من بضائع المدينة هذا عدا دفع الضرائب ونظراً لانعدام المال اقدم جميع الملاكين العقاريين تقريباً على رهن املاكهم لدى المصارف ولأجل الحصول على المال تستقرض الحكومة من الناس الاغنياء ومن اصحاب المصارف في العالم كله وتدفع من الفوائد سنوياً مئات الملايين من الروبلات وبسبب المال يشنّها الجميع اليوم حرباً ضارية بعضهم ضد بعض كل يريد ان يشتري بأبخس الاسعار وان يبيع بأعلى الاسعار كل يريد التفوق على الآخر كل يريد ان يبيع اكبر كمية ممكنة من البضائع ان يخفض الاسعار ان يخفي عن الآخرين سوقاً مفيدة للتصريف أو طلبية رابحة والناس الصغار، الحرفي الصغير والفلاح الصغير، هم اشدّ من يعانون من هذا

الاندفاع العام الى المال فانهم يظنون ابدأ وراء التاجر الغني او الفلاح الكانز وليس لديهم ابدأ اي احتياطي ويعيشون بالتقتير كل يوم بيومه وهم لدى كل صعوبة لدى كل مصيبة يضطرون لرهن اسمالهم الاخيرة او لبيع ماشيتهم باسعار بخسة واذا ما وقعوا في مخالاب الكولاكي (١٣١) او المرابي فانهم نادراً ما يتمكنون من خلع سلاسلهم وهم في معظم الاحيان يفقدون كل شيء ففي كل سنة ، يغلق عشرات الالوف ومئات الالوف من صغار الفلاحين والحرفيين بيوتهم ويسلمون حصصهم من الارض للمشاعة مجاناً ويغدون عمالاً اجراء واجراء زراعيين وفعلة بروليتاريين بينا يزداد اصحاب الثروة ثروة في هذا الصراع من اجل المال ان الاغنياء يكسبون المال في المصارف بالملايين ومئات الملايين من الروبلات ، ولا يغتنون بمالهم وحسب بل يغتنون ايضاً بالمال الذي يودعه الآخرون في المصارف ان الناس البسطاء الصغار لا يتقاضون لقاء عشرات او مئات الروبلات التي يودعونها في المصارف او في صناديق التوفير سوى فائدة قدرها ثلاثة او اربعة كوبيكات عن كل روبل بينا يكسب الاغنياء الملايين بواسطة هذه العشرات او مئات من الروبلات فيزيدون بها رقم اعمالهم ويكسبون عشرة كوبيكات او عشرين كوبيكاً بكل روبل

ولهذا يعلن العمال الاشتراكيون-الديمقراطيون ان الوسيلة الوحيدة لوضع حد لبؤس الشعب هي ان نغير النظام الحالي برمته في عموم البلاد ونقيم النظام الاشتراكي اي ان ننزع من كبار ملاكي الاراضي املاكهم ومن الصناعيين مصانعهم ومعاملهم ومن اصحاب المصارف رساميلهم وان نقضي على ملكيتهم الخاصة ونسلمها الى الشعب العامل في عموم البلاد حينذاك لن يتصرف بعمل العمال الناس الاغنياء الذين يعيشون

من عمل الآخرين بل العمال انفسهم ونوابهم حينذاك سيستفيد جميع الشغيلة جميع العمال من ثمار العمل المشترك ومن المنافع الناجمة عن كل التحسينات وكل الآلات حينذاك ستزداد الثروة بمزيد من السرعة لأن العمال سيشتغلون احسن من ذي قبل اذ انهم سيشتغلون لانفسهم لا للرأسماليين وسيكون يوم العمل أقصر وتحسن معيشة العمال وتتغير كل حياتهم تغيراً تاماً

غير انه ليس من السهل تغيير كل النظام في مجمل الدولة فانه يقتضى لهذا الغرض الكثير من الجهد والكثير من النضال العنيد الصبور ان جميع الاغنياء جميع الملاكين اي كل البرجوازية * سيدافعون عن ثرواتهم بكل قواهم كما ان الموظفين والجيش سيؤمنون الدفاع عن كل الطبقة الغنية لأن الحكومة نفسها هي في ايدي هذه الطبقة فينبغي على العمال ان يرصوا صفوفهم ويصبحوا كرجل واحد من اجل النضال ضد جميع الذين يعيشون من عمل الآخرين ينبغي عليهم ان يتحدوا وان يوحدوا جميع غير المالكين لكي يشكلوا طبقة عاملة واحدة طبقة بروتيتارية واحدة ان النضال لن يكون سهلاً على الطبقة العاملة ولكنه سينتهي حتماً بانتصار العمال لأن البرجوازية اي الذين يعيشون من عمل الآخرين لا تشكل سوى قسم ضئيل من الشعب بينا تشكل الطبقة العاملة اغلبية الشعب الساحقة العمال ضد الملاكين ، انما هم الملايين ضد الآلاف

* البرجوازي هو المالك والبرجوازية هي جميع المالكين مجتمعين والبرجوازي الكبير هو المالك الكبير . والبرجوازي الصغير هو المالك الصغير . والبرجوازية والبروليتاريا انما هم المالكون والعمال ، الأغنياء وغير المالكين ، الذين يعيشون من عمل الآخرين والذين يشتغلون للغير لقاء أجر .

ان عمال روسيا اخذوا يتحدون في حزب اشتراكي-ديموقراطي عمالي واحد بقصد خوض هذا النضال العظيم ومهما كان الاتحاد صعباً في الظروف السرية ، في ظروف التخفي عن البوليس فان هذا الاتحاد يقوى مع ذلك على الدوام ويتسع مع ذلك على الدوام وعندما يظفر الشعب الروسي بالحرية السياسية فان قضية اتحاد الطبقة العاملة قضية الاشتراكية ستتقدم بمزيد من السرعة لا حد له واسرع بكثير مما تتقدم به عند العمال الالمان .

٣- الثروة والبؤس ، الملاكون والعمال في الارياف

اننا نعرف الآن ما يريد الاشتراكيون-الديموقراطيون انهم يريدون النضال ضد كل الطبقة الغنية لكي ينتشلوا الشعب من لجة البؤس والواقع ان البؤس عندنا في الارياف لا يقل عنه في المدن بل انه بالاحرى اشد واننا لن نتحدث هنا عن درجة الشدة التي بلغها البؤس في الارياف فكل عامل اقام مدة في الريف وكل فلاح يعرفان جيداً جداً ما ينطوي عليه البؤس والمجاعة والبرد والخراب في الريف

ولكن الفلاح يجهل لماذا يعاني البؤس والجوع والخراب وكيف العمل للخلاص من هذا الفقر ولكي نعرف ذلك ينبغي لنا اولاً ان ندرك من اين تتأتى جميع الحرمانات وكل البؤس في المدن والارياف لقد سبق لنا ان تحدثنا بايجاز في هذا الموضوع ورأينا انه يترتب على الفلاحين الفقراء والعمال في الارياف ان يتحالفوا مع عمال المدن ولكن ذلك لا يكفي ينبغي ايضاً معرفة من هم في الريف الذين سيسيروا مع الاغنياء مع الملاكين ومن هم الذين سيسيروا مع العمال ، مع الاشتراكيين-الديموقراطيين . ينبغي معرفة ما اذا كانوا كثيرين اولئك الفلاحون

الذين يعرفون لا اقل من الملاكين العقاريين كيف يكسبون الرساميل ويعيشون من عمل الغير فاذا لم ندرس هذه القضية درساً معمقاً فعبثاً جميع التحليلات والمحاكمات عن البؤس ولن يفهم فلاحو الريف الفقراء من هم في الريف اولئك الذين ينبغي التحالف فيما بينهم ومع عمال المدن وما ينبغي عمله لكي يكون هذا التحالف وطيداً لكي لا ينخدع الفلاح بالملك العقاري ، وليس هذا وحسب بل لكي لا ينخدع ايضاً بأحد زملائه الفلاح الغني .

لكي ندرك هذا الامر سنبحث الآن فيما هي عليه قوة الملاكين العقاريين في الارياف وما هي عليه قوة الفلاحين الاغنياء

لنبداً بالملاكين العقاريين يمكننا ان نحكم على قوتهم اولاً بمقدار الاراضي التي يملكونها ملكاً خاصاً ففي روسيا الاوروبية كانوا يقدرّون مجمل الاراضي الفلاحية المشاعية والاراضي ذات التملك الخاص بحوالي ٢٤٠ مليون ديسياتين * (الديسياتين = ١٠٩٢٥ متراً مربعاً الناشئ) هذا عدا اراضي الدولة التي سنعود الى التحدث عنها فيها بعد ومن اصل هذه المساحة ٢٤٠ مليون ديسياتين يملك الفلاحون اي اكثر من عشرة ملايين أسرة ، ١٣١ مليون ديسياتين من الاراضي المشاعية بينا يملك الملاكون الخصوصيون اي اقل من نصف مليون أسرة ، ١٠٩ ملايين ديسياتين ولذا ، اذا اخذنا متوسط هذه الارقام نرى انه يعود لكل أسرة فلاحية ١٣ ديسياتيناً ، ولكل أسرة ملاك خصوصي

* جميع هذه الارقام والارقام التي تلي والتي تتعلق بمقدار الارض ، قد شاخت كثيراً فهي تعود الى سنتي ١٨٧٧-١٨٧٨ غير انه ليس هناك ارقام أحدث وليس بوسع الحكومة الروسية البقاء والصمود إلا في الظلام ولهذا كان من النادر جداً في بلادنا جمع معلومات كاملة حقيقية عن حياة الشعب في عموم البلاد .

٢١٨ ديسياتيناً ! ولكن عدم المساواة في توزيع الارض اشد بروزاً
كما سنرى بعد قليل

فمن اصل ١٠٩ ملايين ديسياتين من الاراضي يحوزها
الملاكون الخصوصيون سبعة ملايين تخص الاقطاعات الاميرية
اي يملكها اعضاء اسرة القيصر فالقيصر مع اسرته هو الاول
بين اسياذ الاراضي في روسيا هو اغناهم ان اسرة واحدة
تملك من الاراضي اكثر مما تملكه نصف مليون اسرة فلاحية
ثم ان الكنيسة والاديرة تملك ما يقرب من ستة ملايين
ديسياتين ان كهنتنا يعطون الفلاحين بالزهد والتجرد بينا
استأثروا هم بجميع الوسائل الشرعية وغير الشرعية
بمساحات شاسعة من الاراضي

ثم ان المدن والمدن الصغيرة تملك حوالي مليوني
ديسياتين كما ان شتى الجمعيات والشركات التجارية والصناعية
تملك المساحة نفسها وثمان مائة مليون ديسياتين (وبالأصح
٩١٦٠٥٨٤٥ ديسياتيناً ولكننا سنورد هنا ارقاماً مبسطة
لمزيد من التبسيط) تخص اقل من نصف مليون (٣٥٨ ٤٨١)
اسرة من الملاكين الخصوصيين ونصف هذا العدد من الاسر
ملاكون صغار جداً فكل منهم يملك اقل من عشرة ديسياتينات .
وجميعهم يملكون اقل من مليون ديسياتين بينما هناك ستة عشر الف
اسرة تملك بالاجمال خمسة وستين مليون ديسياتين وكل من
هذه الاسر تملك اكثر من الف ديسياتين اما اية مساحات
شاسعة من الاراضي متجمعة في ايدي كبار ملاكي الاراضي فاننا
لنرى ذلك في كون اقل من الف اسرة بقليل (٩٢٤) تملك كل
منها اكثر من عشرة آلاف ديسياتين من الاراضي وهي تملك
بالاجمال سبعة وعشرين مليون ديسياتين . ان الف اسرة تملك
قدر ما يملك مليوناً اسرة فلاحية .

ينجم مما سبق ان الملايين وعشرات الملايين من الناس هم فريسة البؤس والجوع وسيظلون دائماً فريسة البؤس والجوع طالما ان بضعة آلاف من كبار الاثرياء يملكون مثل هذه المساحات الشاسعة من الاراضي ومفهوم ان سلطة الدولة بدورها ان الحكومة نفسها (وان كانت الحكومة القيصرية) ستري نفسها ملزمة بان ترقص على مزامر هؤلاء الملاكين الكبار ومفهوم ان الفلاحين الفقراء لن يأملوا بان تمتد اليهم يد المساعدة من اي مكان ومن اي احد طالما لم يجمعوا صفوفهم بانفسهم لكي يؤلفوا طبقة واحدة بغية خوض نضال عنيد ضار ضد طبقة الملاكين العقاريين هذه

ونلاحظ هنا ان في بلادنا كثيرين (وحتى كثيرين من الناس المتعلمين) ممن ينادون بوجهة نظر خاطئة تماماً فيما يتعلق بقوة طبقة الملاكين العقاريين اذ يقولون ان «الدولة» تملك اكثر منهم من الاراضي ان ناصحي الفلاح الاردباء هؤلاء يزعمون قائلين «ان قسماً كبيراً من مساحة روسيا (اي كل اراضيها) اصبح ملك «الدولة» (هذه الكلمات وردت في صحيفة «ريفوليوتسيوناييا روسيا» «روسيا الثورية» ، العدد ٨ ، ص ٨) . اما مصدر ضلال هؤلاء القوم فهو التالي لقد سمعوا ان ثمة ١٥٠ مليون ديسياتين من الاراضي في روسيا الاوروبية هي ملك الدولة هذا صحيح بالفعل ولكنهم ينسون ان هذه الاملاك ١٥٠ مليون ديسياتين هي كلها تقريباً اراض رديئة وغابات في اقصى الشمال في محافظات ارخنجلسك وفولوغدا وأولونيتس وفياتكا ويرم فتبقى اذن ضمن املاك الدولة اراض كانت حتى الآن غير صالحة اطلاقاً للزراعة . اما فيما يتعلق بالاراضي الجيدة ، فان الدولة تملك منها أقل من اربعة ملايين ديسياتين وهذه الاراضي الجيدة من املاك الدولة ، (مثلاً ، في محافظة سامارا حيث هي كثيرة جداً)

يستأجرها الاغنياء ببدل بخس ، وحتى دون مقابل تقريباً وهؤلاء الاغنياء يستأجرون من هذه الاراضي الآلاف وعشرات الآلاف من الديسياتينات لكي يؤجروها بدورهم الى الفلاحين ببدلات تزيد ثلاثة اضعاف

يقيناً انهم ناصحون اردباء هؤلاء الذين ينصحون الفلاح قائلين ان املاك الدولة تشتمل على كثير من الاراضي ولكن الواقع يبين ان الكثير من الاراضي الجيدة هي في ايدي كبار الملاكين الخصوصيين (ومنهم القيصر) وان هؤلاء الملاكين العقارين الكبار يضعون ايديهم حتى على املاك الدولة وطالما ان الفلاحين الفقراء لا يتحدون لكي يصبحوا باتحادهم قوة هائلة فان «الدولة» ستظل ابدأ الخادم الذليل لطبقة الملاكين العقارين وينبغي الا يغيب عن البال الامر التالي فيما مضى كان النبلاء وحدهم او تقريباً وحدهم ملاكين عقارين وما يزال النبلاء يملكون اليوم مساحة كبيرة من الارض (كان من المقدّر ان ١١٥٠٠٠ من النبلاء يملكون ٧٣ مليون ديسياتين في ١٨٧٧-١٨٧٨) ولكن المال الرأسمال هو الذي غدا اليوم القوة الرئيسية فان التجار والفلاحين الاغنياء قد اشتروا مساحات هائلة من الاراضي. ومن المقدّر ان النبلاء قد خسروا (اي انهم باعوا أكثر مما اشتروا) من الاراضي ما تزيد قيمته على ٦٠٠ مليون روبل وذلك في مدى ثلاثين سنة (من ١٨٦٣ الى ١٨٩٢) وقد حصل التجار والمواطنون المميزون على مساحة من هذه الاراضي تبلغ قيمتها ٢٥٠ مليون روبل وحصل الفلاحون والقوزاق و«سائر الرعاغ الريفيين» (هكذا تسمى حكومتنا الناس البسطاء على خلاف «الجمهور النبيل» «الجمهور الحقيقي») على مساحة من هذه الاراضي تبلغ قيمتها ٣٠٠ مليون روبل واننا لنرى بالتالي ان فلاحى عموم روسيا يشترون كل سنة ، بصورة وسطية ،

وكملكية خاصة ما قيمته ١٠ ملايين روبل من الاراضي يضمونها الى املاكهم

وهكذا نرى فلاحين من مختلف الفئات بعضهم يعاني البؤس والمجاعة والآخرين يفتنون ولذا يزداد عدد الفلاحين الاغنياء وهم يميلون نحو الملاكين العقاريين وسيقفون الى جانب الاغنياء ضد العمال اما الفلاحون الفقراء الذين يريدون التحالف مع عمال المدن فعليهم ان يفكروا بالامر ملياً وان يوضعوا مسألة معرفة ما اذا كان الفلاحون الاغنياء كثيري العدد ، وما هي قوتهم واي اتحاد يقتضى لنا لكي نخوض النضال ضد هذه القوة لقد تحدثنا آنفاً عن ناصحي الفلاح الاردياء ان هؤلاء الناصحين الاردياء يحبون ان يقولوا لقد شكل الفلاحون اتحاداً وهذا الاتحاد هو «المير» المشاعة و«المير» قوة هامة فهي تضم الفلاحين بصورة وثيقة ان منظمة (اي تجمع اتحاد) فلاحي المشاعات هي منظمة جبارة (اي هائلة ، كبيرة جداً)

هذا خطأ هذه حكاية خرافية وانها لحكاية رغم ان اناساً طبيين قد تصوّروها . واذا ما اخذنا في الاستماع الى الحكايات ، فاننا نسيء الى قضيتنا ، اي الى تحالف الفلاحين الفقراء مع عمال المدن ليتطلع كل ساكن في الارياف الى ما حوله بانتباه فهل «المير» المشاعة الفلاحية ، تشبه اتحاد الفلاحين الفقراء من اجل النضال ضد جميع الاغنياء ، ضد جميع الذين يعيشون من عمل الغير ؟ كلا ، انها لا تشبهه ولا يمكن لها ان تشبهه في كل قرية في كل مشاعة كثيرون من الاجراء الزراعيين كثيرون من الفلاحين الذين افتقروا ؛ وهناك اغنياء يستخدمون عمالاً زراعيين ويشترون الارض «الى الابد» هؤلاء الاغنياء هم ايضاً اعضاء في المشاعة ويسودون فيها كالاسياد لانهم يشكلون قوة فهل هذا الاتحاد الذي يشترك فيه الاغنياء ويسودون فيه كالاسياد هو الاتحاد الذي

ينبغي لنا ؟ كلا ابدأ ينبغي لنا اتحاد من اجل النضال ضد
الاغنياء ولذا كان الاتحاد المشاعي لا يصلح لنا اطلاقاً
ينبغي لنا اتحاد قائم على حرية القبول ، اتحاد من اناس فهموا
انه يترتب عليهم التحالف مع عمال المدن في حين ان
المشاعة ليست اتحاداً قائماً على حرية القبول انما هي اتحاد
اداري فالمشاعة لا تضم اولئك الذين يشتغلون للاغنياء
والذين يريدون ان يناضلوا معاً ضد الاغنياء انما تضم شتى
انواع القوم لا بملء ارادتهم بل لأن آباءهم عاشوا في هذه
الارض ، واشتغلوا لهذا الملاك العقاري لأن السلطات سجلتهم في
هذه المشاعة فالفلاحون الفقراء لا يستطيعون الخروج من المشاعة
بحرية ولا يستطيعون ان يقبلوا فيها غريباً فرض عليه البوليس
الاقامة في ناحية اخرى والحال ، ان ما ينبغي لاتحادنا ، قد يكون ان
يقيم هذا الغريب بيننا كلا ينبغي لنا اتحاد آخر اتحاد قائم
على حرية القبول اتحاد لا يضم غير العمال الزراعيين والفلاحين
الفقراء ، من اجل النضال ضد جميع الذين يعيشون من عمل الغير
لقد ولت الازمان التي كانت فيها «المير» (المشاعة) قوة
ولن تعود هذه الازمان ابدأ لقد كانت «المير» قوة ، عندما لم يكن
ثمة تقريباً بين الفلاحين اجراء زراعيون ولا عمال يهيمنون عبر روسيا
سعيّاً وراء مورد للعيش عندما لم يكن ثمة تقريباً اثرياء كبار
وعندما كان الاقطاعي ينيخ بثقله على الجميع دون اي تمييز اما
اليوم فان المال هو القوة الرئيسية فالمال هو الذي يدفع
اعضاء مشاعة واحدة الى التصارع كالوحوش الكاسرة والفلاحون
الذين يملكون المال ينيخون بثقلهم على اعضاء مشاعتهم وينهبونهم
أشد مما كان ينهبهم الملاك العقاري فما ينبغي لنا الآن ليس
اتحاداً مشاعياً بل اتحاد ضد جبروت المال ضد سلطة
الراسمال ، اتحاد جميع العمال الزراعيين والفلاحين الفقراء من

مختلف المشاعات اتحاد جميع الفلاحين الفقراء مع عمال المدن بغية النضال ضد الملاكين العقاريين والفلاحين الاغنياء دون اي تمييز

لقد رأينا آنفاً ما هي قوة الملاكين العقاريين لنر الآن اذا كان الفلاحون الاغنياء كثيرين وما هي قوتهم

لقد حكمنا على قوة الملاكين العقاريين وفقاً لمقدار الارض التي يحوزون ان الملاكين العقاريين يتصرفون بارضهم كما يطيب لهم وهم يشترونها وبيعونها بحرية ولذا يمكن الحكم بكل دقة على قوتهم وفقاً لمساحة الارض التي يحوزون اما الفلاحون فلا يحق لهم عندنا حتى الآن التصرف بارضهم بحرية فما يزالون حتى الآن انصاف اقل مرتبطين بمشاعتهم ولذا لا يمكن الحكم على قوة الفلاحين الاغنياء وفقاً لمساحة الارض المشاعية التي يستغلونها ان الفلاحين الاغنياء لا يغتنون من الحصة المشاعية انهم يشترون مساحات كبيرة من الارض يشترون الارض اما «الى الابد» (اي كملكية خاصة) واما «لسنوات» (اي يستأجرون الارض) انهم يشترون الارض من الملاكين العقاريين كما يشترونها من الفلاحين الذين يتركون الارض او الذين يؤجرون حصصهم بدافع العوز ولذا كان من الاضمن تحديد الفلاحين الاغنياء والفلاحين المتوسطين والفلاحين الفقراء وفقاً لعدد الاحصنة التي يملكون فالفلاح الذي يملك عدة احصنة هو دائماً تقريباً فلاح غني واذا كان لديه كثير من مواشي العمل فذلك يعني ان لديه كثيراً من الاراضي المزروعة وغيرها من الاراضي علاوة على الحصة المشاعية ، وان لديه مالا احتياطياً ثم اننا نستطيع ان نعرف عدد الفلاحين الذين يملك كل منهم عدة احصنة في عموم روسيا (روسيا الاوروبية عدا سيبيريا والقفقاس) ينبغي بالطبع الا ننسى انه ، فيما يتعلق بعموم روسيا ، لا يمكن التحدث الا بصورة

وسطية اذ ان هناك فرقاً بارزاً بين هذه الاقضية والمحافظات وتلك فغالباً ما نجد مثلاً ، حول المندن فلاحين مزارعين اغنياء لا يملكون الكثير من الاحصنة فالبعض يقوم بزراعة الخضراوات التي تدر عليه ايراداً حسناً والبعض الآخر يملك القليل من الاحصنة ، ولكنه يملك الكثير من البقر ويبيع الحليب وثمة ، في كل مكان من روسيا ، فلاحون لا يفتنون من الارض بل من التجارة فهم يقيمون مصانع الزبدة وقشائر الحبوب وغير ذلك من المصانع وجميع الذين يسكنون في الارياف يعرفون جيداً جداً الفلاحين الاغنياء في قريتهم أو في ناحيتهم غير انه ينبغي لنا ان نعرف عدد هؤلاء الفلاحين الاغنياء في عموم روسيا وما هي قوتهم لكي لا يسير الفلاح الفقير على غير هدى ، مغمض العينين بل لكي يعرف على وجه الضبط من هم اصداقاه ومن هم اعداؤه لذا سنرى اذا كانوا كثيرين الفلاحون الاغنياء والفلاحون الفقراء بالاحصنة لقد سبق لنا ان قلنا ان في روسيا ما يقرب من عشرة ملايين اسرة فلاحية ومن المحتمل انهم يملكون جميعاً ما يقرب من خمسة عشر مليون حسان (منذ اربعة عشر عاماً تقريباً كان هناك سبعة عشر مليون حسان والآن يوجد اقل مما مضى) اذا تملك كل عشر اسر بصورة وسطية خمسة عشر حساناً غير انه ينبغي الملاحظة ان البعض ، وهم قلائل ، يملكون الكثير من الاحصنة بينا الآخرون وهم كثيرون جداً يملكون القليل من الاحصنة أو لا يملكون ان الفلاحين الذين لا احصنة عندهم يبلغ عددهم على الاقل ثلاثة ملايين ، وثمة ما يقرب من ثلاثة ملايين ونصف مليون فلاح يملك كل منهم حساناً واحداً فقط وهؤلاء الفلاحون هم امماً فلاحون اصيبوا بالخراب الشامل وامماً فلاحون غير مالكين ونحن نسميهم فلاحين فقراء ويبلغ عددهم ستة ملايين ونصف مليون من اصل عشرة ملايين فلاح ، اي انهم يبلغون ما

يقرب من الثلثين ! ثم يأتي الفلاحون المتوسطون الذين يملك كل منهم زوجاً من ماشية العمل ويبلغ عدد اسر هؤلاء الفلاحين حوالي المليونين وعندهم نحو اربعة ملايين حسان ثم يأتي الفلاحون الاغنياء الذين يملك كل منهم اكثر من زوج من ماشية العمل ويبلغ عدد اسر هؤلاء الفلاحين الاغنياء مليوناً ونصف مليون ، ولكنهم يملكون سبعة ملايين ونصف مليون من الاحصنة * وهذا يعني ان ما يقرب من سدس الاسر الفلاحية يملك نصف مجمل الاحصنة

واستناداً الى ما ورد اعلاه نستطيع ان نحكم بما يكفي من الدقة على قوة الفلاحين الاغنياء فهم ليسوا كثيري العدد ففي مختلف المشاعات ، في مختلف النواحي ، سنجد عشر اسر او عشرين اسرة من الفلاحين الاغنياء من اصل كل مئة اسرة فلاحية ، ولكن هذه الاسر القليلة العدد هي اغنى الاسر ولهذا تملك في عموم روسيا من الاحصنة ما يقرب من كل ما يملكه جميع الفلاحين الآخرين معاً

* نكرر مرة اخرى اننا نورد الارقام الوسطية ، التقريبية قد لا يكون عدد الفلاحين الاغنياء مليوناً ونصف مليون بالضبط ، بل مليوناً وربعاً او مليوناً وثلاثة ارباع بل حتى مليونين ليس الفرق كبيراً وليس المقصود ان نأخذ بعين الاعتبار كل الف او كل مئة الف ؛ بل ان ندرك جيد الادراك ما هي قوة الفلاحين الاغنياء ، ما هو وضعهم ، لكي نعرف التمييز بين اعدائنا واصدقائنا ، لكي لا نخدع بشتى الاقاويل والترهات ، لكي نعرف بالضبط وضع الفلاحين الفقراء ولا سيما وضع الفلاحين الاغنياء فليدرس كل شغيل من شغيلة الريف عن كذب ناحيته والنواحي المجاورة فانه سرى ان حسابنا صحيح ، وان الرقم الوسطي سيكون على النحو التالي من اصل كل مئة اسرة ، عشرة اسر من الفلاحين الاغنياء او عشرون على الاكثر ، وعشرون اسرة تقريباً من الفلاحين المتوسطين ، والاسر الباقية اسر فلاحين فقراء .

ينجم بالتالي انهم يملكون ما يقرب من نصف جميع الاراضي المزروعة الفلاحية ان هؤلاء الفلاحين يحصدون من الحبوب اكثر بكثير مما ينبغي لاسرهم ويبيعون الكثير من الحبوب فهم لا يستخدمون الحبوب للتغذية وحسب ، بل للبيع ايضاً على الاخص لكسب المال هؤلاء الفلاحون يستطيعون ان يكدسوا المال وهم يودعونه في صناديق التوفير او في المصارف وهم يشترون الاراضي ملكاً لهم لقد سبق لنا ان تكلمنا عن كبر مساحة الاراضي التي يشتريها الفلاحون كل سنة في عموم روسيا فالفلاحون الاغنياء هؤلاء ، القليلو العدد يستأثرون بجميع هذه الاراضي تقريباً اما الفلاحون الفقراء فانهم لا يفكرون ابداً بشراء الاراضي ، انما يفكرون بباب للرزق بل ان المال ينقصهم في غالب الاحيان لشراء الخبز فكيف لا ينقصهم لشراء الارض ولذا فان جميع المصارف بوجه عام والمصرف الفلاحي بوجه خاص لا تساعد جميع الفلاحين في الحصول على الارض (كما يزعم غالباً اولئك الذين يخدعون الفلاح او كما يردد بعض الناس السذج) بل تساعد عدداً ضئيلاً من الفلاحين الفلاحين الاغنياء فقط ولذا فان ناصحي الفلاح الاردياء ، الذين سبق وتحدثنا عنهم ، لا يقولون الحقيقة فيما يتعلق بشراء الفلاحين الارض حين يزعمون ان هذه الارض تنتقل من الراسمال الى العمل فلا يمكن ابداً للارض ان تنتقل الى العمل ، اي الى العامل غير المالك لأن للارض ثمناً لأن الارض تتطلب المال والحال ان الفقراء لا يملكون ابداً مالاً يفيض عنهم ان الارض لا تنتقل الا الى الفلاحين الاغنياء الذين يملكون المال الى الراسمال الى الذين ضدّهم ينبغي ان يناضل الفلاحون الفقراء بالتحالف مع عمال المدن

ان الفلاحين الاغنياء لا يشترون فقط الارض الى الابد بل يعتمدون ايضاً على الاغلب الى استئجار الاراضي لعدة سنوات .

وهم باستئجارهم مساحات شاسعة من الاراضي انما يحرمون الفلاحين الفقراء منها ففي قضاء واحد من اقضية محافظة بولتافا مثلاً (قضاء كونسطنطينوغراد) ، تم تحديد مساحة الاراضي التي استأجرها الفلاحون الاغنياء وماذا كانت النتيجة ؟ لقد تبين ان الذين استأجروا مساحة قدرها ٣٠ ديسياتيناً واكثر بالنسبة لكل اسرة كانوا قليلي العدد جداً كانوا يشكلون اسرتين فقط من اصل ١٥ اسرة ولكن هؤلاء الاغنياء استأثروا بنصف مجموع الاراضي المستأجرة وهكذا حصل كل ثري على ٧٥ ديسياتيناً من الاراضي الموضوعه للايجار كذلك تم في محافظة توريدا تحديد ما استأثر به الاغنياء من الارض التي استأجرها الفلاحون من املاك الدولة **لحساب المشاعة** فقد تبين ان الاغنياء الذين يشكلون **خمس** الاسر فقط قد استأثروا **بثلاثة ارباع** مجموع الارض المستأجرة فان اقتسام الارض يجري في كل مكان على اساس المال والحال ان عدداً قليلاً جداً من الاغنياء يملكون المال

لنتابع ان الفلاحين انفسهم يؤجرون اليوم الكثير من الاراضي وهم يتخلون عن الحصص المشاعية لأنهم لا يملكون ماشية ولا بذاراً ولا اي شيء آخر لاستثمار حصصهم وبدون مال لا فائدة من الارض في الزمن الراهن ففي قضاء نوفووزنسك من محافظة سامارا مثلاً نرى ان اسرة او حتى اسرتين من كل ثلاث اسر بين الفلاحين الاغنياء **تستأجر الحصص** في مشاعتها أو في المشاعة المجاورة والفلاحون الذين لا يملكون احصنة أو الذين يملك كل منهم حصاناً واحداً هم الذين يطرحون حصصهم للايجار ففي محافظة توريدا ثلث اسر الفلاحين تؤجر حصصها ، اي ما يبلغ وبع جميع حصص الفلاحين او ربع مليون ديسياتين ومن ربع المليون هذا يستأثر الفلاحون الاغنياء بمئة وخمسين الف ديسياتين (اي ثلاثة اخماس) . هنا

ايضاً نستطيع ان نرى اذا كانت «المير» ، اذا كانت المشاعة توافق الفلاحين الفقراء ففي المشاعة الفلاحية القوي هو من يملك المال والحال ان ما ينبغي لنا انما هو تحالف الفلاحين الفقراء من مختلف المشاعات

وكما يمدعون الفلاح في مسألة شراء الارض كذلك يمدعونهم عندما يقولون له انه يستطيع ان يشتري باسعار زهيدة المحارث والحاصدات وشتى انواع الادوات المتقنة الاخرى وبينون مخازن الزيمستفو وينظمون ارتيلات ويقولون ان الادوات المتقنة ستحسن وضع الفلاح هذا كذب فان خيرة الادوات لا تعود الا للاغنياء بينما لا يتلقى الفلاحون الفقراء اية ادوات او يتلقون منها القليل القليل وعندهم ما يشغلهم عن التفكير بالمحاريث والحاصدات ، هو الا يموتوا جوعاً ! ان كل هذه «المساعدة للفلاحين» ليست سوى مساعدة للثرياء لا غير اما جمهور سواد الفقراء الذين لا ارض عندهم ولا ماشية ولا احتياطي فلا يمكن مساعدتهم بمجرد تخفيض اسعار خيرة الادوات ففي احد اقضية محافظة سامارا مثلاً جرى تعداد جميع الادوات المتقنة عند الفلاحين الاغنياء والفلاحين الفقراء وقد تبين ان خمس الاسر اي اكثر الفلاحين يسهراً يملكون ما يقرب من ثلاثة ارباع جميع الادوات المتقنة بينما لا يملك الفقراء اي نصف الاسر سوى جزء من ثلاثين ان عشرة آلاف اسرة من اصل ثمانية وعشرين الف اسرة في هذا القضاء هي اسر فلاحين لا تملك كل منها اي حصان او تملك كل منها حصاناً واحداً فقط وهذه الاسر العشرة الآلاف لا تملك كلها سوى سبع ادوات متقنة من اصل ٥٧٢٤ اداة متقنة تملكها جميع اسر الفلاحين في هذا القضاء سبع ادوات من اصل ٥٧٢٤ اداة ذلك هو نصيب الفلاحين الفقراء من جميع هذه الاتقانات من كل هذه التعميمات للمحاريث والحاصدات التي تساعد ، كما

يزعمون «سواد الفلاحين» وهذا ما ينبغي للفلاحين الفقراء ان ينتظروه من الذين يتحدثون عن «تحسين الاقتصاد الفلاحي» !
 واخيراً من ميزات الفلاحين الاغنياء الرئيسية انهم يستأجرون اجراء زراعيين ومياومين فالفلاحون الاغنياء شأنهم شأن الملاكين العقاريين يعيشون من عمل الغير وهم يغتنون شأنهم شأن الملاكين العقاريين لأن جماهير الفلاحين يفتقرون ويحل بهم الخراب وهم ، شأنهم شأن الملاكين العقاريين ، يجهدون لكي يشغلوا اجراءهم اكثر ما يمكن ولكي يدفعوا لهم اقل ما يمكن من الاجور ولو لم يكن ملايين الفلاحين مصابين بالخراب التام وملزمين بالعمل عند الغير وبتأجير اذرعهم وبيع قوة عملهم لما استطاع الفلاحون الاغنياء ان يعيشوا ويستثمروا حصصهم ولما كان بوسعهم الاستئثار بالحصص «المتروكة» ولا ايجاد عمال والحال ان مليوناً ونصف مليون من الفلاحين الاغنياء في عموم روسيا يستأجرون بكل تأكيد مليوناً على الاقل من الاجراء الزراعيين والمياومين ومفهوم ان الفلاحين الاغنياء سيقفون الى جانب الملاكين وضد الطبقة العاملة في غمرة النضال الكبير بين طبقة الملاكين وطبقة غير المالكين ، بين ارباب العمل والعمال ، بين البرجوازية والبروليتاريا
 اننا نعرف الآن وضع الفلاح الغني وقوته فلنر الآن كيف يعيش الفلاحون الفقراء

لقد سبق لنا ان قلنا ان الفلاحين الفقراء يشكلون اغلبية ساحقة اي ما يقرب من ثلثي جميع الاسر الفلاحية في عموم روسيا اولاً تعد الاسر التي لا تملك اي حسان ثلاثة ملايين اسرة على الاقل وقد تعد اكثر من ذلك ثلاثة ملايين ونصف مليون اسرة في الوقت الحاضر وكل سنة ماحلة كل موسم رديء يخرب عشرات الآلاف من الاستثمارات وعدد السكان ينمو باستمرار ، فيعيشون في ضيق متزايد الشدة ، بينما يستأثر

الملاكون العقاريون والفلاحون الاغنياء بكل الاراضي الطيبة وها ان الخراب يحل كل سنة بعدد متزايد ابدأ من الناس فيمضون يعملون في المدينة وفي المصانع ويشغلون اجراء زراعيين وفعلة ان الفلاح الذي لا حسان عنده هو الفلاح الذي لم يبق يملك شيئاً انه بروليتاري وهو يعيش (طالما يعيش أو يتقلب على جمر الحياة كما يستطيع) لا من الارض لا من استثمارته الريفية بل من العمل المأجور انه الاخ التوأم لعامل المدينة وما عساه ان يفعل بالارض الفلاح الذي لا حسان عنده ان نصف الاسر التي لا احصنة عندها تعرض حصصها للايجار بل انها تسلم احياناً هذه الحصص الى المشاعة مجاناً (حتى انها تدفع مبلغاً ما للتخلص منها!) لأنها لا تستطيع زراعة الارض ان الفلاح الذي لا حسان عنده يكاد لا يبذر مساحة قدرها ديسياتين واحد أو اثنان على الاكثر وهو مكروه ابدأ على شراء كمية اضافية من الحبوب (هذا اذا كان لديه مال) لأن حبوبه لا تكفيه ابدأ اما الفلاحون الذين يملك كل منهم حصاناً واحداً - ويبلغ عدد اسرهم ثلاثة ملايين ونصف مليون اسرة في عموم روسيا ، - فليسوا احسن حالاً بكثير لا ريب في ان ثمة استثناءات وقد سبق ان قلنا ان هناك فلاحين في بعض الاماكن يعيشون عيشة وسطية بل ثمة فلاحون اغنياء يملك كل منهم حصاناً واحداً فقط ولكننا لا نتحدث عن الاستثناءات ولا عن هذه المحلة أو تلك انما نتحدث عن عموم روسيا فاذا نظرنا الى سواد الفلاحين الذين يملك كل منهم حصاناً واحداً فقط رأينا بلا ريب انه سواد من الفلاحين الفقراء ومن المعوزين فالفلاح الذي يملك حصاناً واحداً يبذر حتى في المحافظات الزراعية ما مساحته ثلاثة ديسياتينات او اربعة ونادراً خمسة وحبوبه لا تكفيه ايضاً وحتى لو كانت السنة طيبة لما أكل احسن من الفلاح الذي لا حسان عنده ولذا فهو يعاني دائماً قلة التغذية ، يعاني دائماً

الجوع واستثمارته في انحطاط والماشية هزيلة اذ ينقصها العلف - وليس به قوة للعناية بارضه والفلاح الذي يملك حصاناً واحداً يستطيع ان ينفق مبلغاً لا يزيد على عشرين روبلاً بالسنة - في محافظة فورونيچ مثلاً - على كل استثمارته (هذا عدا علف الماشية) (اما الفلاح الغني فانه ينفق مبلغاً يزيد عشر مرات ٠) عشرون روبلاً بالسنة - لدفع بدل ايجار الارض وشراء الماشية واصلاح المحراث الخشبي وغير ذلك من العتاد ودفع اجرة الراعي وكل الباقي فهل يسمى هذا استثماراً ؟ كلا ! فاية ازعاجات واية اعمال شاقة واي عذاب دائم ولذا كان مفهوماً جيداً جداً لماذا يقدم عدد من الفلاحين الذين يملك كل منهم حصاناً واحداً فقط بل عدد كبير جداً منهم على تأجير حصصهم من الارض فالمعوز وان كان يملك ارضاً لا يفيد منها شيئاً كثيراً فاذا لم يكن لديه مال فان الارض لن تعطيه هذا المال ، بل انها لن تعطيه ما يعيش منه بينما ينبغي ابدأ المال للأكل للباس للاستثماره لدفع الضرائب ففي محافظة فورونيچ نرى ان مجرد الضرائب التي يسددها على العموم الفلاح الذي يملك حصاناً واحداً تبلغ حوالي ثمانية عشر روبلاً بالسنة والحال انه لا يكسب ابدأ اكثر من ٧٥ روبلاً بالسنة ويترتب عليه مع ذلك ان يجابه جميع النفقات وليس الا من قبيل السخرية اذا امكن التحدث هنا عن شراء الارض وعن العتاد المتقن وعن المصارف الريفية فكل هذه الامور لم تُخترع من اجل الفلاح الفقير ولكن اين يجد الفلاح المال في هذه الحال ؟ لا بد له من السعي وراء «مورد للرزق» ان الفلاح الذي يملك حصاناً واحداً شأنه شأن الفلاح الذي لا حصان عنده لا يستطيع ايجاد اي مخرج له الا بالسعي وراء «مورد للرزق» . وما يعني «مورد

للرزق» ؟ انه يعني العمل عند الآخرين القيام بعمل مأجور وهذا يعني ان الفلاح الذي يملك حصاناً واحداً لم يبقَ مستثمراً الا بصورة نصفية فقد غدا اجيراً بروليتارياً ولهذا يطلق على هؤلاء الفلاحين اسم **انصاف البروليتاريين** وهم ايضاً الاخوان التوائم لعمال المدن ، لأنهم ايضاً منهوبون بشتى الطرق من قبل شتى انواع الاسياد وهم ايضاً لا مخرج لهم ولا وسيلة للخلاص الا بالتحالف مع الاشتراكيين-الديموقراطيين من أجل النضال ضد جميع الاغنياء ، ضد جميع الملاكين فمن يعمل في بناء الخطوط الحديدية ؟ من ينهبه المتعهدون ؟ من يشتغل في قطع الخشب أو في تعويمه ؟ من يعمل اجيراً زراعياً ؟ من يشتغل بالمياومة ؟ من يقوم بالاعمال الخشنة في المدن وفي المرافئ ؟ انهم ابدأ الفلاحون الفقراء انهم ابدأ الفلاحون الذين لا احصنة عندهم أو يملك كل منهم حصاناً واحداً انهم ابدأ البروليتاريون وانصاف البروليتاريين من الريف واي جمهور غفير هؤلاء القوم في الارض الروسية من المقدّر ان السلطات تسلم كل سنة في عموم روسيا (عدا القفقاس وسيبيريا) ثمانية واحياناً تسعة ملايين تذكرة هوية وهؤلاء الحاصلون على تذاكر الهوية انما هم جميعاً عمال يشتغلون خارج قراهم ونواحيهم وهم ليسوا فلاحين الا بالاسم أما في الواقع ، فهم اجراء ، عمال ولذا ينبغي عليهم جميعاً ان يشكلوا اتحاداً واحداً مع عمال المدن وكل شعاع من نور ومعرفة يتسرب الى القرية ، سيقوّي هذا الاتحاد ويوطده

كذلك لا ينبغي نسيان الامر التالي بصدد «مورد الرزق» وهو ان جميع الموظفين والذين يفكرون مثلهم يحبون ان يردّوا ان الفلاح الموجيك «يحتاج» الى شيئين اولاً الارض (فقط مساحة غير كبيرة ، - ولكن ، من اين يأخذ الفلاح مساحة اكبر، ما دام الاغنياء قد استاثروا بالارض!) وثانياً ، «مورد للرزق».

ولذا يزعمون انه ، في سبيل مساعدة الشعب ، ينبغي تنظيم اكثر ما يمكن من الصناعات في الريف ، و«تأمين» «مورد للرزق» أوفر ان مثل هذه الاقاول رياء برياء ان «مورد الرزق» للفلاحين الفقراء انما هو العمل المأجور ان «تأمين مورد رزق» للفلاح ، انما يعني تحويله الى عامل أجير فيا لها من مساعدة رائعة ، لا عيب فيها ! اما الفلاحون الاغنياء فلهم «مورد رزق» آخر يتطلب الاموال لبناء طاحونة مثلاً أو اية مؤسسة اخرى لشراء درآسة للتجارة الخ فالخلط بين موارد الرزق هذه لاناس لديهم المال وبين عمل الفقراء المأجور انما يعني خداع الفقراء ان الاغنياء يفيدون بالطبع من هذا الكذب فمن المفيد لهم عرض الامور بصورة توهم الناس ان جميع الفلاحين يستطيعون الحصول على جميع «موارد الرزق» وان الوسائل متوافرة لهم من اجل هذا الغرض اما الذين يتمنون حقاً الخير للفلاحين الفقراء فانهم يقولون لهم كل الحقيقة وليس غير الحقيقة .

بقي علينا الآن ان نتحدث عن الفلاحين المتوسطين لقد رأينا آنفاً انه يمكننا ان نعتبر بصورة وسطية ان الفلاح المتوسط هو ، في عموم روسيا ، الفلاح الذي يملك ماشيتي عمل ، وان هناك ما يقرب من مليوني اسرة من الفلاحين المتوسطين من اصل عشرة ملايين اسرة فلاحية ان الفلاح المتوسط هو في الوسط بين الغني والبروليتاري ، - ولهذا يسمونه الفلاح المتوسط وهو يعيش بصورة وسطية فعندما تكون السنة طيبة يحصل من استثمارته على ما يكفي ، ولكن العوز يتربص به دائماً اذ انه لا يستطيع ان يوفر اية نقود أو انه يوفر منها قليلاً جداً ولهذا كانت استثمارته غير مستقرة ومن الصعب ان يجد المال فان استثمارته لا تؤمن له الا نادراً جداً المبلغ الذي يحتاج اليه ، واذا ما امت له مبلغاً ما ، فلا يتجاوز هذا المبلغ ابدأ المبلغ المطلوب .

وأذا شاء السعي وراء مورد للرزق اضطر لترك استثمارته
 اضطر لاهمال استثمارته ولكن كثيرين من الفلاحين
 المتوسطين لا يستطيعون الاستغناء عن مورد للرزق ولذا يضطرون
 للعمل اجراء للاستدلال امام الملاكين العقارين للاستدانة
 والحال ان الفلاح المتوسط لا يتوصل ابدأ تقريباً الى التخلص من
 الديون فليست لديه ايرادات ثابتة كما هي حال الفلاح الغني
 فاذا ما تقيّد بدين كان ذلك بمثابة جبل في عنقه فهو يظل
 غارقاً في ديونه الى ان يصاب بالخراب الشامل وفي غالب الاحيان
 يستسلم الفلاح المتوسط للملاك العقاري الذي يحتاج لبعض
 الاعمال المعينة ، الى فلاح لم يصب بالخراب ويملك حصانين وكل
 العتاد الضروري ومن الصعب على الفلاح المتوسط ان يشتغل
 خارج قريته وناحيته ولذا يستسلم ويخضع للملاك العقاري لكي
 يحصل على الخبز لكي يدفع بدل المرعى لكي يستأجر الاراضي
 المقتطعة من الفلاحين (اوتريزكي) (١٣٢) لكي
 يسدد دينه المالي الذي عقده في الشتاء وعدا الملاك العقاري
 والكولاكي نرى الجار الغني ينيخ بكله على الفلاح المتوسط
 فهو يسبقه لاخذ الارض ولا يترك ابدأ مناسبة دون ان يضغط عليه
 بهذا الشكل أو ذاك وهكذا يعيش الفلاح المتوسط لا سمك ولا
 طير فهو ليس بمستثمر حسن الادارة ولا بعامل ان جميع
 الفلاحين المتوسطين يرغبون في الارتفاع الى مستوى الاسياد انهم
 يريدون ان يصبحوا ملاكين ، ولكن قليلين منهم يبلغون هذا الهدف
 وليسوا بكثيرين اولئك الذين يستأجرون عمالاً زراعيين او مياومين
 ويسعون الى استغلال عمل الآخرين الى الاثراء على حساب الآخرين
 والحال ان اغلبية الفلاحين المتوسطين لا يستخدمون عمالاً آخرين
 انما يضطرون هم انفسهم الى الخدمة عند الغير
 وحيثما يحتدم النضال بين الاغنياء والفقراء ، بين الملاكين

والعمال ، يقف الفلاح المتوسط في الوسط ولا يعرف الى اي جانب يقف فلاغنياء يجذبونه الى جانبهم قائلين له ألسنت مستثمرات ألسنت ملاكاً وليس لك ما تفعله بين العمال المعوزين اما العمال فانهم يقولون له ان الاغنياء سيخدعونك ويسلبونك وليس ثمة اي خلاص لك الا بمساعدتنا في النضال ضد جميع الاغنياء ان هذا النزاع حول الفلاح المتوسط يستمر في كل مكان في جميع البلدان التي يناضل فيها العمال الاشتراكيون-الديموقراطيون من اجل تحرير الشعب العامل غير ان هذا النزاع ما يزال في بدايته في روسيا ولذا يتعين علينا ان ندرس هذه المسألة عن كثب وان ندرك جيداً باية اكاذيب يجرّ الاغنياء الفلاح المتوسط ، وما ينبغي القيام به من اجل فضح هذه الاكاذيب من اجل مساعدة الفلاح المتوسط في ايجاد اصدقائه الحقيقيين فاذا سار العمال الاشتراكيون-الديموقراطيون الروس في السبيل القويم منذ الخطوة الاولى ، استطعنا بصورة اسرع مما فعل رفاقنا العمال الألمان ان نشكّل اتحاداً مكيناً بين الشعب العامل في ايريف وبين عمال المدن واستطعنا التوصل بسرعة الى الانتصار على جميع اعداء الشغيلة

٤- الى اي جانب ينبغي
ان يقف الفلاح المتوسط ؟
الى جانب الملاكين والاغنياء
ام الى جانب العمال وغير المالكين ؟

ان جميع الملاكين ، ان كل البرجوازية يسعون الى اجتذاب الفلاح المتوسط الى جانبهم ، فهم يعدونه بشتى انواع التدابير التي تؤول الى تحسين استثمارته (محاوثة رخيصة الاسعار ، مصارف

ريفية ، اتباع طريقة زراعة الحشائش بيع المواشي والاسمدة باسعار مخفضة (الخ .) ويشركونه ايضاً بشتى انواع الاتحادات الزراعية (التعاونيات كما يسمونها في الكتب) وهي اتحادات بين شتى اصناف الملاكين من اجل تحسين الزراعة على هذا النحو تسعى البرجوازية جهدها الى ان تصرف الفلاح المتوسط وحتى الفلاح الصغير ، وحتى نصف البروليتاري ، عن الاتحاد مع العمال بل انها تريد تحريضهم على الوقوف الى جانب الاغنياء الى جانب البرجوازية ، في نضالها ضد العمال ، ضد البروليتاريا

اما العمال الاشتراكيون-الديموقراطيون فانهم يردون على هذه المساعي كما يلي ان تحسين الزراعة امر حسن فاي ضرر ينجم عن شراء المحارث باسعار رخيصة فالتاجر الفطن يحاول الآن ان يبيع باسعار رخيصة لكي يجتذب الزبائن ولكن عندما يقولون للفلاح الفقير وللفلاح المتوسط ان تحسين الزراعة وترخيص اسعار المحارث سيساعدان جميع الفلاحين الصغار والمتوسطين في التخلص من البؤس وفي النهوض من العثرة ، دون اي مساس بالاغنياء ، فذلك خداع بخداع . فالاغنياء هم اكثر من يربحون من جميع تخفيضات الاسعار ومن جميع هذه التحسينات والتعاونيات (اتحادات بيع وشراء البضائع) وهم يزدادون قوة على الدوام وينيخون اكثر فاكثروا على الدوام بكلكلهم على الفلاحين الفقراء والمتوسطين ولذا فان الفلاحين الفقراء وكذلك الفلاحين المتوسطين لن يتخلصوا ابدأ من البؤس ما دام الاغنياء اغنياء وما داموا يحوزون القسم الاكبر من الارض والماشية والعتاد والمال قد يتمكن فلاح أو فلاحان متوسطان من التسرب الى صفوف الاغنياء بفضل هذه التحسينات وهذه التعاونيات ولكن الشعب بأسره وجميع الفلاحين المتوسطين سيغرقون مع ذلك اعمق فاعمق في لجة البؤس . فلكي يصبح جميع الفلاحين المتوسطين اغنياء ، ينبغي

القضاء على الاغنياء انفسهم ولن يتحقق هذا الغرض الاً باتحاد عمال المدن مع الفلاحين الفقراء
 ان البرجوازية تقول للفلاح المتوسط (بل للفلاح الصغير) سنبيعك الارض والمحاريث باسعار رخيصة غير انه يترتب عليك ان تبيعنا روحك وتتخلي عن النضال ضد جميع الاغنياء
 اما العامل الاشتراكي-الديموقراطي فانه يقول اذا كانوا يبيعون فعلاً باسعار رخيصة ، فلماذا لا نشترى طالما معنا مال فتلك مسألة تجارية اما فيما يتعلق بالروح ، فينبغي الاً نبيعها ابدأ ان التخلي عن النضال بالتحالف مع عمال المدن ضد كل البرجوازية انما يعني البقاء ابدأ فريسة للبؤس والعوز فالغني يكسب اكثر من ترخيص اسعار البضائع ويغتني اكثر ولكن من ليس عنده ابدأ مال لن يفيد الرخص ابدأ طالما لم ينتزع هذا المال من البرجوازية

اليكم مثلاً ان انصار البرجوازية يتباهون بتعاونياتهم (اتحاداتهم للشراء باسعار رخيصة وللبيع باسعار طيبة) بل ثمة من يزعمون انهم «اشتراكيون-ثوريون» ويعلنون على اثر البرجوازية ، ان ما ينبغي بخاصة للفلاحين انما هو التعاونيات في روسيا ايضاً بدأ تنظيم مختلف التعاونيات ولكن عددها ما يزال قليلاً جداً في بلادنا وسيبقى قليلاً جداً طالما لم نظفر بالحرية السياسية اما في المانيا ، مثلاً ، فهناك عدد طائل جداً من شتى انواع التعاونيات بين الفلاحين ولكن انظروا من تفيد هذه التعاونيات اكثر من غيرهم في عموم المانيا ١٤٠٠٠٠٠ ملك ريفي منضمون الى تعاونيات لبيع الحليب ومنتجات الحليب وهؤلاء ١٤٠٠٠٠٠ (وناخذ مرة اخرى ارقاماً مبسطة لتبسيط الامور) يملكون ١١٠٠٠٠٠٠ بقرة وفي عموم المانيا اربعة ملايين فلاح فقير ، ٤٠٠٠٠ فقط منهم منضمون الى تعاونيات : ينجم اذاً ان فلاحاً

واحداً من اصل مئة فلاح فقير يفيد من هذه التعاونيات وهؤلاء الفلاحون الفقراء ٤٠٠٠٠٠ لا يملكون جميعاً سوى ١٠٠٠٠٠٠ بقرة ثم ان عدد الملاكين المتوسطين اي الفلاحين المتوسطين ، يبلغ مليوناً واحداً يشترك ٥٠٠٠٠٠ منهم في التعاونيات (اي خمسة اشخاص من كل مئة) وهم يملكون ٢٠٠٠٠٠٠ بقرة واخيراً هناك ثلث مليون مستثمر غني (اي من ملاكين عقارين وفلاحين اغنياء معاً) يشترك ٥٠٠٠٠٠ منهم في التعاونيات (اي سبعة عشر شخصاً من كل مئة!) وهم يملكون ٨٠٠٠٠٠٠ بقرة!

الى هؤلاء الاغنياء ، اليهم قبل كل شيء وفوق كل شيء ، تمد التعاونيات يد المساعدة هكذا يسخرون من الفلاح مع التباهي بانقاذ الفلاح المتوسط بوساطة شتى انواع الاتحادات للشراء باسعار رخيصة وللبيع باسعار طيبة يقيناً ان البرجوازية تريد ، بقليل من الكلفة ان «تشتري» الفلاح وتنتزعه من الاشتراكيين-الديموقراطيين الذين يدعون الفلاحين الفقراء والفلاحين المتوسطين على السواء الى الوقوف في جانبهم

كذلك ينشئون عندنا ارتيلات لصنع الجبنة ومراكز لجمع الحليب وعديدون هم عندنا الذين يعلنون ارتيلات و«ميرات» وجمعيات ، هذا ما يحتاج اليه الفلاح ولكن انظروا من تفيد هذه الارتيلات وهذه الجمعيات وهذه التاجيرات المشاعية فمن كل مئة اسرة عندنا ، عشرون اسرة على الاقل لا تملك اية منها بقرة وثلاثون اسرة تملك كل منها بقرة واحدة وهذه الاسر تباع حليبيها بدافع الحاجة القصوى ولا يبقى ثمة حليب لاطفالها فيتضورون جوعاً ويموتون كالذباب اما الفلاحون الاغنياء فان كلاً منهم يملك ثلاث بقرات او اربع ، او اكثر ، وهم يملكون جميعاً نصف جميع البقرات الموجودة في حوزة الفلاحين . فمن تفيد اذاً هذه

الارتيلات لصنع الجبنة ؟ اولاً ، بالطبع ، الملاكين العقارين والبرجوازية الريفية وبديهي انهم يقيدون اذا ما تبعمهم الفلاحون المتوسطون والفلاحون الفقراء ، اذا ما اعتبر هؤلاء ان الوسيلة للخلاص من اليأس ليست في نضال جميع العمال ضد مجمل البرجوازية ، بل في ميل الملاكين المنفردين الصغار الى التخلص من وضعهم والارتقاء الى مستوى الاغنياء .

وهذا الميل يدعمه ويشجعه بجميع الطرق جميع انصار البرجوازية الذين يزعمون انهم اصدقاء الفلاح الصغير وعديدون هم الناس السذج الذين لا يعرفون الذئب المتستر بثوب الحمل ويكررون الكذب البرجوازي ظانين انهم يقيدون بذلك الفلاح الصغير والفلاح المتوسط فهم يسعون ، مثلاً الى البرهان في الكتب والخطابات ان الاستثمارات الصغيرة هي الافيد والاربح وانها في ازدهار ولهذا كما يزعمون ، يوجد في كل مكان هذا العدد الكبير من المستثمرين الصغار في الزراعة ولهذا كما ترون كان هؤلاء المستثمرون الصغار شديدي التعلق بالارض (لا لأن أجود الاراضي هي في حوزة البرجوازية ولأن كل المال ايضاً في حوزتها بينما يتكدس الفلاحون الفقراء بعضهم فوق بعض ويكدحون طوال حياتهم على قطع صغيرة من الارض !). ويقول هؤلاء القوم ذوو الخطابات المعسولة ليس الفلاح الصغير بحاجة الى كثير من المال فالفلاح الصغير والفلاح المتوسط هما اكثر توفيراً واشد اجتهاداً من الفلاح الكبير وكل منهما يعرف كيف يعيش بمزيد من التواضع فبدلاً من ان يشتري كمية اضافية من العلف للماشية ، يدبّر الامر ببعض القش وبدلاً من ان يشتري آلة غالية الثمن ، ينهض باكراً ويكدح مدة اطول ويشغل جيداً كالألة وبدلاً من ان يعطي المال للآخرين من اجل الاصلاحات يأخذ بنفسه الفأس يوم العيد ليقطع الخشب وينجّر ، - الامر الذي يكلف اقل بكثير

مما يكلف الفلاح الكبير وبدلاً من ان ينفق على حصان أو على ثور يدبر الأمر ببقرته لكي يحرق الأرض فان جميع الفلاحين الفقراء الألمان يحرقون الأرض ببقراتهم؛ ثم ان البؤس بلغ حداً عندنا بدأت معه حراثة الأرض لا بالبقرات وحسب بل بالبشر أيضاً وما أفيد هذا! وما ارضه! اليس ذلك عملاً محموداً ان يكون الفلاح المتوسط والفلاح الفقير على ما هما عليه من الاجتهاد والاندفاع، وانهما يعيشان حياة بسيطة جداً ولا يتلهيان بالترهات ولا يفكران بالاشتراكية، بل باستثمارتيهما فقط! انهما لا يسيران على مثال العمال الذين يشنون الاضرابات ضد البرجوازية بل يسيران على مثال الاغنياء وليس لديهما سوى فكرة واحدة هي ان يكونا من الناس الوجهاء! فاذا كان كل امرى بمثل هذا الاندفاع وهذا الاجتهاد واذا عاش حياة بسيطة واذا لم يسكر واذا وفر مبلغاً من المال اكثر واذا انفق اقل على شراء شتى القطنيات واذا انجب عدداً اقل من الاولاد حينذاك يعيش جميع الناس في البجوحة، ولا يبقى ثمة اي بؤس واي حرمان!

تلك هي الخطب المعسولة التي ترددها البرجوازية على مسامع الفلاح المتوسط ومع ذلك ثمة سدج يصدقون هذه الخطب ويردونها! * غير ان جميع هذه الخطب المعسولة ليست في

* ان السدج الذين يريدون عندنا في روسيا الخير للموجيك والذين، مع ذلك، تزل السنتمهم ويلقون خطباً معسولة كهذه، يسمون «شعبيين» او «انصار الاستثمار الصغيرة» ووراءهم يسير «الاشتراكيون-الثوريون» بسبب غباوتهم وعند الالمان أيضاً، عدد كبير من الناس ذوي الكلام المعسول منهم ادوارد دافيد وقد كتب مؤخراً كتاباً ضخماً قال فيه ان الاستثمار الصغيرة هي أفيد بما لا يقاس من الاستثمار الكبيرة، لان الفلاح الصغير لا ينفق بلا جدوى، ولا يربي احصنة للحراثة بل يدبر الأمر ببقرته التي تعطيه حليباً أيضاً.

الواقع الا خداعاً للفلاح ، الا ازدراء به ان هؤلاء القوم يطلقون اسم الاستثمارة المفيدة الرخيصة التكاليف على البؤس البؤس المدقع الذي يدفع الفلاح المتوسط والفلاح الصغير الى الشغل من الصباح حتى الليل ، والى التوفير من كل لقمة خبز ، الى حرمان النفس من انفاق اي مبلغ زهيد من المال وبالفعل هل ثمة ما هو «ارخص» ، و«افيد» من لبس السروال نفسه ثلاث سنوات ، من الحفى ايام الصيف ، من شدّ المحراث الخشبي بخيط هزيل ومن اطعام البقرة القش العفن المنزوع عن سقف البيت ! فلو اكرهنا اي برجوازي أو اي فلاح غني على تحمل هذا النظام الاقتصادي «الرخيص» و«المفيد» ، لما طال به الامر حتى ينسى خطبه المعسولة ! ان الذين يطرون الاستثمارة الصغيرة يريدون احياناً تقديم خدمة للفلاح ولكنهم لا يحملون له ، في الواقع ، سوى الاذى ان خطبهم المعسولة تخدع الفلاح كما يخدع اليانصيب الشعب ساقول لكم ما هو اليانصيب عندي ، مثلاً ، بقرة تساوي خمسين روبلاً واريده ان اطرح هذه البقرة باليانصيب فاعرض على جميع الناس بطاقات ثمن كل منها روبل واحد يمكن للمرء ان يربح البقرة لقاء روبل واحد ويقع الناس في شباك الاغراء وتمطر الروبلات عليّ مداراً وحين اجمع مئة روبل ، اسحب اليانصيب فالرابح صاحب الحظ يأخذ البقرة لقاء روبل واحد ، بينما يمضي الآخرون خاسرين فهل هذه البقرة كلّفت الشعب «رخيصة» ؟ كلا انها كلّفت غالباً جداً لأن الناس دفعوا ضعف ثمنها لأن شخصين (الذي نظّم اليانصيب والذي ربح البقرة) قد اغتنيا دون اي جهد على حساب تسعة وتسعين شخصاً فقدوا مالهم ولذا كان الزعم القائل بان اليانصيب يفيد الشعب مجرد خداع للشعب كذلك يخدع الفلاح اولئك الذين يعدونه بمعالجة بؤسه وحرماناته بوساطة شتى انواع التعاونيات (جمعيات للبيع باسعار طيبة وللشراء

باسعار رخيصة) ، وشتى انواع التحسينات الزراعية ، والمصارف ، الخ وكما هو الحال في اليانصيب حيث الرابع واحد فقط ، بينا يخسر الآخرون ما دفعوه ، كذلك هي الحال هنا فان فلاحاً متوسطاً واحداً يدبر اموره ويصبح غنياً ، بينا يكدح رفاقه التسعة والتسعون طوال حياتهم دون ان يتخلصوا من البؤس ، بل انهم يزدادون خراباً على خراب ليدرس كل ساكن من سكان الريف الحالة في قريته وكل ناحيته عن قرب قريب فهل ثمة كثيرون من الفلاحين المتوسطين يصبحون اغنياء وينسون البؤس ؟ وكم هو عدد الفلاحين المتوسطين الذين لا يستطيعون الخلاص من البؤس طيلة حياتهم ؟ وكم هو عدد الذين يحل بهم الخراب ويهجرون قراهم ؟ فليس في عموم روسيا ، كما رأينا ، اكثر من مليوني استثمارة تخص الفلاحين المتوسطين لنفترض ان عدد الجمعيات للشراء باسعار رخيصة وللبيع باسعار طيبة قد ازداد عشرة اضعاف بالنسبة لما هو عليه في الوقت الراهن فالامَ يؤدي ذلك ؟ ان ١٠٠٠٠٠٠ فلاح متوسط ، على اكبر تقدير سيبلغون مستوى الاغنياء وماذا يعني هذا ؟ انه يعني ان خمسة من كل مئة فلاح متوسط قد اغتنوا والخمسة والتسعون الباقون ؟ ان حالتهم صعبة كما من قبل بل ان وطأة الحياة تشتد على الكثيرين منهم ! اما الفلاحون الفقراء فيشتد خرابهم ! وطبيعي ان البرجوازية لا تطلب اكثر من ان يسعى اكبر عدد من الفلاحين المتوسطين والفلاحين الفقراء الى بلوغ مستوى الاغنياء ، ومن ان يؤمنوا بامكانية الخلاص من البؤس دون النضال ضد البرجوازية ومن ان يعتمدوا على اجتهادهم وكدهم وتقتيرهم واثرائهم لا على التحالف مع عمال الارياف والمدن كما ان البرجوازية تبذل كل جهودها لتغذية هذا الايمان الكاذب وهذا الامل عند الفلاح ؛ وهي تسعى لتخديره بخطب معسولة .

لأجل فضح كذب جميع هؤلاء الناس ذوي الكلام المعسول
يكفي ان نطرح عليهم اسئلة ثلاثة .

السؤال الاول هل يستطيع الشعب العامل ان يتخلص من
الحرمانات والبؤس عندما يكون مئة مليون ديسياتين في روسيا من
اصل مئتين واربعين مليون ديسياتين من الاراضي الجيدة ملكاً
للملاكين الخصوصيين ؟ وعندما يحوز ستة عشر الفاً من كبار ملاكي
الاراضي خمسة وستين مليون ديسياتين من هذه الاراضي الجيدة ؟
السؤال الثاني هل يستطيع الشعب العامل ان يتخلص من
الحرمانات والبؤس عندما تكون مليون ونصف مليون اسرة من
الفلاحين الاغنياء (من اصل عشرة ملايين اسرة فلاحية) قد استأثرت
بنصف جميع الاراضي الفلاحية المزروعة ونصف جميع الاحصنة
الفلاحية ونصف كل المواشي الفلاحية وبأكثر بكثير من نصف
جميع الاحتياطات والتوفيرات النقدية لدى الفلاحين ؟ عندما تزداد
هذه البرجوازية الفلاحية ثراءً على الدوام ، منيخة بثقل على الفلاحين
الفقراء والمتوسطين جامعة الثروة من كدح الآخرين من كدح
الاجراء الزراعيين والمياومين ؟ عندما تكون ستة ملايين ونصف مليون
اسرة تتألف من فلاحين حلّ بهم الخراب وابدأ جائعين ويحصلون
على كسرة بائسة من الخبز بالقيام بشتى الاشغال المأجورة ؟

السؤال الثالث هل يستطيع الشعب العامل ان يتخلص من
الحرمانات والبؤس عندما يكون المال القوة الرئيسية وعندما يمكن
شراء كل شيء بالمال المصنع والارض بل الكائنات البشرية
لتحويلها الى عمال مأجورين الى ارقاء مأجورين ؟ عندما لا يستطيع
المرء دون المال لا ان يعيش ولا ان يستثمر حصته من الارض ؟
عندما يترتب على الملاك الصغير ، الفقير ، ان يناضل ضد المستثمر
الكبير لكي يحصل على المال ؟ عندما يكون عدة آلاف من الملاكين
العقاريين ، والتجار ، والصناعيين ، واصحاب المصارف قد

استأثروا بمئات الملايين من الروبلات ويتصرفون فوق ذلك بجميع المصارف التي تتجمع فيها آلاف الملايين من الروبلات ؟ انه ليستحيل على المرء ان يتهرب من الاجابة على هذه الاسئلة بنخبط معسولة حول فوائد الاستثمار الصغيرة او حول فوائد التعاونيات فليس لهذه الاسئلة سوى جواب واحد هو «التعاون» الحقيقي ، الذي يوسع انقاذ الشعب العامل ، هو التحالف بين الفلاحين الفقراء والعمال الاشتراكيين-الديموقراطيين في المدن من اجل النضال ضد البرجوازية برمتها وكما اتسع هذا التحالف ورسخ كلما ادرك الفلاح المتوسط بمزيد من السرعة كل كذب الوعود البرجوازية ، كلما انضم الفلاح المتوسط الى جانبنا بمزيد من السرعة ايضاً

والبرجوازية تعرف ذلك ، ولهذا فهي تلجأ ، علاوة على الخطب المعسولة الى نشر الاكاذيب عن الاشتراكيين-الديموقراطيين فهي تزعم ان الاشتراكيين-الديموقراطيين يريدون ان ينتزعوا ملكية الفلاح المتوسط والفلاح الصغير . هذا كذب . ان الاشتراكيين-الديموقراطيين يريدون ان ينتزعوا فقط ملكية كبار المستثمرين ، فقط ملكية الدين يعيشون من عمل الآخرين ان الاشتراكيين-الديموقراطيين لن ينتزعوا ابداً ملكية الملاكين الصغار والمتوسطين الذين لا يستخدمون عمالا اجراء . ان الاشتراكيين-الديموقراطيين يدافعون عن مصالح الشعب العامل بأسره ويحافظون عليها ، ولا يقصدون بذلك فقط مصالح عمال المدن الذين هم أكثر وعياً واتحاداً من الآخرين بل ايضاً مصالح عمال الارياف وكذلك مصالح الفلاحين وصغار الحرفيين اذا كانوا لا يستخدمون عمالاً ولا يسعون للارتقاء الى مستوى الاغنياء ، وللقوف الى جانب البرجوازية ان الاشتراكيين-الديموقراطيين انما يخوضون النضال لكي يؤمنوا للعمال والفلاحين جميع التحسينات في حياتهم التي يمكن تحقيقها حالاً ما دمنا لم نحطم بعد سيادة البرجوازية ، والتي ستسهل هذا النضال ضد البرجوازية . ولكن

الاشتراكيين-الديموقراطيين لا يمدعون الفلاح بل يقولون له كل الحقيقة انهم يعلنون سلفاً وبكل صراحة ان ليس ثمة اية تحسينات بوسعها انتشارال الشعب من لجة العوز والبؤس ما دامت سيادة البرجوازية ولكي يعرف الشعب بأسره من هم الاشتراكيون-الديموقراطيون وماذا يريدون وضع الاشتراكيون-الديموقراطيون برنامجهم* ان البرنامج هو عبارة عن بيان موجز وواضح ودقيق عن كل ما يريد الحزب بلوغه وعن كل ما يناضل في سبيله ان الحزب الاشتراكي-الديموقراطي هو الحزب الوحيد الذي صاغ برنامجاً واضحاً ودقيقاً لكي يعرفه الشعب ويراه ، لكي لا يضم الحزب سوى اناس يرغبون حقاً في خوض النضال من اجل تحرير كل الشعب العامل من نير البرجوازية ، اناس يدركون تماماً من هم الذين يجب عليهم ان يتحدوا في سبيل خوض هذا النضال ، وكيف ينبغي خوض هذا النضال وفوق ذلك ، يرى الاشتراكيون-الديموقراطيون انه ينبغي على الحزب ان يوضح في برنامجه ، بصورة جلية وعلناً وبدقة مصلو حرمانات الشعب العامل وبؤسه ولماذا يتسع اتحاد العمال ويزداد شدة وقوة فلا يكفي ان نعلن ان الحياة صعبة وان ندعو الى الثورة فان اي ثثار يعرف كيف يفعل ذلك ولكن دون فائدة كبيرة ينبغي ان يدرك الشعب العامل كل الادراك سبب تعاسته ومع من ينبغي عليه ان يتعهد للنضال في سبيل الخلاص من البؤس .

لقد قلنا ما يريده الاشتراكيون-الديموقراطيون ومن اين تتأتى حرمانات الشعب العمل وبؤسه وضد من ينبغي على

* انظر فيما بعد ، في آخر هذا المؤلف (« الى الفلاحين الفقراء ») ، الملحق - برنامج حزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا كما عرضته الجريدة الاشتراكية-الديموقراطية « الايسكرا » ومجلة « زاربا » . الناشر .

الفلاحين الفقراء ان يناضلوا ومع من ينبغي عليهم ان يتحدوا في سبيل القيام بهذا النضال .
والآن سنبين اية تحسينات في حياة العمال وفي حياة الفلاحين نستطيع ان نظفر بها الآن ، بفضل هذا النضال .

٥ - اية تحسينات يريد الاشتراكيون-الديموقراطيون تحقيقها من اجل الشعب كله ومن اجل العمال ؟

ان الاشتراكيين-الديموقراطيين يناضلون في سبيل تحرير الشعب العامل بأسره من كل نهب ، وكل ظلم ، وكل تعسف ولكي تتحرر الطبقة العاملة ، يتعيّن عليها قبل كل شيء ان تتحد ولهذا الغرض ينبغي ان تتوافر لها حرية التجمع وحق التجمع ، ينبغي ان تتوافر لها الحرية السياسية لقد سبق ان قلنا ان الحكم الاتوقراطي انما هو اذلال الشعب من قبل الموظفين والبوليس فالحرية السياسية ضرورية اذن لكل الشعب ، عدا قبضة من حاشية القصر وكبار اصحاب المراتب وكبار ذوي النفوذ الذين يلججون ابواب القصر ولكن الحرية السياسية ضرورية بوجه خاص للعمال والفلاحين فالاغنياء يستطيعون انقاذ انفسهم بالمال من تعسف الموظفين والبوليس وطغيانهم وبوسعهم ان يرتقوا اعلى الدرجات لرفع شكواهم ولذا يسمح رجال البوليس والموظفون لانفسهم بمحاكمة الاغنياء اقل بكثير جداً من محاكمة الفقراء وليس لدى العمال والفلاحين ما يرشون به البوليس والموظفين ، وليس لهم من يقدمون له شكواهم وليس لديهم اية وسيلة للدفاع عن انفسهم امام المحاكم ولن يستطيعوا ابدأ التخلص من طغيان البوليس والموظفين وتعسفهم ونهبهم وسلبيهم طالما لا تقوم في الدولة

حكومة منتخبة ، وجمعية نواب شعبية وهذه الجمعية هي وحدها التي تستطيع انقاذ الشعب من استغلال الموظفين له وعلى كل فلاح مدرك ان يقف الى جانب الاشتراكيين-الديموقراطيين الذين يطالبون الحكومة القيصرية قبل كل شيء وفوق كل شيء* بعقد جمعية شعبية من النواب ينبغي على جميع الناس دون تمييز في الفئة الاجتماعية التي اليها ينتسبون دون تمييز بين الاغنياء والفقراء ان ينتخبوا النواب ينبغي ان يكون الانتخاب حراً دون اية عقبة من جانب الموظفين ينبغي ان يُعهد بالسهر على حسن سير الانتخابات الى رجال ثقة لا الى افراد البوليس في القضاء ، ولا الى الزيمسكييه ناتشالنيكي وفي هذه الحال يستطيع نواب الشعب بأسره بحث كل حاجات الشعب واقامة نظام أفضل في روسيا**

ان الاشتراكيين-الديموقراطيين يطالبون بمنع البوليس من

* في طبعة عام ١٩٠٥ ، استعويض عن النص البادى بكلمة «يقف» والمنتهى بكلمات «فوق كل شيء» بالنص التالي : «ويؤيد المطلب القائل بان يصار على الفور الى» الناشر .

** في طبعة عام ١٩٠٥ ، ورد بعد كلمتي «في روسيا» النص التالي
ولقد سبق وقلنا ان دوما الدولة ليس جمعية حقيقية لنواب الشعب ، بل خداع بوليسي لان الانتخابات اليه غير متساوية (فان النبلاء والتجار يتفوقون فيه على الفلاحين والعمال) ، ولان الانتخابات اليه ليست حرة ، بل تجري تحت عصا البوليس ان دوما الدولة ليس جمعية شعبية من النواب ، بل جمعية بوليسية من النبلاء والتجار ودوما الدولة لا ينعقد لكي يؤمن حرية الشعب والادارة المنتخبة ، بل ينعقد لكي يخدع العمال والفلاحين ويشدد من الاستبداد النازل بهم ان الشعب ليس بحاجة الى دوما حكومي ، بل الى جمعية تأسيسية ينتخبها جميع المواطنين بحرية بدون اي استثناء وبالتساوي . الناشر .

سجن اي كان دون محاكمة ينبغي معاقبة الموظفين بصرامة اذا ما عمدوا الى الاعتقال الكيفي ان الموظفين يتصرفون كما يطيب لهم على هواهم فلأجل وضع حد لتصرفهم هذا ينبغي العمل بصورة ينتخبهم معها الشعب بنفسه بصورة يحق معها لأي كان تقديم الشكوى مباشرة الى المحكمة ضد اي كان من الموظفين وإلاّ فما الفائدة من تقديم الشكوى ضد احد افراد البوليس الريفي الى زيمسكي ناتشالنيك او ضد زيمسكي ناتشالنيك الى المحافظ ؟ غني عن البيان ان زيمسكي ناتشالنيك لن يلقي المسؤولية على رجل البوليس وان المحافظ لن يلقي المسؤولية بدوره على زيمسكي ناتشالنيك ؛ بل ان الشاكي هو الذي سيتحمل وزر شكواه . فيزجون به في السجن أو ينفونه الى سيبيريا لن يأخذ الخوف اي مأخذ من الموظفين الاّ عندما يصبح في روسيا (كما في جميع الدول الاخرى) من حق كل فرد تقديم الشكوى الى الجمعية الشعبية، الى المحكمة المنتخبة وعرض حاجاته بكل حرية أو نشرها في الصحف

ان الشعب الروسي يخضع حتى الآن لتبعية ذليلة ازاء الموظفين فبدون اذنه لا يحق له تنظيم الاجتماعات ولا طبع الكتب او الصحف ! اليس في ذلك تبعية ذليلة ؟ فاذا كان ممنوعاً تنظيم الاجتماعات العلنية وطبع الكتب العلنية ، فكيف العمل لكبح جماح الموظفين والاغنياء ؟ وبالطبع يمنع الموظفون كل كتاب حقيقي صادق ، كل كلمة حقيقية صادقة عن بؤس الشعب وهذا الكتاب بالضبط هو الذي يترتب على الحزب الاشتراكي-الديموقراطي طبعه سراً وتوزيعه ونشره سراً وكل من يجدون عنده هذا الكتاب سيساق امام المحاكم والى السجن ولكن العمال الاشتراكيين-الديموقراطيين لا يخافون المحاكم ولا السجن ، وهم يطبعون اكثر فاكثر على الدوام الكتب الحقيقية الصادقة للشعب ، ويوزعونها

اكثر فاكثر على الدوام وليس ثمة سجن ولا قمع بوسعهما ان يضعا حداً للنضال في سبيل حرية الشعب !

ان الاشتراكيين-الديموقراطيين يطالبون بالغاء امتيازات الفئات الاجتماعية بمساواة جميع مواطني الدولة مساواة تامة في الحقوق ففي بلادنا الآن فئات تتحمل الضرائب وفئات اخرى لا تتحملها ، في بلادنا مميزون وغير مميزين ، وفي بلادنا نبلاء وعامة ؛ بل ما يزال عقاب الجلد معمولاً به ويطبق على عامة الشعب وليس ثمة في اي بلد من البلدان مثل هذا الاذلال للعمال والفلاحين

وليس ثمة في اي بلد من البلدان قوانين مختلفة لمختلف الفئات الا في روسيا لقد حان للشعب الروسي ان يطالب بان يكون للموجيك جميع حقوق النبيل نفسها أليس من العار ان يظل معمولاً بعقاب الجلد بعد مضي اربعين سنة ونيف على الغاء القنانة وان يكون هناك فئة خاصة تخضع وحدها للضريبة ؟

ان الاشتراكيين-الديموقراطيين يطالبون بمنح الشعب الحرية التامة في التنقل وفي اختيار المهن والصنع وماذا تعني حرية التنقل ؟ انها تعني ان يكون الفلاح حراً في الذهاب الى حيث يشاء ، والاقامة حيث يطيّب له واختيار اية قرية من القرى أو اية مدينة من المدن ، دون ان يطلب الاذن من اي كان ينبغي إلغاء جوازات السفر في روسيا ايضاً (فقد الغيت منذ زمن بعيد في البلدان الاخرى) ينبغي الاّ يكون لأي فرد من افراد البوليس او لأي رجل من الزيمسكييه ناتشالنيكي الحق بمنع اي فلاح كان من السكن والشغل حيث يطيّب له ان الموجيك الروسي ما يزال خاضعاً للموظفين الى حدّ انه لا يستطيع المضي الى المدينة والاقامة فيها ولا الانتقال الى ارض اخرى والاقامة فيها بحرية والوزير يأمر المحافظين بمنع الهجرات غير المسموح بها فالمحافظ يعرف احسن من الموجيك الى اين ينبغي ان يمضي الموجيك ! فليس

الموجيك سوى طفل صغير ممنوع عليه ان يخطو اية خطوة دون موافقة ولاة الشان اليس هذا تبعية ذليلة ؟ ألا يعني هذا الهزء من الشعب عندما يكون لأي نُبَيْل صغير افلس في القمار حق التأمثر بالمزارعين الراشدين ؟

هناك كتاب اسمه «الموسم الرديء والكارثة الشعبية» (المجاعة) كتبه «وزير الزراعة» الحالي السيد يرمولوف وقد جاء فيه بوضوح ما يلي ينبغي الاّ ينتقل الموجيك من مكانه الى مكان آخر حين يكون السادة الملاكون العقاريون بحاجة الى الايدي العاملة ان الوزير يتكلم بصراحة وعلناً ودون حياء وهو يظن ان الموجيك لن يسمع اقواله هذه وانه لن يفهمها لماذا نسمح للفلاحين بالنزوح عن قراهم حين يكون للسادة الملاكون العقاريون بحاجة الى الايدي العاملة الرخيصة ؟ وكلما اشتد ضيق الشعب كان ذلك في مصلحة الملاكين العقارين وكلما تفاقم البؤس هبطت الاجور وتحمل الفلاحون شتى الوان الظلم بمزيد من الخضوع . وفيما مضى كان الوكلاء هم الذين يسهرون على مصلحة السيد اما الآن فهم الزيمسكييه ناتشالنيكي والمحافظ فيما مضى كان الوكلاء هم الذين يقررون تطبيق الجلد بالسوط في الاسطبل اما الآن فهم الزيمسكييه ناتشالنيكي الذين يأمرون بالجلد بالسوط في مكتب الناحية

ان الاشتراكيين-الديموقراطيين يطالبون بالغاء الجيش الدائم ، والاستعاضة عنه بنظام المقاومة الشعبية لكي يكون الشعب كله مسلحاً ان الجيش الدائم انما هو جيش منفصل عن الشعب ، يعدّونه لاطلاق النار على الشعب فاذا كانوا لا يحشرون الجندي سنوات في الثكنة واذا كانوا لا يدربونه بصورة غير انسانية ، فهل كان بوسع الجندي ان يطلق الرصاص على اخوانه ، على العمال والفلاحين ؟ وهل كان بوسع الجندي ان يمشي ضد الفلاحين

الجياح ؟ لأجل الدفاع عن الدولة ضد هجمات العدو ليس هناك
 ابداً حاجة لجيش دائم فالمقاومة الشعبية وحدها تكفي فاذا كان
 كل مواطن من مواطني الدولة مسلحاً فليس لروسيا ان تخشى
 اي عدو من الاعداء كذلك يتخلص الشعب من نير العسكرية
 فالدولة تنفق على الجيش مئات الملايين من الروبلات كل سنة
 وهذا المال انما تقتطعه من الشعب ، ولذا بلغت الضرائب هذا الحد
 من الفداحة ، وتفاقت مصاعب الحياة يوماً بعد يوم ان العسكرية
 تقوّي ايضاً من سلطة الموظفين والبوليس على الشعب وهي وسيلة
 لنهب الشعوب الاخرى ، هي وسيلة مثلاً لانتزاع الارض من
 الصينيين وحياة الشعب لا تصبح أسهل مما هي عليه بسبب
 العسكرية بل تزداد صعوبة من جراء الضرائب الجديدة التي
 تتطلبها العسكرية ان استبدال تسليح الشعب كله بالجيش
 الدائم من شأنه ان يسهل حياة جميع العمال وجميع الفلاحين الى
 حدّ كبير جدّاً

كذلك من شأن الغاء الضرائب غير المباشرة الذي يريد
 الاشتراكيون-الديموقراطيون تحقيقه ان يسهل حياة العمال
 والفلاحين الى حدّ كبير جدّاً ان الضرائب غير المباشرة هي
 الضرائب التي لا تستوفى مباشرة على الارض أو على الاستثمارة
 الريفية انما يؤدبها الشعب بصورة غير مباشرة عن طريق رفع
 اسعار البضائع فان الدولة تفرض الضرائب على السكر
 والفودكا ، والكاز والكبريت وجميع سلع الاستهلاك الاخرى
 وهذه الضرائب يدفعها التاجر أو الصناعي للدولة لا من ماله
 الشخصي طبعاً بل من المال الذي يدفعه له الشارون ولذا
 يزداد سعر الفودكا والسكر والكاز والكبريت وكل من
 يشتري زجاجة فودكا أو رطلاً من السكر لا يدفع فقط ثمن
 البضاعة بل يدفع ايضاً الضرائب المترتبة عليها . مثلاً ، اذا

دفعت لنقل اربعة عشر كوبيكاً ثمناً لرطل من السكر فان اربعة كوبيكات منها (تقريباً) تذهب الى الخزينة ضريبةً لقد سبق لصانع السكر ان دفع هذه الضريبة الى الخزينة وها هو الآن يقتطع من كل شار هذا المبلغ الذي دفعه وهكذا فان الضرائب غير المباشرة هي الضرائب التي تستوفى من ثمن حاجيات الاستهلاك والتي يدفعها الشاري عن طريق زيادة سعر البضاعة يقال احياناً ان الضرائب غير المباشرة هي اعدل الضرائب فالشاري يدفع حسب الكمية التي يشتريها ولكن ذلك كذب فالضرائب غير المباشرة هي اقل الضرائب عدلاً لأن الفقراء يتضايقون اكثر من الاغنياء عند دفعها فان دخل الغني هو ارفع من دخل الفلاح او العامل بعشرة اضعاف هذا اذا لم يكن ارفع منه بمئة ضعف ولكن هل يستهلك الغني من السكر مئة ضعف ما يستهلكه العامل والفلاح؟ ومن الفودكا أو الكبريت، عشرة اضعاف؟ او من الكاز؟ كلا، طبعاً ان اسرة غنية تشتري من الكاز والفودكا والسكر ضعفي ما تشتريه اسرة فقيرة، او ثلاثة اضعاف على الاكثر وهذا يعني ان الغني يدفع من دخله ضريبةً للدولة نصيباً أقل من النصيب الذي يدفعه الفقير من دخله ضريبةً للدولة ولنفترض ان دخل الفلاح الفقير مائتي روبل بالسنة ولنفترض انه يشتري بستين روبلاً كمية من البضائع التي تخضع للضريبة والتي يزداد سعرها من جراء ذلك (فالسكر والكبريت والكاز تخضع لضريبة تسمى رسم الانتاج اي ان المنتج يدفع الضريبة قبل بيع البضاعة في السوق اما الفودكا التي تنتجها ادارة حصر المشروبات، فان الدولة نفسها ترفع اسعارها وفيما يتعلق بالقطنيات والحديد وسائر البضائع فان اسعارها تزداد لأن البضائع الرخيصة المستوردة من الخارج لا تستطيع الدخول الى روسيا دون دفع رسوم عالية). فمن اصل هذه الروبلات الستين، عشرون روبلاً

تشكل الضريبة ولذا يدفع الفقير عشرة كوبيكات من كل روبل من دخله بشكل ضرائب غير مباشرة (هذا عدا الضرائب المباشرة وتعميضاات شراء الارض، والاتاوات النقدية والضرائب الزراعية، والضرائب للزيمستفو والناحية والمشاعة). اما الفلاح الغني، فان دخله يبلغ الف روبل، وهو يشتري بمئة وخمسين روبلاً كمية من البضائع التي تخضع للضريبة فيدفع خمسين روبلاً كضريبة (من اصل هذه الروبلات المائة والخمسين) ولذا لا يدفع الغني ضريبة غير مباشرة من كل روبل من دخله سوى خمسة كوبيكات وكلما ازداد غناه، قلّ ما يدفعه من دخله ضريبة غير مباشرة ولذا كانت الضرائب غير المباشرة اقل الضرائب عدلاً فان الضرائب غير المباشرة هي الضرائب التي تصيب الفقراء والفلاحون والعمال يشكّلون معاً تسعة اعشار مجموع السكان وهم يدفعون تسعة اعشار أو ثمانية اعشار الضرائب غير المباشرة كلها بينما لا يحصل الفلاحون والعمال، بلا ريب، على اكثر من اربعة اعشار مجمل الدخل في البلاد! ولهذا يطالب الاشتراكيون-الديموقراطيون بالغاء الضرائب غير المباشرة وبفرض ضريبة تصاعديّة على الدخل والارث وهذا يعني انه ينبغي ان تزداد الضريبة بقدر ما يزداد الدخل فمن بلغ دخله الف روبل ترتب عليه ان يدفع كوبيكاً واحداً عن كل روبل ومن بلغ دخله الف روبل ترتب عليه ان يدفع كوبيكين الخ.. اما الايرادات الصغيرة (التي لا تتجاوز مثلاً، مبلغ اربعمائة روبل)، فلا ينبغي ان تدفع اية ضريبة واما كبار الاغنياء فيترتب عليهم ان يدفعوا ضرائب باهظة ان هذه الضريبة المسماة ضريبة الدخل أو بالاصح الضريبة التصاعديّة على الدخل، هي اعدل بكثير من الضرائب غير المباشرة ولهذا يسعى الاشتراكيون-الديموقراطيون الى الغاء الضرائب غير المباشرة والى فرض ضريبة تصاعديّة على الدخل بيد انه غني عن البيان

ان جميع الملاكين كل البرجوازية ، لا يريدون ذلك ويعارضونه ان التحالف الوطيد بين الفلاحين الفقراء وعمال المدن هو وحده الذي يستطيع ان ينتزع هذا التحسين من البرجوازية واخيراً نمة تحسين على درجة بالغة من الاهمية بالنسبة لمجمل الشعب ولا سيما بالنسبة لفقراء الريف هو التعليم المجاني للأطفال ، وهو ما يطالب به الاشتراكيون-الديموقراطيون ففي الوقت الحاضر يوجد في الريف عدد من المدارس اقل بكثير من عددها في المدن هذا مع العلم ان الطبقات الغنيّة ان البرجوازية هي التي تتوافر لها في كل مكان امكانية تأمين تعليم جيد لابنائها فقط التعليم المجاني الالزامي لجميع الاطفال سيحرر الشعب وان جزئياً من الجهل الحالي والحال ، ان الفلاحين الفقراء يعانون بخاصة وطأة هذا الجهل وهم بحاجة ماسة الى التعليم بيد انه يقتضى لنا بالطبع تعليم حقيقي حرّ لا التعليم الذي يريده الموظفون والكهنة

ثم ان الاشتراكيين-الديموقراطيين يطلبون لكل انسان الحق المطلق بان يعتنق بكل حرية الدين الذي يريده فقط روسياً وتركياً بين الدول الاوروبية احتفظنا بالقوانين المخزية ضد الذين هم من دين آخر ، غير الدين الارثوذكسي ، ضد المنشقين ، واصحاب الملل الخاصة ، واليهود فان هذه القوانين تمنع صراحة هذا الدين او ذاك ، او تمنع نشره ، او انها تحرم من بعض الحقوق الناس الذين ينتسبون الى هذا الدين او ذاك ان جميع هذه القوانين هي اشد القوانين ظلماً وتعنتاً وخزياً ينبغي ان يكون لكل امرئ الحرية التامة باعتناق الدين الذي يريد كما ينبغي ان يكون له ايضاً الحرية التامة بنشره او باعتناق دين آخر وما من موظف ينبغي ان يكون له حق سؤال اي كان من الناس عن الدين الذي يعتنق . فتلك مسألة ضمير لا يحق لأي احد ان يتدخل فيها .

ينبغي ألا يكون هناك اي دين «سائده» او اية كنيسة «سائده» بل ينبغي ان تكون جميع الاديان وجميع الكنائس متساوية امام القانون وينبغي ألا يعيش رجال الدين من جميع الطوائف إلا على حساب الذين ينتمون الى طوائفهم ، ولا ينبغي للدولة ان تموّل بالاموال العامة ، اي دين أو اي رجل دين ، سواء اكان ارثوذكسياً، أم منشقاً ، أم من ملة خاصة ، أم غير ذلك وفي سبيل هذا يناضل الاشتراكيون-الديمقراطيون وطالما لا يصر الى تطبيق هذه التدابير دون اي تحفظ ودون اي تهرب فان الشعب لن يكون في مأمن من الاضطهادات البوليسية المخزية بسبب الدين ولا من الحسنات والتبرعات البوليسية المخزية ايضاً لأهل هذا الدين او ذلك

* * *

لقد بحثنا في التحسينات التي يسعى الاشتراكيون-الديمقراطيون الى تحقيقها لما فيه خير الشعب كله ولا سيما الفلاحون الفقراء لنر الآن اية تحسينات يجهدون لتحقيقها من اجل العمال ، لا عمال المصانع والمدن وحسب بل عمال الارياف ايضاً ان عمال المصانع والمعامل يعيشون في ضيق أشد مكدهسين بعضهم فوق بعض بصورة أشد وهم يشتغلون في مشاغل كبيرة ولذا كان من الأسهل عليهم الافادة من العون الذي يسديه اليهم الاشتراكيون-الديمقراطيون المثقفون لجميع هذه الاسباب ، بدأ عمال المدن ، قبل غيرهم بكثير ، النضال ضد ارباب العمل وحصلوا على تحسينات اهم بكثير بل حصلوا على سن قوانين عمالية ولكن الاشتراكيين-الديمقراطيين يناضلون في سبيل تحقيق التحسينات نفسها لجميع العمال الحرفيين الصغار الذين يشتغلون في بيوتهم لحساب ارباب العمل ، في المدن كما

في القرى والعمال الاجراء الذين يشتغلون عند صغار الحرفيين والصنّاع ، وعمال البناء (النجارين والبنائين الخ . .) وعمال الغابات والفعلة ، والعمال الزراعيين على حدّ سواء ان جميع هؤلاء العمال بدأوا يتحدثون منذ الآن في عموم روسيا على اثر عمال المصانع وبمساعدهتهم وهم يتحدثون للنضال من اجل شروط حياة افضل من اجل يوم عمل اقصر من اجل اجر ارفع ان الحزب الاشتراكي-الديموقراطي يأخذ على نفسه مهمة مساندة جميع العمال في نضالهم من اجل حياة افضل ومساعدتهم في تنظيم (حشد) اشد العمال ثقة وحزماً في اتحادات قوية واعانتهم عن طريق توزيع الكتب والمناشير بينهم وارسال العمال المجربين الى العمال غير المجربين ومساعدتهم بوجه عام بجميع الوسائل الممكنة وعندما نظفر بالحرية السياسية سيكون لنا ايضاً في جمعية النواب الشعبية ، رجال لنا ، سيكون لنا نواب عمال اشتراكيون-ديموقراطيون يعمدون مثل رفاقهم في البلدان الاخرى الى المطالبة بسن قوانين في صالح العمال

لن نعدد هنا جميع التحسينات التي يريد الحزب الاشتراكي-الديموقراطي تحقيقها في صالح العمال فهذه التحسينات معروضة في البرنامج ومشروحة بصورة مفصلة جداً في كراس «قضية العمال في روسيا» نكتفي الآن بذكر التحسينات الرئيسية ينبغي الاّ يتجاوز يوم العمل ثماني ساعات في اليوم ينبغي دائماً تكريس يوم واحد في الاسبوع للراحة ينبغي منع ساعات العمل الاضافي منعاً تاماً وكذلك العمل الليلي ينبغي ان يكون تعليم الاولاد مجاناً حتى السادسة عشرة من العمر ولذا ينبغي عدم تشغيل الذين لم يبلغوا هذه السن ينبغي عدم تشغيل النساء في الصناعات التي تضر بصحتهن ينبغي على رب العمل ان يدفع تعويضاً للعمال الذين يصابون بطوارئ العمل اثناء العمل ؛ مثلاً ،

الطوارئ التي تحدث للذين يشتغلون على الدراسات على المذاري الخ.. ينبغي دفع الاجور لجميع العمال الاجراء ودفعها دائماً مرة في الاسبوع ، لا مرة واحدة كل شهرين أو ثلاثة اشهر كما يحدث غالباً للذين يقومون باشغال الحقول فالعمال يهتم كثيراً ان يقبضوا اجرتهم بانتظام مرة في الاسبوع ، ونقدأ لا بضاعة فارباب العمل يحبون كثيراً ان يفرضوا على العمال ، على حساب اجورهم ، شتى انواع السلع الرديئة التي تزيد اسعارها ثلاثة اضعاف ؛ فلأجل وضع حد لهذه الفضيحة ينبغي اطلاقاً ان يمنع القانون دفع اجور العمال عيناً ثم انه ينبغي ان يتقاضى العمال المسنون راتباً تقاعدياً من الدولة فان العمال يعملون بعملهم كل الطبقات الغنية والدولة برمتها ولذا كان حقهم في الراتب التقاعدي لا يقل عن حق الموظفين الذين يفيدون من هذا الراتب ولكي لا يفكر ارباب العمل باستغلال وضعهم وبمخالفة الانظمة المقررة لصالح العمال ينبغي تعيين مفتشين لا للاشراف على المصانع وحسب بل للاشراف ايضاً على الاستثمارات العقارية الكبيرة وللأشراف بوجه عام على جميع المشروعات التي تستخدم عمالاً اجراء غير انه ينبغي ألا يكون هؤلاء المفتشون موظفين يعينهم الوزراء او المحافظون او البوليس انما ينبغي ان يكون المفتشون عمالاً منتخبين ، وينبغي على الدولة ان تدفع اجراً للذين يثق بهم العمال ويختارونهم بكل حرية وينبغي على هؤلاء النواب العمال ان يحرصوا ايضاً على ان تكون مساكن العمال حسنة الترتيب وعلى الأي يعمد ارباب العمل الى اسكان العمال في نوع من زرائب الكلاب او في اكواخ ترابية (كما يحدث غالباً في اثناء اشغال الحقول) وعلى ان يصار الى التقيد بنظام راحة العمال الخ.. ولكنه ينبغي عدم النسيان انه لن تكون ثمة اية جدوى من النواب الذين ينتخبهم العمال ما دامت الحرية السياسية غير متوافرة

وما دام البوليس كلي الجبروت وغير مسؤول امام الشعب ان جميع الناس يعرفون ان البوليس يعتقل الآن النواب العمال دون اية محاكمة ، بل يعتقل ايضاً كل عامل يجرؤ على التحدث باسم الجميع ، وعلى فضح انتهاك القانون ، وعلى دعوة العمال الى الاتحاد ولكن النواب العمال سيؤدون خدمة جلتي عندما تتوافر لنا الحرية السياسية

ينبغي منع جميع اصحاب العمل (من صناعيين وملاكين عقاريين ، ومتعهدي اشغال ، وفلاحين اغنياء) **مطلقاً** عن اجراء اية حسومات من تلقاء انفسهم على اجور العمال ، كاجراء حسومات لسبب سوء الصنعة وحسومات بشكل غرامات الخ .. فعندما يعمد ارباب العمل ، **بدافع سلطتهم** ، الى اجراء حسومات على اجور العمال ، فانهم يخالفون القانون ، ويرتكبون عملاً تعسفياً ينبغي عدم السماح لرب العمل بتخفيض اجور العمال ، باية حجة كانت ولا باي حسم كان ينبغي الا يكون رب العمل قاضياً ايضاً (ويا له من قاضٍ ممتاز هذا الذي يضع في جيبه الحسومات من اجرة العامل !) انما ينبغي الرجوع الى **محكمة حقيقية** وهذه المحكمة ينبغي اختيار اعضائها من بين العمال وارباب العمل على قدم المساواة فقط مثل هذه المحاكم تستطيع ان تحكم بانصاف بجميع دواعي استياء ارباب العمل من العمال وبجميع دواعي استياء العمال من ارباب العمل .

تلك هي التحسينات التي يريد الاشتراكيون-الديموقراطيون ان يصار الى تحقيقها في صالح الطبقة العاملة بأسرها ففي كل ضيقة ، في كل استثمار عقارية كبيرة ، وعند كل متعهد ، ينبغي على العمال ان يدرسوا معاً ، ومع اهل الثقة ، اية تحسينات ينبغي النضال من اجلها ، واية مطالب ينبغي تقديمها (ان مطالب العمال

لن تكون ، بالطبع ، متماثلة في مختلف المصانع وفي مختلف الاستثمارات العقارية الكبيرة ، وعند مختلف المتعهدين

ان اللجان الاشتراكية-الديموقراطية تساعد عمال روسيا كلها على صياغة مطالبهم بصورة واضحة دقيقة ، على اذاعة المناشير المطبوعة التي تعرض هذه المطالب لكي يطلع عليها جميع العمال ، وارباب العمل ، وولاة الشأن وعندما يكافح العمال معاً كرجل واحد في سبيل مطالبهم فان ارباب العمل يضطرون للتراجع وللقبول بمطالب العمال بهذه الوسيلة حصل عمال المدن على العديد من التحسينات وها ان الحرفيين الصغار وشتى اصحاب المهن اليدوية ، والعمال الريفيين اخذوا يتحدون الآن (ينتظمون) ويناضلون في سبيل مطالبهم وما دما لا نتمتع بالحرية السياسية ، فاننا نناضل في السرّ ، متسترين عن البوليس الذي يمنع المناشير والجمعيات العمالية على انواعها ولكن عندما نظفر بالحرية السياسية فاننا سنواصل هذا النضال على نطاق اوسع وعلنا على رؤوس الاشهاد لكي يتحد الشعب العامل في عموم روسيا ويدافع عن نفسه بمزيد من التضامن ضد الظلم وكلما ازداد عدد العمال في صفوف حزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي تعاظمت قوتهم وتوصلوا بمزيد من السرعة الى تحرير الطبقة العاملة تحريراً تاماً من كل ظلم ، من كل عمل مأجور، من كل عمل في صالح البرجوازية

* * *

لقد قلنا ان حزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي يعمل في سبيل تحقيق تحسينات لا للعمال وحسب بل لجميع الفلاحين ايضاً لنر الآن ما هي التحسينات التي يجهد للحصول عليها من اجل جميع الفلاحين .

٦- اية تحسينات يجهد الاشتراكيون الديمقراطيون للحصول عليها من اجل جميع الفلاحين ؟

من اجل تحرير جميع الشغيلة تحريراً تاماً ينبغي على الفلاحين الفقراء ان يعمدوا بالتحالف مع عمال المدن ، الى خوض النضال ضد البرجوازية برمتها بمن فيها الفلاحون الاغنياء ان الفلاحين الاغنياء يرغبون في ان يدفعوا لاجرائهم اجراً اقل ويجبروهم على العمل مدة اطول وبصورة اشق بينما يجهد عمال المدن والارياض لكي يحصل الاجراء الذين يشتغلون عند الفلاحين الاغنياء على اجرة احسن ولكي يكون عملهم اقل ضني ولكي يحصلوا على الراحة ولذا ينبغي على الفلاحين الفقراء ان يؤلفوا جمعيات خاصة بهم لا يشترك فيها الفلاحون الاغنياء ، - وقد سبق ان تحدثنا بهذا الصدد ، ولن نكف عن ترديد اقوالنا

ولكن الفلاحين جميع الفلاحين الاغنياء منهم والفقراء ما يزالون في روسيا مستعبدين من نواح عديدة كما في الماضي فهم يشكلون الفئة الدنيا ، السوداء ، الفئة التي تتحمل الضرائب انهم كلهم خاضعون لموظفي البوليس وللزيمسكييه ناتشالنيكي ؛ وكلهم يشتغلون في معظم الاحيان ، كما في الماضي ، لحساب السيد الملاك العقاري لقاء حق استثمار الاراضي المقتطعة من الفلاحين لقاء مسقى الماشية ، لقاء مرعى الماشية ، لقاء المرج ، تماماً كما كانوا يشتغلون للسيد الاقطاعي في عهد القنانة ان جميع الفلاحين يريدون التحرر من هذا الاستعباد الجديد جميعهم يريدون التمتع بجميع الحقوق ، جميعهم يكرهون الملاكين العقاريين الذين يجبرونهم حتى الآن على القيام باعمال السخرة على العمل في صالح السادة النبلاء لقاء الارض ، ومرعى الماشية ، ومسقى الماشية ، والمرج لقاء الاضرار التي تسببها الماشية ؛ والذين يجبرونهم حتى الآن على

ارسال نسائهم يحصدن ، «بدون اي اجر» ان الفلاحين الفقراء يعانون من واجبات العمل هذه اكثر مما يعاني الفلاحون الاغنياء فان الفلاحين الاغنياء يدفعون الاموال احياناً لانقاذ انفسهم من هذا العمل المترتب للاسياد الملاكين العقارين ، ولكن الملاكين العقارين يضطهدون الفلاحين الاغنياء ايضاً في معظم الاحيان اضطهاداً شديداً . ولذا ينبغي على الفلاحين الفقراء ان يناضلوا بالتحالف مع الفلاحين الاغنياء ضد استعباد الملاكين العقارين ضد جميع اعمال السخرة ، ضد جميع واجبات العمل اننا لن نتحرر من كل عبودية، من كل بؤس الا حين نتغلب على كل البرجوازية (بمن فيها الفلاحون الاغنياء) ولكن ثمة عبودية سنتخلص منها قبل غيرها لأن الفلاح الغني لا يعتبط بها ايضاً فما يزال في روسيا حتى اليوم كثير من الاماكن والنواحي ما يزال فيها جميع الفلاحين في الغالب كالاتنان تماماً ولذا ينبغي على جميع العمال الروس وعلى جميع الفلاحين الفقراء حوض النضال من جهتين من جهة ضد جميع البرجوازيين بالتحالف مع جميع العمال ومن جهة اخرى ضد الموظفين في الارياف ، ضد الملاكين الاقطاعيين ، بالتحالف مع جميع الفلاحين واذا لم يشكل الفلاحون الفقراء اتحاداً خاصاً لا يشترك فيه الفلاحون الاغنياء فان الفلاحين الاغنياء سيخدعون الفلاحين الفقراء ويواربونهم ويتحولون الى ملاكين عقارين ولن يكتفوا بابقاء الفلاحين الفقراء معدمين تماماً وحسب ، بل سيفرضون ايضاً منحهم حرية الاتحاد واذا لم يعمد الفلاحون الفقراء الى النضال بالتحالف مع الفلاحين الاغنياء ضد العبودية الاقطاعية فانهم سيظلون مربوطين بمكان واحد ولن يحصلوا ايضاً على الحرية التامة بالاتحاد مع عمال المدن

ينبغي على الفلاحين الفقراء ان يسددوا الضربة اولاً الى الملاكين العقارين ، وان يخلعوا على الاقل العبودية التي هي اقسى

العبوديات واشدها ضرراً والتي فرضها الأسياد الملاكون العقاريون وفي هذا المجال ، سيقف انصار البرجوازية والكثيرون من الفلاحين الاغنياء الى جانب الفلاحين الفقراء لأنه لم يبق في وسعهم احتمال ازدهار الاسياد وتعاليمهم ولكن ما ان نبتت قليلاً من سلطة الملاكين العقارين ، حتى يبرز الفلاح الغني ، ويمدّ مخالفه ، مخالفه الكلابية ، التي نهبت حتى الآن الكثير من الاشياء ولذا تنبغي اليقظة واقامة تحالف وطيد ، راسخ لا يتزعزع مع عمال المدن فان عمال المدن سيساعدون في حمل الملاك العقاري على التخلي عن عاداته القديمة الاقطاعية ، وفي تهدئة الفلاح الغني ايضاً (كما فعلوا الى حد ما مع ارباب العمل) فبدون التحالف مع عمال المدن لن يتحرر الفلاحون الفقراء ابداً من كل العبوديات وكل الحرمانات وكل البؤس وليس ثمة اي آخر سيساعدهم في هذا المجال ولا ينبغي لهم الاعتماد الا على انفسهم ولكن ثمة تحسينات سنحققها قبل غيرها بل نستطيع تحقيقها فوراً في بداية هذا النضال الكبير ففي روسيا امثلة عن الاستعباد زالت منذ زمن بعيد في البلدان الاخرى فمن هذا الاستعباد للموظف ، من هذا الاستعباد للسيد للاقطاعي يستطيع كل الفلاحين الروس ان يتخلصوا حالاً

والآن سندرس التحسينات التي يريد حزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي تحقيقها اولاً ، وبالدرجة الاولى من اجل تحرير كل الفلاحين الروس من اقسى عبودية اقطاعية على الاقل ومن اجل فك القيد عن يدي الفلاح الفقير في النضال ضد كل البرجوازية الروسية

ان المطلب الاول لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي هو التالي العمل فوراً على الغاء جميع التعويضات عن الاراضي وعلى الغاء جميع الاتاوات وجميع الالتزامات التي تثقل كواهل الفلاحين

«الذين يتحملون الضرائب» فعندما كانت لجان النبلاء وحكومة نبلاء القيصر الروسي «تعتق» الفلاحين من القنانة كانت تلزم الفلاحين بشراء اراضيهم نفسها من جديد ، بشراء الاراضي التي كان الفلاحون يزرعونها منذ اجيال واجيال ! كان ذلك ضرباً من النهب كانت لجان النبلاء تنهب الفلاحين بكل بساطة بمساعدة الحكومة القيصرية التي كانت ترسل الجيش الى العديد من الاماكن بقصد تطبيق الشرعات التنظيمية (١٣٣) بالقوة وبقصد انزال العقوبات العسكرية بالفلاحين الذين كانوا لا يقبلون بالاراضي المقتطعة «البائسة» ولولا مساعدة الجيش لولا التعذيبات والاعدامات رمياً بالرصاص ، لما استطاعت لجان النبلاء ابدأ ان تنهب الفلاحين بمثل الوقاحة التي نهبتهم بها في اثناء تحرير الفلاحين من القنانة ينبغي ان يتذكر الفلاحون على الدوام كيف خدعتهم لجان الملاكين العقارين لجان النبلاء ، وكيف نهبتهم لأن الحكومة القيصرية ما تزال تعين اليوم لجان نبلاء أو لجان موظفين عندما يتعلق الامر باصدار قوانين خاصة بالفلاحين فمنذ بعض الحين ، اصدر القيصر بياناً (بتاريخ ٢٦ فبراير - شباط - ١٩٠٣) وعد فيه باعادة النظر في القوانين الخاصة بالفلاحين وتحسينها ولكن من ذا الذي سيعيد النظر ؟ من اذ الذي سيحسن ؟ - النبلاء ايضاً ، والموظفون ايضاً وسيظل الفلاحون مخدوعين طالما لم يتوصلوا الى تأليف لجان فلاحية مهمتها تحسين حياة الفلاحين كفى ما حكم وما امر وما نهى الملاكون العقاريون والزمسكيه ناتشالنيكي وشتى اصناف الموظفين بحق الفلاحين ! كفى استعباداً للبوليس الريفي ، ولجميع ابناء النبلاء السكارى المدمنين الذين يعينونهم زمسكيه ناتشالنيكي او رؤساء البوليس في الاقضية ، او محافظين ينبغي على الفلاحين ان يطالبوا بحرية تصريف شؤونهم بانفسهم بحرية التفكير بانفسهم في القوانين الجديدة ، بحرية تعيينها وسنّها بانفسهم .

ينبغي عليهم ان يطالبوا بلجان فلاحية حرة ومنتخبة وطالما لم يحصلوا على هذا فسيظل النبلاء والموظفون يخدعونهم وينهبونهم وما من احد سينقذ الفلاحين من برائن الموظفين مصاصي الدماء اذا لم يحرر الفلاحون انفسهم بانفسهم ، اذا لم يتحدوا لأخذ مصيرهم بأيديهم ذاتها .

ان الاشتراكيين-الديموقراطيين لا يطلبون فقط الغاء تعويضات الاراضي والاتاوات وجميع الالتزامات الأخرى الغاء تاماً وفورياً بل يطلبون ايضاً أن تعاد الى الشعب هذه التعويضات المقتطعة منه ففي عموم روسيا ، دفع الفلاحون مئات الملايين من الروبلات منذ ان حررتهم لجان النبلاء من القنانة وهذه المبالغ انما ينبغي ان يستعيدها الفلاحون فلتفرض الحكومة ضريبة خاصة على كبار ملاكي الاراضي النبلاء لتؤخذ اراضي الاديرة والاقطاعات الاميرية (اي اراضي اسرة القيصر) لتنفق جمعية النواب الشعبية هذا المال في صالح الفلاحين فليس في العالم مكان بلغ فيه اذلال الفلاح وافقاره وهلاك الملايين من الفلاحين جوعاً ، حداً مرعباً كما في روسيا لقد اكره الفلاح في روسيا على الموت جوعاً لأنه سبق للجان النبلاء ان نهبتة لأنه يُنهب كل سنة منذ ذلك الحين باجباره على دفع جزبته القديمة للاقطاعيين القدماء المتبقين باجباره على دفع تعويضات الارض وعلى تسديد الاتاوات فليتحمل الذين ينهبونه وزر ما يفعلون لتؤخذ من كبار الملاكين النبلاء المبالغ الضرورية لاسداء معونة فعالة للجبياع فالفلاح الجائع ليس بحاجة الى الاحسان ولا الى الصدقات البائسة ليطلبينّ باعادة المبالغ التي دفعها طوال سنوات وسنوات للملاكين العقارين والدولة اذ ذاك تستطيع جمعية النواب الشعبية واللجان الفلاحية تقديم مساعدة حقيقية وجدّية للجبياع .

لنتابع ان حزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي يطالب بان يصار فوراً الى الغاء التكافل والتضامن (١٣٤) الغاء تاماً وكذلك جميع القوانين التي تحدّ من حرية تصرف الفلاح بارضه ان بيان القيصر الصادر بتاريخ ٢٦ فبراير - شباط - ١٩٠٣ يعد بالغاء التكافل والتضامن وقد صدر مؤخراً قانون ينص على الغائهما ولكن ذلك لا يكفي ينبغي فوق ذلك ان يصار فوراً الى الغاء جميع القوانين التي تحدّ من حرية تصرف الفلاح بارضه وبدون ذلك لن يكون الفلاح حراً تماماً حتى اذا الغي التكافل والتضامن بل يظل نصف قن ينبغي ان يتمتع الفلاح بحرية التصرف بارضه حرية تامة ينبغي ان يكون له حق التنازل عنها وبيعها لمن يشاء دون ان يطلب الاذن من اي كان وهذا ما لا يسمح به مرسوم القيصر فان جميع النبلاء والتجار والبرجوازيين الصغار يستطيعون التصرف باراضيهم بكل حرية باستثناء الفلاح فالفلاح ليس سوى طفل صغير ينبغي فرض اشراف زيمسكي ناتشالنيك عليه كما تشرف المربية على الطفل ينبغي منع الفلاح من بيع ارضه لانه قادر على تبديد ماله ! هكذا يفكر الاقطاعيون وثمة سذج بلهاء يصدّقونهم ويتمنون الخير للفلاح قائلين انه ينبغي منعه من بيع ارضه بل ان الشعبين (الذين سبق ان تحدثنا عنهم آنفاً) والذين يسمون انفسهم «اشتراكيين-ثوريين» يوافقون على رأي الاقطاعيين ايضاً وهم يرون انه من الافضل منع الفلاح من بيع ارضه ولو بقي قنّاً الى حدّ ما اما الاشتراكيون-الديموقراطيون فانهم يقولون هذا رياء برياء هذا يعني التظاهر بمظاهر الاسياد ، وهذه كلمات معسولة فقط فحين نحقق الاشتراكية وتتغلب الطبقة العاملة على البرجوازية تصبح كل الارض للجميع ولن يبقى لاي احد حق بيعها . ولكن من الآن حتى ذلك الحين ؟ النبيل والتاجر يستطيعان

بيع الارض ولكن الفلاح لا يستطيع بيعها ؟ النبيل والتاجر
حران بينا يظل الفلاح في حالة نصف قن اليس كذلك ؟
وسيظل الفلاح يستعطي الاذن من ولاة الشان ، اليس كذلك ؟
ليس ذلك سوى كذب وان كان مقنعاً بكلمات معسولة

ولكنه يبقى مع ذلك كذباً

وطالما يسمحون للنبيل وللتاجر ببيع الارض ، فينبغي ايضاً
ان يكون للفلاح الحق التام ببيع ارضه والتصرف بها بحرية تامة
شأنه شأن النبيل والتاجر

وعندما تتغلب الطبقة العاملة على البرجوازية بأسرها ، فانها
ستنتزع ارض كبار الملاكين وتنظم استثمارات تعاونية في الاملاك
الكبيرة ، لكي يزرع العمال الارض بصورة مشتركة ، بالاتفاق فيما
بينهم وينتخبوا بحرية المسؤولين الاداريين من بين الذين يشقون
بهم ويستخدموا شتى انواع الآلات بفضية تسهيل العمل ولا
يشتغل كل منهم بدوره اكثر من ثماني ساعات (بل ربما يشتغل
ست ساعات) في اليوم اما الفلاح الصغير الذي يريد الاستمرار
على استغلال ارضه حسب الطريقة القديمة بصورة منفردة فانه
هو ايضاً سيكف عن استثمار ارضه من اجل السوق ومن اجل
بيع منتجاته لاول قادم وسيعمل من اجل جمعيات العمال فان
الفلاح الصغير سيقدم لجمعيات العمال الخبز واللحم والخضار
وسيعطيه العمال دون مال الآلات والمواشي والاسمدة والألبسة
وكل ما يحتاج اليه حينذاك سيزول النضال بسبب المال بين
المستثمر الكبير والمستثمر الصغير وسيزول العمل المأجور
لحساب الآخرين وسيعمل جميع الشغيلة لأنفسهم وستفيد
الآلات وجميع التحسينات العمال انفسهم وتسهل عملهم
وتحسن حياتهم .

ولكن كل امرئ سليم التفكير يدرك ان من المستحيل تحقيق الاشتراكية دفعة واحدة فلهذا الغرض ينبغي خوض نضال عنيد ضد البرجوازية كلها ضد الحكومات من اي طراز ونوع كانت لهذا الغرض ينبغي حشد جميع عمال المدن في عموم روسيا والفلاحين الفقراء معهم ، في اتحاد متين لا يتزعزع وتلك مهمة كبيرة ، وجديرة بان يكرس لها المرء كل حياته ولكن ، طالما لم نحقق الاشتراكية فان المستثمر الكبير سيناضل ابدأ ضد المستثمر الصغير ، بسبب المال فهل يكون المستثمر الكبير حرأ حقاً ببيع الارض بينما الفلاح الصغير ليس بحرأ ؟ اننا نكرر ان الفلاحين ليسوا اطفالاً صغاراً ولن يسمحو لأحد بان يتأمر عليهم فينبغي ان ينال الفلاحون جميع الحقوق جميع الحقوق دون اي قيد جميع الحقوق التي يتمتع بها النبلاء والتجار

ويقولون ايضاً ان الفلاح لا يملك ارضه لنفسه انما ارضه تخص المشاعة ولا يمكن السماح لأحد ببيع الارض التي تخص المشاعة . - وهذا قول كذب ايضاً فهل النبلاء والتجار ليس لهم مثل هذه الجمعيات ؟ الا يشكلون شركات الإيسترون معاً الاراضي والمصانع وكل ما تريدون ؟ لماذا لا يلفقون اي قيد لجمعيات النبلاء بينما تتدخل الحثالة البوليسية بشؤون الفلاح وتتحيل شتى القيود والموانع ؟ ان الفلاحين لم يروا قط اي موقف طيب من جانب الموظفين ولم يعرفوا منهم سوى الضرب والنهب والسلب والاهانة ، ولن يرى الفلاحون خيراً طالما لم يأخذوا شؤونهم بأيديهم ، طالما لم يظفروا بالمساواة التامة في الحقوق وبالحرية التامة فاذا شاء الفلاحون ان تكون الارض للمشاعة فلا يفكرن احد بمنعهم عن ذلك ، فانهم سيؤلفون بالتفاهم فيما بينهم ، جمعية مع من يشاؤون وكما يشاؤون ويصوغون عقداً لجمعيتهم كما يطيب

لهم وبكل حرية فلا يحاولون الموظف حشر انفه في شؤون
 الفلاحين الجماعية ولا يفكرون احد بمخاتلة الفلاحين ولا بتلفيق
 القيود والموانع لهم

* * *

واخيراً يريد الاشتراكيون-الديموقراطيون الحصول على
 تحسين هام آخر للفلاحين انهم يريدون الحد فوراً حالاً من
 حالة الاستعباد للسيّد من عبودية الفلاح الاقطاعية لا ريب في
 اننا لن نتوصل الى التخلص تماماً من العبودية ، طالما البؤس يعمّ
 العالم ، ولا الى التخلص من البؤس طالما الارض والمصانع في ايدي
 البرجوازية طالما المال هو القوة الرئيسية في العالم طالما لم
 يَسْبِنَ المجتمع الاشتراكي بيد انه ما تزال في القرى الروسية
 عبودية قاسية جداً غير معروفة في البلدان الاخرى رغم ان
 الاشتراكية لم تَسْبِنَ فيها بعد فالعبودية الاقطاعية ما تزال
 عظيمة الشأن في روسيا وهي تفيد جميع الملاكين العقارين
 وتنيخ بكلكلها على جميع الفلاحين بيد انه يمكن ويجب الغاؤها
 فوراً ، حالاً ، وبالدرجة الاولى

لنوضح ما سميناه العبودية الاقطاعية

ان كل من يسكن الريف يعرف من هذه الحالات . فافرض السيّد
 تقع الى جانب ارض الفلاح وعند تحرير الفلاحين ، اقتطعوا منهم
 الاراضي التي يحتاجون اليها ، والمراعي والغابات ، والمساقى
 ولا يعرف الفلاحون اين يمضون وما يفعلون دون هذه الاراضي التي
 اقتطعوها منهم دون المراعي دون المساقى ولذا يضطرون
 لأن يطلبوا من الملاك العقاري ان يسمح لهم بمرور الماشية الى
 المسقى ان يعطيهم مرعى للماشية الخ والحال ان الملاك
 العقاري لا يستثمر املاكه ، وقد لا يكون لديه اي مال ، وهو لا

يعيش الّا من استعباد الفلاحين وهؤلاء يشتغلون مجاناً في املاكه لقاء الاراضي التي اقتطعها منهم فيما مضى ويحراثون ارضه باحسناتهم ويحصدون حبوبه ويحصدون هشيم مروجه ويدرسون حبوبه وفي بعض الاماكن يحملون سمادهم الى ارض السيد ويقدمون له الاقمشة والبيض والدجاج . تماماً كما في عهد القنانة في عهد القنانة كان الفلاحون يشتغلون مجاناً لمالك الاقطاع حيث يعيشون وهم الآن يشتغلون ايضاً ، في معظم الاحيان مجاناً للسيد لقاء الارض نفسها التي اقتطعتها لجان النبلاء من الفلاحين لدن تحريرهم وما تزال السخرة ذاتها هكذا يسمي فلاحو بعض المحافظات هذا العمل الذي يقومون به في صالح السيد وهذا ما نسميه العبودية الاقطاعية فعند تحرير الفلاحين ، دبّرت لجان الاسياد الاقطاعيين او لجان النبلاء الامور بصورة يستطيعون معها استعباد الفلاحين كما في الماضي فاقطعوا قصداً من حصص الفلاحين وشقوا اراضي الفلاحين باراضي الاسياد كالاسفين لكي لا يكون للفلاح مكان يطلق فيه دجاجة ونقلوا الفلاحين الى اراضٍ قاحلة ، وقطعوا بارض الاسياد الطريق الى مسقى الماشية اي انهم دبّروا الامور بصورة يقع فيها الفلاحون في الفخّ واسرى دون اية صعوبة وكم من القرى - وعددها لا حدّ له - ما يزال فيها الفلاحون اسرى الملاكين العقارين المجاورين ، اسرى كما كانوا في عهد القنانة في هذه القرى نرى الفلاح الغني والفلاح الفقير مكبلي الايدي والاقدام ، وتحت رحمة الملاك العقاري وحياة الفلاح الفقير اصعب بكثير من حياة الفلاح الغني فالفلاح الغني يملك احياناً ارضه الخاصة فيرسل العامل المأجور يقوم عنه باعمال السخرة . اما الفلاح الفقير ، فليس له اي مخرج ، فيفعل الملاك العقاري به ما يريد والفلاح الفقير ، الذي يعاني هذا الاستعباد لا يجد غالباً الوقت الكافي للاستراحة ، والجهد الذي يبذله في صالح سيده

يمنعه من العمل خارج قريته وناحيته ، ومن التفكير بالانضمام بحرية الى اتحاد واحد ، الى حزب واحد ، مع جميع الفلاحين الفقراء وعمال المدن . ولكن أليس ثمة وسيلة لالغاء هذه العبودية فوراً ودفعة واحدة ؟ ان حزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي يقدم للفلاحين وسيلتين من اجل بلوغ هذا الهدف غير اننا نقول مرة اخرى ان الاشتراكية وحدها هي التي ستحرر الفلاحين الفقراء من جميع العبوديات لأن الاغنياء سيضطهدون الفلاحين بطريقة أو باخرى طالما هم اقوياء ومن المستحيل الغاء هذه العبودية تماماً ، ودفعة واحدة غير انه يمكن الحد من هذه العبودية الاقطاعية ، التي هي اقصى واشنع عبودية والتي تنيخ بكلكلها على الفلاحين الفقراء والفلاحين المتوسطين سواء بسواء حتى على الفلاحين الاغنياء ايضاً يمكن التوصل فوراً الى التخفيف من وطأة هذه العبودية على الفلاحين

ولهذا الغرض ، توجد وسيلتان
الوسيلة الاولى انما هي المحاكم التي يختار اجراء الارياف
والفلاحون الفقراء وكذلك الفلاحون الاغنياء والملاكون العقاريون
اعضاءها بحرية من بين الذين يثقون بهم
الوسيلة الثانية انما هي اللجان الفلاحية المختارة بحرية
ينبغي ان تتمتع هذه اللجان بحق بحث وقرار جميع التدابير التي
تؤول الى الغاء السخرة والى محو بقايا القنانة كما ينبغي ان
تتمتع ايضاً بحق انتزاع الاراضي المقتطعة سابقاً من الفلاحين
واعادتها اليهم *

* في طبعة عام ١٩٠٥ ، ورد بعد كلمة «اليهم» النصر التالي ،
وينبغي ان يكون للجان الفلاحين الحق في انتزاع جميع الاراضي من
الملاكين العقاريين ومن جميع المالكين الخصوصيين على العموم ، علماً بان
جمعية النواب الشعبية ستقرر بنفسها ما يجب فعله بهذه الاراضي التي
نتقل الى ملكية الشعب باسمه . . الناشر .

لندرس هاتين الوسيلتين بمزيد من التفصيل ان المحاكم المختارة اعضاؤها بحرية من بين اهل الثقة ستبحث في جميع شكاوى الفلاحين ضد العبودية وسيكون من حق هذه المحاكم تخفيض بدلات ايجار الاراضي اذا استغل الملاكون العقاريون بؤس الفلاحين وحددوا بدلاً باهظاً وسيكون من حق هذه المحاكم تحرير الفلاحين من المدفوعات الجائرة مثلاً اذا استأجر الملاك العقاري الفلاح في فصل الشتاء لكي يقوم له باشغاله في فصل الصيف بنصف الاجر العادي فان المحكمة تبحت القضية وتحدد اجراً منصفاً وينبغي ان تتألف هذه المحكمة بالطبع لا من الموظفين ، بل من اهل الثقة المختارين بحرية وينبغي اطلاقاً ان يكون للأجراء الريفين والفلاحين الفقراء عدد من الممثلين لا يقل عن عدد ممثلي الفلاحين الاغنياء والملاكين العقارين وستبحث هذه المحاكم ايضاً جميع النزاعات بين العمال وارباب العمل وهكذا ستخف المصاعب امام العمال والفلاحين الفقراء لعرض حقوقهم والدفاع عنها امام هذه المحاكم وستخف المصاعب امامهم للاتحاد فيما بينهم ولمعرفة من هم الذين يدافعون عن الفلاحين الفقراء وعن العمال بامانة واخلاص ، لمعرفةهم بدقة

واليكم ايضاً وسيلة اخرى اهم هي اللجان الفلاحية المختارة بحرية من بين اهل الثقة الذين يمثلون الاجراء الزراعيين والفلاحين الفقراء والمتوسطين والاغنياء في كل قضاء من الاقضية (او عدة لجان في كل قضاء ، اذا ارتأى الفلاحون ذلك ضرورياً بل قد يشكلون لجاناً فلاحية في كل ناحية وكل قرية كبيرة) وما من احد يعرف خيراً من الفلاحين اي عبودية تنيخ بثقلها على كواهلهم وما من احد سيعرف خيراً من الفلاحين كيف يفصح الملاكين العقارين الذين يعيشون حتى الآن من العبودية الاقطاعية ان اللجان الفلاحية مستقر اية هي الاراضي أو المروج أو المراعي ، الخ . التي اقتطعت

جوراً وظلماً من الفلاحين وستقرر اذا كان ينبغي انتزاع هذه الاراضي مجاناً أو دفع تعويض للذين اشتروها ، وذلك على حساب كبار الملاكين العقاريين النبلاء وستحرر هذه اللجان الفلاحين على الأقل من الاشراك التي اوقعهم فيها الكثير من لجان الاسياد الاقطاعيين من لجان النبلاء وستحرر الفلاحين من تدخل الموظفين ؛ وستبين ان الفلاحين يريدون ويستطيعون تصريف شؤونهم بانفسهم وستساعد الفلاحين في التفاهم حول حاجاتهم وفي حسن معرفة الناس القادرين على الصمود الى جانب الفلاحين الفقراء والى جانب تحالفهم مع عمال المدن ان اللجان الفلاحية تشكل خطوة اولى الى الامام لكي يهب الفلاحون وقوفاً حتى في انائ القرى ويأخذوا مصيرهم بأيديهم

ولهذا يحذر العمال الاشتراكيون-الديموقراطيون الفلاحين

قائلين لهم

لا تتقوا باية لجنة من لجان النبلاء ولا باية لجنة من لجان

الموظفين .

طالبوا بجمعية نواب شعبية .

طالبوا بانشاء اللجان الفلاحية .

طالبوا بالحرية التامة لطبع جميع انواع الكتب والصحف .

وعندما يصبح من حق الجميع ، ومن حق كل فرد من الافراد ، حرية التعبير عن الآراء والرغبات في جمعية النواب الشعبية وفي اللجان الفلاحية وفي الصحف دون خشية من احد عند ذلك سيُعرف من ذا الذي يقف الى جانب الطبقة العاملة ومن ذا الذي يقف الى جانب البرجوازية اما الآن فان الاغلبية الساحقة لا تفكر ابدأ في هذا الامر وهناك من يخفون رأيهم الحقيقي وهناك من لا يعرفون انفسهم حتى الآن ؛ وهناك من يخدعون قصداً وعمداً ولكن الجميع سيفكرون حينذاك في هذا الامر ، ولن تبقى ثمة حاجة الى

التخفي ، فكل شيء سيوضح حالاً لقد سبق ان قلنا ان البرجوازية ستجتذب الفلاحين الاغنياء الى جانبها وكلما تحقق الغاء العبودية الاقطاعية بمزيد من السرعة والاكتمال وكلما تعاظمت الحرية الفعلية التي يظفر بها الفلاحون اتحد الفلاحون الفقراء فيما بينهم بمزيد من السرعة ، واسرع الفلاحون الاغنياء بالاتحاد مع البرجوازية كلها لندعهم اذن يتحدون فاننا لا نخاف هذا الاتحاد مع اننا نعلم تمام العلم ان هذا الاتحاد سيزيد من قوة الفلاحين الاغنياء

لاننا سنتحد بدورنا وسيكون **تحالفنا** - تحالف الفلاحين الفقراء مع عمال المدن - اكثر عدداً بما لا حد له ، انه سيضم عشرات الملايين ضد تحالف مئات الآلاف ونحن نعلم ايضاً ان البرجوازية ستسعى جهدها (وهي تسعى جهدها منذ الآن !) لكي تجتذب الفلاحين المتوسطين الى جانبها بل الفلاحين الصغار ايضاً ؛ انها ستحاول ان تخدعهم وتغرهم وتفرق شملهم وتعد كلاً منهم بترقيته الى فئة الاغنياء لقد رأينا آنفاً الى اية وسائل واية اكاذيب تلجأ البرجوازية لاجتذاب الفلاح المتوسط فينبغي لنا اذن ان نفتح عيون الفلاحين الفقراء سلفاً وان نوطد سلفاً تحالفهم الخاص مع عمال المدن ضد البرجوازية برمتها

ليطلع كل ساكن من سكان الارياف فيما حوله بانتباه فما اكثر ما يرفع الفلاحون الاغنياء الصوت ضد الاسياد ، ضد الملاكين العقارين ولكم يتدمرون من الظلم النازل بالشعب ومن بقاء اراضي الاسياد بوراً بلا جدوى ولكم يحبون الوشوشة (فرداً لفرد) بانه ينبغي نقل هذه الاراضي الى حوزة الموجيك !

ولكن هل يمكننا تصديق ما يقوله الاغنياء ؟ كلا فهم لا يريدون الحصول على الارض من اجل الشعب بل من اجل انفسهم فهم منذ الآن قد اشتروا واستأجروا مساحات كبيرة من الارض ولكن ذلك لا يكفيهم . ولذا لن يسير الفلاحون الفقراء طويلاً مع

الفلاحين الاغنياء ضد الملاكين العقاريين ولا يسعنا ان نخطو معهم سوى خطوة اولى ومن ثم لا بدّ لنا ان يسير كل منا على حدة ولهذا ينبغي ان نفصل بوضوح هذه الخطوة الاولى عن الخطوات الاخرى وعن خطوتنا الاخيرة ، الرئيسية ان الخطوة الاولى الواجب القيام بها في الارياف ، هي تحرير الفلاح تماماً ومنحه الحقوق الكاملة ، وانشاء لجان فلاحية من اجل استعادة الاراضي المقتطعة * اما خطوتنا الاخيرة ، في المدينة كما في الريف ، فهي التالية سننتزع جميع الاراضي وجميع المصانع من الملاكين العقاريين والبرجوازية وسنبني المجتمع الاشتراكي * * وبين الخطوة الاولى والخطوة الاخيرة سيجرب علينا ان نناضل طويلاً فمن يخلط بين الخطوة الاولى والخطوة الاخيرة ، فانه يسيء الى هذا النضال ؛ وكأنه عن غير قصد ، يذرّ الرماد في عيون الفلاحين الفقراء .

اما الخطوة الاولى ، فان الفلاحين الفقراء سيقومون بها بالاتفاق مع جميع الفلاحين ولكن مع العلم ان بعض الكولاك لن يقدموا عليها ، او ان فلاحاً من اصل مئة لن يتذمر من اية عبودية ولكن كل الجمهور ايضاً سيناضل في هذا الميدان من اجل شيء واحد لان الحقوق المتساوية ضرورية لجميع الفلاحين فان استعباد الملاك العقاري يكبل ايدي الجميع واقدامهم اما الخطوة الاخيرة فان جميع الفلاحين لن يقوموا بها ابدأ معاً لان جميع الفلاحين

* في طبعة عام ١٩٠٥ ، وردت بعد كلمتي «الاراضي المقتطعة» الكلمات التالية «ومن اجل انتزاع الارض كلها من الملاكين العقاريين»
الناشر

* * في طبعة عام ١٩٠٥ ، استعيض عن النص البادي بكلمة «سننتزع» والمنتهي بكلمتي «المجتمع الاشتراكي» بالنص التالي ، والقضاء على الملكية الخاصة للارض والمصانع وبناء المجتمع الاشتراكي» . الناشر .

الاغنياء سيهبون ضد الاجراء الزراعيين حينذاك ينبغي لنا تحالف متين بين الفلاحين الفقراء والعمال الاشتراكيين-الديموقراطيين في المدن فاذا قال احد للفلاحين انهم يستطيعون القيام دفعة واحدة بالخطوة الاولى والخطوة الاخيرة فهذا يعني انه يخدعهم وهذا يعني انه ينسى النضال الكبير القائم بين الفلاحين انفسهم النضال الكبير القائم بين الفلاحين الفقراء والفلاحين الاغنياء

لهذا لا يعد الاشتراكيون-الديموقراطيون الفلاح من **الدفعة الاولى** بالمن والسلوى وبأنهر من العسل واللبن لهذا يطلبون قبل كل شيء الحرية التامة للطبقة العاملة برمتها في نضالها في نضالها الكبير الواسع الشامل ضد البرجوازية برمتها لهذا يشير الاشتراكيون-الديموقراطيون الى **الخطوة الاولى الواجب خطوها** ، وهي **خطوة صغيرة ولكنها خطوة اكيدة** .

يعتقد البعض ان مطلبنا بانشاء لجان فلاحية بغية الحد من العبودية واستعادة الاراضي المقتطعة فيما مضى انما هو ضرب من سياج نوع من سدّ فكأننا نقول قفوا لا تمضوا أبعد من ذلك ان هؤلاء القوم قد اساؤوا التفكير فيما يريده الاشتراكيون-الديموقراطيون ان مطلب انشاء لجان فلاحية بغية الحد من العبودية واستعادة الاراضي المقتطعة فيما مضى ليس سدّا انه باب وينبغي اجتياز هذا الباب اولاً من اجل المضي الى ابعاد من اجل اتباع الطريق الرحبة المفتوحة الى النهاية الى ان يتحرر الشعب العامل والشغيل في روسيا تحراً تاماً وطالما لا يجتاز الفلاحون هذا الباب فانهم سيبقون غارقين في لجة الجهل خاضعين للعبودية محرومين من كامل الحقوق من الحرية التامة الحقيقية بل انهم سيظلون عاجزين عن التمييز بين اصدقاء الشغيلة واعدائهم ولذا يشير الاشتراكيون-الديموقراطيون الى هذا الباب ويقولون انه ينبغي اولاً دفع هذا الباب معاً ، بجهد مشترك ،

وتحطيمه تحطيمًا تامًا إذ ثمة اناس يقولون عن انفسهم انهم شعبيون واشتراكيون-ثوريون ويريدون هم ايضاً الخير للفلاح انهم يصرخون ويضعون ويلوحون بالايدي ، ويريدون اسداء المساعدة ، ولكنهم لا يرون هذا الباب وهؤلاء القوم عميان الى حد انهم يقولون بانه لا ينبغي ابدًا منح الفلاح حق التصرف بارضه بحرية انهم يريدون الخير للفلاح ولكنهم يفكرون احيانًا مثل الاقطاعيين تمامًا ان مساعدة مثل هؤلاء الاصدقاء لن تكون كبيرة الفائدة فماذا يجدي نفعًا ان تريد الخير للفلاح اذا كنت لا ترى بوضوح هذا الباب الاول الذي ينبغي تحطيمه ؟ وماذا يجدي نفعًا ان يطمح المرء شخصيًا الى الاشتراكية اذا كان لا يرى الوسيلة للخروج الى طريق النضال الشعبي الحر من اجل الاشتراكية لا في المدينة وحسب بل في الريف ايضاً لا ضد الملاكين العقارين وحسب بل ضد الاثرياء في قلب المشاعة ، في قلب «المير» ؟

لهذا يشير الاشتراكيون-الديموقراطيون بمثل هذا العناد البالغ الى هذا الباب الاول والقريب جداً فليس من الصعب ابدًا الاكثار من التمنيات الطيبة بل الصعب هو ان نبين بوضوح الطريق الواجب اتباعها ان ندرك بوضوح ما ينبغي القيام به لتحقيق هذه الخطوة الاولى . ان يكون الفلاح الروسي مرهقًا باثقال العبودية ان يكون قد ظل نصف قرن فذلك ما يتحدث عنه جميع اصدقائه ويكتبون عنه منذ اربعين سنة ان يكون الملاكون العقاريون ينهبون الفلاح ويستعبدونه بصورة فاضحة بوساطة شتى انواع الاراضي المقتطعة فيما مضى فذلك ما كتب عنه جميع اصدقاء الفلاح العديد من الكتب قبل ظهور الاشتراكيين-الديموقراطيين في روسيا بزمن طويل ان يكون من المترتب مساعدة الفلاح حالاً ، دون تأخير ، وتحريره الى حد ما من

العبودية ، فذلك ما يراه الآن جميع الناس الشرفاء ، وما اخذ يتحدث عنه الآن حتى موظفو حكومتنا البوليسية فالمسألة كلها تنحصر في معرفة كيف نشرع بالامر ، كيف نخطو الخطوة الاولى اي باب نقتحمه في بادى الامر

على هذا السؤال يعطي مختلف الناس (ممن يريدون الخير للفلاح) جوابين مختلفين وينبغي على كل بروليتاري من بروليتاريي الارياض ان يسعى جهده لفهم هذين الجوابين فهماً جيداً وان يكون رآياً واضحاً دقيقاً ان جواب الشعبين والاشتراكيين-الثوريين هو التالي انهم يقولون ينبغي اولاً تطوير شتى انواع الجمعيات (التعاونيات) في صفوف الفلاحين ينبغي توطيد «المير» ينبغي عدم منح كل فلاح حق التصرف بارضه بحرية لتتمتع المشاعة بمزيد من الحقوق ولتصبح كل الارض في روسيا مشاعية شيئاً فشيئاً * ينبغي منح الفلاحين شتى انواع التسهيلات فيما يتعلق بشراء الارض لكي تنتقل الارض من الراسمال الى العمل بمزيد من السهولة

اما الاشتراكيون-الديموقراطيون فانهم يعطون جواباً آخر ينبغي اولاً ان يحصل الفلاح لنفسه على جميع الحقوق التي يتمتع بها النبلاء والتجار ، دون استثناء اي حق ينبغي ان يتمتع الفلاح بكامل حق التصرف بارضه بحرية ومن اجل القضاء على اشد العبوديات بشاعة ، ينبغي انشاء لجان فلاحية بغية استعادة الاراضي المقتطعة لدن الغاء القنائة * * ان ما ينبغي لنا ليس تحالفاً

* في طبعة عام ١٩٠٥ ، ورد بعد كلمتي «شيئاً فشيئاً» النص التالي «لتنزع الارض كلها من الملاكين العقاريين وتوزع بالتساوي على من يحرقونها بانفسهم فقط». الناشر

* * في طبعة عام ١٩٠٥ ، ورد بعد كلمات «لدن الغاء القنائة» النص التالي : «ينبغي ان يكون للجان الفلاحية الحق في انتزاع الارض كلها من

مشاعياً بل تحالف الفلاحين الفقراء من مختلف المشاعات الريفية في عموم روسيا وتحالف بروليتاريي الارياف مع بروليتاريي المدن ان جميع انواع الجمعيات (التعاونيات) وعمليات شراء الارض بصورة مشاعية ستبقى ابدأ ذا منفعة اكبر للفلاحين الاغنياء وستخدع الفلاح المتوسط

ان الحكومة الروسية تدرك انه ينبغي منح الفلاحين التسهيلات ولكنها تريد التنصل من ذلك بتوفير القشر دون اللباب انها تريد ان تفعل كل شيء باللجوء الى الموظفين فينبغي على الفلاحين ان يتسلحوا باليقظة لأن لجان الموظفين ستخدعهم كما خدعتهم لجان النبلاء ينبغي على الفلاحين ان يطالبوا بانتخاب لجان فلاحية حرة فليس المقصود توقع تخفيفات من جانب الموظفين انما ينبغي على الفلاحين ان يأخذوا مصيرهم بأيديهم لنخط اولاً خطوة واحدة ، لنحرر انفسنا اولاً من اسوأ العبوديات ، شرط ان يدرك الفلاحون قوتهم ، شرط ان يتفاهموا ويتحدوا بحرية وما من احد اذا كان ذا وجدان يستطيع ان ينكر ان الاراضي المنتزعة فيما مضى تُستغل غالباً لتحقيق اسوأ عبودية اقطاعية فاضحة وما من احد اذا كان ذا وجدان يستطيع ان ينكر ان مطلبنا هو المطلب الاول واعدل المطالب ان يختار الفلاحون بحرية لجانهم دون موظفين بغية الغاء كل عبودية اقطاعية

وفي اللجان الفلاحية الحرة (وكذلك في الجمعية الحرة لنواب عامة روسيا) سيباشر الاشتراكيون-الديموقراطيون فوراً وبكل

الملاكين العقاريين ان نواب الشعب سيقرون ما يجب فعله بالارض التي تخص الشعب ولكنه يجب علينا ان نسعى للتوصل الى بناء المجتمع الاشتراكي كلياً وان لا ننسى ان اي توزيع للارض بالتساوي لن ينقذ الشعب من البؤس ما دامت سلطة النقود ، سلطة الرأسمال قائمة . **الناشر .**

قواهم الى توطيد تحالف خاص بين بروليتاريي الارياف وبروليتاريي المدن وسيلحّ الاشتراكيون-الديموقراطيون على جميع التدابير الواجب اتخاذها في صالح بروليتاريي الارياف وسيساعدونهم فوراً بعد تحقيق الخطوة الاولى ، في تحقيق الخطوة الثانية ، بأسرع وقت وبمزيد من التكاثر ثم في تحقيق الخطوة الثالثة وهكذا دواليك حتى انتصار البروليتاريا التام ولكن هل من الممكن ان نقول منذ الآن ، منذ الدفعة الاولى ، اي مطلب سيوضع على بساط البحث غداً من اجل تحقيق الخطوة الثانية ؟ كلا لا يمكننا ان نقول ذلك لأننا لا نعرف اي سلوك سيسلكه غداً الفلاحون الاغنياء وكثير من الناس المثقفين الذين يهتمون بشتى انواع التعاونيات وبقضية نقل الارض من الرأسمال الى العمل

قد لا ينجحون غداً في التفاهم مع الملاكين العقاريين فيريدون تسديد الضربة القاضية الى حكمهم هذا حسن جداً فالاشتراكيون-الديموقراطيون لا يطلبون خيراً من ذلك وسيوصون بروليتاريي الارياف والمدن بان يطالبوا بانتزاع كل اراضي الملاكين العقاريين وبتسليمها الى دولة شعبية حرة وسيحرص الاشتراكيون-الديموقراطيون عن كذب على ان لا يستسلم بروليتاريو الارياف للخداع على ان يرسخوا اكثر من ذي قبل في النضال النهائي من اجل تحرير البروليتاريا تحريراً تاماً

ولكن قد تجري الامور على غير هذا النحو بل من المحتمل اكثر ان تجري على غير هذا النحو فقد يتحد غداً الفلاحون الاغنياء وكثيرون من الناس المثقفين مع الملاكين العقاريين ، ما ان يصار الى الحد من اسوأ العبوديات حينذاك ستذهب كل برجوازية الارياف ضد مجمل البروليتاريا الريفية حينذاك سيكون من السخف النضال ضد الملاكين العقاريين وحدهم حينذاك سيترتب علينا ان نناضل ضد كل البرجوازية وان نطالب قبل كل شيء ، ومن اجل هذا

النضال باكبر قسط ممكن من الحرية والمدى وبشروط حياة افضل للعامل بغية تسهيل نضاله .
 ان مهمتنا الاولى ، مهمتنا الرئيسية المحتمومة ، هي في مطلق الحالات سواء جرت الامور على هذا النحو أو ذاك ، توطيد التحالف بين بروليتاريي وانصاف بروليتاريي الارياف وبين بروليتاريي المدن . ولهذا التحالف ينبغي لنا حالاً ، وفوراً ، الحرية السياسية التامة للشعب ، والمساواة الحقوقية التامة للفلاح ، والغاء العبودية الاقطاعية وبعد تحقيق هذا التحالف وتوطيده لن يكون من الصعب علينا فضح جميع الاكاذيب التي تلجأ اليها البرجوازية لاجتذاب الفلاح المتوسط الى جانبها وبسرعة وسهولة ، سنحقق الخطوة الثانية والثالثة والاخيرة ضد البرجوازية بكليتها ضد كل قوى الحكومة وحينذاك سنسير نحو النصر دون اي انحراف ، وستوصل بسرعة الى تحرير الشعب العامل بأسره تحريراً تاماً

٧ - النضال الطبقي في الريف

ما هو النضال الطبقي ؟ انه نضال قسم من الشعب ضد قسم آخر نضال جماهير الرعاى والمظلومين والشغيلة ضد اصحاب الامتيازات والظالمين والطفيليين نضال العمال الاجراء أو البروليتاريين ضد المالكين أو البرجوازية ان هذا النضال الكبير كان موجوداً دائماً دائماً وهو ما يزال قائماً الآن ايضاً في الارياف الروسية رغم ان ليس الجميع يستشفونه ويدركون مغزاه في عهد القنانة كان سواد الفلاحين يناضلون ضد ظالمهم ضد طبقة الملاكين العقاريين الذين كانت تحميهم حكومة القيصر وتدافع عنهم وتدعمهم . ولم يكن بوسع الفلاحين ان يتحدوا في

ذلك العهد لأنهم كانوا غارقين في لجة الجهل الى ما فوق رؤوسهم ولم يكن لهم انصار ولا اخوان بين عمال المدن ولكنهم كانوا مع ذلك يناضلون كما يعرفون وكما كان بوسعهم وما كانوا ليخشون قط الاضطهادات الوحشية من جانب الحكومة وما كان الذعر يدبّ في نفوسهم من جراء العقوبات واطلاق الرصاص وكانوا لا يصدّقون الكهنة الذين يبذلون قصارى جهدهم لتبيان ان الكتاب المقدّس يؤيد القنانة وان الله جعل منها امراً مشروعاً (هكذا على وجه الضبط كان يتكلم المطران فيلاريت في ذلك العهد!) كان الفلاحون ينتفضون هنا وهناك فاضطرت الحكومة الى التراجع في آخر الامر، خوفاً من انتفاضة عامة يقوم بها الفلاحون جميعهم

وألغيت القنانة ولكنها لم تُلغَ تماماً فظل الفلاحون محرومين من الحقوق وفئة دنيا تسحقها الضرائب فئة سوداء تتخبط بين برائن العبودية الاقطاعية ولذا لا يزال الفلاحون في هيجان يتحركون ساعين وراء حرية كاملة، حقيقية ولكن بعد الغاء القنانة ظهر نضال طبقي جديد هو **نضال البروليتاريا ضد البرجوازية** فقد تكاثرت الثروات وبني العديد من الخطوط الحديدية والمصانع الضخمة وغدت المدن اكثر ازدحاماً بالسكان واكثر رفاهية وثراء غير ان عدداً ضئيلاً جداً من الناس كان يستأثر بهذه الثروات بينا الشعب يزداد فقراً وخراباً ويعاني المجاعة ويمضي يشغل عند الآخرين فشنّ عمال المدن نضالاً جديداً كبيراً، هو نضال جميع الفقراء ضد جميع الاغنياء وهم وقد احتشدوا في قلب **الحزب الاشتراكي-الديموقراطي** يناضلون بعناد وثبات وبصنوف مرصوصة، متقدمين خطوة فخطوة، مستعدين للنضال النهائي الكبير، مطالبين بالحرية السياسية للشعب بأسره.

واخيراً فرغ صبر الفلاحين بدورهم ففي ربيع السنة الماضية (١٩٠٢) ، انتفض الفلاحون في محافظتي بولتافا و خاركوف وغيرها من المحافظات وهاجموا الملاكين العقارين واقتحموا مستودعاتهم واقتسموا ممتلكاتهم ، ووزعوا على الجياع الحبوب التي بذرها وحصدوها المويجيك والتي استأثر بها الملاك العقاري وطلبوا باقتسام الارض من جديد ولم يبق بوسع الفلاحين تحمّل الاضطهاد النازل بهم والذي لا مثيل له ، فأخذوا يسعون وراء مصير افضل . فقرروا - وهم على صواب في قرارهم - ان من الافضل لهم ان يموتوا في غمرة النضال ضد الطغاة من ان يهلكوا من جراء الجوع دون نضال ولكن احوال الفلاحين لم تتحسن فان حكومة القيصر اعلنت انهم مشاغبون ونهابون (لأنهم انتزعوا من النهابين الملاكين العقارين الحبوب التي بذرها الفلاحون وحصدوها !) وقد ارسلت الحكومة القيصرية الجيش ضدهم وكانت تعتبرهم اعداء وانهمز الفلاحون واطلقت قوات الجيش النار على الفلاحين وقتلت الكثيرين منهم وجلدت الكثيرين بالسوط حتى الموت وعذبت الفلاحين كما لا يعذب الاتراك ابدأ اعداءهم ، المسيحيين . وكان رسل القيصر المحافظون ، اشدّ الجميع وحشية ، كأنهم جلادون حقيقيون . كان الجنود يفتصبون نساء الفلاحين وبناتهم . وبعد ذلك ، أحيل الفلاحون امام محكمة من الموظفين فحكمت عليهم بان يدفعوا ثمانمائة الف روبل للملاكين العقارين وفي هذه المحكمة ، هذه المحكمة المغزبة السرية في محكمة التعذيب هذه بلغ الامر بالمشرفين عليها حدّ منع المحامين من التحدث عمّا فعله رسل القيصر الحاكم اوبولنسكي وغيره من خدام القيصر كيف جلدوا الفلاحين وعذبوهم

كانت القضية التي ناضل الفلاحون في سبيلها قضية عادلة وستكرّم الطبقة العاملة الروسية الى الابد ذكرى الشهداء الذين

اعدهم خدم القيصر رمياً بالرصاص وجلدوهم حتى الموت كان هؤلاء الشهداء يكافحون في سبيل حرية الشعب العامل وسعادته لقد انهزم الفلاحون ولكنهم سينتفضون ايضاً وايضاً ولن يدعوا الهزيمة الاولى تثبط من عزائمهم ان العمال الواعين سيبدلون كل جهودهم لكي يعرف اكبر عدد من عمال المدن والارياف ما هو نضال الفلاحين ولكي يستعدوا في سبيل نضال جديد أوفر حظاً بالتوفيق كذلك فان العمال الواعين سيسعون بجميع قواهم الى مساعدة الفلاحين على ان يدركوا جيداً لماذا سُحقت انتفاضة الفلاحين الاولى (١٩٠٢) وما ينبغي القيام به لكي ينتصر الفلاحون والعمال لا خدم القيصر .

لقد سُحقت انتفاضة الفلاحين لأنها كانت انتفاضة قامت بها جماهير جاهلة غير واعية لأنها كانت انتفاضة لا مطالب سياسية لها واضحة ودقيقة اي دون مطلب تغيير النظام السياسي لقد سُحقت انتفاضة الفلاحين لأنها لم تهيأ لقد سُحقت لأن التحالف بين بروليتاريي الارياف وبروليتاريي المدن لم يكن موجوداً حينذاك تلك هي الاسباب الثلاثة لهزيمة الفلاحين الاولى فلكي تنجح الانتفاضة ينبغي لها ان تقوم عن وعي وبعد تحضير وينبغي ان تمتد وتشمل عموم روسيا بالتحالف مع عمال المدن ان كل خطوة يخطوها نضال العمال في المدن وكل كتاب اشتراكي-ديموقراطي أو صحيفة اشتراكية-ديموقراطية وكل خطاب يلقيه عامل مدرك امام بروليتاريي الارياف كل ذلك يقربنا من ساعة تجدد الانتفاضة وانتصارها

لقد هبّ الفلاحون بصورة عفوية لأنه لم يبق في وسعهم الاحتمال اكثر مما احتملوا ، لأنهم ارادوا ألا يموتوا دون ان ينبسوا ببنت شفة ودون ان يبداوا اية مقاومة لقد عانى الفلاحون من النهب والظلم والعذاب ما حملهم على الايمان لحظة واحدة بما يشاع

بصورة غامضة عن رحمة القيصر وما حملهم على الايمان بان كل انسان سليم التفكير يقر بان من العدل توزيع الحبوب على الجياع على الذين اشتغلوا طوال حياتهم من اجل الآخرين ، على الذين بذروا الحبوب وحصدوها والذين يموتون الآن جوعاً امام مستودعات حبوب «الاسياد» كان يبدو ان الفلاحين قد نسوا ان خيرة الاراضي وان جميع المصانع وجميع المعامل هي في حوزة الاغنياء في حوزة الملاكين العقارين والبرجوازية وذلك بالضبط لكي يشتغل الناس الجياع من اجلهم لقد نسوا ان الكهنة يعظون دفاعاً عن طبقة الاغنياء وان الكهنة لا يقومون وحدهم بهذه المهمة بل ان حكومة القيصر تهبّ ايضاً بكل ما لديها من قطعان الموظفين والجنود دفاعاً عن طبقة الاغنياء وهذا ما شاءت حكومة القيصر ان تذكر به الفلاحين فقد بينت لهم بأشدّ المساواة والوحشية ما هي سلطة الدولة ومن تخدم وعن تدافع وينبغي لنا ان نذكر الفلاحين بهذا الدرس مراراً عديدة فيدركوا حينذاك دون عناء ضرورة تغيير النظام السياسي وضرورة الحرية السياسية وحين يزداد على الدوام عدد الذين يدركون هذا الامر وحين يتوصل كل فلاح يعرف القراءة والتفكير الى معرفة المطالب الرئيسية الثلاثة التي ينبغي الكفاح من اجلها قبل كل شيء حينذاك لن تظل انتفاضات الفلاحين غير واعية اما هذه المطالب فهي التالية المطالب الاول عقد جمعية شعبية للنواب بغية تشكيل حكومة شعبية منتخبة غير اوتوقراطية في روسيا المطالب الثاني الحرية للجميع ولكل فرد بطبع شتى انواع الكتب والصحف المطالب الثالث اعتراف القانون بالمساواة التامة في الحقوق بين الفلاحين وسائر الطبقات وانشاء اللجان الفلاحية المنتخبة بغية الغاء كل عبودية اقطاعية بالدرجة الاولى تلك هي مطالب الاشتراكيين-الديموقراطيين الاساسية ، ولن يصعب على الفلاحين ان يفهموها الآن ، ان يفهموا

من اين ينبغي بدء النضال في سبيل حرية الشعب وحين يفهم الفلاحون هذه المطالب سيفهمون ايضاً انه ينبغي الاستعداد للنضال سلفاً وطويلاً وبعناد وثبات وحزم وانه لا ينبغي الاستعداد بصورة منفردة بل مع عمال المدن الاشتراكيين-الديموقراطيين

فليحشد كل عامل واع وكل فلاح مدرك حوله اكثر الرفاق تفهما وثقة وجرأة وليبذل كل جهده ليوضح لهم ما يريدونه الاشتراكيون-الديموقراطيون لكي يدرك الجميع اي نضال ينبغي القيام به وما ينبغي المطالبة به لبدأ الاشتراكيون-الديموقراطيون الواعون ، شيئاً فشيئاً ، وباحتراس ، ولكن بعناد ، لبدأوا باطلاع الفلاحين على مذهبهم بتوزيع الكتب الاشتراكية-الديموقراطية عليهم ، بالتعليق عليها في اجتماعات صغيرة تضم اهل ثقة

غير انه ينبغي عدم الاكتفاء بالكتب من اجل توضيح المذهب الاشتراكي-الديموقراطي انما ينبغي ايضاً الافادة من جميع الامثلة ، من جميع حالات الاضطهاد والظلم التي نراها تقع حولنا المذهب الاشتراكي-الديموقراطي هو مذهب النضال ضد كل اضطهاد ، ضد كل نهب ضد كل جور والاشتراكي-الديموقراطي الحقيقي هو من يعرف اسباب الاضطهاد ويناضل طوال حياته ضد كل حالة من حالات الاضطهاد ولكن كيف العمل ؟ ينبغي على الاشتراكيين-الديموقراطيين الواعين ان يجتمعوا في مدنهم وقراهم ويقرروا بانفسهم ما ينبغي القيام به من اجل اسداء اكثر ما يكون من الفائدة الى مجمل الطبقة العاملة وعلى سبيل المثال اورد حالة او حالتين لنفترض ان احد العمال الاشتراكيين-الديموقراطيين عاد الى قريته ليقضي فيها اجازته او ان احد العمال الاشتراكيين-الديموقراطيين جاء الى قرية غير قريته ان القرية ، كذبابة في شباك العنكبوت ، اسيرة برمتها بين براثن الملاك العقاري المجاور لا

تخرج من العبودية طوال حياتها ولا سبيل لها للتخلص منها فينبغي حالاً اختيار اكثر الفلاحين جداً وثقة وتفهماً ، ممن يسعون وراء العدالة ولا يتراجعون امام اول كلب بوليسي ينبغي ان نوضح لهؤلاء الفلاحين منشأ هذه العبودية السوداء وكيف خدع الملاكون العقاريون في لجان النبلاء الفلاحين ونهبهم ينبغي ان نحدثهم عن قوة الاغنياء وعن المساندة التي تسديها اليهم حكومة القيصر ينبغي ان نطلعهم على مطالب العمال الاشتراكيين-الديموقراطيين وحين يدرك الفلاحون كل هذه الآلية البسيطة ينبغي التفكير معاً لمعرفة ما اذا كان ثمة وسيلة للردّ معاً على هذا الملاك العقاري ، ما اذا كان ثمة وسيلة للفلاحين بان يصوغوا مطالبهم الاولى الرئيسية (على غرار عمال المدن الذين يقدمون مطالبهم لاصحاب المصانع) واذا كانت قرية كبيرة أو عدة قرى خاضعة لهذا الملاك العقاري فالأفضل الحصول على منشور من لجنة اشتراكية-ديموقراطية قريبة بواسطة جماعة من اهل الثقة وينبغي على اللجنة الاشتراكية-الديموقراطية ان تقول في هذا المنشور بوضوح ومنذ البداية ، اية عبودية يعانيها الفلاحون وما يطلبون بالدرجة الاولى (تخفيض بدل ايجار الارض تحديد اجرة العمل بصورة عادية لا بنصفها في اثناء استئجار الشتاء (١٣٥) تخفيف الغرامات المترتب دفعها لقاء الاضرار التي تسببها الماشية ، وغير ذلك من المطالب) وعن طريق هذا المنشور يدرك جميع الفلاحين الذين يعرفون القراءة جوهر الامور ويوضحونها بدورهم للذين لا يعرفون القراءة حينذاك يدرك الفلاحون جيد الادراك ان الاشتراكيين-الديموقراطيين يقفون الى جانبهم وانهم يشجبون كل اشكال النهب وحينذاك يدرك الفلاحون اية تخفيفات مهما كانت طفيفة ، - ولكنها تخفيفات على كل حال - يمكن الحصول عليها فوراً ، من الدفعة الاولى ، اذا ما ناضلوا بصفوف متراسة ، واية

تحسينات كبيرة ينبغي الحصول عليها في مجمل الدولة اذا خاضوا نضالاً كبيراً بالتحالف مع عمال المدن من الاشتراكيين-الديموقراطيين حينذاك يستعد الفلاحون اكثر فأكثر لخوض هذا النضال الكبير ويتعلمون الوسيلة لايجاد اناس اهل للثقة ويتعلمون كيف ينبغي لهم ان يدافعوا معاً عن مطالبهم قد ينجحون من وقت الى آخر في تنظيم اضراب كما يفعل عمال المدن ولا ريب في ان ذلك أصعب في الريف ولكنه ممكن احياناً وقد رأينا في بلدان اخرى اضرابات مظفرة مثلاً في زحمة الموسم عندما يكون الملاكون العقاريون والمزارعون الاغنياء بحاجة ماسة الى الايدي العاملة واذ كان الفلاحون الفقراء مهئين للاضراب اذا كان الجميع موافقين منذ زمن بعيد على المطالب العامة واذ تم ايضاح هذه المطالب في المناشير أو اذا تم التعليق عليها بصورة جيدة في الاجتماعات فان الجميع سيصمدون ويضطر الملاك العقاري للتراجع أو على الاقل للحد قليلاً من نهبه وسرقته واذ وقع الاضراب في زحمة الموسم واشترك فيه الجميع بصورة منظمة ، فان الملاك العقاري وحتى ولاة الشأن وجيشهم لن يجدوا بسهولة وسيلة لمعالجة الاضراب فالوقت يمضي ومع الوقت يحل الخراب بالملاك العقاري فيخفف من تصلبه وتشدده يقيناً ان هذا امر جديد والامر الجديد لا يسير احياناً كثيرة في البدء على ما يرام في البدء كان عمال المدن هم ايضاً لا يعرفون كيف يناضلون معاً بصورة منظمة ولا اية مطالب يصوغونها معاً كانوا يحطمون الآلات ويدمرون المصنع اما الآن فان العمال يعرفون كيف يناضلون معاً بصورة منظمة في البدء ينبغي دائماً ان نتعلم ان العمال يدركون اليوم انهم لا يستطيعون الحصول ، من الدفعة الاولى الا على تخفيفات اذا ما هبوا معاً بصورة منظمة وخلال هذه الفترة ، يعتاد الشعب على الرد بصورة مشتركة ،

ويستعد اكثر فأكثر للمعركة الكبيرة الحاسمة كذلك سيتعلم الفلاحون كيف ينبغي الردّ على اشدّ النهابين وحشية وكيف ينبغي المطالبة بالتخفيفات معاً وبصورة منظمة وكيف ينبغي الاستعداد شيئاً فشيئاً ، وبحزم وثبات وفي كل مكان للمعركة الكبيرة في سبيل الحرية ان عدد العمال والفلاحين الواعين سيزداد بلا انقطاع واتحادات الاشتراكيين-الديموقراطيين الريفين ستزداد قوة يوماً بعد يوم وكل مثال على العبودية الاقطاعية على اعمال النهب والسلب التي يرتكبها الكهنة ، على اعمال الوحشية البوليسية والاضطهاد التي يقترفها ولاة الشأن سيفتح عيون الشعب أكثر فأكثر ويعوّده على الصمود الدائب وكذلك على التفكير بضرورة فرض تغيير النظام السياسي بالقوة

لقد سبق لنا ان قلنا منذ مطلع هذا الكراس ان الشعب العامل في المدينة ينزل الآن الى الشوارع والى الساحات لكي يطالب بالحرية علناً ، على رؤوس الاشهاد ، وقد سجّل على راياته واعلن «فلتسقط الاوتوقراطية!» وليس بعيد ذلك اليوم الذي سيهب فيه الشعب العامل في المدينة لا ليتظاهر في الشوارع هاتفاً وحسب بل ليخوض المعركة الكبيرة الحاسمة وليس بعيد ذلك اليوم الذي سيهتف فيه العمال كرجل واحد «اما ان نموت في غمرة النضال واما ان نظفر بالحرية وليس بعيد ذلك اليوم الذي سيهب فيه الالوف من المكافحين الجدد وهم اشدّ حزمًا وعزمًا ، مكان المئات الذين استشهدوا في غمرة النضال وحينذاك سيهب الفلاحون بدورهم في عموم روسيا الى مساعدة عمال المدن الى الكفاح حتى النهاية في سبيل حرية الفلاحين والعمال ولن تكون هناك قطعان قيصرية تستطيع الصمود حينذاك وسينتصر الشعب العامل ، وتسير الطبقة العاملة في طريق واسعة رحبة نحو تحرير

جميع الشغيلة من كل اضطهاد وستفيد الطبقة العاملة من الحرية لكي تخوض النضال من اجل الاشتراكية !

برنامج حزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا كما عرضته جريدة «الايسكرا» ومجلة «زاريا»

لقد سبق ان اوضحنا ما هو البرنامج ولما هو ضروري ولما كان الحزب الاشتراكي-الديموقراطي الحزب الوحيد الذي يقدم برنامجاً واضحاً دقيقاً ولا يمكن اقرار البرنامج نهائياً إلا في مؤتمر حزبنا اي في اجتماع ممثلي جميع مناضلي الحزب وهذا المؤتمر تهيئه الآن اللجنة التنظيمية هذا مع العلم انها عديدة جداً لجان حزبنا التي اكدت علناً موافقتها مع جريدة «الايسكرا» واعترفت بها جريدة قائدة ولذا كان بوسع مشروع (اقتراح) برنامجنا ان يفيد كل من يريد ان يعرف بدقة ما يتبغيه الاشتراكيون-الديموقراطيون ولذا نرى من الضروري ان نقدم النص الكامل لهذا المشروع في ملحق لكراسنا

وبديهي ان ليس جميع العمال سيدركون ، دون تعليقات ، ما ورد في البرنامج ان الكثيرين من كبار الاشتراكيين قد اشتغلوا في وضع المذهب الاشتراكي-الديموقراطي الذي اتّمه ماركس وانجلس كذلك مرّ عمال جميع الاقطار بالكثير من المحن قبل ان يكتسبوا هذه التجربة التي نريد الافادة منها والتي نريد ان نجعلها اساساً لبرنامجنا ولذا ينبغي على العامل ان يدرس المذهب الاشتراكي-الديموقراطي لكي يفهم كل كلمة من البرنامج برنامجه هو ، ورايته هو في النضال . ان العمال يدركون ويستوعبون

البرنامج الاشتراكي-الديموقراطي بسهولة بالغة لأن هذا البرنامج يتحدث عمّا رآه وامتحنه كل عامل يفكر فلا تُنْفَرَنُ احدى «صعوبة» فهم البرنامج من الدفعة الاولى فكلما قرأ العامل وفكّر وازداد تجربة في النضال فهم البرنامج اكثر فاكثر ولكن ليفكر كل امرى ويتعمق في مجمل برنامج الاشتراكيين-الديموقراطيين ليحفظ كل امرى في ذاكرته كل ما يريده الاشتراكيون-الديموقراطيون وما يفكرون به حول تحرير الشعب العامل كله ان الاشتراكيين-الديموقراطيين يريدون ان يدرك الجميع وكل فرد من الافراد بوضوح ودقة ، وحتى النهاية ، كل الحقيقة عن الحزب الاشتراكي-الديموقراطي

ونحن لا نستطيع هنا ان نشرح البرنامج بكل خطوته فلهذا الغرض يقتضى كراس خاص انما نكتفي بان نقول بايجاز ما يتناوله البرنامج كما نوصي القارى ، زيادة في الاطلاع ، بالحصول على كراسين احدهما «برنامج افقوت» المترجم الى اللغة الروسية ، وهو بقلم كارل كاوتسكي الاشتراكي-الديموقراطي الالمانى والثانى «قضية العمال في روسيا» وهو بقلم ل مارتوف الاشتراكي-الديموقراطي الروسى ان هذين الكراسين يساعدان في فهم كل برنامجنا

والآن سنعمد الى تعيين كل قسم من اقسام برنامجنا بحرف (انظر البرنامج فيما بعد) وسنتحدث عمّا يتناوله كل من هذه الاقسام

- أ - ورد في مطلع البرنامج ان بروليتاريا العالم بأسره تناضل في سبيل تحريرها وان البروليتاريا الروسية ليست سوى فصيلة من فصائل جيش الطبقة العاملة العالمى في جميع الاقطار
- ب - ثم تناول البرنامج الانظمة البرجوازية في جميع بلدان العالم تقريباً بما فيها روسيا . وقال ان اغلبية السكان فريسة

لبؤس لانها تعمل في صالح ملاكي الاراضي والرأسمالين وان الخراب يحل بالحرفيين الصغار وبالفلاحين بينا تتكاثر المصانع الضخمة ، وان الرأسمال ينيخ بكلكله على العامل وزوجته واطفاله ، وان اوضاع الطبقة العاملة تتفاقم يوماً بعد يوم وان البؤس يشتدّ والبطالة تستشري

ج - كذلك تحدث البرنامج عن تحالف العمال وعن نضالهم وعن الهدف الكبير الذي يرمي اليه هذا النضال تحرير جميع المضطهدين وضع حدّ نهائي لكل اضطهاد يسلمه الاغنياء على الفقراء ووضح البرنامج ايضاً لماذا تتعاطم قوة الطبقة العاملة يوماً بعد يوم ولماذا ستنتصر الطبقة العاملة حتماً على جميع اعدائها على جميع المدافعين عن البرجوازية

د - وبيّن البرنامج لماذا انشئت الاحزاب الاشتراكية-الديموقراطية في جميع البلدان وكيف تساعد الطبقة العاملة في النضال وكيف توحد العمال وترشدهم وتعلمهم وتهيئهم للنضال الكبير

هـ - وبيّن البرنامج لماذا يعاني الشعب في روسيا شروط حياة اسوأ مما هي عليه في سائر الاقطار واية مصيبة كبيرة هي الاوتوقراطية القيصرية وكيف ينبغي لنا ان ندكها قبل كل شيء ونقيم في روسيا حكومة شعبية منتخبة

و - اية تحسينات ستحققها الحكومة المنتخبة لعموم الشعب؟ لقد تحدثنا عن ذلك في كراسنا كما ان البرنامج تناول هذه الناحية ايضاً

ز - وفوق ذلك اوضح البرنامج اية هي التحسينات التي ينبغي الحصول عليها منذ الآن لعموم الطبقة العاملة لكي تصبح حياتها اقل صعوبة ولكي تناضل بمزيد من الحرية في سبيل الاشتراكية .

ح - و اشار البرنامج بصورة خاصة الى التحسينات التي ينبغي الحصول عليها بالدرجة الاولى لعموم الفلاحين ، لكي يتمكن الفلاحون الفقراء من مواصلة النضال الطبقي ضد البرجوازية الريفية وضد عموم البرجوازية الروسية بمزيد من السهولة والحرية

ط - واخيراً نبّه الحزب الاشتراكي-الديموقراطي الشعب الى انه ينبغي عدم تصديق اي وعد من الوعود التي يقدّمها البوليس والموظفون أو اي خطاب معسول من الخطب التي يلقونها انما ينبغي النضال بثبات وحزم لكي يصار فوراً الى عقد جمعية نواب شعبية حرة

المجلد ٧ ،
صص ١٢٩-٢٠٣

كتب في النصف الاول من آذار
(مارس) ١٩٠٣
صدر بشكل كراس ، في شهر
ايار (مايو) ١٩٠٣ في جنيف ؛
وقد اصدرته العصبية
الاشتراكية - الديموقراطية الروسية
في المهجر»

المسألة القومية في برنامجنا

لقد طرحنا في مشروع برنامج الحزب مطلب جمهورية ذات دستور ديموقراطي يؤمن ، فيما يؤمن ، «الاعتراف بحق جميع الامم الداخلة في قوام الدولة في تقرير المصير» وقد بدا هذا المطلب البرنامجي للكثيرين على درجة غير كافية من الوضوح فأوضحنا في العدد ٣٣ (١٣٦) في معرض الكلام عن بيان الاشتراكيين-الديموقراطيين الارمن اهمية هذه النقطة على النحو التالي ان الاشتراكية-الديموقراطية سوف تناضل على الدوام ضد كل محاولة للتأثير من الخارج ، عن طريق العنف او عن طريق اي ظلامة كانت ، على حق الامم في تقرير المصير ولكن الاعتراف بلا قيد ولا شرط بالنضال من اجل حرية تقرير المصير لا يلزمنا البتة بتأييد اي مطلب كان لعق الامم في تقرير المصير فان الاشتراكية-الديموقراطية بوصفها حزب البروليتاريا تعتبر المساعدة في اقرار الحق في تقرير المصير لا للشعوب والامم بل للبروليتاريا في كل قومية مهمة ايجابية ورئيسية من مهامها يجب علينا ان نسعى دائماً ومن كل بد الى توحيد البروليتاريا من جميع القوميات اوثق التوحيد وليس في وسعنا الا في حالات منفردة استثنائية ، ان نطرح وان نؤيد بنشاط المطالب التي تميل الى انشاء دولة طبقية

جديدة او الى الاستعاضة عن الوحدة السياسية الكاملة للدولة
بوحدة فيديرالية أضعف ، وما الى ذلك *

وقد استثار هذا التفسير لبرنامجنا في المسألة القومية
الاحتجاج الحازم من جانب الحزب الاشتراكي البولوني (ح.أب).
(١٣٧) ففي مقالة «موقف الاشتراكية-الديموقراطية في روسيا من
المسألة القومية» („Przedświt“ ، (١٣٨) آذار (مارس) ١٩٠٣)
يعرب ح ا ب عن استيائه من هذا التفسير «المدهش» ومن «ضبابية»
الحق «السري» في تقرير المصير ویتهمنا بالجمود العقائدي وبالنظرة
«الفوضوية» كأنما «ليس للعامل ما يفعله غير القضاء التام على
الرأسمالية لأن اللغة والقومية والثقافة وخلافها حسبما
يزعم ، هي مجرد اختلاقات برجوازية» ، وما الى ذلك

يجب ان نتناول بكل تفصيل هذا التعليل الذي يكشف مظاهر
سوء الفهم العادية جداً والمنتشرة جداً بين الاشتراكيين في المسألة
القومية ، يكشفها جميعها او يكاد

لماذا كان تفسيرنا «مدهشا» الى هذا الحد ؟ لماذا يرى فيه
تراجع عن المعنى «الحرفي» ؟ فهل يتطلب الاعتراف بحق الامم في
تقرير المصير دعم اي مطلب لاي امة في تقرير مصيرها بنفسها ؟
فان الاعتراف بحق جميع المواطنين بتأليف الاتحادات الحرة لا
يلزمنا البتة نحن الاشتراكيين-الديموقراطيين بدعم تأليف اي
اتحاد جديد ولا يمنعنا البتة عن ابداء رأينا وعن التحريض ضد
لاعقلانية ولامعقولية فكرة تأليف اتحاد جديد ما معني نحن نعترف
حتى للجزويت بحق القيام بالتحريض الحر ولكننا نناضل (وليس
بالطريقة البوليسية نناضل بالطبع) ضد اتحاد الجزويت

* راجع مقال لينين «بصدد بيان «اتحاد الاشتراكيين-
الديموقراطيين الارمن» . الناشر .

والبروليتاريين ولهذا حين تقول "Przedświt"، «إذا كان ينبغي فهم مطلب حرية تقرير المصير فهماً حرفياً (وهذا المعنى اضفيناه عليه حتى الآن) فمن شأنه في هذه الحال ان يرضينا»، - فانه من الواضح تماماً ان ح ا ب بالذات هو الذي ينحرف عن المعنى الحرفي للبرنامج ان خلو استنتاجه من المنطق هو امر لا ريب فيه من الناحية الشكلية

ولنا لا نريد ان نكتفي بالتحقق الشكلي من تفسيرنا. لنطرح المسألة مباشرة ومن حيث جوهر الامر أينبغي على الاشتراكية-الديموقراطية من كل بد ان تطالب دائماً بالاستقلال الوطني ام فقط في ظروف معينة واي ظروف بالذات ؟ ان ح ا ب قد حل دائماً هذه المسألة في صالح الاعتراف بلا قيد ولا شرط ولهذا لا نعجب البتة من لطفه حيال الاشتراكيين-الثوريين الروس الذين يطالبون بانظمة الدولة الفيدرالية مؤيدين «الاعتراف الكامل وغير المشروط بحق الامم في تقرير المصير» («ريفولوتسيونايا روسيا» العدد ١٨ مقالة «الاستعباد القومي والاشتراكية الثورية») ومن المؤسف ان هذا لا يعدو ان يكون جملة من تلك الجمل البرجوازية الديموقراطية التي تبين مئة مرة والف مرة الطبيعة الحقيقية لما يسمى بحزب من يسمون بالاشتراكيين-الثوريين وان ح ا ب ، الذي استسلم لاغراء هذه الجمل ، وافتتن بهذه الضجة ، يثبت بدوره بذلك ان صلته بنضال البروليتاريا الطبقي ضعيف في وعيه النظري ونشاطه السياسي فلمصالح هذا النضال على وجه الضبط يجب ان تُخضع مطلب حق الامم في تقرير المصير وفي هذا الشرط على وجه الضبط يقوم الفرق بين طرحنا للمسألة القومية وبين طرحها البرجسوازي الديموقراطي فان الديموقراطي البرجوازي (وكذلك الانتهازي الاشتراكي المعاصر الذي يعتفي خطواته) يتصور ان الديموقراطية

تزيل النضال الطبقي ولهذا السبب يطرح جميع مطالبه السياسية بصورة مجردة بدون تمييز «بلا قيد ولا شرط» من وجهة نظر مصالح «الشعب كله» او حتى من وجهة نظر المبدأ-المطلق الاخلاقي الابدي ولكن الاشتراكي-الديموقراطي يفصح في كل مكان وزمان هذا الوهم البرجوازي بلا رحمة ولا هوادة سواء انعكس في فلسفة مثالية مجردة ام في طرح مطلب الاستقلال الوطني بلا قيد ولا شرط

واذا كان لا بد ايضاً من البرهنة على ان الماركسي لا يستطيع ان يعترف بمطلب الاستقلال الوطني الا بصورة مشروطة وبالشرط المشار اليه اعلاه على وجه الضبط ، فاننا نسوق كلمات كاتب كان قد دافع من وجهة النظر الماركسية عن طرح البروليتاريين البولونيين لمطلب بولونيا المستقلة فقد كتب كارل كاوتسكي في عام ١٨٩٦ في مقال «Finis Poloniae?», * «ما دامت البروليتاريا البولونية تهتم بالمسألة البولونية فلا يسعها ان لا تطالب باستقلال بولونيا ولا يسعها بالتالي ان لا ترحب بكل خطوة يمكن القيام بها الآن في هذا الاتجاه لأن مثل هذه الخطوة يتطابق على العموم مع المصالح الطبقيّة للبروليتاريا المناضلة العالمية»

ويواصل كاوتسكي قائلاً «وهذا التحفظ من الضروري الاعراب عنه في كل حال فان الاستقلال الوطني لا يرتبط بالمصالح الطبقيّة للبروليتاريا المناضلة ارتباطاً لا انفصام له الى حد انه كان ينبغي السعي وراءه بلا قيد ولا شرط ، اياً كانت الظروف * * ان ماركس وانجلس قد ناديا باشد الحزم بتوحيد

* - «نهاية بولونيا ؟» الناشر .

** حرف التاكيد لنا .

إيطاليا وتحريرها ولكن هذا لم يمنعها من الاعتراض في عام ١٨٥٩ على اتحاد إيطاليا مع نابليون "Neue Zeit" (XIV, 2, S. 520) (١٣٩)

انتم ترون ان كاوتسكي يرفض قطعاً مطلب استقلال الامم بدون قيد او شرط ويطالب قطعاً بطرح المسألة لا على الصعيد التاريخي بوجه عام وحسب بل ايضاً على الصعيد الطبقي بوجه الدقة واذا عدنا الى الكيفية التي طرح بها ماركس وانجلس المسألة البولونية فاننا نرى انهما هما ايضاً طرحاها على هذا النحو بالذات منذ بادىء بدء وقد خصصت «الجريدة الريمانية الجديدة» (١٤٠) مكاناً كبيراً للمسألة البولونية وطالبت قطعاً لا باستقلال بولونيا وحسب بل ايضاً بحرب تشنها المانيا على روسيا من اجل بولونيا ولكن ماركس انقض في هذا الوقت نفسه على روجه الذي تكلم في برلمان فرانكفورت (١٤١) مطالباً بحرية بولونيا حالاً المسألة البولونية بوساطة الجمل والتعابير البرجوازية الديموقراطية وحدها عن «الظلم المخزي»، دون ان يقوم باي تحليل تاريخي ان ماركس لم يكن من عداد اولئك المتحذلقين والتافهين الضيقي الافق الناطقين باسم الثورة الذين يخشون اشد ما يخشون «المناظرات» في اللحظات التاريخية الثورية ولقد انهال ماركس بالتهكمات التي لا رحمة فيها ولا هوادة على المواطن «الانساني» روجه وبين له بمثال اضهاد فرنسا الجنوبية من قبل فرنسا الشمالية ان ليس اي اضهاد قومي وليس دائماً يستتبع طموحاً الى الاستقلال مشروعاً من وجهة نظر الديموقراطية والبروليتاريا واستشهد ماركس بالظروف الاجتماعية الخاصة التي «جعلت من بولونيا جزءاً ثورياً من روسيا والنمسا وبروسيا وحتى طبقة النبلاء البولونيين التي كانت لا تزال قائمة جزئياً في تربة الاقطاعية ، انضمت بتفان لا نظير له

الى الثورة الزراعية الديمقراطية كانت بولونيا قد غدت بؤرة الديمقراطية الأوروبية بينما كانت ألمانيا لا تزال تعيش بخمول في حماة ايدولوجية دستورية وفلسفية مزوّقة في منتهى الخساسة وما دمنا نحن (الالمان) نساعد في اضهاد بولونيا ما دمنا نسمر جزءاً من بولونيا الى ألمانيا ، - فاننا سنبقى نحن انفسنا مسمّرين الى روسيا والى السياسة الروسية ولن نتمكن من التحرر بصورة جذرية في بلادنا ايضاً من الحكم المطلق البطريركي الاقطاعي ان تأسيس بولونيا الديمقراطية هو الشرط الاول لتأسيس ألمانيا الديمقراطية» (١٤٢)

لقد استشهدنا بهذه الاقوال بمثل هذا التفصيل لأنها تبين بجلاء في اي ظروف تاريخية نشأت تلك الطريقة في طرح المسألة البولونية في الاشتراكية-الديموقراطية العالمية التي دامت طوال النصف الثاني كله تقريباً من القرن التاسع عشر ان عدم الاكترث بالظروف التي تغيرت مذ ذاك والدفاع عن الحلول القديمة التي تقدمت بها الماركسية انما يعيان الامانة لحرف المذهب لا لروحه انما يعيان تكرار الاستنتاجات السابقة المحفوظة عن ظهر قلب دون معرفة الاستفادة من اساليب البحث الماركسي لأجل تحليل الوضع السياسي الجديد آنذاك والآن - عهد الحركات الثورية البرجوازية الاخيرة وعهد الرجعية المستميتة وتوتر جميع القوى اقصى التوتر عشية الثورة البروليتارية - يختلفان بينهما اشد الاختلاف آنذاك كانت بولونيا بالذات ثورية برمتهما وليس الفلاحون وحدهم بل سواد طبقة النبلاء ايضاً وكانت تقاليد النضال من اجل التحرر الوطني قوية وعميقة الى حد ان خيرة ابناء بولونيا راحوا بعد الهزيمة في وطنهم يدعمون الطبقات الثورية في كل مكان وان ذكرى دومبروفسكي وفروبليفسكي ترتبط بصورة لا انقسام لعراها باعظم حركة للبروليتاريا في القرن التاسع عشر ،

بآخر - وسوف نأمل بان تكون الاخيرة الفاشلة - انتفاضة قام بها عمال باريس (١٤٣) **آنذاك** كان انتصار الديمقراطية الكامل في اوروبا امرأ مستحيلاً بالفعل بدون بعث بولونيا **آنذاك** كانت بولونيا بالفعل حصن الحضارة ضد القيصرية الفصيلة الطليعية للديموقراطية اما **الآن** فان الطبقات الحاكمة في بولونيا والنبلاء العقاريين الصغار في المانيا والنمسا وطواغيت الصناعة والمال في روسيا يناصرون الطبقات الحاكمة في البلدان التي تضطهد بولونيا؛ وتناضل البروليتاريا الالمانية والروسية في سبيل تحررها الى جانب البروليتاريا البولونية التي تبنت ببطولة التقاليد العظيمة لبولونيا الثورية القديمة **والآن** يعترف ممثلو الماركسية الطليعيون في البلد المجاور الذين يراقبون بانتباه تطور اوروبا السياسي والذين يزخرون بالتعاطف على نضال البولونيين الباسل ، - يعترفون مع ذلك بصراحة فائدين «لقد صارت بطرسبورغ في الوقت الحاضر مركزاً ثورياً أهم بكثير من فرسوفيا والحركة الثورية الروسية تتمتع الآن باهمية عالمية اكبر من التي تتمتع بها الحركة الثورية البولونية» هكذا قال كاوتسكي في عام ١٨٩٦ في دفاعه عن جواز مطلب بعث بولونيا في برنامج الاشتراكيين-الديموقراطيين البولونيين اما في عام ١٩٠٢ فقد خلص مهرينغ بعد دراسة تطور المسألة البولونية منذ ١٨٤٨ حتى الوقت الحاضر، الى الاستنتاج التالي «لو ان البروليتاريا البولونية سجلت على رايتها مطلب بعث الدولة الطبقية البولونية التي لا تريد الطبقات الحاكمة نفسها حتى ان تسمع بها للعبت دوراً كوميدياً مازحاً تاريخياً فمثل هذه المغامرة تحدث للطبقة المالكة (كما حدث ، مثلاً ، لطبقة النبلاء البولونيين في عام ١٧٩١) ولكنه لا ينبغي للطبقة العاملة ان تنحط الى هذا اما اذا عرضت هذه الطوبوية الرجعية امام الملائ لأجل اجتذاب تلك الفئات من المثقفين والبرجوازية الصغيرة ، التي لا

يزال يوجد بينها صدى معين للتحريض القومي الى جانب التحريض البروليتاري فان هذه الطوبوية تستحق والحالة هذه الشجب مرتين بوصفها تجلياً لتلك الانتهازية غير اللائقة التي تضحي بالمصالح العميقة للطبقة العاملة في سبيل نجاحات مؤقتة تافهة ورخيصة

ان هذه المصالح تقضي قطعاً على العمال البولونيين في جميع الدول الثلاث التي تتقاسم بولونيا بان يناضلوا مع رفاقهم في الوضع الطبقي كتفأ الى كتف بدون اي سريرة وقد مرت تلك الازمنة التي كان بمقدور الثورة البرجوازية فيها ان تبني بولونيا حرة وفي الوقت الحاضر لا يمكن بعث بولونيا الا عن طريق الثورة الاجتماعية التي تحطم فيها البروليتاريا المعاصرة سلاسلها»

نحن نوافق كلياً على استنتاج مهرينغ هذا ولكننا نلاحظ فقط ان هذا الاستنتاج يبقى صحيحاً تماماً ايضاً فيما اذا لم نمض في التعليل بعيداً بقدر ما يمضي مهرينغ فلا ريب في ان وضع المسألة البولونية الحالي يختلف اختلافاً جذرياً عما كان عليه الامر منذ ٥٠ سنة ولكنه لا ينبغي اعتبار هذا الوضع الحالي ابدياً ولا ريب في ان التناحر الطبقي قد دفع القضايا القومية الآن بعيداً الى الوراء، ولكنه لا يجوز التاكيد قطعاً دون السقوط في حماة الجمود العقائدي انه يستحيل ان تظهر مؤقتاً في مقدمة حلبة المأساة السياسية هذه المسألة القومية وتلك في آن واحد ولا ريب في ان بعث بولونيا قبل سقوط الرأسمالية امر قليل الاحتمال للغاية، ولكنه لا يجوز القول انه امر مستحيل اطلاقاً وانه لا يمكن للبرجوازية البولونية ان تقف في ظروف معينة الى جانب الاستقلال، والخ والاشتراكية-الديموقراطية الروسية لا تقيد يديها في شيء. وهي تأخذ بالحسبان جميع الظروف الممكنة وحتى جميع الظروف التي يمكن ان تعطر في البال على العموم، حين تسجل في برنامجها

حق الامم في تقرير مصيرها ان هذا البرنامج لا يستبعد البتة ان تجعل البروليتاريا البولونية من الجمهورية البولونية الحرة والمستقلة شعاراً لها ، رغم ان حتى احتمال تحقيق هذا قبل الاشتراكية ضئيل للغاية ولكن هذا البرنامج يطالب فقط بان لا يفسد الحزب الاشتراكي فعلاً الوعي البروليتاري ولا يطمس النضال الطبقي ولا يغري الطبقة العاملة بالجمل البرجوازية الديمقراطية ولا يخالف وحدة نضال البروليتاريا السياسي المعاصر وفي هذا الشرط بالذات الذي لا نعتزف بحق تقرير مصيرها الا بموجبه يكمن الجوهر كله وعبثاً يحاول الحزب الاشتراكي البولوني ان يصور الامور كأنّ ما يفصله عن الاشتراكيين-الديموقراطيين الالمان او الروس انما هو انكارهم لحق تقرير المصير لحق السعي وراء جمهورية مستقلة حرة فليس هذا بل نسيان وجهة النظر الطبقيه وطمسها بالشوفينية وانتهاك وحدة النضال السياسي المعني - كل ذلك هو الذي لا يتيح لنا ان نرى في حاب حزباً اشتراكياً-ديموقراطياً عمالياً فعلاً اليكم ، مثلاً كيف يطرح حاب المسألة في المعتاد بفصل بولونيا يمكننا ان نضعف القيصرية فقط اما الاطاحة بها فيجب على الرفاق الروس ان يقوموا بها» او ايضاً بالقضاء على الاوتوقراطية نقرر بكل بساطة مصيرنا بحيث ننفضل عن روسيا» انظروا الى اي استنتاجات فظيعة يؤدي هذا المنطق الفظيع حتى من وجهة نظر مطلب البرنامج ببعث بولونيا بما ان بعث بولونيا هو احدي عواقب التطور الديموقراطي المحتملة (ولكن التي لا ريب في انها غير مؤمنة بالتأكيد في ظل سيادة البرجوازية) لهذا السبب ، لا ينبغي للبروليتاريا البولونية ان تناضل مع البروليتاريا الروسية من اجل الاطاحة بالقيصرية بل «فقط» من اجل اضعافها عن طريق فصل بولونيا وبما ان القيصرية الروسية

تعقد تحالفاً واثقاً فأوثق مع البرجوازيات والحكومات الألمانية والنمساوية والنمساوية والنمساوية والنمساوية ، لهذا السبب يجب على البروليتاريا البولونية ان تضعف تحالفها مع البروليتاريا الروسية والألمانية وخلافهما التي تناضل الآن معها ضد النير الواحد ذاته وهذا يعني امراً واحداً فقط ، هو التضحية باكثر مصالح البروليتاريا حيوية في سبيل فهم الاستقلال الوطني فهماً برجوازيًا ديموقراطياً ان تفكك روسيا الذي يريد ح اب السعي اليه يبقى ، خلافاً لهدفنا وهو الاطاحة بالاوتوقراطية ، وسوف يبقى جملة فارغة ، ما دام التطور الاقتصادي يرص مختلف اجزاء كل سياسي واحد بمزيد من الوثوق وما دامت برجوازية جميع البلدان تتحد بتكاتف اشد فأشد ضد عدوها المشترك البروليتاريا ومن اجل حليفها المشترك ، القيصر اما تفكك قوى البروليتاريا التي تتعذب الآن تحت نير هذه الاوتوقراطية ، فهو بالمقابل واقع مؤسف وهو نتيجة مباشرة لخطأ ح اب نتيجة مباشرة لاستخذائه امام الصيغ البرجوازية الديموقراطية ولاغماض العين عن تفكك البروليتاريا هذا يضطر ح اب للانحطاط الى درك الشوفينية ولعرض نظرات الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس مثلاً على النحو التالي «يجب علينا (نحن البولونيين) ان ننتظر الثورة الاجتماعية ، وان نتحمل بصبر حتى ذاك النير القومي» هذا خطأ جلي فان الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس لم ينصحوا يوماً بشيء من هذا القبيل ، وليس هذا وحسب بل على العكس يناضلون هم انفسهم ويدعون البروليتاريا الروسية كلها الى النضال ضد كل نير قومي في روسيا ويسجلون في برنامجهم لا المساواة التامة في الحقوق بين اللغات والقوميات وخلافها وحسب ، بل ايضاً الاعتراف بحق كل امة في تقرير مصيرها بنفسها واذا كنا اذ نعترف بهذا الحق نخضع دعماً مطلب الاستقلال الوطني لمصالح النضال البروليتاري ، فليس غير

الشوفيني من يمكنه ان يفسر موقفنا بعدم ثقة الروسي بالغريب لأنه يجب الزاماً ان ينبع هذا الموقف بالفعل من عدم ثقة البروليتاريا الواعية بالبرجوازية ان ح اب يرى كأنّ المسألة القومية تنحل بنقيضها «نحن» (البولونيين) و«هم» (الالمان والروس وخلافهم) اما الاشتراكي-الديموقراطي فانه يضع في المرتبة الاولى النقيض «نحن» - البروليتاريا و«هم» - البرجوازية «نحن» البروليتاريين رأينا عشرات المرات كيف تغون البرجوازية مصالح الحرية والوطن واللغة والامة حين تنتصب البروليتاريا الثورية امامها لقد رأينا كيف سلمت البرجوازية الفرنسية نفسها الى البروسيين في فترة عانت فيها الامة الفرنسية من الاضطهاد والاذلال اشدهما وكيف تحولت حكومة الدفاع الوطني الى حكومة لخيانة الشعب وكيف استدعت برجوازية الامة المضطهدة الى نجدتها جنود الامة المضطهدة لأجل قمع ابناء وطنها البروليتاريين الذين تجاسروا ومدوا يدهم الى السلطة ولهذا سنقول دائماً للعامل البولوني دون ان نرتبك اطلاقاً بالحملات الشوفينية والانتهازية ان اكمل واوثق التحالف مع البروليتاريا الروسية هو وحده القادر على تلبية مطالب النضال السياسي الجاري المعني ضد الاوتوقراطية وهذا التحالف وحده هو الذي سيعطي ضمانة التحرر السياسي والاقتصادي التام ان ما قلناه على المسألة البولونية يصح كلياً على اي مسألة قومية اخرى فان تاريخ الاوتوقراطية اللعين قد ترك لنا بالارث تنابذاً هائلاً بين الطبقات العاملة من مختلف الشعوب التي تضطهدها هذه الاوتوقراطية وهذا التناذب هو الشر الاكبر العقبة الكبرى في النضال ضد الاوتوقراطية وينبغي لنا ان لا نضفي على هذا الشر قوة القانون ونقدّس هذه القباحة باي «مبادئ» من الوضع الخاص الحزبي او من «الفيديريالية» الحزبية يقيناً انه من الابسط والاسهل ان نسير في خط الحد الادنى من

المقاومة وان يدبر كل منا اموره في زاويته حسب القاعدة القائلة «لا دخل لي في هذا» ، كما يريد البوند الآن ان يدبر اموره وبقدر ما ندرك ضرورة الوحدة وبقدر ما نزداد اقتناعاً باستحالة الضغط المشترك على الاوتوقراطية بدون الوحدة التامة وبقدر ما تشتد حدة الزامية تنظيم النضال تنظيمياً مركزياً في ظل اوضاعنا السياسية ، - بقدر ما يقل ميلنا الى الاكتفاء الى حل المسألة حلاً «بسيطاً» ولكنه ظاهري وزائف كلياً من حيث جوهره فاذا لم يتوفر ادراك ضرر التناوب ، واذا لم تتوفر الرغبة في وضع حد لهذا التناوب في معسكر الحزب البروليتاري بصورة جذرية وبأي ثمن كان - فلا داعي آنذاك الى اوراق تين «الاتحاد» ولا داعي آنذاك الى الانصراف الى حل مسألة لا يريد احد «الاطراف» ان يحلها حقاً وفعالاً ومن الافضل آنذاك ان ندع دروس التجربة الحياتية والحركة الفعلية تقنع بضرورة المركزية لأجل نجاح نضال البروليتاريا من اي شعب كان تخنقه الاوتوقراطية ضد هذه الاوتوقراطية وضد البرجوازية العالمية التي تتحد بوئوق متزايد ابداً

المجلد ٧ ،
صص ٢٣٣-٢٤٢

والايسكراء ، العدد ٤٤ ،
١٥ تموز (يوليو) ١٩٠٣

بداية الثورة في روسيا

جينيف ، الأربعاء ، ٢٥ (١٢) كانون الثاني (يناير)
تجري في روسيا حوادث تاريخية عظيمة فالبروليتاريا قد انتفضت على القيصرية لقد دفعت الحكومة بالبروليتاريا حتى الانتفاض ولا نحسب الآن ان ثمة مجالا للشك بأن الحكومة قد تعمدت فسخ المجال امام الحركة الاضرابية كي تتسع دون عائق نسبياً وكي تبدأ المظاهرة الواسعة رغبة منها في ان تدفع بالامور الى حد استخدام القوات العسكرية وقد دفعت بالامور الى هذا الحد فحاصل الأحد الدامي في بطرسبورغ احد ٩ كانون الثاني (يناير) (١٤٤) قد كان الوف القتل والجرحى لقد انتصرت العساكر على العمال العزل والنساء والاطفال تغلبت العساكر على العدو مطلقة الرصاص على العمال الصرعى وبقحة يعجز وصفها القلم واللسان يقول اليوم خدم القيصر واندالهم في صفوف البرجوازية الأوروبية المحافظة «لقد القينا عليهم درساً طيباً ا» اجل لقد كان الدرس بليغاً ولن تنسى البروليتاريا الروسية هذا الدرس ففئات الطبقة العاملة الأقل دربة والأشد تأخرأ الفئات التي كانت تؤمن بالقيصر ايماناً ساذجاً والتي كانت ترغب صادقة في ان تتقدم سلمياً من «القيصر نفسه» بطلبات الشعب

المرهق ، قد تلقت جميعها درساً من القوات المسلحة التي يقودها القيصر او عم القيصر الأمير الكبير فلاديمير

تلقت الطبقة العاملة درساً بليغاً في الحرب الأهلية فترية البروليتاريا تربية ثورية قد خطت الى الأمام خلال يوم واحد خطوة ما كان يمكن ان تخطو مثلها خلال اشهر بل سنين من حياة الركود اليومية البلدية ان شعار بروليتاريا بطرسبورغ الباسلة «الموت او الحرية يتردد اليوم كالصدى في جميع اصقاع روسيا ان الأحداث تتطور بسرعة مذهلة يتسع الاضراب العام في بطرسبورغ وقد اصاب الشلل الحياة الصناعية والاجتماعية والسياسية كلها ففي يوم الاثنين ١٠ كانون الثاني (يناير) اصبحت اصطدامات العمال بالعساكر اشد عنفاً وعلى الرغم من البلاغات الحكومية الكاذبة تسيل الدماء في الكثير الكثير من انحاء العاصمة وينهض عمال كولبينو ان البروليتاريا تتسلح وتسليح الشعب ويقال ان العمال قد استولوا على مستودع الاسلحة في سيستروريتسك ويتزود العمال بالمسدسات ويصنعون لانفسهم الاسلحة من ادواتهم ويحصلون على القنابل لنضال مستميت في سبيل الحرية ويشمل الاضراب العام الأقاليم فقد اضراب في موسكو ١٠ آلاف شخص وتقرر ان يبدأ غداً (الخميس ١٣ كانون الثاني - يناير) الاضراب العام في موسكو واندلع عصيان في ريغا ويتظاهر العمال في لودز ، ويحضر الانتفاض في فرسوفيا، وتجري مظاهرات البروليتاريا في هلسينغفورس وفي باكو واوديسا وكييف وخاركوف وكوفنو وفيلنو يشهد الغليان بين العمال ويتسع الاضراب وفي سيياستوبول تحترق المستودعات وترسانة المصلحة البحرية ويرفض الجنود اطلاق النار على البحارة الثائرين اضراب في ريفيل وفي ساراتوف . اصطدام مسلح بين الجنود والعمال والاحتياط في رادوم .

الثورة في اتساع وبدأت الحكومة تضطرب فهي تحاول الانتقال من سياسة القمع الدامي الى سياسة التنازلات الاقتصادية، تحاول الخلاص بصدقات او بوعده بتحديد يوم العمل بتسع ساعات غير انه لا يمكن لدرس اليوم الدامي ان يذهب سدى وينبغي لمطلب عمال بطرسبورغ الثائرين - الدعوة دون ابطاء لعقد جمعية تأسيسية على اساس الحق الانتخابي العام المباشر والمتساوي والسري - ان يصبح مطلب جميع العمال المضربين اسقاط الحكومة على الفور - بهذا الشعار اجاب على مذبحه ٩ كانون الثاني (يناير) حتى عمال بطرسبورغ الذين كانوا يؤمنون بالقيصر وقد اجابوا بلسان زعيمهم الكاهن غيورغي غابون الذي قال بعد هذا اليوم الدامي «لم يبق لدينا قيصر فنهر من الدماء يفصل القيصر عن الشعب عاش النضال في سبيل الحرية!»

ونهدف نحن عاشت البروليتاريا الثورية يستنهض الاضراب العام ويعبى جماهير اوسع فأوسع من الطبقة العاملة ومن فقراء المدن ان تسليح الشعب يصبح مهمة من المهام المباشرة في هذا الظرف الثوري .

ان الشعب المسلح هو وحده القادر على ان يكون الدعامة الحقيقية لحرية الشعب وبمقدار ما يتيسر للبروليتاريا ان تتسلح بسرعة وبمقدار ما تصمد في موقعها العسكري بصفة مضرب ثوري بمقدار ما تقرب ساعة حلول الرعدة في العساكر ويزداد بين الجنود عدد الناس الذين يفقهون في نهاية الأمر ما يفعلون والذين يقفون الى جانب الشعب ضد الوحوش ضد الطاغية ضد قتلة العمال العزل وزوجاتهم واولادهم وكيفما كانت نهاية الانتفاض الحالي في بطرسبورغ نفسها فلا مفر ولا مناص من ان يصبح على كل حال الدرجة الأولى في اتجاه انتفاض اوسع واوعى

واحسن اعداداً قد تفلح الحكومة في تأخير ساعة العقاب غير ان التأخير إن اسفر عن شيء فانه يسفر عن جعل الخطوة التالية في الهجوم الثوري اشد جسامة التأخير لن يكون غير فرصة تغتنمها الاشتراكية-الديموقراطية لرص صفوف المناضلين المنظمين ولنشر انباء مبادرة عمال بطرسبورغ ستنضم البروليتاريا الى النضال تاركة المصانع والمعامل ومعدّة لنفسها الأسلحة وستتغلغل شعارات النضال في سبيل الحرية اوسع فأوسع في وسط فقراء المدن وفي وسط الملايين من الفلاحين وستتأسس اللجان الثورية في كل مصنع وفي كل حي من احياء المدن وفي كل قرية كبيرة لحد ما وسيأخذ الشعب الثائر باسقاط جميع دوائر حكومة الحكم القيصري المطلق منادياً بعقد الجمعية التأسيسية على الفور ان التسليح الفوري للعمال وسائر المواطنين بوجه عام وتحضير وتنظيم القوى الثورية بغية القضاء على السلطات والدوائر الحكومية هو الأساس العملي الذي يمكن ويجب له ان يصبح الصعيد الذي يلتقي عليه جميع الثوريين على اختلافهم بقصد توجيه الضربة المشتركة ينبغي للبروليتاريا ان تسير ابدأ في طريقها المستقل دون ان تضعف صلاتها بالحزب الاشتراكي-الديموقراطي ودون ان تنسى اهدافها النهائية العظمى الرامية الى تخليص البشرية كلها من الاستعمار بجميع اشكاله غير ان استقلال الحزب البروليتاري الاشتراكي-الديموقراطي هذا لن يحملنا قط على نسيان اهمية الهجوم الثوري المشترك في زمن الثورة الحقيقية فبوسعنا ومن واجبنا نحن الاشتراكيين-الديموقراطيين ان نسير مستقلين عن ثوريي الديموقراطية البرجوازية وان نصون استقلال البروليتاريا الطبقي ولكن يجب علينا ان نسير يداً بيد اثناء الانتفاض اثناء توجيه الضربات المباشرة للقيصرية اثناء صد الجيش ، اثناء شن الهجوم على حصون العدو اللعين ، عدو الشعب الروسي كله .

بفروغ صبر وبرجاء تتطلع الآن البروليتاريا في العالم بأسره الى البروليتاريا في روسيا من اقصاها الى اقصاها فاسقاط القيصرية في روسيا الذي بدأته طبقتنا العاملة ببطولة سيكون نقطة انعطاف في تاريخ جميع البلدان وتسهيلاً لقضية جميع العمال في جميع الامم وجميع الدول وفي جميع ارجاء الكرة الارضية وعلى كل اشتراكي-ديموقراطي على كل عامل مدرك ان يتذكر مبلغ عظمة مهام النضال الشعبي العام الملقة الآن على كاهليه وعليه ألا ينسى انه يمثل كذلك حاجات ومصالح جميع الفلاحين ، جميع جماهير الكادحين والمستثمرين عليه ألا ينسى انه يمثل حاجات ومصالح الشعب كله ضد عدو الشعب كله ان المثل الذي ضربه الأبطال بروليتاريو بطرسبورغ مائل اليوم امام انظار الجميع

عاشت الثورة !

عاشت البروليتاريا الثائرة !

المجلد ٩
صص ٢٠١-٢٠٤

«فريود» ، العدد ٤ ، ٣١ (١٨)
كانون الثاني (يناير) ١٩٠٥

ديكتاتورية البروليتاريا والفلاحين الديموقراطية الثورية

ان مسألة اشتراك الاشتراكية-الديموقراطية في الحكومة الثورية الموقته انما يطرحها في جدول الاعمال سير الاحداث اقل مما طرحها المحاكمات النظرية التي يتقدم بها الاشتراكيون-الديموقراطيون من احد الاتجاهات وقد سبق لنا وحللنا في مقالتين ساخرتين (في العدد ١٣ و ١٤) محاكمات مارتينوف * الذي كان اول من اثار هذه المسألة ولكنه يتبين ان الاهتمام بها لعل درجة من العظمة ومظاهر سوء الفهم الناجمة عن المحاكمات المشار اليها (انظر على الاخص العدد ٩٣ من «اليسكرا») لعل درجة من الضخامة بحيث انه من الضروري التوقف مرة اخرى عند هذه المسألة وكيفما قَدّر الاشتراكيون-الديموقراطيون الاحتمال القائل بانه سيتعين علينا في المستقبل القريب ان نحل هذه المسألة وليس من الناحية النظرية وحسب فان وضوح الاهداف المباشرة ضروري لأجل الحزب فبدون جواب واضح عن هذه المسألة اصبح من المستحيل الآن الدعاية والتحريض المتمالكان الخاليان من التذبذب او من التحفظ في الكلام

* راجع مقال لينين «الاشتراكية-الديموقراطية والحكومة الثورية الموقته» . الناشر .

لنحاول بعث جوهر المسألة المختلف عليها اذا شئنا
لا مجرد تنازلات من الاوتوقراطية بل الاطاحة بها حقا فانه
يتعين علينا ان نتوصل الى الاستعاضة عن الحكومة القيصريّة
بحكومة ثورية موقّته تعمد من جهة الى عقد جمعية تأسيسية
على اساس حق الاقتراع العام والمباشر والمتساوي والسري
فعلاً ويكون بمقدورها من جهة اخرى ان تطبق فعلاً الحرية
العامة اثناء الانتخابات وهنا نتساءل هل يجوز لحزب العمال
الاشتراكي-الديموقراطي ان يشترك في مثل هذه الحكومة الثورية
الموقّته ؟ هذا السؤال طرحه للمرة الاولى ممثلو الجناح الانتهازي
في حزبنا وعلى وجه الضبط مارتينوف وذلك حتى قبل ٩
كانون الثاني (يناير) علماً بانه هو و«الايسكرا» في اثره قد
حلا هذه المسألة سلباً فقد حاول مارتينوف ان يدفع الى حد
الخراقة نظرات الاشتراكيين-الديموقراطيين الثوريين معيّفاً اياهم
بانه في حال نجاح العمل في تنظيم الثورة في حال قيادة الانتفاضة
الشعبية المسلحة من جانب حزبنا سيّتين علينا ان نشترك في
الحكومة الثورية الموقّته والحال ان هذا الاشتراك انما هو
«استيلاء على السلطة» غير جائز انما هو «جوريسية مبتذلة»
(١٤٥) غير مقبولة بالنسبة للحزب الاشتراكي-الديموقراطي
الطبقي

لنتوقف عند محاكمات انصار هذه النظرة يقولون لنا
حين تكون الاشتراكية-الديموقراطية في الحكومة الموقّته فانها
ستقبض في يدها على زمام الحكم والحال لا تستطيع الاشتراكية-
الديموقراطية بوصفها حزب البروليتاريا ان تقبض على زمام
الحكم دون ان تحاول تحقيق برنامجنا برنامج الحد الاقصى اي
دون ان تحاول تحقيق الانقلاب الاشتراكي وفي حال تحقيق هذا
الاجراء ، تمنى حتماً في الوقت الحاضر بالهزيمة ولا تفعل غير ان

تخزي نفسها لا تفعل غير ان تخدم مآرب الرجعية ولهذا كان اشتراك الاشتراكية-الديموقراطية في الحكومة الثورية غير جائز

ان هذا المحاكمة تركز على الخلط بين الانقلاب الديموقراطي والانقلاب الاشتراكي - بين النضال في سبيل الجمهورية (بما في ذلك هنا كل برنامجنا برنامج الحد الادنى) والنضال في سبيل الاشتراكية واذا ما حاولت الاشتراكية-الديموقراطية ان تجعل من الانقلاب الاشتراكي هدفها المباشر ، فانها لن تفعل حقاً غير ان تخزي نفسها ولكن الاشتراكية-الديموقراطية حاربت دائماً وعلى وجه الضبط مثل هذه الافكار الغامضة والمبهمه عند اصحابنا «الاشتراكيين-الثوريين» ولهذا السبب بالذات الحت دائماً على الطابع البرجوازي للثورة العتيدة في روسيا ولهذا السبب بالذات طالبت بفصل البرنامج الديموقراطي برنامج الحد الادنى بكل دقة ، عن البرنامج الاشتراكي برنامج الحد الاقصى وكل هذا يمكن ان ينسأه في زمن الانقلاب بعض الاشتراكيين-الديموقراطيين-الميلين الى الاستسلام امام العفوية ، ولكن لا يمكن ان ينسأه الحزب برمته ان انصار هذا الرأي الخاطي يخرون سجداً امام العفوية لظنهم ان مجرى الامور يجبر الاشتراكية-الديموقراطية في هذا الوضع على الانصراف خلافاً لارادتها الى تحقيق الانقلاب الاشتراكي ولو كان الحال كذلك لكان برنامجنا بالتالي غير صحيح ولكن بالتالي غير متطابق مع «مجرى الامور» فان الذين يخرون سجداً امام العفوية يخافون هذا على وجه الضبط يخافون صحة برنامجنا ولكن خوفهم (الذي حاولنا ان نرسم في مقالتيها تفسيره النفساني) باطل كلياً ان برنامجنا صحيح وصحته يؤكدها من كل بد مجرى الامور على وجه الضبط ويؤكدها اكثر فاكثر مع مر الزمن . ومجرى الامور

على وجه الضبط «يفرض» علينا بلا قيد ولا شرط ضرورة النضال المستميت في سبيل الجمهورية ومجرى الامور على وجه الضبط يوجه عملياً في هذا الاتجاه بالذات قوانا قوى البروليتاريا - النشيطة سياسياً ومجرى الامور على وجه الضبط يفرض علينا حتماً في ظل الانقلاب الديمقراطي مثل هذا العدد الضخم من الحلفاء من البرجوازية الصغيرة والفلاحين ممن تفتضي حاجاتهم الفعلية تطبيق برنامج الحد الأدنى بالذات بحيث ان التخوف من الانتقال بخارق السرعة الى برنامج الحد الاقصى مضحك حقاً

ولكن هؤلاء الحلفاء بالذات من الديمقراطية البرجوازية الصغيرة يستثيرون مخاوف جديدة بين الاشتراكيين-الديموقراطيين من اتجاه معين يستثيرون على وجه الضبط المخاوف بصدد «الجوريسية المبتدلة» فان الاشتراك في الحكومة مع الديمقراطية البرجوازية ممنوع بقرار مؤتمر امستردام (١٤٦) وهذا هو الجوريسية اي الخيانة اللاواعية لمصالح البروليتاريا وتحويل البروليتاريا الى ذيل للبرجوازية وافسادها بهرج السلطة المستحيلة اطلاقاً بالفعل في المجتمع البرجوازي

ان هذه المحاكمة ليست اقل خطأ فهي تبين ان اصحابها حفظوا غيباً قرارات جيدة ولكنهم لم يفهموا معناها - حفظوا غيباً بعض كليمات معادية للجوريسية ولكنهم لم يعنوا الفكر فيها ولهذا يستعملونها بصورة غير مناسبة ابدأ ؛ - استوعبوا حرف الدروس الاخيرة للاشتراكية-الديموقراطية الثورية العالمية لا روحها فان من يريد ان يقيّم الجوريسية من وجهة نظر المادية الديالكتيكية يتعين عليه ان يميز بدقة بين الدوافع الذاتية والظروف التاريخية الموضوعية ذاتياً اراد جوريس ان ينقذ الجمهورية فتحالف لهذا الغرض مع الديمقراطية البرجوازية . اما الظروف الموضوعية لهذه «التجربة» ، فقد تلخصت

في ان الجمهورية كانت آنذاك في فرنسا امراً واقعاً وانه لم يكن يتهددها اي خطر جدي - وانه كانت تتوفر للطبقة العاملة الامكانية التامة لتطوير التنظيم الطبقي المستقل وانها كانت تستغل هذه الامكانية بصورة غير كافية ، وذلك جزئياً بتأثير فيض تجارين زعمائها البرلمانيين المبهرجة بالذات - وان التاريخ كان قد طرح بالفعل امام الطبقة العاملة بصورة موضوعية مهمات الانقلاب الاشتراكي الذي كان اضراب ميليران يصرفون البروليتاريا عنه بالوعد باصلاحات اجتماعية تافهة

والآن خذوا روسيا ذاتياً يريد اشتراكيون-ديموقراطيون ثوريون مثل الفبريوديين (١٤٧) او بارفوس ان يدودوا عن الجمهورية فيتحالفون لهذا الغرض مع الديموقراطية البرجوازية الثورية اما الظروف الموضوعية فانها تختلف عن الظروف الفرنسية كالسماء عن الارض فموضوعياً وضع مجرى الامور التاريخي الآن البروليتاريا الروسية امام مهمة الانقلاب البرجوازي الديموقراطي بالذات (الذي نشير الى كل مضمونه بغية الايجاز بكلمة الجمهورية) وامام هذه المهمة ايضاً يقف الشعب كله اي كل جمهور البرجوازية الصغيرة والفلاحين وبدون هذا الانقلاب يستحيل تطور التنظيم الطبقي المستقل تطوراً واسعاً نوعاً لأجل الانقلاب الاشتراكي

تصوروا بصورة ملموسة كل الفرق بين الظروف الموضوعية وقولوا ماذا يجب التفكير في اناس ينسون هذا الفرق لتولعهم بتشابه بعض الكلمات بتشابه بعض الاحرف بوحدة التعليل الذاتي ؟

وبما ان جوريس في فرنسا خر ساجداً امام الاصلاح الاجتماعي البرجوازي متستراً بصورة غير صحيحة بهدف ذاتي بهدف النضال في سبيل الجمهورية ، لهذا السبب ، يتعين علينا ، نحن

الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس ان نمتنع عن النضال الجدي في سبيل الجمهورية فالى هذا الى هذا بالذات تؤول حكمة الايسكريين الجدد (١٤٨)

وبالفعل أليس واضحاً ان النضال في سبيل الجمهورية غير معقول بالنسبة للبروليتاريا بدون تحالفها مع الجمهور البرجوازي الصغير من الشعب ؟ اوليس من الواضح انه ليس ثمة اي ظل لأمل في نجاح هذا النضال بدون ديكتاتورية البروليتاريا والفلاحين الثورية ؟ ومن اكبر نواقص النظرة التي نحللها شحوبها جمودها تناسيها لظروف الزمن الثوري ان النضال في سبيل الجمهورية ورفض الديكتاتورية الديمقراطية الثورية في الوقت نفسه انما يعنيان كما لو ان اوييما قرر مقاتلة كورباتكين في جوار موكدن رافضاً سلفاً فكرة الدخول بنفسه الى موكدن ذلك اننا اذا اردنا نحن الشعب الثوري اي البروليتاريا والفلاحين ان «نضرب معاً» الاوتوقراطية ، تعين علينا كذلك ان نواصل معاً ضربها الى النهاية ، ان نقتلها معاً ، ان نرد معاً المحاولات المحتملة لاعادتها ! (وتحفظ مرة اخرى تحوطاً لكل سوء فهم ممكن ونقول اننا لا نقصد بالجمهورية شكل الحكم وحسب وحتى لا نقصد بها شكل الحكم بقدر ما نقصد كل مجمل التحويلات الديمقراطية بموجب برنامجنا برنامج الحد الادنى) لا بد للمرء حقاً من فهم مدرسي عن التاريخ لكي يتصور القضية بدون «طفرات» بصورة خط مستقيم ما صاعد ببطء وانتظام في البدء كأنما الدور دور البرجوازية الكبيرة الليبيرالية - تنازلات صغيرة من الاوتوقراطية - ، ثم دور البرجوازية الصغيرة الثورية - الجمهورية البرجوازية ، - واخيراً دور البروليتاريا - الانقلاب الاشتراكي ان هذه اللوحة صحيحة كلياً واجمالاً صحيحة «لزمّن طويل» كما يقول الفرنسيون ، لمدة قرن نوعاً (مثلاً ، بالنسبة لفرنسا ، من

عام ١٧٨٩ الى عام ١٩٠٥) ولكن لكي يضع المرء لنفسه بموجب هذه اللوحة خطة لنشاطه في العهد الثوري لهذا الغرض ينبغي ان يكون حاذقاً جداً في التفاهة وضيق الافق واذا كانت الاوتوقراطية الروسية لا تستطيع ان تتفلسف حتى في الوقت الحاضر بالاكْتفاء بدستور ميتور واذا كانت لن تززع وحسب بل سيطاح بها كذلك فعلاً فان الامر سيتطلب آنذاك ، على الارجح ، من جميع الطبقات المتقدمة بذل قدر هائل من الطاقة الثورية لأجل الذود عن هذا المكسب والحال ان هذا «الذود» لا يعدو ان يكون ديكتاتورية البروليتاريا والفلاحين الثورية ! وبقدر ما نكسب المزيد الآن وبقدر ما نذود بمزيد من العزم عن المكتسب بقدر ما تعجز الرجعية المقبلة المحتملة عن انتزاعه فيما بعد وتقتصر هذه الفترات من الرجعية وتسهل المهمة على المناضلين البروليتاريين السائرين في اثرنا

وهنا يظهر اناس يريدون مسبقاً قبل النضال ، ان يقيسوا بدقة ، «على طريقة ايلوفايسكي» (١٤٩) قطعة صغيرة متواضعة جداً من المكاسب المقبلة وخطر في بالهم قبل سقوط الاوتوقراطية وحتى قبل ٩ كانون الثاني تخويف الطبقة العاملة في روسيا ببعبع الديكتاتورية الديمقراطية الثورية الرهيبة وهؤلاء الناس يدعون باسم الاشتراكيين-الديموقراطيين الثوريين

وهم يتباكون قائلين ان الاشتراك في الحكومة الموقته مع الديمقراطية الثورية البرجوازية انما يعنى تقديس النظام البرجوازي تقديس الاحتفاظ بالسجون والبوليس والبطالة والبؤس والملكية والدعارة ان هذه الحجة جديرة اما بالفوضيين واما بالشعبيين فان الاشتراكية-الديموقراطية لا تعدل عن النضال من اجل الحرية السياسية بحجة انها حريّة

سياسية برجوازية ان الاشتراكية-الديموقراطية تنظر الى «تقديس» النظام البرجوازي من وجهة النظر التاريخية فعندما سألوا فورباخ عما اذا كان يقديس مادية بوخنر وفوغت وموليشموت اجاب انا اقدس المادية في موقفها من الماضي ولكن لا في موقفها من المستقبل وهكذا بالضبط تقديس الاشتراكية-الديموقراطية النظام البرجوازي وهى لم تخشى يوماً ولن تخشى يوماً القول انها تقديس النظام البرجوازي الجمهوري الديمقراطي بالقياس الى النظام البرجوازي الاوتوقراطي الاقطاعي ولكنها لا «تقدس» الجمهورية البرجوازية الا بوصفها الشكل الاخير للسيادة الطبقيّة ، ولا تقديسها الا بوصفها انسب ساحة لأجل نضال البروليتاريا ضد البرجوازية ولا تقديسها من اجل سجونها وبوليسها ، من اجل الملكية والدعارة ، بل تقديسها من اجل النضال الواسع والحر ضد هذه المؤسسات اللطيفة

يقيناً اننا لا نفكر في الزعم ان اشتراكنا في الحكومة الثورية الموقته لا يستتبع اية اخطار على الاشتراكية-الديموقراطية فلا يوجد ولا يمكن ان يوجد شكل للنضال ، وضع سياسي لا يستتبع الاخطار وبدون الغريزة الطبقيّة الثورية بدون عقيدة متكاملة تقف في مستوى العلم بدون الذكاء (ولا يغضبين الرفاق الايسكريون الجدد) ، من الخطر آنذاك الاشتراك في الاضرابات - فقد يؤدي الى «الاقتصادية» - والاشترك في النضال البرلماني - فقد ينتهي بالبلاهة البرلمانية (١٥٠) - ودعم الديمقراطية الليبيرالية الزيمستفوية - فقد يؤدي الى «خطة الحملّة الزيمستفوية» (١٥١) من الخطر آنذاك حتى قراءة مؤلفات جوريس واولار النافعة جداً في تاريخ الثورة الفرنسية - فقد تؤدي الى كراس مارتينوف عن الديكتاتوريتين .

وبديهي انه اذا ما نسيت الاشتراكية-الديموقراطية وان للحظة الفرق الطبقي بين البروليتاريا والبرجوازية الصغيرة واذا عقدت في وقت غير مناسب تحالفاً غير نافع بالنسبة لنا مع هذا الحزب البرجوازي الصغير المثقف الذي لا يستحق الثقة او ذاك ، واذا غابت عن بال الاشتراكية-الديموقراطية وان للحظة اهدافها المستقلة والضرورة القاضية (ايًا كانت الاوضاع والظروف السياسية وايًا كانت الانعطافات والانقلابات) بوضع تطوير وعي البروليتاريا الطبقي وتنظيمها السياسي المستقل في رأس الزاوية - فان الاشتراك في الحكومة الثورية الموقته- سيكون في هذه الحال خطراً للغاية ولكن كل خطوة سياسية ، - ونكرر قولنا - ، خطرة في مثل هذا الظرف وبالفدر نفسه اما الى اي حد سيكون توقيت هذه الاخطار المحتملة وفقاً لوضع اقرب مهمات الاشتراكية-الديموقراطية الثورية في الوقت الحاضر واهياً وباطلاً فان هذا ستبينه للجميع ابسط المعلومات لن نتحدث عن انفسنا ولن نورد العديد من البيانات والتحذيرات والاشارات في جريدة «فبريود» بصدد المسألة التي نحللها - ولنستشهد ببارفوس ففي سياق تأييده لاشترك الاشتراكية-الديموقراطية في الحكومة الثورية الموقته يشير بكامل الحزم الى الشروط التي ينبغي لنا ان لا ننساها يوماً الضرب معاً السير على حدة عدم خلط المنظمات مراقبة الحليف مراقبتنا للعدو والخ ولن نتناول بمزيد من التفصيل هذا الجانب من القضية الذي سبق وتناولناه في المقالة

كلا ان الخطر السياسي الفعلي الذي يتهدد الاشتراكية-الديموقراطية لا يكمن البتة في الوقت الحاضر حيث يفتش عنه الايسكرويون الجدد فان ما يجب ان يخيفنا ليس فكرة ديكتاتورية البروليتاريا والفلاحين الديموقراطية الثورية ، بل روح الذنبية

والجمود * التي تؤثر تأثيراً مفسداً في حزب البروليتاريا متجلية في شتى نظريات التنظيم-التفاعل ونظريات التسلح-التفاعل وما الى ذلك خذوا مثلاً محاولة «الايسكرا» الاخيرة لاقامة فرق بين الحكومة الثورية الموقته وديكتاتورية البروليتاريا والفلاحين الديمقراطية الثورية اولى هذا يا ترى نموذجاً على الكلامية الجامدة ؟ ان الذين لفقوا مثل هذه الفوارق يستطيعون ان يرصفوا كلمات جميلة ولكنهم لا يستطيعون البتة ان يفكروا ان العلاقة بين المفاهيم المذكورة تشبه تقريبا بالفعل العلاقة بين الشكل الحقوقي والمضمون الطبقي وان من يقول «الحكومة الثورية الموقته» انما يؤكد على الجانب الدوّلي الحقوقي من القضية على منشأ الحكومة من الثورة وليس من القانون على الطابع الموقت للحكومة المرتبطة بالجمعية التأسيسية المقبلة ولكن اياً كان الشكل واياً كان المنشأ واياً كانت الظروف يظل من الواضح في كل حال ان الحكومة الثورية الموقته لا تستطيع ان لا تعتمد على طبقات معينة حسبنا التذكير بهذا الامر البدائي لكي نرى ان الحكومة الثورية الموقته لا يمكن ان تكون غير ديكتاتورية البروليتاريا والفلاحين الثورية ولذا لا يفعل الفرق الذي ساقته «الايسكرا» غير ان يجبر الحزب الى الورا الى المجادلات الكلامية العقيمة بدلاً من مهمة تحليل المصالح الطبقية في الثورة الروسية تحليلاً ملموساً او خذوا محاكمة اخرى «للايسكرا» فبصدد الهتاف عاشت الحكومة الثورية الموقته ! تلاحظ بلهجة واعظة «ان الجمع بين كلمة «عاشت» وكلمة «الحكومة» يدنس الشفاء» اوليست هذه

* في المخطوطة روح الذنبية ، والتفاهة وضيق الافق ،
والحرّفية ، والتقليد المبتذل ، والجمود»
هنا ، وفيما بعد تعاد ، في الملاحظات في اسفل الصفحة ، حسب
المخطوطة ، اهم الاماكن التي صححها وحررها اولمينسكي من اجل الجريدة .
الناشر .

جملة طنانة فارغة * ؟ انهم يقولون باسقاط الاوتوقراطية ويخافون في الوقت نفسه من التدنس بتحية الحكومة الثورية ! من المدهش حقاً انهم لا يخافون التدنس من تحية الجمهورية فان الجمهورية تفترض بالضرورة الحكومة وما من اشتراكي - ديموقراطي خامره الشك يوماً في انها تفترض الحكومة البرجوازية على وجه الضبط فما هو الفرق اذن بين تحية الحكومة الثورية الموقته وتحية الجمهورية الديموقراطية ؟ هل يتعين على الاشتراكية - الديموقراطية القائدة السياسية للطبقة الاكثر ثورية ان تتشبه ، يا ترى بعانس عجوز فقيرة الدم وهستيرية تصرّ بدلال على ضرورة ورقة التين تمكن تحية ما يقصد بالحكومة البرجوازية الديموقراطية ولكنه لا يجوز تحية الحكومة الثورية الديموقراطية الموقته على المكشوف !

اللوحه انتصرت انتفاضة العمال في بطرسبورغ اطيح بالاوتوقراطية اعلنت الحكومة الثورية الموقته يهمل العمال المسلحون هاتفين عاشت الحكومة الثورية الموقته ! يقف الايسكريون الجدد جانباً ويقولون برزانه رافعين عيونهم العفيفة الى اعلى قارعين على قلوبهم الحساسة الاخلاقية نشكرك يا رب ، على اننا لا نشبه هؤلاء العشارين على اننا لا ندنس شفاهنا بمثل هذا الجمع من الكلمات

كلا والف مرة كلا ايها الرفاق لا تخافوا من تدنيس انفسكم بالاشتراك باشد الحزم ودون التوقف امام اي شيء

* بعد كلمة « جملة » ، ورد في المخطوطة ما يلي « اولا تكفي وحدها لرؤية تطور معين من التعفن الفكري في قسم معين من الاشتراكيين - الديموقراطيين ؟ فان هذه ليست وجهة نظر طليعة البروليتاريا ، بل وجهة نظر ذنبا ، وهؤلاء ليسوا قادة سياسيين ، بل واعظون سياسيون ، وهؤلاء ليسوا ثوريين ، بل تافهون ضيقو الافق . الناشر .

مع الديمقراطية البرجوازية الثورية في الانقلاب الجمهوري لا تستعظموا اخطار هذا الاشتراك الذي يمكن كلياً لبروليتارياننا المنظمة ان تقوم به ان اشهرأ من ديكتاتورية البروليتارياننا والفلاحين الثورية ستفعل اكثر من عقود من السنين من الجو السلمي المخبل ، جو الركود السياسي واذا كانت الطبقة العاملة الروسية قد استطاعت بعد ٩ كانون الثاني في ظروف العبودية السياسية ان تحشد اكثر من مليون بروليتاري لأجل النضال الجماعي والحازم والثابت - فاننا سنحشد في ظل الديكتاتورية الديمقراطية الثورية عشرات الملايين من فقراء المدينة والريف وسنجعل من الثورة السياسية الروسية مقدمة للانقلاب الاشتراكي الاوروبي

المجلد ١٠ ، صص ٢٠-٣١

وفبريود ، العدد ١٤ ،

١٢ نيسان - ابريل (٣٠ آذار -

مارس) ١٩٠٥

ماركس و«التقسيم الاسود» الاميركي

لقد ألمح في العدد ١٢ من «فريود» * ، الى مقال حول المسألة الزراعية نشره ماركس وعارض فيه كريغه لم يكن ذلك عام ١٨٤٨ كما زعم خطأ المقال ، - بل عام ١٨٤٦ فان هرمان كريغه معاون ماركس كان فتياً في ذلك الحين وقد هاجر الى اميركا عام ١٨٤٥ وأسس فيها صحيفة «Volks-Tribun» («فولكس تريبون» - «خطيب الشعب») (١٥٢) التي تكرست لدعاية الشيوعية ولكن دعايته اتسمت بطابع اضطر ماركس الى الاحتجاج بحزم باسم الشيوعيين الالمان على هرمان كريغه الذي كان يسيء الى سمعة الحزب الشيوعي ان انتقاد نزعة كريغه المنشور عام ١٨٤٦ في مجلة «Westphälische Dampfboot» («فيستفيليشيه دامبفوت» - «البخرة الوستفالية») (١٥٣) والوارد في المجلد الثاني من مؤلفات ماركس طبعة مهرينغ يرتدي اليوم اكبر الاهمية بالنسبة للاشتراكيين-الديموقراطيين الروس المعاصرين ذلك ان مجرى الحركة الاجتماعية نفسه في اميركا كان يضع حينذاك المسألة الزراعية في احدى المراتب الاولى كما في روسيا اليوم ولم يكن المقصود بالضبط مجتمعاً رأسمالياً متطوراً بل

* راجع مقال لينين : «حول برنامجنا الزراعي» . الناشر .

كان المقصود توفير الشروط الاولية الاساسية لتطور
الرأسمالية تطوراً حقيقياً وهذه الناحية الاخيرة ذات اهمية خاصة
من اجل المقارنة بين موقف ماركس من الافكار الاميركية المتعنقة
«بالتقسيم الأسود» (١٥٤) وبين موقف الاشتراكيين-الديموقراطيين
الروس من حركة الفلاحين المعاصرة

ان كريغه لم يكن يقدم في مجلته اية مواد يمكن الاعتماد
عليها في دراسة خصائص النظام الاميركي الاجتماعية الملموسة
وذلك لتوضيح الطابع الحقيقي لحركة الاصلاحيين الزراعيين في
ذلك العهد الذين كانوا يطمحون الى الغاء الريع وبالمقابل
كان كريغه (شأنه شأن اصحابنا «الاشتراكيين-الثوريين» تماماً)
يخلع على مسألة الثورة الزراعية تعابير فخمة طنانة فقد قال
«كل فقير يغدو فوراً عضواً مفيداً في المجتمع البشري ما ان توافر
له امكانية العمل بصورة منتجة وهذه الامكانية تؤمن له الى الابد
ما ان يعطيه المجتمع قطعة ارض يستطيع ان يعيش منها هو
وعائلته فاذا انتزعت من حلقة التبادل التجاري هذه المساحة
الشاسعة من الاراضي (اي بالذات ١٤٠٠ مليون اكر* من اراضي
الدولة في اميركا الشمالية) وأُمنت للعمل حصصاً محدودة * ، فانه
يقضى دفعة واحدة على الاملاق في اميركا»

وعلى ذلك يرد ماركس قائلاً «كان من الممكن ان نتوقع
فهم الامر التالي وهو انه ليس بمقدور المشترعين ان يوقفوا

* الاكر- مقياس للارض يختلف باختلاف البلدان ويساوي في
انجلترا واميركا زهاء ٤ متر مربع **الناشر**

* تذكروا ما كتبه صحيفة «ريفوليوتسيونابا روسيا» ابتداء من
عددها الثامن حول انتقال الاراضي من الراسمال الى العمل ، واهمية اراضي
الدولة في روسيا ، والانتفاخ المتساوي بالارض ، والفكرة البرجوازية القائلة
بادخال الاراضي في حلقة التبادل التجاري الخ . . تماماً مثل كريغه !

بالمراسيم والقوانين تطور النظام البطريركي الذي يرغب فيه كريفه الى نظام صناعي او ان يدفعوا الولايات الصناعية والتجارية القائمة في الشاطئ الشرقي الى الورا الى احضان البريرية البطريركية»

فها نحن اذا امام برنامج حقيقي للتقسيم الاسود الاميركي انتزاع مساحة من الاراضي من حلقة التبادل التجاري الحق في الارض تحديد امتلاك الارض او الانتفاع بالارض ويوجه ماركس بادى بدء انتقاداً رصيناً للطوبوية ويبين حتمية تحول النظام البطريركي الى النظام الصناعي اي حتمية التطور الرأسمالي اذا تحدثنا بلغة العصر ولكنه من فادح الخطأ التفكير بان الاحلام الطوبوية التي حلم بها المشتركون في الحركة قد دفعت ماركس الى ان يتخذ بوجه عام موقفاً سلبياً من هذه الحركة فليس ثمة شيء من ذلك فان ماركس منذ بداية نشاطه ككاتب كان يعرف كيف يستخلص محتوى الحركة الفعلي والتقدمي من بريق بهارجها الايديولوجية وقد كتب ماركس في القسم الثاني من انتقاده وعنوانه «اقتصاد (اي الاقتصاد السياسي) «خطيب الشعب» وسلوكها ازاء اميركا الفتية» ، يقول

«اننا نقر كل الاقرار بما لحركة الوطنيين-الاصلاحيين الاميركيين من شرعية تاريخية ونحن نعلم ان هذه الحركة تقصد نتيجة تدفع حقاً في الوقت الحاضر الى تصنيع المجتمع البرجوازي الحالي ولكنها بوصفها ثمرة حركة بروليتارية بوصفها تعدياً على الملكية العقارية بوجه عام وبخاصة في اوضاع اميركا حالياً لا بد لها بالضرورة من ان تدفع الى ابعد من ذلك الى الشيوعية بسبب من عواقبها ذاتها وكريفه الذي انضم مع الشيوعيين الالمان في نيويورك الى الحركة ضد الريع (Anti—Rent—Bewegung) ، يلقي على هذا الواقع البسيط

وشاح تعابيره الطنانة دون ان يمضي الى جوهر الحركة مثبتاً بذلك انه لا يرى ابدأ الصلة بين اميركا الفتية والاضاع الاجتماعية الاميركية واننا لنورد مثلاً آخر عن تعابيره الطنانة حول برنامج الزراعيين لتقسيم الملكية العقارية على النطاق الاميركي ففي العدد العاشر من «خطيب الشعب» ، نقرأ في مقال «ما نريده» «ان الوطنيين-الاصلاحيين الاميركيين يسمون الارض بالملك المشترك بين جميع الناس ويطالبون بان تتخذ السلطة التشريعية الشعبية التدابير من اجل الحفاظ على الاكرات الـ ١٤٠٠ المليون التي لما تقع في ايدي المضاربين النهابين بوصفها ملكاً للانسانية بأسرها لا يمكن التنازل عنه» ومن اجل الحفاظ على هذا «الملك المشترك الذي لا يمكن التنازل عنه» ، من اجل الحفاظ عليه للانسانية بأسرها يتبنى كريغه برنامج الوطنيين-الاصلاحيين «يوضع تحت تصرف كل فلاح اياً كانت بلاده ١٦٠ اكرأ من الاراضي الاميركية بغية تأمين معيشته» وهذا البرنامج ورد في العدد الرابع عشر من المجلة في مقالة «جواب الى كونزه» (Konze) على النحو التالي «من ملكية الشعب هذه التي لما تمس ينبغي الا ينال احد اكثر من ١٦٠ اكرأ وهذه الاكرات لا ينالها الا شرط ان يزرعها بنفسه» وعلى هذا النحو لكي تبقى الارض «ملكاً مشتركاً لا يمكن التنازل عنه» وملكاً «لانسانية بأسرها» ينبغي الشروع فوراً بتقسيمها وتوزيعها ويتصور كريغه انه سيتمكن بواسطة قانون ما من منع عواقب هذا التقسيم المحتمومة تمركز تقدم صناعي الخ ان ١٦٠ اكرأ من الاراضي هي بنظره قياس يساوي ابدأ نفسه كأن قيمة مثل هذه المساحة لا تتغير حسب نوعها فلا بد ان يتبادل «الفلاحون» فيما بينهم ومع الآخرين منتجات اراضيهم على الاقل ان لم يتبادلوا اراضيهم . والحال ، اذا بلغ الامر هذا الحد ، رأينا عما قريب احد

«الفلاحين» حتى ولو لم يكن لديه رأسمال يتوصل بفضل كدحه والخصوبة الطبيعية العالية لآكراته الـ١٦٠ الى جعل فلاح آخر اجيراً زراعياً له ثم ، أليس الامر سواء بسواء اذا كانت «الارض» او منتجات الارض هي التي «تقع في ايدي المضاربين الضواري» ؟ لنبحث جدياً هدية كريغه للانسانية ينبغي الحفاظ على ١٤٠٠ مليون اكر «ملكاً مشتركاً للانسانية بأسرها لا يمكن التنازل عنه» .

وحصة كل فلاح من هذا الملك تبلغ ١٦٠ اكرأ وعلى هذا الاساس نستطيع ان نحسب مدى «الانسانية بأسرها» التي يقول بها كريغه - بالضبط ٨٧٥٠٠٠٠٠ «فلاح» اي بالاجمال ٤٣٧٥٠٠٠٠٠ كائن بشري باعتبار ان كل عائلة تعد ٥ افراد كذلك نستطيع ان نحسب كم سيدوم «الابد» الذي «تستطيع البروليتاريا» خلاله «امتلاك كل الارض بوصفها ممثلة الانسانية» في الولايات المتحدة على الاقل فاذا استمر نمو عدد السكان في الولايات المتحدة بنفس النسبة كما هي الحال حتى الآن اي اذا تضاعف هذا العدد خلال كل ٢٥ سنة فان هذا «الابد» لن يدوم ٤٠ سنة كاملة وفي هذه الحقبة من الزمن سيتم اشغال هذه الاكرات الـ١٤٠٠٠ مليون ولن يبقى للاجيال المقبلة «ما تمتلكه» ولكن لما كان توزيع الارض مجاناً سيزيد الهجرة الى اميركا زيادة كبيرة فمن المحتمل ان ينتهي «ابد» كريغه قبل ذلك خصوصاً اذا اخذنا بعين الاعتبار ان مساحة من الارض تكفي ٤٤ مليوناً من الناس لن تكون البتة قناة تصريف كافية حتى للاملاق الاوروبي الحالي اذ ثمة معدم من اصل كل عشرة من السكان في اوروبا والجزر البريطانية وحدها تقدم ٧ ملايين معدم واننا نجد السداجة الاقتصادية-السياسية نفسها في العدد ١٣ في مقال «الى النساء» حيث يقول كريغه اذا منحت مدينة نيويورك مجاناً ما تملكه في جزيرة لونج-آيلند من اراض وقدرها ٥٢٠٠٠ اكر فان ذلك يكفي لانقاذ نيويورك «دفعة واحدة» من الاملاق والبؤس ، والجرائم .

فلو ان كريغه رأى في حركة تحرير الارض الشكل الاول
الضروري للحركة البروليتارية في ظروف معينة ولو انه قدر انه
لا بد لهذه الحركة من ان تتطور بالضرورة الى حركة شيوعية
بسبب شروط معيشة الطبقة التي تنبثق عنها ولو انه بين كيف
انه كان على الميول الشيوعية ان تتجلى في البدء في اميركا بهذا
الشكل الزراعي الذي يبدو انه يتناقض تمام التناقض مع
الشيوعية لما كان ثمة ما يُعترض عليه ولكن كريغه يعلن
هذا الشكل لحركة اناس فعليين محددين قضية الانسانية
بأسرها مع ان هذا الشكل لا يتسم الا باهمية ثانوية ثم يرفع
هذه القضية ويجعل منها الغاية الاخيرة العليا لكل حركة بوجه عام
جاعلاً على هذا النحو من اهداف محددة للحركة امراً اخرق تماماً
يتجاوز كل الحدود غير انه يواصل نشيد الظفر هذا في المقال
نفسه من العدد العاشر «وهكذا تتحقق اخيراً احلام الاوروبيين
القديمة فستهي لهم ارض من هذا الجانب من الاوقيانوس حيث
لا يبقى لهم سوى اخذها وتلقيحها بكبح ايديهم لكي يتمكنوا من
التهاتف امام جميع طغاة العالم بهذا التهاتف الابي «هذا هو كوشي
انا الذي لم تبنيه قط هذا هو موقدي انا الذي يغمر قلوبكم
بالحسد»

وكان بإمكان كريغه ان يضيف قائلاً هذه كومة زبلي انا
انتجته انا وزوجتي واولادي وخادم مزرعتي ومواشي ولكن من
هم هؤلاء الاوروبيون الذين يرون ان ذلك يحقق «احلامهم» ؟ ليسوا
العمال الشيوعيين بل انهم اصحاب الحوانيت والمعلمون الحرفيون
المفلسون او الفلاحون الذين حل بهم الخراب ممن يطمحون الى
السعادة سعادة ان يعودوا في اميركا برجوازيين صفاراً وفلاحين
وما هي هذه «الاحلام» التي تتيح هذه الاكرات الـ ١٤٠٠ المليون
تحقيقها ؟ ان هذه الاكرات لن تتيح تحقيق اي حلم سوى الحلم

في جعل جميع الناس ملاكين فرديين وهو حلم شيوعي ويمكن التحقيق بقدر ما هي عليه الرغبة في جعل جميع الناس اباطرة وملوكاً وبابوات»

ان انتقاد ماركس يقطر السم والسخرية وهو يسלט سيات النقد اللاذع على كريفه لميزات نظريته التي نراها اليوم بالضبط عند اصحابنا «الاشتراكيين-الثوريين» سيادة التعابير الفارغة طوبويات برجوازية صغيرة تُعرض بوصفها طوبوية ثورية سامية عدم فهم الاسس الفعلية للنظام الاقتصادي المعاصر ولتطوره فببصيرة رائعة بين ماركس دور التبادل والاقتصاد البضاعي ولم يكن حينذاك سوى اقتصادي مقبل فلقد قال اذا لم يتبادل الفلاحون الارض فانهم سيتبادلون منتجات الارض وهذا يقول كل شيء ان كل هذه الطريقة في طرح السؤال تُطبق على الحركة الفلاحية الروسية ومفكريها «الاشتراكيين» البرجوازيين الصغار ولكن ماركس هو في الوقت نفسه بعيد جداً عن مجرد «نفي» هذه الحركة البرجوازية الصغيرة عن تجاهلها كما يفعل العقائدي الجامد عن الخوف الذي يتميز به كثيرون من الشراح السطحيين الخوف من توشيخ اليدين بلامسة الديمقراطية الثورية البرجوازية الصغيرة فان ماركس يسخر بلا شفقة من سخافة تمويه الحركة الايديولوجي ويسعى في الوقت نفسه لكي يحدد برصانة كمادي محتوى الحركة التاريخي الفعلي والنتائج الضرورية التي لا بد لها ان تحصل بسبب الاحوال الموضوعية وبصرف النظر عن ارادة هؤلاء او اولئك ، بصرف النظر عن ادراكهم واحلامهم ونظرياتهم ولذا لا يلوم ماركس الشيوعيين لانهم ساندوا هذه الحركة بل يؤيدهم كل التأييد فقد نظر ماركس الى المسألة من وجهة نظر دياكتيكية اي انه رأى الى الحركة من جميع نواحيها ، واخذ الماضي والمستقبل بالحسبان ، فاستشف

ما في الهجوم على الملكية العقارية من ثوري واستبشر في الحركة البرجوازية الصغيرة شكلاً بدائياً اصيلاً للحركة البروليتارية الشيوعية وقد قال ماركس لكريفه ان ما تعلمون بالحصول عليه بوساطة هذه الحركة لن تحصلوا عليه فبدلاً من الاخاء العزلة البرجوازية الصغيرة بدلاً من استعالة تنازل الفلاحين عن حصصهم في الارض إجتذاب الاراضي الى حلقة التداول التجاري بدلاً من الضربة الواجب تسديدها للمضاربين-النهابين توسيع في اساس التطور الرأسمالي ولكن الشرّ الرأسمالي الذي تعتقدون عبثاً انكم ستجتنبونه انما هو تاريخياً ، خير ، لانه سيعجل التطور الاجتماعي بسرعة بالغة جداً ويقرب كثيراً اشكالاتاً جديدة عليا للحركة الشيوعية ان الضربة المسددة للملكية العقارية ستسهل في المستقبل الهجمات المحتومة ضد الملكية بوجه عام والعمل الثوري الذي تقوم به طبقة دنيا في سبيل تحويل يؤدي الى رفاهية مؤقتة ضيقة - لا للجميع - سيسهل العمل الثوري الذي ستقوم به حتماً الطبقة الدنيا في سبيل تحويل يضمن فعلاً ، سعادة انسانية كاملة لجميع الشغيلة

ان موقف ماركس من كريفه ينبغي ان يكون مثلاً لنا نحن الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس فلا سبيل الى الشك في الطابع البرجوازي الصغير الحقيقي الذي تتصف به الحركة الفلاحية الحالية في روسيا وينبغي لنا ان نوضح هذا الطابع بجميع الوسائل وان نكافح بلا رحمة بلا هوادة جميع اوهام «الاشتراكيين-الثوريين» او الاشتراكيين البدائيين من كل شاكلة وطراز بهذا الصدد ان تنظيم حزب مستقل للبروليتاريا يهدف عبر جميع الانقلابات الديموقراطية الى ثورة اشتراكية كاملة ان تنظيم هذا الحزب تنظيمياً خاصاً ينبغي ان يكون هدفنا الدائم الذي ينبغي الا يغيب عن بالنا لحظة واحدة . ولكن الانصراف لهذا السبب عن

الحركة الفلاحية انما يعني تقديم الدليل على تفاهة وضيق افق وادعاء بالمعرفة لا شفاء له كلا لا سبيل الى الشك في طابع هذه الحركة الثوري-الديموقراطي وينبغي لنا ان نؤيدها بكل قوانا وان نطورها ونجعلها واعية سياسياً ومحددة طبقياً ونبدفها الى امام ونسير معها يداً بيد الى النهاية لاننا نمضي ابعد بكثير من الغاية التي ترمي اليها اية حركة فلاحية لاننا نمضي نحو زوال كل انقسام في المجتمع الى طبقات زوالاً نهائياً واننا لنشك في ان يكون ثمة في العالم بلد آخر يعاني فيه الفلاحون المظلومون والغارقون في لجة الاهانات قدر ما يعاني الفلاحون في روسيا وكلما تفاقم الظلم فيما مضى اشتدت يقظة الفلاحين الآن واستحال اكثر فاكثر كبح انطلاقهم الثوري فواجب البروليتاريا الثورية الواعية ان تساند انطلاق الفلاحين هذا بكل قواها لكي لا يدع حجراً على حجر من روسيا القديمة الملعونة روسيا الاوتوقراطية والفنائة لكي يلد جيلاً جديداً من اناس احرار اجرياء لكي يخلق بلاداً جديدة جمهورية يفتح المجال فيها رحباً امام نضالنا البروليتاري في سبيل الاشتراكية

المجلد ١٠

ص ص ٥٣-٦٠

«فريود» ، العدد ١٥

٢٠ (٧) نيسان (ابريل) ١٩٠٥

خطتنا الاشتراكية-الديموقراطية في الثورة الديموقراطية (١٥٥)

مقدمة

من الصعب جداً في زمن الثورة تتبع الاحداث التي توفر كمية مذهلة من المواد الجديدة لتقدير الشعارات التكتيكية (الخطية) التي تنادي بها الاحزاب الثورية وقد كتب هذا الكراس قبل حوادث اوديسا * وسبق لنا واشرنا في «بروليتاري» (١٥٧) (العدد ٩ «الثورة تعلم») الى ان هذه الحوادث قد اجبرت حتى الاشتراكيين-الديموقراطيين الذين وضعوا نظرية الانتفاضة - التفاعل وانكروا الدعاية لتشكيل حكومة موقته ثورية على الانتقال او على البدء بالانتقال فعلاً الى مواقف مجادليهم ولا ريب ان الثورة تعلم بسرعة وعمق يبدوان غير معقولين في مراحل التطور السياسي السلمية وما يهم على الاخص هو انها لا تعلم القادة وحسب بل الجماهير ايضاً

ولا سبيل الى الشك في ان الثورة ستعلم الجماهير العمالية في روسيا ستعلمها الاشتراكية-الديموقراطية وستؤكد الثورة في الواقع صحة برنامج الاشتراكية-الديموقراطية وتكتيكيها (خطتها) بتبيانها الطبيعة الحقيقية لمختلف الطبقات الاجتماعية

* المقصود الانتفاضة على متن المدرعة «بوتيومكين» (١٥٦) .
(ملاحظة لينين لطبعة ١٩٠٧ . الناشر .)

وطابع ديموقراطيتنا البرجوازي والمطامح الحقيقية لطبقة الفلاحين الثورية بالمعنى الديموقراطي البرجوازي مع العلم ان هذه المطامح لا تنطوي على فكرة «جعل الملكية اجتماعية» بل تنطوي على نضال طبقي جديد بين البرجوازية الفلاحية والبروليتاريا الريفية ان الاوهام القديمة التي كانت تتسم بها الشعبوية القديمة (١٥٨) والتي تتجلى بوضوح بالغ مثلا في مشروع برنامج «حزب الاشتراكيين-الثوريين» سواء فيما يخص تطور الرأسمالية في روسيا ام فيما يخص نزعة «مجتمعنا الديموقراطية واهمية انتصار الانتفاضة الفلاحية التام ان جميع هذه الاوهام ستبددها الثورة نهائياً وبلا رحمة وستمنح مختلف الطبقات المعمودية السياسية الاولى الحقيقية وستخرج هذه الطبقات من الثورة بسيماء سياسية محددة المعالم لأنها لن تبرز في برامج مفكرها وشعاراتهم التكتيكية وحسب بل ايضاً في نشاط الجماهير السياسي السافر

ويقيناً ان الثورة ستعلمنا ، وانها ستعلم الجماهير الشعبوية ولكن المسألة التي توضع الآن امام الحزب السياسي المناضل انما هي مسألة معرفة ما اذا كنا سنتمكن من تعليم الثورة شيئاً ما فهل نتمكن من الاستفادة من صحة مذهبنا الاشتراكي-الديموقراطي ومن صلتنا مع الطبقة الوحيدة الثورية الى النهاية البروليتاريا لكي نطبع الثورة بطابع بروليتاري لكي نسير بها الى انتصار حاسم حقاً بالافعال لا بالاقوال لكي نشل تذبذب البرجوازية الديموقراطية وتردها وخيانتها ؟

الى هذا الغرض يجب ان نوجه كل جهودنا فالنجاح يتوقف من جهة ، على صحة تقديرنا للموقف السياسي ، على صحة شعاراتنا التكتيكية ومن جهة اخرى على تأييد هذه الشعارات من جانب قوى الكفاح الفعلية ، قوى الجماهير العمالية . ان كل العمل العادي،

المنتظم الجاري الذي تقوم به جميع منظمات حزبنا وفرقه - من دعاية وتحريض وتنظيم - يبتغي توطيد الصلات مع الجماهير وتوسيعها وهذا العمل ضروري دائماً ولكن في زمن الثورة اكثر من اي زمن آخر لا يمكن اعتباره كافياً ففي مثل هذا الزمن تطمح الطبقة العاملة بالغريزة الى العمل الثوري السافر ويجب علينا ان نعرف كيف نطرح اهداف هذا العمل طرحاً صحيحاً لكي نعمل فيما بعد على تعريفها وافهامها على اوسع نطاق ممكن ولا يجوز ان ننسى ان التشاؤم الدارج ازاء صلتنا مع الجماهير يخفي اليوم في كثير من الحالات افكاراً برجوازية عن دور البروليتاريا في الثورة ولا ريب انه لا يزال علينا ان نعمل الكثير الكثير من اجل تربية الطبقة العاملة وتنظيمها ولكن كل ما في الأمر الآن ان نعرف اين يجب ان يكون مركز الثقل السياسي الرئيسي في هذه التربية وهذا التنظيم افي الجمعيات الشرعية والنقابات ام في الانتفاضة المسلحة ، في قضية انشاء جيش ثوري وحكومة ثورية ؟ ان الطبقة العاملة تتربى وتنتظم في كلا الحالتين وبديهي ان هاتين الحالتين ضروريتان ولكن كل ما في الأمر الآن في الثورة الحالية ان نعرف في اي نقطة الاولى ام الثانية سيكون مركز الثقل في تربية الطبقة العاملة وتنظيمها

ان مآل الثورة يتوقف على ما يلي أتقوم الطبقة العاملة بدور المساعد للبرجوازية مساعد قوي من حيث شدة هجومه على الاوتوقراطية ولكنه عاجز من الوجهة السياسية ام انها ستضطلع بدور القائد للثورة الشعبية ؟ ان ممثلي البرجوازية الواعين يدركون ذلك تمام الادراك ولذا تطري «اوسفوبوجدينييه» (١٥٩) في الاشتراكية-الديموقراطية النزعة الاكيموفية «الاقتصادية» (١٦٠) التي تضع الآن في المرتبة الاولى النقابات والجمعيات الشرعية ولذا يستبشر السيد ستروفه

(العدد ٧٢ من «اوسفوبوجدينييه») بالميول الاكيموفية المبدئية في «الايسكرا» الجديدة. ولذا يصب كل جام غضبه على ضيق الافق الثوري الكريه في قرارات المؤتمر الثالث لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا

ان الشعارات التكتيكية الصحيحة التي ترفعها الاشتراكية-الديموقراطية تتسم الآن باهمية خاصة من حيث قيادة الجماهير وليس ثمة في زمن الثورة أخطر من استصغار اهمية الشعارات التكتيكية المنطبقة بكل دقة على المبادئ فان «الايسكرا» ، مثلا تنتقل فعلا في عددها رقم ١٠٤ الى جانب مجادليها في الاشتراكية-الديموقراطية ولكنها في الوقت نفسه تتحدث بازدراء عن اهمية الشعارات والقرارات التكتيكية التي تستبقي الحياة وتبين السبيل الذي تتبعه الحركة بجملة من الاخفاقات والاطياء الخ وبالعكس يتسم وضع القرارات التكتيكية الصحيحة باهمية كبرى بالنسبة لحزب يريد بروح ماركسي صرف ان يقود البروليتاريا لا ان يسير في ذيل الحوادث وحسب ان قرارات المؤتمر الثالث لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا وقرارات المجلس العام للقسم المنشق عن الحزب* تعطينا أدق وأعقل وأكمل تعبير عن الآراء حول التكتيك باعتبار ان هذه الآراء لم يدل بها بعض الكتاب عرضاً بل اقراها ممثلو البروليتاريا

* لقد اشترك البلاشفة وحدهم في المؤتمر الثالث لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا (لندن ، ايار - مايو - ١٩٠٥) واشترك المناشفة وحدهم في «المجلس العام» (جينيف ، في الحقبة نفسها) ؛ ونحن غالباً ما نسميهم في هذا الكراس «جماعة «الايسكرا» الجديدة» لأنهم ، وقد تابعوا اصدار «الايسكرا» اعلنوا بلسان رفيقهم بالفكر آنذاك تروتسكي ، بان بين «الايسكرا» القديمة والجديدة هوة . (ملاحظة لينين لطبعة ١٩٠٧ . الناشر .)

الاشتراكية-الديموقراطية المسؤولون وان حزبنا ليتقدم جميع الاحزاب الاخرى من حيث ان له برنامجاً دقيقاً أقره جميع اعضائه ويجب عليه ايضاً ان يعطي الاحزاب الاخرى المثال على التقيد الصارم بقراراته التكتيكية خلافاً لانتهازية البرجوازية الديمقراطية في «اوسفوبوجدينييه» وللتعابير الثورية الطنانة التي يتشدد بها الاشتراكيون-الثوريون الذين انتظروا الثورة حتى يستدركوا ويتقدموا بـ«مشروع» برنامج وينصرفوا للمرة الاولى الى حل مسألة معرفة ما اذا كانت الثورة الجارية امام انظارهم ثورة برجوازية ولهذا نعتبر ان الحمة مهمة تواجهها الاشتراكية-الديموقراطية الثورية انما هي التمعن في دراسة القرارات التكتيكية التي اتخذها كل من المؤتمر الثالث لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا والمجلس العام وتحديد الانحرافات فيها عن مبادئ الماركسية وادراك الاهداف الملموسة للبروليتاريا الاشتراكية-الديموقراطية في الثورة الديمقراطية وذلك هو غرض هذا الكراس فان التثبت من صحة تكتيكنا من وجهة نظر المبادئ الماركسية ودروس الثورة ضروري ايضاً لكل من يريد فعلاً تحضير الوحدة التكتيكية بوصفها القاعدة المقبلة لتوحيد مجمل حزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا توحيداً تاماً لا الاقتصار على المواعظ

ن لينين

تموز (يوليو) ١٩٠٥

١ - مسألة سياسية ملحة

ان مسألة الدعوة لعقد جمعية تأسيسية تمثل الشعب بأسره ترد على بساط البحث في هذه الساعة الثورية التي نعيش فكيف يمكن حل هذه المسألة ؟ ان الآراء تختلف فهناك ثلاثة ميول سياسية ترسم ان حكومة القيصر تقر بضرورة دعوة ممثلي الشعب الى الاجتماع ، ولكنها لا تريد في اي حال ان تقبل بان تكون جمعيتهم تأسيسية تمثل الشعب بأسره واذا اخذنا بانباء الصحافة عن اعمال لجنة بوليفين (١٦١) يتبين ان الحكومة القيصرية قد توافق على جمعية استشارية منتخبة دون حرية التحريض وبنظام انتخابي يفرض شروطاً قاسية او يشمل فئات ضيقة مغلقة تماماً اما البروليتاريا الثورية فانها ، ما دامت تسير بقيادة الاشتراكية-الديموقراطية تطالب بنقل كامل السلطة الى الجمعية التأسيسية ولهذا الهدف لا تناضل في سبيل الاقتراع العام وحرية التحريض التامة وحسب انما تناضل ايضاً من اجل دك حكومة القيصر فوراً والاستعاضة عنها بحكومة ثورية موقته واخيراً ان البرجوازية الليبرالية التي تعرب عن أمانها بلسان زعماء ما يسمى «الحزب الدستوري-الديموقراطي» (١٦٢) لا تطالب باسقاط الحكومة القيصرية ولا تصوغ شعار الحكومة الموقته ولا تصر على ضمانات فعلية لحرية وصحة الانتخاب التامتين لكي تكون جمعية الممثلين

ممثلة للشعب بأسره فعلا وتأسيسية فعلا ففي الاساس تسعى البرجوازية الليبرالية السند الاجتماعي الجدّي الوحيد لميل جماعة «اوسفوبوجدينييه» وراء صفقة سلمية قدر الامكان بين القيصر والشعب الثوري على ان تكون صفقة تمنحها اي البرجوازية أكثر ما يمكن من السلطة والشعب الثوري البروليتاريا والفلاحين ، أقل ما يمكن من السلطة

هذا هو الوضع السياسي في الظرف الراهن وهذه هي الميول السياسية الرئيسية الثلاثة المقابلة للقوى الاجتماعية الرئيسية الثلاث في روسيا اليوم وقد تحدثنا مراراً في «بروليتاري» (الاعداد ٣ ٤ ٥) * عن الطريقة التي تستر فيها جماعة «اوسفوبوجدينييه» وراء جمل ديمقراطية مزعومة سياستها المتذبذبة او بالاحرى بتعابير ابسط واصرح سياستها القائمة على الخيانة والغدر ازاء الثورة لنر الآن كيف يأخذ الاشتراكيون-الديمقراطيون بالحسبان مهام الساعة فهناك قراران اتخذهما لأمد قريب جداً المؤتمر الثالث لحزب العمال الاشتراكي-الديمقراطي في روسيا و«المجلس العام» للقسم المنشق عن الحزب يشكلان بهذا الصدد مرجعاً ممتازاً وان اهمية هائلة لتتسم بها مسألة معرفة اي من هذين القرارين يأخذ الوضع السياسي بالحسبان على نحو أصح ويحدد تكتيك (خطة) البروليتاريا الثورية على نحو أصح وكل اشتراكي-ديمقراطي راغب في القيام عن وعي بواجباته في حقل الدعاية والتحريض والتنظيم انما يجب عليه ان يدرس هذه المسألة بكل الانتباه المنشود تاركاً تماماً جانباً الاعتبارات الغربية عن جوهر القضية

* راجع مقالات لينين «النضال الثوري والسمة الليبرالية» «المهام الديمقراطية للبروليتاريا الثورية» ، «اولى خطوات الخيانة البرجوازية» . الناشر .

ان المقصود بتكتيك حزب ما سلوكه السياسي او طابع اتجاه طرائق نشاطه السياسي ان مؤتمر الحزب يتخذ قرارات تكتيكية لكي يحدد بدقة السلوك السياسي للحزب بمجملة ازاء مهام جديدة او ازاء وضع سياسي جديد وقد نشأ وضع جديد من هذا النوع بفعل الثورة التي بدأت في روسيا اي بفعل النزاع الكلي القاطع السافر بين اغلبية الشعب الساحقة وحكومة القيصر اما القضية الجديدة فهي معرفة الوسائل العملية اللازمة لعقد جمعية تشمل حقاً الشعب بأسره تأسيسية حقاً (اما من الناحية النظرية فان مسألة هذه الجمعية قد حلتها الاشتراكية-الديموقراطية في برنامجها رسمياً ، منذ زمن بعيد وقبل جميع الاحزاب الاخرى) واذا كان الشعب على خلاف مع الحكومة واذا كانت الجماهير قد ادركت ضرورة اقامة نظام جديد فعلى الحزب الذي يستهدف اسقاط الحكومة ان يفكر بالضرورة باية حكومة يستعيز عن الحكومة السابقة الحكومة المقصود اسقاطها ان مسألة جديدة توضع مسألة الحكومة الثورية الموقته وللإجابة عنها جواباً تاماً يجب على حزب البروليتاريا الواعية ان يوضح

- ١ - اهمية الحكومة الثورية الموقته في الثورة القائمة وفي كامل نضال البروليتاريا بوجه عام
- ٢ - موقفه من الحكومة الثورية الموقته
- ٣ - الشروط الدقيقة لاشتراك الاشتراكية-الديموقراطية في هذه الحكومة
- ٤ - شروط الضغط الذي يجب ممارسته من تحت على هذه الحكومة ، اي اذا لم تكن الاشتراكية-الديموقراطية ممثلة فيها

وفي هذا الصدد لن يكون سلوك الحزب السياسي جلياً ثابتاً مطابقاً لمبادئه الا اذا اتضحت كل هذه القضايا

لنر اذن كيف حل قرار المؤتمر الثالث لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا هذه القضايا . اليكم هذا القرار بنصه الكامل :

«قرار بصدد الحكومة الثورية الموقته .

حيث

١ - ان مصالح البروليتاريا المباشرة ، وكذلك مصالح نضالها في سبيل اهداف الاشتراكية النهائية تتطلب اكمل ما يمكن من الحرية السياسية وبالتالي احلال الجمهورية الديمقراطية محل شكل الحكم الاوتوقراطي

٢ - ان الجمهورية الديمقراطية في روسيا لا يمكن ان تقوم الا نتيجة انتفاضة شعبية طافرة يكون جهازها الحكومة الثورية الموقته القادرة وحدها على تأمين الحرية التامة للتحريض الانتخابي وعقد جمعية تأسيسية تنتخب بالاقتراع العام المتساوي المباشر ، السري ، وتعبّر فعلا عن ارادة الشعب

٣ - ان هذا الانقلاب الديمقراطي في روسيا نظراً لنظامها الاجتماعي والاقتصادي الحالي لن يضعف بل سيعزز سيطرة البرجوازية التي ستحاول حتماً في لحظة معينة ودون التراجع عن شيء ان تسلب بروليتاريا روسيا اكبر قسم ممكن من مكتسباتها في المرحلة الثورية

يقرر المؤتمر الثالث لحزب العمال الاشتراكي-الديمقراطي

في روسيا

أ - من الضروري ان يصار في صفوف الطبقة العاملة الى نشر مفاهيم ملموسة عن سير الثورة الاكثر احتمالاً وعن ضرورة نشوء حكومة ثورية موقته في لحظة معينة من الثورة حكومة تطالبها البروليتاريا بتلبية جميع المطالب السياسية والاقتصادية المباشرة الواردة في برنامجنا (برنامج الحد الأدنى)

ب - تبعاً لنسبة القوى وغيرها من العوامل التي يستحيل تحديدها مسبقاً بدقة يمكن القبول باشتراك اشخاص مفوضين من قبل حزبنا في حكومة ثورية موقته ، بغية النضال بلا هوادة

ضد جميع المحاولات المعادية للثورة والدفاع عن المصالح الخاصة للطبقة العاملة

ج - ان الشرط الذي لا بد منه لهذا الاشتراك هو رقابة الحزب الصارمة على مفوضيه والمحافظة الدائمة على استقلال الاشتراكية-الديموقراطية التي تطمح الى انقلاب اشتراكي كلي والتي هي بحكم هذا الطموح معادية لجميع الاحزاب البرجوازية عدا مستعصياً لا حل له

د - بصرف النظر عن امكان اشتراك الاشتراكية-الديموقراطية في الحكومة الثورية الموقته من اللازم ان يصار في صفوف اوسع الاوساط البروليتارية الى الترويج بالفكرة التالية وهي انه من الضروري ان تقوم البروليتاريا المسلحة التي تفوقها الاشتراكية-الديموقراطية بضغط مستمر على الحكومة الموقته لأجل حماية مكتسبات الثورة وتوطيدها وتوسيعها»

٢ - ماذا يعطينا قرار المؤتمر الثالث لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا بشأن الحكومة الثورية الموقته ؟

ان قرار المؤتمر الثالث لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا مكرس بكليته وبوجه الحصر كما يستفاد من العنوان لمسألة الحكومة الثورية الموقته وهذا يعني ان اشتراك الاشتراكية-الديموقراطية في الحكومة الثورية الموقته يظهر هنا جزءاً من هذه المسألة ومن جهة اخرى لا يتناول القرار الا الحكومة الثورية الموقته لا شيئاً آخر وهذا يعني انه لا يتناول ابداً ، مثلاً مسألة «الاستيلاء على السلطة» بوجه عام الخ . فهل كان المؤتمر على صواب حين استبعد هذه المسألة والمسائل

المماثلة؟ لا يمكن الشك بذلك لأن الوضع السياسي في روسيا لا يطرح اطلاقاً مثل هذه المسائل على بساط البحث بل بالعكس فان الشعب بأسره قد وضع على بساط البحث اسقاط الاوتوقراطية وعقد الجمعية التأسيسية فعلى مؤتمرات الحزب ان لا تطرح القضايا التي يثيرها هذا الكاتب او ذاك عن خطأ او صواب بل ان تطرح القضايا التي ترتدي اهمية سياسية جديّة ، نظراً لوضع الساعة والسير الموضوعي للتطور الاجتماعي

ما هي اهمية الحكومة الثورية الموقّعة بالنسبة للثورة الحالية وبالنسبة لنضال البروليتاريا العام؟ ان قرار المؤتمر يوضح هذا الأمر اذ يشير منذ البداية الى ضرورة «اكمل ما يمكن من الحرية السياسية» سواء أمن حيث مصالح البروليتاريا المباشرة ام من حيث «اهداف الاشتراكية النهائية» والحال لكي تكون الحرية السياسية كاملة يجب ان يستعاض عن الاوتوقراطية القيصريّة بجمهورية ديموقراطية وهذا ما سبق واقره برنامج حزبنا وتطبيقاً للمبادئ والمنطق كان يترتب الاشارة في قرار المؤتمر الى شعار الجمهورية الديمقراطية لأن البروليتاريا بوصفها المكافحة الطليعية في سبيل الديمقراطية تطالب على وجه الضبط بالحرية الكاملة وفضلاً عن ذلك كانت هذه الاشارة مناسبة خصوصاً في الظرف الراهن اذ نرى الآن بالدقة ملكيين يتسترون عندنا براءة «الديموقراطية» فهكذا يفعل الحزب المسمى بالحزب الدستوري-«الديموقراطي» او بحزب «اوسفوبوجدينييه» ولتأسيس جمهورية تنبغي اطلاقاً جمعية ممثلي الشعب شرط ان ينتخبها الشعب كله (بالاقتراع العام المتساوي المباشر السري) وشرط ان تكون جمعية تأسيسية وهذا ما يقربه قرار المؤتمر فيما بعد ولكن هذا القرار لا ينحصر في هذا فلأجل اقامة نظام جديد «يعبر فعلاً عن ارادة الشعب» ، لا يكفي نعت

جمعية الممثلين بانها جمعية تأسيسية انما ينبغي ايضا ان تتمتع هذه الجمعية بسلطة وقوة «التأسيس» وادراكاً لهذا الامر لم يقتصر قرار المؤتمر على مجرد صياغة شعار «الجمعية التأسيسية» بل اضاف الشروط المادية التي تتيح وحدها لهذه الجمعية القيام حقاً بمهمتها وكان من الملح والضروري اجراء مثل هذه الاشارة الى الشروط التي يمكن بها ان تتحول جمعية تأسيسية بالقول الى جمعية تأسيسية بالفعل لأن البرجوازية الليبرالية التي يمثلها الحزب الدستوري-الملكي تشوه قصداً وعمداً كما اوضحنا مراراً ، شعار الجمعية التأسيسية التي تمثل الشعب بأسره وتجعل منه تعبيراً أجوف لا معنى له

ان قرار المؤتمر يقول ان الحكومة الثورية الموقته شرط ان تكون جهاز الانتفاضة الشعبية الطافرة ، هي وحدها التي تستطيع ان تؤمن الحرية التامة للتحريض الانتخابي وعقد جمعية تعبر فعلا عن ارادة الشعب فهل هذه الموضوعة صحيحة ؟ ان من يرتأي دحضها انما يتعين عليه ان يثبت انه يمكن للحكومة القيصرية ان لا تمد اليد الى الرجعية وانها قادرة على التزام الحياد في الانتخابات وانه يمكنها ان تعنى بالتعبير الحقيقي عن ارادة الشعب ان هذه المزاعم خرقاء بحيث انه لن يفكر احد بدعمها علنا ولكن اصحابنا جماعة «اوسفوبوجدينييه» بالضبط يروجون بها خلسة في ظل الراية الليبرالية . يجب ان يعقد احد الجمعية التأسيسية يجب ان يؤمن احد حرية وصحة الانتخابات يجب ان يخول احد هذه الجمعية كامل القوة والسلطة فقط حكومة ثورية تكون جهاز الانتفاضة في وسعها ان تبتغي هذه الامور بكل اخلاص وان تملك القوة لفعل كل شيء من اجل تحقيقها الا ان حكومة القيصر ستعارض حتماً وان حكومة ليبرالية تعقد صفقة مع القيصر ولا تعتمد كلياً على الانتفاضة الشعبية ، لن يكون في

مقدورها لا ان تبغني هذه الامور بكل اخلاص ولا ان تقوم بها حتى ولو ملكت اخلص الرغبة وهكذا فان قرار المؤتمر يعطي الشعار الصحيح الوحيد والديموقراطي المنسجم تماماً

ولكن تقدير اهمية الحكومة الثورية الموقته يكون ناقصاً وخاطئاً اذا غاب عن البال الطابع الطبقي للانقلاب الديمقراطي ولذا فان القرار يضيف ان الانقلاب سيعزز سيطرة البرجوازية وهذا امر لا مناص منه في النظام الاجتماعي والاقتصادي الحالي ، اي النظام الرأسمالي وتعزيز سيطرة البرجوازية على بروتيتاريا تتمتع ببعض الحرية السياسية سيؤدي حتماً الى النضال الضاري بين البرجوازية والبروليتاريا في سبيل السلطة الى محاولات يائسة تبذلها البرجوازية «لسلب البروليتاريا مكتسباتها في المرحلة الثورية» ولذا يترتب على البروليتاريا التي تكافح في سبيل الديمقراطية في طليعة الجميع وعلى رأس الجميع ان لا تنسى لحظة واحدة التناقضات الجديدة التي تكمن في اعماق الديمقراطية البرجوازية وان لا تنسى النضال الجديد

وهكذا فان اهمية الحكومة الثورية الموقته قد حددها تحديداً كاملا القسم الذي بحثناه من القرار اي سواء أمن حيث موقفها من النضال في سبيل الحرية وفي سبيل الجمهورية ام من حيث موقفها من الجمعية التأسيسية ام من حيث موقفها من الانقلاب الديمقراطي الذي يمهّد المجال لنضال طبقي جديد

وبعد ذلك نتساءل اي موقف يجب ان تقفه البروليتاريا بوجه عام من الحكومة الثورية الموقته ؟ عن هذا السؤال يجيب قرار المؤتمر بادىء ذي بدء بتوصية الحزب صراحة بالعمل على اقناع الطبقة العاملة بضرورة حكومة ثورية موقته فعلى الطبقة العاملة ان تدرك هذه الضرورة وبيننا تغفل البرجوازية «الديموقراطية» مسألة اسقاط الحكومة القيصريّة ، يتعين علينا نحن ان نضع هذه المسألة

في المرتبة الاولى ونلح على ضرورة حكومة ثورية مؤقتة وفضلا عن ذلك يتعين علينا ان نعرض برنامج عمل هذه الحكومة على ان يكون مطابقاً للظروف الموضوعية في المرحلة التاريخية التي نمر بها ولمهمات الديمقراطية البروليتارية وهذا قوام كل برنامج الحد الادنى لحزبنا برنامج التحويلات السياسية والاقتصادية المباشرة القابلة للتحقيق تماماً وكاملاً في ظروف العلاقات الاقتصادية والاجتماعية الحالية من جهة والضرورية من جهة اخرى للسير خطوة جديدة الى الامام لتحقيق الاشتراكية وعلى هذا النحو يوضح القرار تماماً طابع الحكومة الثورية المؤقتة وغرضها فمن الضروري ان تكون هذه الحكومة من حيث اصولها وطابعها الاساسي جهاز الانتفاضة الشعبية ومن الضروري ان تكون ، من حيث القصد الصريح منها اداة لعقد جمعية تأسيسية تشمل الشعب بأسره ومن الضروري ان تحقق ، من حيث مضمون نشاطها برنامج الحد الأدنى للديموقراطية البروليتارية القادر وحده على تأمين مصالح الشعب الثائر على الاوتوقراطية قد يعترض احد بان الحكومة المؤقتة لكونها مؤقتة لا تتمكن من تطبيق برنامج ايجابي لما يوافق عليه الشعب بأسره الا ان هذا الاعتراض لن يكون سوى سفسطة جديرة برجعي و«موال للاوتوقراطية» ان الامتناع عن تطبيق اي برنامج ايجابي انما يعني التساهل بوجود الاوضاع القطاعية للاوتوقراطية المتعفنة ان حكومة من خونة الثورة لا حكومة تكون جهازاً للانتفاضة الشعبية هي وحدها التي تستطيع ان تتساهل بوجود مثل هذه الاوضاع وانه لمن السخر بالناس ان يقترح احد العدول عن تطبيق حرية الاجتماع تطبيقاً فعلياً طالما لم تعترف الجمعية التأسيسية بهذه الحرية بحجة ان الجمعية التأسيسية قد لا تعترف بها وانه لمن السخر بالناس ايضاً ان يعترض احد على تطبيق برنامج الحد الأدنى فوراً من قبل الحكومة الثورية المؤقتة .

واخيراً نلاحظ ان القرار اذ يعهد الى الحكومة الثورية الموقته بمهمة تطبيق برنامج الحد الأدنى انما يستبعد بالتالي الافكار الخرقاء شبه الفوضوية القائلة بتطبيق برنامج الحد الاقصى فوراً بالاستيلاء على السلطة من اجل الانقلاب الاشتراكي فان درجة التطور الاقتصادي في روسيا (الشرط الموضوعي) ودرجة الوعي والتنظيم عند الجماهير الغفيرة من البروليتاريا (الشرط الذاتي المرتبط ارتباطاً وثيقاً لا تنفصم عراه بالشرط الموضوعي) تجعلان من المستحيل تحرير الطبقة العاملة فوراً وكلياً وليس غير أجهل الناس من يستطيعون ان يتجاهلوا الطابع البرجوازي للانقلاب الديمقراطي القائم وليس غير المتفائلين المغرقين في السذاجة من يستطيعون ان ينسوا ان سواد العمال لا يعرفون حتى الآن الا القليل القليل عن اهداف الاشتراكية ووسائل تحقيقها ونحن مقتنعون جميعاً بان تحرير العمال لا يمكن ان يكون إلا من صنع العمال انفسهم ودون وعي الجماهير وتنظيمها دون اعدادها وتربيتها عن طريق النضال الطبقي السافر ضد البرجوازية بأسرها ، لا يمكن حتى الكلام عن الثورة الاشتراكية وجواباً عن الاعتراضات الفوضوية الزاعمة اننا نرجى الانقلاب الاشتراكي نقول اننا لا نرجئه انما نخطو الخطوة الاولى نحوه بالوسيلة الممكنة الوحيدة وبالطريق القويم الوحيد اي بطريق الجمهورية الديمقراطية ان من يريد السير الى الاشتراكية بطريق آخر ، خارج الديمقراطية السياسية يصل حتماً الى استنتاجات خرقاء ورجعية سواء بمعناها الاقتصادي ام بمعناها السياسي واذا جاء هؤلاء العمال او اولئك وسألونا ، في لحظة مناسبة ما ليم لا نطبق برنامج الحد الاقصى ؟ فاننا سنجيبهم بالاشارة الى اي حد بعيد لا تزال الجماهير الشعبية ذات الميول الديمقراطية غريبة عن الاشتراكية الى اي حد كبير لا تزال التناقضات الطبقيه ضعيفة التطور ، الى اي حد

كبير لا يزال البروليتاريون غير منظمين فنظموا اذن مئات الآلاف من العمال في عموم روسيا اكتسبوا تحببذ الملايين لبرنامجكم حاولوا ان تفعلوا ذلك دون ان تكتفوا بالتعابير الفوضوية الطنانة ، ولكن الجوفاء تروا حالا ان تحقيق هذا التنظيم ونشر هذا التثقيف الاشتراكي يتوقفان على تحقيق التحويلات الديمقراطية باكمل ما يمكن

لنتابع اذ اتضحت اهمية الحكومة الثورية الموقته وموقف البروليتاريا منها يبرز السؤالان التاليان هل يجوز اشتراكنا في هذه الحكومة (العمل من القمة) وباية شروط ؟ كيف يجب ان يكون عملنا من القاعدة ؟ ان القرار يعطي جوابين دقيقين على هذين السؤالين فهو يعلن بكل جلاء انه يجوز مبدئياً اشتراك الاشتراكية-الديموقراطية في الحكومة الثورية الموقته (في عهد الانقلاب الديمقراطي ، في عهد النضال من اجل الجمهورية) وبهذا الاعلان ، ننصل نهائياً عن الفوضويين الذين يجبيون مبدئياً بالنفي على هذا السؤال وكذلك عن ذنبي الاشتراكية-الديموقراطية (امثال مارتينوف وجماعة «الايسكرا» الجديدة) الذين كانوا يخيفوننا باحتمال نشوء وضع نضطر فيه الى الاشتراك في الحكم وبهذا الاعلان نبذ المؤتمر الثالث لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا نهائياً فكرة «الايسكرا» الجديدة التي تزعم ان اشتراك الاشتراكيين-الديموقراطيين في الحكومة الثورية الموقته سيكون ضرباً من الميليرانية (١٦٣) وان هذا الاشتراك لا يجوز مبدئياً لأنه يكرّس النظام البرجوازي ، الخ ولكن مسألة الجواز المبدئي لا تحل بعد مسألة الفائدة العملية وهذا غني عن البيان ففي اية ظروف يكون مفيداً هذا الشكل الجديد للنضال «من القمة» الذي اقره مؤتمر الحزب ؟ بديهي انه لا يمكن التحدث الآن عن الظروف الملموسة ،

كالنسبة بين مختلف القوى الخ والقرار يمتنع بالطبع عن تحديد هذه الشروط سلفاً وليس ثمة انسان عاقل يأخذ على نفسه التنبؤ الآن بأي شيء بصدد المسألة التي تهمننا ولكن من الممكن ومن الواجب تحديد طابع اشتراكنا وغرضه وهذا ما يفعله القرار فهو يشير الى هدفين من الاشتراك ١ - النضال بلا هوادة ضد المحاولات المعادية للثورة و٢ - الدفاع عن المصالح الخاصة للطبقة العاملة وبيننا يشرع البرجوازيون الليبراليون في الحديث بحمية عن نفسية الرجعية (راجع المقالة الواسعة الدلالة «رسالة مفتوحة» للسيّد ستروفه ، في العدد ٧١ من «اوسفوبوجدينييه») ساعين جهدهم الى تخويف الشعب الثوري وحته على التنازل ازاء الاوتوقراطية يكون من المناسب بخاصة ان يذكر حزب البروليتاريا بضرورة خوض حرب حقيقية ضد الحركة المعادية للثورة فان قضايا الحرية السياسية والنضال الطبقي الكبيرة لا يحلها آخر الامر غير القوة فيجب علينا ان نعنى باعداد وتنظيم هذه القوة واستعمالها بنشاط ، لا للدفاع وحسب ، بل للهجوم ايضاً ان المرحلة الطويلة التي تسود فيها الرجعية السياسية في اوربا بصورة متواصلة تقريباً منذ كومونة باريس ، قد عودتنا كثيراً جداً على التفكير بالعمل «من القاعدة» فقط لقد عودتنا كثيراً جداً على ان لا نرى الا النضال الدفاعي ولا جدال اننا دخلنا اليوم مرحلة جديدة فقد بدأ عهد من الهزات السياسية والثورات وفي مرحلة كالتى تجتازها روسيا لا يجوز الاكتفاء بالكليشيهات القديمة انما يجب الدعاية لفكرة العمل من القمة يجب الاستعداد لأشد الاعمال الهجومية حزمًا يجب دراسة شروط هذه الاعمال واشكالها وقرار المؤتمر يضع في المرتبة الاولى اثنين من هذه الشروط احدهما يتعلق بالناحية الشكلية من اشتراك الاشتراكية-الديموقراطية في الحكومة الثورية الموقّـة

(رقابة الحزب الصارمة على مفوضيه) والثاني يتعلق بطابع هذا الاشتراك بالذات (ان لا يغيب عن البال ولو لحظة واحدة هدف الانقلاب الاشتراكي الكامل)

وهكذا فان القرار بعد ان يوضح من كل النواحي سياسة الحزب في العمل «من القمة» - هذه الوسيلة النضالية الجديدة التي تكاد تكون غير معروفة حتى الآن - يتناول ايضاً الحالة التي لا يمكننا فيها العمل من القمة ففي جميع الحالات يجب علينا ان نضغط من القاعدة على الحكومة الثورية الموقته ولممارسة هذا الضغط من القاعدة يجب ان تكون البروليتاريا مسلحة - لأن الامور تبلغ بسرعة فائقة حد الحرب الاهلية السافرة في الظرف الثوري - وسائرة بقيادة الاشتراكية-الديموقراطية والغرض من ضغط البروليتاريا المسلح - «حماية مكتسبات الثورة وتوطيدها وتوسيعها» اي تلك المكتسبات التي يجب ان تتلخص من وجهة نظر مصالح البروليتاريا في تحقيق كل برنامجنا برنامج الحد الادنى

وبهذا ننتهي من بحثنا السريع لقرار المؤتمر الثالث بشأن الحكومة الثورية الموقته ان هذا القرار كما يرى القارىء بين اهمية هذه المسألة الجديدة وموقف حزب البروليتاريا منها وسياسة الحزب سواء أفي داخل الحكومة الثورية الموقته ام خارجها

لنر الآن الى القرار المقابل الذي اتخذه «المجلس العام»

٣- ماذا يعني «انتصار الثورة العاسم على القيصرية» ؟

ان قرار «المجلس العام» مخصص لقضية «الاستيلاء على السلطة والاشتراك في الحكومة الموقته» * ان هذه الطريقة في طرح المسألة تنطوي بحد نفسها على تشوش كما سبق وقلنا

* بإمكان القارىء ان يعيد النص الكامل لهذا القرار اذا ما جمع الاستشهادات الواردة في الصفحات ٤٠٠ ، ٤٠٣ - ٤٠٤ ، ٤٠٧ ، ٤٣١ ،

فمن جهة تطرح المسألة على نحو ضيق فلا يرى الا الى اشتراكنا في الحكومة الموقته ولا يرى الى مهمات الحزب بوجه عام ازاء الحكومة الثورية الموقته ومن جهة اخرى خلط بين مسألتين تختلف طبيعة احدهما عن طبيعة الاخرى اختلافاً كلياً اشتراكنا في احد اطوار الانقلاب الديمقراطي وفي الانقلاب الاشتراكي وبالفعل ان «الاستيلاء على السلطة» من قبل الاشتراكية-الديموقراطية يعني بالضبط الانقلاب الاشتراكي ولا يمكن ان يعني شيئاً آخر اذا استعملنا هذه الكلمات بمعناها الاصلي والعادي واذا فسرناها على انها تعني الاستيلاء على السلطة لا من اجل انقلاب اشتراكي ولكن من اجل انقلاب ديموقراطي فأي جدوى من التحدث آنذاك لا عن الاشتراك في الحكومة الثورية الموقته وحسب بل ايضاً عن «الاستيلاء على السلطة» بوجه عام؟ وواضح ان اصحابنا «المشتركين في المجلس العام» لم يعرفوا هم انفسهم جيداً عما يجب عليهم ان يتحدثوا بالضبط عن الانقلاب الديموقراطي ام عن الانقلاب الاشتراكي ان الذين تابعوا المنشورات المخصصة للقضية يعرفون ان الرفيق مارتينوف هو الذي دشن هذا التشوش في مؤلفه الشهير «ديكتاتوريتان» ان جماعة «الايسكرا» الجديدة لا يتذكرون بطيبة خاطر الطريقة التي وضعت بها هذه المسألة (قبل ٩ كانون الثاني - يناير) في هذا المؤلف الذي يعتبر نموذجاً «للذنبية»؛ غير انه لا يمكن الشك في التأثير الفكري الذي مارسه على المجلس العام (الكونفيرانس) ولكن لندع جانباً عنوان القرار فان محتواه يتكشف لنا عن اخطاء أعمق وأفدح بما لا يقارن اليكم القسم الاول من القرار

« ان انتصار الثورة الحاسم على القيصرية يمكن ان يتسم ، إما بتأليف حكومة مؤقتة منبثقة عن الانتفاضة الشعبية الطافرة ، واما بالمبادرة الثورية من جانب هذه المؤسسة التمثيلية او تلك التي تقرر ، تحسنت الضغط الثوري المباشر من الشعب ، تنظيم جمعية تأسيسية تمثل الشعب بأسره »

وهكذا يقال لنا ان انتصار الثورة الحاسم على القيصرية يمكن ان يكون إما انتفاضة طافرة واما القرار الذي تتخذه مؤسسة تمثيلية لتنظيم الجمعية التأسيسية ما هذا ؟ وكيف هذا ؟ يمكن ان يشار الى الانتصار الحاسم بـ«قرار» بتنظيم جمعية تأسيسية ؟؟ وهذا «الانتصار» يرد الى جانب تشكيل حكومة مؤقتة «منبثقة عن انتفاضة شعبية طافرة» ان المجلس العام لم يلاحظ ان الانتفاضة الشعبية الطافرة وتشكيل حكومة مؤقتة يعينان انتصار الثورة فعلا بينا «القرار» بتنظيم جمعية تأسيسية لا يعني الا انتصار الثورة بالاقوال

ان المجلس العام الذي عقده المناشفة الايسكريون الجدد قد وقع في نفس الخطأ الذي يقع فيه دائماً الليبيراليون جماعة «اوسفوبوجدينييه» فان اعضاء هذه الجماعة يطلقون الجمل والتعابير الطنانة عن الجمعية «التأسيسية» ويغضون عيونهم حياء على واقع ان القوة والسلطة لا تزالان في يد القيصر وهم ينسون انه من اجل «التأسيس» لا بد من القوة للتأسيس كذلك نسي المجلس العام ان البون شاسع بين «قرار» يتخذه ممثلون أياً كانوا وبين تطبيق هذا القرار ونسي المجلس العام ايضاً انه ما دامت السلطة في يد القيصر فان جميع القرارات التي يتخذها جميع الممثلين أياً كانوا ستبقى اثرات فارغة يرئى لها شأنها شأن «قرارات» برلمان فرانكفورت المعروف في تاريخ الثورة الالمانية عام ١٨٤٨ . فان ماركس ، الناطق بلسان

البروليتاريا الثورية كان في صحيفته «الجريدة الرينانية الجديدة» (١٦٤) يسلط سيطا سخره اللاذع بلا رحمة ولا شفقة على «الاسفوبوجدينيين» الليبيرالين الفرانكفورتين لأنهم بالضبط كانوا يتشدقون بكلمات طيبة ويتخذون شتى «القرارات» الديمقراطية و«يؤسسون» مختلف انواع الحريات ولكنهم يتركون السلطة فعلا في يد الملك ولا ينظمون النضال المسلح ضد القوة العسكرية التي يتصرف بها هذا الملك وبينما الاسفوبوجدينيون الفرانكفورتيون يكثرون من الثروات كان الملك ينتظر اللحظة المناسبة ويعزز قواته العسكرية بحيث ان الحركة المعادية للثورة المعتمدة على قوة فعلية هزمت الديمقراطيين هزيمة ماحقة رغم كل «قراراتهم» الظرفية

ولقد وصف المجلس العام بالانتصار الحاسم شيئا ينقصه على وجه الدقة الشرط الحاسم للانتصار فكيف امكن ان وقع في هذا الخطأ اشتراكيون-ديموقراطيون يعترفون بالبرنامج الجمهوري لحزبنا ؟ لفهم هذا الواقع الغريب ينبغي لنا ان نعود الى قرار المؤتمر الثالث بشأن القسم المنشق عن الحزب * فان

* فيما يلي النص الكامل لهذا القرار : «ان المؤتمر يلاحظ انه لا تزال في قلب ح ع د ر ، منذ نضاله ضد «الاقتصادية» ، تلاوين قريبة من «الاقتصادية» بدرجات مختلفة وبعلاقات متنوعة ، وتتصف بميل عام الى الاستصغار من دور عناصر الوعي في النضال البروليتاري ، والى اخضاعها لعناصر العفوية ففي حقل التنظيم ، يصوغ ممثلو هذه التلاوين ، نظريا ، مبدأ التنظيم-التفاعل ، الذي لا يطابق عمل الحزب النهاجي المنتظم ؛ وفي النشاط العملي ، يلجؤون ابدأ ودائما ، في كثرة من الحالات ، الى طريقة التهرب من الطاعة الحزبية ؛ وفي حالات أخرى ، يسعون جهدهم الى تحطيم القواعد الوحيدة الممكنة حاليا لصلة الحزب ، بترويج دعايتهم بين أقل عناصر الحزب وعياً وقولهم بتطبيق المبدأ الانتخابي على نطاق واسع دون اخذ ظروف

هذا القرار يشير الى ان في حزبنا تيارات شتى «قريبة من «الاقتصادية» ان اصحابنا المشتركين في المجلس العام (الذين لا يتأثرون عبثاً بتأثير مارتينوف الفكري) يسهبون البحث في الثورة تماماً بنفس الروح التي كان يسهب بها «الاقتصاديون» في بحث النضال السياسي او يوم العمل من ثماني ساعات وسرعان ما كان «الاقتصاديون» يطلعون بنظريتهم المسماة «نظرية المراحل» ١- النضال في سبيل الحقوق ٢- التحريض السياسي ٣- النضال السياسي او ١- يوم العمل من ١٠ ساعات ٢- يوم العمل من ٩ ساعات ٣- يوم العمل من ٨ ساعات. ومعروفة كفاية من الجميع النتائج التي اسفر عنها هذا «التكتيك - التفاعل» والآن يقترح علينا تقسيم الثورة ايضاً مسبقاً وبعناية الى مراحل هي ١- القيصر يعقد مؤسسة تمثيلية ٢- هذه المؤسسة التمثيلية «تقرر» تحت ضغط «الشعب» تنظيم جمعية تأسيسية ٣- حول

الواقع الروسي الموضوعية بالحسبان. وهم في مسائل التكتيك ، يسعون وراء التضييق من نطاق النشاط الحزبي ، اذ يعارضون إتباع تكتيك حزبي مستقل قطعاً عن الاحزاب البرجوازية الليبرالية ، واذ ينكرون ، بالنسبة لحزبنا ، امكانية وفائدة القيام بدور تنظيمي في الانتفاضة الشعبية ، ويعارضون اشتراك الحزب في الحكومة الثورية الديمقراطية الموقته ، ايا كانت الظروف

ان المؤتمر يدعو جميع اعضاء الحزب الى خوض نضال فكري شديد في كل مكان ضد هذه الانحرافات الجزئية عن مبادئ الاشتراكية-الديموقراطية الثورية ؛ غير انه يعتبر في الوقت نفسه انه يجوز ان ينتسب الى منظمات الحزب اشخاص يشاطرون هذه الآراء الى هذا الحد او ذلك ، ولكن بشرط ضروري ، هو ان يعترفوا بمؤتمرات الحزب ونظام الحزب الداخلي ، ويخضعوا لطاعة الحزب خضوعاً تاماً . (ملاحظة لينين لطبعة ١٩٠٧ . الناشر .)

المرحلة الثالثة لم يتفق المناشقة بعد وقد نسوا ان الضغط الثوري من جانب الشعب يصطدم بضغط القيصرية المعادي للثورة ، وتكون النتيجة إما ان «القرار» يبقى حبراً على ورق واما ان انتصار او هزيمة الانتفاضة الشعبية هو الكلمة الفاصلة ، مرة اخرى ان قرار المجلس العام يشبه تماماً محاكمة «الاقتصاديين» التالية ان انتصار العمال الحاسم يمكن ان يتسم إما بالظفر الثوري بيوم العمل من ٨ ساعات واما بمنح يوم العمل من ١٠ ساعات و«القرار» بالانتقال الى يوم العمل من ٩ ساعات تماماً الشيء نفسه

قد يعترض احد علينا بان اصحاب القرار لم يفكروا في اعتبار انتصار الانتفاضة و«قرار» مؤسسة تمثيلية يدعو القيصر الى انعقادها شيئاً واحداً وبانهم ارادوا فقط ان يبحثوا سلفاً تكتيك الحزب في الحالتين وعلى هذا الاعتراض نجيب ١ - ان نص القرار يصف صراحة ودون لبس او ابهام قرار مؤسسة تمثيلية بانه «انتصار الثورة الحاسم على القيصرية» ربما هذا نتيجة لصياغة مهملة ربما يمكن اصلاحها وفقاً للمحاضر ولكن هذه الصياغة لن يكون لها سوى معنى واحد طالما لم تصلح وهذا المعنى هو بكليته معنى «اوسفوبو جديني» ٢ - ان مجرى الافكار «الاوسفوبو جديني» الذي انزلق اليه اصحاب القرار يتجلى ايضاً بوضوح اكبر بما لا حد له في كتابات اخرى لجماعة «الايسكرا» الجديدة فان جريدة لجنة تفليس «سوسيال-ديموقراط» (١٦٥) (التي تصدر باللغة الجورجية وفي اطرانها بالغت «الايسكرا» في عددها الـ ١٠٠) مثلاً يبلغ بها الامر حد القول في مقال بعنوان «الزيمسكي سوبور * وتكتيكننا» ان «التكتيك» «الذي يجعل من الزيمسكي سوبور محور نشاطنا» (ومن

* المقصود - الجمعية التمثيلية لعامة روسيا . المغرب .

جهتنا نضيف اننا لما نعرف شيئاً دقيقاً عن انعقاده ! «أفيد لنا» من «تكتيك» الانتفاضة المسلحة وتشكيل حكومة ثورية مؤقتة وسنعود فيما بعد الى هذا المقال ٣ - لا يمكن الاعتراض بشيء على بحث تكتيك الحزب مسبقاً في حال انتصار الثورة كما في حال الهزيمة ، في حال نجاح الانتفاضة وفي حال عجز الانتفاضة عن الاحتدام والتحول الى قوة مهيبة وقد تتمكن الحكومة القيصرية من عقد جمعية تمثيلية بغية عقد صفقة مع البرجوازية الليبرالية الا ان قرار المؤتمر الثالث قد اخذ ذلك بعين الاعتبار فاشار بوضوح الى «السياسة المناقفة» و«الديموقراطية المزيفة» و«الاشكال الكاريكاتورية للتمثيل الشعبي من نوع ما يسمى الزيمسكي سوبور» * ولكن القرار بشأن الحكومة الثورية المؤقتة * فيما يلي نص هذا القرار حول الموقف من تكتيك الحكومة عشية

الانقلاب

وحيث ان الحكومة ، سعيها منها الى البقاء في المرحلة الثورية التي نعيش ، تزيد من حدة تدابير القمع العادية الموجهة بصورة رئيسية ضد العناصر الواعية من البروليتاريا ، وفي الوقت نفسه ١ - تحاول ، عن طريق التنازلات والوعود بالاصلاحات ، افساد الطبقة العاملة سياسياً وصرافها بالتالي عن النضال الثوري ؛ ٢ - تضيفي للفرض نفسه ، على سياستها المناقفة ، سياسة التنازلات ، اشكالاً ديموقراطية مزيفة ، ابتداء من دعوة العمال الى انتخاب ممثلهم الى اللجان والاجتماعات ، وانتهاء باستنباط اشكال كاريكاتورية للتمثيل الشعبي من نوع ما يسمى الزيمسكي سوبور ٣ - تنظم ما يسمى المئة السود (١٦٦) وتدفع ضد الثورة كل ما في الشعب من عناصر رجعية بوجه عام ومن عناصر غير واعية او اعماها الحقد العرقي والحقد الديني ، -

يقرر المؤتمر الثالث لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا دعوة جميع منظمات الحزب الى
١ - فضح الاهداف الرجعية من تنازلات الحكومة ؛ الاشارة في الدعاية والتحريض الى طابعها الاضطراري من جهة ، ومن جهة اخرى ، الى انه من

لا ينبس بكلمة حول هذا الموضوع لأن لا علاقة له بالحكومة الثورية الموقته وهنا بيت القصيد ان الحالة التي نتناولها تستبعد قضية الانتفاضة وتشكيل حكومة ثورية موقته وتعدها الخ والواقع ان المقصود الآن ليس امكان شتى التركيبات ليس امكان الانتصار والهزيمة امكان السبل المستقيمة والمتوية انما المقصود ، هو انه لا يجوز للاشترائي-الديموقراطي ان يزرع التشويش في افكار العمال حول السبيل الثوري حقاً لا يجوز ، على طريقة «اوسفوبوجدينيه» ، ان يسمي بالانتصار الحاسم شيئاً ينقصه الشرط الاساسي للانتصار وقد لا نحصل ايضاً دفعة واحدة على يوم العمل من ثماني ساعات وقد يتعين علينا ان نسلك طريقاً طويلاً ملتوياً لبلوغ هذا الهدف ولكن ما عساكم ان تقولوا عن ذلك الذي يسمي حالة من العجز من الضعف تجعل البروليتاريا عاجزة عن مقاومة الماطلات والمواربات والمساومات والخيانة والرجعية يسمي هذه الحالة انتصاراً للعمال ؟ ومن الممكن ان تنتهي الثورة الروسية

المستحيل اطلاقاً على الاوتوقراطية ان تمنح اصلاحات من شأنها ارضاء البروليتاريا

ب- استغلال الحملة الانتخابية لتنوير العمال حول المغزى الحقيقي لمثل هذه التدابير التي تتخذها الحكومة ، والبرهنة على انه من الضروري للبروليتاريا ان تعقد ، بالطريق الثوري ، جمعية تاسيسية منتخبة بالاقتراع العام ، المتساوي ، المباشر ، السري ؛

ج- تنظيم البروليتاريا لتطبيق يوم العمل من ٨ ساعات وغيرها من المطالب الملحة للطبقة العاملة تطبيقاً فورياً بالطريق الثوري ؛

د- تنظيم المقاومة المسلحة ضد المئة السود ، وعلى العموم ، ضد جميع العناصر الرجعية السائرة بقيادة الحكومة . (ملاحظة لينين لطبعة ١٩٠٧ . الناشر .)

«ب طرح دستوري» كما قالت «فريود» * ذات يوم ولكن هل يمكن ان يبرر هذا القول الاشتراكي-الديموقراطي الذي ينعت هذا الطرح عشية النضال الحاسم بانه «انتصار حاسم على القيصرية»؟ بل انه من الممكن في اسوأ الحالات ان لا نتوصل الى الظفر بالجمهورية وحتى ان لا نحصل الا على طيف دستور دستور «على طريقة شيبوف» (١٦٧) ولكن هل يستتبع هذا انه يمكن عذر الاشتراكي-الديموقراطي الذي يطمس شعارنا شعار الجمهورية؟

يقيناً ان الايسكريين الجدد لما يبلغوا هذا الحد ولكن ما يبين بوضوح خاص الى اي حد فقدوا الروح الثوري الى اي حد يخفي عنهم التزمت العقيم اهداف الكفاح الحالية هو انهم نسوا في قرارهم ان يذكروا الجمهورية بالضبط هذا لا يصدق ولكن هذا امر واقع فان مختلف قرارات المجلس العام تؤكد وتكرر وتشرح باسهاب وتدرس بالتفصيل جميع شعارات الاشتراكية-الديموقراطية دون ان تغفل حتى انتخاب رؤساء الفرق والمندوبين في المصانع من قبل العمال ولكنهم لم يجدوا مناسبة لذكر الجمهورية في القرار بشأن الحكومة الثورية الموقته ان التحدث عن «انتصار» الانتفاضة الشعبية وتشكيل حكومة موقته ، دون توضيح العلاقة بين هاتين «الخطوتين» وهذين العاملين

* صدرت جريدة «فريود» في جنيف ابتداء من كانون الثاني-يناير-١٩٠٥ ، بوصفها لسان حال كتلة الحزب البلشفية وقد صدر منها ١٨ عدداً من كانون الثاني الى ايار (مايو) وابتداء من ايار ، حلت «بروليتاري» بوصفها الجريدة المركزية ح ع د ر محل «فريود» بموجب قرار من المؤتمر الثالث ل ح ع ا د ر (انعقد هذا المؤتمر في لندن في شهر ايار ؛ ولم يحضره المناشفة اذ نظموا «مجلسهم العام» في جنيف) . (ملاحظة لينين لطبعة ١٩٠٧ . الناشر .)

للظفر بالجمهورية انما يعني تدبيح قرار لا لقيادة نضال البروليتاريا بل للمشي عرجاً في ذيل الحركة البروليتارية لنوجز ان القسم الاول من القرار ١ - لم يلق اي نور على اهمية الحكومة الثورية الموقته من وجهة نظر النضال في سبيل الجمهورية ومن وجهة نظر ضمان انعقاد جمعية تأسيسية فعلا وممثلة فعلا للشعب كله ٢ - زرع تشويشاً حقيقياً في وعي البروليتاريا الديمقراطي بوصفه وضعاً لا يزال ينقصه بالضبط الشرط الاساسي للانتصار الحقيقي بانه انتصار الثورة الحاسم على القيصرية

٤ - الجمهورية وتصفية النظام الملكي

لنتقل الى القسم التالي من القرار

« . ان هذا الانتصار سيكون ، في كل من الحالين ، بداية طور جديد في العهد الثوري والمهمة التي تعهد بها ، بصورة عفوية ، ظروف التطور الاجتماعي الموضوعية الى هذا الطور الجديد انما تقوم في تصفية نظام الفئات المغلقة الملكي كله تصفية نهائية في مجرى النضال المتبادل بين عناصر المجتمع البرجوازي المتحرر سياسياً في سبيل تحقيق مصالحها الاجتماعية وفي سبيل امتلاك السلطة مباشرة ولهذا فان الحكومة الموقته التي تتولى تنفيذ مهمات هذه الثورة البرجوازية بحكم طابعها التاريخي انما يتعين عليها الى جانب ضبط النضال المتبادل بين الطبقات المتضادة في الامة بسبيل التحرر ، لا ان تدفع التطور الثوري الى الامام وحسب ، بل ان تكافح ايضاً بين عوامله تلك التي تهدد أسس النظام الرأسمالي »

لنتوقف عند هذا المقطع الذي يؤلف جزءاً خاصاً من القرار ان الفكرة الرئيسية في هذه المحاكمات التي استشهدنا بها تطابق

الفكرة المعروضة في النقطة الثالثة من قرار المؤتمر ولكن المقارنة بين هذين المقطعين من القرارين سرعان ما تبرز الفرق الجوهرى التالي بينهما فان قرار المؤتمر اذ يحدد في كلمتين الاساس الاقتصادى والاجتماعى للثورة يركز كل الانتباه على النضال الواضح المعالم والحدود بين الطبقات حول مكتسبات معينة ويضع في المرتبة الاولى اهداف كفاح البروليتاريا اما قرار المجلس العام فانه يصف مطولا وبصورة غامضة مشوشة الاساس الاقتصادى والاجتماعى للثورة ويتحدث بتعابير مبهمه جداً عن النضال في سبيل مكتسبات معينة ويغفل اطلاقاً اهداف كفاح البروليتاريا ثم ان قرار المجلس العام يتطرق الى تصفية النظام القديم في مجرى النضال المتبادل بين عناصر المجتمع بينا يقول قرار المؤتمر انه يترتب علينا نحن حزب البروليتاريا ان نقوم بهذه التصفية وان تأسس الجمهورية الديموقراطية هو وحده الذي سيكون التصفية الفعلية وانه يجب علينا ان نظفر بهذه الجمهورية واننا سنناضل من اجلها ومن اجل الحرية الكاملة لا ضد الاوتوقراطية وحسب بل ايضاً ضد البرجوازية حين تحاول هذه البرجوازية (ولا بد لها ان تحاول) ان تنتزع منا مكتسباتنا ويدعو قرار المؤتمر طبقة معينة الى الكفاح من اجل هدف مباشر واضح المعالم كلياً بينا يحاكم قرار المجلس العام حول النضال المتبادل بين قوى مختلفة احد هذين القرارين يعكس نفسية النضال النشيط والثانى نفسية التأمل السلبي احدهما من اوله الى آخره نداء الى النشاط الحى والثانى سفسطة تزمت عقيم وكل منهما يعلن ان الانقلاب القائم ليس بالنسبة لنا الا خطوة اولى تتبعها خطوة ثانية ولكن احدهما يستخلص من ذلك انه ينبغى خطو هذه الخطوة الاولى بمزيد من السرعة وتصفيتها بمزيد من السرعة ، والظفر

بالجمهورية وسحق الحركة المعادية للثورة سحقاً لا رحمة فيه وتمهيد السبيل الى الخطوة الثانية بينا يتشدق القرار الثاني اذا جاز القول باوصاف مسهبة لهذه الخطوة الاولى و(اعذرني لابتذال التعبير) يمص الافكار بشأنها ان قرار المؤتمر يتخذ على سبيل الفاتحة او البديهة الاولى الافكار الماركسية القديمة الجديدة دائماً (عن صفة الانقلاب الديمقراطي البرجوازية) لكي يستخلص منها المهمات التقدمية للطبقة الطليعية التي تكافح في آن من اجل الانقلاب الديمقراطي ومن اجل الانقلاب الاشتراكي اما قرار المجلس العام فيكتفي بالفاتحة وحدها ويلوكها ويفرط في المحاكمة بشأنها

ان هذا الفرق هو الذي يقسم منذ زمن بعيد الماركسيين الروس الى جناحين جناح المتزمتين وجناح المكافحين من عهد الماركسية العلنية (١٦٨) الذي ولّى الجناح الاقتصادي والجناح السياسي من عهد مطلع الحركة الجماهيرية فمن مبدأ الماركسية الصحيح حول الجذور الاقتصادية العميقة للنضال الطبقي بوجه عام والنضال السياسي بوجه خاص كان «الاقتصاديون» يستخلصون هذا الاستنتاج الغريب القائل بانه يجب ادارة الظهر للنضال السياسي وعرقلة تطوره وتقليص مداه والاستصغار من اهدافه اما السياسيون فقد كانوا على العكس يستخلصون من المبادئ نفسها استنتاجاً آخر يقول بانه يجب ان يكون نضالنا اكثر اتساعاً واوفر جرأة واشد عزيمة واوفى مبادرة بقدر ما تكون اليوم جذور نضالنا اشد عمقاً واليوم ايضاً يبرز النقاش نفسه امامنا ، في ظروف جديدة ، بشكل آخر فانطلاقاً من المبادئ القائلة ان الانقلاب الديمقراطي ليس بعد - وما ابعد الشقة ! - الانقلاب الاشتراكي وانه لا «يهم» فقط - وما ابعد الشقة ! - غير المالكين ، وان جذوره العميقة تمتد الى الضرورات والحاجات

المحتمة للمجتمع البرجوازي بأسره نخلص الى القول بانه يترتب على الطبقة الطليعية بالاخص ان تضع مهماتها الديموقراطية بمزيد من الجرأة وان تصوغها الى النهاية بمزيد من الوضوح وان ترفع شعار الجمهورية الصريح وتروج بالفكرة القائلة بضرورة حكومة ثورية موقته وضرورة سحق القوى المعادية للثورة سحقاً لارحة فيه بينا مجادلونا جماعة «اليسكرا» الجديدة يخلصون من المبادئ نفسها الى القول بانه لا يجب صياغة الاستنتاجات الديموقراطية الى النهاية وانه يمكن عدم ايراد شعار الجمهورية في عداد الشعارات العملية وانه يجوز عدم ترويج الفكرة القائلة بضرورة حكومة ثورية موقته وان مجرد القرار بدعوة الجمعية التأسيسية الى الانعقاد يمكن اعتباره انتصاراً حاسماً وانه يمكن ان لا تصاغ مهمة النضال ضد الحركة المعادية للثورة بوصفه غرضاً من اغراض نشاطنا بل يمكن اغراقها في تلميح غامض (وخطي الصياغة كما سنرى الآن) الى «مجرى النضال المتبادل» ان هذه اللغة ليست لغة السياسيين انما هي لغة لجنة ما من لجان حفظة الارشيف !

وبقدر ما ترون بمزيد من الانتباه الى بعض الصيغ في القرار اليسكري الجديد بقدر ما تكتشفون فيها على نحو اوضح الخصائص الاساسية التي اشرنا اليها يحدثوننا مثلاً عن «مجرى النضال المتبادل بين عناصر المجتمع البرجوازي المتحرر سياسياً» وبما اننا نذكر الموضوع الذي حرر بشأنه القرار (الحكومة الثورية الموقته) فاننا نتساءل بدهشة اذا كان لا بد من الحديث عن مجرى النضال المتبادل فكيف يمكن لزوم الصمت حول العناصر التي تستعبد المجتمع البرجوازي سياسياً؟ وهل يظن المشتركرون في المجلس العام انهم ما داموا قد افترضوا انتصار الثورة، فان هذه العناصر قد زالت؟ ان مثل هذه الفكرة لفكرة

خرقاء بوجه عام وتنم عن سذاجة سياسية بالغة وقصر نظر سياسي بوجه خاص ان الحركة المعادية للثورة لن تزول بعد انتصار الثورة على هذه الحركة بل بالعكس فانها ستبدأ حتماً نضالاً جديداً اشد ضراوة ونحن اذ نخصص قرارنا لتحليل مهامنا في حال انتصار الثورة انما من واجبنا ان نولي مهام صد الهجوم المعادي للثورة انتباهاً كبيراً جداً (وهذا ما فعلناه في قرار المؤتمر) لا ان نفرق هذه المهمات السياسية الملحة العاجلة ، المباشرة الموضوعية امام حزب كفاحي في اعتبارات عامة حول ما سيعقب العهد الثوري الراهن وحول ما سيجري عندما ينشأ «مجتمع متحرر سياسياً» وكما كان «الاقتصاديون» يلجؤون الى الاستشهادات بالحقائق العامة حول خضوع السياسة للاقتصاد بغية اخفاء عدم فهمهم لمهمات الساعة السياسية كذلك يلجأ الايسكريون الجدد الى الاستشهادات بالحقائق العامة حول النضال في قلب مجتمع متحرر سياسياً بغية اخفاء عدم فهمهم للمهمات الثورية الملحة المباشرة مهمات تعريير هذا المجتمع سياسياً

اليكم هذا التعبير «تصفية نظام الفئات المغلقة الملكي كله تصفية نهائية» تصفية الملكية نهائياً هذا يعني بكلام واضح تأسيس الجمهورية الديمقراطية ولكن هذا التعبير يبدو بسيطاً جداً وصافياً جداً لصاحبنا الطيب مارتينوف والمعجبين به فهم يريدون اطلاقاً «التعميق» وقول الاشياء «بطريقة أذكى» مما يسفر عن جهد مضحك للتفكير بعمق هذا من جهة ومن جهة اخرى نرى وصفاً بدلاً من شعار وبدلاً من نداء ناشط للسير الى امام نرى نظرة كثيبة الى الورااء فكأننا لسنا امام اناس احياء يريدون ان يكافحوا في سبيل الجمهورية فوراً ، بدون تأخر ،

بل امام موميات متحجرة ترى *sub specie aeternitatis* * الى المسألة من وجهة نظر *plusquamperfectum* **

وبعد الحكومة الموقته تتولى تنفيذ مهمات هذه الثورة البرجوازية هنا يتضح فوراً ان اصحابنا المشتركين في المجلس العام قد غفلوا عن المسألة الملموسة التي برزت امام قادة البروليتاريا السياسيين فان المسألة الملموسة مسألة الحكومة الثورية الموقته قد غابت من مجالهم البصري امام مسألة الحكومات المتعاقبة التي ستنفذ مهمات الثورة البرجوازية بوجه عام فاذا شئتم ان تبحثوا المسألة من الوجهة «التاريخية» فان مثال اي من بلدان اوروبا سيبين لكم ان جملة من الحكومات غير «الموقته» اطلاقاً هي التي نفذت المهمات التاريخية للثورة البرجوازية حتى ان الحكومات التي تغلبت على الثورة قد اضطرت الى تنفيذ المهام التاريخية لهذه الثورة المغلوبة ولكن ما يسمى بـ«الحكومة الثورية الموقته» ليس ابدأ ما تحدثون عنه فان هذه التسمية تطلق على حكومة العهد الثوري على الحكومة التي تخلف فوراً الحكومة المقلوبة وتعتمد على الانتفاضة الشعبية لا على اي مؤسسات تمثيلية منبثقة عن الشعب ان الحكومة الثورية الموقته هي جهاز النضال في سبيل انتصار الثورة فوراً في سبيل صد المحاولات المعادية للثورة فوراً وليست اطلاقاً جهازاً لتنفيذ المهمات التاريخية للثورة البرجوازية بوجه عام لنعد ايها السادة للمؤرخين المقبلين في «روسكيا ستارينا» (١٦٩) المقبلة امر تعيين المهمات التي نفذناها نحن وانتم او هذه الحكومة او تلك من بين مهمات

* - من زاوية الخلود الناشر .

** - الماضي الابدع ، الزمن الغابر . الناشر .

الثورة البرجوازية فان هذا العمل لن يفوت وقت القيام به حتى بعد ٣٠ سنة بينا يترتب علينا اليوم ان نعطي شعارات وتوجيهات عملية بشأن النضال في سبيل الجمهورية واشتراك البروليتاريا باشد العزيمة في هذا النضال

ولهذه الاسباب نرى ان الاحكام الاخيرة في القسم الذي استشهدنا به من القرار هي ايضا غير مرضية فالتعبير الذي يقول بان على الحكومة الموقته ان «تضبط» النضال المتبادل بين الطبقات المتضادة تعبير غير موفق اطلاقاً او على الاقل اخرق فليس للماركسيين ان يستخدموا صيغة ليبرالية كهذه على طريقة «اوسفوبوجدينييه» صيغة تفسح المجال للتفكير بامكان حكومات «تضبط» نضال الطبقات بدلا من ان تكون جهاز هذا النضال . .

يتعين على هذه الحكومة «لا ان تدفع التطور الثوري الى الامام وحسب بل ان تكافح ايضا بين عوامله تلك التي تهدد اساس النظام الرأسمالي» ان هذا «العامل» هو بالضبط البروليتاريا التي يتكلم القرار باسمها فبدلا من القول كيف يجب على البروليتاريا في هذه اللحظة «ان تدفع التطور الثوري الى الامام» (ان تدفعه الى ما وراء الحد الذي تود ان تذهب اليه البرجوازية الدستورية) وبدلا من النصح بالاستعداد على نحو ما لمحاربة البرجوازية حين تنقلب هذه البرجوازية على مكتسبات الثورة بدلا من هذا يتخفوننا بوصف عام للتفاعل ويلزمون الصمت المطبق حول مهمات نشاطنا نحن الملموسة ان طريقة الايسكريين الجدد في بسط افكارهم تذكرنا بتقدير ماركس (في «موضوعات» الشهيرة حول فورباخ) للمادية القديمة الغريبة عن فكرة الديالكتيك قال ماركس كان الفلاسفة لا يفعلون غير ان يفسروا العالم بشتى الطرائق بينا المقصود تعويل هذا العالم (١٧٠) ان جماعة «الايسكرا» الجديدة ، في مستطاعهم هم ايضا ان يصفوا

ويشرحوا بصورة لا بأس بها النضال الذي يجري امام انظارهم ولكنهم عاجزون كلياً عن صياغة شعار صحيح في هذا النضال انهم يسرون بحمية ولكنهم يسيئون القيادة فيحرقون المفهوم المادي عن التاريخ لانهم يتجاهلون الدور الفعال القيادي الموجه الذي يمكن ويجب ان تضطلع به فى التاريخ الاحزاب التي ادركت ظروف الانقلاب المادية وسارت على رأس الطبقات الطبيعية

٥ - كيف يجب «دفع الثورة الى الامام» ؟

اليكم القسم التالي من القرار

وفي هذه الاحوال ، يجب على الاشتراكية-الديموقراطية ان تجهد للاحتفاظ طوال مدة الثورة كلها على وضع يؤمن لها على خير وجه امكانية دفع الثورة الى الامام ، ولا يقيد يديها في النضال ضد السياسة المفروضة والمتذبذبة التي تنتهجها الاحزاب البرجوازية ، ويقيهها من الذوبان في الديموقراطية البرجوازية
ولذا ينبغي على الاشتراكية-الديموقراطية ان لا تستهدف الاستيلاء على الحكم او المشاركة به في الحكومة الموقته انما ينبغي لها ان تظل حزب اقصى المعارضة الثورية»

ان النصيحة باتخاذ وضع يؤمن على خير وجه امكانية دفع الثورة الى الامام تطيب لنا الى ما لا حد له الا اننا نود لو ان هذه النصيحة الطيبة ترفق باشارة دقيقة الى الطريقة التي يترتب بها على الاشتراكية-الديموقراطية ان تدفع الثورة الى الامام في هذه الفترة بالضبط في الوضع السياسي الراهن في هذه الحقبة من الاشاعات والفرضيات والاحاديث والمشاريع لدعوة ممثلي الشعب الى الاجتماع . فهل يستطيع اليوم ان يدفع الثورة الى الامام

ذاك الذي لا يدرك خطر نظرية «اوسفوبوجدينييه» ، نظرية «التفاهم» بين الشعب والقيصر ذلك الذي يعتبر مجرد «القرار» بدعوة الجمعية التأسيسية الى الانعقاد انتصاراً ذلك الذي لا يضع مهمة الدعاية النشيطة للفكرة القائلة بضرورة حكومة ثورية مؤقتة ذلك الذي يغفل شعار الجمهورية الديمقراطية ؟ فالحقيقة ان هؤلاء الناس يعودون بالثورة القهقري لأنهم ظلوا في حقل السياسة العملية في مستوى موقف «اوسفوبوجدينييه» فاي جدوى من اعترافهم ببرنامج يطالب بالاستعاضة عن الاوتوقراطية بجمهورية حين لا يرد شعار النضال من اجل الجمهورية في قرار تكتيكي يحدد اهداف الحزب الحالية والقريبة في ساعة الثورة ؟ ذلك بالضبط ان موقف انصار «اوسفوبوجدينييه» موقف البرجوازية الدستورية يتصف فعلا في الوقت الحاضر بكونهم يعتبرون القرار بدعوة جمعية تأسيسية تمثل الشعب بأسره الى الانعقاد انتصاراً حاسماً ويتجنبون عن حكمة كل ذكر للحكومة الثورية المؤقتة والجمهورية فلاجل دفع الثورة الى الامام اي دفعها الى ما وراء الحد الذي تدفعها اليه البرجوازية الملكية ينبغي الاشارة الى شعارات تنفي «تذبذب» الديمقراطية البرجوازية ينبغي رفع هذه الشعارات بنشاط ووضعها في المرتبة الاولى وهذه الشعارات ليست في الظرف الراهن الا شعارين اثنين ١ - الحكومة الثورية المؤقتة و٢ - الجمهورية لان البرجوازية الملكية قد تبنت شعار الجمعية التأسيسية التي تمثل الشعب بأسره (راجع برنامج «اتحاد اوسفوبوجدينييه») (١٧١) وتبنته بالضبط من اجل تموينه الثورة والحيلولة دون انتصارها التام ومن اجل عقد صفقة سمسرة بين البرجوازية الكبيرة والقيصرية ومن بين الشعارين القادرين وحدهما على دفع الثورة الى امام نرى ان المجلس العام ينسى شعار الجمهورية كلياً ويجعل من شعار الحكومة الثورية المؤقتة

معادلاً مباشراً لشعار الجمعية التأسيسية التي تمثل الشعب بأسره
الشعار الذي صاغته «اوسفوبوجدينييه» اذ نعت هذا وذاك بانه
«انتصار الثورة الحاسم» !!

اجل هذا هو الواقع الذي لا شك فيه الواقع الذي
سيكون حسب اقتناعنا نقطة الاستدلال بالنسبة لمؤرخ
الاشتراكية-الديموقراطية الروسية المقبل ان مجلس الاشتراكيين-
الديموقراطيين العام يتخذ في ايار (مايو) ١٩٠٥ قراراً يورد كلمات
طيبة حول ضرورة دفع الثورة الديموقراطية الى امام ولكنه في
الواقع يعود بها القهقري ولا يتجاوز في الواقع الشعارات الديموقراطية
التي ترفعها البرجوازية الملكية

ان جماعة «الايسكرا» الجديدة يطيب لهم ان يتهمونا بتجاهل
خطر ذوبان البروليتاريا في الديموقراطية البرجوازية اننا نود ان
نرى ذلك الذي يأخذ على عاتقه اثبات هذه التهمة بالاستناد الى
نصوص القرارات التي اتخذها المؤتمر الثالث لـ ح ع ا د ر
اننا سنجيب مجادلينا ان الاشتراكية-الديموقراطية اذ تعمل على
صعيد المجتمع البرجوازي لا يسعها الاشتراك في السياسة اذ لم
تمش في هذه الحالة الخاصة او تلك ، الى جانب الديموقراطية
البرجوازية ولكن الفرق بيننا وبينكم هو اننا نمشي الى جانب
البرجوازية الثورية والجمهورية دون ان نمتزج بها بينا تمشون
انتم الى جانب البرجوازية الليبرالية والملكية ، دون ان تمتزجوا
بها ايضاً هذه هي الوقائع .

ان شعاراتكم التكتيكية التي صيغت باسم المجلس العام
تطابق شعارات الحزب «الدستوري-الديموقراطي» اي حزب
البرجوازية الملكية مع العلم انكم لم تلاحظوا هذه المطابقة لم
تدركوها وهكذا وجدتم انفسكم في الواقع في ذيل جماعة
«اوسفوبوجدينييه» .

اما شعاراتنا التكتيكية التي صيغت باسم المؤتمر الثالث ل ح ع ا د ر فانها تطابق شعارات البرجوازية الثورية الديمقراطية والجمهورية وهذه البرجوازية والبرجوازية الصغيرة لم تؤلفا حتى الآن في روسيا حزباً شعبياً كبيراً * ولكن من يرتاب بوجود عناصر هذا الحزب ، لا يمكن ان يكون إلا ذاك الذي لا يدرك شيئاً عما يجري حالياً في روسيا وفي نيتنا ان لا نكتفي بقيادة البروليتاريا المنظمة من قبل الحزب الاشتراكي-الديموقراطي (فيما اذا تطورت الثورة الروسية الكبرى بنجاح) بل ان نقود ايضاً هذه البرجوازية الصغيرة القادرة على السير الى جانبنا

ان المجلس العام يهبط بفعل قراره ودون ادراك منه الى مستوى البرجوازية الليبرالية والملكية بينا يرفع مؤتمر الحزب بفعل قراره وبادراك منه الى مستواه عناصر الديمقراطية الثورية القادرة على النضال لا على السمسرة

وهذه العناصر عديدة على الاخص بين الفلاحين وبوسعنا لدن تصنيف الفئات الاجتماعية الكبيرة وفقاً لميولها السياسية ، ان نعتبر ، دون الوقوع في خطأ جسيم ان الديمقراطية الثورية والجمهورية هي نفس سواد الفلاحين وبالطبع بالمعنى ذاته ومع التحفظات والشروط الضمنية ذاتها التي تتيح لنا ان نعتبر ان الطبقة العاملة هي الاشتراكية-الديموقراطية نفسها وبتعبير آخر بوسعنا ايضاً ان نصوغ استنتاجاتنا على النحو التالي ان المجلس العام يهبط في زمن الثورة ، ودون ادراك منه ، الى مستوى سواد الملاكين العقاريين بفعل شعاراته السياسية التي تشمل الامة

* ان «الاشتراكيين-الثوريين» هم بالاحرى كتلة اراهبية من المثقفين لا نواة حزب كهذا ، رغم ان الدور الموضوعي لنشاط هذه الكتلة ينحصر بوجه الدقة في تنفيذ مهمات البرجوازية الثورية والجمهورية .

بأسرها * بينا مؤتمر الحزب يرفع جماهير الفلاحين الى مستوى الثورة بفعل شعاراته السياسية التي تشمل الامة بأسرها ومن يتهمنا بسبب من هذه الاستنتاجات باننا نميل الى التناقضات فاننا سنرد عليه بتحدّ حاول اذن ان تدحض هذه الموضوعة اذا لم تكن لدينا القوة الكافية للسير بالثورة الى النهاية ، واذا انتهت الثورة «بانتصار حاسم» حسب مفهوم «اوسفوبوجدينييه» ، يقتصر على جمعية تمثيلية يدعو القيصر الى انعقادها ولا يمكن تسميتها بالجمعية التأسيسية الا على سبيل الهزء والسخرية ، فان هذه الثورة ستكون آنذاك ثورة يهيمن فيها العنصر الاقطاعي والبرجوازي الكبير . وبالعكس اذا كان من حظنا ان نعيش ثورة كبيرة حقاً واذا لم يسمح التاريخ هذه المرة «بطرح» ، واذا كانت لنا القوة الكافية للسير بالثورة الى النهاية حتى النصر الحاسم لا بالمعنى الذي تقصده «اوسفوبوجدينييه» و«اليسكرا» الجديدة فان الثورة ستكون آنذاك ثورة يهيمن فيها العنصر الفلاحي والبروليتاري ربما ان بعضهم سيرى في واقع القبول بفكرة هذه الهيمنة عدولا عن الاقتناع بطابع الثورة الوشيكة البرجوازي ؟ هذا ممكن جداً نظراً لما نشهده في «اليسكرا» من سوء استخدام لمفهوم الثورة البرجوازية ولذا ليس من ناقل الكلام ابداً ان نتوقف عند هذه المسألة

٦- من اي جهة يهدد البروليتاريا خطر تقييد يديها في النضال ضد البرجوازية المتذبذبة ؟

ان الماركسيين لعل اقتناع مطلق بطابع الثورة الروسية البرجوازي فماذا يعني هذا ؟ هذا يعني ان التحولات الديموقراطية * نحن لا نقصد الشعارات الخاصة بالفلاحين التي وردت في قرارات خاصة مناسبة .

في النظام السياسي ثم التحويلات الاجتماعية والاقتصادية التي أصبحت ضرورية لروسيا لا تفترض بعد نفسها زعزعة الرأسمالية ، زعزعة سيطرة البرجوازية وليس هذا وحسب بل انها ، على العكس ستمهد ايضاً السبيل حقاً ، وللمرة الاولى لتطور واسع وسريع اوروبي لا اسيوي للرأسمالية وستجعل من الممكن للمرة الاولى قيام سيطرة البرجوازية بوصفها طبقة ان الاشتراكيين-الثوريين لا يستطيعون ادراك هذه الفكرة لانهم يجهلون الفباء قوانين تطور الانتاج البضاعي والرأسمالي ولا يرون ان حتى نجاح الانتفاضة الفلاحية التام ، حتى اعادة توزيع الاراضي كلها وفقاً لمصالح الفلاحين وحسب رغائبهم («التقسيم الاسود» او ما اشبهه) لن يقضي اطلاقاً على الرأسمالية ، بل انه ، على العكس ، يحفز تطورها ويعجل التمايز الطبقي بين الفلاحين بالذات ان عدم فهم الاشتراكيين-الثوريين لهذه الحقيقة يجعل منهم مفكري البرجوازية الصغيرة ، عن غير وعي منهم وان اللاحاح على هذه الحقيقة يتسم بالنسبة للاشتراكية-الديموقراطية باهمية جلييلة لا في حقل النظرية وحسب بل في حقل السياسة والنشاط العملي ايضاً اذ انه تنجم من هنا ضرورة صيانة الاستقلال الطبقي التام لحزب البروليتاريا في الحركة «الديموقراطية العامة» الحالية

ولكنه لا ينجم من هنا اطلاقاً ان الانقلاب الديمقراطي (البرجوازي بمحتواه الاقتصادي والاجتماعي) ليس على درجة هائلة من الاهمية بالنسبة للبروليتاريا لا ينجم من هنا اطلاقاً ان الانقلاب الديمقراطي لا يمكن له ان يرتدي على السواء اشكالا مفيدة على الاخص للرأسمالي الضخم وطاغوت المال ، والملاك العقاري «المستنير» ، واشكالا مفيدة للفلاح وللعامل

ان جماعة «اليسكرا» الجديدة يدركون بصورة خاطئة اطلاقاً معنى واهمية مفهوم الثورة البرجوازية . فدايماً تبرز في محاكماتهم

فكرة ان الثورة البرجوازية ثورة لا يمكنها ان تعطي إلا ما يفيد البرجوازية والحال ليس ثمة ما هو اخطأ من هذه الفكرة فان الثورة البرجوازية ثورة لا تخرج من نطاق النظام الاقتصادي والاجتماعي البرجوازي ، اي الرأسمالي ان الثورة البرجوازية تعكس حاجات تطور الرأسمالية وهي لا تنسف أسس الرأسمالية ، وليس هذا وحسب ، بل بالعكس توسعها وتعمقها ولذا فان هذه الثورة لا تعبر عن مصالح الطبقة العاملة وحسب ، بل تعبر ايضاً عن مصالح البرجوازية بأسرها وبما ان سيطرة البرجوازية على الطبقة العاملة أمر محتم في النظام الرأسمالي ، فيمكن القول عن كامل الحق والصواب ان الثورة البرجوازية لا تعبر عن مصالح البروليتاريا بقدر ما تعبر عن مصالح البرجوازية ولكن الفكرة القائلة انها لا تعبر ابدأ عن مصالح البروليتاريا فكرة خرقاء حقاً وهذه الفكرة الخرقاء إما تنحصر في النظرية «الشعبية» القديمة جداً التي تزعم اننا لسنا بحاجة الى الحرية السياسية البرجوازية ما دامت الثورة البرجوازية مخالفة لمصالح البروليتاريا وإما تنحصر في الفوضوية التي تنكر كل اشتراك من جانب البروليتاريا في السياسة البرجوازية ، في الثورة البرجوازية ، في البرلمانية البرجوازية وهذه الفكرة تعني ، في حقل النظرية ، نسيان المبادئ الاولية للماركسية فيما يتعلق بحتمية تطور الرأسمالية على اساس الانتاج البضاعي فان الماركسية تعلمنا ان مجتمعاً يقوم على الانتاج البضاعي ويتعاطى التبادل مع الامم الرأسمالية المتمدنة ، لا بد له ، في مرحلة معينة من تطوره ان يسير حتماً هو ايضاً في طريق الرأسمالية ولقد قطعت الماركسية نهائياً كل صلة لها مع هذيان الشعبين والفوضويين الذين يزعمون ، مثلاً ، ان في مستطاع روسيا اجتناب التطور الرأسمالي ، او الخروج من الرأسمالية او القفز من فوقها بطريقة ما غير طريقة النضال الطبقي في ميدان وحدود هذه الرأسمالية نفسها .

وجميع هذه الموضوعات الماركسية ، انما أعطي البرهان عنها واجترت بكل تفاصيلها ، سواء بصورة عامة ام بصورة خاصة فيما يتعلق بروسيا وهذه الموضوعات تبين ان فكرة السعي وراء خلاص الطبقة العاملة عن طريق غير طريق تطور الرأسمالية المطرد فكرة وجعية ففي بلدان كروسيا لا تعاني الطبقة العاملة من الرأسمالية بقدر ما تعاني من النقص في تطور الرأسمالية ولذا فان من مصلحة الطبقة العاملة اطلاقاً ان تتطور الرأسمالية في منتهى الاتساع والحرية والسرعة من المفيد للطبقة العاملة اطلاقاً القضاء على جميع بقايا الماضي التي تعيق تطور الرأسمالية تطوراً واسعاً وحرراً وسريعاً والثورة البرجوازية هي على وجه الدقة انقلاب يکنس باشد الحزم بقايا الماضي بقايا القنانة (التي لا تشمل الاوتوقراطية وحسب ، بل الملكية ايضاً) ويؤمن على اكمل وجه تطور الرأسمالية بمنتهى الاتساع والحرية والسرعة وعليه فان الثورة البرجوازية تقدم للبروليتاريا اكبر الفوائد .

والثورة البرجوازية لا غنى عنها اطلاقاً في مصلحة البروليتاريا وبقدر ما تكون الثورة البرجوازية اكمل واحسم وبقدر ما تكون اوفى انسجاماً بقدر ما تتوافر للبروليتاريا امكانيات النضال في سبيل الاشتراكية ضد البرجوازية وهذا الاستنتاج لا يمكن ان يبدو جديداً او غريباً او متناقضاً إلا لاولئك الذين يجهلون الفباء الاشتراكية العلمية والحال تنجم من هذا الاستنتاج فيما ينجم الفكرة القائلة بان الثورة البرجوازية هي بمعنى ما ، أفيد للبروليتاريا منها للبرجوازية واليكم باي معنى بالضبط لا جدال في هذه الفكرة من المفيد للبرجوازية ان تعتمد في نضالها ضد البروليتاريا على بعض بقايا الماضي مثلاً على الملكية ، والجيش الدائم الخ ومن المفيد للبرجوازية ان لا تكنس الثورة البرجوازية جميع بقايا الماضي ببالغ الحزم ، بل ان تبقي على

بعضها اي ان لا تكون هذه الثورة منسجمة تماماً ان لا تسير الى النهاية ان لا تكون حازمة لا هواده فيها وغالباً ما يعرب الاشتراكيون-الديموقراطيون عن هذه الفكرة بطريقة تختلف بعض الشيء ، حين يقولون ان البرجوازية تخون قضيتها عينها ، ان البرجوازية تخون قضية الحرية ان البرجوازية عاجزة عن التحلي بنزعة ديموقراطية منسجمة فالاجدى للبرجوازية ان تتم التحويلات الضرورية في الاتجاه البرجوازي الديموقراطي بمزيد من البطء والتدرج والحذر وبأقل من الحزم ان تتم بواسطة الاصلاحات لا بواسطة الثورة وان تكون هذه التحويلات لطيفة قدر الامكان ازاء المؤسسات الاقطاعية «المحترمة» (الملكية مثلاً) وان تسهم هذه التحويلات بأقل قسط ممكن في تطوير المبادرة الثورية والعزيمة لدى سواد الشعب اي لدى الفلاحين وخصوصاً لدى العمال وإلا اصبح من السهل على العمال ان «ينقلوا بندقيتهم من كتف الى كتف» ، كما يقول الفرنسيون ، اي ان يصوبوا الى صدر البرجوازية نفسها تلك الاسلحة التي تقدمها اليهم الثورة البرجوازية ، وتلك الحرية التي تطلقها ، وتلك المؤسسات الديموقراطية التي تنشأ على التربة المطهرة من القنانة

اما الطبقة العاملة ، فعلى العكس من ذلك ، اذ ان من الاجدى لها ان تتم التحويلات الضرورية في الاتجاه البرجوازي الديموقراطي بالطريق الثوري لا بطريق الاصلاحات لأن طريق الاصلاحات هو طريق الماطلة واللف والدوران هو موت الاجزاء المتفسخة من جسم الشعب موتاً بطيئاً مؤلماً ان البروليتاريين والفلاحين هم الذين يتألمون قبل غيرهم واكثر من غيرهم من هذا التفسخ والطريق الثوري هو بالنسبة للبروليتاريا طريق العملية الجراحية السريعة والاقل ألماً هو الطريق القائم على بتر الاجزاء المتفسخة بعزم وحزم ، هو طريق الحد الأدنى من التنازل واللطف تجاه النظام

الملكي ومؤسساته الدنسة السافلة التي ينخرها التفسخ والتسي
تسم الجو بعفونتها

فليس اذن لمجرد اعتبارات تتعلق بالرقابة او لمجرد الخوف
من السلطات تنوح صحافتنا البرجوازية الليبرالية لاحتمال قيام
الطريق الثوري وتخشى الثورة وتخوف القيصر بالثورة وتسعى
الى اجتناب الثورة وتزحف على البطن وتركع بأمل الحصول على
اصلاحات بائسة بوصفها اساساً لطريق الاصلاحات وليس هذا
رأي «روسكيه فيدموستي» (١٧٢) و«سين اوتيتشيسستفا»
(١٧٣) و«ناشا جيزن» (١٧٤) و«ناشي دني» (١٧٥) وحسب ،
انما هو ايضاً رأي «اوسفوبوجدينييه» السرية الحرة فان مجرد
وضع البرجوازية ، بوصفها طبقة في المجتمع الرأسمالي ، يولد حتماً
تذبذبها في الانقلاب الديمقراطي ومجرد وضع البروليتاريا
بوصفها طبقة ، يضطرها ان تكون ديموقراطية منسجمة الى النهاية .
ان البرجوازية تتطلع الى الورا ، خوفاً من التقدم الديمقراطي الذي
يهدد بزيادة قوى البروليتاريا بينا ليس للبروليتاريا ما تفقده غير
سلسلها وامامها عالم تكسبه بواسطة الديمقراطية (١٧٦)
ولذا بقدر ما تكون الثورة البرجوازية اكثر انسجاماً في تحويلاتها
الديموقراطية بقدر ما لا تكفي بالتحويلات التي لا تفيده الا
البرجوازية وبقدر ما تكون الثورة البرجوازية اكثر انسجاماً بقدر
ما تؤمن مزيداً من الفوائد للبروليتاريا والفلاحين في الانقلاب
الديموقراطي

ان الماركسية لا تعلم البروليتاريا ان تجتعد عن الثورة
البرجوازية وتتخذ منها موقف اللامبالاة ، وتترك قيادتها للبرجوازية ،
بل هي على العكس تعلمها ان تشترك فيها انشط اشتراك وأقواء ،
وان تناضل اشد نضال في سبيل الديمقراطية البروليتاريا
المنسجمة تماماً ، في سبيل السير بالثورة الى النهاية . فنحن لا

يسعنا تخطي نطاق الثورة الروسية الديمقراطية البرجوازي ولكننا نستطيع توسيعه بمقاييس هائلة ؛ اننا نستطيع ويجب علينا ان نكافح ، ضمن هذا النطاق ، في سبيل مصالح البروليتاريا وفي سبيل حاجاتها المباشرة ، وفي سبيل تأمين الظروف التي تتيح اعداد قواها للانتصار المقبل الكلي هناك ديموقراطية برجوازية وديموقراطية برجوازية وهذا الملكي من اعضاء الزيمستفوات الذي يؤيد انشاء مجلس اعلى ، و«يطالب ويزايد في المطالبة» بالاقتراع العام ، مساوماً سراً وخفية مع القيصرية على دستور مبتور ، هو ديموقراطي برجوازي ايضاً وهذا الفلاح الذي يمشي ضد الملاكين العقارين والموظفين ، شاهراً سلاحه ، ويقترح ، على «الطريقة الجمهورية الساذجة» ، «طرد القيصر» * ، هو ايضاً ديموقراطي برجوازي فالاوضاع الديمقراطية البرجوازية يمكن ان تكون ما هي عليه في المانيا ، وايضاً ما هي عليه في انجلترا ، وما هي عليه في النمسا وايضاً ما هي عليه في اميركا او في سويسرا وما اطرف الماركسي الذي يغفل ، في عهد الانقلاب الديمقراطي عن هذا الاختلاف في درجات الديمقراطية وفي طابع اشكالها ويكتفي «بالتفلسف» لكي يثبت ان المقصود مع ذلك انما هو «ثورة برجوازية» ، وثمار «ثورة برجوازية»

والواقع ان هؤلاء المتفلسفين هم على وجه الضبط اصحابنا الايسكريون الجدد الذين يتباهون بقصر نظرهم فهم يكتفون على وجه الضبط بمحاكمات حول طابع الثورة البرجوازي حيث وحين يجب معرفة التمييز بين الديمقراطيةين الثورية الجمهورية والليبرالية الملكية ، ناهيك عن التمييز بين الديمقراطية البرجوازية غير المنسجمة والديموقراطية البروليتارية المنسجمة

* راجع العدد ٧١ من «اوسفوبوجدينييه» ، ص ٢٢٧ ، الملاحظة ٢.

وهم يكتفون كأنما أصبحوا فعلا من «الرجال المعلمين» (١٧٧) ،
 باقويل واحاديث كئيبة عن «مجرى النضال المتبادل بين الطبقات
 المتضادة» ، بينا المقصود تأمين قيادة ديموقراطية للثورة الحالية ،
 وتبيان الشعارات الديمقراطية الطبيعية خلافاً للشعارات الخائنة
 التي يطلقها السيد ستروفه وشركاه والاشارة بجلاء وسطوع الى
 المهمات المباشرة للنضال الثوري حقاً الذي تخوضه البروليتاريا
 والفلاحون خلافاً للسمسة الليبرالية التي يقوم بها الصناعيون
 والملاكون العقاريون . هذا هو الآن جوهر المسألة ، الذي غفلتم عنه
 ايها السادة أنتتهي ثورتنا بانتصار جليل حقاً ام بمساومة حقيرة ؟
 أتبلغ ديكتاتورية البروليتاريا والفلاحين الديمقراطية الثورية ام
 «تفرغ من قواها» في دستور ليبرالي على طريقة شيبوف ؟

قد يبدو للوهلة الاولى اننا اذ نطرح هذا السؤال نخرج
 تماماً عن موضوعنا ولكن هذا لا يمكن ان يبدو الا للوهلة الاولى
 اما في الواقع فهنا بيت القصيد في الخلاف المبدئي الذي ارتسمت
 خطوطه بوضوح منذ الآن بين التكتيك الاشتراكي-الديموقراطي
 الذي أقره المؤتمر الثالث لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في
 روسيا والتكتيك الذي أقره المجلس العام للايسكريين الجدد وقد
 خطا هؤلاء الى الوراء خطوتين بل ثلاث فقد احيوا اخطاء
 «الاقتصادية» عند حل قضايا اكثر تعقيداً واهمية وحيوية بما لا حد
 له بالنسبة لحزب العمال ، قضايا تتعلق بتكتيك هذا الحزب في زمن
 الثورة ولهذا يجب علينا ان نولي تحليل هذه المسألة كل الانتباه
 الضروري

ان المقطع الذي أوردناه من قرار الايسكريين الجدد يشير
 الى الخطر الذي تتعرض له الاشتراكية-الديموقراطية من حيث
 تقييد يديها في النضال ضد السياسة المتذبذبة التي تسلكها
 البرجوازية ومن حيث ذوبانها في الديمقراطية البرجوازية ان
 فكرة هذا الخطر تتخلل ، أشبه بخيط احمر ، جميع الكتابات الايسكرية

الجديدة الصرف وهذه الفكرة هي المحور الحقيقي لكل المواقف
المبدئية في انشقاقنا الحزبي (منذ ان تراجعت عناصر المماحكة
في هذا الانشقاق تراجعاً تاماً امام عناصر الانعطاف نحو
«الاقتصادية») ونحن نقر بلا لف ولا دوران بان هذا الخطر موجود
فعالاً وانه اصبح الآن بالضبط في اوج الثورة الروسية
جسيماً جداً وعلينا نحن جميعاً نظري الاشتراكية-
الديموقراطية او صحافي الاشتراكية-الديموقراطية كما افضل
القول عن نفسي تقع مهمة عاجلة وزاخرة بالمسؤولية قوامها
الاستجلاء من اي جانب يتهدد هذا الخطر فعلا اذ ان خلافاتنا لا
تنبع من الجدل حول ما اذا كان هذا الخطر موجوداً ام لا بل
من الجدل حول ما اذا كان ناجماً عما يسمى ذنبية «الاقلية» او
عما يسمى ثورية «الاکثرية»

ولاستبعاد كل تفسير خاطيء وكل سوء فهم نلاحظ اولاً
ان الخطر الذي نتحدث عنه هو من النوع الموضوعي لا الذاتي
وانه لا يكمن في الموقف الصريح الذي ستقفه الاشتراكية-
الديموقراطية في غمرة النضال بل في النتيجة المادية لكل
النضال الثوري الحالي وليس المقصود ما اذا كانت هذه الفرق
الاشتراكية-الديموقراطية او تلك سترغب في الذوبان في
الديموقراطية البرجوازية او اذا كانت تدرك انها تذوب حتى
ان هذا ليس موضع البحث فنحن لا نرتاب بـاي اشتراكي-
ديموقراطي ولا نحسب انه يدغدغ مثل هذه الرغبة ناهيك عن ان
الامر لا يتعلق هنا ابدأً بالرغائب وليس المقصود كذلك ما
اذا كانت هذه الفرق الاشتراكية-الديموقراطية او تلك ستحتفظ
-طوال زمن الثورة- باستقلالها الصريح وسيمائها الخاصة
وحريتها ازاء الديموقراطية البرجوازية وفي مقدور هذه الفرق لا
ان تعلن هذا «الاستقلال» وحسب ، بل ان تصونه شكلياً ايضاً ؛

ومع ذلك فقد يحدث ان ترى ايديها مقيدة في النضال ضد تذبذب البرجوازية وقد يتقوم رصيد الثورة السياسي النهائي في ان الاشتراكية-الديموقراطية ، على الرغم من «استقلالها» الصريح وكل سماتها الخاصة بوصفها منظمة بوصفها حزباً ستظهر في الواقع غير مستقلة عاجزة عن طبع سير الاحداث بطابع استقلالها البروليتاري وتبلغ من الضعف حداً بحيث ان «ذوبانها» في الديمقراطية البرجوازية سيكون بوجه عام ، وفي آخر تحليل ، في الرصيد النهائي ، واقعاً تاريخياً

هنا يكمن الخطر الحقيقي لئلا الآن من اي جانب يتهددنا هذا الخطر من انحراف الاشتراكية-الديموقراطية الى اليمين بشخص «الايسكرا» الجديدة كما نعتقد او من انحرافها الى اليسار بشخص «الاجلبيية» و«فبريود» ، والنخ كما يعتقد الايسكريون الجدد

ان حل هذه المعضلة كما سبق وبيننا رهن بالتفاعل الموضوعي بين مختلف القوى الاجتماعية وطابع هذه القوى انما حدده في حقل النظرية التحليل الماركسي للواقع الروسي اما الآن فيحدده في التطبيق العملي نشاط الفئات والطبقات السافر ابان الثورة والحال ان كل التحليل النظري الذي اجراه الماركسيون قبل العهد الذي نعيش بزم من طويل وكل الملاحظات العملية التي تتعلق بمجرى الاحداث الثورية تبين لنا ان الظروف الموضوعية تجعل من الممكن سبيلين ومآلين للثورة في روسيا ان تحول النظام الاقتصادي والسياسي في روسيا تحولاً ديمقراطياً برجوازياً أمر اكد محتم وما من قوة في العالم تستطيع الحؤول دون هذا التحول ولكن التفاعل بين القوى الموجودة التي تحقق هذا التحول قد يؤدي الى نتيجة مزدوجة او الى شكل مزدوج لهذا التحول . فنحن امام أمرين لا ثالث لهما : ١ - فإما ان يؤول الامر

الى «انتصار الثورة الحاسم على القيصرية» وإما -٢- ان لا تكفي القوى لاحراز الانتصار الحاسم وينتهي الامر بصفقة بين القيصرية واشد العناصر «ذبذبة» واكثرها «انانية» في صفوف البرجوازية وهكذا فان التنوع اللامتناهي من التفاصيل والتركيبات الممكنة التي لا يستطيع احد التنبؤ بها ينحصر بالاجمال في احد هذين المآلين

فلنبحث اذن هذين المآلين اولاً من حيث مغزاهما الاجتماعي وثانياً من حيث وضع الاشتراكية-الديموقراطية (من حيث «ذوبانها» او «تقييد يديها») في كل من المآلين

ماذا يعني «انتصار الثورة الحاسم على القيصرية» ؟ لقد سبق ورأينا ان الايسكريين الجدد يستعملون هذا التعبير دون ان يدركوا حتى مغزاه السياسي المباشر ويبدو انهم يدركون اقل ايضاً المضمون الطبقي لهذا المفهوم اذ اننا نحن الماركسيين لا يجب لنا في اي حال من الاحوال ان نغتر بكلمات «الثورة» او «الثورة الروسية الكبرى» التي يغتر بها الآن كثيرون من الديموقراطيين الثوريين (من طراز غابون) انما يجب علينا ان نكون فكرة صحيحة عن القوى الاجتماعية الفعلية التي تواجه «القيصرية» (القوة الفعلية تماماً والمفهومة تماماً بالنسبة للجميع) والتي تستطيع ان تحرز عليها «انتصاراً حاسماً» وهذه القوى لا يمكن ان تكون لا البرجوازية الكبيرة ولا الملاكين العقاريين ولا الصناعيين ولا «المجتمع» الذي يسير وراء جماعة «اوسفوبوجدينييه» بل اننا نرى ان كل هؤلاء حتى لا يريدون هذا الانتصار الحاسم فنحن نعرف انهم عاجزون بحكم وضعهم الطبقي ، عن خوض نضال حاسم ضد القيصرية فالملكية الخاصة ، والرأسمال والارض اشبه بكلة حديدية ثقيلة جداً في ارجلهم حتى يتمكنوا من الاقدام على النضال الحاسم . وهم بحاجة ماسة

الى القيصرية مع قواتها البوليسية والدواينية والعسكرية في نضالهم ضد البروليتاريا والفلاحين حتى يطمحوا الى تحطيمها كلا ان القوة القادرة على احراز «انتصار حاسم على القيصرية» لا يمكن ان تكون الا الشعب ، اي البروليتاريا والفلاحين اذا اخذنا القوى الاساسية الكبرى واذا وزعنا بين البروليتاريا والفلاحين البرجوازية الصغيرة في الريف والمدينة (التي هي ايضا من «الشعب») ان «انتصار الثورة الحاسم على القيصرية» انما هو ديكتاتورية البروليتاريا والفلاحين الديمقراطية الثورية ولا مفر لاصحابنا الايسكريين الجدد من هذا الاستنتاج الذي اشارت اليه «فبريود» منذ زمن بعيد فليس ثمة آخر يحرز الانتصار الحاسم على القيصرية

وهذا الانتصار سيكون بكل تدقيق ديكتاتورية اي انه ينبغي بالضرورة ان يستند الى القوة العسكرية الى تسليح الجمهور ، الى الانتفاضة ، لا الى هذه او تلك من المؤسسات المؤلفة «شرعياً» ، ب«الطريق السلمي» ولا يمكن ان يكون هذا الانتصار الا ديكتاتورية لأن تحقيق التحويلات التي هي ضرورية فوراً واطلاقاً للبروليتاريا والفلاحين سيثير مقاومة مستميتة من جانب الملاكين العقارين وكبار البرجوازيين والقيصرية وبدون ديكتاتورية لا يمكن تحطيم هذه المقاومة وصد المحاولات المعادية للثورة غير ان هذه الديكتاتورية لن تكون بكل تأكيد ديكتاتورية اشتراكية بل ديكتاتورية ديمقراطية فهي لن تستطيع مساساً باسس الرأسمالية (دون جملة كاملة من المراحل الانتقالية في التطور الثوري) انما تستطيع في افضل الاحوال توزيع الملكية العقارية توزيعاً جديداً جذرياً في صالح الفلاحين وتطبيق الديمقراطية التامة والمنسجمة الى النهاية تطبيقاً يذهب الى حد اعلان الجمهورية ؛ واقتلاع جميع

خصائص الاستبداد الآسيوي حتى أعمق جذورها لا من حياة
الارياض وحسب بل من حياة المصانع ايضاً والبدء بتحسين
اوضاع العمال تحسيناً جدياً ورفع مستوى حياتهم واخيراً
* last but not least * نقل الحريق الثوري الى اوروبا فهذا
الانتصار لا يجعل بعد من ثورتنا البرجوازية ثورة اشتراكية
باي شكل من الاشكال فان الانقلاب الديموقراطي لن يخرج
مباشرة من نطاق العلاقات الاجتماعية والاقتصادية البرجوازية
غير انه سيكون لهذا الانتصار مع ذلك شأن عظيم سواء في
تطور روسيا ام في تطور العالم بأسره في المستقبل فما من
شيء يرفع العزيمة الثورية لدى البروليتاريا العالمية ويختصر
طريقها نحو الانتصار التام مثل هذا الانتصار الحاسم للثورة
التي بدأت في روسيا

اما الى اي حد يكون هذا الانتصار محتملاً فهذه مسألة
اخرى فنحن لا نميل ابدأ بهذا الصدد الى تفاؤل طائش ونحن
لا ننسى ابدأ المصاعب القصوى التي تنطوي عليها هذه المهمة
ولكننا اذ نمضي الى المعركة انما ينبغي لنا ان نتمنى الانتصار
وان نعرف كيف ندل على السبيل القويم الذي يقود اليه والميول
التي يمكن ان تقود الى هذا الانتصار ظاهرة بما لا يقبل الجدل
صحيح ان تأثيرنا التأثير الاشتراكي-الديموقراطي في سواد
البروليتاريا لا يزال ناقصاً جداً ، جداً ؛ والتأثير الثوري في سواد
الفلاحين ضئيل اطلاقاً وما تعانیه البروليتاريا ولا سيما الفلاحون
من تشتت ونقص في الثقافة ، وجهل لا يزال رهيباً ولكن
الثورة تجمع وتثقف بسرعة وكل خطوة في تطورها توقظ الجماهير
وتجتذبها بقوة لا تقاوم الى جانب البرنامج الثوري بالضبط
بوصفه البرنامج الوحيد الذي يعبر بصورة كلية ومنسجمة عن
مصالحها الفعلية والحيوية

هناك قانون من قوانين الميكانيك يقول ان الفعل يساوي رد الفعل وفي التاريخ نرى ان القوة المدمرة لثورة ما تتوقف هي ايضاً الى حد مرموق على قوة ومدة القمع الذي عانته المطامح الى الحرية وتتوقف على عمق التناقض بين «البناء الفوقي» العتيق من قبل الطوفان والقوى الحية في العهد المعاصر فان الوضع السياسي الدولي يتكون في كثير من النواحي على خير ما يلائم الثورة الروسية ولقد بدأ انتفاض العمال والفلاحين وهو مشتمت عفوي ضعيف ، ولكنه يثبت بلا مراء ودون اي جدل وجود قوى قادرة على خوض نضال حاسم وتمشي نحو انتصار حاسم

فاذا لم تكف هذه القوى توافر الوقت للقيصرية من اجل عقد الصفقة التي يحضرها منذ حين من الجانبين كل من السادة بوليغين واضرابه والسادة ستروفه واضرابه وحينذاك ينتهي الامر بدستور مبتور او حتى - في اسوأ الحالات - بمهزلة دستور وتكون هذه ايضاً «ثورة برجوازية» ولكنها ستكون طرْحاً جهيضاً ، مسيخاً ان الاشتراكية-الديموقراطية لا تعلق النفس باللاهوام وهي تعرف ان البرجوازية مطبوعة على الغدر فلن تفتقر همتها ولن تعدل عن عملها العنيد ، الصبور الدائب في تربية البروليتاريا بالروح الطبقي حتى في الايام العادية ولا اكثر من الازدهار الدستوري البرجوازي على طريقة شيبوف وسيكون هذا المآل الى هذا الحد او ذاك ، أشبه بمآل الثورات الديمقراطية في اوروبا في القرن التاسع عشر بمآل جميعها تقريباً وحينذاك يسير تطورنا الحزبي في طريق شاق عسير طويل ، ولكنه أليف ومطروق

لنر الآن في اي من هذين المآلين المحتملين ستكون الاشتراكية-الديموقراطية مقيدة اليدين فعلاً امام البرجوازية

المتذبذبة المغرضة ستكون فعلاً «مذبابة» او مذبابة تقريباً في الديمقراطية البرجوازية
حسبنا ان نطرح هذا السؤال بوضوح لكي نجيب عنه فوراً
دون اية صعوبة

اذا نجحت البرجوازية في احباط الثورة الروسية بصفقة مع
القيصرية فان الاشتراكية-الديموقراطية ستجد نفسها مقيدة
اليدين فعلاً امام البرجوازية المتذبذبة وحينذاك «تدوب» في
الديموقراطية البرجوازية بمعنى ان البروليتاريا لن تتمكن من
طبع الثورة بطابعها الساطع ومن تصفية الحساب للقيصرية على
الطريقة البروليتارية او كما قال ماركس فيما مضى «على
الطريقة العامة»

اما اذا نجحت الثورة في احراز انتصار حاسم فاننا سننصفي
الحساب للقيصرية ، على الطريقة يعقوبية او اذا شئتم على
الطريقة العامة كتب ماركس ، عام ١٨٤٨ ، في «الجريدة الرينانية
الجديدة» الشهيرة يقول «ان الارهاب الفرنسي كله لم يكن سوى
طريقة عامة للقضاء على اعداء البرجوازية على الحكم المطلق
والاقتطاعية والتفكير التافه الضيق» (راجع Marx' Nachlass
اصدار مهرينغ المجلد ٣ ص ٢١١) (١٧٨) وهؤلاء الذين
يلوحون في عهد الثورة الديمقراطية بفزاعة «اليعقوبية» امام
عيون العمال الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس اتراهم فكروا
يوماً بمعنى كلمات ماركس هذه ؟

ان جيرونديني (١٧٩) الاشتراكية-الديموقراطية الروسية
المعاصرة الايسكريين الجدد لا يندمجون مع جماعة
«اوسفوبوجدينييه» ، ولكنهم في الواقع يضعون انفسهم في ذيل هذه
الجماعة بحكم طابع شعاراتهم والحال ان جماعة
«اوسفوبوجدينييه» اي ممثلي البرجوازية الليبرالية ، يريدون

القضاء على الاوتوقراطية بليوننة عن طريق الاصلاحات ، عن طريق التنازلات دون المساس بالاريستوقراطية بالنبلاء بالبلاط بلطف دون كسر اي شيء بلطافة وأدب جم بطريقة الاسياد الكبار لابسين القفازات البيضاء (كالتى استعارها السيد بترونكيفيتش من باشي بوزوق (١٨٠) في حفلة استقبال أقامها نيقولاي الدموي (١٨١) «لممثلي الشعب» (٩) راجع العدد ٥ من «بروليتاري» *

اما يعقوبيو الاشتراكية-الديموقراطية المعاصرة - البلاشفة انصار «فبريود» انصار المؤتمر او «بروليتاري» (١٨٢) ولا أعرف كيف أسميهم ايضاً - فانهم يريدون ان يرفعوا بشعاراتهم، البرجوازية الصغيرة الثورية والجمهورية ولا سيما الفلاحين الى مستوى الديمقراطية المنسجمة لدى البروليتاريا التي تحتفظ بسيمائها الطبقية التامة انهم يريدون ان يصفى الشعب اي البروليتاريا والفلاحون «على الطريقة العامية» الحساب للملكية والاريستوقراطية فيبيد بلا رحمة اعداء الحرية ويقمع بالقوة مقاومتهم ولا يتنازل ابدأ ازاء هذا التراث اللعين تراث القنانة ، والأسبوية ، واهانة الانسان

غير ان هذا لا يعني بالطبع اننا نريد تقليد يعقوبيي عام ١٧٩٣ مهما كلف الامر واعتناق آرائهم وبرنامجهم وشعاراتهم وطرائق عملهم كلا ابدأ فما لدينا ليس ببرنامج قديم بل برنامج جديد هو برنامج الحد الأدنى لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا ولدينا شعار جديد ديكتاتورية البروليتاريا والفلاحين الديمقراطية الثورية وسيكون لدينا ايضاً اذا عشنا حتى نرى انتصار الثورة الحقيقي طرائق

* راجع مقال لينين : «ثوريون» بالقفازات البيضاء . الناشر .

عمل جديدة مطابقة لطابع وأهداف حزب الطبقة العاملة الساعي الى انقلاب اشتراكي كامل ولكننا بهذه المقارنة اردنا فقط ان نوضح ان ممثلي الطبقة المتقدمة في القرن العشرين ممثلي البروليتاريا اي الاشتراكيين-الديموقراطيين ينقسمون الى نفس الجناحين (الانتهازي والثوري) اللذين كان ينقسم اليهما ممثلو الطبقة المتقدمة في القرن الثامن عشر ممثلو البرجوازية اي الجيرونديون واليعقوبيون

ففي حال انتصار الثورة الديموقراطية انتصاراً تاماً ، في هذه الحال فقط لن تكون البروليتاريا مقيدة اليدين في نضالها ضد البرجوازية المتذبذبة وفي هذه الحال فقط لن «تذوب» في الديموقراطية البرجوازية بل انها ستطبع كامل الثورة بطابعها البروليتاري ، او بالاصح ، البروليتاري والفلاحي

وبكلمة لكي لا تكون البروليتاريا مقيدة اليدين في النضال ضد الديموقراطية البرجوازية المتذبذبة ينبغي لها ان تبلغ من القوة والوعي ما يمكنها من ان ترفع الفلاحين الى الوعي الثوري وتقود هجومهم وتحقق على هذا النحو بصورة مستقلة ديموقراطية بروليتارية منسجمة

هكذا توضع هذه المسألة - التي شد ما اساء الايسكريون الجدد حلها - مسألة خطر البقاء مقيد اليدين في النضال ضد البرجوازية المتذبذبة ان البرجوازية ستظل دائماً متذبذبة وليس ثمة اشد سذاجة وعمقاً من الرغبة في رسم شروط او بنود* تتيح اذا ما نفذت اعتبار الديموقراطية البرجوازية صديقاً مخلصاً للشعب ان البروليتاريا وحدها تستطيع ان تكافح في

* وهذا ما حاول ان يفعله ستاروفر في قراره الذي الغاه المؤتمر الثالث (١٨٣) وهذا ما يحاول فعله المجلس العام (الكونفيرانس) في قرار ليس اكثر توفيقاً .

سبيل الديمقراطية بروح الاستمرار والمثابرة ولكنها لا تستطيع ان تنتصر في هذا الكفاح من اجل الديمقراطية الا اذا انضمت جماهير الفلاحين الى نضال البروليتاريا الثوري واذا لم تتوافر للبروليتاريا القوى الكافية لهذا الغرض فان البرجوازية ستسير على رأس الثورة الديمقراطية وتضفي عليها طابعاً متذبذباً وأنائياً وليس ثمة وسيلة تستطيع منع هذا المصير غير ديكتاتورية البروليتاريا والفلاحين الديمقراطية الثورية

وهكذا نتوصل الى هذا الاستنتاج الذي لا مراء فيه وهو ان تكتيك «الايسكرا» الجديدة هو الذي يعدم مآرب الديمقراطية البرجوازية بمغزاه الموضوعي ان الوعظ في حقل التنظيم بالميوعة التي تذهب الى حد الاستفتاء الى حد مبدأ التوافق الى حد انفصال المنشورات الحزبية عن الحزب واستصغار مهمات الانتفاضة المسلحة وخطط الشعارات السياسية التي تخص الشعب بأسره والتي ترفعها البروليتاريا الثورية والبرجوازية الملكية وتزييف شروط «انتصار الثورة الحاسم على القيصرية» - ان كل هذه الوقائع معاً تعطي على وجه التدقيق وفي زمن الثورة سياسة الذنبية التي تضلل البروليتاريا وتشر الفوضى في صفوفها وتشوش تفكيرها وتحط من تكتيك الاشتراكية الديمقراطية بدلا من ان تدل على الطريق الوحيد الذي يقود الى النصر وتجذب لشعار البروليتاريا جميع عناصر الشعب الثورية والجمهورية

ولكي نثبت صحة هذا الاستنتاج الذي توصلنا اليه عن طريق تحليل القرار لنتناول المسألة نفسها من زوايا أخرى لنر اولاً الطريقة التي يوضح بها منشفي بسيط ، ساذج وصريح ، في

«سوسيال-ديموقراط» الجورجية تكتيك «الايسكرا» الجديدة ثم لئر من ذا الذي يستفيد فعلاً في الوضع السياسي الراهن من شعارات «الايسكرا» الجديدة

٧ - تكتيك «اقصاء المحافظين عن الحكومة»

عنوان المقال المنوه عنه اعلاه والوارد في جريدة «لجنة» تفليس المنشفية («سوسيال-ديموقراط» ، العدد ١) «الزيمسكي سوبور وتكتيكننا» ان صاحب المقال لم ينس بعد تماماً برنامجنا ؛ فهو يصوغ شعار الجمهورية ولكنه يبحث في التكتيك بالطريقة التالية

ويمكن الاشارة الى سبيلين لبلوغ هذا الهدف (الجمهورية) إما الامتناع عن ايلاء اي انتباه للزيمسكي سوبور الذي دعت الحكومة الى انعقاده ، وانزال الهزيمة بالحكومة بقوة السلاح ، وتاليف حكومة ثورية ودعوة الجمعية التأسيسية الى الانعقاد واما الاعلان ان الزيمسكي سوبور هو مركز نشاطنا ، بممارسة ضغط على تركيبه وعلى نشاطه ، وبقوة السلاح ، وإلزامه بالقوة على اعلان نفسه جمعية تأسيسية او على عقد الجمعية التأسيسية بواسطته ان هذين التكتيكن يختلفان اختلافاً واضحاً جداً لئر اذن ايهما أفيد لنا»

هكذا يعرض انصار «الايسكرا» الجديدة في روسيا الافكار الواردة فيما بعد في القرار الذي حللناه ولاحظوا جيداً ان هذه الاسطر قد كتبت قبل تسوشيما (١٨٤) حين لم يكن «مشروع» بوليفين قد رأى النور بعد كان الليبيراليون أنفسهم يعيلون صبراً ويفصحون عن عدم ثقتهم على صفحات الصحافة الشرعية ولكنه تبين هنا ان الاشتراكي-الديموقراطي الايسكري الجديد أسرع ثقة من الليبيراليين . فهو يعلن ان الزيمسكي سوبور «بسبيل

الانعقاد» ويشق بالقيصر الى حد انه يقترح جعل هذا الزيمسكي سوبور غير الموجود حتى الآن (او ربما جعل «دوما الدولة» او «الجمعية التشريعية الاستشارية»؟) مركز نشاطنا وصاحبنا التفليسي أوفر صراحة واكثر استقامة من اصحاب قرار المجلس العام فهو لا يعتبر «التكتيكن» (الذين يعرضهما بسذاجة لا نظير لها) شيئاً واحداً بل يعلن الثاني «أفيد» اسمعوا

والتكتيك الاول ان الثورة القادمة ، كما تعرفون ، ثورة برجوازية اي انها ترمي الى تحويل النظام الحالي تحويلا لا يستجيب لمصالح البروليتاريا وحسب ، بل ايضاً لمصالح المجتمع البرجوازي بأسره ان جميع الطبقات تعارض الحكومة ، بما فيها الرأسماليون انفسهم وبمعنى ما ، نقول ان البروليتاريا المناضلة والبرجوازية المناضلة تسيران معاً وتهاجمان معاً الاوتوقراطية ، من جوانب مختلفة والحكومة معزولة هنا تماماً ، ولا تحظى بعطف المجتمع ولذا من السهل جداً ابادتها ان البروليتاريا في روسيا ، من حيث مجموعها ، لم تبلغ بعد من الوعي والتنظيم ما يمكنها من تحقيق الثورة وحدها وحتى اذا كان هذا الامر في مستطاعها ، فانها تقوم اذ ذاك بثورة بروليتارية (اشتراكية) ، لا برجوازية ولذا فان من مصلحتنا ان تبقى الحكومة بدون حلفاء ، ولا تتمكن من شق صفوف المعارضة ، ولا تضم البرجوازية اليها وتعزل البروليتاريا .»

وهكذا فان من مصلحة البروليتاريا ان لا تتمكن حكومة القيصر من الفصل بين البرجوازية والبروليتاريا اليس عن خطأ اسميت الجريدة الجورجية «سوسيال-ديموقراط» بدلاً من ان تسمى «اوسفوبوجدينييه» ؟ ثم لاحظوا هذه الفلسفة الرائعة عن الثورة الديمقراطية أفلا نرى هنا بام عيوننا هذا التفليسي المسكين وقد ضل السبيل تماماً بسبب من التفسير المترممت والذنبى لفكرة «الثورة البرجوازية» ؟ فهو اذ يبحث مسألة احتمال انعزال البروليتاريا في الانقلاب الديمقراطي ، ينسى . . . ينسى

شيئاً طفيفاً الفلاحين فبين حلفاء البروليتاريا الممكنين يعرف الملاكين العقاريين الزيمستفويين ويجدهم على هواه ولكنه لا يعرف الفلاحين وهذا في القفقاس ! ألسنا على حق حين نقول ان «الايسكرا» الجديدة تهبط بمحاكماتها الى مستوى البرجوازية الملكية بدلاً من ان ترفع الى مستواها جماهير الفلاحين الثوريين بوصفهم حلفاء ؟

« . اما في الحالة المعاكسة ، فان هزيمة البروليتاريا وانتصار الحكومة محتمان والى هذا تهدف الاوتوقراطية بالتدقيق ولا سبيل الى الشك في انها ستكسب الى جانبها ، في الزيمسكي سوبور خاصتها ، ممثلي النبلاء والزيمستفوات والمدن والجامعات وغيرها من المؤسسات البرجوازية وستسعى جهدها الى اغوائهم بتنازلات طفيفة وحملهم بالتالي على التوافق معها ومتى توطدت على هذا النحو ، سددت كل ضرباتها الى الشعب العامل الذي بقي معزولا فواجبنا ان نحول دون هذا المصير المؤسف ولكن ، هل يمكن بلوغ هذا الهدف بالسبيل الاول ؟ لنفترض اننا لم نول الزيمسكي سوبور اي انتباه ، بل بدأنا وحدنا نستعد للانتفاضة ونزلنا ذات يوم الى الشارع مسلحين من اجل النضال واذا نحن نواجه عدوين بدلا من عدو واحد الحكومة والزيمسكي سوبور فبيننا نحن نستعد توافر لهما الوقت للتحالف ، وعقد اتفاق بينهما ، ووضع دستور مفيد لهما ، واقتسام السلطة ان هذا التكتيك مفيد واضح الافادة للحكومة ، وواجبنا ان ننبذه باقصى العزيمة .»

هذا قول صريح ينبغي العدول بحزم وعزم عن «تكتيك» تحضير الانتفاضة لأن الحكومة تساوم «في هذه الاثناء» مع البرجوازية فهل يمكن ان نجد في الكتابات القديمة لأشد تيارات «الاقتصادية» تطرفاً شيئاً يشبه هذه الطريقة في تحقير الاشتراكية-الديموقراطية الثورية ؟ فهنا وهناك تنفجر انتفاضات واضطرابات في صفوف العمال والفلاحين . وهذا أمر واقع اما الزيمسكي سوبور ، فليس سوى وعد من بوليغين . ولكن «سوسيال-ديموقراط» مدينة

تفليس تقرر العدول عن تكتيك تحضير الانتفاضة وانتظار تشكيل «مركز للضغط» ، الزيمسكي سو بور

و . اما التكتيك الثاني فهو ، على العكس ، ينحصر في وضوح الزيمسكي سو بور تحت رقابتنا ، وعدم السماح له بالعمل على هواه وبالتفاهم مع الحكومة *

اننا ندعم الزيمسكي سو بور بقدر ما يحارب الاوتوقراطية ، ونحن نحاربه حين يتصالح مع الاوتوقراطية وبالقوة ، وبتدخل حازم ، نفرق النواب * * اذ نلف الراديكاليين حولنا ، ونقصي المحافظين عن الحكومة وندفع الزيمسكي سو بور كله على هذا النحو في السبيل الثوري وبفضل هذا التكتيك ستظل الحكومة معزولة طوال الوقت ، والمعارضة قوية وتسهل بالتالي اقامة نظام ديموقراطي»

تماماً وكامالاً وليقولوا الآن اننا نضخم انعطاف جماعة «الايسكر» الجديدة نحو نوع من اشد انواع «الاقتصادية» ابتذالاً أفليس هذا شيئاً أشبهه بالمسحوق مبيد الذباب الشهير تمسك الذبابة وترشها بالمسحوق فتفتطس فرّق نواب الزيمسكي سو بور بالقوة «اقص المحافظين عن الحكومة» يسلك الزيمسكي سو بور كله السبيل الثوري وهذا دون اي انتفاضة مسلحة «يعقوبية» ، بل بنبل ، بطريقة برلمانية تقريباً ، «بالضغط» على اعضاء الزيمسكي سو بور .

* واي وسيلة لديك لحرمان اعضاء الزيمسكي سو بور على هذا النحو من العمل على هواهم ؟ أفليس هذا نوعاً من ورق التعريف الكيماوي من جنس خاص ؟

الله يا الله ها هو اذن التكتيك «المعتمق» ! ليس لدينا القوة للكفاح في الشارع ، ولكننا نستطيع ان «نفرق النواب» بـ«القوة» . حسناً ، ايها الرفيق من تفليس ، اكذب ، ولكن لا تتجاوز الحد ...

مسكينة روسيا يقال انها تعتمر دائماً القبعات التي بطلت
موضتها والتي رمتها اوروبا فليس لدينا برلمان حتى الآن
وبوليفين نفسه لم يعدنا به بعد اما البلاهة البرلمانية فعندنا
منها ما يكفي ويزيد

« . كيف يجب ان يتم هذا التدخل ؟ قبل كل شيء ، نطالب
بدعوة الزيمسكي سوبور الى الانعقاد وانتخابه بالاقتراع العام ، المتساوي ،
المباشر ، السري ومع اعلان * هذا النظام الانتخابي يجب اضاءه الصفة
القانونية * * على حرية التحريض الانتخابي التامة ، اي حرية الاجتماع
والكلام والصحافة ، وحرمة الناخبين والمنخبين ، والافراج عن جميع
المجرمين السياسيين اما الانتخابات فينبغي تأخير موعدها قدر الامكان ،
لكي يتوافر لنا الوقت الكافي لابلاغ الشعب وتحضيره وبما انه عهد الى
لجنة وزير الداخلية بوليفين بوضع القواعد المتعلقة بدعوة الزيمسكي
سوبور الى الانعقاد ، فانه يجب علينا ان نضغط ايضا على هذه اللجنة
وعلى اعضائها * * * . فاذا رفضت لجنة بوليفين تلبية مطالبنا * * * * ولم تمنح
حق انتخاب النواب الا للمالكين ، ترتب علينا ان نتدخل في هذه الانتخابات
ونجبر الناخبين ، بالطريق الثوري ، على انتخاب مرشحين طليعيين ،
والمطالبة في الزيمسكي سوبور بجمعية تأسيسية ويجب
اخيراً ، بجميع الوسائل بالمظاهرات ، بالاضرابات وبالانتفاض اذا اقتضى
الامر ، اجبار الزيمسكي سوبور على عقد الجمعية التأسيسية او على اعلان
نفسه جمعية تأسيسية فعلى البروليتاريا المسلحة ان تكون حامية الجمعية
التأسيسية ، وكلاهما معا * * * * * ستسيران نحو الجمهورية الديمقراطية .

* في « الايسكرا » ؟

** من قبل نيقولاي ؟

*** هذا ما يعنيه تكتيك « اقصاء المحافظين عن الحكومة » !

**** ولكن هذا الرفض مستحيل مع تكتيك موضوع بمثل هذه الصحة

وبمثل هذا الامعان في التفكير من جانبنا !

***** البروليتاريا المسلحة والمحافظون المقصيون عن الحكومة ؟

هذا هو التكتيك الاشتراكي-الديموقراطي ، وهو وحده الذي سيؤمن لنا الانتصار»

فليحترز القارئ من الظن بان هذا الهذيان الذي لا يصدق ليس سوى محاولة قلمية من ايسكري جديد عادي غير مسؤول ولا تأثير له كلا فان هذه الاشياء انما وردت في لسان حال لجنة ايسكرية جديدة بكليتها هي لجنة تفليس وليس هذا كل ما في الامر فان هذا الهذيان قد أيده «الايسكرا» بوضوح . واليكم ما نقرأه في العدد ١٠٠ من «الايسكرا» بصدد «سوسيال-ديموقراط» هذه

«العدد الاول محرر بأسلوب حي وبموهبة . ويشعر القارئ فيه بيد ماهرة ، خبيرة ، يد محرر كاتب ويمكن القول عن يقين ان الجريدة ستنفذ بنجاح باهر المهمة التي اخذتها على عاتقها» .

اجل اذا كانت هذه المهمة تنحصر في تبيان ما اصاب ميل «الايسكرا» الجديدة من تفسخ فكري كامل في تبيان هذا التفسخ للجميع ولكل فرد فان هذه المهمة قد نفذت فعلاً «بنجاح باهر» وما من احد كان في مقدوره ان يعكس بمزيد من «الحيوية والموهبة والمهارة» هبوط جماعة «الايسكرا» الجديدة الى مستوى انتهازية البرجوازية الليبرالية

٨ - نزعة «اوسفوبوجدينييه» ونزعة «الايسكرا» الجديدة

والآن نتناول تأمكيداً ساطعاً آخر لمغزى نزعة «الايسكرا» الجديدة في الحقل السياسي في مقال رائع ممتاز بليغ العبرة بعنوان «كيف نهتدي» («اوسفوبوجدينييه» ، العدد ٧١) ، يشنها السيد ستروفه

حرباً على «الثورية البرنامجية» لاحتزابنا المتطرفة والسيد ستروفه مستاء مني انا على الاخص * اما انا فاني مسرور من السيد ستروفه ولا اكثر فليس في مقدوري ان ارغب في حليف خير منه في النضال ضد «الاقتصادية» المنبعثة عند جماعة «الايسكرا» الجديدة وفقدان المبادئ التام عند «الاشتراكيين-الثوريين»

* و بالقياس الى ثوروية السادة لينين والرفاق ، تبدو ثوروية الاشتراكية-الديموقراطية في اوروبا الغربية ، ثوروية بيبل وحتى كاوتسكي ، ضرباً من الانتهازية ؛ ولكن أسس هذه الثوروية التي خفت ولانت ، انما قد قوضها التاريخ وجرفها هي ايضاً ، ان هذه حملة غاضبة جداً ولكن السيد ستروفه يخطئ اذ يظن انه يمكن اتهامي بكل شيء كما لو كنت ميتاً حسبني ان اتحداه تحدياً لن يستطيع ابدأ قبوله اين ومتى وصفت بالانتهازية «ثوروية بيبل وكاوتسكي» ؟ اين ومتى ادعيت انشاء ميل خاص في الاشتراكية-الديموقراطية العالمية غير مماثل تماماً لميل بيبل وكاوتسكي ؟ اين ومتى نشبت خلافات في الآراء بيني من جهة وبيبل وكاوتسكي من جهة اخرى ، خلافات في الآراء تشبهه ، ولو الى حد ما ، من حيث طابعها الجدي ، تلك التي نشبت في بريسلاف ، بين بيبل وكاوتسكي حول المسألة الزراعية مثلاً (١٨٥) ؟ فليحاول السيد ستروفه الاجابة عن هذه الاسئلة الثلاثة

اما القراء فنقول لهم ان البرجوازية الليبرالية تستخدم دائماً وفي كل مكان الاسلوب التالي اقناع اتباعها في بلد معين بان الاشتراكيين-الديموقراطيين في هذا البلد هم اشد الناس بعداً عن الصواب والعقل ، بينما رفاقهم في البلد المجاور «صبيان عاقلون» فان البرجوازية الالمانية قد قدمت مئات المرات الاشتراكيين الفرنسيين ، هؤلاء «الصبيان العاقلين» ، مثلاً لبيل وكاوتسكي واخرابهما ومنذ امد قريب جداً قدمت البرجوازية الفرنسية «الصبي العاقل» بيبل مثلاً للاشتراكيين الفرنسيين اسلوب قديم ، ايها السيد ستروفه ! ولن تصطاد بهذه السنارة غير الاطفال والجاهلين فان التضامن التام في صفوف الاشتراكية-الديموقراطية الثورية الاممية ، فيما يخص جميع مسائل البرنامج والتكتيك الكبرى ، واقع لا يقبل الجدل اطلاقاً .

وسنرى فيما بعد باية طريقة برهن السيد ستروفه و«اوسفوبوجدينييه» عملياً على كل الروح الرجعي الذي تتصف به «التعديلات» الواردة على الماركسية في مشروع برنامج الاشتراكيين- الثوريين وقد سبق لنا وتحدثنا مراراً عديدة عن الخدمة الغالصة الشريفة الفعلية التي كان يسديها اليّ السيد ستروفه كلما حذ مبدئياً الايسكريين الجدد * فلنتحدث عنها مرة اخرى ايضاً ان مقال السيد ستروفه يتضمن جملة كاملة من التصريحات في منتهى الطرافة ولكننا لا نستطيع ذكرها هنا الا عرضاً ان السيد ستروفه يستعد «لانشاء ديموقراطية روسية بالاعتماد على التعاون الطبقي لا على النضال الطبقي» ، اما «المثقفون المميزون اجتماعياً» (من نوع «فئة النبلاء المثقفة» التي ينحني السيد ستروفه احتراماً واجلالاً لها بظرافة جديرة حقاً بخادم في بيوت النبلاء) فانهم سيحملون الى هذا الحزب «اللاطبيقي» «ثقل مركزهم الاجتماعي» (ثقل كيس النقود) ويعرب السيد ستروفه عن الرغبة

* نذكر القارى بان «اوسفوبوجدينييه» قد رحبت بطبل وزمر بمقال «ما لا يجب عمله» (الايسكرا ، العدد ٥٢) باعتباره «انعطافاً بليغ الدلالة» نحو روح التنازل ازاء الانتهازيين وقد جذت «اوسفوبوجدينييه» بوجه خاص الميول المبدئية لدى «الايسكرا» الجديدة في مقال حول انشقاق الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس واشارت «اوسفوبوجدينييه» بصدد كراسة تروتسكي «مهماتنا السياسية» ، الى تماثل افكار ، هذا المؤلف مع الافكار التي اعرب عنها سابقاً ، شفويًا وكتابة ، جماعة «رابوتشييه ديلو» (١٨٦) - كريتشيفسكي ، مارتينوف ، اكيومف (راجع المنشور «ليبيريال خدم» ، من اصدار «فريود») ورحبت «اوسفوبوجدينييه» بكراس مارتينوف حول الديكتاتوريتين (راجع المقال الوارد في العدد ٩ من «فريود») واخيراً ، ان شكواى ستاروفر المتأخرة بصدد الشعار القديم «للايسكرا» القديمة «اولا ، نعين الحدود الفاصلة ثم نتحد» ، كانت موضع استحسان خاص من جانب «اوسفوبوجدينييه» .

في تعريف الشبيبة على عدم صلاح هذه «الفكرة الراديكالية المطروقة القائلة ان البرجوازية قد تملكها الذعر وباعت البروليتاريا وقضية الحرية» (اننا لنرحب من صميم القلب بهذه الرغبة وليس ما يؤكد صحة هذه «الفكرة المطروقة» الماركسية خيراً من الحرب التي يشنها عليها السيد ستروفه ففضل نفد ، ايها السيد ستروفه ، ولا تؤجل تنفيذ مشروعك الرائع !)

من المهم لبحث موضوعنا ان نلاحظ ايأ هي الشعارات العملية التي يحاربها في الوقت الحاضر ممثل البرجوازية الروسية هذا ذو الغريزة السياسية الامينة الذي يتأثر بأقل تقلبات الطقس اولاً شعار الجمهورية ان السيد ستروفه لعل اقتناع راسخ بان هذا الشعار «غريب وغير مفهوم بالنسبة لسواد الشعب» (وينسى ان يضيف مفهوم ولكنه غير مفيد بالنسبة للبرجوازية !) واننا لنود ان نرى باي جواب يجيب العمال السيد ستروفه في حلقاتنا واجتماعاتنا أعل العمال ليسوا الشعب ؟ والفلاحون ؟ يحدث لهم حسب زعم السيد ستروفه ، ان تستحوذ عليهم «نزعة جمهورية ساذجة» («طرد القيصر») ولكن البرجوازية الليبرالية تثق بان هذه النزعة الجمهورية الساذجة لن تخلي المكان لنزعة جمهورية واعية بل لنزعة ملكية واعية ! Ça dépend * ايها السيد ستروفه ، هذا مشروط ايضاً بالظروف فالقيصرية والبرجوازية على السواء لا يمكنهما الا معارضة كل تحسين جذري في وضع الفلاحين على حساب اراضي الملاكين العقاريين بينما لا تستطيع الطبقة العاملة الا ان تدعم الفلاحين في هذه القضية

ثانياً يؤكد السيد ستروفه «ان المهاجم في الحرب الاهلية سيكون دائماً هو المذنب» ان هذه الفكرة قريبة كل القرب من

* بالفرنسية في النص الاصلي ، ومعناها : هذا مشروط . الناشر .

ميول «الايسكرا» الجديدة التي اشرنا اليها سابقاً يقيناً اننا لن نقول انه من المفيد دائماً الهجوم في الحرب الاهلية كلا ان التكتيك الدفاعي الزامي احياناً لفترة معينة ولكن ان يتقدم المرء بموضوعة كالموضوعة التي قدمها السيد ستروفه ويطبقها في روسيا عام ١٩٠٥ فهذا يعني على وجه الدقة انه يعرض علينا قسماً من «فكرة راديكالية مطروقة» («البرجوازية يملكها الذعر وتبيع قضية الحرية») ان من لا يريد الآن ان يهاجم الاوتوقراطية، الرجعية ان من لا يستعد لهذا الهجوم ولا ينادي به انما يدعى عبثاً بانها نصير الثورة

ان السيد ستروفه يشجب شعاري «العمل السري» و«الفتنة» (الفتنة هذه «انتفاضة المصغرة») والسيد ستروفه يزدري كلاً من هذين الشعارين من وجهة نظر «الوصول الى الجماهير» ! بودنا ان نسأله ما اذا كان في استطاعه ان يدلنا على الدعاية للفتنة ، مثلاً ، في «ما العمل؟» * ، في هذا المؤلف الذي كتبه ثوروي في منتهى التطرف ، حسب رأيه ؟ اما فيما يخص «العمل السري» فهل الفرق كبير حقاً بيني وبين السيد ستروفه مثلاً ؟ ألا نعاون كلانا في جريدة «سرية» تنقل الى روسيا «سراً» ، وتخدم فرقاً «سرية» تابعة ل«اتحاد اوسفوبوجدينييه» او ل«ح ع ا د ر ؟ ان اجتماعاتنا العمالية «سرية» في غالب الاحيان واننا لنعترف بهذه الخطيئة واجتماعات هؤلاء السادة من «اوسفوبوجدينييه» ؟ فهل لك ما تتباهى به ايها السيد ستروفه امام هؤلاء الانصار الاذلاء ، انصار العمل السري الذليل ؟

صحيح ان نقل السلاح الى العمال هو عمل سري حقاً وفعالاً

* راجع مؤلف لينين «ما العمل ؟» في هذا المجلد ، صر ص ١١ -

والسيد ستروفه أصرح بهذا الصدد فاسمعوه «اما فيما يخص الانتفاضة المسلحة او الثورة من الناحية التكنيكية، فان الدعاية للبرنامج الديمقراطي بين الجماهير هي وحدها التي تستطيع ان توفر الشروط الاجتماعية والنفسانية التي تتطلبها الانتفاضة المسلحة العامة وهكذا حتى من حيث وجهة النظر القائلة ان الانتفاضة المسلحة ستكون التتويج المعتم للنضال الحالي في سبيل التحرر - وهي ليست وجهة نظري - فان الشيء الجوهرى الضرورى ولا أكثر انما هو تشبيح الجماهير بافكار التحويل الديمقراطي»

ان السيد ستروفه يحاول التهرب من المسألة فهو يتحدث عن حتمية الانتفاضة بدلا من التحدث عن ضرورتها من اجل انتصار الثورة فلقد بدأت الانتفاضة دون تحضير عفوية مشتتة وما من احد يستطيع بالطبع ان يضمن انها ستؤدي الى انتفاضة شعبية مسلحة متجانسة وكاملة لأن هذا رهن بحالة القوى الثورية (التي لا يمكن تقديرها بدقة الا في غمرة النضال) وبسلوك الحكومة والبرجوازية وكذلك بشتى الظروف الاخرى التي يستحيل أخذها بالحسبان بدقة وليس ثمة حاجة الى التحدث عن الحتمية بمعنى هذا اليقين المطلق بحدث ملموس ، بهذا اليقين الذي يقصده السيد ستروفه بكلامه فاذا اردت ان تكون نصير الثورة يجب عليك ان تتطرق الى مسألة معرفة ما اذا كانت الانتفاضة ضرورية من اجل انتصار الثورة اذا كان من الضرورى المناداة بها بنشاط والدعاية لها وتحضيرها دون اي تأخير ، وبكل عزم وهذا الفرق ، من المستحيل ان لا يدركه السيد ستروفه اذ انه لا يسعى مثلاً الى اخفاء ضرورة حق الاقتراع العام التي لا جدال حولها بالنسبة لكل ديموقراطي وراء المسألة التي يمكن الجدل حولها وغير الملحة بالنسبة لكل سياسي ، مسألة ضرورة الظفر

بهذا الحق في الثورة الحالية ان السيد ستروفه اذ يتهرب من مسألة ضرورة الانتفاضة انما يكشف أعمق خفايا موقف البرجوازية الليبرالية السياسي اولاً ان البرجوازية تفضل المساومة مع الاوتوقراطية بدلاً من سحقها وهي في كل حال تترك للعمال امر النضال المسلح (هذا ثانياً) هذا هو المغزى **الفعلي** لهذا التهرب من جانب السيد ستروفه ولهذا السبب **يمشي القهقري** من قضية ضرورة الانتفاضة الى قضية شروطها «الاجتماعية والنفسانية»، و«الدعاية» التمهيدية ان السيد ستروفه يتهرب من قضية الانتفاضة ، مستتراً وراء **الجمال الطنانة** شأنه في ذلك تماماً شأن اولئك الثرثارين البرجوازين الذين كانوا في عام ١٨٤٨ يهتمون في برلمان فرانكفورت بتدبيح القرارات والبيانات والمقررات ، و«الدعاية الجماهيرية»، وتحضير «الشروط الاجتماعية والنفسانية» في فترة كان المقصود فيها الرد على القوة المسلحة التابعة للحكومة وكانت الحركة قد «ادت» فيها «الى ضرورة» النضال المسلح وغدا فيها مجرد التأثير بواسطة الكلام (الضروري مئة مرة اكثر في مرحلة التحضير) جموداً وجبناً خسيسين برجوازين وان السيد ستروفه يبين لنا بروعة ما يصرّ كثير من الاشتراكيين - الديمقراطيين على عدم رؤيته ، وهو ان ساعة الثورة تختلف عن الساعات التاريخية العادية ، اليومية ، التحضيرية في كون الحالة الفكرية والغليان والاقتناع لدى الجماهير ، لا بد لها ان تتجلى وهي تتجلى في **العمل** .

ان الثوروية المبتذلة لا تدرك ان الكلام هو ايضاً عمل وهذه الحقيقة ثابتة لا جدال فيها مطبقة على التاريخ بوجه عام او على المراحل التاريخية التي ينعدم فيها نشاط الجماهير السياسي السافر - وهذا النشاط لا يمكن اصطناعه ولا الاستعاضة عنه بالفتن التأميرية . اما ذنبية الثوريين ، فانها لا تدرك انه متى دقت

ساعة الثورة متى تداعى « البناء الفوقي » الاجتماعي القديم من كل الجهات متى غدا نشاط الطبقات والجمهير التي تبني لنفسها بناء فوقياً جديداً متى غدا نشاطها السياسي السافر أمراً واقعاً متى بدأت الحرب الاهلية ، فان الاكتفاء « بالكلام » ، كما في السابق دون صياغة هذا الشعار الواضح شعار الانتقال الى « العمل » والتهرب من العمل آنذاك بحجة « الشروط النفسانية » و« الدعاية » بوجه عام انما يعنيان الانزلاق في النظرية الميتة المتحجرة في التزمت العقيم او تسليم الثورة خيانتها وان الثرثارين الفرانكفورتين من البرجوازية الديموقراطية ليقدمون مثلاً تاريخياً لا ينسى عن هذه الخيانة او عن هذه الحماقة المتزمتة او تريدون منا ان نوضح هذا الفرق بين الثورية المبتذلة وبين ذنبية الثوريين بامثلة مستقاة من تاريخ الحركة الاشتراكية-الديموقراطية في روسيا ؟ هذا الايضاح سنقدمه لكم تذكروا سنتي ١٩٠١-١٩٠٢ اللتين لا تزالان قريبتين جداً واللتين تبدوان اليوم من سنوات التاريخ القديم كانت المظاهرات قد بدأت فشرعت الثورية المبتذلة تصرخ داعية الى « الهجوم » (« رابوتشييه ديلو ») ، وصدرت « مناشير دموية » (برلينية المصدر ، على ما اذكر) وشهر بـ « المرض الادبي » والطابع المكتبي للفكرة القائلة بالتحريض في عموم روسيا بواسطة جريدة (ناديجدين) (١٨٧) اما ذنبية الثوريين فقد كانت آنذاك على العكس تروج بان « النضال الاقتصادي خير وسيلة للقيام بالتحريض السياسي » فماذا كان موقف الاشتراكية-الديموقراطية الثورية ؟ لقد حاربت هذين الميلين فشجبت الالعاب النارية الطائشة والصياح الى الهجوم لأن كل الناس كانوا يرون بوضوح او كان لا بد لهم ان يروا ان نشاط الجماهير السافر هو قضية الغد وشجبت الذنبية وصاغت ، مباشرة ، حتى شعار الانتفاضة المسلحة

من جانب الشعب بأسره لا من حيث انه نداء مباشر (وما كان السيد ستروفه وجد عندنا آنذاك ، اي نداء الى «الفتنة») بل من حيث انه استنتاج ضروري من حيث انه «دعاية» (لم يتذكرها السيد ستروفه الا الآن لأن صاحبنا العزيز الاحترام السيد ستروفه يتأخر دائماً بضعة سنوات) من حيث تحضير هذه «الشروط الاجتماعية والنفسانية» عينها التي طالما يتشدق اليوم بها ممثلو البرجوازية المائلة الى المساومة الحائرة «بكآبة وغير مناسبة» في ذلك الحين كانت الدعاية والتحريض التحريض والدعاية ، موضوعين حقاً في المرتبة الاولى بقوة الوضع الموضوعية . في ذلك الحين كان يمكن للعمل من اجل انشاء جريدة سياسية لعامة روسيا ، ويبدو اصدارها اسبوعياً مثلاً اعلى كان يمكن لهذا العمل ان يعتبر محك العمل في حقل تحضير الانتفاضة (وهكذا اعتبره «ما العمل ؟») في ذلك الحين كان الشعاران التحريض الجماهيري بدلا من الاعمال المسلحة الفورية تحضير الشروط الاجتماعية والنفسانية الضرورية للانتفاضة بدلا من الالعاب النارية الطائشة ، - الشعارين الصحيحين الوحيديين عند الاشتراكية- الديموقراطية الثورية اما الآن فان الاحداث قد تجاوزت هذين الشعارين والحركة سبقتهما ولم يبقا إلا سقط المتاع لم يبقا الا عتقيات لا تصلح إلا لستر رياء «اوسفوبوجدينييه» وذنبية «الايسكرا» الجديدة !

ولكن ربما انا على خطأ ؟ ربما ان الثورة لم تبدأ بعد ؟ ربما ان ساعة عمل الطبقات السياسي السافر لم تحن بعد ؟ ربما ان الحرب الاهلية لم تذر قرنهما بعد وان نقد السلاح لا يجب ان يكون منذ الآن خلف سلاح النقد وريشه منفذ وصيته وخاتمه الضروي والالزامي ؟

تطلعوا حولكم ، مدوا رؤوسكم من نوافذ مكاتبكم وانظروا

الى الشارع لتتمكنوا من الاجابة على هذه الاسئلة أفلم تبدأ الحكومة نفسها الحرب الاهلية باعدامها رمياً بالرصاص في كل مكان وبالجملة مواطنين مسالمين عزلاً من السلاح ؟ ألا يتدخل المئة السود المسلحون بوصفهم «حجة» الاوتوقراطية؟ أولم تدرك البرجوازية - البرجوازية بالذات - ضرورة ميليشيا اهلية ؟ والسيد ستروفه نفسه السيد ستروفه ذو الدقة والاعتدال المثاليين ألا يقول (ومع الاسف يكتفي بالقول لكي يتهرب !) ان «طابع الاعمال الثورية السافر» (هكذا هي لهجتنا اليوم !) «هو اليوم شرط من اهم شروط التأثير التربوي في الجماهير الشعبية» ؟ ان من له عينان تريان لا يمكنه ان يشك بالطريقة التي يجب ان يضع بها اليوم انصار الثورة قضية الانتفاضة المسلحة فاليكم اذن الطرائق **الثلاث** لطرح هذه القضية التي تعطيها الصحف الحرة القدرة على ان تؤثر وان بعض الشيء في **الجماهير** الطريقة الاولى قرار المؤتمر الثالث لحزب العمال الاشتراكي - الديموقراطي في روسيا* فهو يقر ويعلن على رؤوس

* اليكم النص الكامل لهذا القرار

وحيث

١ - ان البروليتاريا هي من حيث وضعها ، الطبقة المتقدمة اكثر من غيرها ، الطبقة الوحيدة الثورية حتى النهاية وهي بالتالي مدعوة الى الاضطلاع بدور قيادي في الحركة الثورية الديموقراطية العامة في روسيا ؛
٢ - ان هذه الحركة قد ادت ، في الساعة الراهنة ، الى ضرورة الانتفاضة المسلحة

٣ - ان البروليتاريا ستسهم حتماً في هذه الانتفاضة باشد قسط من الحزم وبقسط يقرر مصير الثورة في روسيا ؛
٤ - ان البروليتاريا لا تستطيع الاضطلاع في هذه الثورة بدور قيادي إلا متراسة في قوة سياسية ، موحدة مستقلة ، تحت راية حزب العمال

الاشهاد بان الحركة الثورية الديمقراطية العامة قد ادت الى ضرورة الانتفاضة المسلحة ان تنظيم البروليتاريا من اجل الانتفاضة قد وضع في جدول الاعمال بوصفه مهمة من المهام الاساسية والرئيسية والضرورية للحزب ويجب اتخاذ أشد الاجراءات حزماً لتسليح البروليتاريا وتأمين امكانية القيادة المباشرة للانتفاضة

الطريقة الثانية المقال المبدئي الذي نشره في «اوسفوبوجدينييه» «زعيم الدستوريين الروس» (بهذا اللقب انعمت

الاشتراكي-الديموقراطي الذي يقودها في نضالها سواء في الميدان الفكري ام في الميدان العملي ؛

٥ - ان القيام بهذا الدور هو وحده الذي يمكن له ان يؤمن للبروليتاريا أفيد الشروط في النضال من اجل الاشتراكية ضد الطبقات المالكة في روسيا الديمقراطية البرحوازية ، -

فان المؤتمر الثالث لـ ح د ر يرى ان تنظيم البروليتاريا من اجل النضال المباشر ضد الاوتوقراطية عن طريق الانتفاضة المسلحة هو ، في الساعة الثورية الراهنة ، مهمة من أهم مهام الحزب وأشدّها الحاحاً ولهذا يكلف المؤتمر جميع منظمات الحزب بما يلي

أ- ان توضح للبروليتاريا ، عن طريق الدعاية والتحرير ، لا المغزى السياسي للانتفاضة المسلحة القادمة وحسب ، بل ايضاً جانبها التنظيمي العملي ؛

ب- ان توضح في سياق هذه الدعاية وهذا التحريض ، دور الاضرابات السياسية الجماهيرية ، التي يمكن ان تكتسب اهمية كبرى في بداية الانتفاضة وفي مجراها بالذات

ح - ان تتخذ اشد الاجراءات حزماً لتسليح البروليتاريا ورسم خطة الانتفاضة المسلحة وقيادتها المباشرة ، وان تشكل لهذا الغرض ، فرقا خاصة من المناضلين الحزبيين ، بقدر ما تدعو الحاجة (ملاحظة لينين لطبعة ١٩٠٧ . الناشر .)

على السيد ستروفه منذ امد قريب «جريدة فرانكفورت» (١٨٨) وهي صحيفة واسعة النفوذ للبرجوازية الاوروبية) او زعيم البرجوازية التقدمية الروسية فهو لا يشاطر الرأي القائل بحتمية الانتفاضة فالعمل السري والفتنة اسلوبان تمتاز بهما ثوروية طائشة والنزعة الجمهورية طريقة لصم الآذان والانتفاضة المسلحة ليست في الاساس إلا مسألة تقنية في حين ان الدعاية الجماهيرية وتحضير الشروط الاجتماعية والنفسانية هما «الامر الجوهري والألح»

الطريقة الثالثة قرار المجلس العام الايسكري الجديد مهمتنا ان نحضر الانتفاضة تنفي امكانية انتفاضة تسير حسب مخطط اما الشروط الملائمة للانتفاضة فيوفرها تشويش الحكومة وتحريضنا وتنظيمنا وحينذاك فقط «يمكن للتحضيرات الكفاحية التقنية ان تكتسب اهمية كبيرة الى هذا الحد او ذاك» .

وهل هذا كل شيء ؟ هذا كل شيء هل اصبحت الانتفاضة ضرورية ؟ هذا ما لا يعرفه حتى الآن قادة البروليتاريا الايسكريون الجدد وتنظيم البروليتاريا للنضال المباشر هل هو مهمة عاجلة ؟ هذا ما لا يرونه حتى الآن بوضوح وليس ثمة حاجة للدعوة الى أشد الاجراءات حزماً فمن الأهم بكثير (في عام ١٩٠٥ لا في عام ١٩٠٢) ان نوضح بخطوط كبرى الشروط التي «يمكن» بها لهذه الاجراءات ان تكتسب اهمية «كبيرة الى هذا الحد او ذاك»

أوترون الآن ايها الرفاق من «الايسكرا» الجديدة الى اين قادكم انعطافكم الى المارتينوفية ؟ أوتدركون ان فلسفتكم السياسية ليست سوى طبعة جديدة لفلسفة «اوسفوبوجدينييه» ؟ وانكم تسيرون (رغمًا عنكم ودون ان ترتابوا بذلك) في ذيل البرجوازية المملكية ؟ أوتدركون الآن انكم ، اذ لكتم الحكايات القديمة

ورفعتم مستواكم في حقل السفسطة قد غاب عن بالكم ان «طابع الاعمال الثورية السافر - على حد التعابير التي لا تنسى في مقالة بيوتر ستروفه التي لا تنسى - هو اليوم شرط من أهم شروط التأثير التربوي في الجماهير الشعبية» ؟

٩ - ماذا يعني حزب أقصى المعارضة ابان الثورة ؟

لنعد الى القرار بشأن الحكومة الموقته لقد بينا ان تكتيك الايسكريين الجدد لا يدفع الثورة الى امام - مع ان هذا ما ارادوا بلوغه بقرارهم - بل يعود بها القهقري وقد بينا ان هذا التكتيك بالذات يقيده يدي الاشتراكية-الديموقراطية في النضال ضد البرجوازية المتذبذبة ولا يقياها من الدوبان في الديمقراطية البرجوازية ومفهوم ان ينجم استنتاج خاطي عن مقدمات القرار الخاطئة «ولذا ينبغي على الاشتراكية-الديموقراطية ان لا تستهدف الاستيلاء على الحكم او المشاركة به في الحكومة الموقته انما ينبغي لها ان تظل حزب أقصى المعارضة الثورية» انظروا الى النصف الاول من هذا الاستنتاج بصدد الاهداف الواجب بلوغها . فهل يرى الايسكريون الجدد الهدف من نشاط الاشتراكية-الديموقراطية في انتصار الثورة الحاسم على القيصرية ؟ اجل انهم لا يعرفون كيف يصوغون بتعابير صحيحة شروط الانتصار الحاسم ، فينزلقون في صيغة «اوسفوبوجدينييه» مع انهم يستهدفون هذا الهدف ثم هل يربطون الحكومة الموقته بالانتفاضة ؟ - اجل انهم يربطونها بها مباشرة ، قائلين ان الحكومة الموقته «تنبثق من الانتفاضة الشعبية الظاهرة» وهـل يبتغون اخيراً قيادة الانتفاضة ؟ - اجل وهم يتهربون على غرار السيد ستروفه من الاعتراف بضرورة الانتفاضة وعجلتها ، ولكنهم يقولون في الوقت

نفسه خلافاً للسيد ستروفه ان «الاشتراكية-الديموقراطية تقصد اخضاعها (اي الانتفاضة) لتأثيرها وقيادتها واستخدامها في مصلحة الطبقة العاملة»

ما أحسن هذا القول أليس كذلك ؟ اننا نبتغي هدفاً قوامه اخضاع انتفاضة الجماهير البروليتارية وغير البروليتارية لتأثيرنا لقيادتنا واستخدامها في مصلحتنا اننا نستهدف اذن ان نقود أبان الانتفاضة البروليتاريا والبرجوازية الثورية والبرجوازية الصغيرة («الفئات غير البروليتارية») معاً اي ان «نقتسم» قيادة الانتفاضة بين الاشتراكية-الديموقراطية والبرجوازية الثورية اننا نستهدف انتصار الانتفاضة الانتصار الذي لا بد ان يؤول الى تشكيل حكومة موقته («منبثقة من الانتفاضة الشعبية الظاهرة») ولذا لا ينبغي لنا ان نستهدف الاستيلاء على الحكم او المشاركة به في الحكومة الثورية الموقته !

ان اصحابنا لا يتوصلون الى ربط الاشياء بعضها ببعض وهم يتأرجحون بين وجهة نظر السيد ستروفه الذي يتهرب من الانتفاضة ووجهة نظر الاشتراكية-الديموقراطية الثورية التي تدعو الى تنفيذ هذه المهمة العاجلة وهم يتأرجحون بين الفوضوية التي تشجب مبدئياً كل اشتراك في الحكومة الثورية الموقته على انه خيانة للبروليتاريا وبين الماركسية التي تتطلب هذا الاشتراك شرط ان تمارس الاشتراكية-الديموقراطية تأثيراً قيادياً على الانتفاضة * وليس لهم اي موقف مستقل لا موقف السيد ستروفه الذي يتمنى مساومة مع القيصرية والذي لا بد له بالتالي من ان يتهرب ويداور في مسألة الانتفاضة ولا موقف

* راجع العدد ٣ من «بروليتاري» بشأن الحكومة الثورية الموقته ، المقال الثاني .

الفوضويين الذين يشجبون كل عمل «من فوق» وكل اشتراك في الثورة البرجوازية والايسكريون الجدد يخلطون بين المساومة مع القيصرية وبين الانتصار على القيصرية وهم يريدون الاشتراك في الثورة البرجوازية وقد تجاوزوا الى حد ما كتاب «ديكتاتوريتان» لمارتينوف حتى انهم يقبلون قيادة انتفاضة الشعب لكي يتخلوا عن هذه القيادة بعد الانتصار فوراً (او ربما قبل الانتصار مباشرة؟) اي لكي لا يجنوا ثمار الانتصار بل لكي يتركوها كلها للبرجوازية وهذا ما يسمونه «استخدام الانتفاضة في مصلحة الطبقة العاملة»

وليس ثمة ما يدعو الى التوقف اكثر من ذلك عند هذا التشوش فمن الاجدى استقصاء مصدر هذا التشوش في هذه الصيغة التي تقول «ان تظل حزب اقصى المعارضة الثورية» نحن هنا امام موضوعة من الموضوعات الاليفة عند الاشتراكية-الديموقراطية الثورية العالمية وهذه الموضوعة صحيحة تماماً وقد غدت حقيقة مطروقة عند جميع اخصام التحريفية او الانتهازية في البلدان البرلمانية واكتسبت جميع حقوقها المدنية بوصفها رداً شرعياً وضرورياً على «البلاهة البرلمانية» والميليرانية والبرنشتينية والاصلاحية الايطالية على طريقة توراتي وقد تعلم اصحابنا الطيبون الايسكريون الجدد عن ظهر قلب هذه الصيغة الممتازة وهم يطبقونها بحمية تماماً في الوقت غير المناسب فمفاهيم النضال البرلماني انما يدرجونها في قرارات موضوعة لاوضاع ليس فيها اي نوع من البرلمان ومفهوم «المعارضة» الذي هو تعبير وانعكاس لوضع سياسي لا يتحدث فيه احد بصورة جدية عن الانتفاضة ، انما يطبق بحماقة وخرافة على وضع بدأت فيه الانتفاضة ويفكر فيه جميع انصار الثورة بقيادة الانتفاضة ويتحدثون عن هذه القيادة . والرغبة

في «البقاء» في النقطة السابقة نفسها اي في الاكتفاء بالعمل «من تحت» «من القاعدة» انما تنعكس في تعابير مفخمة وصاخبة **تماماً في اللحظة** التي طرحت فيها الثورة في حال انتصار الانتفاضة ، مسألة ضرورة العمل من فوق ، من القمة .

يقيناً ان الحظ لا يحالف اصحابنا الايسكريين الجدد فهم حتى حين يصوغون موضوعة اشتراكية-ديموقراطية صحيحة لا يعرفون كيف يطبقونها بصحة فهم لم يفكروا في الطريقة التي تتغير بها تعابير ومفاهيم النضال البرلماني وتتحول الى اضدادها متى بدأت الثورة ، في حال عدم وجود برلمان ، بينا تشتعل نيران الحرب الاهلية بينا ترتفع ومضات الانتفاضة ولم يفكروا في ان التعديلات تعرض ، في الاوضاع التي يدور الحديث حولها بواسطة التظاهرات في الشارع وان الاستجابات تتجسد بهجوم المواطنين المسلحين وان معارضة الحكومة تتحقق بقلب الحكومة بالعنف

ان اصحابنا المعجبين بمارتينوف اشبه بهذا البطل المعروف في حكاياتنا الشعبية الذي كان يردد النصائح الطيبة تماماً في الوقت غير المناسب فهم يرددون دروس البرلمانية في زمن السلم تماماً في الوقت الذي يلاحظون فيه بانفسهم بداية عمليات عسكرية موصوفة . وليس ثمة ما هو أغرب من صياغة شعار «اقصى المعارضة» بمهابة وذلك في قرار يبدأ بالاشارة الى «انتصار الثورة الحاسم» و«الانتفاضة الشعبية» ! ولكن فكروا اذن ، ايها السادة ماذا يعني ان تؤلفوا «اقصى المعارضة» في عهد الانتفاضة ؟ ايعني التشهير بالحكومة ام اسقاطها ؟ ايعني التصويت ضد الحكومة ام هزم قواتها في معركة سافرة ؟ ايعني رفض الاعتمادات لخزينة الحكومة ام الاستيلاء على هذه الخزينة بطريقة ثورية من اجل استخدامها في حاجات الانتفاضة ، من اجل تسليح العمال والفلاحين ، من اجل

عقد الجمعية التأسيسية ؟ أفلا تبدأون تفهمون ايها السادة ان فكرة «اقصى المعارضة» لا تفصح الا عن اعمال سلبية التشهير التصويت ضد الرفض ؟ ولم هذا ؟ لأن هذا المفهوم لا يتعلق إلا بالنضال البرلماني وذلك في عهد لا يبتغي فيه احد «انتصاراً حاسماً» كهدف مباشر للنضال أفلا تبدأون تفهمون ان الامر يتغير في هذا الميدان بصورة جذرية منذ ان يعمد الشعب المظلوم سياسياً ويأخذ جانب الهجوم الحازم على طول الخط في نضال ضار من اجل الانتصار ؟

ان العمال يسألوننا هل يجب الانصراف بحزم وعزم الى هذه المهمة العاجلة التي اسمها الانتفاضة ؟ ما العمل لكي تنتصر الانتفاضة التي بدأت ؟ ما العمل للافادة من الانتصار ؟ اي برنامج يمكن ويجب تطبيقه آنذاك ؟ ان جماعة «الايسكرا» الجديدة يعمقون الماركسية ويجيبون البقاء حزب اقصى المعارضة الثورية طيب ألم نكن على صواب حين اسمينا هؤلاء الفرسان جهابذة التفاهة وضيق الافق ؟

١٠ - «الكومونات الثورية»

وديكتاتورية البروليتاريا والفلاحين الديمقراطية الثورية

ان المجلس العام الذي عقده الايسكريون الجدد لم يستقر على المواقف الفوضوية التي بلغتها «الايسكرا» الجديدة («من القاعدة» فقط لا «من القاعدة ومن القمة») وكان من البديهي جداً ان القبول بالانتفاضة دون القبول بانتصارها دون قبول الاشتراك في الحكومة الثورية الموقته ، هو أمر أخرق سخيف ولذا جاء قرار المجلس العام يسجل عدداً من التحفظات والقيود في حلّ القضية الذي عرضه مارتينوف ومارتوف . فلنبحث هذه التحفظات الواردة في القسم التالي من القرار :

« من البديهي ان هذا التكتيك («بقاء الحزب حزب اقصى المعارضة الثورية») لا ينفي ابدأ مناسبة الاستيلاء على السلطة بصورة جزئية طارئة ، ومناسبة تكوين كومونات ثورية في هذه المدينة أو تلك ، في هذه المنطقة أو تلك ، لمجرد المساهمة في امتداد الانتفاضة وتشويش الحكومة »

اذا كان الامر كذلك لم يبق العمل من القاعدة العمل الوحيد المقبول مبدئياً ، بل يقبل ايضاً بالعمل من القمة واذا كان الامر كذلك فان الموضوعة التي عرضها مارتوف في مقالته المعروفة («الايسكرا» العدد ٩٣) تنهار ويعترف بان تكتيك جريدة «فبريود» - لا «من القاعدة» وحسب بل من «القمة» ايضاً - هو تكتيك صحيح

ثم ان الاستيلاء على السلطة (وان كان جزئياً وطارئاً الخ .) يفترض على ما يبدو ان الاشتراكية-الديموقراطية والبروليتاريا ليستا الوحيدتين اللتين تعملان ذلك لأن البروليتاريا ليست الوحيدة التي يهملها أمر الثورة الديمقراطية والتي تشترك فيها بنشاط ولأن الانتفاضة «شعبية» كما جاء في مطلع القرار الذي نبحثه وتشترك فيها ايضاً «فئات غير بروليتارية» (هكذا ورد في نص القرار الذي اتخذه المجلس العام حول الانتفاضة) - اي البرجوازية ايضاً وهكذا اذن نرى ان المبدأ القائل بان اي اشتراك من جانب الاشتراكيين في الحكومة الثورية الموقته ، مع البرجوازية الصغيرة يشكل خيانة ازاء الطبقة العاملة قد قلّف به المجلس العام الى البحر وهذا ما كانت تعمل له «فبريود» (١٨٩) ان «الخيانة» لا تكف عن ان تكون خيانة اذا كانت الاعمال التي تشكلها جزئية موقته منطقية الخ وهكذا اذن نرى ان المعادلة بين الاشتراك في الحكومة الثورية الموقته وبين النزعة الجوريسية المبتدلة ، قد قلّف بها المجلس

العام الى البحر وهذا ما كانت تعمل له «فبريود» ان الحكومة لا تكف عن ان تكون حكومة اذا كانت سلطتها لا تشمل سوى مدينة واحدة بدلاً من ان تشمل العديد من المدن اذا كانت سلطتها لا تشمل سوى منطقة واحدة بدلاً من ان تشمل العديد من المناطق أو اذا كانت تحمل هذا الاسم او ذاك وهكذا اذن نرى ان المجلس العام قد تغلّى عن طريقة وضع المسألة بصورة مبدئية ، كما ارتأت «اليسكرا» الجديدة

لنر الآن اذا كانت القيود التي ارتأها المجلس العام حول تأليف حكومات ثورية (وتأليف مثل هذه الحكومات مقبول به اليوم مبدئياً) وحول الاشتراك في مثل هذه الحكومات هي قيود معقولة سديدة بيم يختلف مفهوم كلمة «طارى» عن مفهوم كلمة «موقت» ذلك أمر نجهله اننا نخشى ان يكون المقصود هنا من استعمال كلمة غريبة و«جديدة» مجرد ستر لانعدام الوضوح في الافكار فان ذلك يبدو «اشد عمقاً» مع انه في الواقع أشد غموضاً وتشوشاً وبم تختلف «مناسبة» «الاستيلاء على السلطة» بصورة جزئية في مدينة ما أو في منطقة ما عن الاشتراك في الحكومة الثورية الموقته للدولة بأسرها ؟ أليس ثمة بين «المدن» مدينة كبطرسبورغ التي كانت مسرحاً لاحداث ٩ يناير (كانون الثاني) ؟ أليس ثمة بين المناطق منطقة كالقفقاس أكبر من كثير من الدول ؟ والمهام التي كانت تحير «اليسكرا» الجديدة فيما مضى ، - مهام حل مسألة السجون والبوليس والخزينة الخ - ألا تقع علينا عند «الاستيلاء على السلطة» حتى في مدينة واحدة وبالاحرى في منطقة ما ؟ ما من احد سينكر بالطبع ان تأليف حكومات ثورية موقته جزئية في بعض المدن الخ هو امر ممكن اذا لم تكن قوانا كافية اذا لم يكن نجاح الانتفاضة كاملاً اذا لم يكن انتصارها حاسماً . ولكن ، اي علاقة لكل هذا بالقضية ، ايها

السادة ؟ ألا تتحدثون انتم في مطلع قراركم عن «انتصار الثورة العاسم» وعن «الانتفاضة الشعبية الظافرة» ؟؟ ومنذ متى يضطلع الاشتراكيون-الديموقراطيون بدور الفوضويين تشتيت انتباه البروليتاريا وبعثرة اهدافها ؟ وتوجيه البروليتاريا نحو «الجزئي» لا نحو العام الواحد الكلي والتام ؟ انكم تفترضون «الاستيلاء على السلطة» في احدى المدن ثم تتحدثون انتم عن «امتداد الانتفاضة» - الى مدينة اخرى اليس كذلك ؟ وهل يجوز لنا ان نأمل بانكم تقصدون بذلك «امتداد الانتفاضة» الى جميع المدن ؟ ان استنتجاتكم ايها السادة متداعية وعرضية متناقضة ومشوشة كمقدماتكم ان المؤتمر الثالث لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا قد اعطى حلاً كاملاً واضحاً لمسألة الحكومة الثورية الموقته بوجه عام وهذا الحل يصح ايضاً بالنسبة لجميع الحكومات الموقته الجزئية اما حلّ المجلس العام ، فهو اذ يبرز قسماً من المسألة بصورة مصطنعة كيفية يتهرّب (دون نجاح) من مجمل المسألة زارعاً بذلك الغموض والتشوش

ما هي «الكومونات الثورية» ؟ وهل يختلف هذا المفهوم عن مفهوم «الحكومة الثورية الموقته» واذا كان يختلف عنه فيم ؟ ان السادة المشتركين في المجلس العام يجهلون هم انفسهم ذلك ان تشوش تفكيرهم الثوري يؤدي بهم كما يحدث غالباً الى مجرد التعابير الثورية اجل ان استعمال تعبير «الكومونة الثورية» في قرار لمثلي الاشتراكية-الديموقراطية ليس سوى ضرب من التعابير الثورية لا أكثر وقد شجب ماركس مراراً عديدة هذا النوع من التعابير التي يصار فيها الى استخدام اصطلاحات «مغرية» من زمن ولتي لأجل تمويه اهداف المستقبل ان اغراء اصطلاح لعب دوره في التاريخ يغدو ، في مثل هذه الحال ، نوعاً

من البهارج الفارغة الضارة وخشخيشة ينبغي ان نفهم العمال والشعب كله بوضوح ودون لبس ولا ابهام لماذا نريد اقامة حكومة ثورية موقته وما هي بالضبط التحويلات التي سنحققها فوراً في حال انتصار الانتفاضة الشعبية التي بدأت واذا كان لنا تأثير حاسم في الحكم تلك هي المسائل التي تواجه القادة السياسيين

ان المؤتمر الثالث لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا يجيب على هذه المسائل بكل وضوح وهو يعطي البرنامج الكامل لهذه التحويلات ، برنامج الحد الادنى الذي وضعه حزبنا في حين ان كلمة «كومونة» لا تعطي اي جواب بل تزعج الاذن بصوت رنان بعيد أو بصوت رنان فارغ لا معنى له وكلما كانت كومونة باريس كومونة عام ١٨٧١ عزيزة علينا كلما قل ان يجوز لنا مجرد ذكرها دون ان نبحت اخطاءها والايضاح الخاصة التي مرت بها ان مثل هذا التصرف انما يعني السير على غرار وحمق البلانكيين الذين سخر منهم انجلس والذين بالغوا (في «بيانهم» الصادر عام ١٨٧٤) في اطراء أدنى عمل قامت به الكومونة (١٩٠) وما عسى ان يقول المشترك في المجلس العام للعامل الذي سيسأله عن هذه «الكومونة الثورية» ، المذكورة في القرار ؟ انه لن يكون بوسعه ان يقول له سوى شيء واحد هو ان التاريخ يعرف بهذا الاسم حكومة عمالية كانت في عهدها لا تعرف ولم يكن بوسعها ان تميز بين عناصر الانقلاب الديموقراطي وعناصر الانقلاب الاشتراكي وكانت تخلط مهمات النضال من اجل الجمهورية مع مهمات النضال من اجل الاشتراكية ولم تستطع ان تحل قضية القيام بهجوم عسكري حازم على فرساي واخطات في عدم الاستيلاء على بنك فرنسا الخ وبكلمة سواء اذكرتم في جوابكم كومونة باريس أم اية كومونة اخرى ،

فانه يترتب عليكم ان تجيبوا كما يلي كانت تلك حكومة ينبغي ألا تكون حكومتنا مثلها وانه حقاً لجواب جميل انهم يلزمون الصمت حول برنامج الحزب العملي ويلقون دروساً في التاريخ في قلب قرار وبدون مناسبة أليس في كل ذلك دليل على سفسطة شارح وعلى عجز ثوري؟ ألا يبين كل ذلك بالضبط الخطأ الذي حاولوا عبثاً لصقه بنا خطأ الخلط بين الانقلاب الديموقراطي والانقلاب الاشتراكي اللذين لم تعرف قط اية «كومونة» ان تميز بينهما؟

ان امتداد الانتفاضة وتشويش الحكومة معروضان كأنهما الغايتان «الوحيدتان بوجه الحصر» الموضوعتان امام الحكومة الموقته (المسماة هنا بصورة غير مناسبة جداً باسم كومونة) ان هذا التعبير «الوحيدتان بوجه الحصر» يزيل بحد نفسه جميع المهمات الاخرى وهو تدشٌ للنظرية الخرقاء نظرية «من القاعدة فقط» ان اقضاء المهمات الاخرى بهذه الصورة انما يعني مرة اخرى التدليل على قصر النظر وعدم التفكير فانه يتعين بالضرورة على «الكومونة الثورية» اي السلطة الثورية حتى ولو اقيمت في مدينة واحدة ان تقوم (ولو بصورة موقته «جزئية طارئة») بجمع مهام الدولة واذا ما خبأت رأسها كالطير تحت جناحها في هذا الميدان فسيكون ذلك ذروة التهوّر واختلال العقل ينبغي على هذه السلطة ان تسنّ قانوناً ينص على يوم العمل من ثماني ساعات وان تفرض التفتيش العمالي في المصانع وان تقر التعليم المجاني والعام وان تطبق طريقة انتخاب القضاة وتنشئ لجاناً فلاحية الخ وبكلمة ثمة جملة من الاصلاحات يتعين على هذه السلطة ان تقوم بها بالضرورة. ان وصف هذه الاصلاحات بتعبير «المساهمة في امتداد الانتفاضة»

انما هو ضرب من التلاعب بالكلمات وزيادة الغموض قصداً وعمداً حيث ينبغي الوضع التام

ان القسم الاخير من قرار الايسكريين الجدد لا يوفر لنا مناسبات جديدة لانتقاد الميول المبدئية في «الاقتصادية» التي بعثت في حزبنا إلا انه يبين ويثبت من ناحية أخرى بعض الشيء ، ما قيل أعلاه وفيما يلي هذا القسم

وفي حالة واحدة فقط ، يترتب على الاشتراكية-الديموقراطية ان تتركس جهودها ، بملء مبادرتها ، للاستيلاء على السلطة وللاحتفاظ بها أطول مدة ممكنة وهذه الحالة ، هي حين تكون الثورة قد شملت البلدان المتقدمة في اوربا الغربية ، حيث الشروط الضرورية لتحقيق الاشتراكية قد بلغت حداً معيناً (٤) من النضوج في هذه الحالة ، قد يتسع نطاق الثورة الروسية التاريخي المحدود ، اتساعاً كبيراً ، وقد يغدو من الممكن ملوك سبيل التحويلات الاشتراكية

ان خير وجه تستطيع به الاشتراكية-الديموقراطية ان تستعد لاستخدام السلطة الحكومية اذا ما سقطت (٤٤) في يديها ، هو أن تبني تكتيكها اعتماداً على احتفاظ الحزب الاشتراكي-الديموقراطي ، خلال المرحلة الثورية كلها ، بوضع حزب يمثل أقصى المعارضة الثورية ازاء جميع الحكومات التي يخلف بعضها بعضاً ابان الثورة

ان الفكرة الرئيسية هنا هي الفكرة التي سبق لجريدة «فبريود» ان صاغتها مراراً عديدة عندما قالت انه لا ينبغي لنا ان نخشى (كما يخشى مارتينوف) انتصار الاشتراكية-الديموقراطية الكامل في الثورة الديمقراطية اي ديكتاتورية البروليتاريا والفلاحين الديمقراطية الثورية لأن هذا الانتصار سيتيح لنا استثارة اوربا كما ان البروليتاريا الاشتراكية الاوروبية

ستساعدنا بدورها في القيام بالانقلاب الاشتراكي بعد ان تخلع عنها نير البرجوازية ولكن انظروا الى اي حد تضاءلت هذه الفكرة في صياغة الايسكرين الجدد اننا لن نتوقف عند التفاصيل عند هذه الفكرة الخرقاء القائلة «بسقوط» السلطة في يد حزب واع يعتبر الاستيلاء على السلطة تكتيكاً ضاراً عند كون الشروط الضرورية للاشتراكية قد بلغت في اوروبا لا حداً معيناً من النضوج بل النضوج بوجه عام عند كون برنامج حزبنا لا يتحدث عن اي تحولات اشتراكية ، بل عن الانقلاب الاشتراكي فقط لناخذ الفرق الجوهرى الاساسى بين فكرة «فبريود» وفكرة القرار ان «فبريود» تضع امام البروليتاريا الثورية في روسيا مهمة نشيطة هي احراز النصر في النضال من اجل الديمقراطية والافادة من هذا النصر لحمل الثورة الى اوروبا اما القرار فانه لا يدرك هذه الصلة بين «انتصارنا الحاسم» (لا حسب مفهوم «الايسكرا» الجديدة) وبين الثورة في اوروبا ولذا فهو لا يتطرق الى مهام البروليتاريا ولا الى آفاق انتصارها بل يتحدث عن امكانية واحدة بوجه عام «حين تكون الثورة قد شملت» ان «فبريود» تبين بتعابير جلية دقيقة - وقد دخلت ايضاحاتها هذه في متن قرار المؤتمر الثالث لحزب العمال الاشتراكي- الديمقراطية في روسيا - باية صورة يمكن ويجب «استخدام السلطة الحكومية» في مصلحة البروليتاريا مع حسابان الحساب لما يمكن تحقيقه فوراً في المرحلة الراهنة من التطور الاجتماعى ولما يجب تحقيقه اولاً كبادرة ديمقراطية في النضال من اجل الاشتراكية هنا ايضاً ، ينجر القرار في الذنب بصورة خانعة ، اذ يقول انه «يمكن الاستعداد لاستخدام السلطة» دون ان يعرف ان يقول كيف يمكن الاستعداد ، كيف الاستعداد لاستخدام السلطة وكيف استخدامها . اننا واثقون ، مثلاً ، بان الايسكرين

الجدد «يستطيعون ان يستعدوا لاستخدام» الوضع القيادي في داخل الحزب ولكن الحقيقة هي ان تجربتهم في هذا الميدان واستعدادهم لا يؤملان حتى الآن فيما يتعلق بتحويل هذه الاستطاعة الى واقع .

ان «فريود» تقول بتعابير دقيقة على ما تقوم بوجه الضبط «الامكانية» الفعلية «للاحتفاظ بالسلطة» على ديكتاتورية البروليتاريا والفلاحين الديمقراطية الثورية على قوتهم الجماعية الموحدة التي تستطيع التغلب على جميع قوى اعداء الثورة على حتمية اتفاق مصالحهم في ميدان التحويلات الديمقراطية وفيما يتعلق بهذه النقطة ايضا لا يعطي قرار المجلس العام اي شيء ايجابي بل يقتصر على التهرب من حل المسألة أفلا ينبغي ان تكون امكانية الاحتفاظ بالسلطة في روسيا مشروطة بتركيب القوى الاجتماعية في روسيا نفسها وبظروف الانقلاب الديمقراطي القائم عندنا الآن ؟ ان يستثير انتصار البروليتاريا في اوروبا (وبين نقل الثورة الى اوروبا وانتصار البروليتاريا ، ما زال ثمة بعض المسافة) البرجوازية الروسية الى خوض نضال عنيف ضد الثورة ؟ ان قرار الايسكريين الجدد لا ينبس ببنت شفة حول هذه القوة المعادية للثورة التي بين قرار المؤتمر الثالث لحزب العمال الاشتراكي-الديمقراطي في روسيا اهميتها فاذا لم يكن بوسعنا الاعتماد على الفلاحين فضلاً عن البروليتاريا ، في النضال من اجل الجمهورية والديمقراطية فان «الحفاظ على السلطة» يكون مشروعاً يائساً ولكن اذا لم يكن «الحفاظ على السلطة» مشروعاً يائساً اذا اتاح لنا «انتصار الثورة العاسم على القيصرية» هذه الامكانية فينبغي لنا ان نشير الى هذه الامكانية ، ينبغي لنا ان ندعو بنشاط الى تجسيدها في الواقع ينبغي لنا ان نلقي شعارات عملية ، لا فقط في حالة نقل الثورة الى اوروبا بل من اجل هذا النقل ايضا . ان حجة «نطاق الثورة الروسية التاريخي

المحدود» لا تعني إلا إخفاء فهم محدود عند ذنبسي الاشتراكية-الديموقراطية لمهام هذه الثورة الديمقراطية ولدور البروليتاريا الطليعي في هذه الثورة !

من الاعتراضات على شعار «ديكتاتورية البروليتاريا والفلاحين الديمقراطية الثورية» الاعتراض القائل بان الديكتاتورية تفترض «وحدة الارادة» («الايسكرا» العدد ٩٥) في حين انه لا يمكن ان تكون هناك وحدة ارادة بين البروليتاريا والبرجوازية الصغيرة ان هذا الاعتراض لا أساس له ، لأنه يرتكز على تفسير مجرد «ميثافيزيائي» لمفهوم «وحدة الارادة» فالارادة قد تكون واحدة من وجهة النظر هذه وقد لا تكون واحدة من وجهة النظر تلك ان انعدام الوحدة في مسائل الاشتراكية وفي النضال من اجل الاشتراكية لا ينفي وحدة الارادة في قضايا الديمقراطية وفي النضال من اجل الجمهورية ونسيان هذا الامر انما يعني نسيان الفرق المنطقي والتاريخي بين الانقلاب الديمقراطي والانقلاب الاشتراكي ونسيان هذا الامر انما يعني نسيان صفة الانقلاب الديمقراطي الشعبية الشاملة فاذا كان الانقلاب «شعبياً شاملاً» فهذا يعني ان وحدة الارادة متوفرة بقدر ما يستجيب هذا الانقلاب لحاجات الشعب بأسره ولمطالبه وخارج حدود الديمقراطية لا يبقى ثمة مجال لمسألة وحدة الارادة بين البروليتاريا والبرجوازية الفلاحية ان النضال الطبقي بينهما أمر محتم ولكن هذا النضال سيكون في مجال الجمهورية الديمقراطية اوسع واعمق نضال شعبي في سبيل الاشتراكية ان ديكتاتورية البروليتاريا والفلاحين الديمقراطية الثورية لها ماض ومستقبل ككل ما هو موجود في العالم وماضيها هو الاوتوقراطية والقنانة والملكية والامتيازات . وفي غمرة النضال ضد هذا الماضي ، في النضال

ضد اعداء الثورة تكون «وحدة الارادة» بين البروليتاريا والفلاحين
أمراً ممكناً ، لأن هناك وحدة مصالح
اما مستقبلها فهو النضال ضد اللئكية الخاصة هو
نضال العامل الأجير ضد رب العمل هو النضال في سبيل
الاشتراكية وهنا تستحيل وحدة الارادة * هنا لا نرى امامنا
الطريق الذي يقود من الاوتوقراطية الى الجمهورية بل الطريق
الذي يؤدي من الجمهورية الديمقراطية البرجوازية الصغيرة الى
الاشتراكية

أكيد ان عناصر الماضي والمستقبل تتشابك في وضع
تاريخي ملموس وتختلط الطريقتان فالعمل المأجور ونضاله
ضد الملكية الخاصة موجودان ايضاً في ظل الاوتوقراطية بل ان
العمل المأجور يولد في عهد القنانة ولكن ذلك لا يمنعنا أبداً
عن التمييز من وجهة النظر المنطقية والتاريخية بين مراحل
التطور الكبيرة ألا نعارض جميعاً الثورة البرجوازية بالثورة
الاشتراكية ؟ ألا نلحّ جميعاً دون تحفظ على ضرورة التمييز
بينهما بكل دقة وصرامة ؟ والحال هل يمكن النكران ان عدداً
من العناصر الجزئية الخاصة من هذا الانقلاب او ذاك يتشابك في
التاريخ ؟ ألم تعرف اوروبا شتى الحركات الاشتراكية والمحاولات
الاشتراكية في عهد الثورات الديمقراطية ؟ اوما يزال امام الثورة
الاشتراكية المقبلة في اوروبا ان تنجز الكثير الكثير من الامور في
اتجاه الديمقراطية ؟

ينبغي على الاشتراكي-الديموقراطي ألا ينسى ابداً في اي
حال من الاحوال حتمية النضال الطبقي الذي تخوضه البروليتاريا

* ان تطور الرأسمالية ، الذي سيتسع ويتسارع في ظروف الحرية ،
لا بد له ان يضع حداً عاجلاً لوحدة الارادة ، وبسرعة تزداد بقدر ما يتسارع
سحق الرجعية واعداء الثورة .

في سبيل الاشتراكية وضد البرجوازية والبرجوازية الصغيرة ، مهما كانتا عليه من نزعة ديموقراطية وجمهورية ذلك أمر لا يقبل الجدل ولذا كان من الضروري حتماً وجود حزب اشتراكي-ديموقراطي متميز ومستقل ، مشبع بالروح الطبقي الصرف ولذا كان ما تتصف به من طابع موقت فكرتنا القائلة بان «نضرب سوية» مع البرجوازية ، ولذا كان من الواجب مراقبة «الحليف كأنه عدو» ، عن كذب ، الخ كل ذلك ايضاً لا يمكن له ان يثير اي شك ولكننا نكون سخفاء ورجعيين اذا استنتجنا من ذلك انه ينبغي لنا ان ننسى أو نتجاهل أو نحقر المهمات الملحة في الوقت الحاضر حتى ولو كانت عرضية موقته ان النضال ضد الاوتوقراطية هو بالنسبة للاشتراكيين ، مهمة عرضية ، موقته ، ولكن تجاهل هذه المهمة أو ازدياءها انما يعينان خيانة الاشتراكية وخدمة الرجعية ان ديكتاتورية البروليتاريا والفلاحين الديموقراطية الثورية ليست ، بلا جدال ، سوى مهمة عرضية ، موقته ، بالنسبة للاشتراكيين بيد انه من باب الرجعية على وجه الضبط تجاهل هذه المهمة في عصر الثورة الديموقراطية

ينبغي طرح المهمات السياسية الملموسة في وضع ملموس فكل شيء نسبي ، كل شيء يمضي كل شيء يتغير ان الاشتراكية-الديموقراطية الالمانية لا تسجل مطلب الجمهورية في برنامجها فالوضع في المانيا يرتدي شكلاً قد لا يمكن معه ان يصار عملياً الى فصل هذه المسألة عن مسألة الاشتراكية (رغم ان انجلس قد حذر عام ١٨٩١ في ملاحظاته حول مشروع برنامج أرفورت وبالنسبة لالمانيا ايضاً من خطر استئصال دور الجمهورية ودور النضال في سبيل الجمهورية (١٩١)) اما في صلب الاشتراكية-الديموقراطية الروسية فانه لم ترد حتى مسألة ازالة مطلب الجمهورية من البرنامج ومن اعمال التحريض ،

اذ لا يمكن حتى ان ترد عندنا مسألة قيام صلة وثيقة لا يمكن فصم عراها بين قضية الجمهورية وقضية الاشتراكية ان الاشتراكي-الديموقراطي الالمانى الذي لا يضع عام ١٨٩٨ في المرتبة الاولى ، مسألة الجمهورية بصورة خاصة ، هو ظاهرة طبيعية ، لا تثير الدهشة ولا اللوم اما الاشتراكي-الديموقراطي الالمانى الذي طرح جانباً مسألة الجمهورية عام ١٨٤٨ فانه كان بكل بساطة خائناً للثورة . ليس ثمة حقيقة مجردة . فالحقيقة هي ملموسة ابداً سيأتي يوم ينتهي فيه النضال ضد الاوتوقراطية الروسية ويولتي فيه عهد الثورة الديمقراطية بالنسبة لروسيا واذ ذاك سيكون من المضحك حتى التحدث عن «وحدة الارادة» بين البروليتاريا والفلاحين وعن الديكتاتورية الديمقراطية الخ اذ ذاك سنفكر مباشرة بديكتاتورية البروليتاريا بديكتاتوريتها الاشتراكية ، وتحدث عنها بمزيد من التفصيل اما اليوم فان حزب الطبقة الطليعية لا يستطيع ألا يعمل بأعظم العزيمة في سبيل انتصار الثورة الديمقراطية الحاسم على القيصرية وهذا الانتصار الحاسم ليس سوى ديكتاتورية البروليتاريا والفلاحين الديمقراطية الثورية

ملاحظة .

١ - نذكر القارئ بان «الايسكرا» قد استشهدت فيما استشهدت به في جدالها مع «فيريود» برسالة كتبها انجلس الى توراتي وحذر فيها زعيم الاصلاحيين الايطاليين (المقبل) بالآ يخلط بين الثورة الديمقراطية والثورة الاشتراكية وقد كتب انجلس بصدد الوضع السياسى فى ايطاليا عام ١٨٩٤ ان الثورة المقبلة فى ايطاليا ستكون ثورة برجوازية صغيرة ديموقراطية لا اشتراكية . وكانت «الايسكرا» تلوم «فيريود» على انحرافها عن

المبدأ الذي اقرّه انجلس غير انه لم يكن لهذا اللوم اي اساس
اذ ان «فبريود» (العدد ١٤) اعترفت بصورة عامة بصحة
نظرية ماركس حول الفرق بين القوى الرئيسية الثلاث في ثورات
القرن التاسع عشر * وتقول هذه النظرية أنه ضد النظام القديم ،
ضد الاوتوقراطية ضد الاقطاعية ضد القنانة تهبّ ١ -
البرجوازية الكبيرة الليبرالية ٢ - البرجوازية الصغيرة
الراديكالية ٣ - البروليتاريا فالقوة الاولى تخوض النضال في
سبيل الملكية الدستورية فقط والقوة الثانية تخوض النضال في
سبيل الجمهورية الديمقراطية والقوة الثالثة تخوض النضال في
سبيل الانقلاب الاشتراكي ان الافلاس السياسي يتهدد الاشتراكي
الذي يخلط بين النضال البرجوازي الصغير في سبيل الانقلاب
الديموقراطي الكامل وبين النضال البروليتاري في سبيل الثورة
الاشتراكية وتحذير ماركس هذا صحيح اطلاقاً ولكن لهذا
السبب بالذات كان شعار «الكومونات الثورية» خاطئاً لأن
الكومونات التي يعرفها التاريخ قد خلطت بالضبط بين الانقلاب
الديموقراطي والانقلاب الاشتراكي اما شعارنا ديكتاتورية
البروليتاريا والفلاحين الديمقراطية الثورية فانه بالعكس
يضمننا تماماً من الوقوع في هذا الخطأ فان شعارنا يقر كشيء
أكيد بالطابع البرجوازي الذي تتصف به ثورة تعجز عن الخروج
مباشرة من نطاق الانقلاب الديموقراطي الصرف ، ويدفع هذا الانقلاب
المعين الى الامام ويقصد جهده ان يعطي هذا الانقلاب أفضل
الاشكال الملائمة للبروليتاريا وهو يقصد بالتالي ان يستخدم
الانقلاب الديموقراطي الى أقصى حدّ بغية تأمين النجاح على وجه
أفضل لنضال البروليتاريا المطرد في سبيل الاشتراكية

* راجع مقال لينين «الاشتراكية-الديموقراطية والحكومة الثورية
الموقته» . الناشر .

١١ - مقارنة خاطفة بين بعض قرارات المؤتمر الثالث لح ع ا د ر و«المجلس العام»

ان مسألة الحكومة الثورية الموقته تشغل مكان الصدارة بين المسائل التكتيكية التي تواجه الاشتراكية الديمقراطية في الوقت الحاضر وليس من الممكن ولا من الضروري بحث قرارات المجلس العام الاخرى بمثل هذا الاسهاب انما نكتفي بان نشير بايجاز الى بعض النقاط التي تؤكد الخلاف المبدئي المبحوث اعلاه فيما يخص الاتجاه التكتيكي لقرارات المؤتمر الثالث لح ع ا د ر وقرارات المجلس العام (الكونفيرانس)

خذوا مسألة الموقف من تكتيك الحكومة عشية الانقلاب عن هذه المسألة تجدون ايضاً جواباً كاملاً منسجماً في قرار المؤتمر الثالث لح ع ا د ر فان هذا القرار يأخذ بالحسبان كل تنوع الاوضاع والمهمات في هذه الفترة الخاصة فضح نفاق التنازلات الحكومية واستخدام «الاشكال الكاريكاتورية للتمثيل الشعبي» وتطبيق المطالب الملحة للطبقة العاملة (يوم العمل من ثماني ساعات اولاً) تطبيقاً ثورياً واخيراً الرد على المئة السود اما في قرارات المجلس العام فالمسألة مبعثرة في عدة فصول فان «الرد على قوى الرجعية السوداء» لا يرد إلا في عرض حيثيات القرار حول الموقف من الاحزاب الاخرى والاشترك في الانتخابات الى المؤسسات التمثيلية مبحوث بصورة منفصلة عن «مساومات» القيصرية مع البرجوازية وبدلاً من الدعوة الى تطبيق يوم العمل من ثماني ساعات بالطريق الثوري هناك قرار خاص بعنوان مدو «حول النضال الاقتصادي» لا يفعل غير ان يردد (بعد كلمات طنانة وغير معقولة أبداً حول «مكان الصدارة الذي تشغله المسألة العمالية في الحياة الاجتماعية الروسية») الشعار القديم القائل

بالتحريض من أجل «تطبيق يوم العمل من ثماني ساعات بالطريق التشريعي» ان نقص وتأخر هذا الشعار في الظرف الراهن بديهيان الى حد اننا لسنا بحاجة الى تقديم البرهان عنهما فيما يتعلق بالعمل السياسي السافر ان المؤتمر الثالث يأخذ بالحسبان التعديل الجلودى المقبل لنشاطنا فلا يمكن في أي حال من الاحوال اغفال النشاط السري وتطوير الجهاز السري فان هذا الاغفال يخدم مآرب البوليس ويفيد الحكومة اكثر ما يمكن ولكنه لا يمكن الامتناع عن التفكير منذ الآن بعمل سافر ايضاً يجب تحضير اشكال هذا العمل المعقولة دون اي ابطاء ولذا يجب لهذا الغرض ، اعداد اجهزة خاصة ، اقل سرية يجب استخدام الجمعيات العلنية وشبه العلنية وتحويلها قدر الامكان الى نقاط ارتكاز لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا العلني المقبل

وهنا ايضاً يقسم المجلس العام المسألة دون ان يصوغ اي شعار كامل وهنا يبرز على الأخص التفويض المضحك الذي اعطي للجنة التنظيمية بالحرص على «تشغيل» الصحافيين العلنيين وهناك قرار سخيف حقاً يقول بـ«اخضاع الصحف الديموقراطية التي تستهدف مساعدة الحركة العمالية لتأثيرها» وهذا ما تستهدفه جميع صحفنا الليبرالية العلنية التي تنتسب جميعها تقريباً الى ميل «اوسفوبوجدينييه» فلماذا لا تبدأ هيئة تحرير «الايسكرا» باتباع نصيحتها بالذات ولا تبين لنا عن سبيل المثال كيف يجب اخضاع «اوسفوبوجدينييه» للتأثير الاشتراكي-الديموقراطي ؟ وبدلاً من شعار استخدام الجمعيات العلنية قصد انشاء نقاط ارتكاز للحزب ، يقدمون لنا اولاً نصيحة خاصة لا تتعلق إلا بالجمعيات «المهنية» (الزامية اشتراك اعضاء الحزب فيها) ، وثانياً نصيحة تتعلق بقيادة «منظمات العمال الثورية» ،

اي «المنظمات غير المتبلورة» اي «النوادي العمالية الثورية» كيف أمكن ان صُنفت «النوادي» في عداد المنظمات غير المتبلورة ؟ ثم اي هي هذه «النوادي» ؟ الله أعلم وبدلاً من توجيهات واضحة ودقيقة صادرة عن هيئة الحزب العليا يتحفوننا برؤوس اقلام ومسودات من افكار بعض الكتاب ولا تقع عيوننا هنا على اية لوحة كاملة عن بداية انتقال الحزب الى قاعدة اخرى تماماً في كامل نشاطه

كذلك يختلف مؤتمر الحزب والمجلس العام اختلافاً كبيراً في وضع «المسألة الفلاحية» فقد وضع المؤتمر قراراً عن «الموقف من الحركة الفلاحية» ووضع المجلس العام قراراً عن «العمل بين الفلاحين» في القرار الاول توضع في المرتبة الاولى مهام قيادة كل هذه الحركة الديمقراطية الثورية الواسعة في مصلحة نضال الامة بأسرها ضد القيصرية وفي القرار الثاني تقتصر القضية على «العمل» في صفوف فئة خاصة من السكان في القرار الاول يصاغ شعار التحريض العملي الاساسي العمل فوراً على تنظيم لجان فلاحية ثورية من اجل تطبيق جميع التحولات الديمقراطية وفي القرار الثاني يجب «مطالبة» الجمعية التأسيسية «بتأسيس لجان» لماذا يترتب علينا اطلاقاً انتظار هذه الجمعية التأسيسية ؟ وهل تكون تأسيسية فعلاً ؟ هل تكون متينة وطيدة دون تشكيل اللجان الفلاحية الثورية مسبقاً وفي آن واحد ؟ لقد أغفل المجلس العام بحث كل هذه المسائل فان جميع قراراته مطبوعة بطابع هذه الفكرة العامة التي تتبعنا اثرها ، والتي تقول انه لا يجب علينا ان نقوم في الثورة البرجوازية إلا بعملنا الخاص دون ان نستهدف قيادة مجمل الحركة الديمقراطية ولا القيام بها بصورة مستقلة وكما كان «الاقتصاديون» ينزلون دائماً الى هذا الاتجاه : للاشترائيين-

الديموقراطيين النضال الاقتصادي ولليبيراليين النضال السياسي، كذلك ينزلق الايسكريون الجدد في كل محاكماتهم الى الاتجاه التالي لنا ، مكان متواضع بالاحرى على هامش الثورة البرجوازية؛ وللبرجوازية ، تحقيق هذه الثورة بنشاط

وأخيراً لا يمكن لنا ألا نتناول القرارين بشأن الموقف من الاحزاب الاخرى ان قرار المؤتمر الثالث ل ح ع ا د ر يقول بفضح كل ضيق افق وكل نقص في الحركة التحريرية البرجوازية دون ان تتخلله هذه الرغبة الساذجة في تعداد جميع الظاهرات الممكنة لضيق الافق هذا بين مؤتمر وآخر وفي اقامة خط فاصل بين البرجوازيين الطيبين والبرجوازيين الاردياء اما المجلس العام فانه يكرر خطأ ستاروفر ويصرّ على استقصاء هذا الخط الفاصل ويطور نظرية «ورق التعريف الكيميائي» الشهيرة

لقد انطلق ستاروفر من فكرة طيبة جداً عرض شروط اقسى على البرجوازية ولم ينس إلا شيئاً واحداً وهو ان كل محاولة للفصل مسبقاً بين الديمقراطيين البرجوازيين الذين يستحقون التحبيذ التفاهم الخ وبين الديمقراطيين البرجوازيين الذين لا يستحقون ذلك تؤول الى «صيغة» يطيح بها مجرى الحوادث فوراً وتزرع البلبلة في وعي البروليتاريا الطبقي ان مركز الثقل ينتقل من الوحدة الفعلية في النضال الى البيانات والوعود والشعارات وقد اعتبر ستاروفر ان «الاقتراع العام المتساوي، المباشر السري» هو هذا الشعار الرئيسي ومرّ أقل من سنتين، واذا «ورق التعريف الكيميائي» يثبت انه لا يجدي فتيلاً فاستعار جماعة «اوسفوبوجدينييه» شعار الاقتراع العام دون ان يقترحوا مع ذلك اطلاقاً من الاشتراكية-الديموقراطية بل سعوا بالعكس الى تضليل العمال وصرّهم عن الاشتراكية بهذا الشعار بالضبط

والآن يضع الايسكريون الجدد «شروطاً اقسى» ايضاً ؛ فهم

«يطالبون» اعداء القيصريّة «بتأييد كل عمل حازم من جانب البروليتاريا المنظمة تأييداً قاطعاً لا لبس فيه ولا ابهام (١٩)» الخ بما في ذلك «الاشتراك النشيط في تسليح الشعب نفسه بنفسه» وهكذا رسم الخط الفاصل في مكان أبعد بصورة محسوسة ومع ذلك فان هذا الخط قد ولىّ زمنه من جديد فقد غدا فوراً غير صالح لماذا لا يرد مثلا شعار الجمهورية ؟ اي تفسير لكون الاشتراكيين-الديموقراطيين «يطالبون» الديموقراطيين البرجوازيين من اجل «حرب ثورية لا هوادة فيها ضد جميع أسس نظام الملكيّة والفئات المغلقة المميزة» بكل ما يمكن ولا يمكن ، باستثناء النضال في سبيل الجمهورية ؟ وان لا يكون هذا السؤال مجرد مباحة ان يكون لخطا الايسكريين الجدد مغزى سياسي في منتهى الحيوية فهذا ما يدل عليه «اتحاد تحرير روسيا» (راجع العدد ٤ من «بروليتاري») * ان «اعداء القيصريّة» هؤلاء سيستجيبون تماما لجميع «الشروط» التي وضعها الايسكريون الجدد ولكننا بينا ان روح «اوسفوبوجدينييه» يسود في برنامج (او في عدم وجود برنامج) «اتحاد تحرير روسيا» هذا وان جماعة «اوسفوبوجدينييه» يستطيعون بسهولة ربط هذا «الاتحاد» في ذيل عربتهم غير ان المجلس العام يعلن في نهاية قراره ان «الاشتراكية-الديموقراطية ستواصل الكفاح ضد جميع الاحزاب السياسية التي ترفض تحت

* تضمن العدد ٤ من «بروليتاري» ، الصادر في ٤ حزيران (يونيو) ١٩٠٥ ، مقالا طويلا عنوانه «اتحاد عمالي ثوري جديد» وقد عرض هذا المقال فحوى نداءات هذا الاتحاد الذي تسمى باسم «اتحاد تحرير روسيا» واستهدف عقد الجمعية التأسيسية ، بواسطة الانتفاضة المسلحة ثم حدد المقال موقف الاشتراكية-الديموقراطية من هذه الاتحادات الاحزبية واننا نهمل كليا الى اي حد كان هذا الاتحاد فعليا وما حدث له ابان الثورة . (ملاحظة لينين لطبعة ١٩٠٧ . الناشر .)

راية الليبرالية والديموقراطية ان تؤيد فعلاً نضال البروليتاريا الثوري باعتبار هذه الاحزاب صديقة منافقة للشعب» ان «اتحاد تحرير روسيا» لا يمتنع عن اداء هذا التأييد بل يعرضه بحزم فهل في هذا ضمانا بان زعماءه ليسوا «اصدقاء منافقين للشعب» ، رغم انهم من جماعة «اوسفوبوجدينييه» ؟

وانتم ترون ان الايسكرين الجدد يضعون أنفسهم دفعة واحدة في وضغ يدعو الى الهزء اذ يدبجون سلفاً «شروطاً» ويعرضون «مطالب» مضحكة بسبب من عجزها الذي يريد ان يظهر رهيباً ان شروطهم ومطالبهم تبدو ناقصة ما ان يراد حسابان الحساب للواقع الحي وعبثاً يركضون وراء الصيغ لانه ليس ثمة من صيغة تستطيع ان تستدرك جميع ظاهرات النفاق والتذبذب وضيق الافق لدى الديموقراطية البرجوازية فليس المقصود «ورق التعريف الكيميائي» ولا الصيغ ولا المطالب الخيطة والمطبوعة ولا الحد الفاصل المقام سلفاً بين «اصدقاء الشعب» المنافقين او المخلصين انما المقصود وحدة النضال الفعلية والانتقاد الدائب الذي يتعين على الاشتراكيين-الديموقراطيين ان يخضعوا له كل خطوة «مترددة» تخطوها الديموقراطية البرجوازية ان ما ينبغي «لرص جميع القوى الاجتماعية التي يهملها امر التحويل الديموقراطي لرصها فعلاً» ليس تدبيج «فقرات» كتلك التي دبجها المجلس العام بفائق الحمية ولكن عبثاً بل معرفة صياغة شعارات ثورية حقاً ولهذا الغرض تنبغي شعارات ترفع البرجوازية الثورية والجمهورية الى مستوى البروليتاريا بدلاً من ان تنزل بهمات البروليتاريا الى مستوى البرجوازية الملكية لهذا الغرض ينبغي الاشتراك في الانتفاضة بأشد العزم لا احابيل السفسطائيين المتزمتين الذين يتهربون من هذه المهمة الملحة ، مهمة الانتفاضة المسلحة .

١٢ - هل يتقلص مدى الثورة الديمقراطية إذا انصرفت البرجوازية عنها ؟

كنا كتبنا ما سبق حين تلقينا القرارات التي اتخذها المجلس العام للايسكريين الجدد في القفقاس ونشرتها «الايسكرا» Pour la bonne bouche (من اجل الخاتمة الطيبة) ما كان بإمكاننا ان نتصور وثائق خيراً من هذه القرارات .

تلاحظ هيئة تحرير «الايسكرا» بصواب قائلة «فيما يخص مسألة التكتيك الاساسية توصل المجلس العام في القفقاس الى قرار مهمائل» (بالفعل !) «للقرار الذي اتخذته المجلس العام في عامه روسيا» (اي الايسكري الجديد) «اما مسألة موقف الاشتراكية- الديمقراطية من الحكومة الثورية الموقته فقد حلها رفاق القفقاس بمعنى الانكار التام للطريقة الجديدة التي تروجها فرقة «فبريود» ويروجها مندوبو المؤتمر المزعوم الذين انضموا اليها» «يجب الاقرار بان الصيغة التي اعطاها المجلس العام عن تكتيك الحزب البروليتاري في الثورة البرجوازية صيغة موفقة جداً»

ما هو صحيح ، صحيح وما من أحد كان بوسع ان يصوغ خطأ الايسكريين الجدد الرئيسي بمزيد من «التوفيق» واننا لنورد هذه الصيغة بنصها الكامل مشيرين بين معترضتين الى الزهور اولاً ، ثم الى الفواكه المعروضة في النهاية
قرار المجلس العام للايسكريين الجدد المنعقد في القفقاس بشأن الحكومة الموقته

«ان المجلس العام اعتباراً منه ان مهمته تنحصر في الاستفادة من المرحلة الثورية من اجل تعميق» (طبعاً ! ومن المستحسن ان يضاف التعميق على طريقة مارتينوف !) «وعى البروليتاريا الاشتراكي-الديموقراطي» (فقط من اجل تعميق الوعي،

لا من اجل الظفر بالجمهورية ؟ اي فهم «عميق» للثورة ! «ورغبة منه في ان يضمن للحزب الحرية التامة في نقد النظام السياسي البرجوازي بسبيل التكوين» (ان ضمان الجمهورية لا يخصنا ! انما يخصنا فقط ضمان حرية النقد ان الافكار الفوضوية تستتبع لغة فوضوية النظام «السياسي البرجوازي» !) «يعارض تأليف حكومة مؤقتة اشتراكية-ديموقراطية والاشترك في هذه الحكومة» (تذكروا القرار الباكونيني (١٩٢) الذي اورده انجلس والذي اتخذ قبل الثورة الاسبانية بعشرة اشهر راجع العدد ٣ من «بروليتاري» (١٩٣)) «وهو يعتبر ان من الاصوب ممارسة ضغط من الخارج» (من القاعدة لا من القمة) «على الحكومة المؤقتة البرجوازية بغية اشاعة الديموقراطية في النظام السياسي قدر الامكان (٩!) ويرى المجلس العام ان تأليف حكومة مؤقتة من جانب الاشتراكيين-الديموقراطيين او دخولهم في هذه الحكومة من شأنه ان يؤدي من جهة الى انفصال الجماهير البروليتارية الغفيرة عن الحزب الاشتراكي-الديموقراطي الذي خيَّب آمالها لأن الاشتراكية-الديموقراطية لن تستطيع رغم الاستيلاء على الحكم ان تلبي الحاجات الحيوية للطبقة العاملة طالما لم تحقق الاشتراكية» (الجمهورية ليست حاجة حيوية ان واضعي القرار لا يلاحظون لسذاجتهم انهم يستعملون لغة فوضوية صرفاً كأنهم ينكرون ضرورة الاشتراك في الثورات البرجوازية !) «ومن شأنه ، من جهة اخرى ان يجبر الطبقات البرجوازية على الانصراف عن قضية الثورة ، ويقلص بالتالي مدى الثورة» .

هنا بيت القصيد هنا تختلط الافكار الفوضوية (كما هي الحال دائماً عند برنشتيني اوروبا الغربية ايضاً) مع الأنتهازية في أقصى مظاهرها فكروا اذن الامتناع من الدخول في الحكومة المؤقتة لأن هذا الدخول من شأنه ان يجبر البرجوازية على

الانصراف عن قضية الثورة ويقلص بالتالي مدى الثورة ولكن
 السننا هنا امام الفلسفة الايسكرية الجديدة بكليتها بمظهر نقى
 ومنطقي بما ان الثورة برجوازية فيجب علينا ان ننحني امام
 الابتذال البرجوازي ونصدّره المقام واذا سرنا ولو جزئياً
 ولو دقيقة على هدى هذه الفكرة القائلة ان اشتراكنا قد يحمل
 البرجوازية على الانصراف أفلا نتنازل كلياً عن الزعامة في الثورة
 للطبقات البرجوازية ؟ اننا بهذا نضع البروليتاريا كلياً تحت
 وصاية البرجوازية (محتفظين بكامل «حرية النقد» !!) مجبرين
 البروليتاريا على التزام جانب الاعتدال والوداعة لكي لا تنصرف
 البرجوازية ونخصي أشد حاجات البروليتاريا حيوية حاجاتها
 السياسية على وجه الدقة التي لم يفهمها قط «الاقتصاديون»
 وخلفائهم نخصيها لكي لا تنصرف البرجوازية وننتقل كلياً من
 مجال النضال الثوري ، في سبيل تطبيق الديمقراطية ضمن الحدود
 الضرورية للبروليتاريا ، الى مجال الصفقات مع البرجوازية. ونخون
 مبادئنا نخون الثورة لكي نشترى من البرجوازية موافقتها الحرة
 («لكي لا تنصرف»)

لقد استطاع الايسكريون الجدد في القفقاس ان يعبروا
 بسطرين صغيرين عن كل جوهر تكتيك خيانة الثورة وتحويل
 البروليتاريا الى ذيل حقير للطبقات البرجوازية وهكذا فان الميل
 الذي استخلصناه أعلاه من اخطاء «الايسكرا» الجديدة ينتصب
 الآن امامنا مبدأ جلياً ومحدداً في ذيل البرجوازية الملكية بما
 ان انشاء الجمهورية سيحمل (وقد حمل مثلا السيد ستروفه)
 البرجوازية على الانصراف اذن فليسقط النضال في سبيل
 الجمهورية وبما ان كل مطلب ديموقراطي تنادي به البروليتاريا
 بحزم وتسير به الى النهاية يحمل دائماً وفي كل مكان من العالم
 البرجوازية على الانصراف ، اذن ، انزواوا في جحوركم ، ايها الرفاق

العمال ولا تعملوا إلا من الخارج ولا تفكروا باستخدام أدوات النظام «السياسي البرجوازي» ووسائله من اجل الثورة وحافظوا على «حرية النقد»

هنا يتجلى الزيف الاساسي في هذه الطريقة لفهم تعبير «الثورة البرجوازية» ان الطريقة التي «يفهمه» بها مارتينوف او «الايسكر» الجديدة تفضي رأساً الى تسليم قضية البروليتاريا الى ايدي البرجوازية

ان من نسي «الاقتصادية» القديمة ان من لا يدرسها او لا يتذكرها يصعب عليه ان يدرك كذلك ما يتبقى منها اليوم تذكروا 'Credo'، («الكريبدو») (١٩٤) على طريقة برنشتين فمن الآراء والبرامج «البروليتارية الصرف» كان الجماعة يستنتجون ما يلي لنا نحن الاشتراكيين-الديموقراطيين الاقتصاد النشاط العمالي الحقيقي حرية نقد كل سياسة مبتذلة تعميق العمل الاشتراكي-الديموقراطي تعميقاً حقيقياً ولهم هم الليبراليين السياسة وقانا الله من السقوط في «الثورية» فان هذا من شأنه ان يجبر البرجوازية على الانصراف ان من يعيد قراءة «الكريبدو» بنصه الكامل او ملحق العدد ٩ من «رابوتشايا ميسل» (ايلول - سبتمبر - ١٨٩٩) يرى مجرى هذه المحاكمة بكليته

واليوم المحاكمة نفسها ولكن على نطاق واسع ومطبقة على تقدير مجمل الثورة الروسية «الكبرى» التي - ويا للاسف - يحقرها نظريو التفاهة الارثوذكسية ويهبطون بها مسبقاً الى مستوى الكاريكاتور لنا نحن الاشتراكيين-الديموقراطيين ، حرية النقد وتعميق الوعي والعمل من الخارج ولها للطبقات البرجوازية حرية العمل المجال الحر للقيادة الثورية (اقرأ : الليبرالية) ، حرية تطبيق «الاصلاحات» من القمة .

ان مبتدلي الماركسية هؤلاء لم يتأملوا قط كلمات ماركس حول ضرورة الاستعاضة عن سلاح النقد بنقد السلاح (١٩٥) وعبثاً يتذرعون باسم ماركس فهم يدجون في الواقع قرارات تكتيكية مفعمة كلياً بروح ثرثاري فرانكفورت البرجوازيين الذين كانوا ينتقدون الحكم المطلق بحرية ويعمقون الوعي الديمقراطي دون ان يدركوا ان زمن الثورة هو زمن العمل العمل من القمة ومن القاعدة في آن واحد وقد حولوا الماركسية الى سفسطة متزمتة وجعلوا من ايدولوجية الطبقة الثورية الطبيعية الاوفر تصميماً والاشد عزمًا وحزمًا ايدولوجية عناصرها الاقل تطوراً ، العناصر التي تتهرب من المهمات الديمقراطية الثورية الصعبة وتخصص هذه المهمات الديمقراطية للسادة ستروفه واضرابه

واذا انصرفت الطبقات البرجوازية عن قضية الثورة بسبب من دخول الاشتراكية-الديموقراطية في الحكومة الثورية فانها بالتالي «تقلص مدى الثورة»

فهل تسمعون ايها العمال الروس ان مدى الثورة يكون اكبر اذا ما قام بها السادة ستروفه واضرابه الذين لا يصرفهم عنها الاشتراكيون-الديموقراطيون والذين يريدون المساومة مع القيصرية لا قهرها ان مدى الثورة سيكون اكبر اذا ما تحقق المال الاول لهذه الثورة من مآليها الممكنين المرسومين اعلاه اي اذا توصلت البرجوازية المملّكية الى المساومة مع الاوتوقراطية على «دستور» من نوع شيبوفي !

ان الاشتراكيين-الديموقراطيين الذين يكتبون مثل هذه الاشياء المخزية في قرارات معدة لقيادة عموم الحزب او يؤيدون هذه القرارات «الموفقة» ، انما تعميهم سفسطة متزمتة افرغت الماركسية من كل روحها الحي ، الى حد انهم لا يلاحظون كيف تحوّل هذه

القرارات كل ما يقولونه من صحيح في مجال آخر الى جمل طنانة فارغة خذوا اي مقال من مقالاتهم المنشورة في «الايسكرا» ، خذوا حتى الكراس السبيء الصيت الذي كتبه صاحبنا الشهير مارتينوف تطالعوا حديثاً عن الانتفاضة الشعبية عن السير بالثورة الى النهاية ، عن الميل الى الاعتماد على فئات الشعب الدنيا في النضال ضد البرجوازية المتذبذبة ولكن كل هذه الاقوال الطيبة تتحول الى جملة فارغة حقيرة يرثي لها ما ان تقبلوا او تحبذوا الفكرة القائلة «تقليص مدى الثورة» من جراء انصراف البرجوازية عنها هناك أمران لا ثالث لهما ايها السادة إما انه يجب علينا ان نقوم بالثورة مع الشعب ونحرز انتصاراً تاماً على القيصرية وغمم البرجوازية المتذبذبة الانانية الجبانة واما اننا لا نقبل بهذا «الرغم» ونخشى ان «تنصرف» البرجوازية واذا ذلك نسلّم البروليتاريا والشعب الى البرجوازية الى البرجوازية المتذبذبة الانانية ، الجبانة

لا تؤولوا كلامي كما يطيب لكم ولا تزعقوا بانكم تتهمون بالخيانة عن وعي كلا فلقد كنتم تنزلقون دائماً الى المستنقع وما انتم الآن غارقون فيه بلا وعي مثل «الاقتصاديين» القدامى المتدحرجين بلا مرد ولا عودة على منحدر «تعميق» الماركسية حتى «التفلسف» ضد الثورة ، الذي لا روح فيه ولا حياة .

على اية قوى اجتماعية فعلية يتوقف «مدى الثورة» ؟ هل فكرتم بذلك ايها السادة ؟ لندع جانباً قوى السياسة الخارجية وترتيباتها في الميدان الدولي وقد اتخذت الآن طابعاً مفيداً جداً لنا ، ولكننا نحذفها كلها مع ذلك من بحثنا ونحن في ذلك على حق اذ اننا نهتم بالقوى الداخلية في روسيا انظروا الى هذه القوى الاجتماعية الداخلية فصد الثورة تقف الاوتوقراطية والبلاط ، والبوليس ، وسلك الموظفين ، والجيش ، وحفنة من

الاريسوقراطيين وكلما اشتد استياء الشعب ، صار الجيش اقل جدارة بالثقة وعظم التردد عند الموظفين لنتابع ان البرجوازية تقف الان بمجملها الى جانب الثورة فهي سخيّة بالخطب عن الحرية وتحدث أكثر فأكثر باسم الشعب بل باسم الثورة * ولكننا نحن الماركسيين نعرف جميعاً بالنظرية ونلاحظ كل يوم وكل ساعة ، من مثال اصحابنا الليبراليين الزيمستفويين وجماعة «اوسفوبوجدينييه» ، ان البرجوازية تقف الى جانب الثورة بصورة غير دائبة ومنسجمة تحركها عوامل الجشع والخوف ان سواد البرجوازية سيقف حتماً الى جانب الثورة المضادة والاوروقراطية وضد الثورة ضد الشعب ، حين تستجاب مصالحها الضيقة الانانية حين «تنصرف» عن النزعة الديمقراطية الدائبة المنسجمة الى النهاية (وهي تنصرف عنها منذ اليوم!) يبقى «الشعب» ، اي البروليتاريا والفلاحون فقط البروليتاريا تستطيع المضي بثبات الى النهاية لأنها تمضي الى ابعد من الانقلاب الديمقراطي بكثير ولهذا تسير البروليتاريا في الصفوف الاولى من النضال في سبيل الجمهورية نابذة بازدرء النصائح السخيفة التي لا تليق بها والتي تقول بحسبان الحساب لاحتمال انصراف البرجوازية وفي صفوف الفلاحين ، عناصر عديدة نصف بروليتارية الى جانب العناصر البرجوازية الصغيرة وهذا ما يجعل الفلاحين متقلقين ، هم ايضاً ويجبر البروليتاريا على التراص في حزب طبقي واضح المعالم ولكن تقلقل الفلاحين

* من الطريف بهذا الصدد ان نذكر الرسالة المفتوحة التي وجهها السيد ستروفه الى جوريس والتي نشرها جوريس مؤخراً في "L'Humanité" («لومانيتيه») (١٩٦) ونشرها السيد ستروفه في العدد ٧٢ من «اوسفوبوجدينييه» .

يختلف اختلافاً جذرياً عن تقلقل البرجوازية ، لأن الفلاحين لا يهتمون اليوم بالحفاظ المطلق على الملكية الخاصة بقدر ما يهتمون بانتزاع اراضي الملاكين العقاريين التي هي احد الاشكال الرئيسية لهذه الملكية ودون ان يصبح الفلاحون لهذا السبب اشتراكيين ، دون ان يكفوا عن ان يكونوا برجوازيين صغاراً فانهم يستطيعون ان يصبخوا من انصار الثورة الديموقراطية الحازمين ومن أشدهم تمسكاً بها وسيصبح الفلاحون كذلك حتماً اذا لم تقطع خيانة البرجوازية وهزيمة البروليتاريا عاجلاً جداً مجرى الاحداث الثورية التي تثقفهم وبهذا الشرط يصبح الفلاحون حتماً حصن الثورة والجمهورية لأن الثورة المنتصرة تماماً هي وحدها التي تستطيع ان تعطيهم كل شيء في ميدان الاصلاحات الزراعية وهي وحدها التي تستطيع ان تعطيهم كل ما يرغبون فيه ، وكل ما يحلمون به ، وكل ما هو ضروري لهم حقاً (لا من اجل القضاء على الرأسمالية ، كما يتصور «الاشتراكيون-الثوريون» ، بل) من اجل التخلص من احوال شبه القنانة ، من اجل الخروج من ظلمات الجهل والعبودية ، من اجل تحسين شروط معيشة الفلاحين قدر الامكان في نطاق الاقتصاد البضاعي

وليس ذلك كل ما في الامر فان ما يربط الفلاحين بالثورة ليست التحويلات الزراعية الجذرية وحسب بل ايضاً جميع مصالحهم العامة والدائمة بل ان الفلاحين هم بحاجة الى الديموقراطية حتى في غمرة النضال ضد البروليتاريا لأن النظام الديموقراطي وحده يستطيع ان يعبر عن مصالحهم بدقة وان يعطيهم الاولوية وهم الجمهور وهم الاكثرية وكلما ازداد الفلاحون علماً (وهم منذ الحرب مع اليابان (١٩٧) يتعلمون بسرعة لا يدركها الكثيرون ممن اعتادوا على قياس التعليم وفقاً للمقاييس المدرسية) ، ازدادوا دأباً وانسجاماً وحزمًا في الوقوف الى جانب

الانقلاب الديمقراطي الكامل لأن سيادة الشعب لا تشكل خطراً بنظرهم كما في نظر البرجوازية بل تشكل بالعكس فائدة لهم ان الجمهورية الديمقراطية ستغدو المثال الاعلى بنظرهم حين يبدأون يتحررون من النزعة المملّكية الساذجة لأن النزعة المملّكية الواعية لدى البرجوازية السمسارة (مع مجلس الشيوخ النح .) ، انما هي ، بالنسبة للفلاحين ، نفس مظاهر العبودية ونفس مظاهر الاضطهاد ونفس مظاهر الجهل ، مطلية فقط بطلاء دستوري شفاف على الطريقة الاوروبية

ولهذا فان البرجوازية بوصفها طبقة تحتمي بالطبع وبالضرورة تحت جناح الحزب المملّكي الليبرالي بينما يضع الفلاحون انفسهم بوصفهم جمهوراً تحت قيادة الحزب الثوري والجمهوري ولهذا فان البرجوازية عاجزة عن المضي بالثورة الديمقراطية الى النهاية في حين ان الفلاحين قادرون على المضي بالثورة الى النهاية فينبغي لنا ان نساعدهم في ذلك بكل قوانا

سيعترض البعض علي قائلاً ليس ثمة ما يدعو الى اثبات ذلك فهو الالفباء التي يدركها جميع الاشتراكيين-الديموقراطيين كامل الادراك كلا انهم لا يدركون ذلك هؤلاء الذين يستطيعون التحدث عن «تقلّص مدى» الثورة اذا انفصلت البرجوازية عنها ان هؤلاء القوم يرددون جملاً تعلموها من برنامجنا الزراعي دون ان يفهموا معناها وإلا لما خافوا من فكرة ديكتاتورية البروليتاريا والفلاحين الديمقراطية الثورية هذه الفكرة التي تنبثق بالضرورة من كل المفهوم الماركسي ومن برنامجنا وإلا لما قصرنا مدى الثورة الروسية الكبيرة على مدى البرجوازية ان قرارات هؤلاء القوم الملموسة المخالفة للماركسية والمناهضة للثورة تكشف تعابيرهم الثورية الماركسية المجردة

ان من يفهم حقاً دور الفلاحين في الثورة الروسية الظاهرة لن

يقول أبدأ ان مدى الثورة سيتقلص عندما تنصرف البرجوازية عن الثورة لأن نهوض الثورة الروسية الحقيقي لن يبدأ حقاً ، ولأن الثورة لن تبلغ حقاً أوسع مدى ممكن في عهد الانقلاب الديمقراطي البرجوازي إلا حين تنصرف البرجوازية وحين يضطلع جمهور الفلاحين بدور ثوري نشيط ، جنباً الى جنب مع البروليتاريا ولكي تمضي ثورتنا الديمقراطية الى النهاية بدأب وانسجام ينبغي لها ان تعتمد على قوى قادرة ان تشل تذبذب البرجوازية المحتوم (اي قادرة بالضبط «ان تجبرها على الانصراف» - وهذا ما يخشاه انصار «الايسكر» القفقاسيون لسوء تفكيرهم)

ينبغي على البروليتاريا ان تقوم بالانقلاب الديمقراطي الى النهاية ، بان تضم اليها جماهير الفلاحين ، لسحق مقاومة الاوتوقراطية بالقوة وشل تذبذب البرجوازية وينبغي على البروليتاريا ان تقوم بالانقلاب الاشتراكي بان تضم اليها جماهير العناصر نصف البروليتارية من السكان ، لسحق مقاومة البرجوازية بالقوة وشل تذبذب الفلاحين والبرجوازية الصغيرة تلك هي مهمات البروليتاريا هذه المهمات التي تعرضها جماعة «الايسكر» الجديدة بشكل بالغ الضيق في جميع محاكماتها وجميع قراراتها عن مدى الثورة

ولا ننسين طرفاً غالباً ما يغيب عن البال عند بحث هذا «المدى» لا ننسين ان المقصود هنا انما هو السبيل الذي ينبغي البحث فيه عن حل القضية والسعي الى ايجاد هذا الحل ، لا مصاعبها ان المقصود هنا انما هو الطريقة التي يجب اتباعها لتوسيع مدى الثورة لا ان نعرف ما اذا كان من السهل او الصعب جعل هذا المدى قوياً ، لا يقهر ان الخلاف ينحصر بالضبط في الطابع الاساسي للنشاط في اتجاهه بالذات واننا لنشير الى هذا الواقع لأن الناس الغافلين والناس السيئ النية يخلطون في معظم الاحيان بين

مسألتين مختلفتين مسألة الطريق الواجب سلوكها ، اي مسألة الاختيار بين طريقين مختلفتين ومسألة سهولة تحقيق الهدف او قرب تحقيقه بالطريق المختارة

ونحن لم نتطرق الى هذه القضية الاخيرة في عرضنا السابق لأنها لم تشر اي خلافات في قلب الحزب ولكنه غني عن البيان ان هذه المسألة هي بحد نفسها في منتهى الاهمية وجديرة بان تسترعي اكبر الانتباه من جانب جميع الاشتراكيين-الديموقراطيين . وانه لمن باب التفاؤل الذي لا يغفر ان ينسى المرء مدى الصعوبة لا في اجتذاب جماهير الطبقة العاملة وحسب الى الحركة ، بل ايضاً في اجتذاب جماهير الفلاحين فان هذه المصاعب هي التي احبطت اكثر من مرة الجهود الرامية الى السير بالثورة الديمقراطية الى النهاية مع العلم ان النصر كان بالدرجة الاولى للبرجوازية المتذبذبة والجشعة ، التي «استحصلت على رأسمال» - الحماية التي يؤمنها لها النظام الملكي ضد الشعب - و«صانت براءة» الليبرالية او براءة نزعة «اوسفوبوجدينييه» ولكن الصعب لا يعني المستحيل فالمهم ان يكون المرء على ثقة بانه اختار السبيل القويم وهذه الثقة تضاعف مئة مرة من العزيمة الثورية والحماسة الثورية ، اللتين تستطيعان اجتراح العجائب .

ان المقارنة بين قرار الايسكريين الجدد القفقاسيين وقرار المؤتمر الثالث لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا تظهر فوراً عمق الخلاف القائم بين الاشتراكيين-الديموقراطيين في ايماننا حول مسألة اختيار السبيل يعلن قرار المؤتمر البرجوازية متذبذبة ولا بد لها ان تحاول انتزاع مكتسبات الثورة منا ولذا استعدوا بعزم أشد للنضال ، ايها الرفاق العمال ؛ تسلحوا ، اكسبوا الفلاحين الى جانبكم اننا لن نتخلي بدون معركة عن مكتسباتنا الثورية للبرجوازية الجشعة . اما قرار الايسكريين الجدد القفقاسيين ، فهو

يقول البرجوازية متذبذبة ، وقد تنصرف عن الثورة ولذا لا تفكروا ، من فضلكم ، ايها الرفاق العمال ، بالاشتراك في الحكومة الموقته ، والا فان البرجوازية ستتنصرف بكل تأكيد عن الثورة ، فيتقلص بالتالي مدى الثورة !

بعضهم يقول ادفعوا الثورة الى امام حتى النهاية ، رغم مقاومة البرجوازية المتذبذبة او سلبيتها

وآخرون يقولون لا تفكروا في السير بانفسكم بالثورة الى النهاية ، لأن البرجوازية المتذبذبة ستتنصرف عنها في هذه الحال .
السنا امام سبيلين متضادين تماماً ؟ اليس من البديهي ان كلا من هذين التكتيكين ينفي الآخر بالضرورة ؟ اليس من البديهي ان التكتيك الاول هو التكتيك الصحيح الوحيد لدى الاشتراكية-الديموقراطية الثورية في حين ان ليس الثاني في الاساس ، سوى تكتيك بروح «اوسفوبوجدينييه» الصرف ؟

١٣ - الخاتمة هل نجرؤ على الانتصار ؟

ان الذين يلمون الماماً سطحياً بالوضع في الاشتراكية-الديموقراطية في روسيا او الذين يحكمون عليها من الخارج ، دون ان يعرفوا كل تاريخ نضالنا في داخل الحزب منذ عهد «الاقتصادية» ، يتهربون كذلك في معظم الاحيان من الخلافات التكتيكية التي توضحت الآن خطوطها جيداً وخاصة منذ المؤتمر الثالث - متذرعين فقط بوجود ميلين طبيعيين محتمين يمكن التوفيق بينهما تماماً ، في كل حركة اشتراكية-ديموقراطية احدهما كما يقال ، يؤكد بقوة على اهمية النشاط العادي الجاري اليومي على ضرورة تطوير الدعاية والتحريض وتحضير القوى وتعميق الحركة ، الخ .. والآخر

يؤكد على اهداف الكفاح على الاهداف السياسية العامة والاهداف الثورية للحركة ويشير الى ضرورة الانتفاضة المسلحة ويصوغ شعاري الديكتاتورية الديمقراطية الثورية والحكومة الثورية الموقته غير انه يجب الامتناع عن المغالاة في هذا الاتجاه وذلك فهنا وهناك (كما في كل مكان من العالم) لا يستحب التطرف
الخ الخ

بيد ان حقائق المقول العام (و«السياسي» بين هلالين مزدوجين) الرخيصة التي ترد بلا ريب في هذا النوع من المحاكمات تخفي في معظم الاحيان عدم تفهم لحاجات الحزب المباشرة لحاجاته الملحة انظروا الى الخلافات التكتيكية الحالية بين الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس غني عن البيان ان مجرد التأكيد بقوة على اهمية النشاط اليومي ، العادي ، كما تفعل جماعة «اليسكرا» الجديدة في محاكماتها حول التكتيك ، لا ينطوي بحد نفسه على اي خطر ولا يمكن ان يثير اي خلاف في الآراء حول الشعارات التكتيكية ولكنه تكفي مقارنة قرارات المؤتمر الثالث لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا بقرارات المجلس العام لكي يبرز هذا الخلاف بكل وضوح فما هو المقصود اذن ؟ المقصود اولاً ، انه لا تكفي الاشارة بصورة عامة ومجردة الى وجود تيارين في الحركة والى خطر كل مغالاة انما ينبغي ان نعرف بصورة ملموسة ما تعانیه هذه الحركة في الظرف الراهن وفيما يقوم اليوم الخطر السياسي الفعلي بالنسبة للحزب ثانياً يجب ان نعرف الى طاحونة اية قوى سياسية فعلية تحمل الماء هذه الشعارات التكتيكية او تلك ، او ربما انعدام هذه الشعارات او تلك اسمعوا اليسكريين الجدد تصلوا الى الاستنتاج التالي وهو ان الحزب الاشتراكي-الديموقراطي يتهدده خطر قوامه رمي الدعاية والتحريض والنضال الاقتصادي ونقد الديمقراطية البرجوازية الى البحر والانسياق اكثر من اللزوم وراء الاستعداد العسكري ، والهجمات المسلحة ،

والاستيلاء على السلطة الخ والواقع ان الخطر الفعلي الذي يتهدد الحزب انما يصدر من جانب آخر تماماً فان من يعرف حالة الحركة عن كثب الى هذا الحد او ذلك ، من يراقبها بانتباه وتأمل لا بد له ان يلحظ ما في مخاوف «الايسكرا» الجديدة من سخيْف ومضحك فان نشاط حزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا قد تبلور كله في قوالب متينة ثابتة تؤمن اطلاقاً تمرکز القوى على الدعاية والتحريض على الاجتماعات الخاطفة والاجتماعات الجماهيرية على توزيع المناشير والكراريس على دعم النضال الاقتصادي وترويج شعارات هذا النضال وليس ثمة لجنة من لجان الحزب ، ولا لجنة حي ولا اجتماع لممثلي منظمات القاعدة ولا فرقة مصنع لا تكرس أبداً ودائماً تسعة وتسعين بالمئة من انتباهها وقواها ووقتها لجميع هذه الوظائف التي ترسخت منذ النصف الثاني من التسعينيات والناس الغرباء كلياً عن الحركة هم وحدهم الذين لا يعرفون هذا الامر ولا يمكن لغير الناس المفرطين في السذاجة او غير المطلعين ان يصدقوا ترداد الایسکریبن الجدد برصانة ووقار للحكايات القديمة والحقیقة اننا لا ننساق ونشمتط وراء مهمات الانتفاضة ، وراء الشعارات السياسية العامة وراء قضية قيادة الثورة الشعبية بمجملها وليس هذا وحسب بل بالعكس فان تأخرنا في هذا الصدد بالضبط بارز جداً للعيان ويشكل أضعف نقطة عندنا ويمثل خطراً فعلياً تتعرض له الحركة التي قد تنتكس - وهي تنتكس هنا وهناك - من حركة ثورية بالفعل الى حركة ثورية بالقول وبين المئات والمئات من المنظمات والفرق والحلقات التي تقوم بعمل الحزب لن تجدوا واحدة لا تبذل منذ تأسيسها بالذات النشاط اليومي الذي يحدثنا عنه حكماء «الایسکرا» الجديدة بلهجة اناس اكتشفوا حقائق جديدة . ولكنكم لن تجدوا ، على

العكس ، سوى نسبة مئوية زهيدة من الفرق والحلقات التي ادركت مهمات الانتفاضة المسلحة وعمدت الى تنفيذ هذه المهمات وتعي ضرورة قيادة الثورة الشعبية بمجملها ضد القيصرية وضرورة صياغة هذه الشعارات الطبيعية لهذا الغرض ، لا تلك اننا نتأخر الى حد لا يصدق عن المهام الطبيعية الثورية حقاً ونحن لم ندركها بعد في كثرة من الحالات ولم نلاحظ ان الديمقراطية البرجوازية الثورية قد استغلت هنا وهناك تأخرنا في هذا الميدان وترسخت ولكن كتاب «اليسكرا» الجديدة يولون ظهورهم لتطور الاحداث ولضرورات الزمن ويكررون بعناد قائلين لا تنسوا القديم لا تنساقوا وراء الجديد ! هذه هي اللازمة الاساسية الدائمة لكل قرارات المجلس العام الجهورية بينا تقرأون ايضاً ابدأ ودائماً في قرارات المؤتمر تأكيداً للقديم (الذي لا نلوكه لأنه على وجه الدقة قديم ومحلول ومثبت في كتاباتنا وقراراتنا وتجربتنا) نطرح مهمة جديدة ونلفت اليها الانتباه ونصوغ شعاراً جديداً ونطالب الاشتراكيين-الديموقراطيين الثوريين حقاً بالعمل فوراً على تطبيقه هكذا تبدو في الواقع مسألة التيارين في تكتيك الاشتراكية الديمقراطية ولقد طرح العهد الثوري مهمات جديدة العميان كلياً وحدهم لا يلحظونها وهذه المهمات انما يعترف بها بعض الاشتراكيين-الديموقراطيين بعزم ويسجلونها في جدول الاعمال قائلين ان الانتفاضة المسلحة لا تقبل أي تأجيل فاستعدوا لها دون ابطاء وبكل عزيمة واذكروا انها ضرورية للنصر الحاسم وصوغوا شعارات الجمهورية والحكومة الموقته وديكتاتورية البروليتاريا والفلاحين الديمقراطية الثورية وهناك اشتراكيون-ديموقراطيون آخرون يتقهقرون ويراهون يكتبون مقدمات بدلاً من ان يصوغوا الشعارات ، ويلوكون القديم طويلاً وبصورة مملة

بدلاً من ان يؤكده ويشيروا علاوة على ذلك الى الجديد ويخترعون الاحابيل للتملص من الجديد ولا يعرفون كيف يحددون الشروط للانتصار الحاسم ولا يعرفون كيف يصوغون الشعارات التي تستجيب وحدها للطموح الى احراز الانتصار التام

ان النتيجة السياسية لهذه الذنبية ظاهرة للعيان عندنا ان خرافة التقارب بين «اغلبية» (البلاشفة) حزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا وبين الديموقراطية البرجوازية الثورية لا تزال خرافة ولم يؤكد صحتها أي واقع سياسي أي قرار مأذون به «للبلاشفة» أي وثيقة من وثائق المؤتمر الثالث لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا في حين ان البرجوازية الانتهازية الملكية التي تمثلها «اوسفوبوجدينييه» ترحب منذ زمن بعيد بالميل «المبدئية» عند «الايسكرا» الجديدة ، وتستخدم اليوم ماء هذه الميول بكل بساطة لكي تدير رحي طاحونها مستعيرة كل الكليّمات التي تقولها «الايسكرا» الجديدة كل «فكّيراتها» ضد «السرية» و«الفتنة» ضد المبالغة في الجانب «التكنيكي» من الثورة ضد صياغة شعار الانتفاضة المسلحة صياغة صريحة ، ضد «ثورية» المطالب المتطرفة ، الخ . ، الخ ان القرار الذي اتخذه مجلس عام كامل عقده في القفقاس الاشتراكيون-الديموقراطيون «المناشفة» ومصادقة هيئة تحرير «الايسكرا» الجديدة على هذا القرار يضعان بلا مواربة ولا غموض الرصيد السياسي لكل هذا الخوف من ان تنصرف البرجوازية فيما اذا اشتركت البروليتاريا في الديكتاتورية الديموقراطية الثورية وهذا كشف كل شيء وهذا ثبت نهائياً تحويل البروليتاريا الى ذيل للبرجوازية الملكية وهذا اعطى البرهان في الواقع لا بواسطة تصريح عرضي لشخص ما بل بواسطة قرار أيده بخاصة ميل بكامله ، على المفزى السياسي لذنبية «الايسكرا» الجديدة .

ان من يتأمل هذه الوقائع لا بد له ان يدرك المغزى الحقيقي لهذا الرأي الشائع القائل ان هناك جانبين ميلين في الحركة الاشتراكية-الديموقراطية ولدراسة هذين الميلين على نطاق واسع خذوا البرنشتينية فقد أكد البرنشتينيون ولا يزالون يؤكدون هذا الشيء بالضبط وهو أنهم وحدهم يدركون حاجات البروليتاريا الحقيقية ومهمات تنمية قواها وتعميق النشاط كله واعداد عناصر المجتمع الجديد والدعاية والتحريض اننا نطالب بالاعتراف صراحة بما هو موجود! - هكذا يصرح برنشتين فيكرس بتصريحه هذا «الحركة» دون «هدف نهائي» يكرس التكتيك الدفاعي وحده يروج لتكتيك التخوف هذا «الخوف من ان تنصرف البرجوازية» ان البرنشتينيين قد زعموا ايضاً بـ«عقوبية» الاشتراكيين-الديموقراطيين الثوريين و«الصحفيين» الذين لا يفهمون «المبادرة العمالية» ، الخ الخ اما في الواقع فان الاشتراكيين-الديموقراطيين الثوريين لم يفكروا قط ، كما يعرف الجميع باهمال العمل اليومي والدقيق واعداد القوى الخ الخ انما طالبوا فقط بادراك الهدف النهائي ادراكاً واضحاً بتحديد المهمات الثورية تحديداً دقيقاً وقد قصدوا رفع الفئات شبه البروليتارية وشبه البرجوازية الصغيرة الى مستوى ثورية البروليتاريا بدلاً من الهبوط بهذا المستوى الى حد الاعتبارات الانتهازية «الخوف من ان تنصرف البرجوازية» ان السؤال التالي dürfen wir siegen? «هل نجرؤ على احراز النصر؟» هل يجوز لنا ان نحرز النصر؟ أليس من الخطر علينا ان نحرز النصر؟ هل يجب علينا ان نحرز النصر؟ - قد يفصح بأشد الوضوح عن هذا التنافر بين جناح المثقفين الانتهازي وجناح البروليتاريين الثوري في الحزب وهذا السؤال الذي يبدو غريباً للوهلة الاولى قد طرح مع ذلك وكان لا بد من طرحه ، لأن الانتهازيين كانوا

يخشون الانتصار ، ويسعون الى تخويف البروليتاريا منه ويتنبؤون بعواقب الانتصار المشؤومة ويسخرون من الشعارات التي تدعو علناً الى النصر

ان الانقسام الاساسي نفسه الى ميل انتهازي مثقف والى ميل ثوري بروليتاري موجود عندنا مع هذا الفارق الجوهرى الوحيد الكبير الشأن وهو ان المقصود انقلاب ديموقراطي ، لا انقلاب اشتراكي وهذا السؤال الاخرق للوهلة الاولى «هل نجرؤ على احراز النصر؟» مطروح عندنا ايضاً فقد طرحه مارتينوف في مؤلفه «ديكتاتوريتان» الذي تنبأ لنا بالعواقب المشؤومة التي تسفر عن انتفاضة احسنا اعدادها وسرنا بها الى نهاية ناجحة تماماً وطرحته ايضاً كل كتابات الايسكريين الجدد عن الحكومة الثورية الموقته ، محاولة بدأب وحمية ولكن عبثاً ان تخلط دائماً بين اشتراك ميليران في حكومة انتهازية برجوازية وبين اشتراك فارلان (١٩٨) في حكومة ثورية برجوازية صغيرة وهذا السؤال أكده القرار «الخوف من ان تنصرف البرجوازية» ورغم ان كاوتسكي مثلاً يحاول الآن ان يتهكم زاعماً ان مناقشاتنا حول الحكومة الثورية الموقته تذكر بحكاية اقتسام جلد الدب قبل قتله ، إلا ان هذا التهكم يبين فقط كيف يتورط الاشتراكيون -الديموقراطيون حتى الاذكياء والثوريون منهم متى راحوا يتحدثون عن اشياء لا يعرفونها إلا بالقال والقيل فان الاشتراكية-الديموقراطية الالمانية ليست الآن على وشك ان تقتل الدب (ان تقوم بالانقلاب الاشتراكي) ولكن النقاش لمعرفة ما اذا كنا «سنجرؤ» على قتله يتسم باهمية بالغة مبدئية وسياسية عملية ان الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس ليسوا الآن على وشك ان يصبح في مقدورهم «قتل دبههم» (القيام بالانقلاب الديموقراطي) ولكن مسألة معرفة ما اذا كنا «سنجرؤ» على قتله

ترتدي أهمية قصوى بالنسبة لكل مستقبل روسيا وبالنسبة لمستقبل الاشتراكية-الديموقراطية الروسية فلا مجال للتفكير بجمع جيش بعزيمة ونجاح ، وقيادته ، اذا لم نكن على اقتناع باننا «سنجرؤ» على احراز النصر

خذوا «اقتصاديينا» القدامى لقد كانوا هم ايضا يزعقون بان خصومهم متآمرون يعقوبيون (راجع «رابوتشيه ديلو» ولا سيما العدد ١٠ وخطاب مارتينوف في المؤتمر الثاني اثناء المناقشات حول البرنامج) بان خصومهم ينفصلون عن الجماهير بانغماسهم في السياسة بانهم ينسون أسس الحركة العمالية بانهم لا يحسبون الحساب «للمبادرة العمالية» ، الخ ، الخ ولكن انصار «المبادرة العمالية» هؤلاء كانوا في الواقع مثقفين انتهازيين يفرضون على العمال مفهوم الضيق والتافه عن مهمات البروليتاريا اما في الواقع فان اخصام «الاقتصادية» - وبوسع كل امرئ ان يقتنع بهذا من مثال «الايسكرا» القديمة - لم يهملوا ولم يضعوا في المرتبة الاخيرة اي جانب من جوانب النشاط الاشتراكي-الديموقراطي ولم ينسوا قط النضال الاقتصادي وقد عرفوا كيف يطرحون في الوقت نفسه القضايا السياسية الملحة والمباشرة كيف يطرحونها بكل مداها وعارضوا في الوقت نفسه تحويل الحزب العمالي الى ذيل «اقتصادي» للبرجوازية الليبرالية لقد تعلم «الاقتصاديون» عن ظهر قلب ان السياسة اساسها الاقتصاد و«فهموا» هذا بمعنى انه يجب الهبوط بالنضال السياسي الى مستوى النضال الاقتصادي وتعلم الايسكريون الجدد عن ظهر قلب ان الانقلاب الديموقراطي انما اساسه الاقتصادي هو الثورة البرجوازية و«فهموا» هذا بمعنى انه يجب الهبوط بالمهمات الديموقراطية للبروليتاريا الى مستوى الاعتدال البرجوازي ، الى الحد الذي «تنصرف البرجوازية» في حال تجاوزه .

وبحجة تعميق العمل بحجة المبادرة العمالية والسياسة الطبقة
 الصرف كان «الاقتصاديون» يسلمون الطبقة العاملة في الواقع الى
 ايدي الساسة البرجوازيين الليبراليين اي انهم كانوا يقودون
 الحزب في طريق تفضي موضوعياً الى هذه النهاية بالضبط
 وبالحجج نفسها يخون الايسكريون الجدد في الواقع مصالح
 البروليتاريا في الثورة الديمقراطية في صالح البرجوازية اي
 انهم يقودون الحزب في طريق تفضي ، موضوعياً الى هذه النهاية
 كان «الاقتصاديون» يعتقدون ان الدور القيادي في النضال السياسي
 يعود حقاً وصدقاً الى الليبراليين لا الى الاشتراكيين-الديمقراطيين
 ويعتقد الايسكريون الجدد ان تحقيق الثورة الديمقراطية النشيط
 ليس من شأن الاشتراكيين-الديمقراطيين بل انما هو حقاً وصدقاً
 من شأن البرجوازية الديمقراطية لأن دور البروليتاريا القيادي
 واشتراكها الراجع من شأنهما «تقليص مدى» الثورة
 وبكلمة ان الايسكريين الجدد هم خلفاء «الاقتصادية» لا من
 حيث أصلهم الذي يعود الى المؤتمر الثاني للحزب وحسب بل
 ايضاً من حيث الطريقة التي يحددون بها اليوم الاهداف التكتيكية
 للبروليتاريا في الثورة الديمقراطية وهم ايضاً يؤلفون جناح
 المثقفين الانتهازي في الحزب ففي حقل التنظيم بدأوا بفرديّة
 المثقفين الفوضوية وانتهوا «بالتشوش-التفاعل» باثباتهم في
 «النظام الداخلي» (١٩٩) الذي أقره المجلس العام انعدام الصلة
 بين المنشورات والتنظيم الحزبي والانتخابات غير المباشرة باربع
 درجات او ما شابه ونظام الاستفتاءات البونابرتية بدلاً من
 التمثيل الديمقراطي وأخيراً مبدأ «التوفيق» بين الجزء والكل
 وقد انزلقوا في المنحدر نفسه فيما يخص تكتيك الحزب فقد
 اعلنوا في «خطة حملة الزيمستفوات» ان رفع المطالب امام
 الزيمستفويين هو «النموذج الاعلى للتظاهر» ولم يروا في المسرح

السياسي (عشية ٩ كانون الثاني - يناير!) إلا قوتين نشيطتين الحكومة والديموقراطية البرجوازية و«عمقوا» مهمة التسليح الملحة مستعيزين عن الشعار المباشر والعملية بنداء الى تسليح البروليتاريا بالرغبة الحارة في التسليح وهم يشوهون ويفلون الآن في قراراتهم الرسمية مهمات الانتفاضة المسلحة والحكومة الموقته والديكتاتورية الديمقراطية الثورية «الخوف من ان تنصرف البرجوازية ان هذه النعمة الختامية في قرارهم الاخير تلقي نوراً ساطعاً على المآل الذي يقود سبيلهم الحزب اليه ان الانقلاب الديمقراطي في روسيا هو بحكم طبيعته الاقتصادية والاجتماعية ثورة برجوازية وهذه الموضوعات الماركسية الصحيحة لا يكفي مجرد ترديدها انما ينبغي ان نعرف كيف نفهمها ونعرف كيف نطبقها على الشعارات السياسية ان الحرية السياسية كلها القائمة على علاقات الانتاج الحالية اي على علاقات الانتاج الرأسمالية ، هي بوجه عام حرية برجوازية . ومطلب الحرية يعكس بالدرجة الاولى مصالح البرجوازية وقد كان ممثلوها اوائل من صاغوا هذا المطلب وفي كل مكان استغل انصارها الحرية على طريقة الاسياد وحصروها في اطار برجوازي معتدل دقيق ونسقوها مع قمع البروليتاريا الثورية ، قمعاً في منتهى الرقة في زمن السلم وفي منتهى الفظاظة والقساوة في زمن العاصفة

ولكن الشعبين انصار الفتنة ، والفوضويين و«الاقتصاديين» ، هؤلاء وحدهم كان في وسعهم ان يخلصوا من هذا الى القول بنفي او باستصغار النضال في سبيل الحرية ان هذه المذاهب الجديرة بالمتقنين التفاهين الضيقي الافق لم يمكن قط فرضها على البروليتاريا إلا لفترة من الزمن ورغم مقاومتها فقد شعرت البروليتاريا بالغريزة بانها في حاجة الى الحرية السياسية ، بانها

في حاجة الى هذه الحرية اكثر من اي آخر مع انه لا بد لهذه الحرية ان تعزز البرجوازية وتنظمها بصورة مباشرة ان البروليتاريا تتوقع خلاصها لا من التهرب من النضال الطبقي ، بل من تطوير هذا النضال وتوسيعه وزيادة الوعي والتنظيم والعزم في هذا النضال وكل من يقلل شأن مهام النضال السياسي ، يحول الاشتراكي-الديموقراطي من خطيب شعبي الى أمين سر تريدونيوني وكل من يقلل شأن مهام البروليتاريا في الثورة البرجوازية الديمقراطية يحول الاشتراكي-الديموقراطي من زعيم للثورة الشعبية الى قائد في نقابة عمالية لا شكل لها

اجل الثورة الشعبية لقد حاربت الاشتراكية-الديموقراطية ولا تزال تحارب عن حـق وصواب شطط الديمقراطية البرجوازية في استعمال كلمة الشعب وهي تطالب بان لا تكون هذه الكلمة وسيلة لاختفاء عدم تفهم التناحرات الطبقيّة في قلب الشعب وهي تلح اطلاقاً على ضرورة الاستقلال الطبقي التام لحزب البروليتاريا ولكنها اذا كانت تقسم «الشعب» الى «طبقات» فليس ذلك لكي تنطوي الطبقة الطليعية على نفسها وتنحصر في اطار ضيق وتخصي نشاطها خوفاً من ان ينصرف اسياد العالم الاقتصاديون بل لكي تكافح الطبقة الطليعية التي لن يبقى لها ان تعاني من تارجح الطبقات الوسطية وتذبذبها وعدم ثباتها لكي تكافح بمزيد من العزيمة وبمزيد من الحماسة في سبيل قضية الشعب بأسره في طليعة الشعب بأسره

وهذا ما لا يدركه اليوم الايسكريون الجدد في معظم الاحيان اذ يستعوضون عن صياغة الشعارات السياسية الفعالة في الثورة الديمقراطية بمجرد تكرار كلمة «الطبقي» بوقار ورزاة ، وبشتى الاساليب ومختلف اللهجات !

ان الانقلاب الديمقراطي انقلاب برجوازي وشعار التقسيم الاسود او شعار الارض والحرية - وهو اوسع الشعارات انتشاراً بين جماهير الفلاحين الجاهلة والمستعبدة ولكنها التي تسعى بشغف وراء النور والسعادة ، - شعار برجوازي غير اننا نحن الماركسيين يجب علينا ان نعرف انه ليس هناك ولا يمكن ان يكون للبروليتاريا والفلاحين إلا سبيل واحد الى الحرية الحقيقية وهو سبيل الحرية البرجوازية والتقدم البرجوازي وينبغي لنا ان لا ننسى ان ليست هناك اليوم ولا يمكن ان تكون إلا وسيلة واحدة لتقريب الاشتراكية وهي الحرية السياسية التامة والجمهورية الديمقراطية وديكتاتورية البروليتاريا والفلاحين الديمقراطية الثورية ونحن بوصفنا ممثلي الطبقة الطليعية الطبقة الثورية الوحيدة ، الثورية بلا تحفظ بلا تردد ، بلا نظرة الى الوراء ، يترتب علينا ان نضع امام الشعب كله مهمات الانقلاب الديمقراطي باكثر ما يمكن من الاتساع والجرأة والمبادرة واستصغار هذه المهمات انما يعني في حقل النظرية تحويل الماركسية الى كاريكاتور وتشويهها على طريقة التافهين الضيقي الافق ويعنى في حقل السياسة العملية تسليم قضية الثورة الى ايدي البرجوازية التي ستنصرف حتماً عن انجاز الثورة الى النهاية ان المصاعب التي تعترض طريق انتصار الثورة التام كبيرة جداً ولن يكون في استطاع اي انسان ان يلوم ممثلي البروليتاريا اذا ما بذلوا كل ما في وسعهم واذا ما تحطمت كل جهودهم على صخرة مقاومة الرجعية ، على صخرة خيانة البرجوازية على صخرة جهل الجماهير ولكن الجميع وكل انسان - والبروليتاريا الواعية اولاً - سيشجبون الاشتراكية-الديموقراطية اذا بترت العزيمة الثورية للانقلاب الديمقراطي اذا بترت الحماسة الثورية خوفاً من الانتصار ، خوفاً من انصراف البرجوازية .

ان الثورات كما قال ماركس ، هي قاطرات التاريخ (٢٠٠) .
ان الثورات عيد المضطهدين والمستثمرين وليس في استطاع
الجمهير الشعبية ابدأ ان تتكشف عن مبدع نشيط للاوضاع
الاجتماعية الجديدة كما في زمن الثورة وفي استطاع الشعب في
مثل هذه الفترات ان يجترح العجائب من وجهة نظر التقدم
التدريجي الضيقة البرجوازية الصغيرة ولكنه ينبغي ايضاً ان
يطرح قادة الاحزاب الثورية في هذه الفترات مهماتها بمزيد من
الاتساع والجرأة ينبغي ان تسبق شعاراتهم دائماً المبادرة الثورية
عند الجماهير ، فتكون لها منارة وتكشف مثالنا الاعلى الديمقراطي
والاشتراكي بكل عظمته وكل جماله وتدل على الطريق الاقصر
والاقرب نحو الانتصار التام المطلق الحاسم لندع الانتهازيين
البرجوازيين من جماعة «اوسفوبوجدينييه» يخترعون - خوفاً من
الثورة والسبيل القويم - سبلاً ملتوية ومداورات ومساومات
واذا جُررنا بالقوة في هذه السبل فسنعرف كيف نقوم بواجبنا
حتى في هذا العمل اليومي المتواضع ولكن فليقرر النضال الضاري
اولاً السبيل الواجب اتباعه فاننا سنكون جاحدين وخونة للثورة ،
اذا لم نستغل هذه العزيمة عند الجماهير المعيّدة هذه الحماسة
الثورية ، بغية النضال بلا هوادة ولا وهن من اجل السبيل القويم
الحاسم وليتأمل الانتهازيون البرجوازيون بجبانة في الرجعية
المقبلة فان العمال لن يتخوفوا من فكرة ان الرجعية تنوي ان
تكون رهيبه ، وان البرجوازية قد تنصرف ان العمال لا ينتظرون
المساومات ، ولا يسألون الحسنات انما يريدون ان يسحقوا قوى
الرجعية بلا رحمة اي ان يبسطوا ديكتاتورية البروليتاريا
والفلاحين الديمقراطي الثورية .

ويقيناً ان سفينة حزبنا تتعرض لمزيد من الاخطار ابان
العاصفة ، مما خلال «سفرة» التقدم الليبرالي الهادئة ، حين يعتصر

المستثمرون الطبقة العاملة ببطء مؤلم وبقينا ان مهمات الديكتاتورية الديمقراطية الثورية أشق وأعقد الف مرة من مهمات «اقصى المعارضة» والنضال البرلماني وحده ولكن من يستطيع في الزمن الثوري حقاً ان يفضل عن وعي طريق «المعارضة» غير الخطر وسفرتها الهادئة انما من الخير له ان يقلع لفترة من الوقت عن النشاط الاشتراكي-الديموقراطي وان ينتظر نهاية الثورة ، حين يكون العيد قد مرّ ، والعمل اليومي قد بدأ من جديد ، حين لا تبقى طريقته اليومية والضيقة في النظر الى الامور نغمًا شاذًا كريهاً ولا تشوه مهمات الطبقة الطليعية هذا التشويه الفظيع في طليعة الشعب كله ولا سيما الفلاحين ، من اجل الحرية الكلية من اجل الانقلاب الديمقراطي المنسجم من اجل الجمهورية في طليعة جميع الشغيلة وجميع المستثمرين من اجل الاشتراكية هكذا يجب ان تكون عملياً سياسة البروليتاريا الثورية ذلك هو الشعار الطبقي الذي يجب ان يسود ان يحدد حل جميع القضايا التكتيكية جميع الخطوات العملية التي يخطوها حزب العمال ابان الثورة .

تنبيه اخير

مرة اخرى حول نزعته «اوسفوبوجدينييه» ،
مرة اخرى حول نزعته «الايسكرا» الجديدة

يحمل لنا العددان ٧١-٧٢ من «اوسفوبوجدينييه» والعددان ١٠٢-١٠٣ من «الايسكرا» وثائق جديدة وافرة جداً حول المسألة التي خصصنا لها الفصل ٨ من كراسنا وبما انه يستحيل علينا اطلاقاً استخدام كل هذه الوثائق الغنية هنا ، فاننا لن نتناول إلا الامر الاساسي اولاً مسألة معرفة اي نوع من «الواقعية» تطريه «اوسفوبوجدينييه» في الاشتراكية-الديموقراطية ، ولماذا يجب عليها ان تطريه ؛ ثانياً ، العلاقة بين مفهومي الثورة والديكتاتورية .

١ - علام يطري الواقعيون الليبراليون البرجوازيون «الواقعيين» الاشتراكيين-الديموقراطيين ؟

في مقالي «انشقاق الاشتراكية-الديموقراطية الروسية» و«انتصار الحس السليم» («اوسفوبوجدينييه» ، العدد ٧٢) يبدي ممثلو البرجوازية الليبرالية رأياً بالاشتراكية-الديموقراطية ثميناً جداً بالنسبة للبروليتاريين الواعين . ولن نبالغ مهما اوصينا كل

اشتراكي-ديموقراطي بقراءة هذين المقالين بنصهما الكامل **ويتأمل** كل جملة فيهما اننا نورد اولاً الموضوعات الرئيسية في هذين المقالين تقول «اوسفوبوجدينييه»

« من الصعب نسبياً على المراقب غير المطلع ان يدرك المعنى السياسي الفعلي لخلاف الآراء الذي شق الحزب الاشتراكي-الديموقراطي الى كتلتين فليس من الدقيق كل الدقة وعلى كل حال ليس من باب التعريف الكامل ، القول عن كتلة «الاجلبية» (البلاشفة) بانها اكثر راديكالية واشد استقامة من «الاقلية» (المناشفة) التي تقبل ببعض المساومات في صالح القضية وعلى الاقل ، ان العقائد التقليدية التي تدين بها الارثوذكسية الماركسية ، ربما تتقيد بها كتلة الاقلية بحمية تفوق حمية كتلة لينين وهكذا فان التعريف التالي يبدو لنا أدق ان «الاجلبية» تتصف على الاخص في حقل السياسة ، بثرووية مجردة ، بروح التمرد ، بالرغبة في اثاره انتفاضة الجماهير الشعبية ، باي وسيلة كانت وفي الاستيلاء فوراً على السلطة باسم هذه الجماهير ؛ وهذا ما يقرب «اللينينيين» من الاشتراكيين-الثوريين الى حد ما ويخفي في ادراكهم فكرة النضال الطبقي وراء فكرة ثورة روسية شعبية شاملة ان «اللينينيين» يمتنعون عملياً عن كثرة من الافكار الضيقة في المذهب الاشتراكي-الديموقراطي ، بينا هم ، من جهة اخرى ، متشبعون بضيق الثرووية عميق التشبع وهم يرفضون القيام باي نشاط عملي غير تحضير الانتفاضة الفورية ؛ ويتجاهلون مبدئياً جميع اشكال التحريض العلني وشبه العلني وجميع انواع المساومة ، المفيدة عملياً ، مع سائر تيارات المعارضة . اما الاقلية ، فهي على العكس ، تتمسك بالعقائد الماركسية بثبات ، وتصون في الوقت نفسه العناصر الواقعية في المفهوم الماركسي عن العالم والفكرة الرئيسية التي تميز هذه الكتلة ، انما هي التضاد بين مصالح «البروليتاريا» ومصالح البرجوازية . ولكنها ، من جهة اخرى ، ترى الى نضال البروليتاريا - وطبعاً ضمن بعض الحدود التي تملئها العقائد الثابتة للاشتراكية-الديموقراطية - ببصيرة واقعية وبادراك واضح لجميع شروط هذا النضال ومهامه الملموسة ان الكتلتين لا تطبقان وجهة نظرهما الاساسية بانسجام دائب حازم لأنهما مقيدتان ، في عملهما الانشائي الفكري والسياسي ، بصيغ التعليم

الاشتراكي-الديموقراطي الصارمة التي تمنع «اللينينيين» من ان يكونوا متمردين مستقيمين على غرار بعض الاشتراكيين-الثوريين على الاقل ، وتمنع «الايسكريين» من ان يكونوا المرشدين العمليين للحركة السياسية الفعلية للطبقة العاملة»

وبعد ان يورد كاتب «اوسفوبوجدينييه» مضمون القرارات الرئيسية ، يشرح «افكاره» العامة بواسطة بعض الملاحظات الملموسة بشأن هذه القرارات ، ويقول بالمقارنة مع المؤتمر الثالث ويقف المجلس العام الذي عقدته الاقلية موقفاً مختلفاً اطلاقاً ازاء الانتفاضة المسلحة» ان الفرق بين القرارين بشأن الحكومة الموقته «ورهن بالموقف من الانتفاضة المسلحة» والخلاف نفسه يتجلى بصدد الموقف من نقابات العمال فان «اللينينيين» لم يشيروا باية كلمة في قراراتهم الى نقطة الانطلاق الهامة هذه في تنظيم الطبقة العاملة وتثقيفها السياسي وعلى العكس ، وضعت الاقلية قراراً جدياً جداً» الكتلتان ، كما يقال ، متفقتان ازاء الليبراليين ، ولكن المؤتمر الثالث «يردد حرفياً تقريباً قرار بليخانوف المتخذ في المؤتمر الثاني ، بشأن الموقف من الليبراليين ، ويورد قرار ستاروف ، المتخذ في المؤتمر نفسه ، والذي هو اكثر مهاودة بالنسبة لليبراليين» ومع ان قرارات المؤتمر والمجلس العام حول الحركة الفلاحية هي بوجه عام من النوع نفسه ، «إلا ان «الاغلبية» تركز على فكرة مصادرة اراضي الاقطاعيين وغيرها بالطريق الثوري ، بينما تريد «الاقلية» ان تجعل من مطلب الاصلاحات الديموقراطية في ميدان الدولة والادارة ، اساس تحريضها»

واخيراً تورد «اوسفوبوجدينييه» قراراً منشئياً ، صدر في العدد ١٠٠ من «الايسكر» ، وجاء في فقرته الرئيسية ما يلي «حيث ان العمل السري وحده لا يؤمن للجمهور في هذه الفترة اشتراكاً كافياً في حياة الحزب ، ويؤول الى حد ما الى معارضة الجمهور ، بوصفه جمهوراً ، بالحزب بوصفه منظمة سرية ، فينبغي ان يأخذ الحزب بيده قيادة نضال العمال النقابي في الحقل العلني ، ويربط هذا النضال ربطاً وثيقاً بالمهام الاشتراكية-الديموقراطية» واذا «اوسفوبوجدينييه» تهافت بصدد هذا القرار ، واننا لنرحب حر التحريض بهذا القرار بوصفه انتصاراً للحس السليم ،

ودليل ادراك لدى قسم معين من الحزب الاشتراكي-الديموقراطي في ميدان التكتيك»

ان القارىء يعرف الآن جميع آراء «اوسفوبوجدينييه» الاساسية وانه لمن فادح الخطأ طبعاً اعتبارها صحيحة ، من حيث مطابقتها للحقيقة الموضوعية فكل اشتراكي-ديموقراطي سيكتشف فيها بسهولة ولدى كل خطوة ، خطأ بعد خطأ ومن السذاجة ان ننسى ان جميع هذه الآراء مفعمة كلياً بمصالح البرجوازية الليبرالية ووجهة نظرها وانها بهذا المعنى متحزبة ومتغرصة كلياً وهي تعكس نظرات الاشتراكية-الديموقراطية بالطريقة التي تعكس بها المرآة المقعرة او المحدثبة الاشياء ولكننا نرتكب خطأ أفدح اذا ما نسينا ان هذه الآراء المشوهة على هوى البرجوازية تعبر في آخر الامر عن المصالح الحقيقية للبرجوازية التي تدرك بكل تأكيد ادراكاً صحيحاً بوصفها طبقة اية من ميول الاشتراكية-الديموقراطية مفيدة لها قريبة منها عزيزة عليها مستحبة لديها ، واية اخرى مضرة لها ، غريبة عنها بعيدة عنها وغير مستحبة لديها ان الفيلسوف البرجوازي او الصحافي البرجوازي لن يفهم أبداً الاشتراكية-الديموقراطية فهماً صحيحاً لا المنشفية منها ولا البلشفية لكنه اذا كان صحافياً يتمتع بقليل من الذكاء فان غريزته الطبقيّة لن تخدعه وسيدرك دائماً وعلى صواب في الاساس - رغم انه سيعرض الامور خلافاً لمعناها - الاهمية التي يتسم بها بالنسبة للبرجوازية ، هذا او ذاك من الميول التي تظهر في قلب الاشتراكية-الديموقراطية ولهذا يجدر بكل بروليتاري واع ان يولي غريزة عدونا الطبقيّة ورأيه الطبقي بالغ الاهتمام فماذا تقول لنا اذن الغريزة الطبقيّة للبرجوازية الروسية بلسان جماعة «اوسفوبوجدينييه» ؟

انها تعرب بوضوح مطلق عن ارتياحها للميول الايسكرية الجديدة وهي تطريها لواقعتها وبصيرتها لانتصار الحس السليم لجدّ قراراتها لادراكها في ميدان التكتيك للحس العملي الخ ، وتعرب عن استيائها من ميول المؤتمر الثالث فتلومه عل ضيق الافق والثورية وروح التمرد ورفض المساومات المفيدة عملياً الخ ان غريزة البرجوازية غريزتها الطبقية توحى اليها على وجه الدقة ما أعطي البرهان عنه مراراً في كتاباتنا بالاستناد الى أدق المعطيات ونعني به ان الايسكريين الجدد يؤلفون الجناح الانتهازي في الاشتراكية-الديموقراطية الروسية الحالية وخصومهم الجناح الثوري وليس في مستطاع الليبراليين ان لا يعطفوا على ميول الاول وليس في مستطاعهم ان لا يشجبوا ميول الثاني ان الليبراليين ، بوصفهم مفكري البرجوازية ، يدركون تماماً ان «الحس العملي ، والبصيرة والجد» عند الطبقة العاملة أي حصر نطاق عملها فعلاً في الرأسمالية والاصلاحات والنضال المهني ، الخ ، تفيد البرجوازية ولكنهما خطران ورهيبان بالنسبة للبرجوازية «ضيق الافق الثوري» عند البروليتاريا ورغبتها الراسخة في الظفر باسم مهماتها الطبقية بدور قيادي في الثورة الروسية الشعبية الشاملة

وان يكون هذا حقاً معنى كلمة «الواقعية» بنظر «اوسفوبوجدينييه» فهذا ما يثبته فيما يثبته استعمالها سابقاً من جانب «اوسفوبوجدينييه» والسيد ستروفه وقد اضطرت «الايسكرا» نفسها الى الاعتراف بهذا المعنى «للوواقعية» «اوسفوبوجدينييه» تذكروا مثلاً مقال «لقد آن الاوان!» في ملحق العدد ٧٣ - ٧٤ من «الايسكرا» فان صاحب هذا المقال (الذي عبر بدأب وانسجام عن مفاهيم «المستنقع» في المؤتمر الثاني لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا) قد أفصح عن هذا الرأي

الصريح وهو ان «اكيوموف لعب بالاحرى في المؤتمر دور شبح الانتهازية اكثر مما لعب دور ممثلها الحقيقي» وسرعان ما رأت هيئة تحرير «الايسكرا» نفسها مضطرة الى تصحيح صاحب مقال «لقد آن الاوان!» فصرحت في ملاحظة بما يلي

«لا يمكن الموافقة على هذا الرأي ان آراء الرفيق اكيوموف حول مسائل البرنامج تتسم بطابع الانتهازية بشكل جلي ، وهذا ما يقر به ايضا ناقد من «اوسفوبوجدينييه» في احد اعدادها الاخيرة حين يلاحظ ان الرفيق اكيوموف ينتسب الى الميل «الواقعي» ، - اقرأوا الميل التحريفي»

وهكذا ان «الايسكرا» نفسها تعرف تماماً ان «واقعية» «اوسفوبوجدينييه» انما هي ضرب من الانتهازية لا شيء آخر واذا كانت «الايسكرا» (في العدد ١٠٢) تهاجم «الواقعية الليبيرالية» ، وتلزم الصمت اليوم عن مديح الليبيراليين لواقعيته فان هذا الصمت يُفسر بواقع ان مثل هذه المدائح شر من كل ملامة ان مثل هذه المدائح (التي لم تغدقها «اوسفوبوجدينييه» من قبيل الصدفة ولا للمرة الاولى) تثبت فعلاً القرابة بين الواقعية الليبيرالية والميول في «الواقعية» (اقرأوا الانتهازية) الاشتراكية- الديمقراطية ، الميول التي تبرز في كل قرار يتخذه الايسكريون الجدد ، بسبب من خطأ كل موقفهم التكتيكي

وبالفعل قدمت برجوازية روسيا الدليل الكامل على تذبذبها وأنانيتها في الثورة «الشعبية الشاملة» ، وظهرت لها سواء بمحاكمات السيد ستروفه ام بكامل لهجة ومحتوى سواد الصحف الليبيرالية ، وبطابع العمل السياسي الذي قام به سواد الزيمستفويين ، وسواد المثقفين وبوجه عام شتى انصار السادة تروبتسكوي وبترونيكفيتش وروديتشيف وشركاهم يقيناً ان البرجوازية لا تفهم دائماً هذه الحقيقة بدقة ، ولكن غريزتها الطبقيّة تتيح لها بوجه

عام ان تدركها جيداً وهذه الحقيقة هي ان البروليتاريا و«الشعب» مفيدان لثورتها هي بوصفهما طعاماً للمدافع ومخلاً ضد الاوتوقراطية ومن جهة اخرى ان البروليتاريا وطبقة الفلاحين الثورية ستشكلان خطراً رهيباً عليها اذا ما احزرتا «انتصاراً حاسماً على القيصرية» وسارتا بالثورة الديمقراطية الى النهاية ولهذا تبذل البرجوازية كل جهودها لكي تكتفي البروليتاريا بدور «متواضع» في الثورة لكي تكون اكثر فنانة اكثر عملية اكثر واقعية وتبني نشاطها على مبدأ «الخوف من ان تنصرف البرجوازية»

ان البرجوازيين المثقفين يعرفون تماماً انهم لن يتمكنوا من تصفية الحركة العمالية ولذا لا يعارضون اطلاقاً الحركة العمالية ولا نضال البروليتاريا الطبقي كلا بل انهم يرحبون أحرّ الترحيب بحرية الاضراب بالنضال الطبقي المتمدّن ، مدركين الحركة العمالية والنضال الطبقي على طريقة برينتانو او على طريقة هيرش-دونكر (٢٠١) اي انهم مستعدون كل الاستعداد «لمنح» العمال حرية الاضراب وتآليف الجمعيات (التي ظفر بها العمال في الواقع بانفسهم او يكاد) ، شرط ان يقلع العمال عن «روح التمرد» ، عن «الثورية الضيقة» ، عن العداة «للمساومات المفيدة عملياً» ، عن الادعاء والطموح الى طبع «الثورة الروسية الشعبية الشاملة» بطابع نضالهم الطبقي ، بخاتم المثابرة البروليتارية ، والعزم البروليتاري ، و«اليقوية العامية» ولذا يبذل البرجوازيون المثقفون في روسيا بأسرها قصارى جهدهم بكل السبل والوسائل ، - من كتب * ومحاضرات وخطابات واحاديث الخ الخ ، - لكي يبثوا في العمال روح القناعة (البرجوازية) والروح العملي

* قارنوا : بروكوبوفيتش : والمسألة العمالية في روسيا .

(الليبرالي) والواقعية (الانتهازية) والنضال الطبقي (على طريقة برينتانو) والتنظيم النقابي (على طريقة هيرش-دونكر) الخ والشعاران الاخيران يلائمان بخاصة برجوازي الحزب «الديموقراطي-الديموقراطي» او «الاسفوبوجديني» اذ انهما يطابقان ظاهراً الشعارات الماركسية اذ يكفي اخفاء بسيط وتشويه طفيف لخلطهما بسهولة مع الشعارات الاشتراكية الديمقراطية وحتى احياناً لظهارهما بانهما من شعارات الاشتراكية الديمقراطية فان الجريدة الليبرالية العلنية «راسفيت» (٢٠٢) (التي سنحاول يوماً التحدث عنها الى قراء «بروليتاري» بمزيد من التفصيل) مثلاً كثيراً ما تتحدث عن النضال الطبقي ، عن امكان خداع البروليتاريا من جانب البرجوازية ، عن الحركة العمالية عن مبادرة البروليتاريا الخ الخ احاديث «جريئة» الى حد ان القارى غير المنتبه والعامل الضعيف الثقافة قد يصدقان بسهولة ما تدعيه هذه الجريدة من «اشتراكية-ديموقراطية» ولكن احاديثها هذه ليست في الواقع سوى تزوير برجوازي للاشتراكية الديمقراطية ، سوى تزييف وتشويه انتهازيين لمفهوم النضال الطبقي

وهذا التزييف البرجوازي الهائل (من حيث مدى تأثيره في الجماهير) انما يرتكز على الميل الى حصر الحركة العمالية بصورة رئيسية في اطار الحركة النقابية الى استبعادها قدر الامكان عن كل سياسة مستقلة (اي ثورية وموجهة نحو الديكتاتورية الديمقراطية) الى «اخفاء فكرة الثورة الروسية الشعبية الشاملة في ادراكهم - ادراك العمال - وراء فكرة النضال الطبقي»

لقد قلبنا رأساً على عقب صيغة «اسفوبوجدينييه» ، كما يرى القارى وهي صيغة ممتازة تعبر تعبيراً رائعاً عن وجهتي نظر حول دور البروليتاريا في الثورة الديمقراطية : عن وجهة النظر

البرجوازية ووجهة النظر الاشتراكية-الديموقراطية فان البرجوازية تريد ان تحصر البروليتاريا في الحركة النقابية فقط و«تخفي بذلك في ادراكها فكرة الثورة الروسية الشعبية الشاملة وراء فكرة النضال الطبقي (على طريقة بريتانو)» شأنها في ذلك بالضبط شأن واضعي «Credo» («الكري دو») البرنشتينيين الذين كانوا يخفون في ادراك العمال فكرة النضال السياسي وراء فكرة الحركة «العملية الصرف» اما الاشتراكية-الديموقراطية فهي تريد على العكس تطوير نضال البروليتاريا الطبقي حتى قيامها بالدور القيادي في الثورة الروسية الشعبية الشاملة اي السير بهذه الثورة الى ديكتاتورية البروليتاريا والفلاحين الديموقراطية

ان ثورتنا ثورة الشعب بأسره هكذا تقول البرجوازية للبروليتاريا ولهذا عليك ، بوصفك طبقة خاصة ان تكثفي بنضالك الطبقي عليك ، باسم «الحس السليم» ان تولي انتباهك بالدرجة الاولى الى النقابات واعتراف القانون بها عليك ان تعتبري هذه النقابات على وجه الدقة «نقطة الانطلاق الهامة لتثقيفك السياسي وتنظيمك» عليك في ساعة الثورة ان تصوغي على الاخص قرارات «جديدة» ، من نوع قرار الايسكريين الجدد عليك ان توجهي عنايتك الى قرارات «اكثر مهاودة بالنسبة للبيراليين» عليك ان تفضلي القادة الذين ينزعون الى ان يصيروا «المرشدين العمليين للحركة السياسية الفعلية للطبقة العاملة» عليك ان «تصوني العناصر الواقعية في المفهوم الماركسي عن العالم» (اذا كنت مع الاسف قد تلوتت بعدوى «الصينغ الدقيقة» في هذا التعليم «غير العلمي»)

ان ثورتنا ثورة الشعب بأسره هكذا تقول الاشتراكية-الديموقراطية للبروليتاريا ولهذا عليك بوصفك الطبقة الاكثر تقسماً والطبقة الوحيدة الثورية الى النهاية ، ان لا تستهدفني الاشتراك

في هذه الثورة بأشد العزيمة وحسب بل ان تستهدفني ايضاً الاضطلاع فيها بدور قيادي ولهذا عليك ان لا تحصري نفسك في اطار نضال طبقي ضيق المفهوم اي بمعنى انه بالدرجة الاولى حركة نقابية بل عليك ان تسعى جهداً بالعكس الى توسيع اطار نضالك الطبقي ومحتواه حتى يشمل هذا الاطار لا جميع مهمات الثورة الروسية الراهنة الديمقراطية والشعبية الشاملة وحسب ، بل ايضاً مهمات الثورة الاشتراكية المقبلة ولهذا ، دون تجاهل الحركة النقابية ، دون الامتناع عن استخدام اقل فسحة من الشرعية ، عليك في زمن الثورة ، ان تضعي في المرتبة الاولى مهمات الانتفاضة المسلحة وتآليف جيش ثوري وحكومة ثورية ، فذلك هو الطريق الوحيد الذي يقود الى انتصار الشعب انتصاراً تاماً على القيصرية ، الى الظفر بجمهورية ديمقراطية وحرية سياسية حقيقية ومن نافل الكلام ان نصف الموقف المتذبذب غير المنسجم والجميل طبعاً في نظر البرجوازية الذي وقفه الايسكريون الجدد في قراراتهم حول هذه المسألة ، بسبب من « خطتهم » الخاطئة

٢- الرفيق مارتينوف «يعمق» المسألة من جديد

لننتقل الى مقالتي مارتينوف اللتين صدرتا في العديدين ١٠٢ و١٠٣ من «الايسكرا» غني عن البيان اننا لن نرد على مارتينوف حين يحاول ان يثبت خطأ تفسيرنا لمقاطع مختلفة مستقاة من انجلس وماركس وصحة تفسيره لها فان هذه المحاولات على درجة من التفاهة ، واحابيل مارتينوف على درجة من الوضوح والمسألة على درجة من الجلاء بحيث انه لا داعي للعودة اليها مرة ثانية ان كل قارى مفكر سيستشف بنفسه بلا صعوبة الاحابيل غير المعقدة التي لجأ اليها مارتينوف في تراجه على طول الخط ، ولا

سيما حين تصدر الترجمة الكاملة التي يحضرها فريق من محرري «بروليتاري» لكراس انجلس: «الباكونينيون في غمرة العمل» وكراس ماركس «نداء مجلس عصبة الشيوعيين» ، آذار - مارس - ١٨٥٠ حسبنا ان نورد مقطعاً من مقال مارتينوف لكي يتضح تراجعهُ للقارىُ فقد كتب مارتينوف في العدد ١٠٣ يقول

«ان «الايسكرا» تعترف بان تأليف حكومة موقفة سبيل من السبل الممكنة والمفيدة لتطور الثورة ولكنها تنكر فائدة اشتراك الاشتراكيين-الديموقراطيين في الحكومة الموقفة البرجوازية وذلك على وجه الدقة في مصلحة الظفر التام اللاحق بآلة الدولة من اجل الانقلاب الاشتراكي» وبتعبير آخر ان «الايسكرا» قد اعترفت الآن ببطلان جميع مخاوفها بصدد مسؤولية الحكومة الثورية عن الخزينة والمصارف وكذلك بصدد خطر واستحالة استلام «السجون» ، الخ ومع ذلك تواصل «الايسكرا» تشويش الامور خالطة بين الديكتاتورية الديموقراطية والديكتاتورية الاشتراكية وهو تشويش محتوم يغطي التراجع

ولكن مارتينوف يبرز بين مشوشى «الايسكرا» الجديدة مشوشاً من الدرجة الاولى ، مشوشاً موهوباً ، اذا جاز القول فهو ، اذ يشوش المسألة بجهوده «لتعميقها» يبلغ به الامر دائماً تقريباً الى «ابتكار» صيغ جديدة تكشف بروعة عن كل خطأ موقفه . تذكروا كيف «عمق» مارتينوف بليخانوف في عهد «الاقتصادية» وابدع هذه الصيغة «النضال الاقتصادي ضد ارباب العمل والحكومة» انه لمن الصعب ان نجد في جميع كتابات «الاقتصاديين» تعبيراً اكثر توفيقاً عن كل ما تنطوي عليه هذه النزعة من خطأ كذلك هي الحال اليوم فان مارتينوف يخدم «الايسكرا» الجديدة بحمية ويقدم لنا كل مرة تقريباً يأخذ فيها الكلام مجموعة وثائقية جديدة ورائعة لتقدير موقف «الايسكرا» الجديدة الخاطى .

فهو يعلن في العدد ١٠٢ ان لينين «قد أحل مفهومي الثورة والديكتاتورية ، أحدهما محل الآخر بصورة غير محسوسة» (ص ٣ ، العمود ٢)

في هذه التهمة تنحصر بالاجمال كل التهم التي يوجهها الايسكريون الجدد ضدنا فاي امتنان يجب ان نعرب عنه لمارتينوف على هذه التهمة ! واية خدمة تفوق التقدير يؤديها لنا في نضالنا ضد الايسكريين الجدد اذ يصوغ التهمة على هذا النحو ! يقيناً انه يتعين علينا ان نطلب من هيئة تحرير «الايسكرا» اطلاق مارتينوف ضدنا اكثر فاكثر لكي «يعمق» الحملات على «بروليتاري» ويصوغها «بصورة مبدئية حقاً» لأنه بقدر ما يبذل مارتينوف جهده للمحاكمة بمزيد من المبدئية بقدر ما لا يتوفق ويعرض هفوات «الايسكرا» الجديدة بوضوح وينجح في اجراء العملية التربوية المفيدة *reductio ad absurdum* (تحويل مبادئ «الايسكرا» الجديدة الى شيء اخرق غير معقول) على نفسه وعلى اصدقائه

«فبريود» و«بروليتاري» «تُحلان» مفهومي الثورة والديكتاتورية احدهما محل الآخر و«الايسكرا» لا تريد هذا «الاحلال» هكذا بالضبط ، ايها الرفيق مارتينوف الجزيل الاحترام ! لقد نطقت عن غير قصد بحقيقة كبرى لقد أكدت بصيغة جديدة صحة قولنا بان «الايسكرا» تسير في ذيل الثورة وتنحرف نحو تعريف لمهماتنا على طريقة «اوسفوبوجدينييه» بينا تعطي «فبريود» و«بروليتاري» شعارات تدفع الثورة الديمقراطية الى امام

الا تفهم هذا ، ايها الرفيق مارتينوف ؟ نظراً لاهمية المسألة ، سنأخذ على عاتقنا ان نقدم لك تفسيراً مسهباً ان الطابع البرجوازي للثورة الديمقراطية يتجلى فيما يتجلى ، في كون جملة كاملة من الطبقات والفئات والاوساط

الاجتماعية التي تعترف كلياً بالملكية الخاصة والاقتصاد البضاعي ،
والعاجزة عن الخروج من هذا النطاق تصل بحكم الامور الى
الاعتراف بعدم صلاح الاوتوقراطية والنظام الاقطاعي برمته ، وتؤيد
مطلب الحرية وفي الوقت نفسه يتضح أكثر فأكثر الطابع
البرجوازي لهذه الحرية التي يطالب بها «المجتمع» والتي يدافع
عنها الملاكون العقاريون والرأسماليون بسيول من الكلمات (من
الكلمات فقط لا غير !) وفي الوقت نفسه يتضح أكثر فأكثر
الفرق الجنري بين نضال العمال ونضال البرجوازية في سبيل
الحرية ، بين الديمقراطية البروليتارية والديموقراطية الليبرالية
فالطبقة العاملة وممثلوها الواعون يتقدمون ويدفعون هذا النضال الى
امام ، دون خشية من السير به الى النهاية ، بل انهم يطمحون الى تجاوز
أبعد حدود الثورة الديمقراطية وتخطيها على مسافة بعيدة اما
البرجوازية فهي متذبذبة وجشعة وهي لا تقبل شعارات الحرية
إلا جزئياً وبرياء ان جميع المحاولات للاشارة بخط خاص ،
«بفقرات» خاصة (من نوع فقرات قرار ستاروفر او مشتركري
المجلس العام) الى الحد الذي يبدأ بعده هذا النفاق من اصدقاء الحرية
البرجوازيين او اذا شئتتم هذه الخيانة للحرية من قبل
اصدقائها البرجوازيين - ، ان جميع هذه المحاولات مقضي عليها
بالاخفاق حتماً لأن البرجوازية الواقعة بين نارين (الاوتوقراطية
والبروليتاريا) قادرة على تغيير موقفها وشعاراتها بألف طريقة
وألف وسيلة متكيفة قدر ابهام الى اليسار قدر ابهام الى
اليمن لاجثة على الدوام الى المساومة والسمسة ان مهمة
الديموقراطية البروليتارية لا تقوم في تليفق مثل هذه «الفقرات»
الميتة بل في انتقاد الوضع السياسي المتطور انتقاداً لا يعرف
الكلل وفضح ذبذبات البرجوازية وخياناتها ، الجديدة والجديدة
والتي لا يمكن استشفافها مسبقاً .

تذكروا قصة مظاهرات السيد ستروفه السياسية في النشرات السرية ، وقصة الحرب التي شنتها عليه الاشتراكية-الديموقراطية ، تروا بوضوح كيف نفذت الاشتراكية-الديموقراطية حامله لواء الديمقراطية البروليتارية هذه المهمات فقد بدأ السيد ستروفه بان صاغ شعاراً على طريقة شيبوف تماماً «الحقوق والزيستفو ذات السلطة» (راجع مقالي في «زاريا» «مضطهدو الزيستفو وهنيبعلات الليبرالية») ففضحته الاشتراكية-الديموقراطية ودفعته نحو برنامج دستوري واضح وحين أوتيت هذه «الدفعات» مفعولها بفضل سير الاحداث الثورية بسرعة بالغة ، اتجه النضال نحو القضية التالية من قضايا الديمقراطية لا دستور بوجه عام وحسب ، بل ايضاً الاقتراع العام المباشر المتساوي ، السري وحين «ظفرنا» من «الخصم» بهذا الموقع الجديد ايضاً (قبول «اتحاد اوسفوبوجدينييه» لحق الاقتراع العام) واصلنا هجومنا كاشفين الستر عن رياء وكذب نظام المجلسين وقبول جماعة «اوسفوبوجدينييه» لحق الاقتراع العام قبولاً غير كامل كاشفين بنزعتهم الملكية سمسرة ديموقراطيتهم اي بتعبير آخر بيع مصالح الثورة الروسية الكبرى من قبل ابطال اكياس النقود هؤلاء ، جماعة «اوسفوبوجدينييه»

وأخيراً عناد الاوتوقراطية الجامح وسير الحرب الاهلية خطوات هائلة الى امام والمأزق الذي دفع اليه المَلَكيون روسيا ، كل هذا أخذ يخترق أشد العقول تعنتاً فقد كانت الثورة تصير **أمرأ واقعاً** ولم تبق ثمة حاجة لأن يكون المرء ثورياً لكي يعترف بها وفي الواقع ، راحت الحكومة الاوتوقراطية تتفسخ ، - ولا تزال تتفسخ امام انظار الجميع وقد نشأت ، كما لاحظ ليبرالي (السيد غريديسكول) بحق في الصحافة العلنية حالة من التمرد الفعلي على هذه الحكومة . وكشفت الاوتوقراطية عن عجزها ، رغم كل قوتها

الظاهرية وكانت أحداث الثورة النامية تزيح هذه الهيئة الطفيلية الآخذة في التعفن وهي حية وطفق البرجوازيون الليبيراليون يدركون ضرورة الاعتراف بالثورة بعد ان اضطروا الى بناء نشاطهم (او بالاحرى صفقاتهم السياسية) على العلاقات القائمة والناشئة فعلاً وهم يفعلون ذلك لا لأنهم ثوريون بل رغم انهم ليسوا ثوريين وهم يفعلون ذلك بدافع الضرورة ورغم انوفهم اذ يرون بحقد نجاحات الثورة ويتهمون الاوتوقراطية التي لا تريد ان تساوم بل تريد الكفاح حتى الموت يتهمونها بالروح الثوري وهم يكرهون النضال والثورة أشد الكره لانهم ولدوا تجاراً ومساومين ولكن الظروف تجبرهم على الوقوف في ميدان الثورة لان لا ميدان آخر لهم

واننا لنشهد مشهداً بالغ الدلالة ومضحكاً للغاية فان عواهر الليبيرالية البرجوازية يردن ان يتجلبين بحلل الثورية وقد بدأت جماعة «اوسفوبوجدينييه» - risum teneatis, amici! * - يتحدثون باسم الثورة وها هم يؤكدون انهم «لا يخشون الثورة» (السيد ستروفه في العدد ٧٢ من «اوسفوبوجدينييه») وجماعة «اوسفوبوجدينييه» يدعون «السير على رأس الثورة»

ان هذا الواقع البليغ الدلالة لا يصف نمو الليبيرالية البرجوازية وحسب بل يصف خيراً من ذلك ايضاً نمو النجاحات الفعلية في الحركة الثورية التي فرضت الاعتراف بها حتى ان البرجوازية اخذت تدرك انه من الأفيد لها ان تقف في ميدان الثورة ، نظراً لهذا الحد من التداعي الذي بلغته الاوتوقراطية ولكن هذا الواقع الذي يشهد على ارتفاع مجمل الحركة الى درجة جديدة ، أعلى يضع على عاتقنا من جهة اخرى مهمات جديدة ايضاً ، أعلى

ايضاً وان هذا الاعتراف بالثورة من جانب البرجوازية لا يمكن ان يكون صادقاً وذلك بصرف النظر عن صدق هذا المفكر او ذاك من مفكري البرجوازية ، بصفته الشخصية فان البرجوازية لا تستطيع ان لا تحمل معها ، في هذه الدرجة العليا من الحركة ايضاً انانيتها وتذبذبها ومساوماتها ومكائدها الرجعية الحقيرة ويترتب علينا اليوم ان نصوغ على نحو آخر مهمات الثورة ، مهماتها الملموسة ، المباشرة باسم برنامجنا وتطويراً لهذا البرنامج . فان ما كان يكفي في الامس لا يكفي اليوم ربما كان يكفي في الامس ان يرد مطلب الاعتراف بالثورة - شعاراً ديمقراطياً طليعياً اما اليوم فلم يبقَ هذا كافياً فان الثورة قد انتزعت الاعتراف بها حتى من السيد ستروفه ولذا يجب اليوم على الطبقة الطليعية ان تحدد بدقة مضمون مهمات هذه الثورة الملحة والعاجلة ان السادة ستروفه ومن لف لفه اذ يعترفون بالثورة يظهرن فوراً ومرة بعد مرة اطراف آذانهم الطويلة كأذان الحمير ، وهم يرددون المعزوفة القديمة عن امكان مآل سلمي عن دعوة نيقولاي هؤلاء السادة من «اوسفوبوجدينييه» الى استلام السلطة الخ الخ ان هؤلاء السادة من «اوسفوبوجدينييه» يعترفون بالثورة لكي يطمسوها ويخونوها بأقل ما يمكن من الاخطار وعلينا نحن الآن ان نوضح للبروليتاريا وللشعب بأسره عدم كفاية شعار الثورة ان نبين انه من الضروري اعطاء تحديد جلي لا لبس فيه ولا ابهام ، منطقي وقاطع لمضمون الثورة ذاته . والحال ان هذا التحديد انما هو بالضبط الشعار الوحيد القادر على الاعراب بدقة عن «انتصار» الثورة «الحاسم» ، وهذا الشعار هو شعار ديكتاتورية البروليتاريا والفلاحين الديمقراطية الثورية

ان سوء استعمال الكلمات ظاهرة عادية جداً في السياسة فان انصار الليبرالية البرجوازية الانكليزية ، مثلاً ، قد تسموا اكثر

من مرة «بالاشتراكيين» («نحن كلنا اشتراكيون الآن» -
 “We all are socialists now” ، هكذا قال هاركورت) كذلك هي
 حال انصار بيسمارك واصدقاء البابا ليون الثالث عشر وكلمة
 «ثورة» تفسح ايضاً المجال رحباً امام مظاهر سوء الاستعمال ، وهذه
 المظاهر أمر محتم لا مناص منه ، في درجة معينة من تطور الحركة
 فحين شرع السيد ستروفه ينطق باسم الثورة فكرنا غصباً عنا
 بتيير فان هذا القزم الفظيح ، هذا المعبرُّ الاكمل لفساد البرجوازية
 السياسي قد اشتهم قبل ثورة شباط - فبراير - بضعة ايام
 اقتراب العاصفة الشعبية . واذا به يعلن آنذاك ، من على منبر البرلمان ،
 انه من حزب الثورة! (راجع «الحرب الاهلية في فرنسا» لماركس) . ان
 المغزى السياسي لانتقال «اوسفوبوجدينييه» الى حزب الثورة مماثل
 اطلاقاً «لانتقال» تيير هذا فحين راح اضراب تيير الروس يتحدثون
 عن انتسابهم الى حزب الثورة ، كان ذلك يعني ان شعار الثورة صار
 غير كاف ، وانه لا يدل على شيء ولا يحدد اية مهمة لأن الثورة
 اصبحت أمراً واقعاً ولأن اكثر العناصر تبايناً أخذت تنحاز جماعات
 الى جانبها

وبالفعل ، ما هي الثورة من وجهة النظر الماركسية ؟ انها هدم
 بالعنف لبناء فوقي سياسي قديم ولى عهده وأدى تناقضه مع
 علاقات الانتاج الجديدة في لحظة معينة الى افلاسه ان التناقض
 القائم بين الاوتوقراطية من جهة وكل النظام في روسيا الرأسمالية ،
 وجميع مقتضيات تطورها الديموقراطي البرجوازي ، من جهة اخرى ،
 قد اسفر اليوم عن افلاس اشدّ خصوصاً وان هذا التناقض قد
 استمر زمناً اطول بصورة مصطنعة ان البناء الفوقي يتصدع من
 كل الجهات ولا يصمد للضغط ويضعف وعلى الشعب نفسه
 بشخص ممثلي مختلف الطبقات والفئات ان يبني بناء فوقياً
 جديداً . وفي لحظة معينة من التطور ، يتكشف عدم صلاح البناء الفوقي

القديم امام الجميع بكل وضوح ويعترف الجميع بالثورة ، والمقصود الآن تحديد الطبقات التي ينبغي لها ، على وجه الدقة ، ان تبني البناء الفوقي الجديد وكيف ينبغي لها ان تبنيه بالضبط . ودون هذا التحديد يكون شعار الثورة في هذه اللحظة فارغاً لا معنى له ، لأن ضعف الاوتوقراطية يجعل حتى كبار الامراء و«موسكوفسكيه فيدوموستي» (٢٠٣) يصيرون «ثوريين» ! ودون هذا التحديد لا مجال حتى للقول باهداف ديمقراطية طبيعية للطبقة الطليعية وهذا التحديد ينحصر في شعار ديكتاتورية البروليتاريا والفلاحين الديمقراطية فان هذا الشعار يحدد في آن واحد الطبقات التي يمكن ويجب ان يعتمد عليها «البناء» الجدد للبناء الفوقي الجديد وطابعه (الديكتاتورية «الديموقراطية» خلافاً للديكتاتورية الاشتراكية) وطريقة بنائه (الديكتاتورية اي استعمال القوة لقمع كل مقاومة بالقوة تسليح طبقات الشعب الثورية) وكل من لا يقبل اليوم شعار الديكتاتورية الديمقراطية الثورية هذا شعار الجيش الثوري والحكومة الثورية واللجان الفلاحية الثورية إما انه لا يفهم اطلاقاً مهمات الثورة وهو عاجز عن تحديد المهمات الجديدة المهمات العليا التي تملئها الساعة وإما انه يخدع الشعب ويخون الثورة ويسيء استعمال شعار «الثورة»

ان الحالة الاولى تشمل الرفيق مارتينوف واصدقائه ، والثانية السيد ستروفه وكل حزب الزيمستفوات «الدستوري-الديموقراطي» وقد بلغ الرفيق مارتينوف حداً من الفطنة والظرافة بحيث انه اتهمنا «باحلال» مفهومي الثورة والديكتاتورية احدهما محل الآخر ، وبالضبط في اللحظة التي تطلب فيها تطور الثورة تحديد مهماتها بشعار الديكتاتورية ! وفي الواقع كان من سوء حظ الرفيق مارتينوف انه بقي من جديد في المؤخرة انه تأخر على الدرجة قبل الاخيرة ، انه كان في مستوى «اوسفوبوجدينييه» ، لأن الاعتراف اليوم

«بالثورة» (قولاً) والامتناع عن قبول ديكتاتورية البروليتاريا والفلاحين الديمقراطية (اي الثورة فعلاً) يناسب حقاً موقف «اوسفوبوجدينييه» السياسي اي مصالح البرجوازية الملكية الليبيرالية فبلسان السيد ستروفه تعلن البرجوازية الليبيرالية اليوم تأييدها للثورة في حين تطالب البروليتاريا الواعية بلسان الاشتراكيين-الديموقراطيين الثوريين بديكتاتورية البروليتاريا والفلاحين واذ ذاك يتدخل حكيم «الايسكرا» الجديدة في المناقشة ويهتف قائلاً لا تقدموا على «احلال» مفهومي الثورة والديكتاتورية احدهما محل الآخر ! طيب ، أليس من الصحيح ان جماعة «الايسكرا» الجديدة محكوم عليهم بسبب من موقفهم الخاطئ ان يجرجروا انفسهم على الدوام في ذيل «اوسفوبوجدينييه» ؟

لقد بينا آنفاً ان جماعة «اوسفوبوجدينييه» يتسلقون (وليس دون تشجيع من دفعات الاشتراكية-الديموقراطية) الدرجات التي تؤول الى الاعتراف بالديموقراطية درجة درجة وقد كان موضوع مناقشتنا معهم ما يلي اولاً الشيبوفية (الحقوق والزمستفو ذات السلطة) ام الدستورية ؟ ثم الاقتراع المقيد ام الاقتراع العام ؟ ثم الاعتراف بالثورة ام السمسرة مع الاوتوقراطية ؟ وأخيراً الآن الاعتراف بالثورة دون ديكتاتورية البروليتاريا والفلاحين ام الاعتراف بمطلب ديكتاتورية هاتين الطبقتين في الثورة الديمقراطية ؟ من الممكن والمحمتمل ان السادة من جماعة «اوسفوبوجدينييه» (سيان جماعة اليوم ام خلفاؤهم في الجناح اليساري من الديمقراطية البرجوازية) سيتسلقون درجة اخرى ايضاً اي انهم سيعترفون مع مرور الزمن (وربما يحدث هذا حين يتسلق الرفيق مارتينوف درجة اخرى ايضاً) بشعار الديكتاتورية كذلك بل سيكون الحال هكذا بالضرورة اذا تقدمت الثورة الروسية بنجاح واحرزت انتصاراً حاسماً . فاي موقف تقفه

الاشتراكية-الديموقراطية آنذاك ؟ ان انتصار الثورة الحالية التام سيسجل نهاية الانقلاب الديموقراطي وبداية نضال حاسم في سبيل الانقلاب الاشتراكي وان تحقيق مطالب الفلاحين في ايامنا وسحق الرجعية سحقاً كلياً والظفر بالجمهورية الديمقراطية كل هذا سيسجل نهاية ثوروية البرجوازية وحتى البرجوازية الصغيرة نهاية أكيدة وبداية نضال حقيقي تخوضه البروليتاريا في سبيل الاشتراكية وبقدر ما يكتمل الانقلاب الديموقراطي ، بقدر ما يتطور هذا النضال الجديد بسرعة واتساع ووضوح وعزم ان شعار الديكتاتورية «الديموقراطية» يعكس بالضبط هذا الطابع التاريخي المحدود للثورة الحالية وضرورة خوض نضال جديد في مجال اوضاع جديدة من اجل تحرير الطبقة العاملة تحريراً تاماً من كل اضطهاد وكل استثمار وبتعبير آخر حين تكون البرجوازية الديمقراطية او البرجوازية الصغيرة قد صعدت درجة اخرى حين لا يكون مجرد الثورة بل انتصار الثورة التام قد اصبح امراً واقعاً ، حينذاك «نحل» (وربما على الصيحات الرهيبة التي سيطلقها المارتينوفيون الجدد المقبلون) شعار الديكتاتورية الاشتراكية للبروليتاريا اي شعار الانقلاب الاشتراكي الكامل محل شعار الديكتاتورية الديمقراطية

٣- المفهوم البرجوازي المبتدل عن الديكتاتورية ومفهوم ماركس عنها

روى مهرينغ في الملاحظات التي اتبع بها طبعته لمقالات ماركس المنشورة عام ١٨٤٨ في «الجريدة الرينانية الجديدة» ان الصحف البرجوازية قد وجهت لهذه الصحيفة فيما وجهته اللوم التالي فقد زعمت ان «الجريدة الرينانية الجديدة» طالبت «ببسط

الديكتاتورية فوراً بوصفها الوسيلة الوحيدة لتحقيق الديمقراطية» (Marx' Nachlass المجلد ٣، صفحة ٥٣) (٢٠٤) ان مفهومي الديكتاتورية والديموقراطية يتنافيان في العرف البرجوازي المبتذل فان البرجوازي لا يدرك نظرية النضال الطبقي ، وقد ألف ان يرى في المسرح السياسي المشاهدات الحقة بين مختلف فئات البرجوازية وكتلها ولذا فهو يفهم بالديكتاتورية الغاء جميع الحريات وجميع ضمانات الديمقراطية والتعسف على ألوانه واستغلال السلطة في مصلحة شخصية الديكتاتور ان هذا المفهوم البرجوازي السطحي هو في الأساس المفهوم الذي يستشف ايضاً عند صاحبنا مارتينوف وذلك عندما عمد في نهاية «حملته الجديدة» في «الايسكرا» الجديدة ففسر ميل «فبريود» و«بروليتاري» الى شعار الديكتاتورية بكون لينين «يرغب أشد الرغبة في تجريب حظه» («الايسكرا» ، العدد ١٠٣ ، صفحة ٣ ، عمود ٢) ان هذا التفسير الرائع هو تماماً في مستوى اتهام «الجريدة الرينانية الجديدة» البرجوازي بالدعاية للديكتاتورية وهكذا تعرض ماركس ايضاً للتشهير - ولكن ليس من قبل «الاشتراكيين-الديموقراطيين» ، بل من قبل الليبيراليين البرجوازيين (!) - لكونه «يخلط» بين مفهومي الثورة والديكتاتورية ولن يكون من نافل الكلام ان نتناول بالبحث آراء «الجريدة الرينانية الجديدة» لكي نوضح لمارتينوف الفرق بين ديكتاتورية فرد وديكتاتورية طبقة بين مهام الديكتاتورية الديمقراطية ومهام الديكتاتورية الاشتراكية فقد كتبت «الجريدة الرينانية الجديدة» في ١٤ ايلول (سبتمبر) ١٨٤٨ تقول «ان كل نظام موقت للدولة بعد الثورة يتطلب الديكتاتورية وديكتاتورية حازمة ولقد أخذنا منذ البدء على كامبهاوزن (رئيس مجلس الوزراء بعد ١٨ آذار - مارس - ١٨٤٨) انه لم ينجح نهجاً ديكتاتورياً ولم يحطم فوراً بقايا المؤسسات القديمة

ولم يصفها وهكذا بينما كان كامبهاوزن يعلل نفسه بالاوهام الدستورية ، كان الحزب المغلوب على أمره (اي حزب الرجعية) يعزز مواقعه في الدواوينية والجيش ، بل يتجاسر ، هنا وهناك ، على خوض النضال السافر» (٢٠٥)

ان هذه الكلمات كما يقول مهرينغ على حق توجز ببعض الموضوعات ما استفاضت «الجريدة الرينانية الجديدة» ببحثه في مقالات طويلة حول وزارة كامبهاوزن فماذا تقول لنا كلمات ماركس هذه ؟ انها تقول لنا اولاً انه يجب على الحكومة الثورية الموقته ان تنهج نهجاً ديكتاتورياً (وهي موضوعة لم تستطع «الايסקرا» ان تدركها قط لرعبها من شعار الديكتاتورية) ، وثانياً ، ان مهمة هذه الديكتاتورية تتقوم في تحطيم بقايا المؤسسات القديمة (وهو بالضبط ما اشير اليه بكل وضوح في قرار المؤتمر الثالث لحزب العمال الاشتراكي-الديمقراطي في روسيا حول النضال ضد الثورة المضادة وما أغفل ذكره في قرار المجلس العام كما بينا اعلاه)؛ وثالثاً ، وأخيراً ، ان ماركس يسلط سيطا النقد على الديمقراطيين البرجوازيين بسبب من «اوهامهم الدستورية» في عهد الثورة والحرب الاهلية السافرة ويتضح بخاصة معنى هذه الكلمات من المقال المنشور بتاريخ ٦ حزيران (يونيو) ١٨٤٨ ، في «الجريدة الرينانية الجديدة» فقد كتب ماركس يقول «يجب ان تكون الجمعية الشعبية التأسيسية بالدرجة الاولى جمعية نشيطة ثورية النشاط والحال ، ان جمعية فرانكفورت تتلهى بتمارين مدرسية حول البرلمانية وتترك للحكومة العمل لنفترض ان هذه الجمعية الحكيمة توصلت بعد امعان في البحث الى اقرار خير جداول الاعمال وخير الدساتير فما قيمة خير جداول الاعمال وخير الدساتير اذا كانت الحكومات الالمانية في هذه الاثناء قد وضعت الحراب في جدول الاعمال ؟» (٢٠٦).

هذا هو معنى شعار الديكتاتورية وبامكان المرء ان يرى من هنا اي موقف كان يقفه ماركس من القرارات التي تصف بالانتصار العاسم «قرار تنظيم الجمعية التأسيسية» او التي تدعو الى «البقاء حزب اقصى المعارضة الثورية» !

ان القضايا الكبرى في حياة الشعوب لا تحلها إلا القوة والطبقات الرجعية نفسها هي عادة اول من يلجأ الى العنف ، الى الحرب الاهلية و«يضع الحراب في جدول الاعمال» ، كما فعلت الاوتوقراطية الروسية وما تنفك تفعله بدأب وانتظام ، بلا تردد ولا وهن ، ودائماً وفي كل مكان ، منذ التاسع من يناير (كانون الثاني) وطالما قد نشأ مثل هذا الوضع ، ووردت الحراب فعلاً في رأس جدول الاعمال السياسية وتبين ان الانتفاضة ضرورية وملحة فان الاوهام الدستورية والتمازين المدرسية حول البرلمانية لم تبق إلا ستاراً للطريقة التي «تنصرف» فيها البرجوازية عن الثورة واذ ذاك ينبغي على الطبقة الثورية حقاً ان تضع شعار الديكتاتورية بالضبط . وبصدد مهام هذه الديكتاتورية كتب ماركس في «الجريدة الرينانية الجديدة» يقول «كان على الجمعية الوطنية ان تنهج نهجاً ديكتاتورياً ضد التطاولات الرجعية التي تقوم بها الحكومات المتهافئة هكذا كانت حظيت لدى الرأي العام بقوة تتحطم عليها كل الحراب والحال ان هذه الجمعية تتعب الشعب الالمانى بخطابات مملة بدلاً من ان تجتذبه ورائها او ان تنجذب ورائه» (٢٠٧) وكان على الجمعية الوطنية ، برأي ماركس ، «ان تزيل من النظام القائم فعلاً في المانيا كل ما هو مخالف لمبدأ سيادة الشعب» ، ومن ثم ان «توطد الاساس الثوري الذي تركز عليه وان تصون من كل الهجمات سيادة الشعب التي ظفرت بها الثورة» (٢٠٨) .

ولذا كانت المهام التي عينها ماركس في ١٨٤٨ للحكومة الثورية او الديكتاتورية تتقوم ، حسب مضمونها قبل كل شيء في الانقلاب الديمقراطي الدفاع ضد الثورة المضادة ، والقضاء فعلاً على كل ما هو مخالف لسيادة الشعب وليس هذا غير الديكتاتورية الديمقراطية الثورية

لنتابع اية هي الطبقات التي كانت تستطيع ويجب عليها حسب ماركس ان تقوم بهذه المهمة (تحقيق مبدأ سيادة الشعب فعلاً والى النهاية وصد هجمات الثورة المضادة) ؟ هنا يتحدث ماركس عن «الشعب» ولكننا نعلم انه كافح على الدوام بلا رحمة ولا هوادة الاوهام البرجوازية الصغيرة حول وحدة «الشعب» ، حول انعدام النضال الطبقي في قلب الشعب فان ماركس لا يطمس الفوارق الطبقيّة حين يستعمل كلمة «شعب» ، انما يجمع فيها عناصر معينة ، قادرة على القيام بالثورة الى النهاية

كتبت «الجريدة الرينانية الجديدة» تقول ان نتائج الثورة بعد انتصار البروليتاريا البرلينية في ١٨ آذار (مارس) ، كانت مزدوجة «فمن جهة تسلم الشعب وحرية تشكيل الجمعيات وسيادة الشعب التي ظفر بها فعلاً ؛ ومن جهة اخرى ، بقاء المَلَكية ووزارة كامبهاوزن - هانزيمان اي حكومة ممثلي البرجوازية الكبيرة. وهكذا اسفرت الثورة عن نوعين من النتائج كان لا بد لهما من ان يفضيا الى القطيعة لقد انتصر الشعب وظفر بحريات ذات طابع ديموقراطي صريح ولكن السيادة الفعلية لم تنتقل اليه انما انتقلت الى ايدي البرجوازية الكبيرة اي بكلمة ، ان الثورة لم تحقق الى نهايتها وقد ترك الشعب لممثلي البرجوازية الكبيرة امر تأليف الوزارة ، فكشف ممثلو البرجوازية الكبيرة هؤلاء فوراً عن مقاصدهم بعرضهم التحالف مع الدواوينية وطبقة النبلاء البروسية القديمة . ودخل ارنيم وكانيتز وشفيرين في الوزارة .

«وخوفاً من الشعب ، اي من العمال والبرجوازية الديمقراطية ، عقدت البرجوازية الكبيرة ، المعادية للثورة منذ البدء ، حلفاً دفاعياً وهجومياً مع الرجعية» (حرف التأكيد لنا) (٢٠٩)

وهكذا يتبين ان ليس «القرار بتنظيم الجمعية التأسيسية» وحسب بل حتى عقد هذه الجمعية فعلاً ما يزال غير كاف لانتصار الثورة الحاسم ! وحتى بعد انتصار جزئي في النضال المسلح (انتصار العمال البرلينيين على الجيش في ١٨ آذار - مارس - ١٨٤٨) يبقى بالامكان ان تحدث ثورة «غير منتهية» ، ثورة «لم تحقق الى نهايتها» فعلام يتوقف اذن اتمام الثورة ؟ انه يتوقف على ما يلي الى اية ايد تنتقل السيادة الفعلية الى ايدي بترونكفيتش وروديتشيف ومن لف لهما ، اي الى ايدي كامبهاوزن وهانزيمان واضرابهما ام الى ايدي الشعب اي العمال والبرجوازية الديمقراطية ففي الحالة الاولى تتسلم البرجوازية مقاليد الحكم وتكتفي البروليتاريا «بحرية النقد» ، حرية «البقاء حزب اقصى المعارضة الثورية» وبعد النصر فوراً تعقد البرجوازية حلفاً مع الرجعية (وهذا ما سيقع ايضاً في روسيا حتماً اذا لم يحرز عمال بطرسبورغ ، مثلاً سوى انتصار جزئي في معارك الشوارع ضد الجيش وتركوا للسيد بترونكفيتش واضرابه وشركاه امر تاليف الحكومة) اما في الحالة الثانية فان الديكتاتورية الديمقراطية الثورية اي انتصار الثورة التام يصبح أمراً ممكناً بقي ان نحدد بمزيد من الدقة ما يقصده ماركس من «البرجوازية الديمقراطية» (demokratische Bürgerschaft) التي يسميها «الشعب» هي والعمال ، خلافاً للبرجوازية الكبيرة ان المقطع التالي من مقال نشرته «الجريدة الريمانية الجديدة» بتاريخ ٢٩ تموز (يوليو) ١٨٤٨ يعطي جواباً واضحاً على هذا السؤال ان ثورة ١٨٤٨ الالمانية ليست سوى صورة هزلية لثورة ١٧٨٩ الفرنسية .

ففي ٤ آب (اغسطس) ١٧٨٩ ، اي بعد الاستيلاء على الباستيل بثلاثة اسابيع اطاح الشعب الفرنسي في يوم واحد بكل الالتزامات الاقطاعية

وفي ١١ تموز (يوليو) ١٨٤٨ اي بعد متاريس آذار (مارس) باربعة اشهر تغلبت الالتزامات الاقطاعية على الشعب الالمانى * *Teste Gierke cum Hansemanno*

ان البرجوازية الفرنسية لم تتخل لحظة في ١٧٨٩ عن حلفائها ، الفلاحين فقد كانت تعرف ان سيادتها تركز على إلغاء الاقطاعية في الارياف وعلى نشوء طبقة حرة من الفلاحين مالكي الاراضي (grundbesitzenden).

اما البرجوازية الالمانية في ١٨٤٨ فانها خانت دون اي وخز في الضمير ، الفلاحين ، حلفاءها الطبيعيين ولا اكثر ، الذين هم لحمها ودمها ، والذين بدونهم تبقى عاجزة بوجه النبلاء لقد أسفرت ثورة ١٨٤٨ الالمانية عن بقاء الحقوق الاقطاعية ، وتكريسها تحت مظهر التعويض (الوهمي) وهكذا تمخض الجبل فولد قارة» (٢١٠)

* واما الشاهدان فهما السيدان غيركه وهانزيمان فان هانزيمان كان يمثل في الوزارة حزب البرجوازية الكبيرة (مترجمة الى الواقع الروسي تروبتسكوي او روديتشيف ، الخ .) اما غيركه ، وزير الزراعة في وزارة هانزيمان ، فقد وضع المشروع «الجريء» القائل «بالغاء الالتزامات الاقطاعية» ودون تعويض ، على حد زعمه ، ولكن هذا المشروع لم يكن ينص بالفعل الا على الغاء بعض الالتزامات الزهيدة ، القليلة الاهمية ، وعلى ابقاء الالتزامات الالهة او التعويض عنها ان السيد غيركه يشبه السادة الروس كابلوكوف ومانويلوف وهرتونشتاين وامثالهم اصدقاء الموجيك (الفلاح) الليبيراليين البرجوازيين الذين يريدون توسيع ملكية الفلاحين للارض ، ولكنهم لا يريدون المساس بمصالح الملاكين العقاريين .

وانه لمقطع جزيل العبرة يعطينا أربع موضوعات هامة
 (١) ان الثورة الألمانية التي لم تكتمل تختلف عن الثورة الفرنسية
 التي اكتملت في كون البرجوازية لم تخن الديمقراطية بوجه عام
 وحسب بل خانت الفلاحين خاصة ايضاً (٢) ان تحقيق الانقلاب
 الديمقراطي تحقيقاً تاماً يرتكز على نشوء طبقة حرة من الفلاحين
 (٣) ان انشاء هذه الطبقة انما يعني إلغاء الالتزامات الاقطاعية ، وهدم
 الاقطاعية ولكنه لا يعني بعد الانقلاب الاشتراكي (٤) ان الفلاحين
 هم حلفاء البرجوازية «الطبيعيون ولا اكثر» انهم على وجه التدقيق
 حلفاء البرجوازية الديمقراطية التي بدونهم تبقى «عاجزة» بوجه
 الرجعية

ان جميع هذه الموضوعات تنطبق كل الانطباق على روسيا
 عام ١٩٠٥ اذا ما عدلت وفقاً لخصائصنا القومية الملموسة
 واستعويض عن كلمة الاقطاعية بكلمة القناة يقيناً ان الدروس
 المستخلصة من التجربة الالمانية التي أنارها ماركس لا يمكن
 لها ان تقودنا الى اي شعار من اجل انتصار حاسم تحرزه الثورة غير
 شعار الديكتاتورية الديمقراطية الثورية للبروليتاريا والفلاحين
 ويقيناً ان القسمين الرئيسيين اللذين يكونان هذا «الشعب» الذي
 عارض به ماركس في عام ١٨٤٨ الرجعية المقاومة والبرجوازية الخائنة
 انما هما البروليتاريا وطبقة الفلاحين ويقيناً ان البرجوازية
 الليبرالية وهؤلاء السادة انصار «اوسفوبوجدينييه» يخونون عندنا
 ايضاً ، في روسيا وسيظلون يخونون الفلاحين ، اي انهم سيكتفون
 باصلاح مزعوم ويقفون الى جانب الملاكين العقاريين في النضال
 الحاسم القائم بين هؤلاء الملاكين من جهة والفلاحين من جهة اخرى
 وليس غير البروليتاريا من يستطيع دعم الفلاحين الى النهاية في هذا
 النضال ويقيناً اخيراً ان نجاح نضال الفلاحين في بلادنا ايضاً
 في روسيا ، اي انتقال الارض كلها الى الفلاحين ، سيكون بمثابة

انقلاب ديموقراطي كامل لأن هذا الانتقال سيكون الدعامة الاجتماعية للثورة التي تحقق الى نهايتها ولكنه لن يعني مطلقاً الانقلاب الاشتراكي ولا ما يسمى «جعل الملكية اجتماعية» الذي يتحدث عنه مفكرو البرجوازية الصغيرة الاشتراكيون-الثوريون فان نجاح انتفاضة الفلاحين ان انتصار الثورة الديمقراطية انما يهدد السبيل فقط للقيام بنضال حقيقي حازم من اجل الاشتراكية في ميدان الجمهورية الديمقراطية وان طبقة الفلاحين بوصفها طبقة مالكي الارض ستضطلع في هذا النضال بنفس دور الخيانة والتذبذب الذي تضطلع به الآن البرجوازية في النضال من اجل الديمقراطية وان ينسى المرء هذا الامر فكأنه ينسى الاشتراكية ويخدع نفسه بنفسه ويخدع الآخرين حول مهمات البروليتاريا ومصالحها الحقيقية

ولكي لا ندع اي نقص في عرض مفاهيم ماركس عام ١٨٤٨ يجدر بنا ان نشير الى ميزة اساسية تميز الاشتراكية-الديموقراطية الالمانية في ذلك العهد (او حزب البروليتاريا الشيوعي ، حسب لغة ذلك العهد) عن الاشتراكية-الديموقراطية الروسية الحالية لنترك الكلام الى مهربنغ

«لقد دخلت «الجريدة الرينانية الجديدة» في المسرح السياسي بوصفها «لسان حال الديمقراطية» ومن المتعذر على المرء الا يرى الفكرة التي تسود جميع مقالاتها ولكنها في نشاطها المباشر كانت تدافع عن مصالح الثورة البرجوازية ضد الاوتوقراطية والاقطاعية اكثر مما تدافع عن مصالح البروليتاريا ضد مصالح البرجوازية وقلما يجد المرء في صفحاتها مقالات او ابحاثاً حول الحركة العمالية الخالصة ابان الثورة ، رغم انه لا يجدر به ان ينسى انه كانت تصدر الى جانبها مرتين في الاسبوع وبتحرير مول وشابر ، صحيفة خاصة تنطق بلسان اتحاد عمال كولونيا (٢١١) .

وما يلفت فوراً انتباه القارئ المعاصر ، انما هو ، في كل حال ، قلة الاهتمام الذي كانت توليه «الجريدة الرينانية الجديدة» الى الحركة العمالية الالمانية في حينها ، رغم ان اسطفان بورن أقدر مناضلي هذه الحركة ، كان تلميذ ماركس وانجلس في باريس وفي بروكسل وكان أيضاً مراسل صحيفتهما في برلين عام ١٨٤٨ وقد روى بورن في «ذكرياته» ان ماركس وانجلس لم يوجها له قط اية كلمة تنم عن عدم تحبيز دعاوته في صفوف العمال ولكن تصريحات انجلس اللاحقة تتيح الافتراض انهما كانا مستائين من اساليب هذه الدعاوة على الاقل لقد كان لهما ما يبرر استياءهما اذا اعتبرنا ان بورن قد اضطر الى اجراء العديد من التنازلات ازاء وعي البروليتاريا الطبقي الذي كان متأخراً في القسم الاكبر من المانيا وان هذه التنازلات كانت لا تصمد للانتقاد من وجهة نظر «البيان الشيوعي» ولكنه لم يكن لهما ما يبرر استياءهما ، اذا اعتبرنا ان بورن قد نجح مع ذلك في ابقاء الدعاوة التي كان يوجهها ، في مستوى عال نسبياً . ولا ريب ان ماركس وانجلس كانا على حق ، تاريخياً وسياسياً عندما اعتبرا ان المصلحة الرئيسية للطبقة العاملة تقوم قبل كل شيء في حفز الثورة البرجوازية قدر الامكان ومع ذلك ، فاننا نجد برهاناً ساطعاً على الطريقة التي تصلح بها الغريزة البدائية لدى الحركة العمالية مفاهيم اكبر المفكرين ، في كون ماركس وانجلس قد أيدا في نيسان (ابريل) ١٨٤٩ قيام منظمة عمالية خالصة وقررا الاشتراك في المؤتمر العمالي الذي اعدته بخاصة بروليتاريا شرق الالب (بروسيا الشرقية)»

وهكذا يتبين ان ماركس وانجلس لم يؤيدا قيام منظمة عمالية مستقلة إلا في نيسان (ابريل) ١٨٤٩ اي بعد انقضاء زهاء سنة على صدور صحيفة ثورية .(بدأت «الجريدة الرينانية الجديدة» تصدر في اول حزيران - يونيو - ١٨٤٨) . فقد اكتفيا حتى ذلك الحين

بتوجيه صحيفة تكون مجرد «لسان حال الديمقراطية» ولا تربطها اية رابطة تنظيمية بحزب عمالي مستقل ! ان هذا الواقع ، الفظيع الذي لا يصدق من وجهة نظرنا الحالية ، يبين لنا بجلاء الفرق الهائل بين حزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي الالمانى في ذلك العهد وحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي الروسي في ايامنا هذه وهو يبين لنا الى اي حد كانت الميزات البروليتارية للحركة التيار البروليتاري في الحركة ، أقل تأثيراً في الثورة الديمقراطية الالمانية (بسبب تأخر المانيا في ١٨٤٨ سواء من الناحية الاقتصادية أم من الناحية السياسية تجزؤ الدولة) وينبغي لنا الا ننسى هذا الواقع (كما ينسأه مثلاً بليخانوف) عندما نقدر بيانات ماركس العديدة في ذلك العهد وبعد قليل حول ضرورة تنظيم حزب البروليتاريا تنظيماً مستقلاً فقد ترتب زهاء سنة من تجربة الثورة الديمقراطية حتى استطاع ماركس ان يتوصل فعلاً الى الاستنتاج وذلك لكثرة ما كان كل الجو في المانيا مشحوناً بالتفاهة وضيق الافق وبالروح البرجوازية الصغيرة ولكن هذا الاستنتاج هو بالنسبة لنا حصيلة نصف قرن من تجربة الاشتراكية-الديموقراطية العالمية حصيلة قديمة ثابتة بل اننا بها تنظيم حزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا فهكذا مثلاً لا يمكن ان توضع عندنا مسألة صدور صحف ثورية للبروليتاريا تعيش على هامش حزب البروليتاريا الاشتراكي-الديموقراطي وتستطيع الظهور وان لحظة واحدة كمجرد «لسان حال الديمقراطية» ولكن التناقض الذي كان في بدايته بين ماركس واسطفان بورن ، هو قائم الآن عندنا بشكل يزداد بروزاً بقدر ما يشتد التيار البروليتاري في مجرى ثورتنا الديمقراطية وحين تطرق مهيدينغ الى احتمال استياء ماركس وانجلس من دعاة اسطفان بورن استعمل تعابير جد ملتوية وملطفة . ولكن ، اليكم ما كتبه

„Enthüllungen über (في مقدمة ١٨٨٥) انجلس عن بورن عام ١٨٨٥ (*den Kommunistenprozeß zu Köln“. Zürich. 1885
 لقد كان اعضاء عصابة الشيوعيين (٢١٢) في كل مكان على
 رأس الحركة الديمقراطية الاكثر تقدماً فاثبتوا بذلك ان العصابة
 مدرسة ممتازة للعمل الثوري «فان صفاف الحروف اسطفان
 بورن الذي كان عضواً نشيطاً في العصابة في بروكسل وباريس
 أسس في برلين «اخوية عمالية» («Arbeiterverbrüderung»)
 انتشرت انتشاراً كبيراً ودامت حتى عام ١٨٥٠ إلا ان بورن ، وهو
 الشاب الموهوب تسرع كثيراً في انتهاج نهج رجل سياسي
 «فتأخى» مع خليط من العناصر المتباينة (Kreti und Plethi)
 لمجرد ان يجمع حوله جمهوراً من الناس فلم يكن مطلقاً من عداد
 اولئك الذين يستطيعون ان يوحدا بين النزعات المتناقضة
 ويلقوا النور في البلبلة والفوضى ولذا نقع دائماً في المنشورات
 الرسمية التي اصدرتها اخويته على تشوش ومزيج من مفاهيم
 «البيان الشيوعي» مرفقة بذكريات ورغائب حرفية ومقرونة
 بمزق من الافكار المأخوذة عن لويس بلان وبرودون ومشفوعة
 بدفاع عن مذهب حماية الصناعة الوطنية الخ اي بكلمة ان
 هؤلاء القوم كانوا يريدون ارضاء الجميع (Allen alles sein)
 وكانوا يهتمون على الاخص بتنظيم الاضرابات والنقابات وتعاونيات
 الانتاج ، ناسين ان المقصود بالدرجة الاولى هو الاستيلاء بانتصار
 سياسي على الارض التي يمكن فيها وحدها لهذه الاغراض ان تتحقق
 بثبات وامانة (حرف التأكيد لنا) وعندما حملت انتصارات
 الرجعية زعماء هذه الاخوية على الشعور بضرورة الاشتراك المباشر

* - واضواء على محاكمة الشيوعيين في كولونيا . طبعة زوربخ .

في النضال الثوري كان من البديهي ان يتخلى عنهم الجمهور القليل التطور الملتف حولهم لقد اشترك بورن في انتفاضة درسدن في ايار (مايو) ١٨٤٩ ولم ينجح إلا بفعل الصدفة اما الاخوية العمالية فانها بقيت في معزل عن الحركة السياسية الكبيرة للبروليتاريا كجمعية منعزلة موجودة بخاصة على الورق ، وتضطلع بدور ثانوي الى حد ان الرجعية لم تر من الضروري الغاءها إلا في عام ١٨٥٠ ولم تغلق فروعها إلا بعد سنوات طويلة ولكن بورن (واسمه الحقيقي Buttermilch) * لم يتمكن قط من ان يصبح رجلاً سياسياً انما اصبح استاذاً سويسرياً صغيراً يترجم الآن لا ماركس باللغة الحرفية بل رينان الطيب بلغة المانية سكرية» (٢١٤)

هكذا وصف انجلس تكتيكي الاشتراكية-الديموقراطية في الثورة الديمقراطية
اما اصحابنا الايسكريون الجدد فانهم ايضاً يميلون الى

* حين ترجمت انجلس ، ارتكبت خطأ بهذا الصدد في الطبعة الاولى ، اذ اعتبرت كلمة: Buttermilch (اللبن الرائب **الناشر**) اسم جنس لا اسم علم وقد سر المناشفة ، بالطبع ، ابلغ السرور لهذا الخطأ فكتب كولتسوف قانلا باني وعمقت انجلس» (وقد ورد هذا القول في مجموعة «خلال سنتين» ؛ ولا يزال بليخانوف يذكر الآن هذا الخطأ في صحيفة «توفاريش» (٢١٣) اي انهم وجدوا ذريعة ممتازة للتهرب من مسألة **اتجاهي الحركة العمالية** عام ١٨٤٨ في المانيا واعني بهما اتجاه بورن (القريب من اتجاه «اقتصاديينا») والاتجاه الماركسي انه اكثر من طبيعي ان يستغل المرء خطأ خصمه حتى ولو كان الخطأ يتعلق باسم بورن ولكن التدرع باصلاحات في الترجمة للتهرب من بحث جوهر مسألة التكتيكيين ، الا ان ذلك يعني الفرار من المعركة فيما يتعلق بجوهر النزاع (ملاحظة لينين لطبعة ١٩٠٧ . **الناشر** .)

«الاقتصادية» بفيض من الحمية وقلّة من التبصر الى حد انهم يستدرون مدائح البرجوازية المَلَكِيّة على «ادراكهم» وهم ايضاً يحشدون حولهم اكثر العناصر تبايناً متملقين «الاقتصاديين» ، مغريين ومضللين الجماهير المتأخرة بشعارات «المبادرة» و«الديموقراطية» و«الحكم الذاتي» ، وغيرها والخ وتقاباتهم العمالية غير موجودة ايضاً في كثير من الاحيان إلا في صفحات «الايسكرا» الجديدة على طريقة خليستاكوف (٢١٥) وشعاراتهم وقراراتهم تدل على عدم التفهم نفسه لمهمات «الحركة السياسية الكبيرة للبروليتاريا»

المجلد ١١ ،
ص ص ١-١٣١

كتب في حزيران - تموز (يونيو -
يوليو) ١٩٠٥
اصدرت اللجنة المركزية احعاد
هذا الكتاب على حدة في جنيف في
تموز ١٩٠٥

الثورة تعلم

الخلافات في داخل الاحزاب السياسية وبين الاحزاب السياسية تُحلّ عادة ، لا بالمناظرة المبدئية وحسب ، بل ايضاً بتطوير الحياة السياسية ذاتها ، - وحتى سيكون من الاصح القول ، على الأرجح لا بالاولى بقدر ما بالثاني وعلى الخصوص ، تُستنفد الخلافات المتعلقة بتكتيك الحزب ، اي بمسلكه السياسي ، في كثير من الاحيان ، بانتقال الذين يحللون ويفكرون بصورة غير صحيحة انتقالاً فعلياً الى طريق النضال الصحيحة ، بتأثير دروس الحياة تحت ضغط سير الاحداث نفسه الذي يجبر على ولوج الطريق الصحيحة ، ويطرح جانباً بكل بساطة المحاكمات الخاطئة ، وينتزع اثربة من تحتها ويجعلها خالية من كل مضمون فارغة ، لا تهم احداً ولكن هذا لا يعنى بالطبع ان الخلافات المبدئية في مسائل التكتيك لا تتسم باهمية كبيرة ، وانها لا تتطلب تفسيرات مبدئية للمسألة تكون التفسيرات الوحيدة القادرة على ابقاء الحزب في مستوى عقائده النظرية كلاً ان هذا يعنى فقط انه ينبغي التحقق سلفاً في اكثر ما يمكن من الاحوال من القرارات التكتيكية المتخذة على اساس الاحداث السياسية الجديدة ان هذا التحقق ضروري نظرياً وعملياً على السواء نظرياً لأجل الاقتناع بالفعل ، بالتجربة ، بصحة القرارات المتخذة على وجه الضبط وبمقدار صحتها ،

بالتصحيحات التي تجبر الاحداث السياسية التي وقعت بعد اتخاذها على اجرائها فيها ؛ - عملياً لاجل تعلم الاسترشاد حقاً بهذه القرارات ، تعلم رؤية ما فيها من توجيهات يتعين تطبيقها مباشرة وعلى الفور في الواقع

ان العهد الثوري يعطي ، اكثر من اي عهد آخر ، مادة لأجل هذا التحقق ، بفضل سرعة التطور السياسي الهائلة ، ووحدة المصادمات السياسية التي تتعاطم وتتكشف وتتحل في العهد الثوري ، يتصدع «البناء الفوقي» القديم وينشأ الجديد امام عيون الجميع بفضل مبادرة شتى القوى الاجتماعية التي تبين بالفعل طبيعتها الحقيقية

وهكذا تعطينا الثورة الروسية ايضاً كل اسبوع او يكاد وفترة مذهلة من المواد السياسية لأجل التحقق من القرارات التكتيكية التي اتخذناها سلفاً ولأجل استخلاص العبر الاوسع دلالة بصدد كل نشاطنا العملي خذوا حوادث اوديسا (٢١٦) فان احدى محاولات الانتفاض قد انتهت بالاخفاق ومنيت احدى فصائل الجيش الثوري بالهزيمة صحيح ان العدو لم يقض عليها ولكنه دفعها الى ارض محايدة (كما دفع الالمان جيشاً فرنسياً الى سويسرا في حرب ١٨٧٠-١٨٧١ فنزعت دولة محايدة سلاحها الاخفاق مر والهزيمة شاقة ولكن اي هاوية تفصل هذا الاخفاق في النضال عن تلك الاخفاقات في المتاجرة والمساومة التي تنصب على السادة شيوف وتروبتسكوي وترونكيفيتش وستروفه ومن لف لفهم وكل هذه الزمرة البرجوازية من خدم القيصر ! لقد قال انجلس ذات مرة الجيوش المهزومة تتلقى درساً ممتازاً (٢١٧) وهذه الكلمات البديعة تصح على الجيوش الثورية المؤلفة من ممثلي الطبقات الطليعية اكثر بما لا قياس له مما تصح على جيوش هذه الاممة او تلك وطالما لم يكتسح البناء الفوقي القديم ، المتعفن ، الذي يعدي

بعفنه الشعب بأسره ، فان كل هزيمة ستستنهض الجديد تلو الجديد من جيوش المناضلين ، دافعة اياها الى الحركة ، منيرة اياها بتجربة رفاقها ، معلمة اياها باساليب جديدة واعلى للنضال يقيناً انه توجد ايضاً تجربة جماعية اوسع بكثير للبشرية ، مسجلة في تاريخ الديمقراطية العالمية والاشتراكية-الديموقراطية العالمية ، وأثبتها ممثلو الفكر الثوري الطليعيون ومن هذه التجربة يستمد حزبنا مادة لأجل الدعاية اليومية والتحريض اليومي ولكنه لا يمكن ان يتعلم هذه التجربة مباشرة غير عدد قليل من الافراد ما دام المجتمع قائماً على اضطهاد واستثمار ملايين الشغيلة ويتعين على الجماهير ان تتعلم ، اكثر ما تتعلم ، من تجربتها الخاصة ، باذلة التضحيات الفادحة ثمناً لكل درس ، لكل درجة جديدة الى التحرر لقد كان درس التاسع من كانون الثاني (يناير) شاقاً ولكنه افعم بروح الثورة مزاج البروليتاريا كلها في روسيا كلها وكان درس انتفاضة اوديسا شاقاً ، ولكنه يعلم الآن البروليتاريا الثورية ، على صعيد المزاج المفعم حالياً بروح الثورة ، لا النضال وحسب ، بل النصر ايضاً وسنقول بصدد حوادث اوديسا لقد انهزم الجيش الثوري ، - فليحي الجيش الثوري

في العدد ٧ من جريدتنا ، تحدثنا عن كيف القت انتفاضة اوديسا نوراً جديداً على شعارنا الجيش الثوري والحكومة الثورية * وفي العدد السابق (مقالة الرفيق ف س .) تحدثنا عن الدروس الحربية للانتفاضة (٢١٨) وفي هذا العدد نتوقف مرة اخرى عند بعض دروسها السياسية (مقالة «الثورة المدنية») والان يجدر التوقف ايضاً عند التحقق من قراراتنا التكتيكية الاخيرة

* راجع مقال لينين : «الجيش الثوري والحكومة الثورية» . الناشر .

على صعيد مزدوج صعيد الصحة النظرية والعقلانية العملية الذي
تكلّمنا عنه اعلاه

المسألان السياسيتان الملحّتان في الظرف الراهن - الانتفاضة
والحكومة الثورية وبعدها هاتين المسألتين تكلم وتجادل
الاشتراكيون-الديموقراطيون اكثر ما تكلموا وتجادلوا وهاتان
المسألان تناولتهما القرارات الرئيسية للمؤتمر الثالث ح ع ا د ر
وكونفيرانس (المجلس العام) القسم المنشق من الحزب وفي ميدان
هاتين المسألتين تدور الخلافات التكتيكية الرئيسية في داخل
الاشتراكية-الديموقراطية في روسيا وتتساءل الآن في اي ضوء
تتبدى هذه الخلافات بعد انتفاضة اوديسا ؟ ان كل من يكلف نفسه
الآن عناء قراءة الآراء والمقالات بصدده هذه الانتفاضة من جهة
والقرارات الاربعة التي خصصها مؤتمر الحزب وكونفيرانس
الايسكريين الجدد لمسألتى الانتفاضة والحكومة الموقّته ، من جهة
اخرى ، سيرى في الحال كيف اخذ الايسكريون الجدد ينتقلون فعلاً ،
بتأثير الاحداث الى جانب اخصامهم ، اي كيف اخذوا يتصرفون لا
وفقاً لقراراتهم ، بل وفقاً لقرارات المؤتمر الثالث ليس ثمة نقد
للمذهب الخاطى افضل من سير الاحداث الثورية .

بتأثير هذه الاحداث ، نشرت هيئة تحرير «الايسكرا» منشوراً
عنوانه «انتصار الثورة الاول» وموجهاً الى «المواطنين
والعمال والفلاحين في روسيا» اليكم اهم مقطع من هذا
المنشور

وآن اوان العمل بجرأة ودعم انتفاضة الجنود الجريئة بجميع القوى
الجرأة ستنتصر الآن !

فاعقدوا اجتماعات علنية للشعب وانقلوا اليه نبأ انهيار سند القيصرية
العسكري ! وحيثما امكن ، استولوا على المؤسسات في المدن واجعلوا منها
سنداً للادارة الذاتية الشعبية الثورية ! اطرّدوا الموظفين القيصريين وعينوا

انتخابات شعبية عامة الى مؤسسات الادارة الذاتية الثورية ، واعهدوا اليها بادارة الشؤون الاجتماعية موقتا حتى النصر النهائي على الحكومة القيصرية واقامة نظام الدولة الجديد استولوا على فروع مصرف الدولة ومستودعات الاسلحة وسلحوا الشعب كله ! اقيموا الصلة بين المدن ، بين المدينة والريف ، وليهرع المواطنون المسلحون الى مساعدة بعضهم بعضا في كل مكان ، تدعو فيه الحاجة الى المساعدة ! خذوا السجون وحرروا المناضلين المسجونين فيها من اجل قضيتنا فبهم تعززون صفوفكم ! اعلنوا في كل مكان اسقاط الملكية القيصرية والاستعاضة عنها بالجمهورية الديموقراطية الحرة ! هيا ، ايها المواطنون ! لقد دقت ساعة التحرر ! عاشت الثورة ! عاشت الجمهورية الديموقراطية ! عاشت القوات المسلحة الثورية ! لتسقط الاوتوقراطية !»

وعليه نجد امامنا نداء حازماً وسافراً وواضحاً الى الانتفاضة الشعبية العامة المسلحة ، نجد امامنا نداء حازماً بالقدر نفسه ، وان ، مع الأسف ، مستوراً وغير مكتمل ، الى تشكيل حكومة ثورية موقته لنبحث في البدء مسألة الانتفاضة .

هل هناك فرق مبدئي بين حل هذه المسألة من قبل المؤتمر الثالث وبين حلها من قبل الكونفيرانس ؟ اجل بالتأكيد لقد سبق وتحدثنا عن هذا في العدد ٦ من «بروليتاري» («خطوة ثالثة الى الورا») والآن نعود ايضاً الى شهادة «اوسفوبوجدينييه» الواسعة الدلالة ففي العدد ٧٢ من هذه الصحيفة ، نقرأ ان «الاجلبية» تسقط في حماة «الثورية المجردة ، والتمرد ، والسعي الى استئثار انتفاضة في جماهير الشعب باي وسيلة كانت ، والى الاستيلاء باسمها على السلطة فوراً» «اما الاقلية ، فانها ، على العكس مع تمسكها بشدة بعقيدة الماركسية ، تحتفظ في الوقت نفسه بالعناصر الواقعية من المفهوم الماركسي عن العالم». ان هذه المحاكمة من جانب الليبراليين الذين مروا بالمدرسة الاعدادية للماركسيية وبالبرنشتينية خارقة القيمة . فان البرجوازيين الليبراليين قد

اتهموا دائماً الجناح الثوري من الاشتراكية-الديموقراطية «بالثورية المجردة والتمرد» ، ومدحوا دائماً الجناح الانتهازي على «واقعية» طرحه للمسألة وقد اضطرت «الايסקرا» نفسها الى الاعتراف (انظروا العدد ٧٣ ، الملاحظة بصدد تحبيذ السيد ستروفه «لواقعية» كراس الرفيق اكيوف) بان «الواقعي» يعني «الانتهازي» على السنة الاوسفوبوجدينيين . ان السادة الاوسفوبوجدينيين لا يعرفون اي واقعية غير الواقعية الزاحفة على البطن وهم غرباء تماماً عن الدياليكتيك الثوري للواقعية الماركسية التي تؤكد على المهام الكفاحية للطبقة الطليعية ، وتكشف في الموجود عناصر انهياره ولهذا كان الوصف الذي اعطته «اوسفوبوجدينيه» عن التيارين في الاشتراكية-الديموقراطية يؤكد مرة اخرى الواقع الذي اثبتته ادبنا ومفاده ان «الاجلبيية» هي الجناح الثوري في الاشتراكية-الديموقراطية الروسية ، و«الاقلية» هي الجناح الانتهازي

وتعترف «اوسفوبوجدينيه» قطعاً بان «كونفيرانس الاقلية يقف من الانتفاضة المسلحة موقفاً يختلف تماماً» عن موقف المؤتمر . وبالفعل يضرب قرار الكونفيرانس نفسه بنفسه ، اذ ينكر تارة امكانية الانتفاضة المنتظمة (الفقرة الاولى) ويعترف بها طوراً (الفقرة «د») هذا اولاً وثانياً يكتفي بتعداد الشروط العامة «لاعداد الانتفاضة» ، ومنها أ- توسيع التحريض ، ب- توطيد الصلة مع حركة الجماهير ، ج- تطوير الوعي الثوري د- اقامة الصلة بين مختلف المحلات ، هـ- اجتذاب الجماعات غير البروليتارية الى دعم البروليتاريا وبالعكس يرفع قرار المؤتمر صراحة شعارات ايجابية ، معترفاً بان الحركة قد ادت الى ضرورة الانتفاضة ، داعياً الى تنظيم البروليتاريا لأجل النضال المباشر والى اتخاذ احزم التدابير لتسليحها ، واعطاء التوضيحات في الدعاية والتحريض ، «لا للاهمية السياسية» للانتفاضة «وحسب» (وبهذا يكتفي ، من

حيث جوهر الامر قرار الكونفيرانس) بل ايضاً لجانبها التنظيمي العملي

ولنتصور بمزيد من الوضوح الفرق بين هذا الحل للمسألة وذاك لتتذكر تطور النظرات الاشتراكية-الديموقراطية في مسألة الانتفاضة منذ زمن نشوء الحركة العمالية الجماهيرية الدرجة الاولى عام ١٨٩٧ نقرأ في مؤلف لينين «مهمات الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس» «ان حل مسألة الوسيلة التي ستلجأ اليها الاشتراكية-الديموقراطية لاجل الاطاحة رأساً بالاوتوقراطية - مسألة ما اذا كانت ستختار الانتفاض ام الاضراب السياسي الجماهيري ام اسلوباً آخر للهجوم ان حلها الآن يبدو كما لو ان جنرالات عقدوا مجلساً حربياً قبل ان يجمعوا الجيوش» (ص ١٨) هنا كما نرى لا توجد حتى كلمة عن اعداد الانتفاضة ويقتصر الكلام على جمع الجيوش اي على الدعاية والتحريض والتنظيم بوجه عام

الدرجة الثانية عام ١٩٠٢ نقرأ في كتاب لينين «ما العمل؟»

«وتصوروا الانتفاض الشعبي يتراءى لنا ان الجميع يوافقون اليوم (في شباط ١٩٠٢) على ضرورة التفكير به والاستعداد له ولكن كيف نستعد؟ أتري يجب ان تعين اللجنة المركزية عملاء في جميع النواحي لتحضير الانتفاض؟ ولكن اللجنة المركزية، وان كانت موجودة عندهنا لا تستطيع ان تبلغ شيئاً في الظروف الروسية الراهنة عن طريق مثل هذا التعيين وعلى عكس ذلك شبكة العملاء التي تتألف من تلقاء نفسها في العمل على تنظيم وتوزيع الجريدة العامة فهي لن «تنتظر مكتوفة الايدي» شعار الانتفاض بل ستقوم على وجه التحقيق بعمل منتظم يضمن لها اكبر امكانيات النجاح في حالة الانتفاض وهذا العمل بالذات يوثق

الصلات باوسع جماهير العمال وبجميع الفئات الساخطة على الاستبداد وهو امر كبير الاهمية بالنسبة للانتفاض وعلى اساس هذا العمل بالذات تنمو ملكة التقدير الصحيح للوضع السياسي العام وبالتالي ، ملكة اختيار الساعة المناسبة للانتفاض وهذا العمل بالذات يعلم جميع المنظمات المحلية على النهوض في وقت واحد للجواب على المسائل والطوارئ والأحداث السياسية الواحدة التي تثير روسيا من اقصاها الى اقصاها والجواب على هذه «الاحداث» باكثر ما يمكن من النشاط والتجانس والعقلانية ، - وما الانتفاض في الجوهر غير «جواب» الشعب كله على الحكومة باكثر ما يكون من النشاط والتجانس والعقلانية وهذا العمل بالذات يعلم اخيراً جميع المنظمات الثورية في جميع انحاء روسيا ان تقيم بينها الروابط المنتظمة جداً والسرية جداً في آن واحد هذه الروابط التي تنشئ وحدة الحزب الفعلية والحال لا يمكن بدون هذه الروابط ان يبحث بصورة مشتركة مشروع الانتفاض وان تتخذ في عشيته التدابير التحضيرية الضرورية التي ينبغي ان تبقى في طي الكتمان التام» (ص ١٣٦-١٣٧)

اي موضوعات تطرحها هذه المحاكمة في مسألة الانتفاضة ؟

- ١ - خرافة فكرة «اعداد» الانتفاض بمعنى تعيين عملاء خاصين
- ٢ - ضرورة الصلة بالناسطة
- على اساس العمل المشترك بين الافراد والمنظمات القائمين بالعمل المنتظم
- ٣ - ضرورة توطيد الصلة في هذا العمل بين الفئات البروليتارية (العمال) والفئات غير البروليتارية (جميع الفئات الساخطة)
- ٤ - ضرورة العمل المشترك على صقل ملكة التقدير الصحيح للوضع السياسي وملكة «الجواب» بمزيد من العقلانية على الحوادث السياسية
- ٥ - ضرورة توحيد جميع المنظمات الثورية المحلية توحيداً فعلياً .

وامامنا بالتالي يبدو بوضوح شعار اعداد الانتفاض ولكنه لا توجد بعد دعوة صريحة الى الانتفاض لا يوجد بعد اعتراف بان الحركة «قد ادت» الى ضرورته وبانه من الضروري التسلح في الحال ، والانتظام في فرق قتالية ، والنخ امامنا تحليل لتلك الشروط ذاتها على وجه التدقيق لاعداد الانتفاض المكررة حرفيا او يكاد في قرار الكونفيرانس (في عام ١٩٠٥ !!)

الدرجة الثالثة عام ١٩٠٥ في جريدة «فبريود» وثم في قرار المؤتمر الثالث تتحقق خطوة لاحقة الى الامام علاوة على الاعداد السياسي العام للانتفاض يرفع الشعار الصريح القائل بالانتظام والتسلح في الحال لأجل الانتفاض ، وبتشكيل فرق خاصة (قتالية) لأن الحركة «قد ادت الى ضرورة الانتفاض المسلح» (الفقرة الثانية من قرار المؤتمر)

ان هذا التوضيح التاريخي الصغير يؤدي الى ثلاثة استنتاجات اكيده ١ - ان زعم البرجوازيين الليبراليين ، الاوسفوبوجدينيين القائل اننا نسقط في حماة «الثوروية المجردة ، والتمرد» هو كذب سافر ونحن نطرح وقد طرحنا دائما هذه المسألة على وجه الدقة ، لا بصورة «مجردة» ، بل في تربة ملموسة ، حالينها بصور مختلفة في عام ١٨٩٧ وعام ١٩٠٢ وعام ١٩٠٥ ان الاتهام بالتمرد هو تعبير انتهازي للسلادة البرجوازيين الليبراليين المستعدين لخيانة مصالح الثورة وللغدر بالثورة في عهد النضال الحاسم ضد الاوتوقراطية ٢ - توقف كونفيرانس الايسكريين الجدد عند الدرجة الثانية من تطور مسألة الانتفاض ففي عام ١٩٠٥ كرر وحسب ما كان كافياً في عام ١٩٠٢ فقط وقد تأخر ثلاث سنوات عن التطور الثوري ٣ - بتأثير دروس الحياة اي بتأثير انتفاضة اوديسا على وجه الضبط اعترف الايسكريون الجدد فعلاً بضرورة العمل لا بموجب توجيهات قرارهم بل بموجب توجيهات

قرار المؤتمر اي انهم اعترفوا بان مهمة الانتفاض ملحة لا تقبل التأجيل وبان الدعوات السافرة والفورية الى التنظيم الفوري للانتفاض والتسلح ضرورية اطلاقاً

لقد استبعدت الثورة في الحال المذهب الاشتراكي-الديموقراطي المتأخر ونقصت العقبات في وجهنا للاتحاد الفعلي مع الايسكريين الجدد على اساس العمل المشترك عقبة اخرى علماً بان هذا لا يعني بعدُ بالطبع زوال الخلافات المبدئية زوالاً تاماً فنحن لا يسعنا ان نرضى بان تعرج شعاراتنا التكتيكية في اثر الاحداث متكيفة لها بعد وقوعها يجب علينا ان نبذل جهدنا لكي تقودنا هذه الشعارات الى امام وتثير لنا السبيل اللاحق وترفعنا الى اعلى من مهمات الساعة المباشرة ولأجل القيام بنضال منسجم ومنتظم لا يمكن لحزب البروليتاريا ان يرسم تكتيكة حسب المناسبات بل يجب عليه ان يجمع في قراراته التكتيكية بين الاخلاص لمبادئ الماركسية وبين الحساب الصحيح للمهمات الطبيعية التي تواجه الطبقة الثورية

خذوا المسألة السياسية الملحة الاخرى مسألة الحكومة الثورية الموقته هنا نرى على الارجح بمزيد من الوضوح ان هيئة تحرير «الايسكرا» تقطع فعلاً في منشورها كل صلة بشعارات الكونفيرانس وتتبنى شعارات المؤتمر الثالث التكتيكية لقد رُمي الى البحر بالنظرية الخرقاء القائلة «بعدم طرح هدف الاستيلاء على السلطة» (لأجل الانقلاب الديموقراطي) «او تقاسم السلطة في الحكومة الموقته» لأن المنشور يدعو صراحة الى «الاستيلاء على المؤسسات المدنية» وتنظيم «ادارة الشؤون الاجتماعية موقتاً» وان الشعار الاخرق القائل «بالبقاء حزب اقصى المعارضة الثورية» (الخرق في عهد الثورة وان كان صحيحاً جداً في عهد النضال البرلماني فقط) قد احيل عملياً على الارشيف ، لأن

حوادث اوديسا اكرهت «الاييسكرا» على ان تفهم انه من المضحك في زمن الانتفاضة الاكتفاء بهذا الشعار وانه تجب الدعوة بنشاط الى الانتفاض ، الى القيام به باشد ما يكون من الحزم والى الاستفادة من السلطة الثورية كذلك الشعار الاخرق القائل «بالكومونات الثورية» نُبذ جانباً لان حوادث اوديسا اكرهت «الاييسكرا» على ان تفهم ان هذا الشعار لا يفعل غير ان يسهل الخلط بين الانقلاب الديموقراطي والانقلاب الاشتراكي والحال ان الخلط بين هذين الامرين المختلفين للغاية لا يعدو ان يكون مغامرة تدل على انعدام وضوح الفكر النظري كلياً ومن شأنها ان تصعب تحقيق التدابير العملية الضرورية ضرورة حيوية التدابير التي تسهل على الطبقة العاملة النضال من اجل الاشتراكية في الجمهورية الديموقراطية

تذكروا المناظرة بين «الاييسكرا» الجديدة و«فبريود» وتكتيكها القائل «من تحت فقط» خلافاً لشعار «فبريود» القائل «من تحت ومن فوق» ، - تروا ان «الاييسكرا» تبنت حلناً للمسألة بدعوتها الآن بنفسها الى العمل من فوق تذكروا مخاوف «الاييسكرا» بصدد الاساءة الى انفسنا بانفسنا بالمسؤولية عن الخزينة والمالية وما الى ذلك ، - تروا ان «الاييسكرا» اذا كانت حججنا لم تقنعها فان الاحداث نفسها تقنعها بصحة هذه الاستنتاجات، لأن «الاييسكرا» توصي صراحة في المنشور الذي اشرنا اليه «بالاستيلاء على فروع مصرف الدولة» والنظرية الخرقاء التي تزعم ان ديكتاتورية البروليتاريا والفلاحين الديموقراطية الثورية ومشاركة هاتين الطبقتين في الحكومة الثورية الموقته هما «خيانة للبروليتاريا» او «جوريسية (ميليرانية) مبتذلة» - انما نساها بكل بساطة الايسكريون الجدد الذين يوجهون الآن بانفسهم الى العمال والفلاحين على وجه الدقة دعوة الى الاستيلاء على المؤسسات المدنية ، وفروع مصرف الدولة ، ومستودعات الاسلحة ،

و«تسليح الشعب بأسره» (تسليحه الآن ، على الأرجح بالسلاح وليس فقط «بالحاجة الماسة الى التسليح الذاتي») وعلان اسقاط المَلَكية القيصرية ، والنخ - خلاصة القول ، الى العمل كلياً حسب البرنامج الوارد في قرار المؤتمر الثالث ، والعمل على وجه الدقة كما يشير شعار الديكتاتورية الديمقراطية الثورية والحكومة الثورية الموقته

صحيح ان «اليسكرا» لا تذكر في منشورها لا هذا الشعار ولا ذاك فهي تعدد وتصف جميع الاعمال التي يميز مجملها الحكومة الثورية الموقته ولكنها تتحاشى هذه الكلمة وعبثاً تفعل هذا وهي تتبنى عملياً بنفسها هذا الشعار اما انعدام التعبير الواضح فليس بوسعه الا ان يبذر بذور التردد والميوعة ، والغموض في عقول المناضلين ان الخوف من كلمات «الحكومة الثورية» «السلطة الثورية» هو خوف فوضوي صرف وغير جدير بالماركسي فلأجل «الاستيلاء» على المؤسسات والمصارف و«تعيين الانتخابات» والتكليف «بادارة الشؤون موقتاً» ، و«اعلان اسقاط المَلَكية» ، - لهذا الغرض ، ينبغي اطلاقاً في البدء تأليف وعلان حكومة ثورية موقته من شأنها ان توحد وتوجه نحو هدف واحد الشعب النائر في كل نشاطه الحربي والسياسي فبدون هذا الاتحاد بدون الاعتراف العام بالحكومة الثورية الموقته من جانب الشعب بدون انتقال السلطة بكاملها الى الحكومة الثورية الموقته ، يبقى كل «استيلاء» على المؤسسات كل «اعلان» للجمهورية نزوة تمردية بسيطة وفارغة فان عزيمة الشعب الثورية اذا لم تركزها الحكومة الثورية تتجزأ بعد اول توفيق تحرزه الانتفاضة وتتفتت الى توافه وتفقد ابعادها الوطنية العامة ولا تقوم بمهمة الاحتفاظ بما تم الاستيلاء عليه ومهمة تحقيق ما نودى به .

ونكرر ان الاشتراكيين-الديموقراطيين الذين لم يعترفوا بقرارات المؤتمر الثالث حادوا قد اضطروا فعلاً في الواقع بحكم مجرى الاحداث الى العمل على وجه الدقة بموجب الشعارات التي اعطاها هذا المؤتمر والى نبذ شعارات الكونفيرانس ان الثورة تعلم وقضيتنا ان نستفيد من دروسها الى آخر نقطة منها ونطابق بين شعاراتنا التكتيكية وبين مسلكنا ومهاتنا المباشرة وننشر بين الجماهير الفهم الصحيح لهذه المهمات المباشرة ، ونشرع في تنظيم العمال على اوسع نطاق في كل مكان لأجل اهداف الانتفاض القتالية لأجل انشاء الجيش الثوري وتاليف الحكومة الثورية الموقته !

الاشتراكية والفلاحون

الثورة التي تعيشها روسيا هي ثورة شعبية شاملة فان مصالح الشعب بأسره قد دخلت في تناقض مستعص مع مصالح حفنة من الافراد يشكلون الاوتوقراطية ويدعمونها ثم ان مجرد وجود المجتمع المعاصر القائم على اساس الاقتصاد البضاعي يتطلب نظراً للفرق الهائل والتناقض الصارخ بين مصالح مختلف الطبقات والفئات من السكان القضاء على الاوتوقراطية والحرية السياسية والتعبير السافر والمباشر عن مصالح الطبقات السائدة في تنظيم الدولة وادارتها وان الانقلاب الديموقراطي البرجوازي من حيث جوهره الاجتماعي الاقتصادي لا بد له ان يعبر عن حاجات المجتمع البرجوازي بأسره

ولكن هذا المجتمع نفسه الذي يبدو في الوقت الحاضر موحداً ومتضامناً في النضال ضد الاوتوقراطية انما تشقه هوة لا عودة عنها بين الرأسمال والعمل فان الشعب الذي هب ضد الاوتوقراطية ليس شعباً موحداً المالكون والعمال الاجراء العدد الطفيف («الآلاف العشرة في القمة») من الاغنياء وعشرات الملايين من المعدمين والكادحين انما هم حقاً وفعلاً «امتان» كما قال انجليزي بعيد النظر في النصف الاول من القرن التاسع عشر (٢١٩) ان النضال بين البروليتاريا والبرجوازية يرد في جدول الاعمال في

اوروبا بأسرها وهذا النضال انتشر وشمل روسيا ايضاً من زمان ان ما يؤلف مضمون الثورة في روسيا المعاصرة ليس قوتين متناضلتين بل حربان اجتماعيتان مختلفتان ومتنوعتان احدهما في قلب نظام القنانة والاوتوقراطية المعاصر والثانية في قلب النظام المقبل ، النظام البرجوازي الديموقراطي الذي يولد امام عيوننا احدهما نضال الشعب بأسره في سبيل الحرية (في سبيل حرية المجتمع البرجوازي) في سبيل الديموقراطية اي في سبيل اوتوقراطية الشعب والثانية نضال البروليتاريا الطبقي ضد البرجوازية في سبيل التنظيم الاشتراكي للمجتمع

وهكذا تقع على عاتق الاشتراكيين مهمة شاقة وعسيرة - هي ان يخوضوا في آن واحد حربين مختلفتين تماماً سواء من حيث الطابع او الاهداف او قوام القوى الاجتماعية القادرة على الاشتراك بثبات في هذه الحرب او تلك وهذه المهمة العسيرة طرحتها الاشتراكية-الديموقراطية بوضوح وحلتها بحزم لانها اتخذت من الاشتراكية العلمية اي من الماركسية اساساً لبرنامجها كله لانها دخلت كفضيلة من الفضائل في جيش الاشتراكية-الديموقراطية العالمية التي تحققت من صحة موضوعات الماركسية واكدتها واوضحتها وطورتها بمزيد من التفصيل استناداً الى خبرة عدد كبير من الحركات الديموقراطية والاشتراكية في شتى البلدان الاوروبية

ان الاشتراكية-الديموقراطية الثورية كانت تبين وقد بينت من زمان الطابع البرجوازي للنزعة الديموقراطية الروسية ابتداء من صيغتها الليبرالية-الشعبية وانتهاء بصيغتها «الوسفوبوجدينية» لقد كانت تبين على الدوام ما يلزم النزعة الديموقراطية البرجوازية من نصفية ومحدودية وضيق وقد طرحت امام البروليتاريا الاشتراكية في عهد الثورة الديموقراطية المهمة

التالية وهي ان تجتذب الى جانبها سواد الفلاحين وتشمل تذبذب البرجوازية وتحطم الاوتوقراطية وتسحقها ان انتصار الثورة الديمقراطية العاسم لا يمكن الا بصورة ديكتاتورية البروليتاريا والفلاحين الديمقراطية الثورية ولكن كلما تحقق هذا الانتصار بمزيد من السرعة والكمال كلما تفاقمت التناقضات الجديدة والنضال الطبقي الجديد بمزيد من السرعة والعمق على صعيد النظام البرجوازي الديمقراطي كلياً وكلما حققنا الانقلاب الديمقراطي بمزيد من الكمال ، كلما واجهنا مهام الانقلاب الاشتراكي بمزيد من القرب وازداد نضال البروليتاريا ضد اسس المجتمع البرجوازي ذاتها حدة وضراوة .

فينبغي على الاشتراكية-الديموقراطية ان تخوض نضالاً دائماً ضد كل انحراف عن هذه الطريقة في طرح مهمات البروليتاريا الثورية-الديموقراطية منها والاشتراكية ومن السخافة تجاهل طابع الثورة الحالية الديمقراطي ، اي البرجوازي اساساً ولهذا من السخافة رفع شعارات كشعار انشاء الكومونات الثورية ومن السخافة والرجعية الاستصغار من شأن مهمة اشتراك البروليتاريا، - علماً بانه اشتراك قيادي - في الثورة الديمقراطية ، بالتنكر على الاقل لشعار ديكتاتورية البروليتاريا والفلاحين الديمقراطية الثورية من السخافة الخلط بين مهام وظروف الثورة الديمقراطية والثورة الاشتراكية المختلفتين - ونكرر قولنا - سواء من حيث الطابع ام من حيث قوام القوى الاجتماعية التي تشترك فيها وعلى هذا الخطأ الاخير بالذات نعتزم الآن التوقف بمزيد من التفصيل ان انعدام تطور التناقضات الطبقيه في صفوف الشعب على العموم وفي صفوف الفلاحين على الخصوص انما هو ظاهرة محتمة في عهد الثورة الديمقراطية التي خلقت للمرة الاولى الاسس لاجل تطور الرأسمالية تطوراً واسعاً حقاً وفعالاً . وانعدام تطور

الاقتصاد هذا يستتبع بقاء الاشكال المتأخرة للاشترائية وانبعائها بهذه الصورة او تلك هذه الاشترائية التي هي اشترائية برجوازية صغيرة لانها تضيف صفة مثالية على التحويلات التي لا تتعدى اطار العلاقات البرجوازية الصغيرة ان سواد الفلاحين لا يدرك ولا يسعه ان يدرك ان «الحرية» الاكثر كمالاً والتوزيع الاوفر «عدلاً» ، وان حتى للارض كلها ، لا يقضيان على الرأسمالية، وليس هذا وحسب بل يخلقنا بالعكس ، الشروط لاجل تطور الرأسمالية تطوراً واسعاً وجباراً بخاصة وفي حين لا تفرز الاشتراكية-الديموقراطية ولا تدعم غير المضمون الديموقراطي الثوري لهذه المطامح الفلاحية تبني الاشتراكية البرجوازية الصغيرة من اللاوعي الفلاحي نظرية خالطة او دامجة في كل واحد شروط ومهام الانقلاب الديموقراطي الفعلي والانقلاب الاشتراكي المتخيل

واوضح تعبير عن هذه الايديولوجية البرجوازية الصغيرة غير الواضحة برنامج - والاصح القول مشروع برنامج «الاشتراكيين-الثوريين» الذين تسرعوا في المناداة بانفسهم حزباً بقدر ما كانت اشكال الحزبية ومقدماتها اقل تطوراً عندهم وبتحليل مشروع برنامجهم (راجعوا «فريود» ، العدد ٣*) ، سنحت لنا الفرصة لكي نبين ان جذر مفاهيم الاشتراكيين-الثوريين هو الشعبية الروسية القديمة ولكن بما ان تطور روسيا الاقتصادي كله ومجرى الثورة الروسية كله ينتزعان التربة من تحت دعائم الشعبية الخالصة ، كل يوم وكل ساعة ، بلا رحمة ولا شفقة ، فان مفاهيم الاشتراكيين-الثوريين تصبح لا مناص مفاهيم اختيارية وهم يحاولون اصلاح فتوق الشعبية برقع من «انتقاد» الماركسية

* راجع مقال لينين : «من الشعبية الى الماركسية» . الناشر .

الانتهازي الدارج ولكن الثوب المهلهل لا يصبح من جراء ذلك امتن ان برنامجهم انما هو ، على العموم وبالأجمال ، شيء لا حياة فيه البتة ، شيء حافل بالتناقضات ولا يعبر في تاريخ الاشتراكية الروسية الا عن احدى المراحل في الطريق من روسيا الاقطاعية الى روسيا البرجوازية في الطريق «من الشعبية الى الماركسية» وهذا التعريف النموذجي بالنسبة لجملة كاملة من سواقي الفكر الثوري المعاصر الصغيرة الى هذا الحد او ذاك يصح ايضاً على المشروع الجديد للبرنامج الزراعي للحزب الاشتراكي البولوني (٢٢٠) المنشور في العدد ٦-٨ من „Przedświt“ (٢٢١)

يقسم المشروع البرنامج الزراعي الى قسمين القسم الاول يعرض «الاصلاحات التي نضجت الظروف الاجتماعية لاجل تحقيقها» القسم الثاني «يصوغ تنويع وتكامل الاصلاحات الزراعية المعروضة في القسم الاول» والقسم الاول ينقسم بدوره الى ثلاثة فصول أ - حماية العمل - مطالب في مصلحة البروليتاريا الزراعية ب - الاصلاحات الزراعية (بالمعنى الضيق او المطالب الفلاحية كما يقال) ج - حماية سكان الريف (الادارة الذاتية والنخ .)

في هذا البرنامج خطوة نحو الماركسية هي محاولة فصل شيء من نوع برنامج الحد الأدنى عن برنامج الحد الأقصى ، - ثم طرح مطالب ذات طابع بروليتاري صرف بصورة مستقلة تماماً ، - ثم الاعتراف في حيثيات البرنامج بانه لا يجوز البتة للاشتراكي ان «يتملق غرائز الملكية عند جماهير الفلاحين» والحال اذا معنا الفكر في الحقيقة الواردة في الموضوعة الاخيرة وطورهاها بانسجام الى النهاية فان الحاصل سيكون حتماً برنامجاً ماركسياً بحثاً ولكن المصيبة ان الحزب الاشتراكي البولوني ليس حزباً

بروليتارياً منسجماً وهو يستمد افكاره بنفس القدر من الرضى والسرور من النقد الانتهازي للماركسية ونقرأ في حيثيات البرنامج «من جراء ميل ملكية الارض غير المثبت الى التمرکز ليس من المعقول اخذ جانب الدفاع عن هذا الشكل للاقتصاد بكامل الصدق واليقين واقناع الفلاح بحتمية زوال الاستثمارات الصغيرة»

ان هذا لا يعدو ان يكون صدى للاقتصاد السياسي البرجوازي فان الاقتصاديين البرجوازيين يبذلون قصارى جهدهم لتلقين الفلاح الصغير فكرة امكانية الجمع بين الرأسمالية ويسر الزارع الصغير المالك ولهذا يطمسون المسألة العامة مسألة الاقتصاد البضاعي ونير الرأسمال وتدهور وتردي الاستثمارة الفلاحية الصغيرة بمسألة خاصة هي مسألة تمرکز ملكية الارض وهم يغمضون عيونهم على كون الانتاج الكبير في الفروع التجارية المختصة من فروع الزراعة يتطور سواء في ملكية الارض الصغيرة ام المتوسطة وكون هذه الملكية تتفسخ سواء بحكم نمو بدلات الايجار ام تحت وطأة الرهونات ام تحت ضغط الربا وهم يتركون في الظل هذا الواقع الذي لا مراء فيه وهو تفوق الاستثمارة الكبيرة التكنيكي في الزراعة وكذلك تردي شروط حياة الفلاح في نضاله ضد الرأسمالية ولا شيء في اقوال الحزب الاشتراكي البولوني غير ترديد لهذه الاوهام البرجوازية التي يبعثها اضراب دافيد المعاصرون

ان تقلقل المفاهيم النظرية يؤثر كذلك في البرنامج العملي خذوا القسم الاول - الاصلاحات الزراعية بالمعنى الضيق من جهة تقرأون البند ٥ - «الغاء جميع القيود لدن شراء الحصاص و٦ - الغاء «الشرفاركي» (٢٢٢) وعربات النقل (الفرائض العينية)». هذه مطالب دنيا ماركسية صرف . وبتقديمها (ولا سيما في البند ٥)

يخطو الحزب الاشتراكي البولوني خطوة الى الامام بالمقارنة مع اصحابنا الاشتراكيين-الثوريين الذين مع «موسكوفسكيه فيدوموستي» يميلون الى «استحالة التنازل عن حصص الارض» الشهيرة وبتقديمها يقترب الحزب الاشتراكي البولوني لصقاً من الفكرة الماركسية القائلة بالنضال ضد بقايا القنانة بوصفه اساس ومضمون الحركة الفلاحية الحالية ولكن الحزب الاشتراكي البولوني رغم اقترابه من هذه الفكرة بعيد عن القبول بها بصورة كلية وواعية

ان البنود الرئيسية في برنامج الحد الادنى الذي ندرسه تنص على ما يلي «١- تأميم الاقطاعات الاميرية واملاك الدولة والكنيسة ، عن طريق المصادرة ٢- تأميم ملكية الارض الكبيرة في حال انعدام الورثة المباشرين ٣- تأميم الغابات والانهر والبحيرات» ان هذه المطالب تشوبها جميع نواقص البرنامج الذي يطرح من اجل الوقت الحاضر مطلب تأميم الارض في المرتبة الاولى فطالما لا تتوفر الحرية السياسية الكاملة وحكم الشعب المطلق وطالما لا توجد جمهورية ديموقراطية فان طرح مطلب التأميم هو شيء سابق لاوانه وغير معقول لان التأميم يعني الانتقال الى يد الدولة ، والواقع ان الدولة الحالية هي دولة بوليسية وطبقية ، ودولة المستقبل ستكون على كل حال دولة طبقية وهذا المطلب لا يصلح على الاخص بصفته شعاراً يدفع الى الامام في اتجاه اشاعة الديموقراطية لانه ينقل مركز الثقل لا الى علاقات الفلاحين بالملاكين العقاريين (ان الفلاحين سيأخذون اراضي الملاكين العقاريين) بل الى علاقات الملاكين العقاريين بالدولة ان طرح المسألة على هذا النحو زائف من جذوره بالنسبة لظرف يكافح فيه الفلاحون بالسبيل الثوري من اجل الارض ضد الملاكين العقاريين وضد دولة الملاكين العقاريين على السواء . اللجان الفلاحية الثورية

لأجل المصادرة ، كاداة للمصادرة ، - ذلك هو الشعار الوحيد الذي يناسب مثل هذا الظرف والذي يدفع الى الامام النضال الطبقي ضد الملاكين العقارين على صلة لا انفصام لعرها مع تدمير دولة الملاكين العقارين بالسبيل الثوري

والبنود الاخرى في برنامج الحد الادنى الزراعي كما وردت في مشروع الحزب الاشتراكي البولوني هي التالية «٤- الحد من حق الملكية لانه يمسى عقبة امام التحسينات الزراعية اياً كانت (تجويد التربة) اذا اعتبرت اغلبية ذوي العلاقة هذه التحسينات امراً ضرورياً ٧ - تأميم ضمان الحبوب من الحريق و ضربات البرد ، والمواشي من الاوبئة ، ٨ - المساعدة التشريعية من جانب الدولة في تشكيل الارتيلات الزراعية والتعاون ٩ - مدارس الهندسة الزراعية»

هذه البنود مفعمة كلياً بروح الاشتراكيين-الثوريين او (وهو الشيء نفسه) مفعمة كلياً بروح الاصلاحية البرجوازية ولا شيء ثورياً فيها انها بالطبع تقدمية ولا مرء في هذا ولكنها تقدمية في مصلحة المالكين وان طرحها من جانب الاشتراكي يعني على وجه الدقة تملق غرائز الملكية وطرحها يعني نفس ما تعنيه المطالبة بمساعدة الدولة للتروستات والكارتلات والسنديكات وجمعيات الصناعيين التي ليست اقل «تقدمية» من التعاون والضمان وخلافهما في الزراعة كل هذا تقدم رأسمالي والعناية به ليست من شأننا بل من شأن ارباب العمل اصحاب المشاريع وخلافاً للاشتراكية البرجوازية الصغيرة تترك الاشتراكية البروليتارية للكائنات من آل دي روكيني وللملاكين العقارين-الزيمستفويين ومن لف لفهم امر العناية بتعاونيات ارباب العمل والمالكين وتعنى هي نفسها كلياً وبوجه الحصر بتعاون العمال الاجراء بغية النضال ضد ارباب العمل .

انظروا الآن الى القسم الثاني من البرنامج انه يتألف من البند التالي وحده «تأميم ملكية الارض الكبيرة عن طريق المصادرة الاراضي المحروثة والمروج التي يكتسبها الشعب على هذا النحو يجب تقسيمها الى حصص وتسليمها للفلاحين الذين لا يملكون ارضاً او الذين يملكون قطعاً صغيرة من الارض ، على سبيل التاجر المضمون الطويل الامد»

«تتويج» ممتاز والحق يقال فان حزباً يقول عن نفسه بانه حزب اشتراكي يعرض ، على سبيل «تتويج وتكامل الاصلاحات الزراعية» طوبوية برجوازية صغيرة سخيفة وليس البتة تنظيمياً اشتراكياً للمجتمع وامامنا اجلي مثال على الخلط التام بين الانقلاب الديمقراطي والانقلاب الاشتراكي على انعدام الفهم التام لاهدافهما المختلفة فان انتقال الارض من الملاكين العقاريين الى الفلاحين قد يكون - وكان في اوروبا في كل مكان - جزءاً لا يتجزأ من الانقلاب الديمقراطي مرحلة من مراحل الثورة البرجوازية ولكنه لا يمكن لغير الراديكاليين البرجوازيين ان ينعتوه بالتتويج او بالسير الى النهاية ان اعادة توزيع الارض بين هذه او تلك من فئات المالكين هذه او تلك من طبقات المالكين قد تكون نافعة وضرورية من اجل انتصار الديمقراطية من اجل محو آثار القنانة تماماً ورفع مستوى حياة الجماهير وتعجيل تطور الرأسمالية والخ ، - وان احزم التأييد لمثل هذا الاجراء قد يكون الزامياً على البروليتاريا الاشتراكية في عهد الثورة الديمقراطية ولكنه لا يمكن ان يكون «تتويجاً وسيراً الى النهاية» غير الانتاج الاشتراكي وليس الانتاج الفلاحي الصغير ان «ضمان» الايجار الفلاحي الصغير مع الحفاظ على الاقتصاد البضاعي والرأسمالية انما هو طوبوية برجوازية صغيرة رجعية ، لا اكثر

نحن نرى الآن ان الخطأ الاساسي للحزب الاشتراكي البولوني

لا يلزمه هو وحده وليس الخطأ الوحيد وليس خطأ من باب الصدفة فهو يعبر بشكل اوضح واجلى (مما تعبر «جتمعة» الاشتراكيين-الثوريين الشهير الذي لا يفهمه الاشتراكيون-الثوريون انفسهم) عن الخطأ الجذري الذي اقترفته الشعبية الروسية كلها والليبيرالية والراييكالية البرجوازية الروسية كلها في المسألة الزراعية بما فيه ذاك الذي ظهر في المناقشات اثناء مؤتمر اعضاء الزيمستفوات الاخير (في ايلول - سبتمبر) في موسكو وهذا الخطأ الجذري يمكن الاعراب عنه كما يلي

برنامج الحزب الاشتراكي البولوني ليس ثورياً في طرح الاهداف القريبة . وليس اشتراكياً في اهدافه النهائية .

او بتعبير آخر من جراء عدم فهم الفرق بين الانقلاب الديمقراطي والانقلاب الاشتراكي لا تفصح المهمات الديمقراطية عن جانبها الثوري فعلاً ، في حين ان المهمات الاشتراكية تنطوي على كل غموض المفهوم البرجوازي الديمقراطي عن العالم ويكون الحاصل شعاراً هو بالنسبة للديموقراطي غير ثوري كفاية وبالنسبة للاشتراكي مشوش بشكل لا يغتفر

اما برنامج الاشتراكية-الديموقراطية فانه على العكس يلبي جميع المطالب سواء منها المتعلقة بمساندة النزعة الديمقراطية الثورية حقاً ام بطرح الهدف الاشتراكي الواضح ففي الحركة الفلاحية الحالية نرى النضال ضد القنانة ، النضال ضد الملاكين العقاريين وضد دولة الملاكين العقاريين وهذا النضال نسانده الى النهاية والشعار الصحيح الوحيد لاجل هذه المساندة هو المصادرة عن طريق اللجان الفلاحية الثورية اما ما يجب عمله بالاراضي المصادرة فتلك مسألة ثانوية ولسنا نحن الذين سنحلها ، بل الفلاحون وعند حلها يبدأ على وجه الضبط النضال بين البروليتاريا والبرجوازية في صفوف الفلاحين . ولهذا ، إما ان

نترك هذه المسألة معلقة (الامر الذي لا يطيب للمهوسين البرجوازيين الصغار في وضع المشاريع) ، وإما ان نكتفي باعطاء اشارة الى بداية الطريق بصورة استرداد الاراضي المقتطعة (٢٢٣) (الامر الذي يرى فيه اولئك الذين قلما يفكرون عقبة امام الحركة رغم العديد من توضيحات الاشتراكية-الديموقراطية) ولكي يضطلع الاصلاح الزراعي الذي لا مناص منه في روسيا المعاصرة بدور ديموقراطي ثوري توجد وسيلة واحدة فقط هي القيام به بمبادرة الفلاحين انفسهم بمبادرتهم الثورية رغم انف الملاكين العقارين والبيروقراطية ، رغم انف الدولة اي القيام به بالسبيل الثوري ان اسوأ توزيع للارض بعد هذا التحويل سيكون افضل من التوزيع الحالي من جميع جهات النظر وهذا السبيل نشير اليه ، واضعين في رأس الزاوية مطلب اللجان الفلاحية الثورية

ولكننا فضلاً عن هذا نقول للبروليتاريا الزراعية «ان انتصار الفلاحين الحاسم الذي يجب عليك ان تساعد به الآن بجميع القوى لن ينقذك من الفقر فلهذا الغرض يوجد اجراء واحد فقط هو انتصار البروليتاريا كلها - الصناعية منها والزراعية - على البرجوازية كلها ، وبناء المجتمع الاشتراكي»

مع الفلاحين المالكين ضد الملاكين العقارين ودولة الملاكين العقارين مع بروليتاريا المدن ضد البرجوازية كلها وضد جميع الفلاحين المالكين ذلك هو شعار البروليتاريا الريفية الواعية واذا لم يتبن المالكون الصغار هذا الشعار في الحال او حتى اذا لم يتبنوه اطلاقاً ، فانه سيصبح بالمقابل شعار العمال ، وستؤكده الثورة كلها لا محالة ، وسينقذنا من الاوهام البرجوازية الصغيرة ، ويبين لنا هدفنا الاشتراكي بوضوح ودقة

ملاحظات

١- وضع لينين كتاب «ما العمل ؟ المسائل الملحة لحركتنا» في اواخر سنة ١٩٠١ - اوائل سنة ١٩٠٢

وفي كانون الاول (ديسمبر) ١٩٠١ ، نشر لينين في العدد ١٢ من جريدة «اليسكرا» مقالا بعنوان «محادثة مع المدافعين عن الاقتصادية» وصفه فيما بعد بانه رؤوس اقلام «ما العمل ؟» وفي شباط (فبراير) ١٩٠٢ ، كتب لينين مقدمة الكتاب وفي اوائل آذار (مارس) اصدرت دار ديتس للنشر في شتوتغارت كتاب «ما العمل ؟» واعلنت «اليسكرا» ذلك في ١٠ آذار ١٩٠٢ في عددها ١٨

لعب كتاب «ما العمل ؟» دوراً هاماً في النضال من اجل تاسيس حزب ماركسي ثوري للطبقة العاملة في روسيا ، وفي تأمين الانتصار للاتجاه اليسكري اللينيني في لجان ومنظمات ح ع ادر (حزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا) ، ومن ثم ، سنة ١٩٠٣ ، في مؤتمر هذا الحزب الثاني .

في سنتي ١٩٠٢-١٩٠٣ ، انتشر الكتاب انتشاراً واسعاً في المنظمات الاشتراكية-الديموقراطية بروسيا . - ص ١١

٢- صدر مقال لينين «بم فبدأ ؟» كمقال افتتاحي في العدد ٤ من جريدة «اليسكرا» وتضمن اجوبة على القضايا الهامة التي طرحها ذلك الزمن امام الحركة الاشتراكية-الديموقراطية في روسيا بصدد طابع التخريض السياسي ومضمونه الرئيسي ، بصدد المهام التنظيمية

ومشروع بناء حزب ماركسي كفاحي لعامة روسيا . وصف لينين مقال
«بم نبدأ؟» بأنه الخطوط الكبرى للمشروع الذي عرضه مفصلاً في
كتابه «ما العمل؟»
جاء المقال وثيقة برنامجية للاشتراكية-الديموقراطية الثورية
وانتشر انتشاراً واسعاً في روسيا وفي الخارج . ص ١١

٣- «الايسكرا» (والشرارة) - هي اول جريدة ماركسية سرية لعامة
روسيا ، أسسها لينين سنة ١٩٠٠ ولعبت الدور الفاصل في تأسيس
حزب الطبقة العاملة الماركسي الثوري في روسيا
لما كان الطفيان البوليسي يجعل من المستحيل اصدار
جريدة ثورية في روسيا ، فقد وضع لينين ، حين كان منفياً في
سبييريا ، مشروعاً لاصدار هذه الجريدة في الخارج وعندما انتهت
مدة نفيه (في كانون الثاني - يناير - سنة ١٩٠٠) ، شرع بتحقيق
مشروعه

صدر العدد الاول من «الايسكرا» اللينينية في كانون الاول
(ديسمبر) ١٩٠٠ في ليبزيغ ، وصدرت الاعداد التالية في مونيخ ،
وابتداء من تموز (يوليو) ١٩٠٢ في لندن ، ومن ربيع سنة
١٩٠٣ في جنيف وكان لينين يقوم في الواقع بمهام موجهه
والايسكرا» ورئيس تحريرها

غدت «الايسكرا» مركز توحيد القوى الحزبية وتأسست
في جملة من مدن روسيا فرق ولجان لحزب العمال الاشتراكي-
الديموقراطي في روسيا اتجاهاها ايسكري

وضعت هيئة تحرير «الايسكرا» ونشرت لاجل البحث
والمناقشة مشروع برنامج الحزب، وحضرت المؤتمر الثاني لاجع ادر
(سنة ١٩٠٣) نومه المؤتمر الثاني لاجع ادر بالخدمات
الجل التي قدمتها «الايسكرا» في توحيد جميع المنظمات الاشتراكية-
الديموقراطية في روسيا في حزب واحد ، واعلنها لسان حال
الحزب

ولكن ، بعد المؤتمر الثاني لاجع ادر بفترة وجيزة ، نشب
الصراع في هيئة تحرير الجريدة بين لينين وممثلي لاتجاه الانتهازي ،

المناشفة خرج لينين من هيئة التحرير ومنذ العدد ٥٢ (تشرين الثاني - نوفمبر - ١٩٠٣) ، اخذت «الايسكرا» تسمى «بالايسكرا» الجديدة تمييزاً لها عن «الايسكرا» اللينينية القديمة حول المناشفة «الايسكرا» الى صحيفة للنضال ضد الماركسية وضد الحزب ، والى منبر للترويج بالانتهازية . - ص ١١

٤- في ربيع وصيف سنة ١٩٠١ ، جرت بين المنظمات الاشتراكية-الديموقراطية في الخارج (اتحاد الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس ولجنة البولند في الخارج والمنظمة الثورية «الاشتراكي-الديموقراطي» وفرع لمنظمة «الايسكرا» - «زاريا» في الخارج) بوساطة ومبادرة فرقة «النضال» مفاوضات حول الاتحاد ويقصد تحضير المؤتمر الذي ينبغي للاتحاد ان يتم فيه ، انعقد في جنيف في حزيران (يونيو) سنة ١٩٠١ كونفيرانس (مجلس عام) لممثلي هذه المنظمات (ومن هنا انبثقت تسميته - «كونفيرانس حزيران» او «كونفيرانس جنيف») وفي هذا الكونفيرانس ، وضع قرار «اتفاق ميدني» (يعترف بضرورة تراص جميع المنظمات الاشتراكية-الديموقراطية ويشجب الانتهازية بجميع مظاهرها وتلاوينها من «اقتصادية» وبرنشتينية وميليرانية ، الخ الا ان انعطاف «اتحاد الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس» وجريدته «رابوتشييه ديلو» انعطافاً جديداً نحو الانتهازية قد حتم مسبقاً اخفاق محاولات التوحيد

انعقد المؤتمر التوحيدي لمنظمات حزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا في الخارج في ٢١-٢٢ ايلول (سبتمبر) (٤-٥ تشرين الاول - اكتوبر) ١٩٠١ في زوريخ وفي المؤتمر تمثلت منظمة «الايسكرا» - «زاريا» ، والمنظمة الثورية «الاشتراكي-الديموقراطي» ، و«اتحاد الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس» وفرقة «النضال»

وبما ان المؤتمر اتخذ قرارات بروح الانتهازية ، فقد تلا القسم الثوري من المؤتمر (اعضاء منظمة «الايسكرا» - «زاريا» ومنظمة «الاشتراكي-الديموقراطي») تصريحاً باستحالة التوحيد وانسحب من المؤتمر . - ص ١١ .

٥- **الاقتصادية** - تيار انتهازي في الحركة الاشتراكية-الديموقراطية في روسيا في اواخر القرن التاسع عشر واول القرن العشرين .
 حصر «الاقتصاديون» مهام الطبقة العاملة في النضال الاقتصادي من اجل زيادة الاجور ، وتحسين شروط العمل ، والخ .
 زاعمين ان النضال السياسي هو من شأن البرجوازية الليبرالية وانكر الاقتصاديون الدور القيادي لحزب الطبقة العاملة ، واعتبروا انه يجب على الحزب ان يكتفي بتأمل مجرى الحركة العفوية ، وان يكون مجرد مسجل للاحداث وبلاستخذاء امام عفوية الحركة العمالية ، حطوا من شأن النظرية الثورية والوعي زاعمين انه يمكن ان تنبثق الايديولوجية الاشتراكية من الحركة العمالية العفوية .
 ص ١٢

٦- **«رابوتشييه ديلو»** (وقضية العمال) - مجلة غير دورية ، لسان حال «اتحاد الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس في الخارج» صدرت في جنيف من نيسان (ابريل) ١٨٩٩ حتى شباط (فبراير) ١٩٠٢ صدر منها ١٢ عدداً (تسعة كتب) كانت هيئة تحرير «رابوتشييه ديلو» مركز «الاقتصاديين» في الخارج ايدت «رابوتشييه ديلو» الشعار البرلشتيني القائل بـ«حرية نقد» الماركسية ، ووقفت مواقف انتهازية في القضايا المتعلقة بتكتيك الاشتراكية-الديموقراطية الروسية ومهامها التنظيمية في المؤتمر الثاني لـ ح ا د ر ، كان انصار «رابوتشييه ديلو» يمثلون الجناح الانتهازي اليميني المتطرف في الحزب . ص ١٢

٧- **«رابوتشايا غازيتا»** (وجريدة العمال) - جريدة سرية للاشتراكيين-الديموقراطيين في كييف صدر منها عدنان فقط العدد الاول في آب (اغسطس) ١٨٩٧ والعدد الثاني في كانون الاول (ديسمبر) من السنة نفسها (ويحمل تاريخ تشريسن الثاني - نوفمبر) اعترف المؤتمر الاول لـ ح ا د ر (الذي انعقد في آذار - مارس - ١٨٩٨) بجريدة «رابوتشايا غازيتا» لسان الحال الرسمي للحزب بعد ارفض المؤتمر ، وبنتيجة اعتقال اعضاء اللجنة المركزية

وهيئة تحرير «رابوتشايا غازيتا» ، وتحطيم البوليس للمطبعة لم يصدر العدد الثالث الذي كان معداً للصف وفي سنة ١٨٩٩ جرت محاولة لبعث «رابوتشايا غازيتا» وعن هذه المحاولة يتكلم لينين في الفقرة «أ» من الفصل الخامس من كتابه «ما العمل؟» (انظروا هذا المجلد من ص ٢٠٠-٢٠١) - ص ١٢

٨- اللاساليون والايوزيناخيون - حزبان تواجدا في الحركة العمالية الالمانية

في الستينيات وفي مستهل السبعينيات من القرن التاسع عشر ، ودار بينهما نضال عنيف حول قضايا التكتيك بصورة رئيسية ، وبالدرجة الاولى حول قضية كانت احدَ قضية في حياة المانيا السياسية في تلك السنين - قضية سبل توحيد المانيا

اللاساليون - انصار واتباع الاشتراكي الالمانى البرجوازي الصغير فرديناند لاسال ، اعضاء واتحاد العمال الالمان العام ، الذي تأسس في مؤتمر جمعيات العمال بليزيغ سنة ١٨٦٣ كان لاسال اول رئيس لهذا الاتحاد وضع لاسال برنامج الحزب وأسس تكتيكة أيد لاسال في نشاطه العملي مع انصاره سياسة بيسمارك ، سياسة الدولة الكبرى الطامحة الى التزعم والتوسيع . وقد كتب انجلس في رسالة وجهها الى ماركس في ٢٧ كانون الثاني (يناير) ١٨٦٥ يقول «ان هذا موضوعاً سفالة وخيانة للحركة العمالية كلها لصالح البروسيين» . غير مرة ، انتقد ماركس وانجلس انتقاداً شديداً تكتيك اللاسالية ومبادئها التنظيمية بوصفها تياراً التهازياً في الحركة العمالية الالمانية

الايوزيناخيون - اعضاء حزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي الالمانى الذي تأسس سنة ١٨٦٩ في مؤتمره التأسيسي بمدينة ايزيناخ كان اوغست بيبل وولهلسم ليكنخست زعيماً الايوزيناخيين ، وكانا متأثرين فكرياً بماركس وانجلس جاء في برنامج ايزيناخ ان حزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي الالمانى يعتبر نفسه وشعبة من شعب جمعية الشغيلة العالمية ويشاطر هذه الجمعية مطامحها . ذاد الايوزيناخيون في قضايا توحيد المانيا عن الطريق الديموقراطي والبروليتاري مناضلين ضد اقل

تساهل حيال النزعات البروسية والبيسماركية والتعصب القومي»
(لينين)

ان تأسيس الامبراطورية الالمانية في سنة ١٨٧١ قد ازال
الخلاف التكتيكي الرئيسي بين اللاسالين والايوزيناخين ؛ وتحت
تأثير نهضة الحركة العمالية ، واشتداد تدابير القمع الحكومية ،
اتحد الحويان سنة ١٨٧٥ في مؤتمر غوتا في الحزب الاشتراكي
الالمانى الموحد (اصبح فيما بعد الحزب الاشتراكي-
الديموقراطي الالمانى) . - ص ١٦

الفيديون والامكانيون - تياران ثوري وانتهازي في الحركة الاشتراكية
الفرنسية ، تشكلا في عام ١٨٨٢ بعد انشقاق حزب العمال الفرنسي
في مؤتمر سانت-ايتين الى حزبين

الفيديون - هم انصار غيد ولافارغ ، تيار ماركسي يساري زاد عن
سياسة ثورية مستقلة للبروليتاريا وقد احتفظ الفيديون باسم
(حزب العمال الفرنسي) وظلوا اثناء البرنامج الذي كان اتخذه
الحزب سنة ١٨٨٠ في مدينة الهافر والذي كان ماركس قد كتب
قسمه النظري وكان لهم نفوذ كبير في مراكز فرنسا الصناعية
وكانوا يوحدون العناصر الطليعية في الطبقة العاملة وفي سنة
١٩٠١ ، أسس الفيديون الحزب الاشتراكي في فرنسا

الامكانيون (ب بروس ، ب مالون ، وغيرهما) - تيار
اصلاحي ، برجوازي صغير ، كان يصرف البروليتاريا عن طرائق
النضال الثورية شكل الامكانيون (حزب العمال الاجتماعي-
الثوري) ، وانكروا برنامج البروليتاريا الثوري وطمسوا الاهداف
الاشتراكية للحركة العمالية ، واقترحوا حصر نضال العمال في
نطاق «الامكان» او «الممكن» („possible“) ومن هنا اسم الحزب . انتشر
نفوذ الامكانيين بصورة رئيسية في اكثر مناطق فرنسا تأخرا من الناحية
الاقتصادية وبين اقل فئات الطبقة العاملة تطورا في عام ١٩٠٢
شكل الامكانيون مع الفرق الاصلاحية الاخرى الحزب الاشتراكي
الفرنسي برئاسة جان جوريس .

في عام ١٩٠٥ ، اتحد الحزب الاشتراكي في فرنسا والحزب الاشتراكي الفرنسي في حزب اشتراكي فرنسي واحد اثناء الحرب الامبريالية (١٩١٤-١٩١٨) ، خانت قيادة هذا الحزب (غيد وسامبا وغيرهما) قضية الطبقة العاملة وانتقلت الى مواقع الاشتراكية-الشفوفينية - ص ١٦

١٠- **الفاييون** - هم اعضاء الجمعية الفايية ، وهي منظمة اصلاحية بريطانية تأسست سنة ١٨٨٤ وقد اطلق عليها اسم قائد من القادة العسكريين الرومان في القرن الثالث قبل الميلاد هو فاييوس مكسيم الملقب «كونكتاتور» («المماطل») الذي اشتهر بخطة الانتظار وتجنب المعارك الفاصلة في الحرب ضد هنيبعل كان اعضاء الجمعية الفايية في معظمهم من المثقفين البرجوازيين - من العلماء والكتاب والسياسيين (الزوجان ويب برنارد شو ماكدونالد ، وغيرهم) ؛ وقد انكروا ضرورة نضال البروليتاريا الطبقي وضرورة الثورة الاشتراكية ، وزعموا انه يمكن الانتقال من الراسمالية الى الاشتراكية عن طريق الاصلاحات ، عن طريق التحولات التدريجية في المجتمع وصف لينين الفايية بانها «اتجاه الانتهازية المتطرفة» في عام ١٩٠٠ ، انضمت الجمعية الفايية الى حزب العمال تشكل «الاشتراكية الفايية» احد مصادر ايدولوجية العماليين

الاشتراكيون = الديموقراطيون يقصد لينين هنا اعضاء الاتحاد الاشتراكي-الديموقراطي في انجلترا ، الذي تأسس سنة ١٨٨٤ الى جانب الاصلاحيين (هايندمان وغيره) والفوضويين ، ضم الاتحاد الاشتراكي-الديموقراطي جماعة من الاشتراكيين الثوريين من انصار الماركسية (كفيلتس ، مان ، ايفلينغ وايلينورا ماركس ، وغيرهم) الذين كانوا يؤلفون الجناح اليساري في الحركة الاشتراكية الانجليزية وقد انتقد انجلس الاتحاد الاشتراكي-الديموقراطي انتقاداً حاداً لجموده العقائدي وانعزاليته وانفصاله عن الحركة العمالية الجماهيرية في انجلترا وتجاهله خصائص هذه الحركة في سنة ١٩٠٧ - اسمى الاتحاد الاشتراكي-الديموقراطي باسم

الحزب الاشتراكي-الديموقراطي . وفيما بعد ، في سنة ١٩١١ ،
الف هذا الحزب ، مع العناصر اليسارية في حزب العمال المستقل ،
الحزب الاشتراكي البريطاني ، وفي سنة ١٩٢٠ ، اشترك
معظم اعضاء الحزب في تاسيس الحزب الشيوعي البريطاني
- ص ١٦

١١- «**النارودوفوليون**» - اعضاء «نارودنايا فوليا» (وارادة
الشعب) - منظمة ثورية سرية اسسها الشعبيون الازهابيون في
آب (اغسطس) ١٨٧٩
كان اسقاط الحكم المطلق واقامة الجمهورية الديموقراطية
اقرب اهداف النارودوفولين وللمرة الاولى في تاريخ الشعبية ،
طرح النارودوفوليون قضية ضرورة النضال السياسي ، ولكنهم
حصره في التآمر والارهاب الفردي
بعد عدد من المحاولات الفاشلة ، اغتيل القيصر الكسندر
الثاني في اول آذار (مارس) ١٨٨١ اعدم منظمو الاغتيال ، ثم
جرت جملة من المحاكمات . وسرعان ما توقف نشاط «نارودنايا
فوليا» فقد ادت النظرية الخاطئة والتكتيك الخاطيء ، والعدم
الصلات الواسعة مع الجماهير الشعبية الى انهيار هذه المنظمة رغم
تفاني اعضائها وبطولتهم
الاشتراكيون - الديموقراطيون المقصود هنا الماركسيون
الروس بليخانوف ولينين وغيرهما في العقدين التاسع والعاشر من
القرن التاسع عشر ، ممن انتقدوا في كتبهم ومقالاتهم ايديولوجية
النارودوفولين وطرائق نضالهم السياسي . - ص ١٦

١٢- **الاستوزرون الفرنسيون (الميليرانيون)** - انصار الاشتراكي الفرنسي
ميليران الذي اشترك سنة ١٨٩٩ في حكومة فالديك - روسو
البرجوازية الرجعية - ص ١٦

١٣- **البرنشتينيون** - انصار تيار معاد للماركسية في الاشتراكية -
الديموقراطية الالمانية والعالمية ، ظهر في اواخر القرن التاسع

عشر واسمي باسم ايديولوجي التحريفية ادوارد برنشتين في اعوام ١٨٩٦ - ١٨٩٨ ، نشر برنشتين في لسان الحال النظري للاشتراكية-الديموقراطية الالمانية ، مجلة "Die Neue Zeit" (ودى نويه زيت) - (الازمنة الحديثة) سلسلة من المقالات حاول فيها ، تحت راية وحرية النقد ، ان يعيد النظر ، ان يعرف (ومن هنا والتحريفية) الاسس الفلسفية والاقتصادية والسياسية للماركسية الثورية ويستعيز عنها بالنظريات البرجوازية القائلة بالتوفيق بين التناقضات الطبقة وبالتعاون الطبقي حظيت افكار برنشتين بتأييد الجناح اليميني في الاشتراكية-الديموقراطية الالمانية وبتأييد العناصر الانتهازية في الاحزاب الاخرى المنضمة الى الاممية الثانية . - ص ١٦

١٤ - **النفاد الروس** - انصار البرنشتينية في روسيا ، والماركسيون العلنيون (الشرعيون) (ستروفه ، بولفاكوف ، برديايف وغيرهم) الذين طالبوا ، تحت شعار وحرية النقد باعادة النظر في نظرية ماركس وبالامتناع عن النضال في سنبل الاشتراكية ، في سبيل الثورة الاشتراكية وديكتاتورية البروليتاريا . - ص ١٦

١٥ - **جوبيتر ومينيرفا** - من آلهة البانتيون في روما القديمة جوبيتر - اله السماء والنور والمطر ، اله الرعد ؛ وفيما بعد ، اله الاكبر في الدولة الرومانية مينيرفا - اله الحرب وحامية الحرف والعلوم والفنون . - ص ١٧

١٦ - **(الاتحاد الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس في الخارج)** - تأسس سنة ١٨٩٤ بمبادرة فرقة تحرير العمل التي عهد اليها بتحرير مطبوعات والاتحاد اعترف المؤتمر الاول ل ح ا د ر (آذار - مارس - ١٨٩٨) والاتحاد ممثلا عن الحزب في الخارج فيما بعد ، تفوقت في الاتحاد العناصر الانتهازية ، اي والاقتصاديون المدعوون وبالشباب ابتداء من نيسان (ابريل) ١٨٩٩ ، شرع الاتحاد يصدر مجلة والاقتصاديين ورابوتشييه ديبلو .

وقفت فرقة «تحرير العمل» ضد الخط الانتهازي الذي سلكه «الاتحاد»، ورفضت تحرير مطبوعاته في المؤتمر الثاني «للاتحاد» (عام ١٩٠٠)، حدث انشقاق، وقد غادرت فرقة «تحرير العمل» المؤتمر مع رفاقها بالفكر، وانشأت منظمة مستقلة هي «الاشتراكي-الديموقراطي» قرر المؤتمر الثاني لـح ع ادر في عام ١٩٠٣ حل «الاتحاد» - ص ٢٠

١٧ - «زاريا» - مجلة ماركسية سياسية علمية، اصدرتها في عامي ١٩٠١ - ١٩٠٢ في شتوتغارت هيئة تحرير «اليسكرا» صدرت منها اربعة اعداد فقط (ثلاثة كتب) انتقدت مجلة «زاريا» التحريفية العالمية والروسية ودافعت عن الاسس النظرية للماركسية . - ص ٢٠

١٨ - «الجبيل والجيروند» - كتلتان سياسيتان برجوازيتان في مرحلة الثورة البرجوازية الفرنسية في اواخر القرن الثامن عشر «الجبيل» - اليعقوبيون - اطلق هذا الاسم على احزم ممثلي الطبقة الثورية في ذلك العهد - البرجوازية - الذين زادوا عن ضرورة القضاء على الحكم المطلق والقطاعية «الجيرونديون»، خلافاً لليعقوبيين، تارجحوا بين الثورة والثورة المضادة وساروا في طريق المساومة مع الملكية نعت لينين التيار الانتهازي في الاشتراكية-الديموقراطية بـ«الجيروند الاشتراكية» كما نعت الاشتراكيين-الديموقراطيين الثوريين باليعقوبيين البروليتاريين، «الجبيل» بعد انقسام ح ع ادر الى بلاشفة ومناشفة، اشار لينين احياناً كثيرة الى ان المناشفة يمثلون التيار الجيروندي في الحركة العمالية . - ص ٢٠

١٩ - «الكاديت» - اعضاء الحزب الدستوري-الديموقراطي الحزب القيادي للبرجوازية الملكية الليبرالية في روسيا انشى حزب الكاديت في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٠٥ انضم الى الحزب ممثلو البرجوازية، ورجالات الزيمستفوات من الملاكين العقارين، والمثقفون البرجوازيون . لأجل خداع الجماهير الكادحة، اطلقوا على انفسهم

اسماً مريفاً - «حزب حرية الشعب» ، ولكنهم في الواقع لم يمضوا
 ابعده من المطالبة بالملكية الدستورية ابان الحرب العالمية الاولى
 (١٩١٤ - ١٩١٨) ، دعم الكاديت بنشاط السياسة الخارجية
 الاغتصابية التي سلكتها الحكومة القيصرية في مرحلة ثورة شباط
 البرجوازية الديمقراطية (عام ١٩١٧) حاولوا انقاذ الملكية . فقد
 شغل الكاديت الوضع القيادي في الحكومة الموقته البرجوازية ،
 وانتهجوا سياسة معادية للشعب ، معادية للثورة بعد انتصار
 ثورة اكتوبر الاشتراكية ، عمل الكاديت كالد اعداء السلطة
 السوفييتية . - ص ٢٠

٢٠ - «جماعة بلا اسم» («بوزاغلافتسي») - جماعة نصف كاديتية ، نصف
 منشفية من المثقفين البرجوازين الروس ، تكونت في حقبة بداية
 الهبوط في ثورة ١٩٠٥-١٩٠٧ واسم هذه الجماعة اشتق من اسم
 المجلة الاسبوعية السياسية التي صدرت في بطرسبورغ من كانون الثاني
 (يناير) الى ايار (مايو) ١٩٠٦ بتحرير بروكوبوفيتش ، «بلا
 اسم» كانت جماعة «بلا اسم» تتستر بستار اللاحزبية الشكلية
 وتدافع بالفعل عن افكار الليبرالية البرجوازية وعن افكار
 الانتهازية ، وتؤيد المحرفين في الاشتراكية-الديموقراطية في روسيا
 وفي الاشتراكية-الديموقراطية العالمية . - ص ٢٠

٢١ - المناشفة - تيار انتهازي في الاشتراكية-الديموقراطية في روسيا
 في عام ١٩٠٣ ، اثناء انتخاب الهيئات المركزية في المؤتمر
 الثاني لاجراء ، نال الاشتراكيون-الديموقراطيون الثوريون
 برئاسة لينين الاغلبية (ومن هنا اسم «المناشفة» ، من الكلمة
 الروسية «بولشستفو» ومعناها الاغلبية) ونال الانتهازيون
 الاقلية (من هنا اسم «المناشفة» ، من الكلمة الروسية
 «منشستفو» ومعناها الاقلية)
 في مرحلة ثورة ١٩٠٥-١٩٠٧ ، عارض المناشفة زعامة
 الطبقة العاملة في الثورة ، والتحالف بين الطبقة العاملة والفلاحين ،
 وطالبوا بالتوافق مع البرجوازية الليبرالية التي ينفي ، برأيهم ،

ان يعهد اليها بقيادة الثورة في سنوات الردة الرجعية التي اعقبت هزيمة ثورة ١٩٠٥ - ١٩٠٧ ، اصبح المناشفة باغلبيتهم تصفيين ، فقد طالبوا بتصفيصة حزب الطبقة العاملة السري الثوري بعد انتصار الثورة البرجوازية الديموقراطية في شباط (فبراير) ١٩١٧ ، دخل المناشفة في الحكومة الموقته البرجوازية ودعموا سياستها الامبريالية وناغلوا ضد الثورة الاشتراكية التي كان يجري اعدادها

بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية ، امسى المناشفة حزبا معاديا للثورة على المكشوف يدبر ويشترك في المؤامرات والانتفاضات الهادفة الى الاطاحة بالسلطة السوفييتية . - ص ٢٠

٢٢- **أيلوفيسكي** - مؤرخ روسي ، ملكي ، وضع عدداً من كتب التاريخ المدرسية التي ينحصر التاريخ فيها في نشاط القياصرة وقادة الجيوش . - ص ٢٢

٢٣- **كومونة باريس عام ١٨٧١** - اول تجربة في التاريخ لديكتاتورية البروليتاريا ، حكومة ثورية للطبقة العاملة انشأتها الثورة البروليتارية في باريس دامت الكومونة ٧٢ يوماً - من ١٨ آذار (مارس) الى ٢٨ ايار (مايو) ١٨٧١ . - ص ٢٢

٢٤- **القانون الاستثنائي ضد الاشتراكيين** استنته حكومة بيسمارك في المانيا عام ١٨٧٨ بغية النضال ضد الحركة العمالية الاشتراكية بموجب هذا القانون ، منعت جميع منظمات الحزب الاشتراكي-الديموقراطي ، ومنظمات العمال الجماهيرية ، والصحافة العمالية وصودرت المطبوعات الاشتراكية ، وتعرض الاشتراكيون-الديموقراطيون للملاحقات والنفي في عام ١٨٩٠ الذي القانون الاستثنائي ضد الاشتراكيين تحت ضغط حركة العمال الجماهيرية المتعاظمة باستمرار . - ص ٢٢ .

٢٥- من ٢٧ الى ٢٩ ايار (مايو) ١٨٧٧ ، عقد حزب العمال الاشتراكي الالمانى مؤتمره الدوري في مدينة غوتا . واثناء بحث مسألة الصحافة الحزبية في المؤتمر ، رد المؤتمر المحاولات التي قام بها بعض المندوبين (موس ، فالتيخ) للتنديد بجريدة الحزب المركزية "Vorwärts" (فورفارتس) - (الى الامام) لنشرها مقالات انجلس ضد دوهرينغ (وقد صدرت عام ١٨٧٨ في كتاب على حدة عنوانه «ضد دوهرينغ السيد اوجين دوهرينغ يقلب العلم») والتنديد بانجلس نفسه لحدته في المناظرة . - ص ٢٢

٢٦- "Vorwärts" (فورفارتس) - (الى الامام) - جريدة يومية ، لسان الحال المركزي للاشتراكية-الديموقراطية الالمانية صدرت في برلين من عام ١٨٩١ الى عام ١٩٣٣ ناضل انجلس على صفحات الجريدة ضد كل مظهر من مظاهر الانتهازية منذ النصف الثاني من العقد العاشر ، اي بعد وفاة انجلس ، وقع تحرير "Vorwärts" في يد الجناح اليميني في الحزب فاخذت تنشر بصورة منتظمة مقالات الانتهازيين المسيطرين في الاشتراكية-الديموقراطية الالمانية وفي الاممية الثانية ابان الحرب العالمية الاولى (١٩١٤-١٩١٨) ، وفتت "Vorwärts" مواقف الاشتراكية-الشفوفينية - ص ٢٢

٢٧- **اشتراكيو المنابر الجامعية** - ممثلو تيار من تيارات الاقتصاد السياسي البرجوازي في العقدين الثامن والتاسع من القرن التاسع عشر كان ممثلو هذا التيار يبشرون من منابر الجامعات بالاصلاحية البرجوازية الليبيرالية متسترين بستار الاشتراكية زعم ممثلو اشتراكية المنابر ان الدولة البرجوازية هي دولة فوق الطبقات وان في وسعها ان تصالح الطبقات المتعادية وتطبق «الاشتراكية» تدريجياً دون ان تمس بمصالح الرأسماليين ومع مراعاة مطالب الشفيلية قدر الامكان غير مرة ، فضح ماركس وانجلس ولينين جوهر اشتراكية المنابر الرجعي

في روسيا ، روج «الماركسيون العلنيون (الشرعيون)» بنظرات اشتراكيي المنابر . - ص ٢٣ .

٢٨- نوزدوف - نموذج للملاك العقاري المحتال والمشير للمشاجرات عرضه
يقولاي غوغول في مؤلفه «النفوس الميتة» . - ص ٢٣

٢٩- يقصد لينين قرار «الهجمات على نظرات الحزب الاساسية وتكتيكة»
الذي اتخذه الحزب الاشتراكي-الديموقراطي الالمانى في مؤتمره
المنعقد في هانوفر من ٩ الى ١٤ تشرين الاول (اكتوبر) ١٨٩٩
وقد القى اوغست بيبل تقريراً رسمياً في هذه المسألة اتخذ المؤتمر
باغلبيته الساحقة قراراً اقترحه بيبل برد المحاولات الرامية الى
تحريف الاسس النظرية والتكتيكية التي تقوم عليها الاشتراكية-
الديموقراطية الا ان القرار لم يتضمن نقد البرنشتينيين نقداً حاداً
ولذلك صوت له برنشتين وانصاره . - ص ٢٣

٣٠- يقصد لينين القرار الذي اتخذه الحزب الاشتراكي-الديموقراطي
الالمانى في مؤتمره المنعقد في لوبيك (٢٢-٢٨ ايلول - سبتمبر -
١٩٠١) ؛ كان هذا القرار موجهاً ضد برنشتين الذي لم يوقف
حملاته على برنامج وتكتيك الاشتراكية-الديموقراطية بعد مؤتمر
هانوفر المنعقد سنة ١٨٩٩ ، بل شددتها فضلاً عن ذلك ونقلها حتى
الى اوساط غير حزبية في سياق المناقشات وفي مشروع القرار الذي
اقترحه بيبل وصادق عليه المؤتمر باغلبيته الساحقة ، ورد تحذير
لبرنشتين رفض المؤتمر مشروع القرار المعاكس الذي اقترحه
الانتهازي هينه والذي طالب «بحرية النقد» ولزم الصمت حول
مسألة برنشتين ولكن مؤتمر لوبيك لم يطرح بصورة مبدئية
مسألة استحالة الجمع بين تحريف الماركسية والبقاء في صفوف
الحزب الاشتراكي-الديموقراطي . - ص ٢٣

٣١- مؤتمر الحزب الاشتراكي-الديموقراطي الالمانى في شتوتغارت - انعقد
من ٣ الى ٨ تشرين الاول (اكتوبر) ١٨٩٨ ، وبحث للمرة الاولى
مسألة التحريفية في الاشتراكية-الديموقراطية الالمانية وقد تلى
في المؤتمر تصريح ارسله خصيصاً برنشتين الذي كان غائباً عن
المؤتمر . وعرض فيه ودافع عن نظرائه الانتهازية التي سبق له

وبسطها في سلسلة من المقالات لم تكن هناك وحدة بين اخصام برنشتين في المؤتمر فان بيبل وكاوتسكي وغيرهما نادوا بالنضال الفكري ضد برنشتين وبنقد اخطائه ، ولكنهم عارضوا اتخاذ تدابير تنظيمية للتأثير عليه اما الاقلية ، برئاسة روزا لوكسمبورغ فوقفت ضد البرنشتينية بمزيد من الحزم .- ص ٢٤

٣٢- «الماركسية العنلية (الشرعية)» - تيار اجتماعي سياسي ظهر في العقد العاشر من القرن التاسع عشر في روسيا بين المثقفين البرجوازيين الليبراليين فقد اعلنوا انهم من انصار الماركسية - ستروفه ، بولفاكوف ، توغان-بارانوفسكي وغيرهم - ، ولكنهم لم يأخذوا من تعاليم ماركس غير النظرية القائلة بحلول التشكيلية الرأسمالية بصورة محتمة محل التشكيلية الاقطاعية الاجتماعية الاقتصادية ، ونبذوا كليا «الروح الثورية» للماركسية ، اي مذهب حتمية زوال الرأسمالية ، ومذهب الثورة الاشتراكية انتقد «الماركسيون العنليون» في الصحافة العنلية الشعبين الذين كانوا ينكرون حتمية تطور الرأسمالية في روسيا ، ومدحوا النظم الرأسمالية وفيما بعد ، امسى «الماركسيون العنليون» اعداء للماركسية وقادة في حزب الكاديت البرجوازي .- ص ٢٦

٣٣- «كاتب مغرور .» - عنوان قصة من قصص مكسيم غوركي الباكورة .- ص ٢٧

٣٤- يقصد لينين مجموعة «وثائق في مسألة التطور الاقتصادي في روسيا» التي طبعت منها مطبعة شرعية ٢٠٠٠ نسخة في نيسان (ابريل) ١٨٩٥ وقد اشتملت المجموعة على مقالة لينين والمضمون الاقتصادي للشعبية وانتقادها في كتاب السيد ستروفه (انعكاس الماركسية في الأدب البرجوازي) ، الموجهة ضد «الماركسيين العنليين (الشرعيين)»

منعت الحكومة القيصرية توزيع المجموعة وابتقتها تحت الحظر مدة سنة ثم صادرتها واحرقتها وقد امكن انقاذ حوالى ١٠٠ نسخة فقط نشرت سراً بين الاشتراكيين-الديموقراطيين في بطرسبورغ والمدن الاخرى .- ص ٢٨ .

٣٥- المقصود هنا كتاب ادوارد برنشتين «مقدمات الاشتراكية ومهام الاشتراكية-الديموقراطية» الذي يحرف الماركسية الثورية بروح الاصلاحية البرجوازية
صدر كتاب برنشتين عام ١٩٠١ مترجماً الى اللغة الروسية باسماء مختلفة ١- «المادية التاريخية» ، ٢- «القضايا الاجتماعية»
٣- «قضايا الاشتراكية ومهام الاشتراكية-الديموقراطية»
هيروسترات - من سكان مدينة افسس تقول الاسطورة انه احرق في عام ٣٥٦ قبل الميلاد معبد ارتيمس الالفيسية الذي كان يعتبر من «عجائب الدنيا السبع» وذلك من اجل تخليد اسمه وحسب ٠- ص ٢٩

٣٦- «احتجاج الاشتراكيين-الديموقراطيين في روسيا» - كتبه لينين في المنفى في آب (اغسطس) ١٨٩٩ وكان موجهاً ضد «Credo» (والكريدو) ، اي بيان جماعة «الاقتصاديين» (بروكوبوفيتش وكوسكوبا وغيرهما ؛ وقد غدوا فيما بعد من الكاديت)
بحث «الاحتجاج» واقر بالاجماع في اجتماع انعقد بمبادرة لينين في قرية يركوفسكويه من قضاء مينوسينسك وحضره ١٧ من الماركسيين المنفيين السياسيين ايدت «الاحتجاج» جماعات المنفيين في تورخانسك واورلوف (محافظة فياتكا)
ارسل لينين «احتجاج الاشتراكيين-الديموقراطيين في روسيا» الى فرقة «تحرير العمل» في الخارج وفي اوائل سنة ١٩٠٠ اعيد طبع «الاحتجاج» من قبل بليخانوف في مجموعة «Vademecum» لهيئة تحرير «رابوتشيه ديلو» ٠- ص ٣٠

٣٧- «رابوتشايا ميسل» (والفكر العمالي) - جريدة نطقت بلسان «الاقتصاديين» وصدرت من تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٨٩٧ حتى كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٩٠٢ صدر من الجريدة ١٦ عدداً

انتقد لينين نظرات «رابوتشايا ميسل» بوصفها نوعاً روسيا

من الانتهازية العالمية ، في جملة من مؤلفاته وخاصة في مقالاته المنشورة في «اليسكرا» وفي الكتاب الحالي . - ص ٣١

٣٨ - «Vademecum» («فاديميكوم» - «دليل») لهيئة تحرير «رابوتشييه ديلو». مجموعة وثائق اصدرتها فرقة «تحرير العمل» وقدم لها بليخانوف» (جينيف ، شباط - فبراير - سنة ١٩٠٠) كانت هذه المجموعة موجهة ضد الانتهازية في صفوف ح ا د ر وبالدرجة الاولى ضد «اقتصادية» واتحاد الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس» في الخارج وجريدته «رابوتشييه ديلو» - ص ٣١

٣٩ - «Profession de foi» - (رمز الايمان ، برنامج ، عرض المفهوم عن العالم) - منشور وضع في اواخر سنة ١٨٩٩ وعرضت فيه لجنة كليف ل ح ع ا د ر نظراتها الانتهازية يطابق مضمون المنشور ، في كثير من النواحي ، «credo» («الكريدو») و«الاقتصاديين» المشهور . - ص ٣١

٤٠ - «الملاحق الخاص لرابوتشاياميسل» كراس اصدرته في ايلول (سبتمبر) ١٨٩٩ هيئة تحرير جريدة «الاقتصاديين» «رابوتشاياميسل» وفي هذا الكراس ، ولا سيما في مقال «واقعنا» بتوقيع ر م ، ظهرت نظرات «الاقتصاديين» الانتهازية بصراحة - ص ٣٥

٤١ - فرقة «تحرير العمل» - اول فرقة ماركسية روسية اسسها بليخانوف سنة ١٨٨٣ في جينيف

قامت فرقة «تحرير العمل» بعمل كبير في نشر الماركسية في روسيا فقد ترجمت الى اللغة الروسية واصدرت في الخارج ونشرت في روسيا مؤلفات ماركس وانجلس ، وعرضت الماركسية في مطبوعاتها بصورة مبسطة سددت فرقة «تحرير العمل» ضربة جدية الى الشعبية . كان مشروعا برنامج الاشتراكيين-الديموقراطيين

الروس (سنة ١٨٨٣ وسنة ١٨٨٥) اللذان كتبهما بليخانوف
 واصدرتهما فرقة «تحرير العمل» خطوة هامة في اعداد وتأسيس
 الحزب الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا
 اقامت فرقة «تحرير العمل» الصلات مع الحركة العمالية
 العالمية . وابتداء من اول مؤتمر عقدته الاممية الثانية في عام ١٨٨٩
 (باريس) ، اخذت فرقة «تحرير العمل» تمثل الاشتراكية-
 الديموقراطية في روسيا في جميع مؤتمرات الاممية الثانية ولكن
 فرقة «تحرير العمل» اقترفت كذلك اخطاء جدية استعظام دور
 البرجوازية الليبرالية ، استصغار ثورية الفلاحين بوصفهم احتياطياً
 للثورة البروليتارية كانت هذه الاخطاء جنين النظرات المنشفية
 التي تبناها فيما بعد بليخانوف وغيره من اعضاء الفرقة . - ص ٣٦.

٤٢- المؤتمر الثالث «الاتحاد الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس»-

انعقد في النصف الثاني من شهر ايلول (سبتمبر) ١٩٠١ في مدينة
 زوريخ اقر المؤتمر تعديلات واضافات على مشروع الاتفاقية
 الموضوع في الكونفيرانس (المجلس العام) المنعقد في جنيف في حزيران
 (يونيو) ١٩٠١ بشأن توحيد منظمات الاشتراكيين-الديموقراطيين
 الروس في الخارج وصادق المؤتمر على تعليمات لهيئة تحرير
 «رابوتشييه ديلو» تشجع المحرفين وقد دلت قرارات المؤتمر
 على تفوق الميول الانتهازية لدى قادة «الاتحاد» وعلى تخليهم عن
 قرارات كونفيرانس حزيران . - ص ٣٦

٤٣- انظروا رسالة ماركس الى براكه بتاريخ ٥ ايار (مايو) ١٨٧٥

- ص ٣٧

٤٤- «برنامج غوتا» هو برنامج حزب العمال الاشتراكي الالمانى؛ وقد اقره

الحزب سنة ١٨٧٥ في مؤتمر غوتا عند اتحاد الحزبين الاشتراكيين
 الالمانيين اللذين كانا قائمين حتى ذلك التاريخ كل حزب على حدة
 حزب الايوناخييين وحزب اللاساليين كان هذا البرنامج مصاباً
 بداء المذهب الاختياري ، وكان برنامجاً انتهازياً لان الايوناخييين قد

تنازلوا للاساليين في القضايا الهامة واقروا الصيغ اللاسالية وقد انتقد ماركس وانجلس مشروع برنامج غوتا انتقاداً ماحقاً واعتبراه خطوة كبيرة الى الوراء بالمقارنة مع البرنامج الذي تم اقراره في ايزيناخ عام ١٨٦٩ . - ص ٢٧

٤٥ - البرودونية - تيار معاد للماركسية في الاشتراكية البرجوازية الصغيرة ، اسمي باسم مفكره الفوضوي الفرنسي برودون انتقد برودون الراسمالية انتقاداً حاداً ، ولكنه لم ير المخرج في القضاء على اسلوب الانتاج الراسمالي الذي يولد حتماً البؤس واللامساواة واستثمار الشغيلة ، بل رأى المخرج في «تصليح» الراسمالية ، في ازالة نواقصها ومساوئها عن طريق اجراء جملة من الاصلاحات حلم برودون بتخليد الملكية الخاصة الصغيرة ، واقترح تأسيس بنك «شعبي» وبنك «للمقايسة» يستطيع العمال بمساعدتهما ، حسب زعمه ، ان يحصلوا على وسائل الانتاج الخاصة بهم ويصبحوا حرفيين ويؤمنوا تصريف منتجاتهم بصورة «عادلة» لم يدرك برودون دور البروليتاريا التاريخي ووقف موقفاً سلبياً من النضال الطبقي والثورة البروليتارية وديكتاتورية البروليتاريا ومن مواقف فوضوية انكر ضرورة الدولة وقد ناضل ماركس وانجلس بدأب وانسجام ضد محاولات برودون لفرض آرائه على الاممية الاولى انتهى النضال الحازم الذي خاضه ماركس وانجلس وانصارهما ضد الرودونية في الاممية الاولى بانتصار الماركسية التام . - ص ٣٩

٤٦ - يقصد لينين الاضراب الجماهيري الذي قام به عمال النسيج في بطرسبورغ عام ١٨٩٦ كان امتناع الصناعيين عن دفع اجور العمال بكاملها ذريعة ودافع الاضراب بدأ الاضراب في ٢٣ ايار (مايو) في ماينفاكتورة كالينينسكايا ولم يلبث ان شمل جميع المعامل الاساسية لغزل القطن والنسيج في بطرسبورغ ، ثم امتد الى المعامل الكبيرة لصنع الآلات وغيرها من المعامل . ولاول مرة خاضت بروليتاريا بطرسبورغ النضال ضد المستثمرين في جبهة واسعة اشترك في الاضراب اكثر من ٣٠ الف عامل . جرى الاضراب تحت

قيادة واتحاد النضال من اجل تحرير الطبقة العاملة» في بطرسبورغ .
 اسهمت اضرابات بطرسبورغ في تطوير الحركة العمالية في
 موسكو وغيرها من مدن روسيا ، واجبرت الحكومة القيصرية على
 الاسراع في اعادة النظر بقوانين المعامل وعلى اصدار قانون ٢ (١٤)
 حزيران (يوليو) ١٨٩٧ بصدد تقصير يوم العمل في المصانع والمعامل
 الى ١١/٢ ساعة . - ص ٤٣

٤٧- «اتحاد النضال من اجل تحرير الطبقة العاملة» - منظمة سرية اسسها
 في بطرسبورغ في خريف ١٨٩٥ لينين وزابوروجيتس وفانيف
 وكرجيجانوفسكي وكروبسكايا ومارتوف وغيرهم ضم واتحاد
 النضال» حوالي ٢٠ حلقة عمالية ماركسية وقد بني نشاطه كله
 على مبادئ المركزية والانضباط الدقيق قاد واتحاد النضال»
 الحركة العمالية جامعا نضال العمال من اجل المطالب الاقتصادية
 الى النضال السياسي ضد القيصرية كان واتحاد النضال» ، حسب
 تعبير لينين ، جنين حزب الطبقة العاملة الثوري
 في كانون الاول (ديسمبر) ١٨٩٥ ، اعتقلت الحكومة القيصرية
 لينين وسائر قادة واتحاد النضال» ثم نفتهم الى سيبيريا ، فتسلم
 قيادة واتحاد النضال» من كانوا يسمون «بالشباب» وبيروجون
 بافكار والاقتصادية» . - ص ٤٦

٤٨- «روسكايا ستارينا» («العنايق الروسية») - مجلة تاريخية كانت
 تصدر شهرياً في بطرسبورغ من عام ١٨٧٠ الى عام ١٩١٨ كانت
 «روسكايا ستارينا» تخصص مكانا كبيرا لنشر ذكريات ومذكرات
 ويوميات ورسائل رجال الدولة في روسيا ورجال الثقافة الروسية ،
 وكذلك مختلف الوثائق . - ص ٤٦

٤٩- يشار الى التنكيل بعمال المانيفاكتورة الكبرى في ياروسلاف الذين
 اضربوا في ٢٧ نيسان - ابريل - (٩ ايار - مايو) ١٨٩٥ كان
 تطبيق الادارة لتعرفة جديدة تخفض اجور العمال سبب هذا الاضراب
 الذي شمل اكثر من ٤٠٠٠ عامل . وقد قمع الاضراب بقسوة .

وكاتب المقال عن اضراب سنة ١٨٩٥ في ياروسلاف هو
لينين ؛ ولم يعثر على المقال حتى الآن .- ص ٤٦

٥٠- «سانت بطرسبورغسكي رابوتشي ليستوك» (ورقة سانت
بطرسبورغ العمالية) - لسان حال واتحاد النضال من اجل تحرير
الطبقة العاملة» في بطرسبورغ وقد صدر منها عددان العدد
الاول- في شباط- فبراير (ويحمل تاريخ كانون الثاني-يناير)
١٨٩٧ ، مطبوعا في روسيا ؛ والثاني في ايلول (سبتمبر) ١٨٩٧
مطبوعاً في جينيف .- ص ٤٧

٥١- المقصود هنا «بيان حزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا»
الذي اصدرته في عام ١٨٩٨ بتكليف من المؤتمر الاول ل ح ع ا د ر
وباسمه اللجنة المركزية ل ح ع د ر طرح «البيان» النضال في
سبيل الحرية السياسية واسقاط الحكم المطلق بوصفه المهمة
الرئيسية امام الاشتراكية-الديموقراطية في روسيا ، وربط النضال
السياسي بالمهام العامة للحركة العمالية .- ص ٤٧

٥٢- «الاجتماع الخاص» الذي يتحدث عنه لينين انعقد في بطرسبورغ
بين ١٤ و١٧ شباط- فبراير (٢٦ شباط واول آذار-مارس)
١٨٩٧ وقد حضره لينين وفايفيف وكرجيجانوفسكي وغيرهم من
اعضاء «اتحاد النضال من اجل تحرير الطبقة العاملة» ، اي
«الشيوخ» الذين اطلق سراحهم من السجن لمدة ثلاثة ايام قبل
نفيهم الى سيبيريا ، و«الشباب» الذين كانوا يقودون «اتحاد
النضال» بعد اعتقال لينين .- ص ٤٩

٥٣- «ليستوك» (رابوتنيكا) (ورقة العامل) - نشرة غير دورية
اصدرها في جينيف «اتحاد الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس في
الخارج» من سنة ١٨٩٦ حتى سنة ١٨٩٨ صدر منها ١٠ اعداد ،
بينها ٨ اعداد - من الاول الى الثامن- اشرفت فرقة وتحرير
العمل» على تحريرها . وبسبب انعطاف اقلية اهضاء «الاتحاد»

نحو «الاقتصادية» ، رفضت فرقة «تحرير العمل» الاشراف على تحرير منشورات «الاتحاد» ، فصدر العدد ٩-١٠ من «الورقة» (تشرين الثاني-نوفمبر-١٨٩٨) بتحرير «الاقتصاديين»
- ص ٤٩

٥٤- «مقالة (ف ف .)» - مقالة فلاديمير بافلوفيتش ايفانشين ، احد زعماء «الاقتصادية» .- ص ٥٠

٥٥- «الدرك القيصري كان يرتدي بزة زرقاء» .- ص ٥١

٥٦- «(ف . ف .)» - اسم مستعار لفاصيلي بافلوفيتش فورونتسوف ، احد ايدولوجيي الشعبية الليبرالية في العقدين التاسع والعاشر من القرن التاسع عشر يقصد لينين باهراب وف ف ، رجل الاشتراكية-الديموقراطية الروسية ، ممثلي التيار الالتهازي في الاشتراكية-الديموقراطية الروسية ، اي «الاقتصاديين» .- ص ٥٢

٥٧- «Die Neue Zeit» (ودي نويه زيت) - «الازمنة الحديثة» - مجلة نظرية للحزب الاشتراكي-الديموقراطي الالمانى ؛ صدرت في شتوتغارت من عام ١٨٨٢ الى عام ١٩٢٣ نشرت المجلة جملة من مقالات ماركس وانجلس ساعد انجلس على الدوام بنصائحه هيئة تحرير المجلة ، ولكنه لم يندر له ان انتقدها للانحرافات الواردة في المجلة عن الماركسية ابتداء من النصف الثاني من العقد العاشر ، اخذت المجلة تنشر بدأب وانتظام مقالات المحرفين ، ومنها سلسلة مقالات ادوارد برنشتين وقضايا الاشتراكية التي دشنت حملة المحرفين على الماركسيين .- ص ٥٤

٥٨- «في مؤتمر فيينا المنعقد من ٢ الى ٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠١ اقر الحزب الاشتراكي-الديموقراطي النمساوي برنامجاً جديداً للحزب عوضاً عن البرنامج القديم الذي كان الحزب قد اقره في مؤتمر

هاينفلد سنة ١٨٨٨ في مشروع البرنامج الجديد الذي أعدته لجنة خاصة بتفويض من مؤتمر يرون المنعقد سنة ١٨٩٩ ، ظهرت تنازلات خطيرة امام البرنشتينية . - ص ٥٤

٥٩ - المقصود هنا الزوباتوفية ، اي محاولة رجال الدرك القيصريين لانشاء « جمعيات عمالية » يشرف عليها صنائع الدرك ، بغية صرف العمال عن النضال السياسي ضد الحكم المطلق كان الكولونيل في الدرك زوباتوف هو صاحب المبادرة لانشاء مثل هذه المنظمات انشئت اول منظمة زوباتوفية في موسكو ، في ايار (مايو) ١٩٠١ ، باسم « جمعية التعاضد بين العمال في الانتاج الميكانيكي » كذلك انشئت منظمات زوباتوفية في بطرسبورغ ومينسك وكيف وغيرها من المدن

فصح الاشتراكيون - الديموقراطيون الثوريون طابع الزوباتوفية الرجعي ، واستغلوا المنظمات العمالية الشرعية لاجل اجتذاب الفئات الواسعة من الطبقة العاملة الى النضال ضد الحكم المطلق . وبتأثير نهوض الحركة الثورية اضطرت الحكومة القيصرية في عام ١٩٠٣ الى حل المنظمات الزوباتوفية . - ص ٥٧

٦٠ - نقابات هيرش - دونكر - منظمات نقابية اصلاحية اسسها في المانيا سنة ١٨٦٨ اثنان من قادة الحزب التقدمي البرجوازي ، هيرش ودونكر ولما كان منظمو نقابات هيرش - دونكر يبشرون « بانسجام » مصالح العمل ورأس المال ، فقد قالوا بجواز قبول الراسماليين في النقابات بجانب العمال وانكروا فائدة النضال الاضرابي وزعموا ان خلاص العمال من ظلم الراسمالي امر ممكن في نطاق المجتمع الراسمالي عن طريق قوانين الدولة البرجوازية وعن طريق التنظيم المهني ؛ وكانوا يرون مهمة النقابات الرئيسية في الوساطة بين العمال واصحاب الاعمال وفي جمع المال وقد اقتصر نشاطهم بصورة رئيسية على صناديق التعاضد وعلى المنظمات التربوية التثقيفية . - ص ٥٨ .

٦١- «جماعة تحرير الطبقة العاملة الذاتي»- جماعة غير كبيرة من «الاقتصاديين» تأسست في بطرسبورغ في خريف سنة ١٨٩٨ ودامت بضعة اشهر نشرت الجماعة نداء عرضت فيه اهدافها (يحمل تاريخ آذار-مارس- ١٨٩٩ ، و صدر في مجلة «ناكانونيه» في تموز- يوليو- ١٨٩٩) كما نشرت نظامها الداخلي وجملته من البيانات الموجهة الى العمال .- ص ٦١

٦٢- «ناكانونيه» («في العشية»)- مجلة شهرية ذات اتجاه شعبي صدرت في لندن باللغة الروسية من كانون الثاني (يناير) ١٨٩٩ الى شباط (فبراير) ١٩٠٢ صدر منها ٣٧ عدداً .- ص ٦١

٦٣- الشعبية- تيار برجوازي صغير في الحركة الثورية الروسية ، ظهر في العقدين السابع والثامن من القرن التاسع عشر سعى الشعبيون الى القضاء على الحكم المطلق والى وضع اراضي الملاكين العقاريين تحت تصرف الفلاحين . اعتبروا انفسهم اشتراكيين ، ولكن اشتراكيتهم كانت طوبوية

انكر الشعبيون حتمية تطور العلاقات الرأسمالية في روسيا ونظراً لذلك ، اعتبروا ان القوة الثورية الرئيسية ليست البروليتاريا بل الفلاحون وقد رأوا في المشاعة الريفية جنين الاشتراكية وانكروا دور الجماهير الشعبية في صنع التاريخ ، وزعموا ان التاريخ يصنعه اعظم الرجال ، «الابطال» ، وعارضوا بهم الجموع ، الهامدة من وجهة نظرهم سعياً لاستنهاض الفلاحين الى النضال ضد الحكم المطلق ، توجه الشعبيون الى الريف ، «الى الشعب» (ومن هنا اسمهم) ، ولكنهم لم يلقوا التأييد هناك .

مرت الشعبية بعدة مراحل ، متطورة من الديمقراطية الثورية الى الليبرالية

في العقدين التاسع والعاشر من القرن التاسع عشر سلك الشعبيون سبيل التوافق مع القيصرية واعربوا عن مصالح الفلاحين الكولاك (الاغنياء المستثمرين) ، وناضلوا ضد الماركسية .

- ص ٦٧ .

٦٤- المقصود هنا جريدة "Der Sozialdemokrat" („در سوسيال-ديموقراط“) - («الاشتراكي-الديموقراطي») - الجريدة المركزية للحزب الاشتراكي الديمقراطي الالمانى في زمن تطبيق القانون الاستثنائي ضد الاشتراكيين صدرت في زوريخ من ايلول (سبتمبر) ١٨٧٩ الى ايلول ١٨٨٨ وفي لندن من تشرين الاول (اكتوبر) ١٨٨٨ الى ايلول ١٨٩٠. - ص ٦٨

٦٥- تحت الاسم المستعار ن بلتوف ، نشر غيورغي فالنتينوفيتش بليخانوف كتابه المشهور «حول تطور النظرة الاحادية الى التاريخ». وقد صدر هذا الكتاب بصورة علنية في بطرسبورغ عام ١٨٩٥ - ص ٧٠

٦٦- المقصود هنا القصيدة الهجائية ونشيد الاشتراكي الروسي الحديث «المنشورة في مجلة «زاريا» ، العدد الاول (نيسان - ابريل - ١٩٠١) بتوقيع «نرسييس توبوريلوف» سخرت هذه القصيدة من «الاقتصاديين» ومن تكيفهم تبعاً للحركة العفوية ناظم القصيدة هو مارتوف. - ص ٧١

٦٧- المقصود هنا «اتحاد الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس في الخارج» (انظروا الملاحظة رقم ١٦). - ص ٧٩

٦٨- في سنة ١٨٨٩ ، احدثت الحكومة القيصرية ، رغبة منها في تعزيز سلطة الملاكين العقاريين على الفلاحين ، وظيفة «زيمسكييه ناتشالنيكي» الادارية كان هؤلاء يعينون من بينة الاعيان الملاكين العقاريين المحليين ؛ وقد خولوا حقوقاً كبيرة حيال الفلاحين ، ليست ادارية وحسب ، بل قضائية ايضاً ، بما فيها الحق في اعتقال الفلاحين وفرض العقوبات الجسدية عليهم. - ص ٨٠

٦٩- «البوند» والاتحاد العام للعمال اليهود في ليتوانيا وبولونيا وروسيا ، تشكل سنة ١٨٩٧ في المؤتمر التأسيسي الذي عقده في فيلنو

الجماعات الاشتراكية-الديموقراطية اليهودية ؛ كان الاتحاد يتألف على الاغلب من العناصر شبه البروليتارية بين الحرفيين اليهود في المناطق الغربية من روسيا
كان البوند حاملاً للنزعة القومية التعصبية الانفصالية في الحركة العمالية في روسيا ؛ وقد وقف مواقف انتهازية في اهم قضايا الحركة الاشتراكية-الديموقراطية . - ص ٨١

٧٠- **التعويضات** - مبالغ كان ينبغي على الفلاحين بموجب «لائحة» (قانون) ١٩ شباط (فبراير) ١٨٦١ حول الغاء حق القنانة في روسيا ، ان يدفعوها للملاكين العقاريين مقابل حصص الارض التي نالوها زاد مجمل التعويضات كثيراً عن القيمة الفعلية لخصص الفلاحين من الارض وبدفع التعويضات ، دفع الفلاحون للملاكين العقاريين ، من حيث جوهر الامر ، لا عن الارض الموجودة تحت تصرفهم من زمان وحسب ، بل ايضاً عن تحريرهم الشخصي كانت التعويضات باهظة وفوق طاقة الفلاحين ، وقد استثارت في صفوفهم الخراب والفقر على نطاق واسع جداً
في مرحلة الثورة الروسية الاولى (١٩٠٥-١٩٠٧) اجبرت الحركة الفلاحية الحكومة القيصرية على الغاء التعويضات ابتداء من كانون الثاني (يناير) ١٩٠٧ . - ص ٨٥

٧١- منذ مجاعة ١٨٩١-١٨٩٢ ، اخذت المجاعات تتكرر بانتظام في روسيا القيصرية وعوضاً عن تقديم العون للجوع ، كانت الحكومة القيصرية تعتمد بصورة رئيسية الى النضال ضد المنظمات الاجتماعية والزمستفوات والاطباء والافراد الذين حاولوا بمبادرتهم الشخصية ، ان يساعدوا الجوع بجمع النقود والماكولات وتنظيم المطاعم النهارية والنقاط الطبية من اجل الجوع ، والخ وعندما حلت المجاعة من جديد عام ١٩٠١ في عدد من المحافظات ، اصدر وزير الداخلية القيصري سيبياغين تعميماً وجهه الى «رؤساء» المحافظات التي اصبحت بخطر الموسم في عام ١٩٠١ ، وندد فيه بمساعدة الجوع من قبل المنظمات الاجتماعية والافراد وامر فيه المحافظين بان يفرضوا رقابة صارمة على هذه المنظمات وهؤلاء

الافراد وان يحدوا من نشاطهم لان «الحاجة غير الملباة بصورة تامة ، والامراض المحتممة في هذه الحال ، واختلال الاقتصاد تخلق» كما جاء في التعميم ، «تربة ملائمة لاجل التحريض ضد الحكومة» في جملة من المحافظات المنكوبة بالمجاعة منع المحافظون المنظمات والافراد من تنظيم المطاعم النهارية ومن تحقيق غير ذلك من تدابير المساعدة للجياح .- ص ٨٧

٧٢- المقصود هنا «الاحكام الموقته» التي اصدرتها الحكومة القيصرية في ١٥ ايلول (سبتمبر) ١٩٠١ والتي كانت تلزم «الزيمسكييه ناتشالنيكي» على ارسال الفلاحين من المحافظات المنكوبة بالمجاعة الى بناء السكك الحديدية وغير ذلك من الاشغال وبموجب هذه الوثيقة ، حرم الفلاحون الكثير من حقوقهم فوق ما هم عليه من حرمان من الحقوق ؛ وكانت مجموعات العمال ترسل الى مكان العمل تحت مراقبة موظفين خاصين مثلما كانت ترسل مجموعات السجناء الى الاشغال الشاقة .- ص ٨٧

٧٣- المقصود هنا نضالات الطلاب والعمال الثورية الجماهيرية اي المظاهرات السياسية والتجمعات ، والاضرابات التي جرت في شباط وآذار (فبراير ومارس) ١٩٠١ في بطرسبورغ وموسكو وكييف وخاركوف وقازان وتومسك وغيرها من مدن روسيا ان الحركة الطلابية التي نشأت في العام الدراسي ١٩٠٠-١٩٠١ في تربة المطالب التعليمية ، قد اكتسبت طابع نضالات سياسية ثورية ضد سياسة الحكم المطلق الرجعية ، وحظيت بتأييد العمال الطليعيين ، ولقيت صدى في جميع فئات المجتمع الروسي كان اجبار ١٨٣ طالبا من جامعة كريف على اداء الخدمة العسكرية بسبب اشتراكهم في تجمع طلابي الذريعة المباشرة للمظاهرات والاضرابات في شباط وآذار ١٩٠١ انقضت الحكومة على المشتركين في النضالات الثورية فقد فرق رجال البوليس والقوزاق المظاهرات وضرخوا المشتركين فيها ، كما تم اعتقال مئات الطلاب وطردهم من مؤسسات التعليم العالي ؛

وكانت اعمال التنكيل قاسية جداً بحق المشتركين في مظاهرة ٤ (١٧) آذار ١٩٠١ في ساحة كاندرائية قازان في بطرسبورغ .- ص ٩٦

٧٤- «سفوبودا» (والحرية) - مجلة اصدرتها في سويسرا في سنتي ١٩٠١-١٩٠٢ جماعة تسمت بنفس الاسم وانبثقت في ايار (مايو) ١٩٠١ واطلقت على نفسها اسم الجماعة «الثورية الاشتراكية» صدر من المجلة عدنان رقم ١- في سنة ١٩٠١ ، ورقم ٢- في سنة ١٩٠٢

كانت جماعة «سفوبودا» تروج في مطبوعاتها بافكار «الاقتصادية» والارهابية ، وتؤيد الجماعات المعادية «للايسكرا» في روسيا انحلت هذه الجماعة في سنة ١٩٠٣ .- ص ٩٩

٧٥- راجع ماركس والجلس «بيان الحزب الشيوعي» ، الطبعة العربية موسكو .- ص ١١٠

٧٦- الزيمستفويون - رجال الزيمستفوات

الزيمستفو- بهذا الاسم اسميت الادارة الذاتية المحلية برئاسة الايمان في المحافظات الوسطى من روسيا القيصرية انشئت هذه الادارة في عام ١٨٦٤ كانت صلاحيات الزيمستفوات تقتصر على الشؤون الاقتصادية المحلية الصرف (بناء المستشفيات ، مد الطرق ، الاحصاء ، الضمان ، وغير ذلك) كانت تقوم باعمالها تحت مراقبة المحافظين ووزارة الداخلية ، الذين كان بوسعهم تعليق القرارات غير الملائمة للحكومة

كان قسم كبير من رجال الزيمستفوات يتألف من المثقفين ذوي الميول الليبرالية من اطباء ومهندسين زراعيين ، ومعلمين نحو اوائل القرن العشرين اشتدت حركة المعارضة بين الزيمستفويين الليبراليين وطرحت في الاجتماعات الزيمستفوية مشاريع بتوسيع حقوق الزيمستفوات ، وكتبت عرائض الى القيصر تتضمن المطالبة بالاصلاحات والخ حاولت الحكومة القيصرية ان تقمع الحركة الزيمستفوية باعمال القمع .- ص ١٢٠ .

٧٧- في ١٩ شباط (فبراير) ١٨٦١ صدر بيان القيصر الكسندر الثاني بالغاء القنانة في روسيا ولمناسبة الذكرى السنوية الاربعين لهذا الحادث ، نشرت «الايسكرا» في عددها الثالث مقالته لينين «حزب العمال والفلاحون» .- ص ١٢٣

٧٨- المقصود هنا المذكرة السرية التي وجهها وزير المالية فيته الى القيصر والتي نشرتها هيئة تحرير «زاريا» في شتوتغارت عام ١٩٠١ بعنوان «الحكم المطلق والزيستفو» مع مقدمة بقلم ر ن س (الاسم المستعار لستروفه) كانت «مذكرة» فيته معادية شديدة العداء للزيستفو ، وتحاول ان تبرهن التنافر بين وجود الزيستفو ووجود الحكم المطلق وتقدم مادة كبيرة تبين كيف انتهجت الحكومة القيصرية باستمرار ، منذ تأسيس الزيستفو ، سياسة التضيق على الزيستفو وبتر حقوقها كانت مقدمة ستروفه تنتقد «المذكرة» من مواقع الليبرالية البرجوازية .- ص ١٢٣

٧٩- المقصود هنا القانون الذي اصدرته الحكومة القيصرية في ٨ حزيران (يونيو) ١٩٠١ بتخصيص الاراضي الاميرية في سيبيريا للافراد ؛ هذا القانون كان يؤمن فوائد كبيرة للاعيان الذين كانوا يستأجرون ويشترون الاراضي في سيبيريا وقد اصدرت «الايسكرا» في عددها رقم ٨ مقالة لينين حول هذا القانون «انصار القنانة في العمل» .- ص ١٢٣

٨٠- «روسيا»- جريدة يومية ليبرالية معتدلة صدرت في بطرسبورغ من سنة ١٨٩٩ الى سنة ١٩٠٢ .- ص ١٢٤

٨١- تعبير «امر ؟ خدمة ؟» يستعمل في الادب الروسي للاشارة الى اللامبدئية والمداهنة ، والاستعداد الدليل لاسترضاء وخدمة ذوي المقام الرفيع .- ص ١٢٦

٨٢- «سانت بيتربورغسكيه فيدوموستي»- جريدة صدرت في بطرسبورغ من سنة ١٧٢٨ الى سنة ١٩١٧ .- ص ١٢٦ .

٨٣- «روسكيه فيدموستي» - جريدة صدرت في موسكو من سنة ١٨٦٣ الى سنة ١٩١٨ ؛ اعربت عن آراء المثقفين الليبراليين المعتدلين ابتداء من سنة ١٩٠٥ ، كانت الجريدة لسان حال الجناح الايمن من حزب الكاديت . - ص ١٢٦

٨٤- «المفهوم البرينتاني عن النضال الطبقي» ، «البرينتانية» - مذهب برجوازي ليبرالي يروج بإمكانية حل المسألة العمالية في اطار الرأسمالية عن طريق قوانين المعامل وتنظيم العمال في النقابات اسمى باسم لويس برينتانو ، البروفسور في الاقتصاد السياسي بجامعة مونيخ ، واحد ممثلي اشتراكية المنابر الجامعية الرئيسيين . - ص ١٢٦

٨٥- «جماعة نضال العمل ضد رأس الهال» - أسسها غوتوفسكي في بطرسبورغ في ربيع ١٨٩٩ كانت تتألف من عدد من العمال والمثقفين ولم يكن لها ارتباط وثيق بحركة العمال في بطرسبورغ ؛ ولم تلبث ان انحلت بعد اعتقال جميع اعضائها تقريباً في صيف سنة ١٨٩٩ ؛ كانت هذه الجماعة ، من حيث نظراتها ، قريبة من «الاقتصادية» . - ص ١٣٤

٨٦- نرسيس - في الميثولوجية الاغريقية شاب جميل رأى صورته في الماء فعمشق نفسه . - ص ١٣٧

٨٧- جواب N.N. (ن ن .) (الاسم المستعار لسرغي نيقولايفيتش بروكوبوفيتش) على كراس اكسلرود «اضواء على مسألة مهام الاشتراكيين-الديمقراطيين الروس المعاصرة وتكتيكهم» وفيه انتقد اكسلرود من مواقع «الاقتصادية» ؛ وقد نشره بليخانوف في «Vademecum» لهيئة تحرير «رابوتشييه ديلو» (سنة ١٩٠٠) . - ص ١٤٢

٨٨- المقصود ، على ما يبدو اللقاء الاول الذي جرى في عام ١٩٠١ بين لينين ومارتينوف . - ص ١٤٣ .

٨٩- الستروفية - والماركسية العلية» راجعوا الملاحظة رقم ٣٢
- ص ١٤٨

٩٠- افاناسي ايفانوفيتش وبولخيريا ايفانوفنا- زوجان من الملاكين
العقاريين ذوي الاهتمامات الضيقة للغاية ، وصفهما الكاتب الروسي
نيقولاى غوغول في قصته «ملاكون من العصر الغابر» .- ص ١٤٩

٩١- يشير لينين الى حلقة الاشتراكيين-الديموقراطيين (والشيوخ) التي
كان يرأسها في بطرسبورغ وقد كانت هذه الحلقة الاساس الذي
قام عليه في سنة ١٨٩٥ واتحاد النضال من اجل تحرير الطبقة.
العامة .- ص ١٦٢

٩٢- جماعة «زيميليا إي فوليا»- اعضاء منظمة «زيميليا إي فوليا»
(ولارض والحرية) وهي منظمة سرية اسسها الشعبيون الثوريون
في خريف سنة ١٨٧٦ في بطرسبورغ
قامت المنظمة على اساس المركزية الصارمة والانضباط
الصارم ودون الامتناع عن اعتبار الاشتراكية هدفها النهائي ،
طرحت امر تحقيق مطالب الشعب كما هي عليه في الوقت الحاضر،
اي مطالب «الارض والحرية» على انه اقرب هدف
وبما ان الريميليفوليين كانوا يعتبرون الفلاحين القوة الثورية
الاساسية في روسيا ، فقد حاولوا استنهاض الفلاحين للانتفاض على
القيصرية وقاموا باعمال التحريض في عدد من محافظات روسيا
وتحت تاثير الاخفاق الذي مني به التحريض الاشتراكي بين
الفلاحين ، وتشديد الحكومة لاعمال القمع ، تشكلت في سنة ١٨٧٩
داخل «زيميليا اي فوليا» فرقة ارهابيين عدلت عن الدعاية الثورية
بين الفلاحين ورأت في ارهاب قادة الحكومة القيصرية الوسيلة
الرئيسية في النضال الثوري ضد القيصرية
وفي مؤتمر انعقد في السنة المذكورة بمدينة فورويج ،
انشقت «زيميليا اي فوليا» الى منطمتين «نارودنايا فوليا»
(وارادة الشعب) التي سلكت طريق الارهاب ، و «تشورني

بيريديل» («التقسيم الاسود») التي ظلت متمسكة بمواقف «زيمليا إي فوليا» فيما بعد ، انتقل قسم من «تشورني بيريديل» - بليخانوف واكسلرود وزاسوليتش ودويتش واغناطوف - الى مواقف الماركسية ، واسسوا ، سنة ١٨٨٣ ، في الخارج ، اول منظمة ماركسية روسية هي فرقة «تحرير العمل» - ص ١٧٢

٩٣- المقصود هو كراس «تقرير عن الحركة الاشتراكية - الديموقراطية الروسية الى المؤتمر الاشتراكي العالمي في باريس سنة ١٩٠٠» ؛ وقد اصدره «اتحاد الاشتراكيين - الديموقراطيين الروس» ، جينيف ، سنة ١٩٠١ كتبت هيئة تحرير «رابوتشييه ديلو» التقرير بتكليف من «الاتحاد» - ص ١٨٣

٩٤- يقصد لينين الملاحظة الجدالية الواردة في مقالة ر م «واقعنا» الصادرة في «الملحق الخاص «لرابوتشاييا ميسل» (ايلول - سبتمبر - ١٨٩٩) التي يستهد بها في الفقرة «ب» من الفصل الثالث (انظروا هذا المجلد ، ص ٩٢) - ص ١٨٨

٩٥- «يوجني رابوتشي» («العامل الجنوبي») - جريدة اشتراكية - ديموقراطية اصدرتها جماعة بنفس الاسم بصورة سرية من كانون الثاني (يناير) ١٩٠٠ الى نيسان (ابريل) ١٩٠٣ صدر منها ١٢ عدداً كانت الجريدة توزع بصورة رئيسية في المنظمات الاشتراكية - الديموقراطية في جنوب روسيا - ص ١٩٠

٩٦- يشير لينين الى نشرة اصدرتها هيئة تحرير جريدة «رابوتشاييا ميسل» بعنوان «اسئلة حول وضع الطبقة العاملة في روسيا» (سنة ١٨٩٨) ، وكراس بعنوان «اسئلة لجمع المعلومات عن وضع الطبقة العاملة في روسيا» (سنة ١٨٩٩) تضمنت النشرة ١٧ سؤالا وتضمن الكراس ١٥٨ سؤالا حول ظروف عمل ومعيشة العمال - ص ١٩٢ .

٩٧- شملت الحركة الاضرابية لعام ١٨٨٥ عدداً كبيراً من معامل صناعة النسيج في محافظات فلاديمير وموسكو وتفير وغيرها من المحافظات الوسطى الصناعية واشهر هذه الاضرابات كان اضراب عمال مانيفاكوتورة سافا موروزوف في نيقولسك في كانون الثاني (يناير) ١٨٨٥ (اضراب عمال موروزوف) ومن المطالب الرئيسية التي تقدم بها العمال تقليل الغرامات وتنظيم شروط استخراج الايدي العاملة والخ ؛ قاد الاضراب العمال المتقدمون واضراب عمال موروزوف هذا الذي اشترك فيه زهاء ٨ آلاف من العمال قد قمع بواسطة الجيش ؛ واحيل الى القضاء ٣٣ من العمال المشتركين في الاضراب وجرى نفي اكثر من ٦٠٠ عامل تحت تأثير الحركة الاضرابية في سنتي ١٨٨٥-١٨٨٦ ، اضطرت الحكومة القيصرية الى اصدار قانون ٣ (١٥) حزيران (يونيو) ١٨٨٦ (ما يسمى «بقانون الغرامات»)- ص ١٩٣

٩٨- **اسطبلات اوجياس**- تقول الاساطير الاغريقية القديمة انها اسطبلات في منتهى القدر كان يملكها الملك اوجياس ونظفها البطل الاسطوري هرقل (هيراكليس) في يوم واحد.- ص ١٩٥

٩٩- هذه الملاحظة اعطاها لينين بسبب المراقبة والوقائع المذكورة هنا بالضبط بنفس الترتيب الذي حدثت به فعلا - ص ١٩٩

١٠- «عصبة الاشتراكية-الديموقراطية الثورية الروسية في الخارج» تأسست بمبادرة من لينين في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٠١ . ضمت العصبة فرع منظمة «الايسكرا» في الخارج والمنظمة الثورية «سوسيال-ديموقراط» («الاشتراكي-الديموقراطي») (التي كانت تضم فرقة «تحرير العمل») كانت مهمة العصبة تتلخص في نشر افكار الاشتراكية-الديموقراطية الثورية وفي التمهيد لانشاء منظمة اشتراكية-ديموقراطية كفاحية وكانت العصبة ممثل منظمة «الايسكرا» في الخارج وقد رست صفوف انصار «الايسكرا» من عداد الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس في الخارج ودعمت

«الايسكرا» مادياً ، ونظمت ايصال الجريدة الى روسيا واصدرت المطبوعات الماركسية بلغة مبسطة مستساغة اصدرت العصبة عدة «نشرات» وكراريس اقر المؤتمر الثاني ح ع ا د ر العصبة بوصفها منظمة الحزب الوحيدة في الخارج والزمها بالعمل تحت قيادة واشراف للجنة المركزية ح ع ا د ر

بعد المؤتمر الثاني ح ع ا د ر ، وطد المناشفة اقدامهم في «العصبة في الخارج» وجعلوها مركزاً للنضال ضد لينين وضد البلاشفة وفي المؤتمر الثاني للعصبة في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٠٣ ، شنوا حملة افتراء على البلاشفة ، فانسحب لينين وانصاره من جلسة المؤتمر . وصادق المناشفة على نظام داخلي جديد للعصبة يتعارض والنظام الداخلي للحزب الذي اقره المؤتمر الثاني ح ع ا د ر . ومنذ ذلك الحين ، غدت العصبة حصن المنشفية ؛ وقد عاشت حتى سنة ١٩٠٥ . - ص ٢٠٠

١٠١ - يقتبس لينين من مقال دميتري بيسارييف وولات تفكير غير ناضج . - ص ٢١٧

١٠٢ - «ليستوك» «رابوتشييه ديلو» (ورقة وقضية العمال) - ملحق غير دوري اصدرته مجلة «رابوتشييه ديلو» في جينيف من حزيران (يونيو) ١٩٠٠ الى تموز (يوليو) ١٩٠١ لم يصدر من «ليستوك» غير ٨ اعداد . - ص ٢١٧

١٠٣ - يقصد لينين الفقرة التالية من مؤلف ماركس «الثامن عشر من برومير لويس بونابرت» «يقول هيغل في مكان ما ان جميع الاحداث والشخصيات العظيمة في تاريخ العالم تظهر ، اذا جاز القول ، مرتين وقد نسي ان يضيف المرة الاولى كما ساءة ، والمرة الثانية كمسخرة» . - ص ٢١٨ .

١٠٤- في تشرين الثاني (نوفمبر) وكانون الاول (ديسمبر) ١٩٠١ ، تدفقت في عموم روسيا موجة من مظاهرات الطلاب لقيت مساندة العمال .- ص ٢٢١

١٠٥- **الانكشارية** - المشاة النظامية في تركيا السلطانية وقد جرى تشكيلها في القرن الرابع عشر ، وكانت اهم قوة بوليسية في النظام السلطاني كان الانكشارية يتصفون بخارق القسوة ويطلق لينين اسم الانكشارية على البوليس القيصري .- ص ٢٢٢

١٠٦- **المؤتمر الاول لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا** انعقد في مينسك من الاول الى الثالث (١٣-١٥) من شهر آذار (مارس) ١٨٩٨ . حضر المؤتمر ٩ مندوبين عن ٦ منظمات انتخب المؤتمر لجنة الحزب المركزية ونشر «البيان» بعد المؤتمر على الفور ، اعتقل اعضاء اللجنة المركزية وهكذا لم يتم آنذاك عملياً توحيد المنظمات المحلية في حزب واحد .- ص ٢٢٧

١٠٧- **المكتب الاشتراكي العالمي (م ع)** - هيئة تنفيذية استعلامية دائمة في الاممية الثانية ، تتألف من ممثلين عن جميع الاحزاب الاشتراكية المنضمة الى الاممية الثانية وقد انتخب بليخانوف وكريتشيفسكي ممثلين للاشتراكيين-الديموقراطيين الروس في المكتب الاشتراكي العالمي ومنذ ١٩٠٥ كان لينين ممثل ح ع ادر في م ا ع كف المكتب عن نشاطه في عام ١٩١٤ .- ص ٢٣٠

١٠٨- **المنظمة الثورية «سوسيال-ديموقراط»** (والاشتراكي-الديموقراطي) - انشأها اعضاء فرقة «تحرير العمل» ورفاقهم بالفكر في ايار (مايو) ١٩٠٠ بعد انشقاق «اتحاد الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس في الخارج» في مؤتمره الثاني ناضلت منظمة «الاشتراكي-الديموقراطي» ضد جميع المحاولات الانتهازية لتشويه الماركسية واصدرت «بيان الحزب الشيوعي» وبضعة كراريس لبليخانوف وكاوتسكي وغيرهما . في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٠١ ،

اتحدت ، بناء على اقتراح من لينين ، مع فرع منظمة «اليسكرا» في الخارج ، في «عصبة الاشتراكية-الديموقراطية الثورية الروسية في الخارج» .- ص ٢٣١

١٠٩- راجعوا الملاحظة رقم ٤ .- ص ٢٣١

١١٠- يقصد لينين فرقة «النضال» الاشتراكية-الديموقراطية في الخارج تشكلت الفرقة في صيف ١٩٠٠ في باريس ، واتخذت في ايار (مايو) ١٩٠١ اسم «فرقة «النضال»» سعياً لاجراء التصالح بين الاتجاه الثوري والاتجاه الانتهازي في الاشتراكية-الديموقراطية الروسية ، بادرت فرقة «النضال» الى الدعوة الى عقد كونفيرانس جينيف لممثلي المنظمات الاشتراكية-الديموقراطية في الخارج - هيئة تحرير «اليسكرا» و«زاريا» ، منظمة «الاشتراكي-الديموقراطي» ، لجنة البوند في الخارج ، واتحاد الاشتراكيين - الديمقراطيين الروس « (حزيران - يونيو - ١٩٠١) واشتركت في عمل المؤتمر «التوحيدي» (تشرين الاول - اكتوبر - ١٩٠١) لم تقبل فرقة «النضال» في المؤتمر الثاني ح ع ا در ، نظراً لانحرافها عن المفاهيم الاشتراكية-الديموقراطية والتكتيك الاشتراكي-الديموقراطي ، ونظراً لاعمالها التشويشية ، ونظراً لانعدام الصلة بينها وبين المنظمات الاشتراكية-الديموقراطية في روسيا بقرار من المؤتمر الثاني ، حلت فرقة «النضال» - ص ٢٣٢

١١١- في العدد ١٨ بتاريخ ١٠ آذار (مارس) ١٩٠٢ ، صدرت في باب «من الحزب» النبذة «مناظرة «زاريا» مع هيئة تحرير «Vorwärts»» ؛ عرضت هذه النبذة وجهة نظر هيئة تحرير «اليسكرا» و«زاريا» الى هذه المناظرة .- ص ٢٣٦

١١٢- اي بعد اصلاح عام ١٨٦١ الذي الغى القنانة في روسيا .- ص ٢٤١.

١١٣- «الاشتراكيون-الثوريون»- حزب بروجوازي صغير في روسيا ، تأسس في اواخر ١٩٠١ واول ١٩٠٢ بنتيجة توحيد مختلف

فرق وحلقات الشعبين قال الاشتراكيون-الثوريون عن انفسهم بانهم اشتراكيون ولكن اشتراكيتهم كانت اشتراكية طوبوية برجوازية صغيرة

تضمن برنامج الاشتراكيين-الثوريين الزراعي مطلب تصفية ملكية الملاكين العقاريين للأرض والغاء الملكية الخاصة للأرض وتسليم الأرض كلها للمشاعات الفلاحية بموجب الانتفاع المتساوي بالأرض على أساس العمل مع إعادة تقسيم الأرض بصورة دورية منتظمة حسب عدد الأفواه او حسب افراد العائلة القادرين على العمل (ما يسمى «بجعل الأرض ملكة اجتماعية»)

اما في الواقع ، فان تحقيق الانتفاع المتساوي بالأرض على أساس العمل « لم يكن من شأنه ، مع بقاء علاقات الانتاج الرأسمالية ، ان يعني الانتقال الى الاشتراكية ، وكان من شأنه ان يؤدي فقط الى القضاء على العلاقات شبه الاقطاعية في الريف وتطور الرأسمالية بصورة متسارعة

لم ير الاشتراكيون-الثوريون الفوارق الطبقة بين البروليتاريا والفلاحين وطمسوا التمايز الطبقي والتناقضات داخل صفوف الفلاحين ، بين الفلاحين الكادحين والكولاك (الفلاحين الاغنياء الذين يستثمرون عمل الغير) ، وانكروا دور البروليتاريا القيادي في الثورة وكان الارهاب الفردي طريقتهم الرئيسية للنضال ضد القيصرية

بعد هزيمة الثورة الروسية الاولى (١٩٠٥-١٩٠٧) عانى حزب الاشتراكيين-الثوريين ازمة فان قيادة الحزب قد عدلت عملياً عن النضال الثوري ضد القيصرية بعد الاطاحة بالقيصرية في شباط (فبراير) ١٩١٧ ، دخل زعماء الاشتراكيين-الثوريين في الحكومة المؤقتة البرجوازية ، وناضلوا ضد الطبقة العاملة التي كانت تهيب للثورة الاشتراكية ، واشتركوا في قمع الحركة الفلاحية في صيف ١٩١٧ بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية ، ناضل الاشتراكيون-الثوريون بنشاط ضد السلطة السوفييتية . - ٢٤٢

١١٤ - «فستنيك روسكوي ريفولوتسيي» («بشير الثورة الروسية») استعراض اجتماعي سياسي - مجلة سرية صدرت في الخارج من

- عام ١٩٠١ الى عام ١٩٠٥ صدر منها ٤ اعداد ابتداء من العدد الثاني ، لسان حال الاشتراكيين-الثوريين النظري - ص ٢٤٢
- ١١٥- يقصد لينين النداء «الى جميع رعايا القيصر الروسي» المطبوع في ٣ نيسان (ابريل) ١٩٠٢ في مطبعة حزب الاشتراكيين-الثوريين ، واصدار هذا النداء في جريدة «ريفولوتسيونايا روسيا» (روسيا الثورية) ، العدد ٧ ، حزيران (يونيو) ١٩٠٢ - ص ٢٤٥
- ١١٦- يورد لينين مقتبسات من نداء اتحاد الفلاحين لحزب الاشتراكيين-الثوريين «الى جميع عاملي الاشتراكية الثورية في روسيا» (ريفولوتسيونايا روسيا) ، العدد ٨ ، ٢٥ حزيران ١٩٠٢ ، ص ٦ - ص ٢٥٠
- ١١٧- راجعوا الملاحظة رقم ١٤ . - ص ٢٥٥
- ١١٨- المقصود هنا احدي قصائد «الشعر الثرى» للكاتب الروسي تورغينيف ، وهي «قاعدة الحياة» .- ص ٢٥٧
- ١١٩- المقصود هنا اصلاح عام ١٨٦١ الذي الغى القنانة في روسيا ، والاصلاحات التي اعقبته في ميدان المالية والتعليم الشعبي ، واصلاح القضاء ، والاصلاح العسكري وغير ذلك .- ص ٢٦٠
- ١٢٠- راجعوا الملاحظة رقم ٢٧ .- ص ٢٦١
- ١٢١- راجعوا الملاحظة رقم ٦٨ .- ص ٢٦٥
- ١٢٢- **حصّة الارض** (الارض الممنوحة)- المقصود هنا الارض الممنوحة للفلاحين للانتفاع بها بعد الغاء القنانة في روسيا عام ١٨٦١ . لم يكن يحق للفلاحين بيع حصّة الارض ؛ وكانت حصّة الارض في قسم كبير من روسيا موجودة كملكية مشاعية وكان يجري توزيعها بين الفلاحين للانتفاع بها عن طريق اعادة تقسيم الارض بصورة دورية.- ص ٢٦٦ .

١٢٣ - افاد لينين في رسالة كتبها الى بليخانوف في آذار (مارس) ١٩٠٣ عن الغاية من كراس «الى الفلاحين الفقراء» انه يكتب كراساً بلغة مبسطة لاجل الفلاحين عن البرنامج الزراعي يوضح فيه الفكرة الماركسية عن النضال الطبقي في الريف بالاستناد الى معطيات ملموسة عن فئات سكان الريف الارباع (الملاكون العقاريون ، البرجوازية الفلاحية ، الفلاحون المتوسطون ، انصاف البروليتاريين مع البروليتاريين)

في ايار (مايو) ١٩٠٣ ، اصدرت «عصبة الاشتراكية-الديموقراطية الثورية الروسية في الخارج» الكراس في جينيف . وفي عام ١٩٠٤ ، اعادت طبعه اللجنة المركزية ح ع ادر في الخارج وغير مرة اعادت طبعه المنظمات المحلية ح ع ادر في روسيا ايضاً

انتشر كراس لينين انتشاراً واسعاً جداً وكان ينقل سراً من الخارج الى روسيا ، حيث كان يوزع في مختلف المدن ، ومنها في القرى . وكان موضع دراسة في حلقات العمال الاشتراكية-الديموقراطية السرية ، وكان يتسرب الى الجيش والاسطول والى تلامذة المدارس والى الطلاب

في عام ١٩٠٥ ، اعدّ لينين طبعة علنية للكراس وبما ان الطبعة العلنية جرى اعدادها في ظروف تاريخية جديدة - في مرحلة نهوض الثورة الروسية الاولى - ، فقد ادخل لينين على نص الكراس تعديلات وازافات وهذا المؤلف يصدر في هذا المجلد حسب طبعة ١٩٠٣ وقد اشير في الملاحظات في اسافل الصفحات الى اهم التغييرات التي ادخلها لينين على النص عند اعداد الطبعة العلنية
- ص ٢٦٨

١٢٤ - اي في موسكو وبطرسبورغ . - ص ٢٦٨

١٢٥ - **دوما الدولة** - مؤسسة تمثيلية اضطرت الحكومة القيصرية الى عقدها بنتيجة الاحداث الثورية في عام ١٩٠٥ شكلاً كان دوما الدولة هيئة تشريعية ، ولكنه في الواقع لم يكن يملك اي سلطة فعلية . لم

تكن الانتخابات الى دوما الدولة مباشرة ومتساوية وعامة وكانت الحقوق الانتخابية للطبقات الكادحة وكذلك للقوميات غير الروسية القاطنة في روسيا مبتورة جداً ؛ وكان قسم كبير من العمال والفلاحين لا يملكون البتة اي حقوق انتخابية وبموجب القانون الانتخابي الصادر في ١١ (٢٤) كانون الاول (ديسمبر) ١٩٠٥ ، كان صوت الملاك العقاري بوازي ٣ اصوات لممثلي البرجوازية المدنية ، و ١٥ صوتاً من اصوات الفلاحين و ٤٥ صوتاً من اصوات العمال . - ص ٢٧٣

١٢٦ - نأحية - في روسيا ما قبل الثورة - ادنى وحدة ادارية اقليمية ، داخلية في قوام القضاء الذي كان بدوره داخلأ في قوام المحافظة . - ص ٢٧٤

١٢٧ - مارشال النبلاء - ممثل النبلاء في المحافظة او في القضاء في روسيا القيصرية ، كان ينتخبه اجتماع النبلاء المعني كان مارشال النبلاء يصر ف شؤون النبلاء ، ويشغل دورأ هامأ في الادارة ، ويرأس الاجتماعات الريمستفوية . - ص ٢٧٤

١٢٨ - المقصود هنا الحرب الروسية اليابانية (١٩٠٤) - (١٩٠٥) . - ص ٢٧٥

١٢٩ - المقصود هنا اتحاد الفلاحين لعامة روسيا ، وهو منظمة ثورية ديموقراطية نشأت في عام ١٩٠٥ طالب اتحاد الفلاحين بالحرية السياسية وبعقد الجمعية التأسيسية على الفور ؛ وكان برنامجه الزراعي يتضمن مطلب الغاء الملكية الخاصة للارض وبما ان الاتحاد كان متأراً بالاشتراكيين-الثوريين والليبراليين ، فقد كان يبدي في سياسته الميوعة البرجوازية الصغيرة والتذبذب وخور العزيمة في مستهل عام ١٩٠٧ ، زال الاتحاد من الوجود . - ص ٢٧٧ .

١٣٠- كلمات من «بيان الحزب الشيوعي» - وهو من اعظم الوثائق البرنامجية للشيوعية العلمية ؛ وقد كتبه ماركس وانجلس في عام ١٨٤٨ . - ص ٢٧٩

١٣١- الكولاك - «فلاحون اغنياء يستغلون عمل الغير ، إما باستخدام العاملين ، واما بالربا وما الى ذلك» (لينين) . - ص ٢٨٤

١٣٢- الاراضي المقتطعة ((أوتريزكي)) - الاراضي التي اقتطعت في صالح الملاكين العقاريين من اراضي الفلاحين بموجب اصلاح عام ١٨٦١ وكانت اساساً خيرة الاقسام من حصص الفلاحين - المروج ، البساتين ، المراعي ، المساقى ، التي لم يكن بمقدور الفلاحين بدونها ان يسيروا استثماراتهم بصورة مستقلة . - ص ٣٠٤

١٣٣- الشرعات التنظيمية - الوثائق التي كانت تعين العلاقات الزراعية بين الفلاحين الملزمين مؤقتاً والملاكين العقاريين لمناسبة الغاء القنانة في عام ١٨٦١ كانت الشرعة التنظيمية تعين مساحة الاراضي التي كان ينتفع بها الفلاحون قبل الاصلاح ، وتحدد مساحات الحصص الباقية لدى الفلاحين بعد الاصلاح . وكانت الشرعة تعدد كذلك الالتزامات المترتبة سابقاً على الفلاحين في صالح الملاك العقاري وبموجب الشرعة التنظيمية ، كان يعين معدل التعويضات الواجبة على الفلاحين . - ص ٣٢٣

١٣٤- التكافل والتضامن - المسؤولية التي كانت تفرض على فلاح كل مشاعة ريفية دفع جميع المبالغ المترتبة في حينه وتنفيذ شتى الالتزامات والاتاوات في صالح الدولة والملاكين العقاريين (الضرائب ، التعويضات ، التجنيد ، الخ) ان هذا الشكل من استعباد الفلاحين قد ظل قائماً في روسيا حتى بعد الغاء القنانة ، ولم يبلغ الا عام ١٩٠٦ . - ص ٣٣٥

١٣٥- استئجار الشتاء - طريقة كان يلجأ اليها الملاكون العقاريون والكولاك لاستئجار الفلاحين في الشتاء لاجل القيام بالاعمال الصيفية ، اي حين

كان الفلاحون بأمس الحاجة الى النقود كان الاستئجار يتم بموجب شروط مجحفة بحق الفلاحين .- ص ٣٥٦

١٣٦- المقصود هنا جريدة «الايسكرا» . راجعوا الملاحظة رقم ٣ .- ص ٣٦٣

١٣٧- ح ١ ب- الحزب الاشتراكي البولوني- حزب اصلاحي قومي انشى في عام ١٨٩٢ .- ص ٣٦٤

١٣٨- „Przedświt“ («بشيدشفيت» - «الفجر») .-مجلة سياسية بدأ يصدرها فريق من الاشتراكيين البولونيين منذ عام ١٨٨١ صدرت نانقطاعات حتى عام ١٩٢٠ .- ص ٣٦٤

١٣٩- راجعوا الملاحظة رقم ٥٧ .- ص ٣٦٧

١٤٠- «الجريدة الريمانية الجديدة» «Neue Rheinische Zeitung» - (نويه رينيشيه زائتونغ) - صدرت يومياً في كولونيا بتحرير ماركس من اول حزيران (يونيو) ١٨٤٨ الى ١٩ ايار (مايو) ١٨٤٩

وبما ان الجريدة كانت لسان الحال الكفاحي للجناح البروليتاري في الديمقراطية ، فقد اضطلعت بدور مربى الجماهير الشعبية واستنهضتها الى النضال ضد الثورة المضادة وعلى العموم ، كان ماركس وانجلس يكتبان المقالات الافتتاحية التي تحدد موقف الجريدة من اهم القضايا في الثورة الالمانية والثورة الاوروبية - ص ٣٦٧

١٤١- برلمان فرانكفورت - الجمعية الوطنية في فرانكفورت - الجمعية الوطنية لعموم المانيا - انشئت بعد ثورة آذار (مارس) ١٨٤٨ في المانيا كانت مهمتها الرئيسية تتلخص في تصفية التجزؤ السياسي وفي وضع دستور لعموم المانيا ولكن الجمعية ، بسبب من جبانة وذبدبات اغلبيتها الليبرالية ، وبسبب من ميوعة وتارجح الجناح

اليساري البرجوازي الصغير ، خافت ان تأخذ السلطة العليا في البلاد بيدها ، ولم تستطع ان تقف موقفاً حازماً في القضايا الاساسية للشورة الالمانية في عامي ١٨٤٨ - ١٨٤٩ ولم تفعل شيئاً لاجل تخفيف اوضاع العمال والفلاحين ، ولم تدعم حركة التحرر الوطني في بولونيا وبلاد التشيك ، وجذت سياسة الاضطهاد التي كانت تنتهجها النمسا وبروسيا حيال الشعوب المستعبدة ولم تعتمد الجمعية الى حشد قوى الشعب للرد على هجوم الثورة المضادة وللدفاع عن الدستور الامبراطوري الذي وضعته في آذار ١٨٤٩ . وفي حزيران ١٨٤٩ جرى حل الجمعية - ص ٣٦٧

١٤٢ - انجلس المناقشات في المسألة البولونية في فرانكفورت - ص ٣٦٨

١٤٣ - راجعوا الملاحظة رقم ٢٣ - ص ٣٦٩

١٤٤ - في ٩ كانون الثاني ١٩٠٥ ، اطلقت النار ، بناء على امر من القيصر ، على مظاهرة سلمية قام بها عمال بطرسبورغ ونظمها الكاهن غابون واتجهت الى قصر الشتاء (قصر القيصر) لاجل تقديم عريضة للقيصر . رداً على هذه الجريمة البشعة ، جريمة اطلاق النار على العمال العزل من السلاح ، بدأت في عموم روسيا اضرابات ومظاهرات سياسية جماهيرية

كانت احداث ٩ كانون الثاني الذي اسمى بيوم الاحد الدامي بداية ثورة ١٩٠٥-١٩٠٧ . ص ٣٧٥

١٤٥ - الجوريسية - تيار اسمى باسم الاشتراكي الفرنسي جان جوريس الذي كان يرأس الجناح اليميني ، الاصلاحى ، في الحركة الاشتراكية الفرنسية تحت ستار المطالبة «بحرية النقد» ، طالب الجوريسيون بتحريف الموضوعات الاساسية في الماركسية ، ودعوا الى التعاون الطبقي بين البروليتاريا والبرجوازية في عام ١٩٠٢ ، شكل الجوريسيون الحزب الاشتراكي الفرنسي الذي وقف مواقف اصلاحية . ص ٣٨١ .

١٤٦ - مؤتمر امستردام - انعقد المؤتمر الاشتراكي العالمي للاممية الثانية في امستردام في آب (اغسطس) ١٩٠٤ تدارس المؤتمر المسائل التالية ١ - قواعد التكتيك الاشتراكي العالمية ؛ ٢ - السياسة الاستعمارية ٣ - الاضراب العام ؛ ٤ - السياسة الاجتماعية وضمن العمال ؛ ٥ - التروستات والبطالة ، وغير ذلك من المسائل . في القرار بصدد المسألة الاولى الذي يستشهد به لينين ، اشير الى ان الاشتراكية-الديموقراطية «لا يمكنها ان تسعى وراء الاشتراك في السلطة الحكومية في اطار المجتمع البرجوازي» ولكن الزعماء اليمينيين في الاحزاب الاشتراكية-الديموقراطية ، خلافا لقرار مؤتمر امستردام ، اشتركوا ولا يزالون يشتركون في الحكومات البرجوازية مطبقين سياسة صيانة وتوطيد الدولة البرجوازية وسيادة البرجوازية . - ص ٣٨٣

١٤٧ - «فريود» (والى الامام) - جريدة شيوعية بلشفية سرية صدرت في جنيف من كانون الاول (ديسمبر) ١٩٠٤ حتى ايار (مايو) ١٩٠٥ صدر منها ١٨ عددا كان لينين منظم الجريدة وملهما الفكري ، وقائدها المباشر . - ص ٣٨٤

١٤٨ - الايسكريون الجدد - المناشفة ، انصار «الايسكرا» الجديدة (راجعوا الملاحظة رقم ٣) . - ص ٣٨٥

١٤٩ - المقصود هنا بطريقة مبسطة ، وحسب اسلوب ايلوفايسكي - المؤرخ ومؤلف الكتب المدرسية التي عرض التاريخ فيها بشكل ساذج للغاية . - ص ٣٨٦

١٥٠ - استعمل لينين تعبير «البلالة البرلمانية» بحق الانتهازيين الذين كانوا يعتقدون ان النظام البرلماني كلي القدرة وان النشاط البرلماني هو الشكل الوحيد للنضال السياسي ، ايا كانت الظروف . - ص ٣٨٧

١٥١ - خطة العجلة الزيمستفوية - خطة منشفية لدعم «الحملة الزيمستفوية» التي قام بها الليبيراليون البرجوازيون من خريف

١٩٠٤ الى كانون الثاني (يناير) ١٩٠٥ - وهي حملة مؤتمرات واجتماعات ومآدب لرجالات الزيمستفوات كانت تلقى فيها الخطب وتتخذ القرارات بروح المطالب الدستورية المعتدلة . - ص ٣٨٧

١٥٢ - "Der Volks-Tribun" (در فولكس تريبون) - وخطيب الشعب) - جريدة اسبوعية ، اسسها الاشتراكيون البرجوازيون الصغار او «الاشتراكيون الصحيحون» في نيويورك صدرت من كانون الثاني (يناير) الى كانون الاول (ديسمبر) ١٨٤٦ - ص ٣٩٢

١٥٣ - "Das Westphälische Dampfboot" (داس فيسفيليشيه دامبفوت) - «البخرة الوستفالية» - مجلة شهرية لسان حال احد اتجاهات الاشتراكية الالمانية البرجوازية الصغيرة او «الاشتراكية الصحيحة» صدرت من كانون الثاني (يناير) ١٨٤٥ حتى آذار (مارس) ١٨٤٨ . - ص ٣٩٢

١٥٤ - «التقسيم الاسود» (تشورني بيريديل) - شعار يعبر عن طموح الفلاحين الى تقسيم جميع الاراضي . - ص ٣٩٣

١٥٥ - كتب لينين «خطتنا الاشتراكية-الديموقراطية في الثورة الديموقراطية» في حزيران - تموز (يونيو - يوليو) ١٩٠٥ بعد انتهاء اعمال المؤتمر الثالث لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا ، وكذلك بعد المجلس العام (الكونفيرانس) المنعقد في جنيف الذي انعقد مع المؤتمر في وقت واحد وقد اصدرت اللجنة المركزية ح ع ا د ر هذا الكتاب في جنيف حيث كان لينين يعيش ويعمل وفي عام ١٩٠٥ نفسه ، اعيد طبعه في روسيا من قبل اللجنة المركزية ح ع ا د ر ، وعلى حدة من قبل لجنة موسكوح ح ع ا د ر بعشرة آلاف نسخة . وقد انتشر الكتاب بصورة غير شرعية في كثير من مدن روسيا وفي شباط (فبراير) ١٩٠٧ ، اصدرت لجنة بطرسبورغ لشؤون المطبوعات قراراً بحجزه ، لاعتبارها انه يتضمن اعمالاً اجرامية

ضد الحكومة القيسرية . وفي آذار (مارس) من العام نفسه ، صادقت محكمة بطرسبورغ على قرار الحجز كما اصدرت قراراً باتلاف هذا الكتاب ولكن الحكومة القيسرية لم تفلح في القضاء على هذا المؤلف الفائق الاهمية الذي كتبه لينين

ادرج لينين كتاب «خطتنا الاشتراكية-الديموقراطية في الثورة الديموقراطية» في المجلد الاول من مجموعة مقالاته وخلال اثني عشر عاماً ، الذي صدر في اواسط تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠٧ في بطرسبورغ وارفق لينين الكتاب بملاحظات جديدة في اسفل الصفحات وقد كتب في مقدمة المجموعة عن اهمية هذا الكتاب يقول «هنا تعرض بصورة منهجية الخلافات التكتيكية الاساسية مع المناشفة ؛ فان القرارين اللذين اتخذهما «المؤتمر الثالث ح ا د ر» في لندن (البلشفي) والمجلس العام المنشفي في جنيف قد صاغا كلياً هذه الخلافات واديا بالضرورة الى خلاف جذري في تقييم كل ثورتنا البرجوازية من وجهة نظر مهام البروليتاريا» . - ص ٤٠١

١٥٦ - بدأت الانتفاضة على متن المدرعة «بوتيومكين» في ١٤ (٢٧) حزيران (يونيو) ١٩٠٥ وصلت المدرعة المنتفضة الى اوديسا حيث كان يجري آنذاك اضراب عام ولكن الظروف الملائمة التي توفرت لاجل قيام عمال اوديسا والبحارة بنضال مشترك لم تُستغل . و اثر سلسلة من الاعتقالات ضعفت منظمة اوديسا البلشفية ، ناهيك عن انه كانت تعوزها الوحدة اما المناشفة ، فقد كانوا ضد الانتفاضة المسلحة وكانوا يحاولون منع العمال والبحارة عن النضال الهجومي

وجهت الحكومة القيسرية كل اسطول البحر الاسود لقمع انتفاضة المدرعة «بوتيومكين» ، ولكن البحارة رفضوا اطلاق النار على المدرعة الثائرة ، فاضطر الامرون الى سحب الاسطول بعد احد عشر يوماً من التجوال في البحر ، اضطرت المدرعة «بوتيومكين» ، وقد نفذت منها الماكولات والوقود ، الى الالتجاء

الى سواحل رومانيا والاستسلام للسلطة الرومانية بقي البحارة
بمعظمهم في الخارج اما الذين عادوا الى روسيا فقد اعتقلوا
واحيلوا الى المحاكمة .

انتهت الانتفاضة على متن المدرعة « بوتيومكين » بالاخفاق ،
ولكن انتقال طاقم سفينة حربية كبيرة الى جانب الثورة كان بمثابة
خطوة هامة الى الامام في تطور النضال ضد الاوتوقراطية . - ص ٤٠١ .

١٥٧ - «بروليتاري» - جريدة اسبوعية بلشفية سرية ؛ لسان الحال المركزي
ح ع ا د ر ؛ انشئت بموجب قرار مؤتمر الحزب الثالث وبموجب
قرار من دورة لجنة الحزب المركزية بتاريخ ٢٧ نيسان - ابريل
١٠ ايار - مايو ١٩٠٥ عين لينين المحرر المسؤول عنها
صدرت «بروليتاري» في جينيف من ايار (مايو) الى تشرين الثاني
(نوفمبر) ١٩٠٥ صدر منها ٢٦ عدداً
واصلت «بروليتاري» خط «اليسكرا» القديمة اللينينية ،
وصانت الاستمرارية التامة مع الجريدة البلشفية «فبريود»
- ص ٤٠١

١٥٨ - راجعوا الملاحظة رقم ٦٣ . - ص ٤٠٢

١٥٩ - «اوسفوبوجدينييه» («التحرر») - مجلة صدرت في الخارج مرة كل
اسبوعين من حزيران (يونيو) ١٩٠٢ حتى تشرين الاول (اكتوبر)
١٩٠٥ ، بتحرير ستروفه كانت المجلة تنطق بلسان البرجوازية
الليبيرالية الروسية وتروج بدأب وانسجام بافكار الليبيرالية
الملكية المعتدلة في عام ١٩٠٣ ، تكون حول المجلة (وتبلور في
كانون الثاني - يناير - ١٩٠٤) «اتحاد اوسفوبوجدينييه» الذي
دام حتى تشرين الاول ١٩٠٥ فيما بعد ، شكل اعضاء واتحاد
اوسفوبوجدينييه» نواة الحزب الدستوري الديمقراطي (الكاديت) ،
الحزب الرئيسي للبرجوازية الملكية الليبيرالية في روسيا الذي تآلف في
تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٠٥ . - ص ٤٠٣ .

١٦٠- **الاكيموفية** نسبة الى اكيوف وهو ممثل بارز و«لاقتصادية» ،
 وواحد من اكثر الانتهازيين تطرفا
 «الاقتصادية» - راجعوا الملاحظة رقم ٥ - ص ٤٠٣

١٦١- **لجنة بوليغين** - لجنة خاصة انشئت بمرسوم من القيصر في شباط
 (فبراير) ١٩٠٥ برئاسة وزير الداخلية الكسندر غريغوريفيتش
 بوليغين وقد ضمت اللجنة عدداً من كبار الملاكين العقاريين ،
 ومن ممثلي النبلاء الرجعيين اعدت اللجنة قانوناً بعقد دوما الدولة ،
 ولائحة بالانتخابات الى الدوما جرى نشرهما مع بيان القيصر في
 ٦ (١٩) آب (اغسطس) ١٩٠٥ كانت الحقوق الانتخابية
 للانتخابات الى هذا الدوما ممنوحة للملاكين العقاريين والرأسماليين
 وعدد صغير من الفلاحين اصحاب البيوت فقط ولم يكن يحق
 لدوما الدولة اصدار اي قانون ، ولم يكن بوسعها الا ان تناقش
 بعض المسائل بصفة هيئة استشارية لدى القيصر
 دعا البلاشفة العمال والفلاحين الى مقاطعة دوما بوليغين
 بنشاط لم تجر الانتخابات الى دوما بوليغين ، ولم تفلح الحكومة
 في عقده فان نهوض الثورة المتعاطم والاضراب السياسي في
 تشرين الاول (اكتوبر) قد جرفاه . - ص ٤٠٦

١٦٢- راجعوا الملاحظة رقم ١٩ . - ص ٤٠٦

١٦٣- راجعوا الملاحظة رقم ١٢ . - ص ٤١٦

١٦٤- راجعوا الملاحظة رقم ١٤٠ . - ص ٤٢١

١٦٥- «**سوسيال-ديموقراط**» («الاشتراكي-الديموقراطي») - جريدة
 منشوية صدرت باللغة الجورجية في تفليس من نيسان (ابريل)
 الى تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠٥ صدر منها ٦ اعداد فقط
 اشرف جورديان زعيم المناشفة الجورجيين على الجريدة
 مقالة «الزيمسكي سوبور وتكتيكناس» الصادرة في العدد
 الاول من «سوسيال-ديموقراط» ، نيسان ١٩٠٥ ، كتبها
 جورديان . - ص ٤٢٣ .

١٦٦ - **المئة السود** - عصابات ملكية انشأها البوليس القيصري لمكافحة الحركة الثورية كان رجال المئة السود يفتالون الثوريين ، ويعتدون على المثقفين التقدميين ، ويقترفون مذابح اليهود - ص ٤٢٤

١٦٧ - **سمى لينين بدستور «على طريقة شيوف»** مشروع بناء الدولة الذي وضعه شيوف ، الليبرالي المعتدل الذي كان يرأس الجناح اليميني من الريمستفويين فسعيًا الى الحد من مدى الثورة والى نيل بعض التنازلات في الوقت نفسه من جانب الحكومة القيصرية في صالح الريمستفوات ، افترح شيوف انشاء هيئة تمثيلية استشارية لدى القيصر بواسطة هذه الصفقة حاول الليبراليون المعتدلون خداع الجماهير الشعبية وصيانة النظام الملكي والحصول في الوقت نفسه على بعض الحقوق السياسية . - ص ٤٢٦

١٦٨ - راجعوا الملاحظة رقم ٣٢ . - ص ٤٢٩

١٦٩ - راجعوا الملاحظة رقم ٤٨ . - ص ٤٣٢

١٧٠ - المقصود هنا «موضوعات عن فورباخ» من تأليف كارل ماركس (راجعوا انجلس لودفيغ فورباخ ونهاية الفلسفة الكلاسيكية الالمانية دار التقدم . موسكو) . - ص ٤٣٣

١٧١ - راجعوا الملاحظة رقم ١٥٩ . - ص ٤٣٥

١٧٢ - راجعوا الملاحظة رقم ٨٣ . - ص ٤٤٣

١٧٣ - «سين اوتيتشيسستفا» («ابن الوطن») - جريدة يومية ليبرالية الاتجاه صدرت في بطرسبورغ من عام ١٨٥٦ الى عام ١٩٠٠ وفي ١٩٠٤ - ١٩٠٥ كان العاملون في الجريدة من انصار «اوسفوبوجدينبيه» والشعبيين من مختلف التلاوين . - ص ٤٤٣ .

١٧٤- «فاشا جيزن» (وحياتنا) - جريدة يومية ليبرالية الاتجاه
صدرت في بطرسبورغ بانقطاعات من عام ١٩٠٤ الى عام
١٩٠٦ . - ص ٤٤٣

١٧٥- «فاشي دني» (وايامنا) - جريدة يومية ليبرالية الاتجاه
صدرت في بطرسبورغ في ١٩٠٤ - ١٩٠٥ - ص ٤٤٣

١٧٦- راجعوا كارل ماركس وفريدريك انجلس «بيان الحزب
الشيوعي» . - ص ٤٤٣

١٧٧- «الرجل المقلب» - بطل قصة بالاسم نفسه للكاتب الروسي
انطون تشيخوف نموذج الرجل التافه الضيق الافق الذى يخاف
من كل تجديد وكل مبادرة . - ص ٤٤٥

١٧٨- يستشهد لينين بكتاب "Aus dem literarischen Nachlaß von
Karl Marx, Friedrich Engels und Ferdinand Lassalle. Herausgegeben
von Franz Mehring". Band III, Stuttgart, 1902, S. 211.

(ومن التراث الادبي لكارل ماركس وفريدريك انجلس وفرديناند
لاسال ، بتحرير فرانتس مهرينغ) ، المجلد ٣ ، شتوتغارت ،
١٩٠٢ ، ص ٢١١ . - ص ٤٥٢

١٧٩- راجعوا الملاحظة رقم ١٨ . - ص ٤٥٢

١٨٠- باشي بوذوق (باشبوزوق) - اسم اطلق على فصائل غير نظامية من
الجيش التركي في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر كانت تتميز
بانعدام الانضباط والقساوة والميل الى النهب والسلب . - ص ٤٥٣ .

١٨١- المقصود هنا استقبال نيقولاي الثاني في ٦ (١٩) حزيران (يونيو)
١٩٠٥ لوفد من الزيمستفويين قدم الوفد للقيصر عريضة بطلب
دعوة ممثلي الشعب الى الاجتماع لاجل اقرار «بنيان مجدد للدولة»
بالاتفاق مع القيصر . لم تكن العريضة تتضمن لا مطلب حق الاقتراع

العام والمباشر والمتساوي والسري ولا مطلب ضمانة حرية الانتخاب . - ص ٤٥٣

١٨٢ - انصار «فبريود» او انصار المؤتمر او انصار «بروليتاري» - تسميات مختلفة للبلاشفة ، نظراً لمقدم المؤتمر الثالث للحزب ، ونظراً لاسمسي الجريدتين اللتين كانوا يصدرن «فبريود» و«بروليتاري» . ص ٤٥٣

١٨٣- المقصود هنا مشروع قرار بوتريسوف (ستاروفر) حول الموقف من الليبراليين الذي اقره المؤتمر الثاني ح ع ا د ر (عام ١٩٠٣) . - ص ٤٥٤

١٨٤- المقصود هنا معركة تسوشيما- وهي معركة بحرية جرت قرب جزيرة تسوشيما في ١٤ - ١٥ (٢٧ - ٢٨) ايار (مايو) ١٩٠٥ ابان الحرب الروسية اليابانية انتهت المعركة بتحطيم الاسطول الروسي . - ص ٤٥٦

١٨٥- المقصود هنا الخلافات التي نشبت لدن مناقشة مشروع البرنامج الزراعي في مؤتمر الحزب الاشتراكي-الديموقراطي الالمانسي المنعقد في بريسلاف من ٦ الى ١٢ تشرين الاول (اكتوبر) ١٨٩٥ كان مشروع البرنامج الزراعي يتضمن اخطاء جديدة ؛ فقد تبدى فيه ، مثلاً ، الميل الى تحويل الحزب البروليتاري الى حزب «للشعب بأسره» علاوة على الانتهازيين ، دافع عن هذا المشروع كل من بيبل وليبكنخت تعرض مشروع البرنامج الزراعي في المؤتمر لنقد حاد من جانب كاوتسكي وزيتكين وعدد من الاشتراكيين-الديموقراطيين الآخرين رفض المؤتمر باغلبية الاصوات (١٥٨ ضد ٦٣) مشروع البرنامج الزراعي الذي تقدمت به اللجنة - ص ٤٦٢

١٨٦- جماعة «رابوتشييه ديلو» - انصار «الاقتصادية» الدين التفوا حول مجلة «رابوتشييه ديلو» . - ص ٤٦٣

١٨٧- المقصود هنا مقالة ناديجدين (الاسم المستعار لزيلينسكي) في الصحافة ضد خطة «اليسكرا» اللينينية في عام ١٩٠٢ انتقد لينين هذه المقالة في كتابه «ما العمل؟» (راجعوا ص ص ١٩٥ ١٩٨ ، ٢٠٣-٢٢٥ من هذا المجلد) . - ص ٤٦٨

١٨٨- «جريدة فرانكفورت» («Frankfurter Zeitung» - «فرانكفورتر زايترنج») - جريدة يومية لسان حال كبار رجال البورصة الألمانية صدرت في فرانكفورت على الماين منذ عام ١٨٥٦ - ص ٤٧٢

١٨٩- المقصود هنا مقالا ليني «الاشتراكية-الديموقراطية والحكومة الثورية الموقته» و«ديكتاتورية البروليتاريا والفلاحين الديموقراطية الثورية» المنشوران في العدين ١٣ و ١٤ من الجريدة البلشفية «فريود» . - ص ٤٧٨

١٩٠- يقصد لينين البرنامج الذي اصدره في عام ١٨٧٤ فريق من البلانكيين في لندن ، من كانوا سابقا اعضاء في كومونة باريس **البلانكيون** - انصار تيار في الحركة الاشتراكية الفرنسية ترأسه الثوري الكبير واحد ممثلي الشيوعية الطوبوية الفرنسية البارزين ، لويس اوغست بلانكي (١٨٠٥ - ١٨٨١) كان البلانكيون ، كما كتب لينين ، ينتظرون «خلاص البشرية من عبودية العمل الماجور ، لا عن طريق نضال البروليتاريا الطبقي ، بل عن طريق مؤامرة تعدها اقلية غير كبيرة من المثقفين» واذ استعاض البلانكيون عن نشاط الحزب الثوري بنشاط جماعة سرية من المتآمريين ، لم يحسبوا الحساب للظرف الواقعي الضروري لانتصار الانتفاضة واهملوا الارتباط بالجماهير - ص ٤٨١

١٩١- برنامج ارفورت للحزب الاشتراكي-الديموقراطي الالمانى اقره مؤتمر ارفورت في تشرين الاول (اكتوبر) ١٨٩١ بني البرنامج على اساس مذهب الماركسية القائل بحتمية هلاك اسلوب الانتاج الرأسمالي وحلول الاسلوب الاشتراكي محله . واشير فيه الى انه من

الواجب على الطبقة العاملة ان تخوض النضال السياسي والى دور الحزب بوصفه قائد هذا النضال ، والخ ولكن برنامج ارفورت تضمن ايضا تنازلات خطيرة للانتهازية وقد انتقد انجلس مشروع برنامج ارفورت انتقاداً مسهباً («مساهمة في انتقاد مشروع البرنامج الاشتراكي-الديموقراطي لعام ١٨٩١») وكان هذا ، في جوهر الامر ، انتقاداً للانتهازية الاممية الثانية كلها التي كان برنامج ارفورت بالنسبة لاحزابها نوعاً من النموذج ولكن قيادة الاشتراكية-الديموقراطية الالمانية اخفت انتقاد انجلس عن الجماهير الحزبية ، كما ان اهم ملاحظاته لم تؤخذ بالحسبان لدى وضع النص النهائي للبرنامج وقد اعتبر لينين ان العيب الرئيسي في برنامج ارفورت ، اي التنازل الوجع امام الانتهازية ، انما هو السكوت عن ديكتاتورية البروليتاريا . - ص ٤٨٨

١٩٢- الباكوفينية - تيار اسمي باسم باكونين ، ايديولوجي الفوضوية وعدو الماركسية والاشتراكية العلمية والمبدأ الاساسي الذي تقوم عليه الباكوفينية هو انكار كل دولة بما في ذلك ديكتاتورية البروليتاريا وعدم فهم دور البروليتاريا في التاريخ العالمي ناضل الباكوفينيون بعناد ضد نظرية الحركة العمالية وتكتيكها الماركسيين وكان تكتيكهم القائم على التآمر والتمردات الفورية والارهاب تكتيكا مغامراً ومعاديا للمذهب الماركسي بشأن الانتفاضة . وقد ندد كارل ماركس وفريدريك انجلس بشدة بنظرية الباكوفينيين وتكتيكهم . - ص ٤٩٨ .

١٩٣- نشرت جريدة «بروليتاري» ، العدد ٣ ، مقالة لينين «عن الحكومة الثورية الموقته» (المقالة الثانية) وقد استشهد لينين فيها بمقال انجلس «الباكوفينيون اثناء العمل ملاحظات حول الانتفاضة في اسبانيا صيف ١٨٧٣» الذي ينتقد قرار الباكوفينيين المشار اليه في مقالة لينين . - ص ٤٩٨

١٩٤- راجعوا الملاحظة رقم ٣٦ . - ص ٥٠٠ .

١٩٥- المقصود هنا رأي ماركس في مؤلفه «انتقاد فلسفة الحق الهيجلية» . - ص ٥٠١

١٩٦- «L'Humanité» (لومانيتها - والانسانية) - جريدة يومية اسسها جوريس عام ١٩٠٤ بوصفها لسان حال الحزب الاشتراكي الفرنسي ابتداء من كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٠ ، بعد انقسام الحزب الاشتراكي الفرنسي في مؤتمر تور ، وتأسيس الحزب الشيوعي الفرنسي ، صارت الجريدة لسان حاله المركزي - ص ٥٠٣

١٩٧- المقصود هنا الحرب الروسية اليابانية (١٩٠٤-١٩٠٥) - ص ٥٠٤

١٩٨- المقصود هنا اشتراك لويس اوجين فارلان ، القائد البارز في الحركة العمالية الفرنسية والاممية الاولى ، في مجلس كومونة باريس عام ١٨٧١ . - ص ٥١٤

١٩٩- المقصود هنا «النظام الداخلي التنظيمي» الذي اقره المجلس العام (الكونفيرانس) المنشفي في جينيف عام ١٩٠٥ . - ص ٥١٦

٢٠٠- كارل ماركس والنضال الطبقي في فرنسا من ١٨٤٨ الى ١٨٥٠ ، الفصل الثالث . - ص ٥٢٠

٢٠١- راجعوا الملاحظة رقم ٨٤ والملاحظة رقم ٦٠ - ص ٥٢٨

٢٠٢- «راسفيت» (بروغ الفجر) - جريدة يومية ليبرالية علنية صدرت في بطرسبورغ من آذار (مارس) الى تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠٥ . - ص ٥٢٩

٢٠٣- «موسكوفسكيه فيدموستي» (انباء موسكو) - جريدة بدأت تصدرها جامعة موسكو منذ سنة ١٧٥٦ نشرت نظرات اشد واساط الملاكين العقاريين ورجال الدين اغراقا في الرجعية . منذ

سنة ١٩٠٥ صارت من جرائد المائة السود الرئيسية استمرت في
الصدور حتى ثورة اكتوبر الاشتراكية . - ص ٥٣٩

٢٠٤ - يستشهد لينين بمقدمة مهرينغ لكتاب
„Aus dem literarischen Nachlaß von Karl Marx, Friedrich Engels und Ferdinand Lassale.
Herausgegeben von Franz Mehring“. Band III, Stuttgart, 1902, S. 53.

(من التراث الادبي لكارل ماركس وفريدريك انجلس وفرديناند
لاسال ، بتحرير فرانتس مهرينغ المجلد ٣ شتوتغارت
١٩٠٢ ، ص ٥٣)

فيما بعد ، في ص ص ٥٤٩-٥٥٠ من هذا المجلد يستشهد
لينين بمقدمة مهرينغ ذاتها . - ص ٥٤٢

٢٠٥ - كارل ماركس «الازمة والثورة المضادة» . - ص ٥٤٣ .

٢٠٦ - «برامج الحزب الراديكالي-الديموقراطي في فرانكفورت والجناح
اليساري الفرانكفورتى» . - ص ٥٤٣

٢٠٧ - «برامج الحزب الراديكالي-الديموقراطي في فرانكفورت والجناح
اليساري الفرانكفورتى» . - ص ٥٤٤

٢٠٨ - يستشهد لينين بمقال انجلس «جمعية فرانكفورت» - ص ٥٤٤

٢٠٩ - انجلس «مناقشات برلينية عن الثورة» . - ص ٥٤٦

٢١٠ - ماركس «مشروع قانون بالغاء الاتاوات الاقطاعية» . - ص ٥٤٧ .

٢١١ - «لسان حال اتحاد العمال في كولونيا» - Zeitung des Arbeiter-
Vereines zu Köln (وزيتونغ ديس اربايتير-فيراينس تسو كولن) -

(وزيتونونغ ديس اربايتير-فيراينس تسو كولن) -
«جريدة اتحاد العمال في كولونيا» وتحت الاسم الثانوى او
الشعار „Freiheit, Brüderlichkeit, Arbeit“ (وفرايهبايت ،
برودرليخكايت ، اربايت) - «والحرية ، الاخاء ، العمل» . صدرت

الجريدة بتحرير عضوي «عصبة الشيوعيين» غوتشالك ثم مول ، من نيسان (ابريل) الى تشرين الاول (اكتوبر) ١٨٤٨ صدر منها ٤٠ عدداً فقط بعد توقف صدور هذه الجريدة ، استأنف اتحاد العمال في كولونيا اصدار الجريدة منذ ٢٦ تشرين الاول باسم «Freiheit, Brüderlichkeit, Arbeit» وبهذا الاسم ، استمرت الجريدة في الصدور حتى ٢٤ حزيران (يونيو) ١٨٤٩ صدر منها ٣٢ عدداً . ص ٥٤٩

٢٤ حزيران (يونيو) ١٨٤٩ صدر منها ٣٢ عدداً . ص ٥٤٩ .
٢١٢ - **عصبة الشيوعيين** - اول منظمة شيوعية عالمية للبروليتاريا . تأسست بقيادة ماركس وانجلس في مستهل حزيران (يونيو) ١٧٤٧ في لندن

صيغت مبادئ العصبة ، البرنامجية والتنظيمية ، بمشاركة مباشرة من ماركس وانجلس وقد كتبها ايضاً الوثيقة البرنامجية - «بيان الحزب الشيوعي» الذي صدر في شباط (فبراير) ١٨٤٨

دامت عصبة الشيوعيين حتى تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٥٢ وكانت سألغة جمعية الشغيلة العالمية (الاممية الاولى) فيما بعد ، اضطلع ابرز قادة عصبة الشيوعيين بالدور القيادي في الاممية الاولى . ص ٥٥٢

٢١٣ - المقصود هنا مقالة بليخانوف «هل هذا ممكن ؟» الصادرة في جريدة «توفاريش» (الرفيق) ، العدد ٣٨١ ، ٢٦ ايلول - سبتمبر (٩ تشرين الاول - اكتوبر) ١٩٠٧ «توفاريش» (الرفيق) - جريدة برجوازية يومية

صدرت في بطرسبورغ في ١٩٠٦-١٩٠٧ شكلاً ، لم تكن الجريدة لسان حال اي حزب من الاحزاب ؛ ولكنها كانت فعلاً لسان حال الكاديت اليساريين وقد اشترك المناشفة ايضاً في تحرير الجريدة . ص ٥٥٣

٢١٤ - انجلس . «حول تاريخ عصبة الشيوعيين» . ص ٥٥٣ .

٢١٥- **خليستاكوف** - بطل المسرحية الهزلية «المفتش» للكاتب الروسي غوغول نموذج المتبجح والكذاب المنفلت . - ص ٥٥٤ .

٢١٦- راجعوا الملاحظة رقم ١٥٦ . - ص ٥٥٦ .

٢١٧- المقصود هنا مقالة انجلس وهل يمكن لاوروبا ان تنزع سلاحها ؟ . - ص ٥٥٦

٢١٨- مقالة ف س . - ف سيفيرتسيف (ف ف فيلاتوف) التي يشير اليها لينين ، هي مقالة عن الدروس العسكرية للانتفاضة صدرت بعنوان «الامير بوتيومكين تافريتشيسكي» («التوريدي») وتناولت الانتفاضة على متن المدرعة «بوتيومكين» وقد نشرتها جريدة «بروليتاري» في العدد ٨ بتاريخ ١٧ (٤) تموز (يوليو) ١٩٠٥ . - ص ٥٥٧

٢١٩- «امتان» - عنوان ثانوي لرواية «سيبيللا» التي كتبها في القرن التاسع عشر الكاتب الانجليزى بنيامين ديسرايلي (١٨٠٤-١٨٨١) (الكونت بيكونسفيلد) . - ص ٥٦٨

٢٢٠- راجعوا الملاحظة رقم ١٣٧ . - ص ٥٧٢

٢٢١- راجعوا الملاحظة رقم ١٣٨ . - ص ٥٧٢

٢٢٢- **الشرفاركي** - فريضة عمل كانت متوجبة على الفلاحين في بولونيا وكانت تطبق من باب الاعمال الاجبارية لاجل بناء الطرق والجسور وغير ذلك من المشروعات العسكرية المقصد او من المشروعات التي تنتفع بها الدولة والمشروعات ذات الانتفاع الاجتماعي العام - ص ٥٧٣

٢٢٣- راجعوا الملاحظة رقم ١٣٢ . - ص ٥٧٨ .

دليل الاسماء

اداموفيتش يو . - راجعوا فوروفسكي ف . ف

ارنيه-سوكوف (Arnim-Suckow) هنريخ الكسنبر (١٧٩٨-١٨٦١) -
ديبلوماسي بروسي من انصار زعامة الملكية البروسية في المانيا
وزير الخارجية في وزارة كامهاوزين (آذار-مارس - حزيران-يونيو -
١٨٤٨) منذ ١٨٥٢ انصرف عن النشاط السياسي . - ص ٥٤٥

اكسيلرود بافيل بوريسوفيتش (١٨٥٠-١٩٢٨) - اشتراكي-ديموقراطي
روسي في عام ١٨٨٣ اشترك في تأسيس فرقة «تحرير العمل» وهي
المنظمة الماركسية الروسية الاولى بعد المؤتمر الثاني لحزب العمال
الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا (١٩٠٣) ، احد زعماء المنشفية
- ص ص ٣٧ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ١٠٢ ، ١٢٠

اكيموف (ماخوفيتس) فلاديمير بيتروفيتش (١٨٧٢-١٩٢١) - اشتراكي-
ديموقراطي روسي احد ممثلي «الاقتصادية» البارزين بعد المؤتمر
الثاني لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا (١٩٠٣) -
منشفي بعد هزيمة ثورة ١٩٠٥-١٩٠٧ ابتعد عن الاشتراكية-
الديموقراطية . - ص ص ٤٠٣ ، ٤٦٣ ، ٥٢٧ ، ٥٦٠

الكسندر الثالث (رومانوف) (١٨٤٥-١٨٩٤) - امبراطور روسي
١٨٨١-١٨٩٤) . - ص ٢٧٤ .

الكسييف بيوتر الكسييفيتش (١٨٤٩-١٨٩١) - من الثوريين الروس في العقد الثامن من القرن التاسع عشر؛ مهنته حائك .- ص ١٣٧

انجلس (Engels) فريدريك (١٨٢٠-١٨٩٥) .- ص ص ١٧ ٢٢
٤٨١ ، ٣٦٧ ، ٣٦٦ ، ٣٥٩ ، ١٠٨ ، ٧٥ ، ٤٥ ، ٤١ ، ٣٩
٤٨٨ ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٤٩٨ ، ٥٣١ ، ٥٣٢ ، ٥٤٩ ، ٥٥٠
٥٥٦ ، ٥٥٣ ، ٥٥٢ ، ٥٥١

اوبولنسكي اي م (١٨٤٥-١٩١٠) - محافظ خاركوف تميز
بالقساوة لدن قمع نضالات الفلاحين .- ص ٣٥٢

اوزيروف ايفان خريستوفوروفيتش (١٨٦٩-١٩٤٢) - اقتصادي في
١٩٠١-١٩٠٢ دعم «الاشتراكية البوليسية» الزوباتوفية
- ص ص ١٤٧ ، ١٤٩

اولاد (Aulard) فرانسوا فيكتور الفونس (١٨٤٩-١٩٢٨) - مؤرخ
فرنسي ألف عدداً من الكتب في تاريخ الثورة البرجوازية الفرنسية
في اواخر القرن الثامن عشر .- ص ٣٨٧

اولينسكي م (الكسندروف ميخائيل ستيفانوفيتش) (١٨٦٣-١٩٣٣) -
من رجال الحركة الثورية القداماء في روسيا بلشفي اديب
- ص ٣٨٩

اوير (Auer) اغناس (١٨٤٦-١٩٠٧) - شخصية بارزة في الاشتراكية-
الديموقراطية الالمانية فيما بعد انتقل الى مواقف الاصلاحية
- ص ١٦٩

اوين (Owen) روبرت (١٧٧١-١٨٥٨) - اشتراكي طوبوي انجليزي
كبير .- ص ٤٠

اويها ايفاو (١٨٤٢-١٩١٦) - مارشال ياباني ابان الحرب الروسية
اليابانية ، كان القائد الاعلى للقوات اليابانية في منشوريا .- ص ٣٨٥ .

ايفانشين فلاديمير بافلوفيتش (ف ١ . ١٨٦٩ - ١٩٠٤) - اشتراكي-ديموقراطي روسي من اواخر التسعينيات «اقتصادي» بعد المؤتمر الثاني لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا (١٩٠٣) منشفي . - ص ص ٥٠ ، ٦٣ ، ٢٢٧

ايلافيسكي دميتري ايفانوفيتش (١٨٣٢ - ١٩٢٠) - مؤرخ روسي ملكي ألف كتاباً مدرسية تحصر التاريخ في نشاط القياصرة وقواد الجيوش . - ص ص ٢٢ ، ٣٨٦

بابوف (Babeuf) غراكوس (فرانسوا نويل) (١٧٦٠ - ١٧٩٧) - ثوري فرنسي ممثل الشيوعية السوائية الطوبوية . - ص ٢٦٤

بارفوس (غيلفاند الكسندر لازاريفيتش) (١٨٦٩ - ١٩٢٤) - اشترك في الحركة الاشتراكية-الديموقراطية الالمانية والروسية بعد المؤتمر الثاني لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا (١٩٠٣) - منشفي . - ص ص ٢٣٥ ، ٣٨٤ ، ٣٨٨

باكونين ميخائيل الكسندروفيتش (١٨١٤ - ١٨٧٦) - ثوري روسي احد مؤسسي وايديولوجيي الفوضوية عندما كان عضواً في الاممية الاولى ، نظم في داخلها كتلة سرية اسمها حلف الديموقراطية الاشتراكية بغية شق الاممية ؛ ومن جراء ذلك طرد من الاممية عام ١٨٧٢ كتب عدداً من الاعمال في نظرية وممارسة الفوضوية . - ص ص ٤٠ ، ٤٩٨ ٥٣٢

بالماشيف ستيبان فاليريانوفيتش (١٨٨٢ - ١٩٠٢) - طالب عضو في حزب الاشتراكيين-الثوريين وفي «منظمتة القتالية» في نيسان (ابريل) ١٩٠٢ ، قتل رمياً بالرصاص وزير الداخلية سيبياغين ، احتجاجاً على اعمال القمع القاسية التي قامت بها الحكومة لقمع الحركة الاجتماعية في البلاد . اعدته الحكومة القيصرية . - ص ص ٢٤٢ ، ٢٤٥ .

بالهورن (Balhorn) يوهان - ناشر الماني من القرن السادس عشر .-

ص ٩١

بترونكيفيتش ايفان ايليتش (١٨٨٤-١٩٢٨) - ملاك عقاري روسي من

رجال الزيمستفوات احد زعماء حزب الكاديت .- ص ص ٤٥٣ ،

٥٢٧ ، ٥٤٦ ، ٥٥٦

برديايف نيقولاي الكسندروفيتش (١٨٧٤-١٩٤٨) - في التسعينيات من

القرن التاسع عشر ماركسي شرعي فيما بعد عضو حزب الكاديت عدو

للماركسية فيلسوف مثالي داعية للصوفية .- ص ٢٢٧

برنشتين (Bernstein) أدوارد (١٨٥٠-١٩٣٢) - زعيم الجناح الانتهازي

المتطرف في الاشتراكية-الديموقراطية الالمانية والاممية الثانية نظري

التحريرية والاصلاحية .- ص ص ١٦ ، ١٧ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ،

٢٦ ، ٢٩ ، ٣٣ ، ٦٥ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ٨٦ ، ٩٥ ، ١٤٥ ، ٢٠٠ ،

٢٣٢ ، ٢٣٥ ، ٤٧٥ ، ٤٩٨ ، ٥٠٠ ، ٥١٣ ، ٥٣٠ ، ٥٥٩

برودون (Proudhon) بيبير جوزيف (١٨٠٩-١٨٦٥) - كاتب سياسي

اجتماعي فرنسي ، اقتصادي وعالم اجتماعي ، مفكر البرجوازية

الصغيرة ، واحد مؤسسي الفوضوية .- ص ص ٣٩ ، ٥٦ ، ٥٢٨ ، ٥٥٢ .

بروكوبوفيتش سرغي نيقولايفيتش (١٨٧١-١٩٥٥) - اقتصادي وكاتب

سياسي روسي احد اوائل الذين نشروا البرنشتينية في روسيا .-

ص ص ٢٩ ، ٣٠ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٨٦ ، ٢٢٧ ، ٥٢٨

برينتانو (Brentano) لويو (١٨٤٤-١٩٣١) - اقتصادي الماني نصير

«اشتراكية المنابر» دعا الى العدول عن النضال الطبقي ، واعتبر ان

من الممكن حل التناقضات الاجتماعية عن طريق الاصلاحات .-

ص ص ٢٢٨ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠

ب- ف .- راجعوا سافينكوف ب . ف .

ب . ب . كز . - راجعوا كريتشييفسكي ب . ن

بلان (Blanc) لويس (١٨٨٢-١٨١١) - اشتراكي برجوازي صغير فرنسي نكر استعماء التناقضات الطبقيه في ظل الرأسمالية ؛ وقف مواقف التوافق مع البرجوازية ؛ صرف العمال عن النضال الثوري بسياسته الديقاجوية . - ص ٥٥٢

بلانكي (Blanqui) لويس اوغست (١٨٨١-١٨٠٥) - ثوري فرنسي بارز اشتراكي طوبوي اشترك في الانتفاضات والثورات التي نشبت في باريس بين عام ١٨٣٠ وعام ١٨٧٠ ترأس جملة من الجمعيات الثورية السرية من انصار تكتيك المؤامرات بلانكي لم يفهم الدور الحاسم لتنظيم الجماهير من اجل النضال الثوري . - ص ٤٨١

بلتوف ن . - راجعوا بليخانوف غ . ف .

بليخانوف غيورغي فالنتينوفيتش (بلتوف) (١٨٥٦-١٩١٨) - قائد بارز في الحركة العمالية الروسية والعالمية اول داعية للماركسية في روسيا مؤسس الفرقة الماركسية الروسية الاولى - «تحرير العمل» (١٨٨٣) بعد المؤتمر الثاني لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا (١٩٠٣) ، منشفي . - ص ص ٢٠ ، ٦٢ ، ٧٠ ، ٨٩ ، ٩١ ، ١٠٩ ، ١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٧٨ ، ٢١٦ ، ٢٣٣ ، ٥٢٤ ، ٥٥٣ ، ٥٥١ ، ٥٣٢

بليفه فياتشيسلاف قسطنطينوفيتش (١٨٤٦-١٩٠٤) - رجل دولة رجعي في روسيا القيصرية . - ص ٢٥٠

بويدونوستسييف قسطنطين بتروفيتش (١٨٢٧-١٩٠٧) - رجل دولة في روسيا القيصرية ناضل بعناد ضد الحركة الثورية . نصير للحكم المطلق . عدو للعلم والتعليم . - ص ٢٦٥ .

بوتريسوف الكسندر نيقولايفيتش (ستاروفر) (١٨٦٩-١٩٣٤) - احد زعماء المنشفية . - ص ص ٢٥ ، ٤٥٤ ، ٤٦٣ ، ٤٩٤ ، ٥٢٤ ، ٥٣٤ .

بوختر (Büchner) فريدريخ خريستيان لودفيغ (١٨٢٤-١٨٩٩) - فيزيولوجي وفيلسوف الماني ممثل المادية المتبدلة . - ص ٣٨٧

بورن (Born) اسطفان (سيهون بوترميلج) (١٨٢٤-١٨٩٨) - احد ممثلي الاصلاحية في الحركة العمالية الالمانية . - ص ص ٥٤٩ ، ٥٥٠ ، ٥٥٣ ، ٥٥٢ ، ٥٥١

بولفاكوف سرغي نيقولايفيتش (١٨٧١-١٩٤٤) - اقتصادي روسي فيلسوف مثالي في التسعينيات «ماركسي شرعي» في مستهل القرن العشرين ، عمد الى تحريف ماركس في المسألة الزراعية ، مفسراً املاق الجماهير الشعبية بما يسمى «قانون تناقص خصب التربة» بعد ثورة ١٩٠٥-١٩٠٧ ، عضو في حزب الكاديت ، وعدو للماركسية . - ص ص ٣٤ ، ٢٢٧ ، ٢٦٢

بوليغين الكسندر غريغورييفيتش (١٨٥١-١٩١٩) - رجل دولة في روسيا القيصرية في عام ١٩٠٥ وزير الداخلية اشرف على اعداد مشروع قانون بدعوة مجلس دوما الدولة الاستشاري للانعقاد ، قصد اضعاف الحركة الثورية المتعاطمة في روسيا . - ص ص ٤٠٦ ، ٤٥١ ، ٤٥٦ ، ٤٥٨ ، ٤٦٠

بوناپرت - راجعوا نابليون الثالث

بيبل (Bebel) اوغست (١٨٤٠-١٩١٣) - واحد من ابرز رجالات الحركة الاشتراكية-الديموقراطية الالمانية والاممية الثانية . - ص ص ٢٤ ، ١٥٥ ، ١٦٩ ، ٢١٥ ، ٤٦٢

بيروفسكايا صوفيا لفوفنا (١٨٥٣-١٨٨١) - ثورية روسية شعبية بارزة . اعدمت للاشتراك في اغتيال القيصر الكسندر الثاني . - ص ١٧٨

بيساريف دميتري ايفانوفيتش (١٨٤٠ - ١٨٦٨) - ديموقراطي ثوري روسي كاتب سياسي وناقد ادبي فيلسوف مادي . - ص ٢١٦

بيسمارك (Bismarck) اوتو ادوارد (١٨١٥ - ١٨٩٨) - رجل دولة وديبلوماسي في بروسيا والمانيا من عام ١٨٧١ الى عام ١٨٩٠ مستشار الامبراطورية الالمانية وحدّ المانيا بطريق الثورة المضادة عدو لدود للحركة العمالية في سنة ١٨٧٨ ، استن القانون الاستثنائي ضد الاشتراكيين . - ص ٥٣٨

بيلينسكي فيساريون غريغوريفيتش (١٨١١ - ١٨٤٨) - ديموقراطي ثوري روسي ناقد ادبي وكاتب سياسي فيلسوف مادي . - ص ٣٨

تروبتسكوي سرغي نيقولايفيتش (١٨٦٢ - ١٩٠٥) - امير ليبرال في آرائه السياسية فيلسوف مثالي حاول توطيد القيصرية بتطبيق دستور معتدل . - ص ص ٥٢٧ ، ٥٤٧ ، ٥٥٦

تروتسكي (برونشتين) ليف دافيدوفيتش (١٨٧٩ - ١٩٤٠) - اشتراكي - ديموقراطي بعد المؤتمر الثاني لحزب العمال الاشتراكي - الديموقراطي في روسيا (١٩٠٣) ، منسفي بعد هزيمة ثورة ١٩٠٥ - ١٩٠٧ تصفوي ابان الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ - ١٩١٨) ، وسطي ناضل ضد لينين في مسائل الحرب والسلام والثورة في المؤتمر السادس ل ح ع ا د ر (١٩١٧) ، قبل في الحزب البلشفي بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية شغل جملة من المناصب المسؤولة قام بنضال تكتيكي ضار ضد خطة الحزب العامة وضد البرنامج اللينيني لبناء الاشتراكية ، وروج باستحالة انتصار الاشتراكية في الاتحاد السوفيتي في عام ١٩٢٧ طرد تروتسكي من الحزب وفي عام ١٩٢٩ ، نفي من الاتحاد السوفيتي لنشاطه المعادي للسلطة السوفيتية . - ص ص ٤٠٤ ، ٤٦٣ .

تشيرنيشيفسكي نيقولاي غافريلوفيتش (١٨٢٨-١٨٨٩) - ديموقراطي ثوري روسي كبير ، اشتراكي طوبوي ، فيلسوف مادي ، كاتب وناقد ادبي قائد الحركة الديموقراطية الثورية في الستينيات من القرن التاسع عشر في روسيا . - ص ٣٨

تكاتشيف بيوتر نيكيتيتش (١٨٤٤-١٨٨٥) - احد مفكري الشيعة الثورية ، كاتب سياسي وناقد ادبي . - ص ص ٢١٧ ، ٢١٨

توتوميانتس ف ف (ولد عام ١٨٧٥) - اقتصادي روسي تعاون في التسعينيات مع لسان حال «الماركسيين الشرعيين» ، مجلة «ناتشالو» (والبداية) ألف كتباً عن الوضع الاقتصادي في اوروبا وعن التعاون والاقتصاد البلدي . - ص ٢٦٢

توراتي (Turati) فيليبو (١٨٥٧-١٩٣٢) - مناضل في الحركة العمالية الايطالية ، من منظمي الحزب الاشتراكي الايطالي (١٨٩٢) وزعيم جناحه الاصلاحى اليميني . - ص ص ٤٧٥ ، ٤٨٩

تورغينيف ايفان سرغيفيتش (١٨١٨-١٨٨٣) كاتب روسي ليبرالى في آرائه السياسية . - ص ٢٥٧

تولين ك . - راجعوا لينين ف !

تيير (Thiers) ادولف (١٧٩٧-١٨٧٧) - رجل دولة ومؤرخ رجسسي فرنسي قمع بقساوة انتفاضة كومونة باريس - ص ٥٢٨

جوريس (Jaurès) جان (١٨٥٩-١٩١٤) - شخصية بارزة في الحركة الاشتراكية الفرنسية والعالمية زعيم الجناح اليميني الاصلاحى في الحزب الاشتراكي الفرنسي - ص ص ٣٨١ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٧ ، ٤٧٨ ، ٥٠٣ ، ٥٦٥ .

جيليايوف اندري ايفانوفيتش (١٨٥٠-١٨٨١) - ثوري روسي ، مؤسس وأحد قادة حرب «نارودنايا فوليا» («ارادة الشعب») كان واثقا بضرورة النضال السياسي ضد القيصرية ، ولكن لم يفهم دور الطبقة العاملة التاريخي في هذا النضال ؛ علق الدور الحاسم في هذا النضال على تكتيك الارهاب الفردي . - ص ص ١٣٨ ، ١٧٨ ، ٢١٥

خالتورين ستيمان نيقلوييفيتش (١٨٥٧-١٨٨٢) - ثوري روسي عامل . أسس في عام ١٨٧٨ المنظمة السرية ، «اتحاد العمال الروس في الشمال» . في سنوات ١٨٧٩-١٨٨٢ ، اشتراك في نشاط «نارودنايا فوليا» الارهابي اعدته الحكومة القيصرية - ص ١٣٧

دافيد (David) ادوارد (١٨٦٣-١٩٠٠) - احد زعماء الجناح اليميني في الاشتراكية-الديموقراطية الالمانية محرف - ص ص ٢٤ ، ٣١٠
٥٧٣

دانييلسون نيقلوي فرانتسيفيتش (ن - ون) (١٨٤٤-١٩١٨) - كاتب اقتصادي روسي مفكر الشعبوية الليبرالية في العقدين التاسع والعاشر من القرن التاسع عشر . - ص ٢٦٢

دومبروفسكي (Dąbrowski) ياروسلاف (١٨٣٦-١٨٧١) - ثوري بولوني جنرال في كومونة باريس استشهد في ٢٣ ايار (مايو) ١٨٧١ اثناء الدفاع عن تلال مونمارتر . - ص ٣٦٨

دونكر (Duncker) فرانتس (١٨٢٢-١٨٨٨) - سياسي وناشر الماني في العقد السابع من القرن التاسع عشر ، احد مؤسسي نقابات اصلاحية - ص ص ٥٨ ، ٥٢٨ ، ٥٢٩

دوهرينغ (Dühring) يفيغيني (١٨٣٣-١٩٢١) - فيلسوف واقتصادي الماني نظرات دوهرينغ الفلسفية جمعت على اسس المذهب الاختياري بين البشالية والمادية المبتدلة . - ص ٢٢ .

دي روكيني (Ruggero) (ولد في عام ١٨٤٥) - اقتصادي فرنسي روج بفكر انشاء تعاونيات زراعية ، واعتبر هذه التعاونيات وسيلة لتوحيد العمال والبرجوازية . - ص ٥٧٥

ر . م . - مؤلف مقالة «واقعا» في «الملحق الخاص لاورابوتشايا ميسل» (ايلول - سبتمبر - ١٨٩٩) ، التي عرض فيها على المكشوف نظرات «الاقتصاديين» الانتهازية . - ص ٢٢٧

روديتشيف فيودور ايفانوفيتش (١٨٥٦-١٩٣٣) - ملاك عقاري كبير ومن رجال الزيمستفو من زعماء حزب الكاديت نائب في دوما الدولة الاول والثاني والثالث والرابع . - ص ٥٢٧ ، ٥٤٦ ، ٥٤٧

روغاتشوف دميتري ميخايلوفيتش (١٨٥١-١٨٨٤) - عضو بارز في حزب نارودنايا فوليا . - ص ١٧٨

روغه (Ruge) **ارنولد** (١٨٠٢-١٨٨٠) - كاتب سياسي الماني مسن الهيغليين الشباب راديكالي برجوازي في سنة ١٨٤٤ ، اصدر في باريس بالاشتراك مع ماركس مجلة «Deutsch-Französische Jahrbücher» (والحولية الالمانية الفرنسية) في سنة ١٨٤٨ ، كان نائبا في مجلس فرانكفورت الوطني ؛ بعد سنة ١٨٦٦ ، اصبح ليبراليا قوميا من انصار بيسمارك . - ص ٣٦٧

رومانوف فلاديمير الكسنديروفيتش (فلاديمير) (١٨٤٧-١٩٠٩) ، امير كبير ، عم القيصر نيقولاي الثاني . - ص ٣٧٦

ريتينغهاوزن (Rittinghausen) **موريتز** (١٨١٤-١٨٩٠) - اشتراكي-ديموقراطي الماني نصير الفكرة الخاطئة القائلة وبسلطة الشعب المباشرة ، طرد من الحزب الاشتراكي-الديموقراطي الالمانسي في عام ١٨٨٤ . - ص ١٨١ .

رينان (Renan) ايرنست جوزيف (١٨٢٣-١٨٩٢) - مؤرخ فرنسي
 في الدين فيلسوف مثالي اشتهر بمؤلفاته في تاريخ المسيحية
 البدائية - ص ٥٥٣

زاسوليتش فيرا ايفانوفنا (ف. ز.) (١٨٤٩-١٩١٩) - مناضلة في
 الحركة الشعبية ثم في الحركة الاشتراكية-الديموقراطية في روسيا في
 عام ١٨٧٨ حاولت اغتيال حاكم بطرسبورغ تريبوف في عام ١٨٨٠ ،
 هاجرت الى الخارج وانتقلت الى مواقف الماركسية اشتركت في تأسيس
 المنظمة الماركسية الروسية الاولى - فرقة «تحرير العمل» بعد
 المؤتمر الثاني لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا (١٩٠٣) ،
 منشفية . - ص ١٧٥

زوباتوف سرغي فاسيليفيتش (١٨٦٤-١٩١٧) - عقيد في الدرك رئيس
 مصلحة الأمن في موسكو في مستهل القرن العشرين مؤسس ومنظم ما يسمى
 بجمعيات العمال «الزوباتوفية» في سنوات ١٩٠١-١٩٠٣ ؛ بواسطتها
 حاول ان يصرف العمال عن النضال الثوري لم يحظ نشاط زوباتوف
 باي نجاح وكنس نهوض الحركة الثورية المنظمات التي انشأها
 - ص ص ٢٩ ، ٥٧ ، ١٤٧ ، ١٤٩

سازونوف غيورغي بتروفيتش (ولد عام ١٨٥٧) - شعبي اعرب في
 مؤلفاته عن مناصرته للدولة الاوتوقراطية ، جامعاً اياها مع الدعوة الى
 الفكرة الشعبية القائلة بضرورة صيانة المشاعة الفلاحية وتخليدها
 - ص ص ٢٦١ ، ٢٦٢

سافينكوف بوريس فيكتوروفيتش (ب-ف) (١٨٧٩ - ١٩٢٥) - احد
 قادة حزب الاشتراكيين-الثوريين . - ص ص ١٣٣ ، ١٣٦ ، ١٦٣
 ١٦٦ ، ١٦٩ ، ١٧٦

سالتيكوف-شدرين ميخائيل ييفرافوفيتش (شدرير) (١٨٢٦ - ١٨٨٩) -
 كاتب ساخز وهجاء روسي . ديموقراطي ثوري . - ص ١٦٨ .

سان سيهون (Saint-Simon) هنري كلود (١٧٦٠-١٨٢٥) - اشتراكي
طوبوي فرنسي عظيم . - ص ٤٠
ستاروفر - راجعوا بوتريسوف ا ن .

ستروفه بيوتر برنغاردوفيتش (١٨٧٠-١٩٤٤) - اقتصادي وكاتب
سياسي روسي في التسعينيات ، ابرز ممثل للماركسية الشرعية
احد زعماء حزب الكاديت - صص ٢٧ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٨٦ ، ١٤٨ ،
٢٢٠ ، ٢٢٧ ، ٢٤١ ، ٢٤٤ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٤٠٣ ، ٤١٧ ، ٤٤٥ ،
٤٦٩ ، ٤٦٧ ، ٤٦٦ ، ٤٦٥ ، ٤٦٤ ، ٤٦٣ ، ٤٦٢ ، ٤٦١ ، ٤٥١
٤٧٠ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤ ، ٤٩٩ ، ٥٠١ ، ٥٠٣ ، ٥٢٦ ، ٥٢٧ ،
٥٣٥ ، ٥٣٦ ، ٥٣٧ ، ٥٣٨ ، ٥٣٩ ، ٥٤٠ ، ٥٥٦ ، ٥٦٠

سيباغين دميتري سرغيفيتش (١٨٥٣ - ١٩٠٢) - رجل دولة في روسيا
القيصرية منذ عام ١٨٩٩ ، وزير الداخلية ورئيس الدرك . ناضل بشدة
وقساوة ضد الحركة التحررية في روسيا اغتالسه الاشتراكي-الثوري
بالماشيف . - صص ٢٤٢ ، ٢٤٤ ، ٢٥٠

سيربيرياكوف ييسبر الكسندروفيتش (١٨٥٤-١٩٢١) - ثروي روسي
من رجال حزب «نارودنايا فوليا» في عام ١٨٨٣ ، هاجر الى الخارج
من روسيا القيصرية في اعوام ١٨٩٩-١٩٠٢ ، اصدر في لندن مجلة
«ناكانويه» (وفي العشية) . - ص ١٧٨

شابر (Schapper) كارل (١٨١٢-١٨٧٠) - قائد في الحركة العمالية
الالمانية والعالمية . - ص ٥٤٩

شدرين - راجعوا ساتيكوف-شدرين م ي

شرام (Schramm) كارل اوغست - اقتصادي الماني . اشتراكي-ديموقراطي .
ناضل ضد الحزب الشعبي الثوري . - ص ٦٨ .

شفيتزر (Schweitzer) يوهان باپتيست (١٨٣٣-١٨٧٥) - شخصية اجتماعية المانية وكاتب من اتباع لاسال من ١٨٦٧ الى ١٨٧١ ، رئيس اتحاد العمال الالمان العام . - ص ٦٨

شفيرين (Schwerin) مكسيهيليان (١٨٠٤-١٨٧٢) - سياسي بروسي ممثل الاريستقراطية والبيروقراطية الرجعية . - ص ٥٤٥

شولتز-ديليتش (Schulz-Delitzsch) غرمن (١٨٠٨-١٨٨٣) - اقتصادي مبتدل الماني بشر بانسجام مصالح الرأسماليين والعمال الطبقيّة - ص ٥٧

شيبوف دميتري نيقولايفيتش (١٨٥١-١٩٢٠) - ملاك عقاري كبير شخصية بارزة في حركة الزيمستفو ليبييرالي معتدل . - ص ص ٤٢٦ ، ٤٤٥ ، ٤٥١ ، ٥٠١ ، ٥٣٥ ، ٥٤٠ ، ٥٥٦ .

غابون غيورغي ابولونوفيتش (١٨٧٠-١٩٠٦) - كاهن نظم المسيرة التي قام بها عمال بطرسبورغ لتقديم عريضة الى القيصر في ٩ كانون الثاني (يناير) ١٩٠٥ ، والتي اطلقت عليها النيران - ص ص ٣٧٧ ، ٤٤٨

غريديسكول نيقولاي اندرييفيتش (ولد في عام ١٨٦٤) - حقوقي وكاتب سياسي كاديتي في عام ١٩٠٥ ، اشترك في اصدار جريدة «مير» في كانون الاول (ديسمبر) من العام نفسه ، اغلقت هذه الجريدة بسبب نشرها مقالة ذات طابع «معاد للحكومة» ، وتم اعتقال غريديسكول ونفيه . - ص ٥٣٥

غليوم الثاني (هونزولرن) (١٨٥٩-١٩٤١) - امبراطور المانيا وملك بروسيا (١٨٨٨-١٩١٨) . - ص ١٢٨

غوفشتيتز اي ا (ولد في عام ١٨٦٣) - ممثل الشعبية الليبيرالية اعتبر انه يجب على الحكومة ان تسهم بنظام الضرائب والقروض في تطوير الانتاج الصغير على حساب الانتاج الكبير . - ص ٢٦٢ .

غيد (Guesde) جول (١٨٤٥-١٩٢٢) - احد مؤسسي وزعماء الحركة الاشتراكية الفرنسية والاممية الثانية خلال سنوات عديدة ، كان على رأس الجناح اليساري للحزب الاشتراكي الفرنسي منذ بداية الحرب الامبريالية العالمية (١٩١٤-١٩١٨) وقف موقفاً اشتراكياً-شوفينياً ودخل في الحكومة الفرنسية البرجوازية . - ص ١٦

غيركه - وزير الزراعة في وزارة هانزيمان البروسية (١٨٤٨) . - ص ٥٤٧

ف . ١ . - راجعوا ايفانشين ف . ب .

فارلان (Varlin) لويس اوچين (١٨٣٩-١٨٧١) - شخصية بارزة في الخزكة العمالية الفرنسية والاممية الاولى . - ص ٥١٤

فاسيليف ن . ف . (ولد عام ١٨٥٥) - عقيد في الدرك ابتداء من عام ١٩٠٠ ، رئيس ادارة الدرك في محافظة مينسك نصير «الاشتراكية البوليسية» الزوباتوفية . - ص ١٤٧

فالتيتخ (Vahlteich) كارل يوليوس (١٨٣٩-١٩١٥) - اشتراكي-ديموقراطي الماني يميني احد مؤسسي اتحاد العمال الالماني العام اللاسالي الاتجاه وامينه الاول بعد صدور القانون الاستثنائي ضد الاشتراكيين (١٨٧٨) هاجر الى الولايات المتحدة الاميركية . - ص ٢٢

فانيف اناطولي الكسندروفيتش (١٨٧٢-١٨٩٩) - اشتراكي-ديموقراطي روسي احد منظمي واتحاد النضال من اجل تحرير الطبقة العاملة في بطرسبورغ في عام ١٨٩٥ نفى الى سيبيريا في ١٨٩٧ . - ص ص ٤٦ ، ٤٩

فروبليفسكي (Wróblewski) فاليري (١٨٣٦-١٩٠٨) - ثوري بولوني جنرال في كومونة باريس عام ١٨٧١ . - ص ٣٦٨ .

ف . ٣ . - راجعوا زاسوليتش ف . اي .

ف . س . - راجعوا فيلاتوف ف . ف .

ف . ف . - راجعوا فورونتسوف . ف . ب .

فلاديمير - راجعوا رومانوف ف . أ .

فورباخ (Feuerbach) لودفيغ (١٨٠٤-١٨٧٢) - فيلسوف مادي وملحد الماني بارز احد اسلاف الماركسية ولكنه بقي مثالياً في فهم الظواهر الاجتماعية . - ص ص ٣٨٧ ، ٤٣٣

فورمس الفونس ارنستوفيتش (١٨٦٨-١٩٣٧) - حقوقي ليبرالي في ١٩٠١-١٩٠٢ ، القى محاضرات في اجتماعات الجمعية الزوباتفوية ، «جمعية تعاضد العمال في الانتاج الميكانيكي» . - ص ١٤٧

فوروفسكي فاتسلاف فاتسلافوفيتش (آداموفيتش يو) (١٨٧١-١٩٢٣) - ثوري محترف بلشفي كاتب سياسي وناقد ادبي . - ص ٢٢٠

فورونتسوف فاسيلي بافلوفيتش (ف ف) (١٨٤٧-١٩١٨) - اقتصادي وكاتب اجتماعي وسياسي روسي احد ايدولوجيي الشعبية الليبيرالية في العقدين التاسع والعاشر من القرن التاسع عشر. مؤلف كتاب «مصائر الرأسمالية في روسيا» (عام ١٨٨٢) ، وكتاب «اتجاهاتنا» (عام ١٨٩٣) وغيرهما من الكتب ؛ وفيها انكر تطور الرأسمالية في روسيا، واخذ جانب الدفاع عن الانتاج البضاعي الصغير، وصور المشاعة الفلاحية بصورة مثالية. - ص ص ٥٢ ، ٥٣ ، ٦٢ ، ٦٥ ، ٩٦ ، ٢٦٢

فوريه (Fourier) شارل (١٧٧٢-١٨٣٧) - اشتراكي طوبوي فرنسي كبير . - ص ٤٠

فوغت (Vogt) كارل (١٨١٧-١٨٩٥) - عالم طبيعيات الماني . مادي مبتذل . - ص ٣٨٧

رسياسي برجوازي ليبرالي . منذ عام ١٩٠٥ ، عضو في حزب الكاديت
من خصوم الماركسية . - ص ٧٠

كامهاوزن (Camphausen) **لودولف** (١٨٠٣-١٨٩٠) - رجل دولة
بروسي من زعماء البرجوازية الليبرالية في منطقة الرين ؛ في آذار-
حزيران (مارس-يونيو) ١٨٤٨ ترأس مجلس وزراء بروسيا
- ص ص ٥٤٢ ، ٥٤٣ ، ٥٤٥ ، ٥٤٦

كانيتز (Kanitz) **اوغست** (١٧٨٣-١٨٥٢) - جنرال بروسي في
ايار-حزيران (مايو-يونيو) ١٨٤٨ ، وزير الحربية في وزارة
كامهاوزن . - ص ٥٤٥

كاوتسكي (Kautsky) **كارل** (ك . ك .) (١٨٥٤-١٩٣٨) - احد زعماء
الاشتراكية-الديموقراطية الالمانية والاممية الثانية في البدء ماركسي
فيما بعد ، ارتد عن الماركسية ايدولوجي اخطر واضر نوع من
الانتهازية الوسطية (الكاوتسكية) صاحب النظرية الرجعية بصد
الامبريالية العليا . - ص ص ٥٤ ، ٥٥ ، ٩٠ ، ٩١ ، ١٨١ ، ٢٣٦ ،
٣٦٠ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٩ ، ٤٦٢ ، ٥١٤

كريتشيفسكي بوريس ناوموفيتش (ب ك ر) (١٨٦٦-١٩١٩) -
اشتراكي-ديموقراطي روسي احد زعماء «الاقتصادية» كان محرر
مجلة «رابوتشييه ديلو» ونشر على صفحاتها النظرات البرنشتينية بعد
المؤتمر الثاني لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا (١٩٠٣) ،
ابتعد عن الحركة الاشتراكية-الديموقراطية . - ص ص ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ،
٢٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٧٠ ، ٨٧ ، ١٠٨ ، ١٣٦ ، ١٤٥ ، ١٧٢ ، ١٨٨ ،
١٩٤ ، ٢٠٧ ، ٢١٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦ ، ٢٣٨ ،
٤٦٣

كريفه (Krieger) **غرم** (١٨٢٠-١٨٥٠) - صحفي الماني ممثل ما يسمى
«الاشتراكية الصحيحة» . - ص ص ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ،
٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٣٩٩

ك . ك . - راجعوا كاوتسكي .

كوروباتكين الكسي نيقولايفيتش (١٨٤٨-١٩٢٥) - جنرال قيصري ابان الحرب الروسية اليابانية (١٩٠٤-١٩٠٥) القائد الاعلى للقوات المسلحة الروسية في الشرق الاقصى تكشف عن انه قائد عديم الارادة وعديم المهبة .- ص ٣٨٥

كوسكوف ييكاتيرينا دمترينفنا (١٨٦٩-١٩٥٨) - شخصية اجتماعية وكاتبة اجتماعية وسياسية روسية ممثلة بارزة وللاقتصادية» في الاشتراكية- الديمقراطية الروسية وضعت "Gredo" (والكريدو) الذي اظهر باوضح شكل جوهر الاقتصادية الانتهازي في عام ١٩٠٦ ، اشتركت في اصدار مجلة «بر زاغلافيا» شبه الكاديتية .- ص ٣٠

كولتسوف د (غينسبورغ بوريس ابراموفيتش) (١٨٦٣-١٩٢٠) - اشتراكي-ديموقراطي روسي منسفي .- ص ٥٥٣

لاسال (Lassalle) فرديناند (١٨٢٥-١٨٦٤) - اشتراكي برجوازي صغير الماني مؤسس اتحاد العمال الالمان العام الذي اضطلع بدور ايجابي في الحركة العمالية في جملة من اهم المسائل السياسية شغل موقفا انتهازيا انتقده ماركس وانجلس عليه انتقاداً حاداً .- ص ص ١١ ، ١٦ ، ٥٧ ، ٢٣

لافارغ (Lafargue) بول (١٨٤٢-١٩١١) - احد مؤسسي وزعماء الحركة الاشتراكية الفرنسية والاممية الثانية من نظريي ومروجي الماركسية .- ص ٩٠

لافروف بيوتر لافروفيتش (١٨٢٣-١٩٠٠) - ايدولوجي بارز للشعبية ؛ كان مؤسس النظرية الشعبوية الرجعية التي تقول بـ«الابطال» و«الجموع» ، والتي تنكر قوانين تطور المجتمع الموضوعية وتعتبر تقدم البشرية نتيجة لنشاط «الافراد ذوي التفكير النقاد» كان لافروف عضواً في جمعية «زيمليا إي فوليا» (الارض والحرية) ، وفيما بعد ، في حزب «نارودنايا فوليا» (ارادة

الشعب») كان عضواً في الاممية الاولى ، وكان على معرفة بماركس وانجلس . - ص ١٧٣

لومونوسوف ميخائيل فاسيليفيتش (١٧١١-١٧٦٥) - عالم روسي عظيم اشتهر بأعماله في مختلف ميادين العلم والادب اصله من الفلاحين . - ص ص ٨٨ ، ٨٩

ليكنخت (Liebknecht) ولهم (١٨٢٦-١٩٠٠) - احد مؤسسي وقادة الحزب الاشتراكي-الديموقراطي الالمانى قائد نشيط في الاممية الاولى والاممية الثانية محرر الصحيفة المركزية للاشتراكية-الديموقراطية الالمانية ، جريدة «Vorwärts» انتخب مراراً نائباً في الريخستاغ - ص ص ٦٨ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٥٥

ليفيتسكي ن ف (ولد عام ١٨٥٩) - ممثل الشعبية الليبرالية اقتصادي . - ص ص ٢٦٤ ، ٢٦٥

لينين فلاديمير ايليتش (اوليانوف ف . ا . ؛ ن . لينين ؛ تولين ك .) (١٨٧٠-١٩٢٤) - ص ص ٢٧ ، ١٩٦ ، ٢٣١ ، ٢٥١ ، ٢٥٤ ، ٤٠٥ ، ٤٦٢ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٥٣٣ ، ٥٤٢ ، ٥٦١ ، ٥٧١

ليون الثالث عشر (جواكينو فينتشينتسو ، الكونت بيتشي) ١٨١ - ١٩٠٣) - منذ عام ١٨٧٨ بابا روما سعى الى بعث دور الباباوية السياسي ناضل ضد افكار الاشتراكية وضد الحركة العمالية دعا خلافاً للمنظمات البروليتارية الطبقية لانشاء منظمات للشغيلة تكون تحت مراقبة الكنيسة وتتعاون مع ارباب الاعمال . - ص ٥٣٨

مارتوف ل (تسيديرباوم يولي اوسيبوفيتش ؛ فارسييس توبوريلوف) (١٨٧٣-١٩٢٣) - اشتراكي-ديموقراطي روسي . احد زعماء المنشقية . - ص ص ٧١ ، ٨٦ ، ٣٦٠ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ .

مارتينوف أ (بيكر الكسندر صهولوفيتش) (١٨٦٥-١٩٣٥) -
اشتراكي-ديموقراطي روسي احد ايدولوجيي «الاقتصادية» بعد
المؤتمر الثاني لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا (١٩٠٣) ،
منشفي .- ص ص ٦٥ ، ٧٤ ، ٧٦ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ،
٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩١ ، ٩٣ ، ٩٦ ، ٩٨ ، ١٠٢ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ،
١٠٨ ، ١١٤ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٣٦ ، ١٤١ ، ١٤٥ ، ١٩٥ ،
٢٠٧ ، ٢١٦ ، ٢٢٤ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣٥ ، ٢٣٨ ، ٣٨٠ ،
٣٨١ ، ٣٨٧ ، ٤١٦ ، ٤١٩ ، ٤٢٢ ، ٤٣١ ، ٤٣٣ ، ٤٦٣ ، ٤٧٢ ، ٤٧٥ ،
٤٧٦ ، ٤٧٧ ، ٤٨٣ ، ٤٩٧ ، ٥٠٠ ، ٥٠٢ ، ٥١٤ ، ٥١٥ ، ٥٣١ ،
٥٤٢ ، ٥٤١ ، ٥٤٠ ، ٥٣٩ ، ٥٣٣ ، ٥٣٢

ماركس (Marx) كارل (١٨١٨-١٨٨٣) - ص ص ١١ ، ١٧ ، ٣٧ ، ٤٥ ،
٥٥ ، ٦٧ ، ١٠٨ ، ٢١٦ ، ٢٥٥ ، ٣٥٩ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٩٢ ،
٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤٢٠ ، ٤٣٣ ، ٤٥٢ ، ٤٨٠ ، ٤٩٠ ،
٥٠١ ، ٥٢٥ ، ٥٣١ ، ٥٣٢ ، ٥٣٨ ، ٥٤١ ، ٥٤٢ ، ٥٤٣ ، ٥٤٤ ،
٥٤٥ ، ٥٤٦ ، ٥٤٨ ، ٥٤٩ ، ٥٥٠ ، ٥٥١ ، ٥٥٣ ، ٥٥٩ ، ٥٦٩ ،
٥٧٣ ، ٥٧٤

مانويلوف الكسندر ابولونوفيتش (١٨٦١-١٩٢٩) - اقتصادي روسي
في ١٩٠٥-١٩١١ عميد جامعة موسكو شخصية بارزة في حزب
الكاديت .- ص ٥٤٧

مهريخ (Mehring) فرانتس (١٨٤٦-١٩١٩) - من رجالات حركة العمال
الالمانية البارزين ، احد القادة والنظرين في الجناح اليساري للاشتراكية-
الديموقراطية الالمانية ، مؤرخ وكاتب سياسي ونقاد ادبي كان مع
كارل ليبكنخت وروزا لوكسمبورغ وغيرهما من مؤسسي الحزب الشيوعي
الالمانى .- ص ص ٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٩٢ ، ٤٥٢ ، ٥٤١ ،
٥٤٣ ، ٥٤٩ ، ٥٥١

موست (Most) يوهان يوسف (١٨٤٢-١٩٠٦) - اشتراكي-ديموقراطي
المانى . فيما بعد فوضوي .- ص ص ٢٢ ، ٦٨ ، ١٥٦ .

مول (Moll) يوسف (١٨١٣-١٨٤٩) - قائد بارز في الحركة العمالية
الالمانية والعالمية . - ص ٥٤٩

موليشوت (Moleschott) يعقوب (١٨٢٢-١٨٩٣) - فيزيولوجي وفيلسوف
من مواليد هولندا علم في مؤسسات التعليم في المانيا احد ممثلي
المادية البتذلة الرئيسييين . - ص ٣٨٧

ميخايلوف الكسندر دميتريفييتش (١٨٥٥-١٨٨٤) - من رجالات حركة
الشعبية البارزين احد منظمي وقائد حزب «نارودنايا فوليا» (وارادة
الشعب) . - ص ١٧٨

ميخايلوف نيقولاي نيقولايفيتش (١٨٧٠-١٩٠٥) - مخبر استفزازي ،
بناء على اخباريته اعتقل لينين وغيره من قادة واتحاد النضال من اجل
تحرير الطبقة العاملة» في كانون الاول (ديسمبر) ١٨٩٥ . - ص ٥١

ميخايلوفسكي نيقولاي قسطنطينوفيتش (١٨٤٢-١٩٠٤) - عالم اجتماعي
روسي كاتب سياسي وناقد ادبي نظري بارز للشعبية الليبرالية
خاض نضالا ضاريا ضد الماركسية . - ص ص ٧٠ ، ٢٢٦

ميشيرسكي فلاديمير بتروفيتش (١٨٣٩-١٩١٤) - كاتب سياسي واجتماعي
رجعي ناشر مجلة المئة السوداء «غراجدانين» («المواطن») . -
ص ١١٧

ميشكين ابوليت نيكيتيتش (١٨٤٨-١٨٨٥) - قائد بارز في الحركة
الشعبية في عام ١٨٧٣ ، فتح في موسكو مطبعة علنية ، كانت تطبع
سرا المطبوعات الممنوعة . - ص ص ١٣٧ ، ١٧٨

ميليران (Millerand) الكسندر ايتين (١٨٥٩-١٩٤٣) - سياسي فرنسي
في التسعينيات ، التحق بالاشتراكيين في عام ١٨٨٩ ، اشترك في حكومة
فالديك-روسو البرجوازية الرجعية وتعاون فيها مع جلالد كومونة باريس

الجنرال غاليه .- ص ص ١٦ ، ١٧ ، ٢٣٢ ، ٢٣٦ ، ٣٨٤ ، ٤١٦ ،
٥٦٥ ، ٥١٤ ، ٤٧٥

ميولبيرغر (Mülberger) آرثور (١٨٤٧-١٩٠٧) - كاتب سياسي برجوازي
صغير الماني من اتباع برودون ناضل ضد الماركسية .- ص ٢٢

نابليون الثالث (بونابرت لويس) (١٨٠٨-١٨٧٣) - امبراطور فرنسا من
عام ١٨٥٢ الى عام ١٨٧٠ .- ص ٣٦٧

ناديجدين ل . (زيلينسكي يفغيني اوسيوفيتش) (١٨٧٧-١٩٠٥) بدأ
حياته السياسية شعبيا منذ عام ١٨٩٨ ، اشتراكي-ديموقراطي في
عام ١٩٠٠ ، هاجر الى سويسرا ، حيث نظم «الفرقة الثورية الاشتراكية»
«سفوبودا» («الحرية») (١٩٠١-١٩٠٣) قد ايد «الاقتصاديين» في
مجلة «سفوبودا» ، ودعا في الوقت نفسه الى الارهاب باعتباره وسيلة
«لتهميج الجماهير» ، وناضل ضد «الايسكرا» اللينينية بعد المؤتمر
الثاني لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا ، نشر في المطبوعات
المنشفية .- ص ص ١٩٥ ، ١٩٨ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ،
٢١١ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢ ، ٢٦٨

نارسيس توبوريلوف - راجعوا مارتوف ل

نايت (Knight) دوبرت - من رجالات الحركة النقابية الانكليزية البارزين
- ص ١٠٧

ن . لينين - راجعوا لينين ف . إ

N.N. (ن . ن) - راجعوا بروكوبوفيتش س . ن

ن . ن - راجعوا دانييلسون ن . ف .

نيقولاى الثانى (رومانوف ، نيقولاى) (الدموي) (١٨٦٨-١٩١٨) - آخر
امبراطور روسى (١٨٩٤-١٩١٧) . - ص ص ٢٧٤ ، ٤٥٣ ، ٤٦٠ ،
٥٣٧

نيقولاى الدموي - راجعوا نيقولاى الثانى

هاركورت (Harcourt) وليام غيورغ (١٨٢٧-١٩٠٤) - رجل دولة
بريطانى ، لىبيرالى . - ص ٥٣٨

هاسيلمان (Hasselmann) ولهم (ولد عام ١٨٤٤) - اشتراكى-ديموقراطى
المانى . فيما بعد فوضوى . - ص ص ٦٨ ، ١٥٦

هانزيمان (Hansemann) دافيد يوستوس (١٧٩٠-١٨٦٤) - سياسى
بروسى احد زعماء البرجوازية الليبرالية وزير المالية فى وزارته
كامبهاوزن واويرسفالد . - ص ص ٥٤٥ ، ٥٤٦ ، ٥٤٧

هرتزنشتاين ميخائيل ياكوفليفيتش (١٨٥٩-١٩٠٦) - اقتصادى روسى ،
من زعماء حزب الكاديت ونظريه فى القضايا الزراعيه . - ص ٥٤٧

هرتس (Hertz) فريدريخ اوتو (ولد عام ١٨٧٨) - اقتصادى نمساوى
عارض فى كتبه تعاليم الماركسية فى المسألة الزراعيه ، وحاول ان يبرهن
«استقرار» الاقتصاد الفلاحى الصغير ، وقدرته على مقاومة مزاحمة
الاقتصاد الكبير . - ص ص ٣٤ ، ٢٥٤

هرتسين الكسندر ايفانوفيتش (١٨١٢-١٨٧٠) - ديموقراطى ثورى روسى ،
فيلسوف مادى ، كاتب هاجر الى الخارج وأسس «المطبعة الروسية»
الحره» فى لندن وشرع يصدر منذ عام ١٨٥٧ مجلة «كولوكل»
(«الجرس») ، التى كانت ترسل سراً الى روسيا والتى لعبت دوراً هاملاً
فى تطوير الحركة الثورية الروسية . - ص ٣٨

هوخبيرغ (Höchberg) كارل (١٨٥٣-١٨٨٥) - اشتراكي-ديموقراطي الماني انتهازي بعد اصدار القانون الاستثنائي ضد الاشتراكيين في المانيا (عام ١٨٧٨) ، وقف ضد التكتيك الثوري الذي اقره الحزب ودعا الى التحالف مع البرجوازية . - ص ٦٨

هيرش (Hirsch) ماكس (١٨٢٢-١٩٠٥) - اقتصادي وكاتب اجتماعي وسياسي الماني عضو الحزب التقدمي البرجوازي في ١٨٦٨ ، اسس مع فرانتس دونكر بعض النقابات الاصلاحية روج في مؤلفاته بفكرة «الانسجام» بين العمل والراسمال وعارض تكتيك البروليتاريا الثوري - ص ص ٥٨ ، ٥٢٨ ، ٥٢٩

هيغل (Hegel) غيورغ ولهم فريديرخ (١٧٧٠-١٨٣١) - فيلسوف الماني كبير مثالي موضوعي . - ص ٣٩

ويب (Webb) بياتريس (١٨٥٨-١٩٤٣) وسيدني (١٨٥٩-١٩٤٧) - شخصيتان اجتماعيتان بريطانيتان وضعا جملة من الكتب في تاريخ ونظرية الحركة العمالية البريطانية كان سيدني ويب احد مؤسسي الجمعية الفابية الاصلاحية . - ص ٨٣

يرمولوف الكسي سرغيفيتش (١٨٤٦-١٩١٧) - موظف في الحكومة القيصرية في اعماله في مسائل الزراعة ، اخذ جانب الدفاع عن مصالح الملاكين العقاريين الاقطاعيين . - ص ٣٢٠

يوزوف (كابليتز اي . اي .) (١٨٤٨-١٨٩٣) - كاتب اجتماعي وسياسي . شعبي . - ص ص ٢٦٢ ، ٣٢٠ .

محتويات

٥	من الدار
١١	ما العمل ؟ المسائل الملحة لحركتنا
١١	مقدمة
١٥	١ الجمود العقائدي وحرية النقد»
١٥	(أ) ما معنى «حرية النقد» ؟
٢٠	(ب) المدافعون الجدد عن «حرية النقد»
٢٦	(ج) النقد في روسيا
٣٥	(د) انجلس واهمية النضال النظري
٤٢	٢ عفوية الجماهير ووعي الاشتراكية-الديموقراطية
٤٣	(أ) بدء النهوض العفوي
٤٩	(ب) تقديس العفوية «رابوتشايا ميسل»
٦١	(ج) «جماعة التحرير الذاتي» (٢١) و«رابوتشييه ديلو»
	٣ السياسة التريديونيونية والسياسة الاشتراكية-الديموقراطية
٧٤	
٧٥	(أ) التحريض السياسي وتضييق الاقتصاديين له
٨٨	(ب) حكاية عن كيف عمق مارتينوف بليخانوف
٩٢	(ج) التثهير السياسي و«تربية النشاط الثوري»
١٠	(د) ما هو مشترك بين الاقتصادية والارهابية ؟
١٠٤	(هـ) الطبقة العاملة مناضل طليعي من اجل الديموقراطية
١٢٤	(و) مرة اخرى «مفترون» ، مرة اخرى «مشعوذون»

١٢٩	٤	عمل الاقتصاديين الحرفي وتنظيم الثوريين
١٣٠		(أ) ما هو العمل الحرفي ؟
١٣٤		(ب) العمل الحرفي والاقتصادية .
١٤٣		(ج) منظمة العمل ومنظمة الثوريين
١٦٣		(د) سعة العمل التنظيمي
١٧١		(هـ) المنظمة «التأمرية» و«الروح الديمقراطية»
١٨٢		(و) العمل في النطاق المحلي والروسي العام
١٩٤	٥	«مشروع» جريدة سياسية لعامة روسيا
١٩٦		(أ) من اغاظتهم مقالة «بم نبدأ ؟» ؟
٢٠٣		(ب) هل يمكن للجريدة ان تكون منظماً جماعياً ؟
٢١٧		(ج) ما هو طراز المنظمة التي نحتاجها ؟
٢٢٦		خاتمة
٢٣٠		ملحق محاولة توحيد «الايسكرا» و«رابوتشييه ديلو»
٢٣٩		تعديل على «ما العمل ؟»
٢٤١		روح المغامرة الثورية
٢٤١	١	
٢٥٣	٢	
		الى الفلاحين الفقراء تعليق من اجل الفلاحين ما يريده
٢٦٨		الاشتراكيون-الديموقراطيون
٢٦٨	١	نضال عمال المدن
٢٧١	٢	ماذا يريد الاشتراكيون-الديموقراطيون ؟
٢٨٦	٣	الثروة والبؤس ، الملاكون والعمال في الارياف
	٤	الى اي جانب ينبغي ان يقف الفلاح المتوسط ؟ الى
		جانب الملاكين والاغنياء ام الى جانب العمال وغير
٣٠٥		المالكين ؟

- ٥ اية تحسينات يريد الاشتراكيون-الديمقراطيون
تحقيقها من اجل الشعب كله ومن اجل العمال ؟ ٣١٦
- ٦ اية تحسينات يجهد الاشتراكيون-الديمقراطيون
للحصول عليها من اجل جميع الفلاحين ؟ ٣٣٠
- ٧ النضال الطبقي في الريف
برنامج حزب العمال الاشتراكي-الديمقراطي في روسيا كما
عرضته جريدة «اليسكرا» ومجلة «زاريا» ٣٥٠
- المسألة القومية في برنامجنا ٣٦٣
- بداية الثورة في روسيا ٣٧٥
- ديكتاتورية البروليتاريا والفلاحين الديمقراطية الثورية ٣٨٠
- ماركس و«التقسيم الاسود» الاميركي ٣٩٢
- خطتنا الاشتراكية-الديمقراطية في الثورة الديمقراطية ٤٠١
- مقدمة ٤٠١
- ١ مسألة سياسية ملحة ٤٠٦
- ٢ ماذا يعطينا قرار المؤتمر الثالث لحزب العمال
الاشتراكي-الديمقراطي في روسيا بشأن الحكومة الثورية
الموقته ؟ ٤١٠
- ٣ ماذا يعني «انتصار الثورة الحاسم على القيصرية» ؟ ٤١٨
- ٤ الجمهورية وتصفية النظام الملكي ٤٢٧
- ٥ كيف يجب «دفع الثورة الى الامام» ؟ ٤٣٤
- ٦ من اي جهة يهدد البروليتاريا خطر تقييد يديها في
النضال ضد البرجوازية المتذبذبة ؟ ٤٣٨
- ٧ تكتيك «اقصاء المحافظين عن الحكومة» ٤٥٦
- ٨ نزعة «اوسفوبوجدينييه» ونزعة «اليسكرا» الجديدة ٤٦١
- ٩ . ماذا يعني حزب اقصى المعارضة ابان الثورة ؟ . ٤٧٣

١٠	«الكومونات الثورية» وديكتاتورية البروليتاريا
٤٧٧	والفلاحين الديمقراطية الثورية
١١	مقارنة خاطفة بين بعض قرارات المؤتمر الثالث
٤٩١	ل ح ع ا د ر و «المجلس العام»
١٢	هل يتقلص مدى الثورة الديمقراطية اذا انصرفت
٤٩٧	البرجوازية عنها ؟
٥٠٨	١٣ الخاتمة هل نجرؤ على الانتصار ؟
	تنبيه اخير مرة اخرى حول نزعة «اوسفوبوجدينييه» ، مرة
٥٢٢	اخرى حول نزعة «الايسكرا» الجديدة
١	علام يطري الواقعيون الليبيراليون البرجوازيون
٥٢٢	«الواقعيين» الاشتراكيين-الديموقراطيين ؟
٥٣١	٢ الرفيق مارتينوف «يعمق» المسألة من جديد
٣	المفهوم البرجوازي المبتدل عن الديكتاتورية ومفهوم
٥٤١	ماركس عنها
٥٥٥	الثورة تعلم
٥٦٨	الاشتراكية والفلاحون
٥٧٩	ملاحظات
٦٣٦	دليل الاسماء
٦٦٠	محتويات

الى القراء

ان دار التقدم تكون شاكرة لكم اذا
تفضلتم وابدتتم لها ملاحظاتكم حول
ترجمة الكتاب ، وشكل عرضه ، وطباعته ،
واعربتم لها عن رغباتكم
العنوان زوبوفسكى بولفار ، ٢١
موسكو - الاتحاد السوفييتى



دار التقديم